كتاب

تغريبة بني هلال

﴿ الى بلاد الغرب وحروبهم مع الزناتي خليفه ﴾
﴿ وما جرى لهم من الحوادث اللطيفة ﴾
﴿ الظريفة * والحروب الهائلة ﴾
﴿ المخيفة ﴾

﴿ وهي تحتوي علَى ستة وعشرون جزءا ﴾

﴿ الجزء الاول ﴾

يباع مع جميع القصص والكتب باسعار مهاودة جداً

في

مكتبة الترقي

لصاحبها

شكري الخوري وشركاه

شرقي ساحة البرج اول طريق النهر . (بيروت)

برخصة مجلس معارف ولاية بيروت الجليلة

قصة مغامس

وهي

الجزء الاول

من تعريبة بني هلال وهو يحتوي على محلة بلاد نجد المدية وقصة
مغامس مع ابنة عمه شاة الريم * وريادة امراء بني
هلال الى بلاد الغرب * وهم مرعي ويحيي
ويونس وابو زيد ليث الحرب * وحبس
مرعي ويحيي ويونس عند الزناتي
في تونس ورجوع ابو زيد الى
الاطلال * ورحيلهم
بالاهل والعيال



بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فلما كانت القصص والنوادر . موضوعة لافادة الناس وتسلية الخواطر . لا سيما قصة بني هلال وما جرى لهم في سالف الاجيال من الوقائع والاهوال . التي تشيب الاطفال . وقد بادرنا طبعها ثانيةً من اولها حتى اخرها رحيلهم من بلاد نجد الى تونس الغرب واستخلاصهم تلك الممالك بالحرب وقتلهم الزناتي خليفة بعد حروب هائلة مخيفة فجاءت سيرة ظريفة مشتملة علَى نوادر واخبار لطيفة تلتذ بسماعها النفوس والاذان وبالله المستعان

انه لا يخفى اهل المعارف والاداب بان بلاد نجد كانت من اخصب بلاد العرب . كثيرة المياه والغدران . والسهول والوديان حتى كانت تذكرها شعراء الزمان . بالاشعار الحسان وتفضلها على غيرها نظراً لحسن هواها وكثرة خيرها وفيها كانت منازل بني هلال في سالف الاجيال وما زالت على رونقها الاول حتى تغير قطرها وامحل وانقطع عنها الحشيش والنبات وعم البلاد من جميع الجهات ولم يعد فيها شيئاً من المأكولات حتى صارت اهلها تأكل الحيوانات واستمرت المجاعة سبعة سنين وذلك بعد الهجرة باربع مائة سنة وستين ولما عظمت الاهوال واشتدت المجاعة على بني هلال اجتمعت منهم

المشايخ والشبان وقصدوا مضارب الامير حسن ابن سرحان .
فدخلوا وسلموا عليه وتمثلوا بين يديه وقالوا له عن فرد لسان اعلم
يا ملك الزمان بان الجوع قد اشتد وانقطعت المأكولات من بلاد نجد
وان طال علينا الحال نموت من عدم وجود القوت فان لم تدارك
الامر في الحال انقرضت جميع بني هلال وفقدت المواشي والاموال
قال الراوي فلما سمع الامير حسن هذا الخطاب استعظم المصاب وكان
عنده جماعة من السادات الاماجيد والفرسان الصناديد منهم البطل
الهمام وليث الاجام الذي شاع ذكره بين الانام وفاق على اقرانه بطعن
الرمح وضرب الحسام ابو زيد فارس الصدام والامير دياب ابن غانم
البطل المقاوم والقاضي بدير بن فايد السيد الماجد فاخذوا يتذكرون
في هذا الشان نحو ساعة من الزمان فاستقر رايهم عَلَى الرحيل من تلك
الديار قبل حلول الدمار ثم قال الامير حسن لاكابر القوم قوموا
بنا نتخفى ونتفقد احوال القبيلة في هذا اليوم فتنكروا في الحال حتى لا
يعرفهم احد من النساء والرجال وركبوا ظهور الجمال وطافوا في المضارب
والخيام مدة ثلاثة ايام حتى داروا على اهل القبيلة فوجودهم في ورطة
وبيلة ولم وجدوا من يدعيهم الى ضيافة لانه لم يكن عند احد عشا ليلة
واتفق انه في يوم الرابع اشرفوا على سهل واسع وفيه عدة مضارب
وخيام وحواشي وخدام وامير شهير اسمه مفرج ابن نصير وكان
المذكور واقفاً عند الابواب وهو في حالة الذل والاضطراب وعيناه
تذرف بالدموع من شدة الجوع فحيوه بالسلام ووقروه بالكلام وقالوا له

ايها السيد الكريم اقبل ضيوفاً قد قصدوك من ابعد اقليم من اكابر سادات العشيرة وافضالك بين الناس معروفة شهيرة فخجل من حديثهم وكلامهم ولم يجد بداً من اكرامهم فقال اهلاً وسهلاً بالضيوف فشرفوا محلكم ولكم الفضل والمعروف فاجابوه الى كلامه ونزلوا عن ظهور الجمال ودخلوا الى خيامه وكان لمفرج زوجة يقال لها ميّ وكانت من اجمل نساء الحي فقال لها اذهبي الان واقصدي بيت ابيك شيبان لعلك تجدين شيئاً من انواع الطعام تاتين به الى ضيوفنا الكرام لانهم قصدونا دون باقي العربان واتوا من ابعد مكان وليس عندنا شيئاً من انواع الماكول وأشار اليها يقول من فواد متبول

يقول الفتى المدعو الامير مفرج ايا ابنة عمي قد اتانا ضيوف
فقومي واسعي بالعشا لا تطولي فلون وجهي قد غدا مخطوف
فدوري على الجيران واستقرضي لنا وروحي الى اهلك بغير كلوف
والا فروحي للامير مسلم فهو عمك صاحب المعروف
ايا خجلتي يازلتي ياندامتي اذا ما جئت في طعام للضيوف

فلما فرغ من كلامه اجابته زوجته على شعره ونظامه

تقول فتاة الحي ميّ التي شكت ونيران قلبي زايدات وقود
ايا امير اهلي ما لهم قط نجده ولا عندهم يا امير شيء موجود
وعمي مسلم بالمسا كان داير على الحي من ضيفه بقي مكمود
وجيراننا يبكون من فرط جوعهم واولادهم يا مير بعد رقود
لكنني عن القصد عائقة واني اسير لنحوهم واعود

عسى ربي يفرج همومي جميعها ويقضي حوايجنا فانه معبود

قال الراوي فلما فرغت من كلامها سارت الى بيت ابيها فلما رآها ترحب فيها فاعلمته بالقصد والمرام وطلبت منه شيئاً من الطعام فقال والله يا ابنتي انه ما دخل الزاد لبيتنا منذ ثلاثة شهور واني خجلان منك فاعذرينا بالقصور فلما سمعت كلامه رجعت في الحال واعلمت زوجها بذلك المقال وانشدت تقول وعمر السامعين يطول

تقول فتاة الحي ميّ التي شكت بدمع جرى فوق الخدود سجام
ايا ابن عمي استمع شرح قصتي غدوت الى اهلي مع الاعمام
وجدت ابي والام يبكوا بحصرة واولادهم يبكون كالايتام
بكوا حين شافوني دخلت لحيهم وما عندهم يا امير قوت طعام
حلف والدي ان الطحين وغيره ما دخل بيته من عهد عام
رجعت وقلبي قد غدا في حسرة ونيران قلبي زايدات ضرام
فقم يا ابن عمي ودور على عامر وبيع الى بنتك بدر التمام
بيع الثريا في عشا لضيوفنا واشري لعرضك لا تكون ملام
واحسبها ماتت كما مات غيرها وياما جرى يا امير على الانام
وعشي ضيوفك يا امير وعزهم ترى الضيوف لهم حرمة وزود كرام
عسى الله اله العرش يفرج همنا يزيل الغلا عنا مع الاوهام
مقالات فتاة الحي ميّ التي شكت حرام على عيني لذيذ منام

قال الراوي فلما فرغت من شعرها ونظامها . وفهم زوجها فحوى كلامها قال لها نعم الراي والتدبير فقومي الان اصلحي شانها والبسيها

ثياب الحرير حتى ادور في القبيلة جميعها وادلل عليها وابيعها فقامت والبستها احسن ثياب وعطرتها بافخر الاطياب فتعجب الامير حسن وابو زيد ودياب وقالوا هذا الامر غريب وحادث عجيب ولكنهم صبروا وهم متحيرون حتى ينظروا ماذا يجري ويكون واما الامير مفرج فانه نهض في الحال وطاف بابنته في انحاء بني هلال وهو ينادي ويقول يا اهل الفضل والمعروف من يشتري ابنتي الثريا بعشاء اربعة ضيوف وكان كل من ينظر اليها ويتامل فيها يتحسر على جمالها وحسن معانيها ويقول اذا اشتريناها ماذا نطعمها ونسقيها. ولو لم يجد ابوها من يشتريها رجع بها الى المضارب . وكان ذلك عليه من اشد المصائب . فقالت زوجته علامك ما بعتها يا امير . فقال لا يشتريها مني احد . لا بقليل ولا بكثير . فقالت له اذهب بها الى عند الامير حسن امير القبيلة فانه يشتريها منك ولو بعشا ليلة . فاخذها وسار وهو في قلق وافتكار فعند ذلك خرج الامير حسن من المضارب وانفرد وسار الى صيوانه بدون ان يراه احد من اهل الامير مفرج. واما الامير مفرج وابنته فلما دخل سلم عليه وقبل الارض بين يديه واشار يقول من فواد متبول

يقول الفتى المدعو الامير مفرج	فلي قلب موجوعاً وزاد افكار
ايا ابا علي اسمع كلامي وقصتي	واصغى لقولي وافهم الاخبار
ايا امير اتاني ضيوف جازوا محلنا	وداروا هلال كبارها مع صغار
وجاؤا لعندي يا امير اضفتهم	فهم اربعة اظنهم امار
وما عندنا شيء بالبيت نقيتهم	ولا مرتع للدود والاطيار

اخذت الى بنتي ودرت نجوعهم ودرت ميامنها ودرت يسار
فلم اجد منهم من يشتريها واضيا في قد تركتهم بالدار
ايا امير ساعدني واجبر بخاطري يجيرك الهي من عذاب النار
ايا امير سير هلال وعامر وسير الى البلدان تكون عمار
فما عاد لنا يا امير في نجد عيشة علانا بها بعد البياض صفار

فلما فرغ مفرج من هذا الشعر والنظام طيب الامير حسن خاطره واحترمه غاية الاحترام وقال وحق رب الانام انه يصعب عليّ ان اسمع مثل هذا الكلام لانه يخرج قلوب السامعين فلا حول ولا قوة الا بالله رب العالمين ثم امر له بقنطار من الطحين وان يرجع بابنته الى خيمته فشكره على ذلك الاحسان ورجع بالصبية وهو فرحان ولما ابتعد وغاب عن المضارب والقباب نهض الامير حسن بالعجل وتزيا بزية الاول وركب مطيته وسار الى بيت مفرج فوصل قبله واعلم الامير ابو زيد بما فعله ولما وصل مفرج الى الخيام اعلم زوجته بما ناله من الانعام وبلوغ القصد والمرام ثم قال لها قومي الان واصنعي العشا حتى تاكل ضيوفنا وتتعشى فبادرت في الحال وعجنت قرصاً كبيراً وخبزته بدون اهمال وقدمه مفرج الى الضيوف وهو فرحان ملهوف وقال بسم الله تفضلوا وكلوا ولا تواخذونا بالقصور فاني والله معذور فقال ابوزيد لو جلست معنا كنا في غنا عن هذا التعب والعنا لانه يوجد معي من الزاد مايسد به رمق الفواد ثم مد يده الى الخرج وافرغه على سفرة الطعام فشكره مفرج على ذلك الاهتمام وجلس معهم يباسطهم

بالكلام ثم تركهم ورجع الى فراشه ونام واماهم فاقاموا الى طلوع النهار فركبوا مطاياهم وقصدوا جوانب القفار ولما اقتربوا من وادي سلامة سمعوا صياحاً وضجيجاً مثل يوم القيامة فتقدموا على الاثر ليكشفوا حقيقة الخبر ولما صاروا في ذلك المكان وجدوا جمهوراً من الرجال والشبان والنساء والصبيان وهم يصيحون من قلب موجوع من شدة الجوع فتقدم الامير حسن اليهم وقد شفق عليهم فطيب خاطرهم بالكلام وفرق عليهم جوائز الانعام ثم ساروا الى المضارب والخيام واستدعى اليه سادات القبيلة واكابر الجماعة وجعلوا يتفاوضون في امر الجماعة فاتفق رايهم بوجه الاجمال على ان يرحلوا من تلك الاطلال بالاهل والعيال وان يذهب ابو زيد الى بلاد الغرب وتلك الديار فيجس الاحوال ويأتيهم بحقيقة الاخبار ثم يرحلوا باولادهم واثقالهم الى تلك الاقطار فقال ابو زيد للامير حسن كل ما استحسنتموه فهو جميل وحسن غير انه لا خفاك اطال الله عمرك وبقاك ان المسافة بعيدة طويلة فيلزم ان يكون معي جماعة من سادات القبيلة فقال دياب هذا الامر من اسهل الامور فخذ معك من تريد من الجمهور فقال ابوزيد متى طلع النهار يوافق الله ما يشاء ويختار ثم عاد الى الخيام وهو في قلق واهتمام فقامت له زوجته على الاقدام وقالت له بكلام الدلال مالي اراك معبس الوجه يا ابا الابطال فاعلمها بواقعة الحال وكيف اتفق رايهم على ارساله الى تونس ولا يوجد من يعتمد عليه لياخذه معه على سبيل المعاون والموانس واني قد رهنت لساني

مع القوم على ان اذهب في ثاني يوم فقالت له انني ارشدك على حيلة تتخلص بها من هذه السفرة الطويلة وهو انك عند الصباح تدخل على الامير حسن وسادات القبيلة وتقول له بانك مستعد ان تذهب الى تونس بشرط ان يرسلوا معك الامير مرعي ويحيي ويونس فانهم من ابناء الاعيان ولا تسمح بهم اهلهم ان يتغربوا عن الاوطان وبهذه الوسيلة يكون عذرك واضح عند سادات القبيلة فاستصوب منها هذا الكلام وفي ثاني الايام ذهب الى عند الامير حسن فالتقاه بالاكرام والتبجيل وقال له هل استعديت على الرحيل فقال انني في غاية الاستعداد للذهاب الى تلك البلاد غير اني اريد ان يكون معي رفقاً واصحاب من سادات الاعراب لان المسافة بعيدة ومشقات الطريق شديدة فقال له الامير حسن خذ معك من تريد من الفرسان الصناديد فقال له اريد ان اخذ معي يونس ويحيي ومرعي لانهم يعاونوني في الطريق عند كل شدة وضيق وبهم يحصل النجاح والتوفيق واعود اليكم سريعاً بلا تعويق فاستعظم الامير حسن هذا الطلب خوفاً عليهم من العطب وكان يظن بان ابا زيد يطلب من فرسان العرب ولكنه سمح له اخيراً ان يأخذهم معه الى تونس وفي الحال احضر ولده مرعي واولاد اختيه يحيي ويونس ثم حدثهم بذلك الخبر وفي اليوم الثالث تجهزوا للسفر وركبوا الخيول واعتقلوا بالسيوف والنصول واخذوا معهم ما يلزم من المشروب والمأكول وركب الامير حسن ابن سرحان في سادات القبيلة واكابر الاعيان وساروا لوداعهم مدة ثلاثة ايام على

التمام ولما عزموا على الرجوع الى الاطلال والربوع بكوا من فؤاد متبول واشار ابو زيد يقول

يقول ابو زيد الهلالي سلامي ونيران قلبي زايدات اللهايب
وعيني من كثر البكا قل شوفها جرى دمعهامن فوق خدي سكايب
اسمع كلامي يا امير ابو علي وكن لقولي فاهماً ثم حاسب
غدونا بعون الله جل جلاله نرود دروب الغرب ثم المغارب
وفي صحبتي مرعي ويحيي ويونس ومن اجلهم ذا النجع باكي وناحب
وعليا عيوني يا عرب في حيكم وصبرا وريا طويلات الذوائب
يا بو علي بالك عليهم من العدا اذا هاجت الفرسان بين المضارب
اودعتكم لله ربي وخالقي ومن يلتجي لله ما راح خائب

قال الراوي فلما فرغ ابي زيد من سرده ونظامه وفهم الامير حسن وباقي الامراء معاني كلامه تقدم الامير حسن امام قواده وجعل يوصي ابو زيد بالاولاد ثم بكي وقال

يقول الفتى حسن الهلالي ابو علي دمعي جرى من فوق خدي سكايب
ونيران قلبي كلما اقول تنطفي تزيد لها بين الضلوع لهائب
لفرقة مرعي صار قلبي ذائباً واصبحت كالسكران للخمر شارب
ويحيي ويونس نور عيني وضوها على بعدهم دمعات عيني سكايب
فارقتهم ما كان قصدي فراقهم ولكن احوجتني لذاك مطالب
يا هل مرعي اراه بناظري تزول ايام العنا والمتاعب
ايا دهر يا غدار مالك غدرتني ففارقت خلاني وكل الحبايب

اودعتكم لله ربي وخالقي ومن اودع الرحمن ماراح خائب
اوصيكم المزاح لا تمزحونه فانه باكثر الاوقات غير صائب
واذا اردتم تدخلون مدينة فيونس تراه يشتري ويحاسب
واذا جادلتم عالماً بطريقكم فرعي على ذاك الجدال يجاوب
واتقوا ليحيي حارساً لجمالكم فانه سيحميها من الاعارب
ومن يم عليا فنور عيني ومهجتي وصبرا وريا اعز كل الحبايب
هذه وصاياي احفظوها جميعها فان كلامي كله قول صايب
وهذه مقالات الامير ابو علي فقلبي ذاب من هول المصائب

فلما فرغ الامير حسن من هذا الشعر والنظام بكي كل من كان حاضراً في ذلك المقام من السادات الكرام ثم تقدمت بعده امرأته الست نافلة اخت الامير دياب وهي في بكا وانتحاب وجعلت توصي الامير ابي زيد بولدها مرعي وانشدت تقول من فواد متبول

تقول فتاة الحي نافلة النسا بكيت على الفرقة وما جرى لها
ابو زيد لا تترك لمرعي وحده فان غاب مرعي غاب عقلي وزالها
وحافظ عليه في الصباح وفي المسا وداريه من الاخطار ثم وبالها
فكم رحلة من نجد الى حد تونس فاعلمني حتى اعد لياليها
فياليت نجد ارضها ما امحلت ولا راح مرعي للمغارب جالها

قال الراوي فلما فرغت الاميرة نافلة من كلامها وفهمت الامراء فحوى شعرها ونظامها رثوا لحالها وعذروها على مقالها ثم تقدمت الاميرة عمرة اخت الامير حسن امام الجموع وجعلت تودع ولدها يحيي وتقول

من فواد موجوع وعمر السامعين يطول

تقول فتاة الحي التي شكت وقطران دمعي فوق خدي سكيبها
ابو زيد نحيي يا هلال بعرضكم فلا غير يحيي وسط قلبي حبيبها
ابو زيد لا تبطي علينا بغيبتك فارجع مع اولادنا من قريبها
ودعتكم بالله ربي وخالقي ومن اودع الرحمن لا يخيبها

قال الراوي فلما فرغت الاميرة عمره من شعرها تقدمت الاميرة سروة اخت الامير حسن وجعلت تودع ولدها يونس بهذه الابيات وتبكي على فراقه من الوطن

تقول فتاة الحي سروة التي شكت لفرقة وحيدي صار قلبي ذائب
وحيدي حديث السن ماذاق لوعة وما شاف بعده من امور متاعب
يريد بلاد الغرب ينظر لاهلها ويكشف اراضيها وتلك السباسب
ابو زيد يونس ما شاف ضيقة ولا شاف ضربات القنا والقواضب
الا يا سلامي نور عيني اخذتها وقلبي تراه في غيابه ذائب
ايارب يا رحمن سهل طريقهم واحفظهم ربي من كل النوائب

قال الراوي فلما فرغت الاميرة سروة من شعرها ونظامها وفهمت السادات فحوى كلامها تقدمت الامارا فودعوا اولادهم ثم رجعوا الى بلادهم وسار الامير ابو زيد يقطع البراري والقفار ويوصل سير الليل بسير النهار قاصداً تونس وتلك الديار واما الامير حسن فانه عند وصوله الى الخيام جمع السادات والكرام وبعدان تفاوضوا بالكلام طلبوا من الله ان يمن عليهم بالسلامة وكان ذلك اليوم عندهم مثل يوم القيامة

ثم امر الامير حسن بتغطية الكراسي باربع شبكات من الحرير وان لايجلس عليها سيد او امير وقال مرادي اكتب تاريخ هذه الزيارة حتى تبقى ذكراً لاهل القبيلة وتقراها الناس على سبيل الافاده فاستدعى الامير زيدان ابن مانع . وكان كاتم اسراره وكاتب الوقائع . فلما حضر امره بتقييد هذه الابيات في الدفتر . وانشدها في ذلك المحضر

يقول الفتى حسن الهلالي ابو علي فذكري قد غدا في الكون شائع
بالجود والمعروف والفضل والعطا والانس واللطف مع حفظ الشرائع
وامي شريفة من سلالة هاشم حرائر كرام لابسات البراقع
كنا بنجد في سرور وفي هنا وفي عز عيش كان والشمل جامع
فمحلت اراضينا وكل بلادنا سبع سنين في فنا ومجاوع
فاول سنة اسودت الارض كلها وثاني سنة زادت علينا الوجائع
وثالث سنة نشف الجريد من الفلا وصار الشجر على الارض ممدود واقع
ورابع سنة هربوا المطايا من القرى وكل وحوش البر صارت تنازع
وخامس سنة انقرض النخل كله وعم الجوع في كل المواضع
وسادس سنة ذلت هلال وعامر وكيف العمل والراي في عام سابع
فارسلنا ابو زيد للغرب بالعجل ليذهب ويخبرنا عن تلك المرابع
فكانت سنة ستين من اربعمائة كتبها في الديوان زيد ابن مانع
فيا رب يا رحمن اجمع شملنا وكن لدعانا مستجيب وسامع

فلما انتهى الامير حسن من هذه الابيات والنظام . وسمعها

السادات الكرام استحسنوها غاية الاستحسان . وسجلها زيد ابن مانع في الديوان . لتبقى لهم ذكراً في طول الزمان . وكانت جميع النساء والبنات والامراء والسادات تدعو لرب السموات في اكثر الاوقات وتطلب منه نجاح ابو زيد فى تونس ورجوعه سالمًا الى الديار مع مرعي ويحيي ويونس . هذا ما كان من امر القبيلة والامير حسن .

واما ما كان من ابي زيد فانه بعد رحيله من الوطن ما زال مجدًّا في المسير حتى اشرف على بلاد حزوه والنير وهي بلاد كثيرة الخيرات واسعة الاراضي والجهات وكان الحاكم عليها في ذلك الزمان ملك عظيم الشأن صاحب ابطال وفرسان اسمه الدبيسي ابن مزيد فقصده ابو زيد دون كل احد فدخل وسلم عليه وتمثل بين يديه ووقف مرعي ويحيي ويونس حواليه وقال اطال الله عمرك ورفع مقامك وقدرك فانك وحيد العصر واولى بالمديح والشكر فلما سمع منه هذا الكلام رد عليه السلام وقال له لقد احسنت فمن اي بلاد انت قال نحن شعراء حجازية نطوف في البرية فنقصد الامراء الاجاويد ونمدح الملوك الاماجيد فناخذ عطاهم وننقل ثناهم وهذا هو دأبنا في كل عام ايها الملك الهمام فقصدناك الان من ابعد مكان لنمدحك دون غيرك ونشكر فضلك وجزيل خيرك لاننا سمعنا بجودك وكرمك ومكارم اخلاقك وشيمك هذا اوجب قدومنا اليك وتمثلنا بين يديك ومن الاتفاق الغريب والامر العجيب انا مررنا على نجد وتلك الاوطان ومدحنا اميرها حسن ابن سرحان فاجازنا بالجوائز السنية وخلع علينا

الخلع الملوكية وتلك البلاد الان فى غاية الضيق من شدة المحل وعدم وجود القوت والدقيق ثم ان ابا زيد بعد هذا الخطاب عدل الرباب واشار يمدح الدبيسي ويعلمه عن احوال نجد بهذا القصيد

يقول الاديب بيوت من الم الحشا ... النار في قلبي تزيد ضرام
من الهم والاحزان ياما صابنا ... وعدنا بحال الذل والاعدام
جفتنا منازلنا وكل بلادنا ... فصرنا ندور على ملوك عظام
اتينا الى نجد العدية وارضها ... نزلنا بديوان الامير سلام
ودياب والقاضي بدير ابن فايد ... امارا اصائل من فروع كرام
واميرهم حسن الهلالى ابو علي ... كرام الايادي من ملوك فخام
يا امير اسمع كلامي وافتهم ... وكن لقولي فاهم الانغام
واعلم يقيناً ان نجداً اصبحت ... بضيقة وشدة والامور عظام
وفيها الغلا والمحل يا فخر الورى ... فيا زل من دهره آتى بسقام
واحاط الفنا بهم من كل جانب ... وهدوا صواوين اللهم وخيام
فودعنا امارا يا ملك جميعهم ... وعدنا ندور على ملوك كرام
ركبنا مطايانا وجينا لقطركم ... وجينا لنحوك نطلب الانعام
فجود علينا يا امير بمكارمك ... فانت اجل واعظم الانام
هذه مقالات الاديب على نقا ... برغد العيش مدى الايام

قال الراوي فلما سمع الدبيسي هذا الشعر والنظام وما حواه من الشرح والكلام اكرمهم غاية الاكرام وقال لهم مرحبابكم يا وجوه العرب واهل الفضل والادب فانكم تستحقون الانعام والاحسان لانكم

قصدتموني من ابعد مكان ثم انزلهم في احسن الخيام وقدم لهم المدام والطعام واقاموا عنده عشرة ايام وكان ابو زيد في هذه المدة قد عرف احوال البلاد وما فيها من العساكر والاجناد وميز مراكزها وجميع نواحيها وبعد ذلك ودع الدبيسي مزيد ورحل من ذلك البلد وهو قاصد بلاد المغارب ومدينة تونس وفي صحبته مرعي ويحيي ويونس وقد جدوا بالمسير وسابقوا بسيرهم الطير الذي يطير وما زالوا يقطعوا البراري والاكام مدة تسعة ايام على التمام وكانوا يستترون بالنهار ويقطعون الفلاة تحت ظلام الاعتكار حتى وصلوا الى بلاد العمق وهي بلاد الامير مغامس وكان وصولهم اليها في الليل الدامس ولما اقتربوا من الابيات سمعوا اصوات المولدات ودق طبول وزمور تدل على فرح وسرور فقال ابو زيد لاصحابه ابشروا بالخير بعد هذا التعب والضير فان اهل الحي مشتغلون بعرس لهم ومن الصواب ان نقصدهم ونصرف هذه الليلة عندهم ثم قصدوا المضارب والخيام تحت ستور الظلام

قال الراوي وكان السبب في ذلك انه كان اخان اميران من اكابر الاعيان اسم الواحد عامر والثاني ابو الجود وكانا موصوفين بالكرم والجود . وكان للامير عامر ولد اسمه مغامس جميل المنظر كانه القمر فصيح الكلام . معتدل القوام . وكان لابي الجود بنت اسمها شاة الريم . وكانت في الحسن على جانب عظيم . لا يوجد مثلها في بنات الاقاليم . فصيحة اللسان . وبها كان يضرب المثل في ذلك الزمان . فاتفق ابو الجود على انه يزوجها بمغامس ابن اخيه . لانه يحبه ويهاديه

وهكذا تم الاتفاق . وصار تقديم المهر والصداق . وكان لهذين الاميرين عدو من ملوك العربان . يقال له نبهان . فغار بجنوده ذات يوم . على هولاء القوم فالتقاه ابو الجود والامير عامر . بالابطال والعساكر وجرت بينهم حروب تشيب الاطفال في المهود انجرح فيها الامير عامر وقتل ابو الجود . وكان للامير عامر عبد من الشجعان الصناديد . يقال له سعيد . وكان يرعى الجمال . بين الروابي والتلال . فلما رأى تلك الحال وما حل بمولاه من الوبال . ركب ظهر الحصان وهجم على نبهان . وتبعته الابطال والفرسان بقلوب اقوى من الصوان . ولم تكن غير ساعة من الزمان حتى استطال عليه . وطعنه بالرمح بين بزيه فالقاه قتيلا على الارض يختبط بعضه ببعض . ثم انصب على جيش الاعداء . فهزمها في تلك البيداء . وبعد ذلك رجع الى القبيلة بغنائم جزيلة . فالتقته النساء بالنشائد والمدح الزائد وشكرته الرجال على تلك الفعال . واكرموه غاية الاكرام ورفعوا منزلته الى اعلى مقام . وفي اليوم الثالث اشتد على الامير عامر الالم . حتى صار في حالة الخطر والعدم فاستقر رايه على ان يقيم عبده سعيد مكانه . ايثما يكبر ابنه مغامس ويرتفع بين الناس قدره وشانه . فجمع اكابر الديوان وقواد الفرسان . واعلمهم بذلك الشان . ثم احضر العبد سعيد . وقال له بحضور السادات الاماجيد اعلم ايها الفارس الصنديد باني قد اقمتك مكاني ملكاً على هذا الاقليم ايثما يكبر ابني مغامس فتزوجه بابنة عمه شاة الريم . ويصير هو الامير وتكون انت له من جملة الوزراء والاعوان . ثم انه بعد هذا الكلام

اشار يقول وعمر السامعين يطول

يقول الفتى عامر على ما جرى له   فقلبي قد اكتوى كي الجامر
مريض حزين موجع القلب والحشا   اذا نامت الفرسان تلقاه ساهر
سبعين عاماً عشتها في مسرة   وكنت على كل الابطال قادر
اتاني مغامس بعد شابت عوارضي   ويوم اتاني قد عقرت العقائر
اتوني جموع البدو من كل جانب   ولا واحد الا وقد جاء زائر
الا ياكرام الحي قربت منيتي   وقد صرت من اهل المقابر
ايا قوم من بعدي سعيد اميركم   وهو يعليكم على كل العشائر
بكيت على ابني مغامس ويتمه   وفقدان خيلي والغنم والاباعر
الا يا سعيد العبد اسمع مقالتي   وافهم كلامي انت بالدهر خابر
ربي مغامس ابن سيدك ودلله   واعطيه شاة الريم ان صار قادر
مغامس حديث السن ماذاق لوعة   ولاشاف ضرب المرهفات البواتر

قال الراوي فلما انتهى الامير عامر من هذا الكلام. بكا كل من كان حاضراً من السادات الكرام. وقال سعيد الى مولاه اني سافعل ما امرت. لاني عبدك وفي نعمتك قد انتشيت وكبرت . ثم تفرقت العرب الى المضارب والخيام . وبعد ثلاثة ايام شرب كاس الحمام فغسلوه ودفنوه بالوقار والاحترام. وبكى عليه الخاص والعام. وفي اليوم الثاني جلس على الكرسي مكان مولاه الامير عامر. واطاعته الاكابر والاصاغر. وقواد الجيوش والعساكر فكان يحكم في القبيلة ويفعل ما يريده ولا يعترضه احد من السادات ولا العبيد . حتى تمكن غاية

التمكين وصار من جملة الملوك المعظمين . فلما اشتهر امره وانتشر بين الناس ذكره . داخله الطمع على اختلاس المملكة . والقاء ابن مولاه مغامس في مهاوي التهلكة . فما كان منه الا انه جمع الاعيان والابطال والفرسان . وقال لهم على رؤوس الاشهاد . اعلموا ايها السادة الامجاد قد صممت الان على طرد مغامس ابن سيدكم من الاوطان . وارساله الى ابعد مكان . فلا عدتم من الان فصاعداً تعاملوه بشيء مهما كان . وكل من خالف كلامي ولم يمتثل الى احكامي . قطعت راسه واخمدت انفاسه . فماذا تقولون وماذا تجاوبون . فقالوا سمعاً والف طاعة فما عدنا نعامله ولا نتكلم معه من هذه الساعة . لانك انت ملكنا واميرنا وحامي بلادنا واوطاننا . فبينما هم في الحديث والكلام واذا بالامير مغامس قد دخل عليهم فحياهم بالسلام فلم يجسر احدهم ان يرد عليه الجواب خوفاً من القصاص والعقاب . فتاثر من ذلك الامر . واحترق قلبه بلهيب الجمر . وعلم ان العبد سعيد مراده ان يختلس منه الاميرية ويتملك على القبيلة بالقوة الجبرية . فارتد راجعاً على الاثر واعلم امه بذلك الخبر ثم بكا وتنهد . وبعد ذلك انشد

يقول اليتيم الذي ضنا البين حاله ... فدمع عيني على الخدود قناه
فقلبي كواه البين والهم والقسى ... جفاني زماني والزمان شفاه
اذا رحت للديوان اجاس كعادتي ... رأيت سعيداً والعرب بحداه
فاعلم جميع الحاضرين بصحبته ... كلاماً شديداً قاسياً فحواه
مغامس لا تلاقوه بالعز والهنا ... ولا تجلسوا وتتكلموا واياه

فسامت ما ردوا سلامي جميعهم   وقد عدت في ضنك وعقلي تاه

قال الراوي فلما انتهى مغامس من شعره ومقاله رثت امه لحاله وقالت الله يكون معنا ياولدي فاني خائفة من غدر هذا العبد الردي فانه نكر الجميل والمعروف وبادانا بالشر والمتلوف . بعد ان كان راعي جمالنا وعبدنا وخدامنا . فما انتهت من هذا الكلام حتى اقبل عليها من عنده بعض الخدم يقول لها ان تذهب بابنها من تلك الديار قبل ان يحل بها الهلاك والدمار . وقد ارسل اليك هذه الناقة الجربانة وهذه الشاة والشقة الممزقة على سبيل الاحسان والصدقة . فاذهبي في الحال قبل حلول الوبال . فبكت ام مغامس من هذا الكلام وتذكرت ايام زوجها وما كانت فيه من العز والانعام وعلو الجاه ورفعة المقام . ولكنها اجابت الامر بالسمع والطاعة ورحلت بابنها من تلك الساعة الى ان اشرفت الى واد عميق بقرب الطريق فاقامت هي وولدها هنالك وهما في حالة الخوف والارتباك . ثم نصبا لهما خيمة من القش واغصان الشجر لتوقيهما من حرارة الشمس وضو القمر وجلسا في ذلك المكان تحت مشيئة الرحمن

قال الراوي هذا ما كان من امرها واما سعيد العبد الخائن اللئيم فانه كان قد ارسل يطلب شاة الريم . وامر امها ان تجهزها تلك الليلة وتصلح حالها حتى يدخل عليها ويحظى بحسنها وجمالها . فلما سمعت شاة الريم ذلك الكلام كان عليها اشد من ضرب الحسام . وجعلت تبكي مع امها على فقد مغامس ابن عمها لانها كانت تحبه وترغب قربه

ولما زاد عليها الحال انشدت تقول من فؤاد متبول

تقول شاة الريم من قلب حزين ... ودمع عيني فوق وجناتي غزير
كيف حالي واحتيالي يا عجوز ... من هموم الدهر يا بنت الامير
من بعد ابي وعمي قبله ... صار راعينا عَلَى راس السرير
يريد ياخذني سريعاً عاجلاً ... فوجهه اسود وانا بدر منير
وقد طرد ابن عمي من الحما ... هو وامه في نكد ذاقوا النكير
ما له مسعف ولا له معين ... ولا له مال وهو شاب صغير
يارب سعيد العبد اعدمه الحياه ... واكتب نصيبي في مغامس يانصير

قال فلما انتهت من كلامها وفهمت امها فحوى شعرها ونظامها قالت لها اعلمي يا ولدى ان الصبر مفتاح الفرج ولا بد ان نجد لهذا الضيق من خلاص ومخرج فاصبري على حكم الله وعلى ما قدره وقضاه. وهذا العبد سعيد فانه جبار عنيد وشيطان مريد ، وقد ذلت له الفرسان الصناديد. وابن عمك مغامس فقير الحال . ليس له مال ولا رجال وان خالفنا له امرا . اخذك غصباً وقهرا فمن الواجب ان نسمع كلامه ونمتثل اوامره واحكامه . فلما سمعت شاة الريم من امها هذا الكلام صبرت على احكام رب الانام. وكان العبد سعيد قد صنع تلك الليلة وليمة لها قدر وقيمة . جمع فيها بعض الاعيان واكابر الديوان. فدقت الطبول ونفخت الزمور. وقام في القبيلة الفرح والسرور ودقت المولدات بالدفوف . ولعبت الفرسان بالرماح والسيوف . فلما سمع مغامس اصوات الطبول وصهيل الخيول . قصد الحي تحت

ظلام الليل فعندما وقف على حقيقة الخبر طار من عينيه الشرار من شدة الوجد والغرام . وزواج ابنة عمه بدر التمام بذلك العبد ابن اللئام . فرجع في الحال واعلم امه بواقعة الاحوال . فبكت شفقة عليه وتذللت بين يديه . وجعلت تتلطف بخاطره وتقول الله كريم فلا بد ان تكون من نصيبك شاة الريم . ثم جعلت تتوسل الى الله وتطلب منه المعونة والنجدة والخلاص من تلك الشدة

قال الراوي وكان بالامر المقدر وصول ابو زيد تلك الليلة الى الحلة كما تقدم الخبر وسمع اصوات الطبول والزمور . والافراح والسرور فتقدم طالب الحي بمن معه من الرفاق . ومن غريب الاتفاق المستحق التسطير في الاوراق انهم مروا على ذلك الواد . فوجدوا مفامس وامه وهما في حالة الانفراد . وكان مفامس يبكي ويتحسر ويستغيث برب البشر . ويقول يا الله يارحمن ارسل لنا ابو زيد فارس الميدان ليخلصنا من هذا الضيق العظيم ويجمع شملي بابنة عمي شاة الريم . ومن شدة ما اعتراه عول ان يدفن نفسه وهو في قيد الحياة

قال الراوي وما اتم كلامه حتى صار ابو زيد امامه فسمعه يناديه ويستغيث فيه فتعجب من هذا الكلام وقال وحق رب الانام ان هذا من اعجب العجب لم يسمع بمثله بين العرب . ثم تقدم اليه وسلم عليه وقال له من تكون ايها الانسان وماهو سبب اقامتك في هذا المكان ومن اين لك معرفة بابي زيد فارس الفرسان حتى تستغيث به وتلج في طلبه فحدثه طرفاً من قصته واعلمه بحاله وكيف ان اباه اوصاه انه اذا

وقع في شدة يطلب ابوزيد للمساعدة والنجدة فياتيه الفرج بعد الضيق ويحصل على النجاح والتوفيق . ثم قال له الغلام وانتم من تكونوا ايها السادات الكرام فقال ابوزيد انا من الشعراء وعادتنا مدح الملوك والامراء وقد امسى علينا الظلام ولا نعلم الى من نلتجى من الانام فقال تفضلوا وشرفونا ايها الضيوف ولكم الفضل والمعروف فنزلوا عن ظهور مطاياهم ودخلوا الى الخيمة. وهم في حيرة عظيمة فاستقبلهم مغامس بالاحترام والوقار واضرم لهم النار . ثم ذبح لهم الناقة في الحال ولم يكن عنده غيرها من النوق والجمال .وجعل يبكي ويبدي النحيب ويترحب بهم غاية الترحيب. وكانت امه قد طبخت الناقة بالعجل فقدمها لهم وقال كلوا واعذرونا ولا تواخذونا فاكلوا وهم يتعجبون من قصة الغلام وفرط كرمه وادبه وشيمه . ثم اعلمهم بواقعة حاله على التمام والكمال وماجرى عليهما من عبدهما سعيد الخائن المحتال . فاستعظم ابوزيد الامر ورآه من غرائب الدهر وصمم عَلَى مساعدة الغلام وقتل سعيد ابن اللئام وبعد العشا جعل ابو زيد يدق على الرباب وينشد الاشعار ويسلي الغلام بالنوادر والاخبار ويهون عليه الامور الكبار وما زال على تلك الحال حتى راق مغامس بعد ما كان آيس. واتفق بينما هم في انشراح وسرور وافراح ان احد رعيان سعيد العبد قد فقد له بعيراً في تلك الليلة فذهب يدور عليه خارج القبيلة فجاءت طريقه على تلك الوادي الذي نازل فيها مغامس فسمع صوت الرباب وكلام فصيح وخطاب فرجع على الاثر واعلم سعيد بما سمع ونظر

ثم انشدهذه الابيأت امام الامراء والسادات

مقالات الفتى المدعو عميره ... الا يا امير قلبي فيه هادس
اني قد ضاع مني بعير فاطر ... وقلبي لاجله يا امير هاجس
وقد طفت الجبال مع الروابي ... فجاءت دربي على خيمة مغامس
وفيها النار تشعل يا ملكنا ... وحول النار شعار جوالس
عليهم هيبة تزهو بحسن ... وملبوث الثياب من الاطالس
وفيهم عبد في يده ربابه ... ينقلها على رابع وخامس
فلو طفنا البلاد لما راينا ... نظير صفاتهم ايضاً اشاوس
الا يا امير احضرهم لعندك ... واسمع قولهم يا ابو الفوارس
هنيئاً للذي يسمع غناهم ... ومثلك من يكون لهم مجالس
فان خانفتني يا امير تندم ... وشاة الريم ياخذها مغامس
مقالات الفتى المدعو عميره ... فقلبي من بحور اللهو غاطس

قال الراوي فلما سمع سعيد هذا الشعر والنظام . فهم فحوى الشرح والكلام علم ان قوم من الشعراء الذين يدور على الملوك والامراء في طلب الفضة والذهب . والمعاش والمكسب . فحدثته نفسه ان يستدعيهم لاتمام الافراح وزيادة البسط والانشراح فاوسل في طلبهم جماعة من السودان . ليأتوا بهم من ذلك المكان منهم مرجان وسلمان وابو علوان وفسوان وضربطان وابو حمدان . فساروا الى ان وصلوا الى امام ابو زيد فنهض لهم على الاقدام وقال لهم اهلاً وسهلاً باولاد الاعمام الذين يشربون البوظة ويأكلون الطرطوزة فشكروه

على هذا الاكرم الشديد وقالوا قد بلغ خبر قدومكم مولانا الامير سعيد فارسلنا لنحضركم اليه في الحال وابشروا بالانعام والاموال. فودعوا العجوز وساروا مع العبيد قاصدين الامير سعيد وكانوا حاملين في ايديهم الرباب ومتقلدين بالسيوف من تحت الثياب حتى وصلوا الى المضارب والقباب فدخلوا على سعيد فوجدوا عنده جماعة من السادات الاماجيد وهو متكئ على ظهره كانه فحل الجاموس ومنتظر قدوم العروس فسلم ابو زيد عليه ووقف بين يديه فلم يرد جواب ولا اكترث بكلامه ولكنه رفع له رجليه وبحلق في وجهه عينيه وكان سعيد بدون لباس فانكشفت عورته امام الناس فثار ابو زيد من فعله وقد صمم على قتله لكنه صبر الى النهاية وكان له في ذلك غاية ثم التفت سعيد الى ابو زيد واصحابه وقال لهم في خطابه انني رايت منكم العجب كيف تكونون من شعراء العرب واصحاب الفضل والادب وتتركون زيارة الامير وتقصدون عجوزاً لا اقدر لها ولا شان فقال ابو زيد اطال الله عمرك وزاد في مقامك وقدرك اننا ما اتينا الى هذه القبيلة الا لنمدح جنابك ونتشرف بساحة اعتابك غير ان وصولنا كان في الظلام وكنا قاصدين ان نزور حضرتك في ثاني الايام الى ان ارسلت في طلبنا الان مع الغلمان فحضرنا حالا امتثالا لامرك العالي فلا زالت ايامك في سرور وافراح على طول الايام والليالي . فلما انتهى ابو زيد من مقاله جلس على يمينه وجلس مرعي ويحيي ويونس عن شماله وكان عند جلوسه التي ساعده

على فخذ سعيد بقوة وعزم شديد فتالم سعيد من تلك الحركة وقال لا مرحباً فيك ولا حلت في قدومك علينا البركة قاتل الله اباك وامك فما اثقل دمك فقال ابو زيد لا تواخذنا فانا ضيوفك كثر الله خيرك ومعروفك فقال هاتوا ما عندكم الآن من الاشعار الحسان. فاذا كانت معانيها جميلة اجزتكم بالعطايا والتحف الجزيلة فقال ابو زيد اسمع كلامي وتامل في شعري ونظامي ثم انشد هذه الابيات بحضور باقي السادات

يقول الحجازي والحجازي سلامي ... ارى الدهر يغدر بالملوك الافاضل
يا حيف اهل العز ولى زمانهم ... ومن بعدهم حكمت اولاد الارازل
يالهف قلبي على ملوك قد مضوا ... حكم بعدهم في الناس خدام عاطل
انا ناصر الايتام بالسيف والقنا ... وطعن الاعادي فوق ظهر الاصايل
انا منصف المظلوم جابر خاطره ... انا فارس الفرسان مردي الجحافل
انا ازوج الزينات لابناء عمهم ... وابعد عنهم كل خبيث مماطل
فلا خير في عبد علا فوق سيده ... ولا خير في من يغدر راهل الفضائل
فلا تحسب ان الدهر يصفى اظالم ... ولا بد ما ارديك بطعن الذوابل

قال الراوي فلما انتهى ابو زيد من هذا القصيد اغتاظ منه سعيد وقال له ما هذا الكلام الغليظ الشديد ياخس العبيد فلولا سواد لونك كنت قطعت راسك واخمدت انفاسك فاجلس مكانك واكفينا شرك ولسانك ودع غيرك يطربنا بالكلام يا ابن اللئام فعند ذلك التفت مرعي اليه وقال له لا تواخذه ولا تغضب عليه فانه جملة العبيد ايها الملك السعيد الذين لا يعرفون مقام الملوك ولا لهم خبرة

بحسن التصرف والسلوك فان كنت تريد عنيتك الان بقصيد يستحق الانعام ومزيد الاكرام فتزيل اكدارك وتبتهج افكارك فقال سعيد هات ما عندك فاشار مرعي يقول

قال الفتى مرعي بقلب اشتكا   عميت عيون المير من كثر البكا
هذا كلامي فيك يا امير الملا   يا من على اعلى الوسايد متكي
انت السعيد وذال سعدك عاجلا   كيف ياملعون تاخذ ستكا
اني مدحتك في بيوت جيدة   والسيف من وسط القراب تحركا
اسمع كلامي يا سعيد وافتهم   ما عاد لك ملجأ ولا لك مسلكا
لابد ما ادعوا مغامس يا سعيد   ياخذ لشاة الريم ويرغم انفكا

قال الراوي فلما فرغ مرعي من كلامه وشعره ونظامه اغتاظ سعيد الغيظ الشديد وصاح على الجلاد ان يقطع راسه ويخمد انفاسه فعند ذلك اعتذر اليه يحيي امام الحاضرين وكبار السادات والمقدمين وقال له لاتواخذهم من هذا القبيل ايها الملك الجليل . فانهم اناس بهاليل لا يعرفون مضمون الكلام ولا يميزون بين النور والظلام ولكن ان اردت الان فانا امدحك ببيوت حسان ما سمعها احد الا وزال عنه الهم والاحزان لانها تشرح الصدور وتجلب الافراح والسرور فقال هات ما عندك لعن الله اباك وجدك فاشار يحيي يقول وعمر السامعين يطول

قال الفتى يحيي على شرح ماجرى   في قلب زاد اليوم بالاوجاع
وسيفي حالف ما صاح يوم كريهة   الا الى روس العدا قطاع

ركبت طريق الجود طفلا عن صغر على اشقر عالي طويل البـاع
ربيت على يد الامير ابو علي خالي وفي يوم اللقا نفـاع
فمنـا ابو زيد الهلالي سلامي وكم كل عاصي الى سلامي طاع
الا يا سعيد الدهر خوان بايق فكم قد هرم من حصون وقلاع
وياما هان من كل قرم غشمشم واخرب قصور الظـالمين بساع
ياحيف على الخيل الجياد من الردي على ظهرها سود الوجوه شناع
ياحيف شاة الريم تحظى بخائن ردي اللبن اسود ذميم طبـاع
ترى الدهر اذرى بالملوك الذي مضوا وخلا الارزال صـابرين رفاع
ايا عبد تحكم في مغامس وتطرده وامه حزينة بيتها بالقـاع
وما كنت يا غدار ترثي لحالهم وهل اليوم تحكم على جميع بساع
ولا بد شاة الريم تاخذ مغامس وانت تقاسي همومهـا واوجاع
وخليك يا طنجير على الثرى وتاكل عظامك ياسعيد سباع
لانك غدرت بحق سيدك وتركته في ذلة وتزاع
مقال الفتى يحيي مخاضم من طغا فلا بد منـا ما تشوف صداع

قال الراوي فلما فرغ يحيي من شعره ونظامه وفهم سعيد فحوى كلامه زاد عليه الحال واستعظم ذلك المقال وصاح على الجلاد يقطع راس الثلاثة الشعراء قصاصاً لهم عَلَى ذلك الافترا فنهض، يونس عَلَى الاقدام واعتذر اليه بالكلام وقال له لا خفاك ياملك الزمان ان هؤلاء الشعراء من اوباش العربان لانهم تكلموا بحضرتك بمـا لا يليق من الكلام فلا عتب عليهم ولا ملام فان اردت الان انشدك ابيـاتاً ما

سمعها قط انسان الا استحسنها غاية الاستحسان فانها تشرح بالك وتقطع اوصالك وتلمن ابو سبالك فلما سمع الكلام وكان سكرانًا من كثر شرب المدام لا يفرق بين النور والظلام فقال بارك الله فيك انشدني وخذ مني ما يرضيك فان صدري ضاق وقلبي يحدثني الفراق فانشد يونس يقول وعمر السامعين يطول

قال يونس من فواد التهب ... والدمع مني قد غدا هطالها
هذا كلامي فيك يا امير الملا ... الله يعطي نفسنا امالها
اني امير بالحروب مجرب ... مني تشيب من الحروب ابطالها
اني امير مثل صارم في اللقا ... اطعن بيمينها وشمالها
ما عدت تنجو ياسعيد العبدلا ... والروح منك في حسامي زالها
عندك فرس بيضا قبالك واقفة ... فاذا مشت رن القدم خلخالها
حسنا مليحة ما رأينا مثلها ... في لطفها وبظرفها وكمالها
طول الرديني كانها عود القنا ... فاقت على كل النسا بجمالها
الشعر منها مثل ليل اسود ... وعيونها مثل الغزال تخالها
يا محسن الخلخال فوق كعابها ... الله يرحم عمها مع خالها
اياك تقربها وتأتي صوبها ... ترديك في ضرب جوز نعالها
فكان روحك يا سعيد بيدها ... واما مغامس بالروى خيالها
هي بنت عمه ما يريد خلافها ... حاشا لمثلك ان يشوف خيالها
ارجع عن الزينات واسمع كلمتي ... اني نصوحك لا تكون هزالها
قال الفتى اسمع يا سعيد ... ابو زيد قبلك كم ملوك ازالها

قال الراوي فلما فرغ يونس من شعره ونظامه وفهم سعيد فحوى كلامه عظم عليه الامر وتوقد قلبه بلهيب الجمر وقال كم احضرناكم يالئام حتى تطربون بالشعر والنظام وتاخذون مني الجوائز والانعام ولكنكم اسأتم الادب وخرجتم عن سنة العرب وتكلمتم بما لا يليق قدامي ولا اعتبرتم قدري ومقامي فلا بد من قتلكم على هذا الاخراق وكلام الزور والنفاق . فلما انتهى من هذا المقال التقاه ابو زيد مثل سبع الاجام وضربه عَلَى راسه بالحسام فقتله في الحال واورثه الخبال ثم انه هجم عَلَى باقي العبيد وتبعه يحيي ومرعي ويونس والفرسان الصناديد ولم تكن الا لحظة من الزمان حتى انزلوا بهم الهوان ومحوهم بالسيف الهندوان وبعد ذلك جمع ابو زيد سادات القبيلة والوجوه الكبار . وقال لهم ها قد قتلت هذا العبد الغدار وجماعته الاشرار لانهم طغوا وتجبروا فماتوا وانقبروا فلا رحم الله العبد اللئيم والوغد الزميم . لان مراده كان استخلاص المملكة من هذا مغامس اليتيم . واخذ ابنة عمه شاة الريم . فمرادي الآن ان اقيمه اميرا مكان ابيه فما هو رايكم وماذا تقولو فيه قالوا هو ابن مولانا وقد رضيناه علينا اميرا ونحن جميعنا عبيده وطوع يديه ولا نبخل بارواحنا عليه فعند ذلك ركب ابو زيد الحصان وركبت معه الابطال والفرسان والسادات والاعيان وقصد الامير مغامس الى ذلك المكان ومعهم الطبول والدفوف وهم سائرين صفوف حتى وصلوا اليه فسلموا عليه وتمثلو بين يديه واعلموا ابوزيد بواقعة الحال وكيف انه قتل ذلك العبد المحتال ففرح مغامس بهذا

الخبر وزال عنه القلق والضجر ثم احضروه الى الحله مع امه بموكب عظيم وزفوا عليه ابنة عمه شاة الريم واجلسوه على الكرسي مكان ابيه وصارت العرب تمدحه وتهاديه لانه كان ميت فعاش وتخلص من ايدي اولئك العبيد الاوباش فشكر ابو زيد ومرعي ويحيي ويونس على ذلك الصنيع وتعجب من ذلك الاتفاق الذي لم يسمع مثله في التواريخ والمجامع واراد ان يمنعهم عن السفر الى تونس وان يبقوا عنده فيزيد فرحه بهم ويستانس فقال ابو زيد لابد عن سفر وها انت امنت من الخطر ثم اقام ابو زيد في الحلة ثلثة ايام في فرح وسرور وغبطة وحبور وبعد ذلك ودع الامير مغامس وسار مع مرعي ويحيي ويونس قاصدين مدينة تونس وهم يجدون في قطع الروابي والتلال املا ببلوغ الامال والرجوع الى الاطلال وما زالوا على تلك الحال مدة خمسة ايام على التمام والكمال

﴿ انتهى الجزء الاول من تغريبة بني هلال ويتبعه الجزء الثاني ان شاء الله ﴾

الكتاب الثاني

من تغريبة بني هلال

وهو يحتوي على رحيل ابو زيد ويحيي
ومرعي ويونس من عند الخفاجي
الى بلاد الزناتي ورجوعهم الى
الاوطان ورحيل بني هلال
جميعهم الى بلاد الغرب

يطلب من

مكتبة الترقي

لصاحبها

شكري الخوري وشركاه

شرقي ساحة البرج اول طريق النهر . (بيروت)

برخصة مجلس معارف ولاية بيروت الجليلة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الراوي ووصلت بني هلال الى مكة المشرفة وقلوبهم على زيارة المصطفى متلهفة وبعدان زاروا القبر والمقام وادوا واجبات الوقار والاحترام اجتمعوا في شكر الشريف ابن هاشم المنعوت بالشرف والمكارم وهو جوز الجازية اخت الامير حسن واعلموه السبب في خروجهم من الوطن فترحب بهم واكرمهم غاية الاكرام واقاموا عنده مدة ستة ايام وكانت الجازية من افرح اهل الدنيا بمشاهدة ابي زيد ويونس ومرعي ويحيي ثم انهم ركبوا وساروا ولو كان لهم اجنحة لطاروا وما زالوا يقطعون البراري والاكام حتى اشرفوا الى بلاد الاعجام بعد عشرة ايام فدخلوا اليها في النهار وداروا اسواقها حتى اختبروها غاية الاختبار وعرفوا عدد اهلها وسكانها واسم ملكها واميرها ثم دخلوا الديوان ومدحوا الملوك بنفائس الاشعار الحسان وبعد ذلك رحلوا من تلك الديار وجدوا في قطع القفار واوصلوا سير الليل بسير النهار حتى وصلوا الى بلاد التركمان فدخلوا على ملكها الغضبان ومدحوه بالقصائد الحسان فاكرمهم غاية الاكرام واجازهم بنفائس الانعام ومن

هناك ركبوا الخيول وجدوا في قطع البراري والسهول الى ان وصلوا الى عند الخفاجي عامر حاكم بلاد العراق وتلك البراري والافاق وكان رجلاً كريم الاخلاق فدخلوا وسلموا عليه وتمثلوا بين يديه فرد عليهم السلام واجلسهم بجانبه في صدر المقام واكرمهم غاية الاكرام ثم ان ابو زيد اخذ يمدح الخفاجي عامر بهذه الابيات على مسامع الامراء والسادات

يقول الاديب قصيد من الم الحشا	وعقلي تراه قد غدا محتار
وعيني من كثر البكا قل شوفها	جرى دمعها فوق الخدود غزار
بكيت وبكاني زماني وهانني	واصبحت عرياناً بغير ستار
ايا خفاجي استمع شرح قصتي	واصغى الى قولي مع الاخبار
جفتنا اراضينا من المحل والغلا	سبعة سنين تقصف الاعمار
اكلنا الضفادع والجرادين كلها	وصرنا على وحش الفلا نندار
فصارت اكابرنا وكل قرومنا	يبكوا ودمعات العيون غزار
وصرنا ندور على الملوك جميعهم	ونقصد اجاويد لنا واخيار
سمعنا بجودك انت يا فخر الملا	مربي اليتامى في سنين عسار
فجئنا لنحوك نستظل بظلك	يا فارس الفرسان يا مغوار
فهذه ترى احوالنا ومقالنا	ودمعي جرى فوق الخدود غزار

قال الراوي فلما انتهى ابو زيد من شعره ونظامه . وفهم الخفاجي عامر فحوى كلامه . استحسنه غاية الاستحسان واجازهم بالجوائز الحسان ثم قدم لهم الطعام فشكروه على هذا الاهتمام . واقاموا عنده

ثلاثة ايام في عز واكرام . ثم ودعوه وجدوا في قطع البراري والاكام وما زالوا يقطعون الصحراء حتى وصلوا بعد عشرة ايام الى حلب الشهباء وكانوا قد تعبوا من مسافة السفر فنزلوا عن خيولهم واستظلوا تحت اغصان الشجر وكان ذلك المكان داخل بستان

قال الراوي وكان امير المدينة في تلك الايام رجلاً عالي المقام . ممدوحاً من الخاص والعام اسمه الامير بدريس . وهو رجل لطيف انيس . وكان له وزير عاقل خبير اسمه الخزاعي صاحب راي وتدبير فاتفق ذات يوم انه خرج في جماعة من القوم قاصد الصيد والقنص واغتنام اللذات والفرص فمر بذلك البستان فوجد ابو زيد ومن معه من الاعوان . فتقدم اليهم وسلم عليهم وسالهم عن احوالهم وعن بلادهم واطلالهم . فنهض ابو زيد على الاقدام وتكلم معه بافصح كلام . وقال اطال الله بقاك وبلغك غاية مناك انا شعراء اتينا من بلاد الشرق قاصدين الملوك واكابر الخلق وسمعنا في جودك وكرمك ومحاسن اخلاقك وشيمك فقصدناك الى هذا المكان املاً بالانعام والاحسان . لانك فريد الزمان واولى بالمديح والشكران . ثم انه عدل الرباب وانشد هذه الابيات

قال الاديب بيوت من الم الحشا ونيران قلبي زايدات اللهايب
اسمع كلامي يا امير وافتهم وكن لقولي فاهماً ثم حاسب
جفتنا اراضينا من المحل والغلا وحلت بنا بعد السرور متاعب
وبعد ذلك قد دهتنا فوارس ميتين الف فوق خيل اطايب

فغاروا علينا يا امير بجمعهم · وداروا علينا مواكباً وكتايب
قتلوا فوارسنا وسبوا عيالنا · وخلو نسانا واخيات الزوايب
وساقونا سوق الغنم من بلادنا · وعدنا ندور على بلاد الاغارب
فاكرم علينا يا امير فاننا · صرنا بحال الذل بين الاعارب

قال الراوي فلما انتهى ابو زيد من هذا الشعر والنظام . شكره الخزاعي على هذا الكلام وقال لهم اعلموا يا شعار العرب واصحاب الفضل والادب اني الخزاعى وزير بدريس امير حلب فاقصدوني نهار غدا الى المدينة وانا اخلع عليكم الخلع الثمينة . فيزول عنكم العنا وتنالوا القصد والمنا . ثم تركهم وسار . وجد في قطع القفار بمن معه من الانفار . وبعد ان غاب عنهم وابتعد ارسل ابو زيد الاميريونس الى البلد . لياتيهم من الماكل والمشرب . لانهم كانوا في غاية الجوع والتعب فسار بالعجل . وجعل يدور فيها ويتأمل في اسواقها وحسن مبانيها ثم رجع بالطعام قبل دخول الظلام . واخذ يشرح لابو زيد عن حسن المدينة عما شاهد فيها من القلاع الحصينة . وقال له في آخر الكلام اعلم يا فارس الصدام انها من اظرف المدن والبلدان نظراً لما فيها من الابنية والحوانيت الحسان ولا سيما لطافة اهاليها وكثر الفاكهة الموجودة فيها . فلما سمع مرعى باوصاف مدينة حلب تعجب وقال لابو زيد الرأي عندي الان ان نرجع الى الديار والاوطان . وناتي بقومنا الى هذا المكان ونعيش بالراحة والامان . فقال ابو زيد لا بد من المسير اولاً الى تونس . ثم صبر الى الليل وبعد ذلك ركب

مع جماعته مرعى ويحيي ويونس وجدوا في قطع البراري والأكام ومروا بحماه وحمص وطرابلس حتى اشرفوا على مدينة الشام . وكان الحاكم عليها في ذلك الزمان . ملك عظيم الشان اسمه شبيب التبعي ابن مالك ابن حسان وكان عالي الهمم موصوف بالجود والكرم. فدخلوا اليه وسلموا عليه فصار ابو زيد يمدحه الابيات ويقول وعمر السامعين يطول

يقول الاديب قصيد من الم الحشا بدمع جرى فوق الخدود سجام
وعيني تبات الليل ما تألف الكرى وتراقب نجوم الطالعة بظلام
محلت اراضينا وقد قل خيرها وصرنا ندور على الملوك عظام
سمعنا بجودك يا شبيب التبعي ايا فارس الفرسان يا مقدام
اتينـا نزورك من بلاد بعيده ونعود في عز مدى الايام
ونثني بذكرك في البلاد جميعهـا فانت مغيث القوم يوم صدام
تجود علينـا بالمكارم والعطـا فانك كريم من ابـاء كرام
واصرف زمانك بالسرور وبالهنا على طول الدهر والاعوام

قال الراوي فلما انتهى ابو زيد من هذا الشعر والنظام . اكرمهم شبيب غاية الاكرام . واخلع عليهم الخلع العظام . واقاموا عنده ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع ودعوه وساروا . ولو كان لهم اجنحة لطاروا . الى ان وصلوا الى القدس الشريف مدينـة الانبياء ومحل التبريـك والتشـريف فاقاموا بها يومين ومنها ساروا الى مدينة غزة . ودخلوا على حاكمها السركسى ابن نازب فمدحوه بنفائس الاشعار . واعتبرهم

غاية الاعتبار واقاموا عنده عشرة ايام في اعزاز واكرام. الى ان عرفوا مراكز المدينة وما فيها من السكان والقلاع الحصينة . ثم جدوا في قطع البراري والقفار والسهول والاوعار حتى وصلوا الى العريش ودخلوا على حاكمها البردويل ابن راشد فمدحوه بالاشعار والقصائد واقاموا عنده ثلاثة ايام في انبساط واكرام ثم ودعوه وجدوا في قطع البرية حتى وصلوا الى مصر العديه وتلك الاراضي البهية فقصدوا املكها الفرمند ابن متوج ودخلوا عليه وتمثلوا بين يديه ومدحوه بنفائس الاشعار فالتقاهم بالترحاب والوقار واقاموا عنده ثلاثة ايام وهم في اعزاز واكرام ولما اختبروا احوال البلاد. وعرفوا ما فيها من عساكر واجناد ودعوه وصاروا قاصدين الصعيد وبلاد المغارب الى ان وصلوا الى عند الماضي ابن مقرب ودخلوا وسلموا عليه وتمثلوا بين يديه ومدحوه بالاشعار . فاعتبرهم غاية الاعتبار . واقاموا عنده عشرة ايام في اعزاز واكرام وكان هذا الرجل من اعلى الناس هماً واوفاهم عهوداً وذمماً واندام جوداً وكرماً يكرم الضيوف ويجود بالالوف وهو الذي ذكره العالم النحرير . والمؤرخ الشهير . صاحب العلوم والفنون عبد الرحمن ابن خلدون في كتابه العبر وديوان المبتدا والخبر وقال انه كان في الجود والمكارم . اسخى من جعفر وحاتم . وسوف يأتي ذكره بعد الان ونشرح عن مزاياه الحسان

قال الراوي وفي اليوم الحادي عشر تأهب ابو زيد للسفر فودع الماضي وكل من كان حاضراً وسار مع جماعته . يقع لهم كلام

قال الراوي واتفق ان جماعة من شعراء العربان كانوا قدقصدو بلاد نجد ومدحوا الامير حسن ابن سرحان بالاشعار الحسان كما جرت العاده في ذلك الزمان فاجازهم بالعطايا الجميلة والمواهب الجزيلة وكانت من جملتها جارية من بنات الحي اسمها مي فشكروه على هذا الجميل والاحسان ثم ساروا قاصدين الغرب وتلك الاوطان حتى وصلوا الى تونس الخضراء ومدحوا الزناتي خليفه وباقي الوزراء فاحسنوا اليهم وانعموا عليهم ثم باعوا تلك الجارية الظريفة الى سعدا ابنة الزناتي خليفة وكانت هذه سعدا من اجمل البنات لطيفة الذات قد اتصفت بالانس والمحاسن وشاع ذكرها في جميع الاماكن تجيز الادباء وتنادم الملوك والامراء ذات ادب وفضل ولها معرفة بضرب الرمل فاتفق انها سألت تلك الجارية ذات يوم عن سبب وقوعها في ايدي اولئك القوم فاخبرتها بالقضيه وكيف ان الامير حسن اوهبها لهم على سبيل الهدية فقالت لها وهل يوجد نظيري بين نساء العرب في الحسن والادب قالت نعم يا صاحبة الجود والكرم انه يوجد بين الامم من يشبهك في الظرف والجمال ومكارم الشيم وحسن الخصال وهو بطل الابطال وزينة الرجال الامير مرعى ابن مولاي حسن امير بني هلال فلما سمعت سعدا منها هذا الكلام تعلق قلبها في مرعي وهام لان سمع الاذان تعشق في الاكثر قبل مشاهدة العيان فقالت لها سعدا اذا كان كلامك هو حقيق فاوصفيه على التحقيق فاشارت مي تقول

تقول فتاة الحي مي التي شكت ... فدمعي جرى من مقلة امين ساكب
ياست سعدا اسمعي شرح قصتي ... ومن بعد قولي تنظرين العجائب
ولو تنظري يا ست سيدي يحيي ... فتمسي طول عمرك في المتاعب
ولو تنظري يا ست يونس مرة ... فنظرة في يونس تزيل المصائب
ولو تنظري يا ست مرعي بنظرة ... نظرة على نظرة فتسلي القرايب
له وجه مثل البدر عند اكماله ... وخدين تشابه ساطعات الكواكب
له خد احمر والعيون نواعس ... وكالسيف ماضي قفلته والحواجب
وطوله كعود الزان لو كان مائل ... واحسن هلال عامر والاعارب
فما شفت مثله في الانام جميعها ... ايا نار قلبي زايدات اللهايب

قال الراوي فلما انتهت مي من هذا الشعر والنظام وفهمت سعدا فحوى هذا الوصف والكلام قالت لها هل تسمح يا ترى الايام وتبلغني القصد والمرام وذلك بقدوم مرعي ويحيي ويونس الى مدينة تونس . فقد تعلق قلبي بهواهم ولا يمكن ان اسلاهم . قد خطبني عدة امراء وجماعة من الملوك والوزراء فلم يرغب ابي بهم ولا اجابهم الى طلبهم وقد بنى لي هذا القصر الكبير وفوض الي زمام الامر والتدبير ثم انها بعد هذا الخطاب والكلام انشدت تقول هذا الشعر والنظام

تقول سعدا بنت امير تونس ... الايام والدنيا تسوي العجائب
لقد كنت في عزٍ واهنى عيشة ... انام واضحى فوق اعلى المراتب
لقد جار دهري وزادت مصايبي ... وصرت ذليلة بين كل الاقارب
ولي ثمان عشرة سنة في حال شدة ... وفي الذل والاهوال من كل جانب

اتوا يخطبوني من السند والرها ومن الهند حتى ومن بلاد المغارب
وما من امير الا قد قصد لبلادنا يقرى مراسيه ويرتد خائب
حلف ابي ان لا يزوجني احد ولو دفعوا له مال المغارب
وقد بنى لي هذا القصر رغبة مزين البنيان مرفوع الجنائب
عتبته من الفضة الروباص والذهب
والباب صندل من خاص الخشائب
وعمل خرستانات من خاص ماصنع شبابيك حديد وزادت عجائب
ولما بنى هذا القصر في الحي والوطن جعل فراشه من حرير الرطائب
وعلق داخله ستين جوهرة في الليل يضوي مثل ضو الكواكب
ولما بنا البنا لقصري وهندسه اعطى له من المال ما كان طالب
وهذه تريها قصتي ومقالتي ودمعات عيني فوق خدي سكايب

قال الراوي فلما فرغت سعدا من شعرها ونظامها وفهمت مي فحوى كلامها جعلت تسليها بانواع الكلام وتقول لها عليك بالصبر يابنت الكرام فما بعد الصبر الا الفرج وبلوغ المرام فقالت لها سعدا قومي بنا نتنزه في البستان وانا اضرب هناك الرمل وانظر احوال اسيادك الذين ذكرتيهم الى الان فان قلبي قد تعلق بهم غاية التعليق ومرادي ان اعرف اخبارهم على التحقيق ثم اخذتها معها الى البستان وكان من احسن المتنزهات وهناك ضربت الرمل وولدت البنات من بطون الامهات حتى تأكد لها ذلك الخبر جهراً وعرفت بالامور التي سوف تجري وبينما هما في الحديث والكلام اقبل عليهما الهلام وكان هذا

الرجل من سادات الانام وابن عم الزناتي خليفه ونائبه في معاطاة الاحكام صاحب معرفة وعقل ومن اخبر الناس في ضرب الرمل وكان يتردد على سعدا في اكثر الايام لانه من جملة الاهل وبني الاعمام فسلم عليها فردت عليه السلام واستقبلته بالترحاب والاكرام فجلس بقربها وكان قد عرف ما في قلبها لانه كان قد ضرب الرمل في ذلك النهار وظهرت له حقيقة الاخبار فاعلمها بافكارها وكشف لها اسرارها فطلبت منه ان يكتم ذلك الخبر . ولا يبيح به لاحد من البشر خوفاً عليها من الضرر وقالت له اريد من فضلك يا عمي ومن هو كاشف همى وغمي ان تعلمني متى حضروا هؤلاء القوم فاني بانتظارهم في كل يوم . فاجابها الى ذلك الطلب . ووعدها بالمساعدة على بلوغ الارب ثم ودعها وسار طالباً الصيد والقنص وبقي ثلاثة ايام ثم رجع الى داره بالسلام

قال الراوي هذا ما كان من سعدا وابن عمها العلام وما وقع بينهما من الحديث والكلام . واما ما كان من البطل الهمام والاسد الضرغام ابو زيد فارس الصدام ومن معه من السادات الكرام فانهم كانوا قد جدوا في قطع الروابي والاكام مدة عشرة ايام حتى وصلوا الى تونس وقت الظلام فباتوا خارج المدينة وفي اليوم الثاني صاروا يتاملوا فى مبانيها فوجدوها متينة . وابراجها حصينة . كثيرة القلاع . قوية الدفاع . انهارها غزيرة . وخيراتها كثيرة . فجعلوا يدورون حواليها ويتبصرون كيف يكون الهجوم عليها فاتفق انهم دخلوا فى بعض الايام

الى بستان وكان كفردوس الجنان فاستتروا تحت اغصان الشجر وكانوا يقطفون وياكلون من الثمر فبينما هم على تلك الحال اذ اقبل عليهم العلام وجماعة من الابطال قد ارسلهم الزناتي ليقبضوا عليهم ويقيدوهم بالاغلال حيث كان بلغه خبرهم من بعض الفرسان بانهم في ذلك البستان فداروا بهم من اليمين والشمال فلما نظر ابو زيد تلك الفعال استعد للحرب والقتال وهجم عليهم كالسبع . وضرب بالسيف في ذلك الجمع . فقتل منهم عدة رجال . ومددهم على الرمال ثم تكاثرت عليهم العساكر والجنود . واحاطوا بهم احاطة الدمالج في الزنود . وقبضوا على مرعي ويحيي ويونس في الحال واوثقوهم بالقيود والاغلال . ولم يقدروا على ابي زيد في الحرب والقتال . فعند ذلك تقدم اليه العلام على انفراد وقال له من تكون من العباد وما هو سبب مجيئكم الى هذا البلاد . فقال ابو زيد انا شعراء من بلاد الشرق وعادتنا ان نمدح الامراء واكابر الخلق . فسمعنا بكرم الزناتي خليفه وما خصه الله به من الشمائل اللطيفة فقصدنا من بلاد بعيدة لاجل هذه الغاية الوحيدة وكان وصولنا مساء امس البلد . فبتنا في هذا المكان من حيث اننا غرباء ولا نعرف احد . الى ان اشرفتم بجمعكم علينا واوصلتم اذاكم الينا بدون ان نعلم المقصود . وانا اسمي محمود واسم جماعتي شداد وحماد ومسعود . فقال له العلام لقد كذبت في المقال وتكلمت بكلام المحال . ما انت الا الامير ابو زيد . صاحب المكر والكيد . واما رفاقك فهم مرعي ويحيي ويونس . وقد اتيتم الى بلادنا لترودوا

بلاد تونس . ثم بعد هذا المقال انشد وقال

يقول الفتى العلام عما جرى له ... الايام والدنيا تسوي العجايب
فنحن الملاحم يا سلامه تدلنا ... من عهد تبع ارخت في الكتايب
عندي خبر بطلوعكم من ارضكم ... يوم الخميس العصر والريح طايب
فودعكم حسن الهلالي ابو علي ... عدة سبعة ايام والظعن سايب
ثمانين ميز الذي قروا الفاتحة لكم ... واهدوها لمن هو عالم بالمصائب
فجئتم الى ارض الدبيسي ابن مزيد ... وقصدتوه دون كل الاعارب
وجئتم بلاد العمق في حال سرعه ... قتلتم سعيد العبد بين المضارب
وجئتم على شكر الشريف ابن هاشم ... فرش لكم خاص الحرير الوطايب
ودرتم بلاد العجم من كل ناحية ... وجئتم الى الكوفة وتلك السباسب
وجئتم بلاد التركمان جميعكم ... فدرتم اراضيها من كل جانب
وجئتم الى ارض الخفاجي عامر ... ابو زاوية وهو قليد العرايب
قطعتم حاب من خوف تعلم صفاتكم ... قطعتوها والليل راخي غياهب
وجئتم الى غزة بلاد خصيبة ... مدحتم ملكها السركسي ابن نازب
وجئتم الى مصر ابن يعقوب يوسف ... مدحتم ملك فرمند ابن الاطايب
ولو تعلم يا ابو زيد ماذا يصيبكم ... لبكيت عمرك بالدموع السواكب
فتوخذوا للشنق عشرين مرة ... وانا اخلصكم بحد القضايب
بحوش الزناتي للثلاثة رفاقتك ... وانت تعود في وسيع الكتايب
فتجمع رجالك يا هلالي سلامه ... مثل الجراد المنتشر في السباسب
اربع تسعينات الوف عدادهم ... يا ابو مخيبر يا قليد العرايب

تسعين للمسمى الهلالي ابو علي لطيف المعاني والليالي حدايب
وتسعين للقاضي بدير ابن فايد وتسعين الزغبي دياب المحارب
وتسعين من زحلان قومك وعزوتك
امارا وممدوحين بين الاعارب

تطيب لكم من نجد الى قاع تونس فلما تخشوا الى بلاد المغارب
يجيحم ابو سعدا الزناتي خليفه يخلي دماكم على الاراضي سكايب
ومن بعدها يأتي دياب ويقتله بمزراق في عينه يقد القضايب
فخذ برني واذهب وورد بلادنا وروح وورودها شرقها والمغارب
وان كاملوك الحميرية فقل هم انا شاعر العلام ذاك المحارب
انا شاعر العلام يا من يكلمك اخلي قناتي تمدي فيه شطايب

فلما فرغ العلام من هذا المقال . امر الفرسان بالهجوم عليه فقال امسكوه ولا تأذوه فانطبقت الفرسان على ابي زيد من اليمين والشمال حتى قبضوا عليه واخذوه مع باقي اصحابه الى عند الزناتي المشار اليه وصحبتهم العلام المذكور لان الضرورة احوجته لتلك الامور وذلك امتثالاً لطاعة الزناتي ابن عمه لانه لا يقدر على مخالفة امره وحكمه ولما دخلوا بهم عليه . تمثلوا بين يديه . وقالوا اعلم يا مولانا ان هذا العبد الذي حاربنا ودهانا . وقتل منا ابطالاً وفرساناً . فاغتاظ الزناتي وتكدر من هذا الخبر وقال لابي زيد من تكون من العربان يا اخس السودان . قال نحن شعراء . نقصد الملوك والامراء . فنمدحهم وناخذ الانعام . ونحصل على بلوغ المرام . وهذا هو دأبنا في كل عام فسمعنا

بكرمك ومحاسن شيمك قصدنا من بلاد العرب . طمعاً بالفضة والذهب وبحيث اننا من الاغراب . ليس لنا في هذه الناحية اصدقاء . ولا احباب ولا سيما في تعب وضيق . من مشقات الطريق . فدخلنا الى ذلك البستان . لنأخذ لانفسنا راحة يا ملك الزمان . ثم نقصد جنابك العالي . وباقي السادات والموالي . فاحاطت بنا العساكر مع الاهالي . وداروا علينا يا مولانا قاصدين قتلنا واذانا . فاقتضى اننا دافعنا عن انفسنا بقدر الامكان . الى ان وقعنا في قبضة الاسر والهوان . وقد اعرضنا قصتنا عليك . وفوضنا امرنا اليك . فامر ما تشاء وتريد ايها الملك السعيد . فلما سمع الزناتي هذا الكلام ابدى الضحك والابتسام . وقال يا مناحيس . ما انتم الا جواسيس . اتيتم لتدوروا البلاد . وتعرفوا احوال العباد . ثم تذهبوا وتاتوا بالعساكر والجمع الوافر . فتمتلكون بلادنا واراضينا وتتحكمون بجموعكم فينا . هذا هو السبب الذي قادكم الينا . وحملكم على القدوم والهجوم علينا . فلا بد من قتلكم يا اوغاد . على رؤوس الاشهاد . جزاء على هذه وتكونون ماكلاً للوحوش الكاسرة

قال الراوي وكان الزناتي قد وقف على الخبر اليقين . من المنجمين ودهاة الرمالين . وبعد مفاوضات طويلة مع ارباب المجلس استقر الراي على شنق ابي زيد ومرعي ويحيي ويونس . فاخذ العسكر هولاء الاربعة . وكانت الناس عليهم مجتمعة . ولاجل التقادير مروا بهم من تحت قصر الاميرة سعدا وكانت في ذلك الوقت جالسة تتغدى

فلما سمعت ضجيج العسكر قامت مع جاريتها لتعلم ما الخبر . فطلت الجارية راسها من الشباك وهي في حيرة وارتباك . فلما معنت فيهم النظر اعتراها الهم والكدر . وقالت لمولاتها اعلمي يا زينة الدنيا ان هولاء الثلاثة هم مرعي ويحيي ويونس واما هذا العبد الرابع . فهو ليث الوقائع الامير ابي زيد فارس المعامع . فلما سمعت سعدا منها هذا الكلام . تبدل نهارها بالظلام . لانها كانت تعلقت بحب مرعي دون باقي الانام . فصاحت على الجلادين . والعساكر المحافظين . وقالت لهم ارجعوا الى عند ابي بهولاء العرب . واياكم ان تقتلوهم فيحل بكم العطب . واني سابعكم على الاثر . لاقف على حقيقة الخبر . فلما سمعوا كلامها . وفهموا قصدها ومرامها . اجابوا امرها بالطوع والامتثال ورجعوا بهم في عاجل الحال . وذلك لما يعهدون من علو منزلتها ونفوذ كلمتها . ثم ان سعدا بعد ذلك الخطاب . لبثت افخر الثياب وتعطرت بالاطياب . وسارت الى عند ابيها في جماعة من حواشيها . وكان ابوها جالساً في الديوان ومن حوله الوزراء والاعيان فدخلت وسلمت عليه وقبلت يديه فنهض لها قائماً على الاقدام واحترمها غاية الاحترام واجلسها بجانبه في صدر المقام ثم سألها عن كيفية احوالها وعن السبب الذى اوجب انزعاج بالهاقالت قد بلغني من الاعوان بانك امرت بشنق جماعة من شعراء العربان اتوا قاصدين جنابك من ابعد مكان طمعاً بالانعام والحصول على بلوغ المرام فما كان جزاهم الا القتل بالاعدام عوض الاحسان والاكرام فلما

سمعت بهذا الكلام انزعج بالي وتغيرت احوالي لاني اعلم ان هذا الحال يكون سبباً للقيل والقال بين سادات الرجال وينسبوك الى البخل والغدر ويتكلم فيك زيد وعمر . فامرت العساكر والحافظين ان يتوقفوا عن قتل هؤلاء المساكين لبينما آتي اليك واقص هذا الحديث عليك . فلما سمع ابوها هذا المقال اعلمها بواقعة الحال وقال لها ان هولاء الرجال ما قصدوا هذه الديار والاطلال الا ليرودوا البلاد ويقفوا على اخبار العباد ثم يذهبوا وياتوا بالعساكر والاجناد ويستخلصوا ديارنا بالحرب والجلاد وهذا هو السبب يا منتهى الارب وصاحبة الفضل والادب فما فعلت الا الصواب لانهم يستحقون القتل والعذاب فقالت اذا فعلت ذلك تعيرك جميع دول الممالك لانه لم يثبت عليهم ذنب لحد الان ولا يوجد عليهم ولا برهان كما ترى يا ملك الزمان . وانا اشور عليك بحسب فكري ان تحبس هولاء الثلاثة شبان في قصري ويكونون تحت طوعي وامري وترسل ذلك العبد الى بلاده بلا اهمال في طلب الفدا والمال فان احضر ذلك يصير فكهم من الاعتقال وتكون انت معذور عند جميع الرجال . فقال لها وحق الاله الرحيم اني خائف من هذا العبد اللئيم لانه فارس شديد وبطل صنديد ثم اخذا يتنادمان بهذا القصيد

يقول ابو سعدا الزناتي خليفه فعقلي تراه قد غدا محتار
اتوني جواسيس من الشرق عاجلاً اماره اصايل من فروع كبار
ونزلوا على ارض لنا وبلادنا فسرنا بحيرة والامور عسار
وفيهم ترى عبدا كبار شفافه له ضرب يقطع صخرها وحجار

ايا نور عيني كيف افعل بعبدهم   اطلقه ثم احبس الامار
اتتني سعدا مثل شمس منيرة   لها وجه يضوي مثل نور قمار
وقالت ارفق يا ابي باوامرك   ترى الظلم يخرب كل دار عمار
ايا سعدا كيف العمل فيما جرى   ايا عالمة بالكتب والاسرار
ايا سعدا قلبي من العبد خايف   فعينيه في وجه كشهب النار
ايا ابي هذا كان بصاص في بلاده   على كثر شوف الناس عيونه كبار
ايا سعدا من العبد خائف   اشوف شفافه لكثرة القول كبار
ايا ابي هذا كان عشي في بلاده   على كثر ذوق الاكل يرون كبار
ايا سعدا قلبي من العبد خائف   ارى كتافه للبس الدرع كبار
ايا ابي كان ملا في بلاده   على كثر حمل الماء كتافه كبار
ايا سعدا قلبي من العبد خائف   ارى رجليه لوخز الركاب كبار
ايا ابي هذا كان ساعي في بلاده   على كثر المشي رجليه كبار
ايا سعدا قلبي من العبد خائف   ارى كفوف العبد لطعن الرمح كبار
ايا ابي هذا كان فران في بلاده   على كثر رق الخبز كفافه كبار
فامسك جياد القوم واترك عبدهم   يخبر الى سيده بما قد صار
فيحضر لنا مالا ونوقاً كثيرة   ويأتي بخيل ملاح كثار

قال الراوي فلما فرغ الزناتي من هذا الشعر والنظام اجاب سعدا الى ذلك المرام فاخذت الاربعة انفار وسجنتهم عندها في الدار على عيون النظار ثم اخذت من الطعام ما يكفيهم جميعاً ونزلت اليهم سريعاً فاجتمعت بمرعي في اول الامر وقالت له كل ولا تخبر احد بل احفظ

ذلك بالسر ثم فعلت هكذا بيحيي ويونس وقالت ليونس ان يرسل لها ابو زيد فلما حضر قدمت له شيئاً من الطعام فشكرها على هذا الاهتمام . ثم انه قسمه الى سبعة اقسام . فسألته عن سبب ذلك فقال لها اعلمي يا زينة الممالك وبدر الليل الحالك . اني انا وجماعتي اربعة وانتِ والجارية اثنان على التمام . والحصة السابعة ساحزمها بحزام وارسلها الى ابنة عمي عليا في الظلام . وكان ابو زيد يقول هذا الكلام وهو متوقف عن اكل الطعام . فقالت له سعدا لما لا تتغذى فتنهد من فواد متبول وانشد يقول

اذا اكلت انا وجاءت جماعتي فادعي على حالي بضرب الصفائح
وان جعت انا واكلت جماعتي واحمد ربي وهو كريم مسامح
ايا ست زاد اثنين يكفي ثلاثه ويكفي اربعة ياست والكل راجح
ويكفي لخمسة من اجاويد حيّنا ويكفي لستة من هلال السائح

فضحكت سعدا من كلامه واعجبها فحوى شعره ونظامه . ثم انه بعد ذلك الكلام اخرجتهم من الحبس واحضرتهم الى عندها وقدمت لهم الطعام واخذت تحادثهم بالكلام وتسالهم عن احوالهم وعن بلادهم واطلالهم فقال ابو زيد نحن من جملة الشعراء نقصد الملوك والامراء فنمدحهم بنفائس الاشعار ونرجع الى الديار بالدراهم والدينار . فقالت انكم لم تعلموني الحقيق مع انني عارفة باحوالكم على التحقيق فاخذت تعلمهم بسفرهم وما جرى لهم في الطريق والسبب في قدومهم الى تلك الديار بهذا القصيد الذي يستحق الاعتبار

قالت سعدا بنت امير تونس بدمع جرى من فوق الخدود غزار
ضربت تخت الرمل عشرين مرة ومن بعدها شفت الحروف جهار
فعرفتكم وعرفت اسم اميركم وعرفت اساميكم بلا انكار
ان مشير القوم امير عامر حسن ابن سرحان الامير جهار
وهذا مرعى وذاك يونس ويحي وانت ابو زيد فارس الاقطار
فحلت اراضيكم وقد قل خيرها فجيتم لتونس لتكشفوا الاخبار
فقالوا يا ابو زيد رضاك رائد ترود بلاد القيروان عمار
فقلت لهم سمعاً والفين طاعةً اريد ثلاثة من فروع كبار
اريد الفتى مرعي ويحيي ويونس امارة اصايل من فروع كبار
فجاءوا ثلاثتهم اليك كلهم اسود كواسر طالبين قفار
فمن يوم فارقتم نجد وارضها فاني اقتفي منكم الاثار
ركبتم مطاياكم وسرتم بسرعة قصدتم مكة والنبي المختار
وجزتم حلب ليلا في حال سرعة وردتم حماه وحمص بوسط نهار
وجئتم بلاد الشام جزتم بلادها وجئتم الى القدس الشريف جهار
مررتم على غزة وقطية وغيرها وبلبيس جزتوها بلا انكار
وجئتم الى مصر ابن يعقوب يوسف مررتم على نيل الصعيد مرار
مررتم على الماضى فحيا ركابكم فرش لكم بيت الضيافة ودار
لكم مية ليلة سائرين بعجلة وعشرة ليالي كامله بنهار
ولا بد ما تأتي هلال ابن عامر من الشرق في جمع غزار
باربع تسعينات الوف عديدهم كذا دل الرمل بالاخبار

بحرف الالف تألف عليكم قلوبنا　　اربع تسعينات الوف راكبين مهار

والباء بدت سيل ابن سرحان ابي علي
بهجن تلاقيها قطار قطار

والتاء ترى في محل نجد وارضها　　سبعة سنين كاملات عسار

والجيم جئتونا ترودوا بلادنا　　وتاخذ لقومك صحة الاخبار

والحاء حبي ثم غرامي بجيكم　　وحبي لمرعي قد كواني بنار

والخاء خليناك ترجع وتنثني　　تجيب لنا مال وما تختار

والدال دل الرمل عندى بان لي　　بان بلاد القيروان دثار

والذال ذل الرمل تملك بلادنا　　وتخلونا من ارضنا وديار

والراء رأيناكم تجوا يا سلامه　　على اصأيل تقطع الاقفار

والزاء زلزلت البلاد باهلها　　وكل امير يخجل الاقمار

والسين سرتم من بلاد بعيدة　　قطعتوا الفضا والسهل والاوعار

والشين شديتوا المطايا لارضنا　　وكم دار قطعتوها بعقب نهار

والصاد صدناكم على غير خاطر　　وعدتم بقاع السجن يا شمار

والضاد ضربتم في جموع زناتي　　واني من فعالكم غدا محتار

والطاء طفتوا الغرب ردتم بلادنا
وابصرتم البلدان وكل ديار

والظاء ظني انكم تملكونا　　وقولي وظني هو صحيح جهار

والعين عيني نحو مرعي تطالعت　　فاشعل في قلبي لهيب النار

والغين غيب نجمنا من قبالكم　　ونجم ابي واقف عليه غبار

والفـاء فارقتم لنجد واهلهـا — وجئتم الينـا تكشفوا الاخبار
والقاف قبلتم كل معنى كلامكم — وقلتم معاني اطيب الاشعار
والـلام لميتم رجال الحينا — وجئتم الينا تملكوا الاقطار
والميم مال القلب في حب مرعي — ولولا مرعي ما نظمت اشعار
والنون نلقاكم على خيـل ضمر — وكل دريني اسمري خطـار
والهـا همـل دمعي مما اصابني — على شان مرعي انكويت بنار
والواو ولت خيلنـا من رجالكم — وتبقى تونس والديار قفـار
والياء يبقى علمكم فوق علمنـا — باذن الله الواحد القهـار
واني وحق الله ما اخون عهدكم — ولو قطعوني بالسيوف نثار

قال الراوي فلما فرغت سعدا من كلامها شكرها الامير ابو زيد وجماعته على حسن اهتمامها وباتوا تلك الليلة في سرور وانشراح ولمـا اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح امر الزناتي باحضارهم فلما حضروا وتمثلوا بين يديه قال لابو زيد اذا اطلقناك الان لتاتي بفدا جماعتك من الاوطان فكم يوم تغيب عنا وماذا تجيب لنـا . فقال اغيب نحو ثلاثة شهور واجيب لك اربع مئة الف مدرع مشهور . فقال وما هو مرادك من المدرع ايها البطل الصميدع . فاخرج الامير ابو زيد من جيبه قطعة من الفضة الخاص وانقى من الرصاص وقال هذا هو المدرع يا زينة الممالك ففرح الزناتي بذلك وقال له اذهب بامان الى الاوطان فقال اعطني عدة حرب وحصان لان الطريق مخطرة والاراضي موعرة فاعطاه ما طاب وبعد ذلك ودع الزناتي وذهب وجعل يدور

البلاد ويطوف في المدائن حتى اشرف الى وادي الغبائن وتلك الاماكن فوجدها كثيرة المياه والنبات متسعة البراري والفلوات تصلح للحرب والقتال ومرعى النوق والجمال . ثم سار من هناك الى قابس ومنها الى عين دروس فوجدها احسن محل لامتلاك تونس وقد تعجب من خيرات تلك البلاد وكثرة ما فيها من الايراد وما شاهد من البلدان الكثيرة والمياه والبساتين العزيزة فانشرح خاطره وطابت سرائره . هذا ما كان من ابو زيد ليث البطاح . واما مرعي ويحيي ويونس فاخذتهم سعدا لعندها وبقوا في سرور وافراح وبسط وانشراح . اما الامير ابو زيد فبعد ان دار جميع البلاد وعرف جميع السهول والوهاد رجع ليرى احوال الاولاد ولما دخل الى قصر سعدا لقاه مظلي بالرصاص وكان الوقت نصف الليل فارعدت الدنيا وابرقت حتى قام الاولاد من نومهم وعادوا يذكرون بلادهم وبكوا بكاء شديداً وصار مرعي ينشد ويقول

يقول الفتى مرعي على فقد اهله ... وقد لاح لي برق من الشباك
وهيج اشواقي ووجدي ولوعتي ... يا برق من نجد ما احلاك
ياشوق قلبي الى نجد العديه وربعها ... ايا برق نجد هيجتني بسناك
بلغ سلامي للحبائب كلهم ... بلغ سلامي لهم يا برق الافلاك
خذ قصتي بنجد واسرع لاهلها ... وبلغ عن مرعي الذي اوصاك
وقل لحسن يامعدن الجود والنخا ... يا من عطاك لبدوها وتراك
وقل له مرعي ويحيي ويونس ... بحبس الزناتي يا امير هلاك

موكل عليهم يا امير غوانم ... عبيد اجونا غابرين عداك
ولولا الصغيرة كان راحت رواحنا ... وشارت هي ضد للاملاك
وقالت لنا قروا وطيبوا وابشروا ... ايا امير مرعي ربنا اعطاك
ياهل ترى ابوزيد يوصل بلادنا ... ويخبر قومنا كيف صار علاك
ابوزيد لا تلهيك عليا وتنشغل
وحاشاك عن طرق الردى حاشاك
سألتك يا رحمن يا سامع الدعا ... يا من جميع الخلق في مرعاك
بعيسى بموسى بالنبي محمدٍ ... خلصنا ايا من تسجد له الاملاك

قال الراوي فلما فرغ مرعي من قصيده وكان ابو زيد واقفاً تحت القصر يسمع نشيده ثم نظر الطواشي ففتح له ودخل الى عندهم وسلم عليهم فقالوا له اين كنت يا ابو زيد الى الان انت باقي في تونس ونحن نقاسي اشد الضيق فقال لهم انني تهت عن الطريق وقد صممت الان على السفر واتيت لوداعكم ثم تقدم وودعهم واوصى سعدا بهم ووعدهم برجوعه اليهم باقرب وقت ثم بكوا بكاء شديداً وتقدم الامير مرعى واشار يودعه ويوصيه بالسلام ويقول

يقول الفتى مرعى بعين وجيعه ... ونيران قلبي زايدات السمايم
فسر بالسلامة يا هلالي سلامه ... فالله لا يريك عمرك غمايم
فاذا وصلت الى ارضنا وبلادنا ... فسلم على اهلي وكل الاكارم
وسلم على ابي حسن الدريدي ... وسلم على الزغبي دياب ابن غانم
سلم على شيحا الاميرة وقل لها ... لتدعى لنا بالشمل انه ملايم

يا خال جد السير واستغنم السفر   فما فاز يا ابو زيد بالشكر نايم
ايا خال لا تلهيك عليا فتلتهي   وتتركنا في حبس كله ظلايم

قال الراوي فلما فرغ الامير مرعى من كلامه وابو زيد يسمع نظامه فقال له لا يكون لك ادنى فكر لانني سابذل الجهد في تخليصكم ثم ودعهم وسار وعيناه تذرف بالدموع من جرى ما اصابه واصابهم وسار يقطع البراري والقفار ويوصل سير الليل بسير النهار مدة عشرين يوماً حتى اقبل ارض الصعيد فدخل على الماضي ابن مقرب واخبره بما جرى له من الاول الى الاخر فبكى الماضي بكاء شديداً ثم انه بقي بضيافته نحو يومين وبعد ذلك ودعهم وسار يقطع البراري والقفار مدة عشرة ايام حتى وصل الى نواحي حلب فجلس تحت ظل شجرة هناك لاخذ الراحة فبينما هو جالس اقبل عليه رجل تاجر وحياه بالسلام ثم سأله الامير ابو زيد عن حاله فقال انني رجل تاجر قاصد بلاد الغرب فقال ابو زيد هل تعرف الامير علام فقال له انه من اعز اصحابي واعظم احبابي فقال له ابو زيد انني ارغب ان اعطيك كتاب اليه فقال اكتب ما بدالك فعند ذلك اخذ ابو زيد يكتب للعلام ويقول

يقول ابو زيد الهلالي سلامه   فمن كان شقي ما تسعده الايام
نعم ايها الغادي وحامل كتابنا   تجد السرى في واسع الاكام
اذا جئت تونس وقابس وارضها   فسلم على الفتى المسمى العلام
وقل له قال الهلالي سلامه   ابيات شعر زايدات بكلام
اوصيك في مرعى ويحيي ويونس   اولاد اختي من فروع كرام

وارجوك تتردد عليهم وتلتجي   وتحفظهم من شدة الالام
فلا بد ما ارجع اعود وانثني   ولا بـد ما آتي بقوم لزام
باربع تسعينات الوف عدادهم   تشبـه جرادًا منتشر بغمام
ولا بد من لطمة على باب تونس   ويبقى الدما فوق الثرى عوام
ولابد من قتل الوهيدي بصارمي   وابقي الزناتي بالقيود ينـام
واملك بلاد الغرب بحد صارمي   واملكك في الغرب يا علام

قال الراوي فلما فرغ الامير ابو زيد من قوله طوى الكتاب وختمه بختمه . فاخذه التاجر وصار يقطع البراري والقفار حتى اشرف الى تونس وتلك الديار فاخذ المكتوب وسلمه الى العلام ففضه وقراه وعرف حقيقة فحواه . واما الامير ابو زيد فانه ما زال يجد في المسير مدة خمسين يوماً حتى اقبل الى نجد وتلك الاوطان وحين دخوله الى نجع بني هلال التقاه الكبار والصغار وكلما تقوم الى قدام زاحمه الجمع غاية الازدحام وهم يصرخون بصوت واحد اليوم قد اتانا من هو عزنا وحمانا وما زال سائرًا حتى اقبل الى صيوان الامير حسن فدخل وسلم عليه وعلى الذين حواليه فلما نظره الامير حسن والامير دياب والقاضي بدير والامير زيدان شيخ الشباب تقدموا اليه وقبلوه بين عينيـه واجلسه الامير حسن بجانبه ودارت البشائر في بلاد نجد بان الامير ابي زيد حضر من بلاد الغرب فاجتمعت الفرسان من كل جانب ومكان حتى احتبك الديوان وحينئذٍ سأله الامير حسن عن الامير مرعي ويحيى ويونس . فعند ذلك بكى الامير ابو زيد بكاء شديدًا

واشار يخبرهم عما جرى له وهم من التعب الشديد . بهذا القصيد
ويقول وعمر السامعين يطول

يقول ابو زيد الهلالي سلامه ... ولي قصة من اعجب الاخبار
في سفرتي للغرب حتى اروده ... وفي رجعتي قاسيت هموم كثار
دخلت الى ارض الزناتي ودبتها ... ودرت ميامنها ودرت يسار
وآخذ حشيش الارض بيدي وادفنه ... واعلمه من خوف لا احتار
حتى اذا جاءت هلال وعامر ... على خيلهم بالعسكر الجرار
يقولوا فما هذا الحشيش الذي هنا ... وهذا دليلي يا عرب اجهار
وما زلت اكتشف المدائن والقرى ... حتى وصلت لتونس والدار
دخلنا على بستان بجوار تونس ... فاتاني منها عسكر جرار
فصحت عليهم صيحة الله واكبر ... الـهِ تعالى عالم الاسرار
فمسكونا من بعد حروب عنيفة ... وضرب يقطع سيفنا وحجار
واخذونا لعند الزناتي خليفه ... فتهددنا بالقتل يا اخيار
فخلصتنا ابنتـه سعدا بشورها ... وقالت تراهم يا ابي شعار
فاحبسهم عندي وارسل عبدهم ... يجيب اليك فكاكهم بجهار
وان مرعي ثم يحيي ويونس ... قد بقوا عندها بوسط الدار
الان سعدا بمرعي تعلت ... وصار قلبها نحوه كشعلة نار
جزاها اله العرش خيراً ونعمة ... فلولاها شنقونا بلا انكار
وصرنا فضيحة بين كل قرومنا ... وصارت اهالينا باوشم عار
فارسلني الزناتي لاحضر فكاكهم ... كقول سعدا زينة الاخيار

ولما عزمت على الرجوع لارضنا فبكيوا الامارا من قلوب مرار
ووصاني الامير مرعي وقال لي سلم على سادتنا وكبار
وسلم على والدي حسن الدريدي مربي اليتامى ومقصد الشعار
وسلم على القاضي بدير ابن فايد وعلى دياب الفارس القهار
وسلم على عليا ولايا وغيرها والجازية من نسل قوم كبار
ابو زيد اقري منا امهاتنا سلام برتبة يا عزيز الجار
وقل لهم في الحبس يحيي ويونس ومرعي يقاسي لوعة ومرار
ففارقتهم والعين تزرف بالبكا وسرت في البيدا بوسع قفار
وكم ساعة في ساعة بعد ساعة امسح دموعي في ليلها بنهار
فيغيب عقلي عند ذكر رفاقتي وقلبي كواه البين والامرار
وبعدخروجي من المغارب وارضها بعشرين ليلة زايدات نهار
دخلت على الماضى ابو الجودوحده واخبرته فيما جرى لي وصار
فبكي وبكى الحاضرين جميعهم وحزن على مرعي وعقله حار
وبقيت عنده مقدار يوم وليلة ومن بعدهم قد قلت للحضار
باني ارجع الى بلادي وارضنا واني ساخبركم بما قد صار
ففارقتهم والعين تذرف في البكا وقلبي غدا مني كشعلة نار
وما زلت سائر في البراري وسهلها
والله يعلم كلما قد صار
مسافة تسعين يوم ثم ليالها حتى وصلت اليكم الدار
واني اخبرتكم فيما جرى فما الشور والتدبير فيما صار

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من هذا الشعر والنظام بكي الامير حسن ومن حضر من السادات الكرام . ولا سيما اهل الاولاد فقد تفطرت منهم الاكباد . وقالوا لابو زيد عن فرد لسان اعلم يا فارس الفرسان اننا لا نفك عنك ولا نعرف اولادنا الا منك فقال كونوا براحة فاني قد اخذتهم من الاطلال سارجعهم على احسن حال وانعم بال . ولما انتهى من هذا المقال التفت الامير حسن الى الحاضرين والسادات المعتبرين . وقال لهم ان مرادي الرحيل الى بلاد الغرب واقيم هناك الحرب واخلص الامراء بالطعن والضرب فاستحسنوا هذا الخطاب وقال ابو زيد البطل المهاب هذا هو الراي الصواب . ولكن قبل الرحيل من هذه الاطلال بالفرسان والابطال والنساء والعيال يجب ان نرسل ايها الامير المويد بعض الذوات العمد ليأتوا بالجازية لتركب امام ظعون بني هلال مع باقي سيدات الامراء والابطال . وهنّ الست ريما والست عدلا والست ريا وسعد الرجا وبدر النعام وجوهرة العقول وزهر الدوح ونجم السحور وزين الدار والست عليا . لانه اذا اشتعلت نيران الحرب ووقع الطعن والضرب تكون الجازية وباقي السادات امام الابطال في العماريات . لان الجازية من النساء المشاهير ذات راي وتدبير . وهكذا تم الراي بين الامراء والاعيان وارسلوا اربعة وعشرين فارساً من الشجعان واحضروا الجازية في الحال بالاحترام والاحتفال . وبعد وصولهم بايام قليلة استعدت للرحيل فرسان القبيلة . وتأهبوا للطعن والضرب

والسير الى تونس الغرب . وامر الامير حسن بدق طبل الرجوج حسب العادة والاصطلاحات المعتادة . فدق في الحال واجتمعت الفرسان والابطال وسادات الرجال . ودخلوا على الامير حسن ابن سرحان وهو في الديوان . فاخبرهم بما جرى وكان وقال لهم استقر رأينا الان ان نرحل من الاوطان ونقصد بلاد الغرب بعد ستة ايام. فكونوا في الاستعداد التام . لان ارضنا قد امحلت ووقع بنا الفنا واولادنا في اسر الزناتي يقاسون العناء . ثم انشد يقول وعمر السامعين يطول

يقول الفتى حسن الهلالي ابو علي ... فدمعي جرى فوق الخدود غزير
ونيران قلبي كلما اقول تنطفي ... يهب لها طي الضلوع سعير
على ما جرى في نجد يا طول حسرتي ... وقلبي تحسر باللظا تحسير
بكيت على ارض لنا وبلادنا ... فليس لها بين البلاد نظير
اتى الغلا والمحل من كل جانب ... وعظم نواح كبيرها وصغير
فسبعة سنين لم ترى العشب والشجر ... ولا نزل في نجد نهر كبير
فقوموا بنا من نجد قد قل خيرها ... قوموا انهضوا ياقوم سير وسير
فمن كان عنده بنت عمه تلازمه ... يهيئ لها هودج بظهر بعير
ومن كان عنده بنت عمه اجنبية ... يردها الى اهلها بمال كتير
ونادوا على العربان من كل جانب ... فبعد سبعة ايام يكون مسير
ونوضع ابو زيد الهلالي دليلنا ... ابو زيد قيدوم لنا ومشير
وابقا انا خلف الظعون جميعهم ... فقلبي عليل لكل طفل صغير

قال الراوي وفي اليوم السابع تجهزت الابطال للمسير والارتحال فهدت المضارب والخيام وانتشرت الرايات والاعلام ودقت الطبول وركبت الفرسان ظهور الخيول واعتقلوا بالسيوف والنصول وركبت الحريم والعيال والاولاد والاطفال ونساء الامراء العمد والجازية ام محمد . وكان الامير ابو زيد في مقدمة الفرسان . في تسعين الف عنان من بني زحلان . ومن خلفه الامير حسن ابن سرحان . في تسعين الف فارس من بني دريد الشجعان . وعلى جانبه القاضي بدير الاسد الباسل في تسعين الف مقاتل . ومن وراه الامير دياب بن غانم القرم المصادم . في تسعين الف فارس من بني زغبه الاشاوس . وخلف الجميع الامير زيدان شيخ الشباب والبطل المهاب . في ستين الف من الجهال لحماية النساء والعيال . وجدوا في قطع البراري والقفار والسهول والاوعار قاصدين بلاد الغرب وتلك الديار . وكانوا كالجراد المنتشر لا يعرف لهم اول من آخر وقد ملاوا بكثرتهم البراري والاكام . وكان يبعد اولهم عن اخرهم مسافة خمسة ايام . وما زالوا مجدين في المسير حتى اشرفوا في اليوم العاشر على بلاد حزوه والنير . وهي بلاد واسعة الجنبات كثيرة المياه والنبات . فنزلوا في تلك الارض ونصبوا المضارب والخيام

﴿ انتهى الجزء الثاني من تغريبة بني هلال ﴾

﴿ ويليه الجزء الثالث وهو قصة ﴾

﴿ الدبيسي ابن مزيد ﴾

الكتاب الثالث

من تغريبة بني هلال

وهو يحتوي على ديوان الدبيسي
ابن مزيد وما جرى له مع
بني هلال من الحروب
والاهوال

يطلب من

مكتبة الترقي

لصاحبها

شكري الخوري وشركاه

شرقي ساحة البرج اول طريق النهر . (بيروت)

برخصة مجلس معارف ولاية بيروت الجليلة

بسم الحي الباقي

قال الراوي لهذا الكلام وكان حاكم تلك البلاد يقال له الدبيسي ابن مزيد وكان من صناديد الابطال وشجعان الرجال لا يقدر العواقب ولا يخشى حلول المصائب وكان في الشجاعة والفروسية في طبقة علية يفتخر بنفسه ويفضل ذاته على جميع الفرسان في ساحة الميدان ويقول انه اذا ركب الجواد لا يوجد من يقاومه في الحرب والطراد ولو كان ابو الفوارس عنتر ابن شداد. وكان له اربعة وزراء يركن اليهم ويعتمد في اموره اليهم وهم مقلد وهمام . وراشد وسلام . وله ولد اسمه مزيد قد سماه على اسم جده وكان يحبه ويوده ومن شدة محبته فيه اراد ان يزوجه بابنة اخيه . فجمع وزرائه واخبرهم بما قد صمم عليه فاجابوه الى ذلك المرام ما عدا الوزير همام . فانه كان صاحب رأي وتدبير. فنهاه عن ذلك الامر في الوقت الحاضر واعلمه بقدوم بني هلال الى تلك البلاد بالجيوش والعساكر ثم اشار يقول

يقول الفتى همام عما جرى له ايا امير اسمع لي لذيذ كلام

الا يا دبيسي انت امير البلاد ولا لك مقاوم في القنا وحسام

بني هلال يا امير محلت ارضهم وصاروا بهم زائدٍ وضرام

ونشفت عيون الماء من كل جانب ولا عاد فيها عشب ولا نمام
لما رأوا هذا البلاء بارضهم جمع رايهم حسن الامير قوام
فارسل ابو زيد للغرب رادها امير بيوم الحرب قرم همام
وسار معه مرعي ويحيي ويونس شباب ملاح وضاربين لثام
يريدوا لهم بلد تكون خصيبة فيها الغنى والعز والانعام
وقد ساروا للغرب يا امير وحدهم الى تونس الخضرا غدون قوام
ودخلوا الى بستان بالقرب يا ملك ابو زيد من سهر الليالي نام
اتى عبد الى عند الزناتي واخبره فارسل لهم عشرين عبد تمام
وحبس الفتى مرعي ويحيي ويونس بقصر سعدا في عنا وسقام
وقداتى ابوزيد من الغرب وحده واخبر حسن عما جرى له تمام
وقد ضربوا الاشوار يا امير بينهم وساروا بفرسان لهم واقوام
ولا بد من ان يدوسوا بلادنا وتبقى قصور العاليات هذام
وانتم تريدوا تزوجوا ثم تفرحوا ولا عندكم اخبار ولا اعلام
انا الراي عندي اسمعوا اما اقول لكم وكونوا لقولي يا كرام فهام
فاصبروا حتى يجوزوا بلادكم ويندفعوا الى ذيرة الاعجام
تكونوا سلمتم يا امير من العدى وتعمل لابنك عرس عام تمام

قال الراوي فلما فرغ الوزير همام من هذا الشعر والنظام اندهش الدبيسي وحار . فبينما هو في بحر الافكار اذ دخلت الرعيان عليه وشكوا له عن قدوم بني هلال الى تلك الاطلال وكيف ملأوا السهول والتلال فلما سمع هذا الخطاب غاب عن الصواب وصار في قلق

واحتساب فالتفت الى الوزراء وقال لهم ما هورأيكم يا قوم فقد نفذ كلام الوزير همام في هذا اليوم . وانا خايف من العواقب فارشدوني برأيكم الصائب فقالوا عن فرد لسان الرأي عندنا يا ملك الزمان ان نرسل رايد على اثارهم فيأتينا بعددهم ويكشف لنا حقيقة اخبارهم فقال هذا هو الصواب وفي الحال استدعى بعبده راشدوكان صبوراً سريع الحركات . خبير بجميع الطرقات . فلما دخل عليه وامتثل بين يديه . فقال له الملك اريد منك ان تذهب وتجس لنا اخبار بني هلال وتميز فرسانهم والابطال وتأتينا بماجل الحال فقال العبد سمعاً وطاعة وسار من تلك الساعة وما زال يجد المسير حتى وصل الى مضارب القوم في مساء ذاك اليوم . فاعتراه الانذهال مما راى هناك من كثرة الاموال والفرسان والابطال ولا سيما عند ما شاهد صيوان الامير حسن ابن سرحان وما حواه من الامتعة الثمينة والتحف الحسان وكذلك صيوان الامير دياب وابو زيد فارس الفرسان فبات تلك الليلة هناك . وفي ثاني الايام رجع الى عند الدبيسي فدخل عليه وقبل الارض بين يديه . فقال له كيف نظرت بني هلال وما هو عدد عساكرهم والابطال فانشد يقول

يقول الفتى راشد على ما جرى له	ترى الدهر قد جار علينا ودار
يا امير اسمع ما اقول وافتهم	واصغى الى قولي وفعلي حار
قصدت خيام بني هلال وربعهم	لاكشف وارجع بالاخبار
فلما رأيت القوم تاهت نواظري	وظنيت عقلي من دماغي طار

وما زلت ما بين البيوت اروده | اسائل عبيد القوم واحرار
واسأل عن بيت الامير ابو علي | امير حوى جاهاً وكل وقار
وما زلت سائر حتى عبرت بيوتهم | اقول لهم شاعر من الشعار
وعاينت انا يا امير كل ضيوفهم | فكانوا ثلاثة الاف من الانفار
وسرت الى بيت الامير سلامه | يا ليت عمره اطول الاعمار
وبيت المفتي القاضي بدير الفايد | وبيت دياب الفارس المغوار
ودرت ضيافات الاماره جميعهم | وقوادهم اهل السخا والاعتبار
مسير خمسة ايام يا امير تزولهم | ويوم وليلة بالعرض يامغوار
وفي حيهم بيض حسان كواعب | بنات امارا يشبهوا الاقمار
اذا رأهنّ عاقل اضحى متيماً | يبيت في قلبه لهيب النار

قال الراوي فلما فرغ راشد من شعره ونظامه . وفهم الديبسي فحوى كلامه . زاد خوفه وفزعه فاستدعى اليه الوزراء واخبرهم بذلك الكلام ثم انشد هذا الشعر والنظام

جار الزمان عليَّ ثم ابكاني | والقلب يخفق ودمعي مثل غدران
اتى من الشرق ابطال غطارفة | اميرهم قد تسمى بابن سرحان
يا قوم كيف العمل حتى نرجعهم | من قبل ان يفتكوا فينا بفرسان
ما رايكم يا بني الاعمام قولوا لنا | انتم امارا وسادات واعيان

قال الراوي فلما فرغ الديبسي من هذا الشعر والنظام . فلم يجبه احد بكلام . فقال لهم ما بالكم لا تردوا جواب ولا تجيبوني على خطابي فعند ذلك اشار الوزير همام يقول

قال همام الهمامي استمع مني كلامي
يا دبيسي انت افهم ما على مثلي ملامي
يا ملك عنهم فسائل قوم من فروع اصائل
وازرع المعروف فيهم اطعني يا ابن الكرام
ثم اعزم للملوك واسلك احسن سلوك
ذا حسن فخر الملوك من اتاه لا يضام
واترك افعال الرديه لا تجيب لنا البليه
فقم وجهز للهديه الى حسن ابن كرام
لانه عابر طريق جاب قومه والفريق
لان اولاده بضيق لاجلهم يبغي المرام
ليس هو قاصد اذانا حتى نرده من حمانا
يا ملك دعهم عيانا يرحلوا لارض العجام
قول همام الوزير انني عارف خبير
في امور سوف تصير ثم توقع في الندام

قال الراوي فلما فرغ الوزير من شعره ونظامه. وفهمت الوزراء فحوى قصده ومرامه . اغتاظ الملك من هذا الكلام والتفت الى الوزراء وقال لهم ما هو الراي والتدبير في هذا الامر العسير. فقال الوزير راشد انه من الواجب ان ترسل لهم كتاباً تامرهم بدفع عشر المال مع النوق والجمال فان امتنعوا عن ذلك فنقاتلهم في الحال ونشتتهم في البراري والتلال فاكتب لهم كتاباً بهذا الصدد وانا اخذه اليهم

واتيك بالجواب فاستصوب الملك رايه وكتب لهم كتاب يقول فيه

يقول الدبيسي والدبيسي مزيد … بدمع جرى فوق الخدود بدود
ونيران قلبي كلما اقول تنطفي … تزيد لها طي الفواد وقود
الا يا غادياً على متن ضامر … تشابه غزالاً بالفلاة شرود
اذا جئت عند الامير ابو علي … فاعطيه مكتوبي تنال سعود
وقول له قال الدبيسي بن مزيد … كلام اقصى من اصلب الجلمود
الا يا حسن اسمع كلامي عاجلاً … وافهم مني غاية المقصود
فان كان قصدك ان تجيز بلادنا … فارسل لنا عشر مالك كي تسود
وارسل لنا الفين حمرة سليلة … والف جواد يا امير هدود
والفين ناقة تابعات اولادها … والفين فاطر ثم الف قعود
والفين سيف يا امير مسقطة … والف درع من عمل داود
والفين ترس ثم الفين خودة … والفين دبوس ثقال زنود
وارسل المال يا امير بالعجل … ميتين الف من الذهب وعقود
وارسل لنا الجازية الشريفة … مع الست عليا بغية المقصود
ومعها ارسل لنا بنات امارتك … واحذر تخالف لا تكون عنود
من قبل ان تلقاك فرسان قومنا … ونجعل دماكم على الحصا مبدود
ونقتل اكابركم وكل صغاركم … ونجعلكم في تربة ولحود

قال الراوي فلما فرغ الدبيسي من هذا الكلام الذي هو اشد من ضرب الحسام طوى الكتاب وختمه واعطاه للوزير راشد فاخذه وسار وجد فى قطع القفار حتى اشرف على حي بني هلال وعند وصوله

الى صيوان الامير حسن ابن سرحان نزل عن ظهر الحصان فسلم عليه وعلى باقي الامراء الذين حواليه فردوا عليه السلام والتقوه بالترحاب والاكرام وامر له بالجلوس فجلس بقربه ثم سأله عن اسمه وعربه فاعلمه بواقعة الحال وعن سبب حضوره الى تلك الاطلال ثم اعطاه الكتاب فاخذه الامير وقراه ولما وقف على حقيقة فحواه غضب الغضب الشديد لكنه اخفى الكمد واظهر الصبر والجلد ثم امر الغلمان ان ياخذوا الوزير الى دار الضيافة ولما خرج من الديوان التفت على الامراء والاعيان واعلمهم بذلك التهديد واستشارهم بهذا القصيد

يقول الفتى حسن الهلالي ابو علي   فعلي من الاهوال حار وتاه
اذا قلت قد راق الدهر ليلة   فيأتى لنا قبل الصباح بلاه
رحلنا من الاطلال نبغى فوائد   رأينا المصائب صائبة بعناه
من فرقة الاوطان ذابت حشاشتي   ودمعي على الخدين كالامياه
على فقد مرعي ثم يحيي ويونس   فيا حسرتي فالقلب زاد لظاه
وزير ابن مزيد قد اتى برسالة   لنا من عند الدبيسي مولاه
يقول اذا شئتم تجوزوا بلادنا   وتلقوا السلامة في السفر ونجاه
فهاتوا لنا عشر الجمال وخيلكم   وعشر الذهب حالاً بدون بطاه
ولم يكتفي حتى طلب لبناتنا   بنات الامارة مشرقات ضياه
وهددنا بالقتل ان لم نطاوعه   ويركب علينا في جيوش طغاه
الا يا ابن عمي يا هلال سلامه   فما الشور والتدبير في معناه
وما الشور عندك يا دياب الغانم   ايا فارس الخضرا بطعن قناه

ويا قاضي العربان يا ابن فائد   ايا عالماً بحكم وشرع الله
فردوا جوابي انما الشور مشترك   ولا تهملوا في رأي فيه النجاه

قال الراوي فلما فرغ الامير حسن من شعره ونظامه قالوا جميعهم ان هذا الطلب لا نوافق عليه . فقال ابو زيد انه من الصواب ان ترسل تقول للدبيسي ان يمهلنا عشرة ايام ونحن نرسل له طلبه بالتمام . ومتى انقضت المدة ولج في الطلب فنقول له ليس عندنا مال ولا ذهب سوى الحرب والقتال في ساحة المجال لان ابطالنا رفرساننا تكون قد استراحت من تعب الطريق ثم انه انشد يقول وعمر السامعين يطول

يقول ابو زيد الهلالي سلامه   كلام يشبه الدراري في معناه
لكل داء يوجد دواء نعالجه   وللاحمق الجاهل الحسام دواه
انا الراي عندي يا ابن سرحان العلا
يا من زكي بين الانام اباه
فارسل كتاب للدبيسي وقل له   كلام محكم بالخداع جزاه
الا يا ملك حزوه يا حاكم الملا   امهلنا عشرة ايام دون سواه
اذا مهلنا يا ابن عمي وسيدي   فتشبع خيول القوم من المرعاه
وتاخذ الراحة جميع قرومنا   وتبقى رجالك شبه اسود فلاه
غير الطعن والضرب ما له عندنا   لان الدبيسي جار وزاد طغاه
يريد اليوم غصباً نهب جمالنا   واموالنا وذلك من قلة حياه
وهذا شوري ورايي وفكرتي   فافهم كلامي يا ملك فحواه

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من هذا الكلام استصوبه جميع

الحاضرين فنعد ذلك اشار حسن يجاوب الدبيسي ويقول

يقول الهلالي ابا مرعي مناصحة ... ابيات شعر بها علم الابطال
اني ازين كلامي قبل ان الفظه ... واحسب الدهر في جور واقبال
يا غادياً راكباً اعلى مطيته ... يقطع فيافي الفلا مع روس الجبال
اذا اتيت الدبيسي قل لحضرته ... قولاً صحيحاً خلا من كل ازلال
واقرا سلامي على ابطاله سحراً ... من كل ليث شديد الباس مفضال
اني ساعطيه مهما كان طالبه ... من عشر مالي ومن اموال ابطالي
لكنني اطلب منه ان يسمح لي ... بعشرة ايام فانهي كل احوالي
حتى الم من العربان اجمعهم ... عشر الجمال وعشر الخيل والمال

قال الراوي فلما فرغ الامير حسن من كلامه طوى الكتاب وختمه في الحال وسلمه الى الوزير المذكور وقال له بعد عشرة ايام سنرسل المال المطلوب فاخذ الوزير الكتاب وجد في قطع الهضاب حتى وصل الى عند الدبيسي فدخل وسلم عليه واعطاه الكتاب ففتحه وقراه وعرف ما حواه ففرح واستبشر وايقن بالنجاح وبلوغ الوطر ولما انتهت العشرة ايام ولم ترسل بني هلال الاموال قال للوزير ها قد مضت المدة المعينة ولم نقف على افادة ولا وردت الاموال فيجب ان تسير اليهم وتطلب منهم ان يبادروا بارسال المال في عاجل الحال والا حاربناهم وانزلنا بهم الوبال. فامتثل الوزير امره وركب من وقته وساعته الى تلك الديار . حتى وصل الى صيوان الامير حسن فنزل عن ظهر الحصان ودخل وسلم عليه وتمثل بين يديه . ثم جلس قليلاً

وبعد ذلك طالبه بالمال ولامه على ذلك الاهمال • فقالت له السادات والامارة ارجع الى مولاك قبل ان تحل بك الخسارة • وقل له انه ليس عندنا مال ولا نوق ولا جمال غير ضرب السيف وطعن النصال • فاغتاظ الوزير من هذا الكلام وخرج من ذلك المقام • ورجع الى عند مولاه بالعجل واخبره بما سمعه فنما غيظه وزاد وامر الرؤساء والقواد بجمع العساكر والاجناد • فعند ذلك دقت الطبول وركبت الفرسان ظهور الخيول واعتقلت بالرماح والنصول • وخفقت الرايات وركبت الامارا والسادات اربع مئة الف مقاتل ما بين فارس وراجل وركب ايضاً الدبيسي ولما اقترب من تلك الديار • وسمعت بني هلال استعدوا في الحال للحرب والقتال • وركب الامير حسن وابو زيد ودياب ابن غانم وباقي السادات الاكارم • والتقوا الدبيسي في تلك الارض • ولما دنوا من بعضهم البعض برز من فرسان الدبيسي فارس كانه الاسد الكاسر فبرز اليه الامير دياب وصار امامه • فقال له من تكون من بني هلال فقال انا دياب المصادم واشار يقول

يقول ابو وطفا هلال الماجد   في الحرب ماجد سيداً استاذا
اذا صال في الميدان يردي للعدى   بالاسمر الخطار والفولاذا
ما زال سيفي للجماجم قاطعاً   والرمح في قلب العدا نفاذا
فعزمكم ولى وحان فراقكم   اني الى حبل العدا نفاذا

قال الراوي فلما فرغ دياب من شعره صاح فيه وهجم عليه وقد عظم ذلك الامر لديه فالتقاه الفارس كالاسد الكاسر • وجرى بينهما

حروب واهوال تشيب رؤس الاطفال وما زالا في عراك وطعان نحو ساعة من الزمان . وبعد ذلك اختلف بينهما ضربتان قاطعتان وكان السابق الامير دياب فارس الفرسان لانه كان اعلم في اصول الحرب واخبر في مواقع الطعن والضرب . فوقعت الضربة على هامه فقدته نصفين . ثم صال وجال وطلب براز الابطال . فبرز اليه فارس اخر فقتله وثاني جندله وثالث عجل الى المقابر مرتحله . وما زال على تلك الحال وهو يبارز الفرسان والابطال ويمددها على وجه الرمال الى وقت الزوال . فدقت طبول الانفلال وبات الفريقان يتحارسان تحت مشيئة الرحمن . ولما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح برز الامير دياب الى الميدان وطلب قتال الفرسان . فبرز اليه الوزير راشد وهو يقول انا معرج الكروب والشدائد فالتقاه الامير دياب بقلب كالحديد ثم التقيا البطلين كانهما جبلين او اسدين كاسرين وحان عليهم الحين وغنى على رؤسهما غراب البين ولم تكن الا ساعة من الزمان حتى استطال عليه الامير دياب في الميدان وطعنه بالرمح في صدره خرج يلمع من ظهره فوقع على الارض قتيلاً وفي دمه جديلاً فلما قتل الوزير راشد هجمت جموع الديبسي بقلب واحد فالتقتها بنو هلال بقلوب كالجبال واشتد بين العسكرين القتال وعظمت الاهوال فما كنت تنظر في ذلك اليوم المهول الا وقع السيوف على السيوف والنصول على النصول وقتال يشيب الاطفال ويذهل العقول وما زال القوم على تلك الحال وهم في اشد قتال الى وقت الزوال فعند ذلك دقت طبول

الانفصال فتأخرت عساكر الدبيسي خاسرة ورجعت بنو هلال كاسبة ظافرة ففرح الامير بذلك الانتصار ونثر في تلك الليلة على الفرسان النثار واخذ ينشطهم بالكلام ويحمسهم على الحرب والصدام وفي ثاني الايام دقت طبول الحرب والكفاح فركبت الفرسان واعتقلت بالسيوف والرماح وبرز الامير دياب الفارس الجحجاح . فصال وجال في ساحة المجال وطلب براز الابطال فبرز اليه الوزير محمود فالتقاه الامير دياب بقلب شديد وجعل يتهدده بهذا القصيد

يقول الفتى الزغبي دياب ابن غانم ولي قلب من بين الجوانح طار
الا يا فتى محمود اسمع قصتي واصغى لقولي مع الاخبار
واعلم باني فارس الخيل بالوغى فمن رام حربي قد يروم دمار
فلا تقدر اليوم تلقى مضاربي ولو عشت عمر النسر يا غدار
فلا بد ما تلحق اخوك راشد ودمك على وجه الثرى فوار
وانهب حلالكم واخذ مالكم وبين الملا تبقوا لنا معيار
ما قال الفتى الزغبي دياب الماجد ارى الدهر قد اجنف عليك وجار

فلما فرغ الامير دياب من كلامه اجابه محمود على شعره ونظامه

يقول الفتى محمود فيما قد جرى بدمع غدا فوق الخدود غزار
دياب يا غدار يا ولد الزنا ايا اندل العربان في الامصار
فلا بد ما ارديك بالسيف والقنا واترك دماك على الوطا فوار
واخذ الى الزينات منكم غصيبة واخذ حلالكم بلا انكار
واما ابو زيد الهلالي سلامه فلا بد من سيفي يذوق مرار

واقتل الى خالد بدير الفايد واهفي جمكم بالصارم البتار
واخذ لوطفا يا دياب سبيه وتعود عندي مثل بعض جوار

قال الراوي فلما فرغ الوزير محمود من هذا الكلام هجم على دياب فالتقاه دياب بقلب شديد وهجم عليه هجوم الصناديد واشتد بينهما القتال في ساحة المجال . فاختلف بين الاثنين ضربتين قاطعتين وكان السابق الوزير محمود فغطس دياب تحت بطن الخضرا فراحت الضربة خائبة بعد ما كانت صائبة ثم انتصب الامير دياب وهجم عليه كسبع الغاب وضربه بالسيف على هامه فقده قسمين والقاه على وجه الارض قطعتين وكان له اخ يدعى الهداف . فلما راى اخاه قد مات زادت عليه الحسرات . فهجم على الامير دياب ليأخذ بثار اخيه فشتمه وصاح فيه والتقاه الامير دياب في الميدان بقلب اقوى من الصوان وجرى بينهما حروب واهوال تشيب رؤوس الاطفال واستمروا على تلك الحال وهما في اشد قتال الى ان ولى النهار وارتحل واقبل الليل على عجل فافترقوا عن الحرب وتوقفوا عن الطعن والضرب وباتت العساكر في تلك البطاح . ولما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح دقت طبول الحرب والكفاح وبرز الهداف الى الميدان وطلب براز الفرسان فبرز اليه الامير دياب وصدمه كليث الغاب وكان الهداف من الفرسان المشاهير والابطال المغاوير قد تعود الحرب من صباه فكان لا يهاب الموت ولا يخشاه فاقتتل مع دياب اشد قتال وكان يجول معه في ساحة المجال ويهجم عليه هجوم الاسد الرئبال وما زال الفرسان في

اشد قتال وطعان يذهل عقول الشجعان الى ان تنصف النهار وكان دياب قد استظهر عليه كل الاستظهار وضربه على عنقه بالسيف البتار فقطعه في الحال والقاه قتيلاً في ساحة المجال فلما رات جموع الدبيسي ما حل بوزيرها هجمت على دياب قاصدة قتله وهي تذمه وتشتمه ٠ فعند ذلك حملت بنو هلال من اليمين والشمال والتقت الرجال بالرجال والابطال بالابطال وجرى الدم وسال من شدة الحرب والقتال وما زالوا على تلك الحال الى وقت الزوال فدقت طبول الانفصال وباتت بنو هلال في سرور وبات الدبيسي في قلق وضجر لانه كان قد قتل من قومه جماً غفيراً اكثر من الروساء والقواد ولما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح ركبت الفرسان الى الحرب والكفاح وكان اول من برز الى الميدان وطلب قتال الشجعان الملك الدبيسي دون باقي الفرسان فصال وجال في ساحة المجال ونادى اين فرسان بنو هلال فلتبرز الان الى ساحة القتال فما اتم كلامه حتى صار الامير دياب قدامه وهو راكب على فرسه وكل العيون تنظر اليه وترى ولما اقترب منه انشد وقال

يقول الفتى الزغبي دياب ابن غانم	انا فارس الفرسان يوم طعان
انا البطل المدعو ليوم الكريهة	على ظهر خضرا تسبق الغزلان
الا يا دبيسي اسمع كلامي وافتهم	من قبل ان تغدي قتيل طعان
فاولاد اختك قد قتلت بصارمي	وقتلت جمعاً وافراً فرسان
فان كنت لا ترجع تصير نظيرهم	وتنوش لحمك في الفلا العقبان
فلو كنت عاقل يا امير وفاهم	ما كنت تطلب زمرة النسوان

فكننا نعطيك مهما تريده　　من المال ثم الخيل والفصلان

قال الراوي فلما فرغ الامير دياب من هذا القصيد اغتاظ الدبيسي ثم انشد يقول

يقول الفتى المسمى الدبيسي مزيد　　فدمعي على الخدين كالغدران
ونيران قلبي كلما اقول تنطفي　　يزيد لهيبها بالحر والدخان
من قولك يا دياب الغانم　　فذممتنا في حضرة الفرسان
فلا بد عن قتلك على وجه الثرى　　وتعود بعد الربح في الخسران
وبعد ذا اقتل حسن في صارمي　　وابوزيدايضاً وعمدة الشجعان
واسبي حلالكم وكل رجالكم　　تبقى لنا من جملة الرعيان

قال الراوي فلما انتهى الدبيسي من شعره ونظامه اغتاظ دياب منه وانطبق عليه وحمل . وفعل الدبيسي مثلما فعل. واخذا في الحرب والقتال وجرت بينهما عجائب واهوال وما زال على تلك الحال الى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار فافترقا عن بعضهما البعض ونزلت كل فرقة في ناحية من الارض . وعند رجوع دياب عن معركة الصدام التقاه الامير حسن باعزاز واكرام وشكره على ما فعل الامير. وقال له انت الاسد العباس فلله درك في القتال وملاقات الابطال. فاريد منك ان لا تنزل نهار غداً الى الميدان لان لك عدة ايام وانت في الحرب والصدام لانك تعبان والدبيسي مرتاح . ثم ختم الكلام بهذا الشعر والنظام

قال الفتى حسن الهلالي ابو علي　　الدمع من فوق الخدود سيولا

يا مرحباً بك يا دياب الغانم   يا فارس الفرسان يوم الهولا
ايا فارس الفرسان يا ليث العدى   يا ليت عمرك يا امير يطولا
يا امير انك قد قتلت لراشد   وسلام اضحى ميتاً مقتولا
اما الفتى محمود ولى وانمحى   واخوه هدافاً غدى مجدولا
واليوم قد نزل الدبيسي صادمك   في حومة الميدان مثل الغولا
فانا عليك اليوم قلبي خائف   يا ليت عمرك ما ترى منكولا
يا امير ودع غيرك غداة ينازله   فاسمع كلامي وافهم المنقولا
فاخاف توقع يا دياب باسره   تضحى سريعاً في الفلاه مقتولا

قال الراوي فلما فرغ الامير حسن من شعره ونظامه. وفهم دياب فحوى قصده ومرامه توقف عن رد الجواب. فقال له حسن علامك يا دياب توقفت عن رد الجواب. فقال له اعلم ايها الهمام لا تمنعني عن هذا الطلب وان قتلت روحي فداك فاني لا اخشى الموت في قتال اعداك . ثم اجابه يقول

يقول الفتى الزغبي دياب الماجد   الدمع من فوق الثرى مهطولا
والنار في قلبي توقد جمرها   وسعيرها طي الحشا مشعولا
لاقيت في دهري امور كثيرة   قلبي تقطع والعنا موصولا
والدهر يزري بالاماجد دائماً   والندل يمرح بالهنا مشغولا
والعاقل الماهر مكدر عيشه   يا ليتنا كنا بلا معقولا
كم من لبيب مع اديب ماهر   فتراه من بين الورى مخجولا
ولكم تأخر في الخلائق فاضل   ولكم تقدم كل تيس مهولا

كنا بنجد في سرور وفي هنا   مع عز وافر والهنا محصولا
كنا امراء البلاد جميعنا   وكلامنا بين الملا مقبولا
لما اتانا المحل رحنا عاجل   مشتتين وراكبين خيولا
غضب الدبيسي اذ حللنا بارضه   واشار بعد السلم حرب مهولا
يا ابن سرحان الذي باهى الملا   يا من حسامه للعدى مسلولا
بحيات راسك لا تخيب مطلبي   هذا مرادي والمنا والسؤلا
ان كنت اقتل يا امير فداكم   وسنون عمرك لا تزال تطولا
هـذا ما قال دياب ابن غانم   من لا يزال على العداة يصولا

قال الراوي فلما فرغ دياب من شعره . شكره حسن على نظمه ونثره وقبله في صدره وقال له اني ما تفوهت بهذا الكلام الا لما وجدتك تعباناً وما دام الامر كذلك فابرز نهار غدا وقاتل خصمك واتكل على الله فلعلك تكفينا شره واذاه ثم باتوا تلك الليلة في سرور وانشراح . ولما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح . دقت الطبول وركبت الفرسان ظهور الخيول واعتقلوا بالرماح والنصول وتقوموا الى ساحة الميدان وكان اسبقهم الامير دياب ولما صار في معركة القتال طلب الدبيسي فانحدر اليه فالتقاه دياب واشار اليه يقول

قال الفتى المدعو الامير ديابا   فالدمع من فوق الخدود سكابا
اسمع كلامي يا دبيسي وافتهم   واصغى لقولي لا اريد عتابا
واعلم باني فارس متايد   لا اختشي يوم الحروب مصابا
لا بد لي من قطع راسك يا فتى   واسقيك من حد الحسام شرابا

وتصير ارضك بعد قتلك خربة　　ويحل بقومك بـلا وعذابا
اني انا المدعو دياب الماجـد　　من خير قوم فارس الاعرابا

فلما فرغ دياب من كلامه اشار اليه الدبيسي يقول

قال الفتى المدعو الدبيسي فافتهم　　مني الكلام لا ترد جوابا
اربع اماره كالسباع قتلتهم　　في حد سيفك يا امير ديابا
هداف مع محمود نسل اماجد　　فرسان كانوا في الانام شبابا
وابن نائـل مع سلامي الاريحي　　قتلوا ولم تحسب لذلك حسابا
اني ساخذ ثارهم بمهندي　　ويحل بك هذا النهار عذابا

قال الراوي فلما فرغ الدبيسي من هذا الشعر والنظام هجم عليه دياب كسبع الاجام واخذ معه في الحرب والصدام واشتد بين البطلين القتال وعظمت الاهوال وكان تارة يتقدمان وتارة يتاخران. وكانت عيون الفرسان شاخصة اليهما وما زالا على تلك الحال الى وقت الزوال فدقت طبول الانفصال فافترقا عن بعضهما على سلامة ورجعا الى الخيام ولما اصبح الصباح ركب الامير دياب فتقدمت اليه ابنته وطفا وهي تبكي بدموع غزار فتعجب من ذلك وقال لها اعلميني بما اصابك قالت مرادي ان تتوقف هذا اليوم عن قتال القوم فقد رايت حلماً في المنام اصبحت منه في اوهام ثم اسردت له الكلام بهذا الشعر والنظام

ان الدهر اكواني　　حتى زادت نيراني
من اجل حلم شفتـه　　منـه قلبي فزعاني
قد شفت بحر من دم　　وانت بوسطه غرقان

شفتك في وسطه تسبح　　وكلت منك الدرعان
ما عاد لك قوة تخرج　　انا شفتك بعيان
وانت تنادي يا ابو زيد　　هيا يا ابو شيبان
في سرعة قد وافاك　　ومد اليك الزندان
وقال لك يا ابو موسى　　امسكني بالدرعان
في الحال قد وافى عاجل　　وقد جابك للصنوان

قال الراوي فلما فرغت وطفا من هذا الكلام قال لها لا تخافي من هذا المنام فانه اضغاث احلام فلا بد لي من الحرب والصدام فاذهبي الى خباك ولا تخافي عليَّ من اعداكِ فرجعت الى الخيام وتقدم دياب الى معركة الصدام فوجد الدبيسى بانتظاره فصالا وجالا في ساحة الميدان واخذوا في الضرب والطعن حتى حير الاذهان وما زالا في عنا وحصر من الصباح الى وقت العصر فاختلف بين الاثنين ضربتين قاطعتين وكان السابق الامير دياب فابطلها الدبيسي بمعرفته ثم هجم على دياب كسبع الغاب وطعنه بالرمح طعنة قوية فجاء الرمح في فخذه فسالت دماه وآيس من الحياة واراد الدبيسي ان يجعل فناه ويبلغ منه غاية مناه واذا بفارس من بني هلال قد اقبل كانه قطعة من جبل وهو يهدر كالاسد فخلص دياب من ايدي الدبيسي ابن مزيد ورجع به حتى وضعه في المضارب ثم اقتحم الصفوف والمواكب وهو يصيح على الاعادي وينادي اتاكم ابو زيد ليث الوادي وحمل ينخي بني هلال على الحرب والقتال فاجابته الى ما طلب وحملوا على جيش العدا من كل جانب فعند

ذلك حملت العساكر على العساكر وتقاتلوا بالسيوف والخناجر وحمل الامير حسن ابن سرحان وتبعته السادات والاعيان ولم تكن الاساعة من الزمان حتى اشتدت الاهوال وتمددت الابطال على وجه الرمال وما زالوا في اشد قتال الى وقت الزوال وكانت عساكر الدبيسي قد استظهرت في ذلك النهار واسرت عشرين فارساً من بني هلال الاخيار من جملتهم الامير عرندس والرياشي ومفرج والهدار فلما شاهد حسن تلك الاهوال خاف على بني هلال من الهلاك والوبال فلما نزلوا في المضارب جمع قواد المواكب واخذ يستشيرهم بهذا القصيد

قال الفتى حسن الهلالي ابو علي ... الدمع من فوق الخدود لقد جرى
والنار في قلبي تهب وتنطفي ... قد زاد نار لهيبها وتسعرا
يا قوم اصغوا الى كلامي وافهموا ... وانت يا ابو زيد انظر ما ترى
قوم الدبيسي يا رجال اشاوس ... القرم منهم مثل سبع يهدرا
يا قوم ما هو رايكم فتكلموا ... حتى ادبر في اموري وابصرا

فلما فرغ الامير حسن من كلامه اجابه ابو زيد يقول

قال ابو زيد الهلالي سلامه ... يا ابو علي اسمع وكون موقرا
واصغى لقولي يا ابن عمي وافتهم ... هذا مقدر في الكتاب مسطرا
واعلم بان الدهر هذا حاله ... يوم لك ويوم عليك يا قسورا
اسمع كلامي يا ملك وافتهم ... اني اشور عليك يا فخر الورى
ارسل الى الزينات احضر جميعهن ... حتى ينخوا في القتال العسكرا
ثم نحمل في الاعادي كلنا ... من فوق ظهر خيول ضمرا

اما الدبيسي سوف اقتله انا ويعود من فوق التراب معفرا
ونجندل الفرسان في طعن القنا في يوم اغبر ينظرونه اشقرا
هذا جزاء من خان في اضيافه الله يقطع كل من يتكبرا

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من كلامه وفهم الامير حسن فحوى قصده ومرامه استحسنه وكذلك جميع السادات والاعوان وقالوا عن فرد لسان ان هذا الخطاب هو عين الصواب هذا ما كان من بني هلال . واما الدبيسي فانه عند رجوعه من القتال كبرت نفسه عليه واحضر الاسرى الى بين يديه وتهددهم بالقتل والدمار فوجدهم لا يبالون بالاخطار فارسلهم الى الحبس بعد ان شفى غليل النفس . ولما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح اصطفت المواكب وترتبت الكتائب ولما تقابل العسكران برز القاضي بدير الى الميدان وطلب مبارزة الفرسان فبرز اليه فارس وكان من الابطال المذكورة فحملا على بعضهم البعض وتجاولا في الطول والعرض وتضاربا بالسيوف والقواضب وتطاعنا بالرماح والكواعب ولم يزالا في حرب وقتال وطعن يشيب الاطفال الى قرب الزوال وكان القاضي قد استظهر على جاسر وهجم عليه كالاسد الكاسر وطعنه بالرمح في صدره خرج يلمع من ظهره فوقع على الارض يختبط بعضه ببعض ثم هجم على آخر فقتله وعجل من الدنيا مرتحله فعند ذلك دقت طبول الانفصال فرجع القاضي من معركة القتال فالتقته بنو هلال بالاكرام والاجلال وهنوه بالسلامة من الوبال وباتوا تلك الليلة الى ان اصبح الصباح توثبوا الى الحرب والكفاح

فبرز من قوم الدبيسي فارس وطلب قتال الفرسان فجاءه الامير عقيل وهو اخو ابو زيد الفارس النبيل وصدمه صدمة جبار فالتقاه مثل الاسد الكرار واشار يقول

انا تميم بيوم الحرب طعانا ... كم قد قتلت من الشجعان فرسانا
من ذا يقاتلني في يوم معركة ... لو كان عنتر يقاسي الموت عيانا
ان كنت فارس فاثبت ثم قاتلني ... حتى ابيدك ويبقى الدم غدرانا
فعادني الحرب بالميدان من صغري ... اليوم تبقى طريح الارض منهانا

قال الراوي فلما فرغ تميما من هذا الشعر والنظام فقال له عقيل لمثلي يقال هذا الكلام واشار يقول

عقيل غني من الاشعار اوزانا ... وفي الحروب شديد الباس طعانا
نحن الكرام لنا بالفضل قد شهدت ... كل الورى وملوك الارض تخشانا
اميرنا ابن سرحان الامير حسن ... لم نلتقي مثله في الناس انسانا
اخي ابو زيد من شاعت مكارمه ... فكم سبي في الوغا اسداً وشجعانا
ما في الفوارس من قرم يماثله ... حامي حمانا من الحساد احمانا
انا عقيل لقتلك جئت اطلبه ... واجعل الدم فوق الارض غدرانا

قال الراوي فلما فرغ عقيل من شعره ونظامه حمل حملة قوية فالتقاه بهمة علية واخذا في الصدام والعراك واشتبكا اشد اشتباك وما زالا على تلك الحال وهما في اشد قتال نحو ثلاث ساعات من النهار وكان عقيل قد استظهر على خصمه غاية الاستظهار فضربه على عنقه بالسيف البتار واذا براسه قد طار وكان له اخ اسمه ناصر فلما رأى ما

حل باخيه هجم على عقيل هجمة الاسود فالتقاه عقيل بقلب كالجبل والتحم بينهما القتال وكان عقيل يريد سرعة الانجاز من الصدام والبراز فلاصقه وضايقه وسد عليه طرقه وطرايقه وضربه بالحسام على راسه شقه الى تكة لباسه فوقع على الفلاة وعدم الحياة وكان الوقت قريب الزوال فدقت طبول الانفصال ورجع عقيل الى بني هلال فالتقاه قومه بالكرامة وهناؤه بالسلامة وشكروه على فعاله وزادوا في اكرامه واجلاله واما عساكر الدبيسي ابن مزيد فكان قد تنغص عيشه وتنكد فاجتمعت الاكابر والعمد ودخلوا على اميرهم وتمثلوا بين يديه وقالوا الى متى هذا الحال فقد قتل لنا عدة من الابطال فجعل يوعدهم في الانتصار وفي ثاني الايام برز الدبيسي الى الميدان وطلب مبارزة الفرسان فبرز اليه غنيم ابن مفلج وكان غلاماً جميلاً فقال له الدبيسي من تكون يا غلام حتى تبارزني في معركة الصدام فسوف اقطع راسك بحد الحسام ثم انشد يقول

ابن مزيد قال من فكره نظام ... في نهار الحرب تلقاني همام
انني امير بالهيجا ملك ... وانت ما ارضاك تخدمني غلام
روح وارسل ابن سرحان الذي ... او آتيني في دياب يا غلام
اما ابو زيد الذي انشا الحيل ... وهو بالمكر زائد عن الانام
انت ما تلقى لحربي يا فتى ... انت هذا اليوم تبقى في عدام

فلما فرغ الدبيسي من هذا الكلام اجابه غنيم يقول

يقول ابن مفلح من شعر نظام ... انني كريم من قوم كرام
يا ابن مزيد انني فارس عنيد ... ليس من يلقى قتالي في صدام

انت ظالم وابن ظالم يا ملك ان ظلمك مشتهر بين الانام
كيف تتعرض لامير العرب ابن سرحان الفتى الشهم الهمام
ما هو مقامك او قدرك بالورى حتى تقاتل ابن سادات الكرام
اني ابن مفلح بالحروب مجرب لا بد ما اسقيك من كاس الحمام

قال الراوي فلما انتهى من هذا الشعر والنظام صدمه بقوة واهتمام وما زالا في قتال شديد وحرب ما عليه من مزيد حتى صارت الشمس في رابعة النهار وكان الدبيسي قد استظهر عليه غايـة الاستظهار فاقتلعه من سرجه مثل العصفور وسلمه الى اصحابه فاوثقوه بالكتاف ثم صال الدبيسي وجال وطلب براز الابطال فبرز اليه الامير زيدان وصدمه بقلب اقوى من الصوان فالتقاه الدبيسي كالاسد الغضبان واخذا يتضاربان ويتحاربان واستمرا على ذلك الشان نحو ثلاث ساعات من الزمان ثم افترقا بالسلامة والامان وبينما كان الامير زيدان راجعاً من الميدان ضرب الدبيسي حصانه فارداه على بساط الفلاه فانقضت عليه جموع الدبيسي فاخذوه وفي الحال كتفوه واوثقوه فزاد به الهم والكدر وقد حلت به العبر وانشد يقول

يقول الفتى زيدان انا ولد غانم ولي عزم يقد السيوف البواتر
ايا ابن مزيد انت خائن يا فتى جبان وفي يوم اللقا انت غادر
فاطلقني اليوم ان كنت فارساً وعود التقيني يا ردي بالشواكر
فلو كان رمحي في يميني وصارمي لخليت منك الراس على الارض طاير
واني طريق البغي ما قط عرفتـه واني على طرق الهدى دوم سائر

ولكن سأصبر على ما قد صابني　　وما خاب من كان بالخلق صابر
وانا من خلفي الامير سلامه　　اذا ما هجم تلقاه كالسبع كاسر
وما عابني اسرك لانك غدرتني　　الا قاتل الله كل خوان غادر
مقال الفتى زيدان عما جرى له　　ونيران قلبي زايدات سواعر

واما بنو هلال فقد هاجت منهم النساء والرجال واستعظموا تلك الاحوال وذهب منهم جماعة من الاعيان الى عند ابو زيد فارس الفرسان فوقعوا عليه وفوضوا امرهم اليه وطلبوا منه ان يسعى بتخليص الفرسان والابطال من الاسر والاعتقال فطيب قلوبهم واوعدهم بانه سيبذل المجهود ثم انه غير زيه وتنكر ولبس حلة من الحرير الاخضر ووضع طيلساناً على راسه حتى لم يعد يعرفه احد وقصد الملك الدبيسي في الخيام ودعى له بالعز والانعام وكان كلامه معه باللغة الفارسية فلما راه الدبيسي على تلك الصفة ظن بانه من دراويش الاعجام فاحترمه غاية الاحترام وقال له من اين اتيت يا ابن الاجواد قال من مدينة بغداد واني من فقراء عبد القادر رب الفضائل والماثر فقال ادعو لنا يا درويش بالنجاح والانتصار وان الله يرزقنا بابي زيد الخادع الماكر حتى نقتله على رؤس الاشهاد ونبلغ منه مسرة الفواد وهو الذي كان السبب في قدوم بني هلال الى هذه المنازل والاطلال فاذا اجاب الله طلبك بلغناك اربك فتعجب ابو زيد من هذا الكلام وقال الله يبلغك المرام بجاه مولاي عبد القادر وباقي الاولياء العظام وما دام كذلك اريد منك ان تامر لي بالذهاب الى البلد حتى انام في جامع عبد الصمد فسمح له بالذهاب

وامر الحجاب ان تفتح له الابواب وعند دخوله الى البلد قصد باب الحديد وهو المكان الذي كانت مسجونة فيه فرسان بني هلال فوجد هناك جماعة من العبيد وهم يطوفون من خلف وقدام تحت جنح الظلام فسلم عليهم فردوا عليه السلام وقالوا له من تكون من الانام فقال قد ارسلني الدبيسي ابن مزيد لادعو له في جامع عبد الصمد لعل الله يبلغه المراد ويقبض على ابو زيد ابن الاوغاد وانتم من تكونوا من الناس فقالوا اننا من جملة الحرس قد امرنا الملك ان نحافظ على اسرا بني هلال خوفاً من ابي زيد المحتال لئلا يأتي ويفكهم بالمكر والاحتيال ثم ان ابي زيد بعد هذا الحديث اخرج من جيبه شمعة مبنجة فاضواها بعد ان فرك مناخيره ضد البنج فلما اشتعلت فاح منها رائحة زكية ولم تكن الا برهة يسيرة حتى وقعت الحراس كالاموات من ذلك البنج وبعد ذلك اخرج حجر المغناطيس فالقاه على الاقفال فتساقطت في الحال ففتح الباب فرأى سادات بني هلال في القيود والاغلال وهم يقاسون الاهوال فاعلمهم وفكهم من الاعتقال ثم اعطاهم اسلحة الجماعة وقال لهم اتبعوني بعد ساعة حتى اكون فتحت لكم ابواب المدينة فتخرجون بالراحة والامان ثم سار حتى وصل الى الباب فوجد الحراس جالسين وفي ايديهم السيوف والحراب فسلم عليهم فردوا عليه السلام وقاموا له على الاقدام واجلسوه بجانبهم وجعلوا يخاطبوه ويخاطبهم وكان كثيراً ما يمد يده الى جرابه وياخذ قطعاً من السكر وياكلها امام العسكر فقالوا له ما هذا الذي تاكله يا شلبي قال هذا ملبس حلبي فقالوا اطعمنا ونحن ندعو لك بالتوفيق

والخير فاعطاهم قبضة كبيرة وكانت مبنجة فاكلوها وما استقرت في بطونهم حتى سقطوا على الارض وفي تلك الساعة اقبلت فرسان بني هلال الذين كانوا ماسورين فساروا وجدوا في قطع البراري والبطاح فوصلوا الى اهلهم عند الصباح فقامت الافراح وكثر الصياح واشتدت ظهور الابطال وشكروا ابو زيد على تلك الفعال واما اهل البلد فقد حل بهم الويل والنكد لما رأوا الحراس راقدين والاسرا غير موجودين ولما بلغ الدبيسي هذا الخبر طار من عينيه الشرر وتاكد عنده بعد التحقيق والتفتيش ان اصل البلا من ذلك الدرويش وما هو الا ابو زيد صاحب المكر والكيد ولكنه اخفى الكمد واظهر الصبر والجلد وزحف بالعساكر والابطال لقتال بني هلال فالتقته فرسان القوم فى ذلك اليوم وكان اول من برز للدبيسي سرور ابن فايد فالتقاه الدبيسي بقلب كالصوان ولم تكن الا ساعة من الزمان حتى اخذه اسيراً وقاده ذليلاً حقيراً فبرز اليه نعيم ابن الزحلان وكان من صناديد الشجعان فاسره في الحال واوثقه بالقيود والاغلال وما زالا على تلك الحال وهو ياسر الفرسان والابطال حتى اسر خمسين فارساً من بني هلال وقد فقد منها عدة ابطال واشرفت عَلَى الوبال من هول القتال فلما كان اليوم الرابع هجم الدبيسي بالمواكب والطلائع قاصداً قتال بني هلال وانطبق عليهم من اليمين والشمال وقاتلهم اشد قتال. فكانت موقعة عظيمة لم يسمع بمثلها في الايام القديمة كثر فيها الصياح وجرى الدم وساح فما كنت ترى الا رؤوساً طائرة ودماء فائرة وفرساناً غائرة ودارت على بني هلال الدائرة واستمر

القتال على هذا المنوال حتى كثرت الاهوال على بني هلال فلم يعد لهم ثبات فتاخروا الى الوراء وتفرقوا في جوانب السحراء وقد قتل من الفريقين في ذلك النهار نحو عشرين الف بطل كرار ولما اظلم الظلام اجتمعت بنو هلال في الخيام وهم في حالة الذل والانكسار مما اصابهم في ذلك النهار وعقدوا ديواناً مع الامير حسن وطلبوا منه ان يمدهم برايه فاخذ حسن يحمسهم بالمقال ويشجعهم على الحرب والقتال ويقول لهم انه من الواجب ان تركب الجازية مع الماريات ونحمل عليهم في الصباح بالكتائب والمواكب والا حلت بنا النوائب وما يعود يسلم منا احد عند ذلك اشتدت عزائمهم على الحرب والصدام واجابوه عن فرد لسان . اننا سنقاتل نهار غداً بالسيف والسنان حتى لا يبقى منا انسان ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح دقت طبول الحرب والكفاح فركبت العساكر واصطفت على الميامن والمياسر وهجمت عساكر بني هلال على عساكر الدبيسي فالتقاهم الدبيسي بقلب كالحديد وهجمت معه فرسانه الصناديد والتقت الرجال بالرجال والابطال بالابطال واشتدت الاهوال وجرى الدم وسال وارتجت السهول والجبال وما زالوا على تلك الحال حتى تضعضعت من الدبيسي الاحوال فعند ذلك مالوا من اليمين والشمال وتفرقت جموعهم بين الروابي والتلال هذا والدبيسى ينخي الابطال ويقول من عرفني قد اكتفى ومن لم يعرفني فما بي خفا انا فارس المؤيد المدعو بالدبيسى مزيد فلا يبرز من ابطالكم المشهورة وفرسانكم المذكورة سوى ابي زيد صاحب المكر والكيد الذي اتى

الينا واحتال علينا فما اتم كلامه حتى صار ابو زيد امامه وصدمه صدمة تزعزع الجبال وفي الحال التقيا في ساحة المجال واصطدما كانهما بحرين وتهامرا كانهما نمرين وتزاحما كانهما اسدين حتى حان عليهما الحين وزعق على رؤسهما غراب البين واستمروا على تلك الحال الى نصف النهار واما ابو زيد قد استظهر على خصمه وضايقه وسد عليه طرقه وطرائقه وطعنه بالرمح في صدره خرج يلمع من ظهره فوقع على الارض قتيلاً ولما رأت قومه ما حل به خافت من الهلاك والبوار فولوا طالبين الفرار وقصدوا المدينة وقد انقطع منهم الامل فتبعهم ابو زيد وبني زحلان والامير دياب بني زغبي والامير حسن بباقي الفرسان وتبعوهم على ظهور الخيول ودخلوا المدينة تحت ظلام الليل . وضربوا فيهم بالسيوف حتى جرت الادمية في الاسواق وبليت قوم الدبيسي بما لا يطاق وكانت ساعة مريعة كثر فيها الصياح والبكاء والنواح . وقد هجمت بنو هلال على الحصون والقلاع وخلصوا اسراهم من الاعتقال ورجعوا من ساحة القتال وثيابهم كشقائق الارجوان من ادمية الفرسان ونزلوا في المضارب والخيام وقد بلغوا غاية المرام فخلعوا الحديد ولبسوا الاطالس والحرير ودارت القهوة والشربات على الامراء والسادات وفي ثاني الايام نهض وزير الدبيسي همام واخذ مزيد ابن الدبيسي وامه بدرا وسار بهما الى عند الامير حسن ابن سرحان فدخل وسلم عليه وبكى بين يديه وطلب منه العفو والامان وان يعاملهما باللطف والاحسان ثم تقدمت الاميرة بدرا وسلمت على الامير حسن وتمثلت بين يديه هي والامير مزيد ثم

تقدم بعدهما الوزير همام الى امام الامير حسن وقال له العفو يا ملك الزمان فقد نصحت الدبيسي جملة امرار وحذرته من عواقب الامور فلم يسمع كلامي الى ان نفذ به الامر المقدور ثم اشار يقول

يقول الفتى همام عما جرى له ونيران قلبي زائدات لفاح
ايا ابو علي قد اتيتك بعزوتي فاقبل رجائي ثم قول سماح
فاما الدبيسي كان باغي بحكمه ومعي ترى قد زاد بالاقباح
فجزاه رب العرش في سؤ فعله وقد راح من جبره بسؤ رواح
وهذي نسائه يا امير وابنه وفيك استجاروا اليوم يا ذباح
وهذا مزيد عاد اليك والتجى فوليه على العربان في الاصلاح
ونحن بطوعك يا امير ابو علي مطيعين لامرك ان تقول سماح

قال الراوي فلما فرغ الوزير من كلامه وفهم حسن فحوى قصده ومرامه اجابه الى ما طلب فاكرم مزيد وامه غاية الاكرام وخلع عليهما الحلع الفاخرة وانعم ايضاً على الوزير وزاد له في التعظيم والتوقير ونادى بالامان وزالت الاكدار والاحزان وكان مزيد خاطب ابنة عمه هند وكانت من النساء المحسنات فاعلم الوزير الامير حسن بذلك الخبر وطلب منه ان يزفها عليه قبل رحيله فاجابه الى ذلك الطلب وبلغه غاية الارب وفي الحال ذبحوا النوق والاغنام ودارت الافراح مدة سبعة ايام وبعد تمام الافراح والسرور والانشراح ولى الامير حسن مزيد مكان ابيه على تلك البلاد وطاعته جميع العباد وكان هذا الغلام محبوباً من جميع الانام لانه كان عاقلاً فهيماً سخياً كريماً يحب العدل

والانصاف ويكره الجور والاسراف

قال الراوي وبعد تمام عرس مزيد بعشرة ايام امر الامير حسن بهد المضارب والخيام وجميع المكاسب والاغنام وامر بالاستعداد للحرب ودق طبل الرجوج للرحيل الى بلاد الغرب وحينئذٍ اجتمعت الفرسان من كل جانب ومكان. فركب الامير ابو زيد والامير دياب والقاضي بدير وركب الامير زيدان شيخ الشباب والاسد المهاب بستين الف من الشباب وركبت الجازية مع العماريات وحينئذ ركبت الفرسان ظهور الخيول واعتقلوا بالسيوف والنصول وانتشرت البيارق وارتفعت السناجق وكانت الفرسان تهوج وتموج مثل ايام هاجوج وماجوج. وجدوا في قطع البراري والقفار والسهول والاوعار وهم يوصلون سير الليل بسير النهار حتى وصلوا بعد عشرة ايام الى بلاد الاعجام. فنزلوا في مرج واسع كثير المياه والمنابع فنصبوا المضارب والخيام

﴿ انتهى الجزء الثالث من تغريبة بني هلال ويليه ﴾
﴿ الجزء الرابع وهو يحتوي على قصة الاعجام وسبي ﴾
﴿ المارية ابنة القاضي بدير وما جرى للاعجام ﴾
﴿ مع بني هلال من الحروب والاهوال ﴾

يباع مع جميع القصص والكتب باسعار مهاودة في مكتبة
الترقي لصاحبها شكري الخوري وشركاه
في بيروت

كتاب الرابع

من تغريبة بني هلال

﴿ وهو يحتوي علَى قصة الاعجام وسبي ﴾
﴿ المارية ابنة القاضي بدير وما ﴾
﴿ جرى للاعجام مع بني هلال ﴾
﴿ من الحروب والاهوال ﴾

يطلب من

مكتبة الترقي

لصاحبها

شكري الخوري وشركاه

شرقي ساحة البرج اول طريق النهر . (بيروت)

حرب بني هلال مع ملوك الاعجام

قال الراوي وكان الحاكم على بلاد الاعجام . في تلك الايام . سبعة ملوك عظام وهم خرمند وعلي شاه والصنصيل والمغل وبندر والمنذر والنعمان ولما نزلت بنو هلال في ذلك المكان . اطلقوا مواشيهم في المراعي وكانت كثيرة الخيرات والاشجار والنبات وفي مدة يسيرة اكلت المواشي العشب والاشجار والبساتين والاثمار وبعد ان اخذوا الراحة وامنوا من نوائب الزمان . رجع الامير حسن والقاضي بدير الى نجد في جماعة من الاجناد لتحديد البلاد . وبعد رجوع الامير حسن والقاضي الى نجد اجتمعت ملوك الاعجام عند الخرمند وجعلوا يتداولون في امر نزول بني هلال في ذلك البر وبعد محاولات طويلة قال الخرمند اعلموا ايها السادات ان بني هلال قد ملأوا البلاد وهم كل يوم في ازدياد فقالوا الراي عندنا ان نبادرهم بالقتال ونسبي حريمهم والعيال وننهب نوقهم والجمال قبل ان تكثر جموعهم علينا وتصل اذيتهم الينا

قال الراوي وكان الملك النعمان حاضراً في الديوان فصعب عليه ذلك الامر لان اصله من بلاد العرب فقال للملك خرمند ان كان لابد لك من حرب بني هلال طمعاً بالغنائم والاموال فارسل اطلب منهم عشر المال فان امتثلوا امرك الشريف واجابوك لطلبك تكون قد بلغت منهم المرغوب وان امتنعوا عن ذلك فحينئذ تبادرهم بالقتال

وتنهب اموالهم ومواشيهم وتطفي آثارهم وتلاشيهم فلما سمع منه هذا الخطاب راه عين الصواب وكذلك صادقت عليه سادات الاعجام ثم ان خرمند بعد هذا الكلام استدعى بقلم وقرطاس وكتب الى بني هلال يطلب منهم عشر المال او يرحلوا من بلاده والاطلال

يقول الملك خرمند حاكم بلاده ... مليك على الاعجام قوماً صعائب
يا غادياً مني على متن ضامر ... تسبق هبوب الريح مثل السحائب
فتهدي هداك الله فخذلي رسالتي ... مكتوبةً مني لقوم اطائب
فاقرا سلامي على هلال جميعهم ... سلام حبيب موهلا للحبائب
وسلم عَلَى حسن الدريدي ابو علي ... فذاك حسن امير كل الاعارب
وسلم على الزغبي دياب ابن غانم ... يكنى ابو وطفى سليل الاطائب
وسلم على القاضي بدير ابن فائد ... امير قد سما اعلى المراتب
وسلم على ابي زيد الهلالى سلامة ... امير ابن امير من فروع اطائب
وقل له من اى باب دخلتم بلادنا ... رعيتم مراعينا وكل العشائب
فان رمتم ان تقيموا بارضنا ... وترعوا مراعينا وكل الجنائب
فهاتوا لنا عشر المال مع الخدم ... وعشر النسا والخيل ثم النسائب
وهاتوا لنا الفين حمرا اصايل ... والفين مهر طائعات نسائب
وهاتوا لنا الفين درعاً وخوذة ... والفين سيفاً ماضيات قضائب
والفين دبوساً مفرش ومنجلى ... والفين ترساً والف رمح كعائب
والفين عبداً يا امير وعبدة ... وميتين سرية ملاح كواعب
وهاتوا لنا ميتين بنت مزخرفة ... بنات الامارا راخيات النقائب

فان جبتم المال الذي قدرته … تكونوا احباب لنا وعز صحائب
فان ابيتم ولم تجيبوا سوالنا … تريدوا الاقامة بارضنا والسباسب
واهجم عليكم في الصباح بعسكري … وانهب مواشيكم مثل نار اللهائب
واقتل اكابركم وافني جموعكم … وادعي جثثكم فوق اعلا الترائب
فهذا قول خرمند حاكم بلاده … ويحكم على الاعجام قوماً اصعائب

قال الراوي فلما فرغ الخرمند من كلامه طوى الكتاب واعطاه الى نجاب وامره ان يسير الى حلة بني هلال ويدفع الكتاب الى نائب الامير حسن ابن سرحان ويرجع اليه من غير توان فامتثل النجاب امره وسار حتى وصل الى تلك الديار . فسال عن نائب الامير حسن فارشدوه الى مضارب ابو زيد فدخل وسلم عليه وتمثل بين يديه واعطاه الكتاب وطلب منه سرعة الجواب . فلما فتحه وقراه وعرف رموزه ومعناه مزقه ورماه وكتب الى الخرمند هذا الجواب

يقول ابو زيد الهلالي سلامه … فلا يكتم الاسرار غير الاصايل
ولا يكشف الاخبار غير خائن … ردي الاصل من قوم ارازل
انا ابو رزق الحيل من اهل عامر … رامي شريفة من خيار القبائل
سميت ابو زيد على الناس زايد … كريم شجاع من كرام افاضل
زدت عليكم بالاصل والسخا … والانس واللطف وحسن الخصائل
ياغادياً بالله خذ لي رسالتي … لتقرا على الاعجام قوماً اصائل
وسلم على الخرمند امير جميعهم … وكل كبار الفرس اهل الفضائل
بعثت يا خرمند تطلب لعشرنا … عشر النسا ثم الخيول الاصائل

وتريد منا كل بيضة جميلة ... بنات الامارا زايدات الدلائل
فما تحظى بهم فان وراهم ... رجال حروب كالاسود تقاتل
وراهم حسن امير قيس وعامر ... مربي اليتاما في سنين المحامل
وراهم ابو موسى دياب ابن غانم ... اذا ركب الخضرا تروحوا اجفائل
وراهم ابو تكنا بدير ابن فائد ... وزيدان مع موسى قروم حلاحل
وتعلم جميع هلال ثم عدادهم ... اربع تسعينات تحمي المنازل
وانا ابو زيد الهلالي سلامه ... وذكري شاع ما بين القبائل
سالقاكم غدا بقوة ساعدي ... وجيش بني هلال اهل الفضائل
وان كنتم لا تبرزوا لقتالنا ... فاني سالقاكم بوسط المنازل
واقتل اكابركم وكل رجالكم ... واهدم الى الكوفة فتصبح رمائل
يقول ابو زيد الهلالي سلامي ... ستذكرني الفرسان في يوم الهوائل

قال الراوي ولما وقف الخرمند على هذا الشعر والنظام صار الضياء في عينيه كالظلام . وقال هل بلغ من قدر بني هلال ان يخاطبوني بمثل هذا المقال . وانا ملك بلاد العجم وذكري شائع في جميع الامم . ثم انه استدعى في قواد العساكر ومن يعتمد عليهم في الحروب والمخاطر وامرهم ان يستعدوا للقتال ويجمعوا الفرسان والابطال فامتثلوا أمره في الحال وجمعوا الابطال والفرسان حتى اجتمع خمسمائة الف عنان وارسل الى بلاد خرسان ان تمده بالجيوش والعساكر . ثم انه ركب في ثاني الايام للحرب والصدام ولما بلغ ابو زيد هذا الخبر ركب في جموع بني هلال واشتبك بين الفريقين القتال وعظمت الاهوال فهجمت العجم

على العرب بقلوب كالجبال فالتقتها بنو هلال بالسيوف والنصال وبذلوا في ذلك اليوم غاية المجهود. وما زالوا على تلك الحال وهم في اشد قتال الى ان ولى النهار بالارتحال واقبل الليل بالانسدال. فافترقوا عن بعضهم البعض ونزلت كل طايفة في ناحية من الارض.

قال الراوي ولما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح دقت طبول العجم فركبت الابطال وتسارعت الفرسان الى ساحة المجال فالتقتها بنو هلال وفي اوائلها ابو زيد ليث الميدان ولم تكن الى ساعة من الزمان حتى التقت الرجال بالرجال والابطال بالابطال وكانت العجم قد تقدمت الى قدام بقلوب قوية وهمم علية وصدمت العرب صدمات الجبال وما زال الحرب بين القوم الى ان ولى ذلك اليوم وكان الانتصار للعجم. فارتدت العرب الى الوراء بعد ان كانت ظافرة

قال الراوي ولما اصبح الصباح ركبت العرب على ظهور الخيول وتقلدوا بالسيوف والنصول وطلبوا ساحة الميدان ومقام الحرب والطعان فالتقتهم الاعجام واخذوا في الحرب والصدام. وكان اول من برز من بني هلال وطلب براز الفرسان الاسد الكاسر والبطل القاهر ليث المعارك والوقائع الامير ابو زيد وانشد وقال

يقول ابو زيد الهلالي سلامي ... ولي عزم امضى من رهيف حسام
انا فارس الفرسان في يوم الوغا ... انا قاتل الابطال يوم صدام
ولي همة قد شاع في الناس ذكرها ... وصيت في بلاد العرب والاعجام
لقد اتيت اليوم قاصد حربكم ... فابرزوا لي ايها الاقوام

ولا يبرز لي غير كل مجرب وكل شجاع وسيد مقدام
فسوف تروا ماذا يحل بجمعكم من سيف ابوزيد الفارس القمقام

قال الراوي فلما انتهى ابوزيد من شعره ونظامه برز اليه من صفوف الاعاجم فارس موصوفاً بالشجاعة والمكارم يقال له الهامرز ويلقب بفلاق الجماجم . فحمل على ابوزيد حملة اسود الغاب فالتقاه ابو زيد بالحسام واخذ معه في الحرب والصدام واشتد بينهما القتال وكانا تارةً يتقدمان وتارة يتاخران وكانت جميع الابطال والفرسان شاخصة اليهما بالعيان ومازالا على تلك الحال وهما في اشد قتال حتى علا عليهما الغبار وحجبهما عن عيون النظار ولم تكن الا ساعة من الزمان حتى استطال ابوزيد على خصمه في ساحة الميدان . فضربه بالسيف على عاتقه خرج يلمع من علائقه فوقع على وجه الارض يختبط بعضه ببعض فلما رأت طوائف العجم ما حل باميرها بربرت وحملت من اليمين الى الشمال فكانت موقعة مريعة قتل فيها كثير من الفرسان المشهورة فلله در ابو زيد البطل الحلاحل فانه شق الصفوف والجحافل وتبعه من بني هلال كل شجاع مقاتل وقدهان عليهم الموت الاحمر املاً بالنجاح وبلوغ الوطر ومازال القتال يعمل والدم يبذل والرجال تقتل الى ان ولى النهار فعندذلك دقت طبول الانفصال وكان قد قتل من العجم في ذلك النهار اوفى من عشرة الاف فارس كرار وقتل من بني هلال خمسماية من الابطال . ولما نزلت بنو هلال في المضارب والخيام جمع ابو زيد الفرسان وقال لهم اعلموا يابني الاعمام ان الاعجام كثيرة العدد ونحن قليلوا المدد وليس لنا من معين ولا ناصر

سوى السيوف البواتر فمن الواجب ان تثبتوا ثبات الاسود الكواسر ولا تبالوا بالاهوال والمخاطر والا هلكنا ولم يبقَ منا احد فاجابوه انهم سيبذلون المجهود ويقاتلون قتال الاسود

قال الراوي ولما اصبح الصباح دقت العجم الطبول ونفخ النفير وعلت منه الضجات وارتجت مع ركض خيولهم الاراضي والفلوات . وهم يهمهمون ويدمدمون ويبربرون . وكانت بني هلال قد ركبت عند طلوع النهار وفي اوائلها الاسد الكرار والبطل المغوار ابو زيد القهار الذي شاع ذكره في سائر الاقطار وخضع له كل صنديد وجبار . ولما التقى العسكران حملت الابطال على الابطال والفرسان على الفرسان ووقع السيف والسنان على المواكب والابدان وتقدم الشجاع وولى الجبان . وعظمت الاهوال والمصائب وكثرت المخاوف والنوائب . وكان يوماً من اعظم الايام فيه فتكت العرب بالاعجام وقتلت منها ستة الاف من الابطال الموصوفة وكسرتها الى قرب الحلة والكوفة . وكانت العساكر والفرسان التي ارسل خرمند في طلبها من بلاد خرسان قد حضرت في مساء ذلك النهار فملاءت بكثرتها جوانب القفار ففرح خرمند بقدومها وامل بالنجاح والانتصار ولما اصبح الصباح ركبت الاعجام طالبة الحرب والصدام فالتقتها بنو هلال وبذلت غايت مجهودها في نوال مرغوبها ومقصودها ولكنها قد تاخرت الى الوراء نظراً لكثرة اعدادها وطلبت جوانب الصحراء وكسبت منها العجم عدة من الخيل والجمال والامتعة والاموال . ورجعت بنو هلال من معركة القتال في اسواء حال . وفي

اليوم الثاني ركب ابو زيد في الرجال والابطال وهو ينخي الفرسان ويشجعهم على لقا الاخصام وقال لهم هذا اليوم عليكم من اعظم الايام ثم التفت الى السيد الكريم الامير غنيم وهو خطيب المارية بنت القاضي بدير بن فايد . وجعل يحمسه في الكلام ويشجع قومه على الثبات ثم فهم غنيم وقومه فحوى كلامه. وتحمست الفرسان والابطال واشتدت قلوب الرجال وماجت بنو الزحلان وبنو هلال . وارتدوا على طوائف الاعجام كليوث الآجام وقدامهم ابو زيد فارس المعامع وهو يهدر كالاسد الكاسر ولا يبالي بالاهوال والمخاطر وقد فضل الممات على الانهزام والشتات هذا وقد فتكت ابطال بنى هلال بالعجم فتك الذئاب بالغنم واوردتها موارد العدم وكانت ساعة من اعظم الساعات فيها ارتفعت الضجات وتمكنت الصوارم في رؤوس الفرسان والسادات فعند ذلك ولت الاعجام هاربة والى النجاة طالبة وخلص ابو زيد من ايديهم النسا والبنات ورجع بالنصر والاقبال الى المضارب والابيات مع باقي الامارا والسادات هذا ما كان من ابو زيد الاسد الكرار والبطل المغوار وما فعله في ذلك النهار. واما المارية ابنة عم الامير غنيم فكانت في هودج على جمل اهوج فلما اشتد القتال انهزم بها ذلك الجمل وسار بها على عجل فرأت نفسها بقرب الحلة والكوفة والصنصيل وراء هودجها طالب اخذها فصاحت على ابن عمها من ملو راسها وكان المذكور بالقرب منها . فلما سمع نداها ترك القتال واتاها . فجعل يطعن الابطال ويمدد الفرسان على وجه الرمال حتى اقترب من نواحيها وهو يصيح ويناديها ويقول لبيك يا ابنة

عمي وفارجة همي وغمي فقد اتيتك فابشري بالخلاص من شرك الاقتناص فلما راته فرسان الاعجام قد تقدم . مالت عليه من خلف وقدام واخذت معه في الحرب والصدام . فبينما هو يقاتل ويدافع واذا بالصنصيل قد فاجاه من خلف ظهره وطعنه بالرمح فخرج من صدره فوقع على الارض قتيلاً وفي دمه جديلاً . فساق الصنصيل هودجها في الحله بينما كان ابو زيد مشتغلا بالقتال وما عنده خبر بهذه الاحوال فلما امسا الظلام ورجع ابوزيد عن الحرب والصدام دخلت مارية الحله مسبيه مع الاعجام وهي تبكي وتصيح وتستغيث من فوادقريح وليس من يسمع نداها

قال الراوي وبينما كان الامير ابوزيد في خيامه مع سادات اقوامه وهم يشربون المدام وياكلون الطعام والنساء تدق لهم بالدفوف وتدعوا لهم بطول العمر على ذلك النجاح والنصر واذا بالابطال قد اتوا بجثة غنيم من ساحة القتال واقاموا عليه النواح والصياح . فسال ابو زيد عن السبب فقالوا يسلم راسك بالامير غنيم فانه كان يقاتل بقرب هودج مارية الى ان ضايقته الابطال فقتل وشرب كاس الحمام وراحت مارية سبية مع الاعجام . فلما سمع ابو زيد هذا الخبر تنغص عيشه وتمرمر وطار من عينيه الشرر ولكنه لما راى نفسه مغلوب من العجم لكثرة ما عندهم من الخلائق والامم كتب الى الامير دياب يعلمه بواقعة الحال ويطلب منه المعونة في القتال وارسل الكتاب مع عشرة ابطال . فلما وصل الكتاب الى الامير دياب ووقف على ما تضمنه من الخطاب امتنع عن الحضور

وقال الرئيس اولى الحماية الجمهور وهذا امر لا ينبغي غواليه فلما وقف ابو زيد على هذا الخطاب غاب عن الصواب وغضب من كلام دياب ثم انه كتب الى الامير حسن ابن سرحان يعلمه بهذا الشان ومثل ذلك الى القاضي بدير يعلمه بما جرى بينه وبين الاعجام

فلما فرغ ابو زيد من ذلك الكتاب وسلمه الى النجاب وامره ان يجد في مسيره حتى يصل الى بلاد نجد ويسلمه الى الامير حسن ويرجع اليه بسرعة الجواب

قال الراوي ومن الاتفاق الغريب بان القاضي بدير راى في تلك الليلة حلماً وهو انه كان قابض على حمامة بيضاء واذا بعقاب اسود قد هبط من الجو فخطفها وطار فاستيقظ من المنام وهو في قلق عظيم وسار الى عند الامير حسن وقص عليه الرؤيا فقال يا ابن العم ان هذا الحلم يدل على ضيق وغم وان صدقني حذري ولم يخطني فكري فاقول ان ابا زيد مع باقي الفرسان في اشد ضيق الان وان ابنتك مارية قد خطفتها الاعجام . فلما سمع القاضي هذا الكلام صار الضيا في عينيه كالظلام . وقال له ما دام الامر كذلك فيجب ان نركب حالا ونجد في قطع القفار ونكشف خبر قومنا في تلك الديار . فاجابه الامير حسن الى هذا المرام . وركبوا في ساعتهم ومعهم فرسان الصدام وقصدوا تلك الاطلال قاصدين بني هلال . وكان ذلك النجاب الذي اخذ لهما الكتاب قد صار قصدهما ولكنه اخطاهما في الطريق . وعند وصولهما بالعساكر والابطال الى اول نجوع بني هلال . فالتقى الامير حسن

باحد العبيد وكان اسمه سعيد فسأله القاضي بدير عن احوال القوم فاجابه يقول

يقول سعيد راعي البوش صادق ... فمن بعدكم هلال ياما جرى لها
فثارت جموعنا والتقت بجموعهم ... وجرى بيننا حرب يشيب طفالها
وقد كسبوا منا ثمانين بنت مزخرفة ... بنات الاماره فوق عالي بكارها
وما رد البنات سوى ابو زيد اميرنا ... هزم الى الاعجام بطعن نصالها
وما راح منهم غير بنتك خطيفة ... ساروا بها الاعجام في اطلالها
تاه الجمل فيها وقد طلبت الخلا ... وصاحت لغلمان لها ورجالها
فهجم اليها غنيم ابن مفالح ... كجلمود صخر انحدر من جبالها
وقد قتل من الاعجام عدة ... بالسيف القاهر غنيم قبالها
تهيا له سهماً من البين اصابه ... بحربة تشابه الشمس عند اشتعالها
ودخلوا بها الحلة وسدوا بابها ... وعادت ملوك العجم تنظر دلالها
بكينا عليها يا امير جميعنا ... ومن اجلها شق العذارى ذيالها

فلما فرغ سعيد من هذا الشعر والنظام صار الضيا في عيني القاضي كالظلام . وقال له خيبك الله على هذه البشارة ثم انه سار مع الامير حسن حتى اشرفوا على الامير دياب فالتقاهم دياب بالاكرام والترحاب وطلب منهم ان ينزلوا عنده فابى الامير حسن وقال له علامك ياامير ما ركبت مع ابو زيد على قتال الاعجام اتسبى الحريم والعيال وتنهب النوق والجمال وانت جالس في الخيام بدون فكر ولا اهتمام . قال ان الذي منعني ياملك الزمان هو خوفاً من هجوم العدا الى هذا المكان فتنهب

الاغنام . ثم ركب دياب مع القاضي والامير حسن وركبت معه الابطال والفرسان . وما زالوا يجدون المسير حتى وصلوا الى عند ابو زيد فالتقاهم بالتعظيم والاحترام وكان ذلك النهار عنده من اعظم الايام فنزلوا عنده فذبح لهم الاغنام وقدم لهم الطعام والمدام فامتنع الامير حسن عن الاكل وهو مغتاظ زعلان فساله ابو زيد عن سبب ذلك فقال انني مغتاظ عليك كيف تفقد المارية من يديك . ثم انشد يقول

يقول الفتى حسن الدريدي ابو علي ... ولي قلب من جسور الزمان ملاه
ابو زيد انا مغبون والهم زادني ... وما عاد عندي حيل ادوم قواه
على شان اخذ المارية وانت حاضر ... وانت امير القوم اعظم جاه
وابواب كل الحرب انت ملكتها ... وما حازها غيرك بضرب قناه
واسمك ابو زيد على الناس زائد ... وغيرك كبير القوم ما نرضاه
ابو زيد اعلمني ابو زيد قول لي ... كيف العجم ظفروا يا ويلاه

فلما فرغ الامير حسن من هذا الكلام اشار القاضي يعاتب ابو زيد على سبي ابنته بهذا الشعر والنظام

يقول الفتى القاضي بدير ابن فايد ... قلبي احترق ياعزوتي في نارها
ابو زيد اين المارية قد قوطرت ... دون الحريم وما احد قد جالها
كنت المأمل فيك من نحو الحريم ... وانت كبير القوم نعم كبارها
هل عدت بعد اليوم انظر وجهها ... وتراها عيني مع جميع جوارها
لو كنت حاضر حربكم وقتالكم ... لفتكت في الاعجام مع ابطالها
وضربت فيهم يا امير بصارمي ... حتى اريهم حربها وقتالها

واجيب بنتي لو قتلت بقربها — واخذت من جند الاعاجم ثارها

فلما فرغ القاضي من شعره وفهم ابو زيد فحوى كلامه اجابه يقول . وعمر السامعين يطول

يقول ابو زيد الهلالي سلامي — بدمع جرى من مقلة العين نابع
يا ابو علي اسمع كلامي وافتهم — وانت ياقاضي فكن لقولي سامع
اتونا بنو الاعجام من كل جانب — سبعة ملوك من غير التوابع
فصحنا عليهم هاجمين بعزمة — قتلنا منهم الفين ما عدا التوابع
فكانت فتاة الحي مارية المها — غدت فعاد فيها القوم طوامع
جفل بكرها فيها وانا ما رايتها — وقلبي لاجل الماريه عاد واجع
وعادت تنادي الصوت يا آل عامر — وتومي بايديها وتلوي الاصابع
اتى نحوها المدعو غنيم ابن مفلح — وقاتلهم بقلب شديد غير واجع
طعنه الملك صنصيل بالرمح صابه — بحربة نورها كالشمس ساطع
وحان ظلام الليل بيني وبينهم — وعاد العجم من بعد هذه الوقائع
وحق كلام الله والبيت والحجر — فلا بد لي من حربهم ان اسارع
ولا بد لي من ان اجيب الماريه — واهدم الكوفة وارتد راجع

فلما فرغ ابوزيد من كلامه قال له الامير دياب والله يا ابوزيد لو كنت حاضر قتال العجم ما كنت تركتهم يسبوا المارية ويسطوا على الاموال والحريم بل كنت قاتلت اشد قتال . او ان اموت تحت ارجل الخيل والابطال . فلما سمع ابوزيد هذا الكلام كان عليه اشد من ضرب الحسام . فالتفت اليه وقال له امام الاعيان صدقت يا دياب ابن غانم .

وبما انك كنت قادر على كسر الاعجام فلماذا ماحضرت واظهرت شجاعتك في الميدان عندما ارسلت خلفك عشرة فرسان . ولابد من ان تقصدنا الاعجام وحينئذ ترينا شجاعتك في معركة الصدام واما ما كان من الاعجام فانهم لما رجعوا الى اوطانهم . تنازعوا ملوكهم على المارية بنت القاضي بدير وكان كل واحد يريد ان ياخذها لنفسه دون الغير وذلك لما فيها من الحسن والجمال والبهاء والكمال . فاتفق رايهم على اعطائها للشاد خرمند لانه كان من اكابر الملوك . وانهم يركبوا على بني هلال مرة ثانية وكل من يكسب امراة تكون له مثل المارية . وفي ثاني الايام ركبت ملوك الاعجام على بني هلال . فركب الامير حسن واستقبلهم في ساحة الميدان . ما عدا ابو زيد فانه يركب معهم لقتال القوم وجعل نفسه مريضاً في ذلك اليوم . ولما انتشب القتال . وعظمت بين الفريقين الاهوال . هجمت الاعجام على بني هلال مثل اسود الدحال وقاتلت اشد قتال . وجعلت ترميهم بالنشاب وتطعنهم بالمزاق والحراب بدون خوف ولا ارتياب . فلما رات بنو هلال تلك الاحوال وهجوم العجم عليهم من اليمين والشمال خافوا من الهلاك والوبال . فارتدوا الى خلف وانهزموا اشد انهزام وتبعتهم فرسان العجم حتى ادخلوهم الى الخيام ثم داروا ينهبوا في الابيات ويسبوا النساء والبنات . فوقع البكا والنواح وزاد العويل والصياح . فلما سمع ابو زيد عويل النسوان والاصوات التي ترتعش من سماعها الاذان . عظم عليه الحال وعصفت في راسه نخوة الرجال . فركبت الابطال والفرسان . وفي ايديها السيوف والرماح . فالتقى بعسكر الاعجام

وحكم في رقابهم ضرب الحسام فردهم عن المال والحريم باذن الله الملك العظيم . فارتدوا منهزمين والى الكوفة طالبين وهو وقومه وراهم مثل الشواهين . الى ان بلغ منهم المراد . وقتل عدداً كثيراً من الاجناد ثم ارتد منتصراً . وعند وصوله الى الصيوان التقاه الامير حسن ابن سرحان . وشكره على تلك الفعال وقال له مثلك تكون الابطال يازينة الرجال فلولاك كنا في اسوأ حال . وصرنا معيرة بين سائر العربان على طول الزمان وكذلك القاضي بدير فانه اثنى عليه وكان متأسفاً على فقد ابنته مارية امام الحاضرين فقال ابو زيد للقاضي كن مطمئن الخاطر من هذا القبيل فلابد لي من خلاص ابنتك ايها القاضي الجليل واشفي من عساكر العجم الغليل ثم ان ابا زيد صبر الى وقت الظلام ونهض كسبع الاجام وتزيا بزي الاعجام وسار الى مدينة الكوفة محل الاعاجم وفي صحبته عبده ابو القمصان وبدر ابن غانم وعند وصوله اليها وجد ابوابها مغلقة فدار من جميع الجهات فلم يجد منفذ فبينما هو يتفرج ويتأمل اذ راى دهليزاً صغيراً فنزل فيه فاوصله الى البلد فالتقى جماعته بانتظاره واخذ يطوف من زقاق الى زقاق ويجول بين الحارات والاسواق وهو يتجسس بالاحوال ويتوقف على الاخبار وكان كلما نظر اليه انسان يكلمه في لغة الاعجام بافصح لسان وما زال سائر من مكان الى مكان حتى وصل الى حارة عظيمة البنيان ذات اربعة عمدان وفوقها قصر جميل الهندام من الرخام وشبابيكه مصفحة بالذهب واذا به يسمع صوت الات الطرب فقال ابو زيد في نفسه ان صدقني حذري هذا قصر

الملك خرمند لامحال . لما عليه من الهيبة والجلال . ونظر ايضاً الى شجرة من السرو واصلة اغصانها الى شباك القصر فصعد عليها حتى وصل الى اعلاها ولما صار عند الشباك وجه نظره الى تلك الغرفة فوجدها من احسن الغرف مزينة بالفرش الفاخر . ووجد سبعة ملوك العجم جالسه على كراسي من الذهب ومارية جالسة بينهم كانها القمر وهي لابسة ثياب تذهل البصر . وكانت ملوك الاعجام تشرب المدام والمغاني تغني لهم بانواع الانغام . فبينما هم كذلك واذا بخرمند التفت الى مارية وقدم لها كاساً من المدام . وقال لها خذي واشربي يابنت الكرام وغني لنا بافصح كلام حتى يزيد انشراحنا ويكمل سرورنا وافراحنا . فامتنعت عن الشراب وزادت في البكا والانتحاب . فلم يهن ذلك على الملك النعمان فنهض من وسط الديوان وكان اصله من العربان . وكان الملك خرمند متزوج بابنة هند . فقال دعوها ولا تكلموها فانها من بيت كبير وابوها قاضي وامير وهذا لا يفعله حقير ولا صعلوك فكم بالحري الملوك . ولكن من جهة الغنا فهذا ليس فيه عيب ولا تعب ولا عنا . ثم التمس منها النعما ان تغني بابيات حسان ولا تخاف من عواقب الزمان . فلما سمعت هذا الكلام اشارت تغني وتقول وتشكو حالها لبنو هلال من فواد متبول

تقول فتاة الحي مارية المها فنار الضنا والشوق يكون ضميرها
بالله يا ريح الحجاز اذا سرى تهدي هداك الله خذلي سطورها
اذا جيت الى نجد المدية بلادنا فسلم عَلَى كبيرها مع صغيرها
وقل لهم عني والقول صادق باني الى الاعجام صرت اميرها

وقل لهم لا يحملوا سمر القنا ويلقوا عمايمهم ويرموا حريرها
الا يا هلال فانجدوني بسرعة فقد صرت في ذل حال عسيرها
وان لم تنجدوني طال ذل خاطري وصندوق صدري ضاق في تكسيرها
وقد جابني الخرمند داخل قصره مع المغل والصنصيل ومنذر ووزيرها
وفي قربه القمقام اخاه بن والد يشبه دياب الخيل قرماً بغيرها
وهو جالس فوق كرسي من ذهب ولاقي عليها خزها وحريرها
فقال لي من اي قوم مارية فقولي كلام الصدق بدر منيرها
فقلت له من عزوة هلال وعامر انا بنت سيدها انا بنت اميرها
فبالله ياريح تحمل رسالتي واحمل سلامي بالعجل وسطورها
ورح الى ابي زيد الهلالي سلامي فقبل لرأسه فهو خير اميرها
وقل له قالت فتاة المارية شكت امرها فانهض اليها وجيرها
ابو زيد ابو زيد يا كاسب الثنا ارحم فتاة تاه فيها بعيرها
فهم يضربون الخمر والكاس داير براطيمهم زادت عليّ هديرها
الا ياذياب الخيل عاون سلامي وكل هلال كبيرها وصغيرها

فلما فرغت المارية من هذا الشعر والنظام. طربت ملوك الاعجام وشرب خرمند كاس المدام. ثم اعطاه الى الساقي ليسقي الباقي فاملاه وقدمه الى الصنصيل فاخذه والتفت الى مارية امام الناس وقال عينك على هذا الكاس وجعل يتامل في حسنها وجمالها وهو مدهوش من حسن وجهها وقدها واعتدالها. ثم انشد وقال

يقول الفتى صنصيل صادق الا يامارية قومي اطربيني

وغني لي على كاسى بيوتي وهاتي من نظامك سمعيني
وقومي اجلسي بالقرب مني لانظر حسنك في ظرف عيني
اخذناك سبية يا مليحة بسيفي ثم رمحي ذا الرديني
فقومي اشربي كاساً وطيبي يزول الهم عنك والغبوني

قال الراوي فلما فرغ الصنصيل من هذا الشعر والنظام اجابته مارية بهذا الشعر تقول

تقول المارية بنت المسمى ابو تكنـا ذو الرأي المتين
انا قد كنت عند اهلي بنعمة واهل الارض طرا يعرفوني
اتونا الفرس من كل النواحي فغاروا بجمعهم مثل الحصون
وقد قتلوا غنيم ابن عمى وما زالوا الى ان سبوني
متى تنظر عيوني الى سلامه ابو ريا الاسد العرين
يكر على الفوارس لا يبـالي ترج الارض من عزمه المتين

فلما فرغت المارية من شعرها ونظامها وفهمت ملوك العجم فحوى كلامها . قال الخرمند الى الساقى املي كاس المدام وناوله الى المارية بدر التمام . حتى تفرح وتطرب ويزول عنها الحزن والكرب . فخجلت مارية من الناس وقالت للنعمان اني لا اشرب من هذا الكاس لانك كما تعلم ايها السيد المعظم بان مشروبنا هو حليب النوق والغنم ولا نشرب غيره من المشروبات لاسيما النساء والبنات . فان ذلك عندنا من اعظم العار . فاعتذر النعمان عنها الى خرمند امام الجلاس وقال له اعفهـا من هذا الكاس لانها غير معتادة وليس في التكرار افادة . فتناول الخرمند الكاس

من الساقي وقال له اريد منك الان ان تصف لي مارية امام هولاء الملوك وتذكر حسنها وجمالها وقدها واعتدالها. فقال سمعاً وطاعة ثم اخذ السنطير وجلس امام الجماعة. وانشد هذه الابيات

يقول فراج انا ساقي الملوك ... الدمع من فوق الخدود تبددا
من رؤيتي للمارية عقلي شرد ... ما عاد لي صبرا بان اتجلدا
الشعر منها مثل ليل دامس ... اومثل لون غراب طائر اسودا
والوجه منها مثل بدر طالع ... وجبينها يسطع كبدرا موقدا
وعيونها مثل الغزال فواتك ... فكانها حورية تتوقدا
وخدودها كالورد تزهو كانها ... تفاح شامي احمرًا ومورِدا
وشفافها تمر العراق وسكرًا ... وسنانها تزهو كدر منضدا
البطن مطوي كالحرير فانه ... يبري عليلا بالفراش موسدا
ان طعتني خرمند ارسل مارية ... ارسل لبنت البدو باكرمن غدا
لاتحسبن لا منجد في قومها ... هذي وراها كل قرم امردا
ان شافها ابو زيد يهجم سرعة ... يضرب بسيفه من طغا وتمردا
ان طعتني خرمند ارسلها غدا ... واسعى لهم بالصلح لا تترددا
لا تتبع الصنصيل في ارائه ... شور الفتى النعمان خير وارشدا

فلما فرغ الساقي من كلامه وسمع الخرمند وباقي الملوك فحوى شعره ونظامه . قال له الخرمند احسنت بما قلت. فعند ذلك نهض النعمان واراد يأخذ المارية الى بيته فاعترضه الصنصيل وقال اني قد كسوتها بالثياب الفاخرة والحلل الباهرة وانا احق بها من كل احد فقال له النعمان

اني لا امكنك من ذلك حتى نرى على ماذا ينتهي الحال بيننا وبين بني هلال . وانا من رايي ان نطلق سبيلها فتذهب الى اهلها خوفاً من القيل والقال فقال الصنصيل هذا لا يكون وانا مرادي ان اناشدها بالاشعار امام هولاء السادات الاخيار . فانا انشد . من الشعر وهي تجيبني عليه ولا نريد منها غير ذلك ثم اشار الصنصيل يقول

قال الملك صنصيلي . يا ماريه غني لي
وارفعي المنديلي . عن وجنتيك الحمرا
خيب الله امك . ما اكره ريحة فمك
زاد الله غمك . يابو لحية الشقرا
يا مارية بحياتك . قومي اشربي كاساتك
وبيني شاماتك . عن وجنتيك الحمرا
صنصيل يا صنصيل . بطل كلام القيلي
وافهم يا مذلولي . نحن بنات الامارا
قومي تعالي لقربي . لاذوقك من شربي
وقربي لجنبي . حتى تطيب السكرا
صنصيل قلل كلامك . بنت العرب قدامك
غدا يسير هزامك . من سباع القفرا
يا مارية ارتدي . برجالك لا تعتدى
بالحرب ما هم قدي . غدا دماهم بجرى
صنصيل دع القالي . بطل كلام العالي

باكر تجيك هلالي . مثل جراد الصحرا
يا مارية فرسانك . هل يجون من شانك
وحيات سود عيانك . ما ينظروك نظرا
خلي لسود عياني . والقي غدا فرساني
باكر يجي زيدان . ودياب راعي الخضرا
يا مارية لا تزيدي . بقولك لا تعيدي
ان الجميع عبيدي . ما يلتقوني بكرا
غدا يجيك سلامه . اسمر طويل القامه
سيفه يزيل الهامة . في كل ضربة عشرا
سلامى ذاك راحي . من يوم دز رماحي
ان اتى لكفاحي . اقتله فوق الصحرا
غدا يجيك الغالي . امير بتخته عالي
حسن كبير هلالي . قومه كموج البحرا
ذاك ما اعده . بيوم الحرب اعده
بحد سيفي اقده . اجله وسط القبرا

قال الراوي فلما فرغ الصنفيل من هذه المنادمة والمحادثة والمكالمة كانت جالسة بقربه اخت الملك خرمند وكان اسمها تاج بخت فلما سمعت بان مارية شتمت عمها الصنصيل في شعرها واهانته بالكلام كان ذلك عليها اشد من ضرب الحسام فنهضت على قدميها ولطمت مارية بين عينيها وقالت هل بلغ من قدرك يا بنت الكلاب ان تتكلمي

بمثل هذا الخطاب . وكانت الضربة شديدة فالمتها واندفق الدم من جبهتها فلما شاهد ابو زيد تلك الحال خرج عن دائرة الاعتدال ولولا وجود الحديد في الشباك لكان دخل اليهم واورث العجم الدمار والهلاك واما الملك النعمان فانه استعظم ذلك الامر لما نظر الدم يقطر من جبين مارية مثل نهور الجارية فنهض على الاقدام وسل في كفه الحسام. وجعل يتهدد الاعجام بهذا الشعر والنظام

قال الملك نعمان عقلي طارا   والقلب مني يلتهب بالنارا
قد جبتم بنت الكرام لداركم   يا عادمين العقل والافكارا
لو عاينت فرسانها افعالكم   او شافها ابو زيد وقت الغارا
لرأيتم افعاله او قتاله   وهجومه بين الصفوف جهارا
اني ساسعف مارية بمهندي   بضرب يقد الروس والاحجارا
قول الفتى النعمان قولاً صادق   لا بد لي ان اقيم الغارا

فلما فرغ النعمان من هذا الكلام وسمعته ملوك الاعجام خافت من الشرور وعواقب الامور . فقال خرمند للنعمان خذ مارية الى عندك هذه الليلة وابقها لانه يخشى من تواليها . فمتى ظفرنا بهولاء العرب فحينئذٍ نبلغ منها الارب . فعند ذلك اخذها النعمان من يدها وقال انهضي ايتها الاميرة الى بيتي . فنهضت وسارت معه من عند الاعجام ولم يعترضها احد بكلام فلما شاهد ابو زيد افعال النعمان شكره في قلبه على ذلك الشان . وقال والله ان هذا الرجل الجليل يستحق كل جميل ثم نزل من اعلى الشجرة وتبع اثار النعمان حتى وصل الى منزله وهو من وراه فسمعه

يقول لابنته خذي هذه الاميرة وافرشي لها في غرفتك فانها من بيت شريف فترحبت بها واخذتها الى عندها ثم رجع النعمان ليصرف باقي ليلته عند الاعجام ورجع ابو زيد الى بني هلال وعند وصوله الى الخيام سمع اصوات البكا والصياح والعويل والنواح لانهم كانوا يظنون بانه قد مات. فلما دخل على الامير حسن وهو في الصيوان سلم عليه فنهض له حسن على قدميه وشكر الله على سلامته وكذلك فعلت باقي السادات وساله القاضي بدير عن المارية ابنته وهل وقف على اخبارها في اثناء غيابه. فاجابه بهذه الابيات

يقول ابو زيد الهلالي سلامى ... الايام والدنيا تسبب هوائل
وصلت الى الحلة سريعاً بلا بطا ... فدرت ميامنها ودرت الشمايل
فما وجدت مطلعاً ولا مدخلاً ... فصرت كالمجنون والعقل زاهل
الى ان نظرت المارية في اعيني ... فقولي صحيح ليس فيه زلايل
في قصر خرمند ياقوم جالسة ... ملوك العجم من حولها كالجمايل
والطاس داير والجنك والغنا ... والنعمان بينهم وهو شهم فاضل
يمر عليها الكاس ما تذوقه ... فتحسبه مثل سم القواتل
فكانت تنادي الصوت يااهل عامر ... وتضرب بايديها يميناً والشمائل
فقام الملك النعمان قد اتى بها ... وخلصها منهم بضرب هائل
واخذها في الحال الى دار بنته ... واوصى بها بنته وكل الاهايل
فان عانني الرحمن ربي اجيبها ... واهد الكوفة ووحدي اقاتل

فلما فرغ ابو زيد من كلامه وسمع الحاضرون فحوى شعره ونظامه

قال له الامير حسن اعلم ياصاحب الراي الحسن مرادي الان ان اكتب كتاباً الى ملوك الاعجام واطلب من الخرمندان يرسل المارية الان لانها عند الملك النعمان . فماذا تقول في ذلك . فقال ابو زيد وباقي الناس لاباس . فلعلهم يتاثرون من كتابك ويرسلونها الينا فعند ذلك كتب هذه الابيات

قال الفتى حسن الدريدي ابو علي　　النار في قلبي تهب وتشعل
ياملك خرمند اسمع قصتي　　ابعث لنا المارية ولا تتمهل
انك ان ارسلتها لبيوتنا　　فترى العساكر من ديارك ترحل
حتى اذا خالفت في رحالها　　نهجم عليكم في الصباح وتقتل

قال الراوي فلما فرغ الامير حسن من هذا الشعر والنظام استحسنه جميع السادات الكرام . وفي الحال ارسله مع نجاب ليعطيه الى الملك ويأتيه بسرعة الجواب فامتثل وسار حتى وصل الى الملك خرمند فتمثل بين يديه وسلم الكتاب اليه . ففتحه وقراه ولما عرف معناه مزقه في الحال وكتب الى الامير الجواب

وكان عنده نجاب يقال له ابو طامع وكان سياف الديوان فامر الملك بحضوره فحضر بين يديه وقال له الزمتك بالمسير الى بني هلال وتجيب مال ونوال وبنات كالغزلان بعيون سود كحال فقال له اكتب لي في الجواب حق الطريق فقال له قول لي وانا اكتب لك فقال ابو طامع اني سمعت ان العرب اربعة ملوك فاكتب لي على كل ملك صبية من بناتهم والف دينار وعشر سراري وعشر جوار وعشر عبيد ومائة ناقة ومائة جواد ومن كل

شيء مائتين فتعجب الملك من قوله وقال ماخاب من سماك ابو طامع
فقال اكتب انت ياغويل العمر فان شرف التابع من المتبوع فكتب له
الملك جميع ماقال عليه فاعطاه الكتاب فاخذه وسار ولما بقي في وسط
البراري والقفار واذا به وجد رجل من العرب راكب فرس حمرة مثل
الغزالة النمرة وذلك الرجل منحني عليها طاقين بقى كل من شافه يقول
عنه رجل مريض ولما ان وصل اليه ابو طامع صاح عليه عونك ياولد
الزنا اقف واراد ان ينزله من على ظهر فرسه وياخذها منه ولما ان سمع
ابو طامع يصيح عليه ما رد عليه غير انه ارخي صرع الجواد واعطاها الركاب
فطلعت من تحته مثل طير الحمام فقال له ابو طامع اه ياعبد الزنا وسيب
كديشته وراه في البر ومازال ابوزيد رامح وابو طامع وراه حتى انقطع
قلبه فقصر ابو زيد حتى لحقه ابو طامع في البر فقال له قطعت قلبي
ياعبد الزنا لايرحم الذي باعك ولا الذي اشتراك وكان معه قمشة
بلسانين في لسان منها خردقة من الرصاص وخرج من ورا ابو زيد
وناوله بها فلكنه القمشة من وراء وقدام فحس ابو زيد ان السماء انطبقت
عليه فقال له لا ياشنيع الوجه تعمل هكذا فقال ابوطامع وانت قطعت
قلبي وانا اصيح عليك فقال له وما تريد مني قال له انزل عن فرسك هذه
الحمراء وسلمني اياها قال له امسك لجامها حتى انزل عن ظهرها فتقدم ابو
طامع ومسك لجامها فتقدم ابوزيد وضربه في الدبوس فجاءت على قرعته
ثم مال عليه حتى عجن اضلاعه وما زال كذلك حتى قطع النفس وفاته
وسار حتى بقي في النجع وصاح على ابو القمصان واعلمه بما جرى

له مع ابو طامع ومن بعد ما راح ابو زيد قام وهو لا يدري النور من الظلام وركب على ظهر كديشة وهو منحني طاقين من شدة الضرب لما اقبل الى نجع العرب سال على عميد القوم دلوه العرب على صيوان ابو زيد فكان جالس في صيوانه وامارة عرب زحلان بين يديه ولما وصل ابو طامع اليه قبل يديه واعطاه الكتاب فكه وقراه وعرف رموزه ومعناه فوجده مكتوب من الجهتين ويجد حق طريق ابو طامع مقرون بطاب الملك فقال له ابو زيد ما اسمك يا نجاب الملوك قال له اسمي ابو طامع قال له الامير ابوزيد صدقت مرحباً بك يا امير ابو طامع فلك عندنا الاكرام فقال ابو طامع قبل ما تعطيني حق طريقي الذي رسمه لي الملك اعطيني حق ضربي واعلم ابو زيد عن الذي قتله في البر وما جرى له فقال الامير ابو زيد مرحباً بك يا ابو طامع

قال الراوي ثم قال له ابو طامع قبل العطا اسرع بالزاد وكان ابو طامع له رغبة فى الماكول فقال الامير ابو زيد مرحباً بك وصاح على عبده ابو القمصان فاقبل اليه قال له خذ هذا وديه الى المضيفة وكرمه يا عبد اكرام زائد فاخذه ابو القمصان الى بيت الضيافة وارسل جاب له اربع عبيد شايلين لباليب الرمان وتقوموا وصلبوا ابو طامع في عامود البيت واخذوا عليه جبل من فوق ومن تحت لما لصقوه بالعامود وكانوا انزعوا عنه حوائجه ونزلوا عليه مثل دق النحاس ولم يزالوا كذلك حتى حروه فاقبل ابو زيد يجد النجاب قطع النفس فقال ابو زيد يكفاه حلوه ففعلوا كما ذكر وادعى الامير ابو زيد بقلم وقرطاس ودواية من النحاس واشار يكتب

كتابا لملك الاعجام ويقول وعمر السامعين يطول

يقول ابو زيد الهلالي سلامى ولاكل حلو القول وافى الخصائل
ولا كل من اودعته السر صانه ولا يكتم الاسرار الا الاصايل
ولا يكشف الاسرار الا ابن زانية ردي اللبن من نسل قوم نذايل
انا ابن رزق الجعفري من آل عامر وامي شريفه من خيار القبائل
واعطتني امي ابسما بلا خفا وربتني من دون كل القبايل
ولا ارضعتني يوم من تحت ثديها مخافات ان اطلع ردي الاصائل
سميت سلامه ابن رزق على نقا مكمل وغيري لم يحق الزوايل
نعم ايها الغادي على متن ضامر تجد السرا جوا وسيع السهائل
اذا جيت للحله وطفت بارضها اقرى سلامي للملوك الاصايل
وقول الى خرمند نحن ضيوفك ومثلك من يرجى لكسب النوافل
الا ياملك لاتطلب العيب تندم بنات الامارا ما وراهم نفايل
وكم من دونهم كل قرم غشمشم وكم فتى مطعون لاجل الحلايل
وكم من مثلك تعرض وجاهم وحوله امارة يشكموا كل جاهل
مات بحسرة موقده في ضمايره واضحت عيونه بعد عياله ذلايل
مقالات ابوزيد الهلالي سلامه ونيران قلبي زايدات الشعايل

فلما فرغ الامير ابو زيد من كلامه ختم الكتاب واعطاه للنجاب فاخذه وسار حتى بقي قدام ملك الاعجام اعطاه الكتاب فكه وقراه والتفت الى النجاب وقال له كيف كان الحال فاشار يعلمه بما جرى ويقول

قال ابو طامع والقول صادق والدمع من عينيه جرى وتحدر

اسمع كلامي اليوم ياملك العجم … اني دخيلك لا تكون مقهرا
اخذت مكتوبك وسرت الى العرب … بابيات منظومة ونشد مسطرا
لما قربت النجع يا ليث الورى … التي رجل خيال في الوادي سرى
راكب على حمرا كما وصف الغزال … تسبق هبوب الريح حمرا مضمرا
ناديته يا عبد يا ولد الزنا … لا يرحم البايع ولا من اشترى
ولحقته بالصوت يا ملك … لما لقيته فزعت عيني مما جرى
سحب دبوسه وجاني بغيظه … يشبه لسبع البر اذ كان غارى
ونزل عليَّ وراسي وجسمي ياملك … مازال يضربني لما جسمي انهرى
وراح وخلاني ولا اعتنا بي … ابكي واتمرغ على عالي الثرى
مادمت اشيل وحط ياليث الوغى … لما اتيت النجع وجسمي مكسرا
ودخلت على المسمى ابوزيد الفتى … التى رجاله كالجراد الناشرا
واعطيته المكتوب حقاً احرقه … وضحك وتمايل لما له قرا
قال مرحبابك انت يا ابو طامع … لك عندنا مهما تريده حاضرا
لك عندنا الانعام والخير والعطا … والاكل والمشرب ياليث الورى
ناداه ابو القمصان وقله فطره … هات له شراب التوت مثل السكرا
وهات شراب الرمان والعنب النقي … وهات شراب التفاح هيا واكثرا
وهات له من الاطعمة ما يشتهي … كتر بهارته ودهنه سائرا
حسبت طعامه مثل طعامنا … اتاري طعام القوم عصي منجرا
اخذني ابو القمصان سرعة بالعجل … وجاب معه اربع عبيد مشمرا
نزلوا عليَّ كسروني يا ملك … حتى لحمي وعظمي انهرا

ما نابني منهم معاطي يا ملك الا الاذية والذي بي قد جرى
يا ليتني ما كنت هديت الديار يا ليتني ما كنت طلقت المرا

قال الراوي فلما فرغ ابو طامع من كلامه والملك يسمع شعره ونظامه فهاجت ضمائره وصاح وامر بحضور العساكر فالتم عنده اكابر دولته فالتفت الى المنذر وقال له انت شرت عليّ في الاول وخلصت البنات مني فانظر بعينك ما عمل العرب مع نجابي وقطعوا عرضي

فعند ذلك اغتاظ خرمند من هذا الامر وامر العساكر ان تستعد للقتال وخرج بجيوش الاعجام لقتال بني هلال ولما بلغ بني هلال هذا الخبر استعدوا للحرب والطعن والضرب وفي اوائلهم الامير ابو زيد والامير دياب وغيرهم من الفرسان والسادات الكرام والتقوا بالاعجام بقلوب كالجبال وقاتلوا اشد قتال وفعل الامير ابو زيد فعالا تشيب الاطفال وكان يطعن الاعدا من اليمين والشمال ولله در الامير دياب فانه قاتل ذلك اليوم قتال شديد والقى نفسه على الهلاك حتى مزق الصفوف وطعن فيهم طعن الامم وهو ينخي الابطال دونكم هولاء الانذال وما زل يشق صفوف الاعجام حتى وصل الى الملك القمقام وهو تحت البيارق والاعلام وضربه على عاتقه خرج يلمع من علائقه ثم مال علَى القوم وباقي الامراء والنواب والهبهم بضرب السيف القرضاب وقتل منهم عدة رجال فلما رات عساكر الاعجام تلك الاحوال ماجت من اليمين والشمال وارتدوا راجعين الى الوراء وانقلبوا منهزمين في تلك الصحراء وقطع دياب راس القمقام وعلقه على راس السنان وتقدم الى عند الامير حسن فسلم عليه

القى الراس بين يديه فشكره الامير حسن وباقي السادات ورجعت بنو هلال ذلك النهار بالعز والانتصار وباتوا في فرح واستبشار ولما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح دقت طبول الحرب وتقدمت الفرسان الى مقام الطعن والضرب وكان اول من برز الى القتال من ابطال بني هلال ابوزيد الفارس المفضال فصال وجال في ساحة المجال فبرز من الاعجام الملك المنذر فالتقاه ابوزيد وانطبق على المنذر كسبع الاجام واخذ معه في الحرب والصدام ولم تكن غير ساعة من الزمان حتى ضربه ابو زيد بالسيف على هامه قده نصفين والقاه على الارض قطعتين فوقع على الارض يختبط بعضه ببعض فلما رات الاعجام تلك الحال ضجت منها الفرسان والابطال واستعظمت ذلك الامر فعندها برز اخوه الامير المنذر الى ابوزيد لياخذ ثار اخيه فالتقاه ابوزيد بقلب كالحديد ثم هجم عليه وضربه بالسيف فالحقه باخيه فلما وقع وانقلب هجمت الاعجام من شدة الغيظ والغضب فالتقتها بنو هلال وحكمت فيها السيوف والنصول وقتلت منها اوفى من عشرة الاف من صناديد الابطال فانهزمت الى وراها واستعظمت ما دهاها وفي اليوم الثاني دقت الاعجام طبولها وركبت خيولها وبرزت الى القتال وهي تهدر كالجمال طالبة اخذ الثار وكشف العار فالتقتها بنو هلال وكان اول من برز الى الميدان الامير ابوزيد فارس الفرسان وزينة الاكوان فالتقاه من الاعجام ملك عظيم الشان اسمه المغل ابن دندان فبرز اليه ابو زيد واشار يقول

يقول المغل الهمام المجرب   انا فارس الفرسان يوم كفوح

ابو زيد قل الهرج يا امير واهتدى ورد الى خيلك سريع وروح
المارية عندي في حصون منيعة فما عدت تشوفها في عيون تلوح
قتلت يا ابو زيد بندر ومنذر ودياب قتل القمقام وعادينوح
اتيت انا اليوم اخذ ثارهم واردكم بالماضيات كسوح
واخذك يا اميرفي يدي مكتف فابكي على نفسك سريع وروح
تبدى ابو زيد الهلالي سلامي ولي قلب من طي الحشا مجروح
فانت يا مغل بالقول تايه فعود الى الحرمند سريع وروح
وقول له ارسل لنا بنت فايد والا يبقى عَلَى الوطى مجروح
اتيت لحربي حتى تولي وتنهزم لابد اليوم عليك القوم تنوح
ما قال ابو زيد الهلالي سلامي انا ارعب الفرسان يوم كفوح

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من كلامه التقيا في ساحة الميدان واخذا يتضاربان ويتطاعنان وكان المغل المذكور من افرس الفرسان قوي الجنان وله ذكر شائع فقاتل ابو زيد اشد قتال وما زال على تلك الحال حتى تحيرت من قتالهما جميع الابطال وكان اختلف بين الاثنين ضربتين قاتلتين وكان السابق ابو زيد فمال عنها المغل فراحت خايبة بعد ما كانت صايبة واما ضربة المغل فانه استلقاها ابو زيد في الترس فقطعته نصفين ونزلت على رقبة الجواد فبرتها كما يبري الكاتب القلم فوقع ابو زيد على الارض كالعدم واراد المغل ان يكمل عليه فبادر الامير دياب اليه وخلصه في اسرع من لمح العين لانه كان يراقب قتال الاثنين واشار ابو زيد الى عبده ابو القمصان يقول

دني لي يا ابو القمصان دني ... على حمرا تشل الخيل شلي
دنيها لابو زيد الهلالي ... ابو زيد عنها ما يولي
دنيها الى المسمى سلامه ... كريم الاصل من ابٍ واهلي
نزلت الى الميدان عاجل ... وقولي صحيح ما في القول ذلي
نزلت وانا راكب فوق حمرا ... تسابق للطيور الذي تعلي
برزت وقلت انا المدعو سلامه ... وابو ريا ما حد بالحرب مثلي
اتاني المغل ياعبدي يجاول ... وهو كالغول يهدر خلف مني
تجاولت انا واياه ساعة ... وعاد السيف ما بيننا يغني
ضربته بالحسام فمال عنها ... وراح بالهوى يسمع له طني
ضربني في حسامه وراح يهوي ... على رقبة جوادي بغير ملي
قطعها وقد وقعت على الوطا ... وجاني قاصداً ياعبد قتلي
وما رايت لي منه خلاصاً ... فلولا دياب يا عبدي قتلي
دياب الخيل ما تنسى فعاله ... دياب الخيل رد القوم عني
على خضرا شبيه السبع هاجم ... يخلي المغل يرجف فوق مني
اقول يا عبد قولا صحيحاً ... ان دياب له بالحرب فني
فوالله ثم والله ثم والله ... فان دياب هو افرس مني
فعجل لي بجواد يكون احمر ... يسبق الى النسيم بيوم شلي
لاركب واعود الى يم خصمي ... واقتل للمغل بفرد طعني

قال الراوي وفي الحال اتوه قومه بجواد فركبه وهجم هو والامير دياب على صفوف الاعجام وتبعتهم باقي ابطال بنى هلال وخاضوا

فيهم من اليمين والشمال وكانت ساعة مهولة قتل فيها خلائق كثيرة وكان من جملة المقتولين المغل وغيره من سادات العجم والمقدمين وانهزمت العجم في ذلك اليوم اقبح هزيمة وقتل منهم مقتلة عظيمة ورجعت بنو هلال بقلوب كالجبال فبرز من عساكر العجم الملك الصنصيل وهو راكب على جواد مثل الفيل وطلب قتال بنو هلال ولما صار في ساحة المجال برز اليه الامير دياب وهو راكب على فرسه الخضرا فالتقاه الصنصيل واشتد بين الفارسين القتال وعظمت الاهوال ومازالا على تلك الحال الى وقت الظهر وكان الصنصيل قد اعتراه التعب واسترخت منه المفاصل والركب فايقن بالهلاك والعطب فولى وطلب لنفسه الهرب فلما رات عساكر العجم بان سيدها قد انهزم خافت من العواقب وحلول النوائب فارتدت الى وراها حتى وصلت الى الحلة فدخلت اليها واغلقت الابواب ولما كان الليل جمع الملك خرمند الملوك وقواد الخيل وقال لهم مرادي ان اخرج في ثاني الايام الى قتال بنو هلال فاريد ان تشجعوا انفسكم وتقاتلوا والا انهتكت ناموسنا وصرنا معيرة وفضيحة عند ملوك الزمان فاوعدوه بانهم يبذلون غاية المجهود ويقاتلون معه قتال الاسود ولما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح ركب الملك خرمند في جميع الجند وخرج من المدينة يريد القتال فالتقته في الحال جميع الفرسان والابطال ولما التقى العسكران وتقاتل الجمعان برز ابو زيد الى حومة الميدان فانطبق عليه الخرمند واخذ في حربه وصدامه فالتقاه ابو زيد بقلب كالجبال فتطاعنا بالرماح وتضاربا بالسيوف

وما زال على تلك الحال من الصباح الى وقت الزوال ولم يقدر احد على صاحبه فافترقا عن بعضهما البعض وبات كل فريق على ناحية من الارض ولما اصبح الصباح وكان اول من برز الى معركة الكفاح الملك خرمند وطلب براز الامير حسن ابن سرحان دون باقي الابطال والفرسان وقال لا يبرز لي غيره احد من الشجعان لانه كبير بني هلال فان قتلته بلغت الامال وان هو قتلني بلغت بنو هلال ما تتمناه فلم يتم كلامه حتى برز اليه وصار قدامه وقال له اني اشور عليك ان تسلمنا المارية حتى نرحل من بلادك بالعجل فقال الخرمند كيف يمكن تسليمها وفي شانها قتلت ابطالنا وفرساننا وهلكت اكثر رجالنا هذا لا يتم ابداً وجعل يتهدده ويقول

مقال الملك خرمند قولاً صادق فاسمع قصتي حسن الهلالي
بعثت اليك كتابي مع رسولي لاسمع ما تجيبوا من المقال
فلولا كنتم ذوي عقل وفهم لرحتم من بلادي بلا قتال
واني سوف اقتلكم جميعاً بضرب السيف مع طعن النصال
واقتل ابو زيد مع الامارا امير دياب مع باقي هلال

فلما فرغ من هذا الكلام اجابه الامير حسن بهذا النظام

انا حسن وقومي يعرفوني مبيد الضد في يوم المجال
ملوك الارض تخشاني جميعاً وترهبني جبابرة النزال
فسوف ترى خرمند مني قتال تخافه اهل القتال
مقالات الفتى حسن الهلالي انا خصمك انا حسن الهلالي

قال الراوي فلما فرغ الامير حسن من كلامه حمل على الخرمند

حملة قوية فالتقاه الخرمند بهمة وحمية واشتبك بينهما القتال فشخصت اليهما عيون الرجال وهما تارة يتقدمان وتارة يتاخران حتى حجبهما الغبار عن اعين النظار وقدحت حوافر خيلهما من النار من شدة الحرب وكان حسن قد استطال على الخرمند فلاصقه وضايقه وسد عليه طرقه وطرايقه وضربه بالسيف على راسه شقه الى دكة لباسه فالقاه قتيلا وفي دمه جديلاً ولما قتل الخرمند ولت الاعجام وطلبت الفرار والانهزام فتبعتها بنو هلال على الاعقاب كليوث الغاب وحكمت فيها السيوف واسقتها كاسات الحتوف فلما نظر الملك النعمان ما حل بالعجم من الذل والهوان خرج من مدينة الحلة واجتمع بالامير حسن وسلمه مفاتيح ابواب المدينة وقلاعها الحصينة وطلب منه ان يكفوا القتال عن العجم لانهم صاروا في حالة العدم واشار يقول

يقول الفتى النعمان عما جرى له ... يا مرحبا بك يا ولد السرحانِ
يامرحبا في مرحبا في مرحبا ... بقدومكم قدري علا ومكاني
يامرحبا في ابن رزق سلامه ... من اشجع الابطال والفرساني
يامرحبا بك يا دياب الغانم ... وفي قومك الزغبي يا منصان
انت دياب الخيل يابو وطفا ... بيوم الحرب زينة الفرسانِ
يامرحبا في بدر ابن فايد ... يامرحبا في زينة العربانِ
اضات منازلنا بكم وبقومكم ... والقلب عاد بقربكم فرحان
انتم اهالينا ونحن مثالكم ... والحب منكم من قديم زماني
يا ابو على القلب فيكم مغرم ... وبلادنا بوجودكم تنصاني

بقيت مارية الكرام بدارنا محفوظة مع باقي النسوان

قال الراوي فلما فرغ النعمان من قوله ونظامه وفهمت السادات فحوى حديثه وكلامه تقدم ابو زيد وسلم عليه واشار يقول

يقول ابو زيد الهلالي سلامي يامرحبا بك يا ملك نعمان
لك الفضل يا نعمان قبلا سابق كم لك علينا فضل مع الاحسان
لابد ما اجازيك يا فخر الورى وتكون بالكوفة غدا ملكان
فعليك امان الله منا دائماً طول المدى يا زينة البلدان
ما قال ابو زيد الهلالي سلامي قلبي بقربك قد غدا فرحان

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من كلامه تقدمت جميع الامارا والاعيان وترحبوا بالنعمان واوعدوه بالفضل والاحسان ولاسيما الامير حسن ابن سرحان فانه خلع عليه الخلع السنية والعطايا الملوكية وشكره على جميله ثم سار بهم النعمان الى الحلة وادخلهم الى قصر الخرمند فراوا فيه تحفاً وجواهر لا تعد ولا تحصى وملابس وقماش وغير ذلك من الامتعة الثمينة فجمعها الامير حسن ونقلها الى المضارب والخيام ثم دخل الى قصر النعمان مع وجوه قومه واكابر عشيرته فوجدوا المارية هناك وهي بانتظارهم فاخذوها بفرح جسيم وكان ذلك اليوم من اعظم الايام في ذلك الزمان وبعد ان بلغ الامير حسن المرام توجه الى سراية الاحكام ونادى بالامان لخاطر الملك النعمان ثم استدعى اليه اكابر العجم وسادات الامم وقال لهم اعلموا ياقوم باني امتلكت بلادكم في هذا اليوم وصارت من جملة بلادي واقاليمي وجميع الرعايا منقادة لاوامري ومراسيمي ومن حيث انني عازم على السفر

وقاصد اقاليم اخر فقد اقمت عليكم الملك النعمان فاطيعوه ولا تخالفو
لانه نائبي في هذه البلاد وعليه الاعتماد وكل من خالف امره قتله
وصرمت عمره فقالوا سمعاً وطاعة ياملك الزمان فاننا عبيدك وعبيد الملك
النعمان وكان للخرمند المذكور بنت بديعة الحسن والجمال كاملة في القد
والاعتدال اسمها ضوية كانها حورية فلما سمعت من الجند بان النعمان
تولى مكان ابيها الخرمند جاءت الى عند الامير حسن فسلمت عليه
وبكت بين يديه وانشدت تقول من فواد متبول

تقول ضوية بنت ملك العجم ودمع عيني غرق الاجفان
والنار هبت في لواعج مهجتي طي الفواد فاشعلت نيران
والنوم فارقني فصرت كانني مثل الخيال لشدة الاحزان
من بعد اهلي قد صبحت بذلة بعد القصور وكثرة الفرسان
ابي كان ملك الاعجام كلها اصبح طعام الدود والغربان
كانت جميع الناس خاضعة له يحكم على الاعجام والبلدان
من يوم مضى الخرمند عنا ذاهباً اصبحت بعده في الذل والهوان
يا حسرتي كل الزمان وطوله يا ما اذوق شدايد الاحزان
ارجوك يا مولاي تجبر بخاطري وتزيل عني الهم والاحزان

قال الراوي فلما فرغت ضوية من كلامها وفهم الامير حسن فحوى
شعرها ونظامها قال لها مرحبابك فاني ساكون مكان ابيك وابوزيد عوض
اهلك ومن جميع العدا يحميك وان اردتي الزواج فنزوجك في الحال
بامير من بني هلال فقالت له انا في قبضت يديك ويد ابوزيد وكان ابو

زيد حاضر في الديوان فالتفت على الامير حسن وقال له انت احق
بضوية من كل انسان لانها بنت ملك ثم اشار يقول

قال ابو زيد الهلالي سلامي | الدمع من فوق الخدود طفاحي
يا ابو علي دونك هذه ضوية | هذه تكون لك سماحي
بخشيش لك مني يا امير الملا | يا فارس الفرسان يوم بطاحي
الحمد لله الذي نلنا المنا | وكسبنا مال العدى وسلاحي
ضوية تصلح لك يا امير الملا | يا حامي الزينات يوم كفاحي
قومي وسيري ياضوية بالعجل | لعند ابو مرعي بغير مزاحي
نحن هلال فمن آتانا ينشرح | ويزيد افراحاً على الافراح
ويعيش معنا في سرور وفي هنا | ويزيل عنه الهم والاتراح
ما عندنا رجل ضعيف ولاردي | الا فوارس حاملة بسلاحي
منا حسن امير قيس وعامر | وبدير قاضينا له الاصلاحي
دياب زغبي فارس ومجرب | مقدام زغبي للعدى نطاحي
ابو زيد الامير سلامي | وامير ماجد من فروع ملاحي

فلما انتهى ابو زيد من كلامه اجابه الامير حسن على شعره ونظامه

يقول الفتى حسن الهلالي ابو علي | انت بجودك يا امير فضيل
لولاك ماكنا ظفرنا بالعدى | وكنا رحنا للبلاد جفيل
رحت الى بندر ومندر بلا خفا | والقمقام والخرمند والصنصيل
وصلت الى المارية بنت فايد | وجبت ضوية كانها قنديل
وهبتها لابو زيد الهلالي سلامي | تكون لك حليلة والزمان طويل

هذه تليق يا سلامي لحضرتك   اميرة اصيلة زايدة التكميل
ياليت عمرك الف عام على المدى   تعيش بخير ولم تشوف تنكيل

قال الراوي ولما انتهى الامير حسن من كلامه شكره ابوزيد على جوده وانعامه ولكنه اعتذر له امام الحاضرين وقال اني حالف باسم رب العالمين ان لا اتزوج على عليا ابداً على طول المدى وما دام الامر كذلك فانا اجعلها عند الملك النعمان وتعيش مع حريمه والنسوان فخلع عليها الامير حسن الخلع الحسان وسلموها الى الملك النعمان وبعد ذلك قاموه على الاعجام ملكاً بشرط ان يدفع لهم الجزية في كل عام ثم انهم هدموا المضارب والخيام وركبت الفرسان والنساء ورحلوا بعد ان بلغوا الامال طالبين تونس الغرب في الحال ليفكوا اسراهم من القيود والاغلال وجدوا في قطع البراري والقيعان اسرع من النسور والعقبان حتى وصلوا الى بلاد الاكراد والتركمان فخيموا في تلك الاوطان

الى هنا انتهى الجزء الرابع من تغريبة بنى هلال
ويليه الجزء الخامس وفيه قصة
الملك النعضبان والتمرلنك

الكتاب الخامس

من تغريبة بني هلال

وهو يحتوي على قصة الملك الغضبان
وحروبه مع بني هلال ومرورهم ببلاد
الخفاجي عامر ورحيله معهم
الى بلاد الزناتي خليفه

يطلب من

مكتبة الترقي

لصاحبها

شكري الخوري وشركاه

شرقي ساحة البرج اول طريق النهر . (بيروت)

برخصة مجلس معارف ولاية بيروت الجليلة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الراوي كان حاكم بلاد التركمان في ذلك الزمان رجل عظيم الشان اسمه الغطريف ويلقب بالغضبان وله عدة وزراء واعوان من جملتهم الوزير النعمان وهو عنده من اعظم الاركان لانه كان صاحب معرفة وتدبير وفي امور السياسة عليم وخبير وله ابن اخت وكان ولي عهده ونائبه على التخت يدعى نمر الجارح يحير الصائح ويكرم المادح وكان في الشجاعة والفروسية من طبقة علية يصارع اسود البطاح ولا يمل من الحرب وكان الملك الغضبان يركن اليه كل الاركان ولما وصلت جموع بني هلال وخيمت في تلك الاطلال كما سبق المقال وبلغ الغضبان هذا الخبر تطاير من عينيه الشرر فاجتمع بوزرائه وباقي الاعوان وعقد معهم مجلساً في هذا الشان فقال له الوزير النعمان الراي عندي الان ان ترسل لملكهم بعض الابطال تطلب منه عشر المال فان اجاب الطالب بلغنا القصد وان ابى وامتنع ركبنا عليه بكل فارس صميدع فننهب اموالهم ونسبي حريمهم وعيالهم ونقتل شبانهم ورجالهم فاستحسن الغضبان هذا الراي وفي الحال استدعى ببعض الفرسان وامره ان يذهب الى بني هلال على سبيل رسول وكتب اليهم يقول

يقول الفتى الغضبان عما جرى له ونيران قلبي زايدات وقيد

الا ايها الغادي على متن ضامر فاقطع فيافي برها وبعيد
اذا جئت الى حسن الهلالي ابو علي فاعطيه مكتوبي تنال سعود
وسلم على القاضي بدير ابن فايد قاضي العرب بالحق والتأكيد
وسلم على الزغبي دياب ابن غانم وسلم على ابو زيد سلام مجيد
وقل لهم قال الملك ابن حامد كلاماً صحيحاً خالي التعقيد
ان كان مقصدكم تجوزوا بلادنا وترعوا مراعينا وعشب البيد
فهاتوا لنا عشر المال بلا خفا وعشر النسا والخيل بالتعديد
والفين سيف والف ترس مواضي والفين رمح للطعان نفيد
والفين بيضا من خيار بناتكم والفين من السمر الملاح عبيد
وهاتوا لنا عليا وريا وغيرها والجازية ام محمد الصنديد
والا فمن حيث اتيتم فارجعوا وعودوا سريعاً قبل حرب شديد
فعندي عساكر لا تعد جموعها وهي على مايتين كرة تزيد

قال الراوي فلما فرغ الغضبان من هذا القصيد استحسنها كل من كان حاضراً من الامراء والسادات الاماجيد ثم انه ختمها وسلمها الى عبده رشيد وامره ان يسير بدون امهال ويسلمها الى الامير حسن سيد بني هلال فامتثل امره وسار وجد في قطع القفار وهو على ظهر ناقة سريعة السير تسابق بسيرها الطير وما زال على تلك الحال حتى اشرف الى نجع بني هلال فنزل عن ظهر ناقته ودخل على الامير حسن من ساعته فسلم عليه وقبل يديه ثم ناوله الكتاب ووقف مع الحجاب ينتظر الجواب فلما فتحه الامير حسن وقراه واطلع على ما حواه انشغل باله

وتغيرت احواله فقال له ابو زيد علامك يا امير حسن فاني اراك في غم وتكدير فناوله الكتاب ليقراه فلما قراء الكتاب وفهم ما تضمنه من الخطاب ابدى الضحك والابتسام من ذلك التهديد والكلام وقال انا ارد الجواب ثم انه كتب اليه يقول

يقول ابو زيـد الهـلالي سلامي ونيران قلبي زايدات وقيد
يا غادياً مني على متن ضامر تقطع فيافي برها وبعيد
اذا جئت الى الغضبان بلغ سلامي واعطيه مكتوبي بغير نكيد
وقل له قـد طلبت عشر موالنا وخاطبتنا بالغيظ والتهديد
وطالب بنات مكحلات نواعس بنات الامارا مثل ورد البيد
اما كنت تعلم يا خسيس وراهم اسود قروم هلال وكل حشيد
وراهم حسن امير قيس وعامر حامي الزينات من كل قرم عنيد
وراهم ابو تكنا بدير ابن فايـد على متن ضامر مثل نار وقيد
وراهم ابو موسى دياب ابن غانم على ظهر خضرا للغزال تصيد
وراهم ابو ضرغام شيخ شبابنا ستين الفاً قومه وتزيد
وانا ابو زيد الهـلالي سلامه اخلي الفوارس على التراب مديد
وافني اكابركم وكل رجالكم واجعل دماكم على التراب تزيد
فنحن قتلنـا الهيدبي وابن مزيـد وابن حنظل مع عمر الصنديد

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من شعره ونظامه طوى الكتاب وختمه بختمه واعطاه الى النجاب فاخذه وجد في قطع الفلاه حتى وصل الى مولاه فناوله اياه ففتحه وقراه وعرف حقيقة فحواه مزقه ورماه

وزاد حزنه وبلاه واغتاظ الغيظ الشديد من ذلك الكلام القاسي وفي
الحال امر ابن اخته ووزيره نمر الجارح وابن عمه الملك النعمان ان يجمعا
العساكر والابطال لمحاربة بني هلال فاجابه بالسمع والطاعة ودقت
طبول الحرب من تلك الساعة فاجتمعت الفرسان من كل جهة ومكان
وكانوا نحو ماية الف بطل فركبوا بالعجل وهم معتقلون بالسلاح وفي
ايديهم الرماح وركب نمر الجارح الاسد الكاسر في مقدمة العساكر وجدوا
بالسير كالطير الذي يطير قاصدين بنو هلال حتى اقتربوا اليهم فلما علمت
بنو هلال بقدومهم عليهم استعدوا لقتالهم وحربهم ونزالهم فدقوا طبولهم
بالعجل فاجتمع كل فارس وبطال ودخلوا على اميرهم حسن ابن سرحان
وهو جالس في الديوان واعلموه بما جرى وكان فامرهم ان يسيروا لقتال
العساكر الغضبان فركبت الشباب وفي مقدمتهم الامير زيدان وساروا
مدة ثلاثة ايام وثلاث ليالي وجدوا في قطع الارض حتى التقت العساكر
بعضها البعض فاجتمعت الفرسان من كل جانب ومكان وبرزت الى
ساحة الميدان والتقت الابطال بالابطال وجرى الدم وسال واشتد القتال
على بني هلال وتجرحت منها اكثر الابطال لانهم قاتلوا كالاسود في
ذلك اليوم المشهود ولله در الامير زيدان فانه اقتحم معركة الطعان بقلب
كالصوان وقاتل الفرسان واستظهر على الشجعان وطعن في الميمنة
والميسرة وفعل افعالاً عظيمة منكرة تعجز عنها كمات الجبابرة ثم التقى
نمر الجارح وهو ينخي الفرسان ويحمسهم على الحرب والطعان فتجاول
معه في ساحة الميدان مقدار ساعة من الزمان وما زال العسكران يتقاتلان

بالسيف والسنان الى ان اقترب الزوال ثم افترقت عن بعضها الابطال ورجع الامير زيدان وهو مكدر وحزنان على ما اصاب قومه من الجراح في معركة الكفاح فكتب الى الامير ابو زيد من قلب متبول وانشد يقول

الفتى زيدان على ما جرى له ونيران قلبي زايدات اللهايب
على ما جرى فينا وما قد اصابنا وعدنا بحيرة وعقلنا عاد غائب
هجمت علينا فوارساً ما اشدها جرحت فوارسنا بضرب الشطايب
وولت جموع هلال من ساحة الوغى فياحيف يغدوا في الروابي هوارب
انا عدت مجروحاً وفي حالة الردى وعزمي غدا مني وقد عاد ذاهب
ابو زيد عجل في المسير لنحونا يا ابو مخيبر يا سليل الاطايب
فنحن بشدة لم نرَ قبل مثلها الله يلطف في جموع الاعارب

قال الراوي فلما فرغ الامير زيدان من شعره ونظامه طوى القصيدة وختمها بختمه واعطاها الى نجاب ليسلمها الى ابي زيد فاخذها وسار وجد في قطع القفار حتي وصل الى بني هلال وكانت السادات والابطال عند الامير حسن يتذاكرون في امر القتال فدخل النجاب الى الصيوان وسلم على الامير ومن حضر في ذلك المكان ثم سلم الكتاب الى ابي زيد وطلب منه الجواب فلما قراه استعظم المصاب وخرج عن دائرة الصواب ثم قراه على الامير حسن والقاضي بدير والامير دياب فانكمشت قلوبهم واعتراهم الاضطراب وفي الحال دقت طبول الحرب فاجتمعت عند الامير حسن فرسان الطعن والضرب فقرا عليهم ذلك التحرير واعلمهم بما اجرته التقادير فهاجت الابطال واستعظمت تلك الحال

وركبت جموع بني هلال وفي مقدمتها الامير ابو زيد والامير دياب، وجدوا فى المسير لمساعدة زيدان شيخ الشباب

هذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من فرسان بنو هلال وعساكر الغضبان فانهم فى ثاني الايام خرجوا للحرب والصدام فاصطفت الصفوف وترتبت الميات والالوف وبرز نمر الى ساحة الميدان ونادى اين الفرسان اين رجال الحرب وفوارس الطعن والضرب فما أتم كلامه حتى صار الامير زيدان امامه وصدمه بقلب كالصوان وتصادما في ساحة الميدان فالتقيا كانهما جبلين واسدين كاسرين وحان عليهما الحين وغبر عليهما الغبار وتقاتلا قتالاً يذهل الابصار ويحير الافكار وما زالا على تلك الحال الى ان اختلف بين البطلين ضربتين قاطعتين وكان السابق الامير زيدان ليث الميدان فالتقاها نمر بالدرقة وانحدر على زيدان انحدار الصاعقة فاقتلعه عن ظهر الجواد والقاه على وجه المهاد فلما رأت بنو هلال تلك الحال اعتراها الانذهال وخافت من الوبال فهجمت على الاعادي وهي تصيح وتنادي وتحمس الرجال على الحرب والطعان هذا وقد اشتبك الطعان والتقت الابطال والفرسان وتقاتلوا بالسيف والسنان ومازال الحرب يعمل والرجال تقتل حتى ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار فانفصلت العساكر عن بعضها البعض ولما اصبح الصباح برزت الفرسان الى معركة الكفاح وتقاتلوا ذلك النهار قتالا احر من لهيب النار واستمروا على هذا الحال ثلاثة ايام على التمام حتى تضايقت بنو هلال وايقنت بالفنا وكانت عساكر نمر قد احاطت بهم من خلف وقدام وهجمت عليهم

كليوث الاجام فكانت على بنو هلال مصيبة عظيمة وداهية جسيمة فبينما هم على تلك الحال وقد اشرفوا على الاضمحلال واذا بغبار قدعلا وثار من جوانب القفار حتى سد منافس الاقطار وبان من تحته فارس بالحديد غاطس كانه قلة من القلل او قطعة من جبل وكان هذا ابوزيد ليث الميدان ومن خلفه جموع بني زحلان والامير دياب البطل المهاب في فرسان بني هلال فلما اقتربوا من ساحة الميدان وشاهدوا الحرب والطعان هجموا بقلوب كالصوان وانقضوا على عساكر الغضبان ككواسر العقبان واحاطوا بهم من اليمين والشمال وفي الحال اشتد القتال وعظمت الاهوال وكانت وقعة تشيب الاطفال وتذعر قلوب الفرسان كثر فيها القتل والجراح وجرى الدم وساح وفعل ابو زيد في ذلك النهار فعالا تذكر على مدى الاعصار وكذلك فعل الامير دياب وباقي الفرسان الانجاب فانهم ثبتوا وقاتلوا وما قصروا واستمر القتال على هذا المنوال الى ان صار وقت العصر وكان الامير دياب قد التقى بالامير نمر الجارح وزير الغضبان وهو ينخي رجاله فتقدم دياب يريد قتاله فصدمه نمر في الحال بقلب اقوى من الصوان واشتد بينهما القتال في الميدان نحو ساعة من الزمان وكان نمر قد طعن خصمه بالسنان وقال خذها من يد فارس الفرسان فغطس دياب تحت بطن الخضرا فراحت الضربة خائبة بعد ما كانت صائبة ثم ضربه بالدبوس الحديد فخاب امله ولم يستفد لانه خلي بالعجل وهجم على خصمه هجوم القضاء المنزل وضربه بالدبوس على الخودة فتألم وصار في حالة العدم فارتد راجعاً الى الوراء وندم على ما

جرى وفي الحال هجمت ابطال بني هلال على الاعدا من اليمين والشمال
واذاقوهم الاهوال وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وربحوا غنائم جسيمة وكان
النهار قد مضى وزال واقبل الليل بالانسدال فانفصلت العساكر عن بعضها
البعض ونزلت كل طائفة في ناحية من الارض ورجع الامير دياب
من ساحة الميدان كانه شقيقة ارجوان مما اصابه من ادمية الفرسان
ودخل على الامير حسن في الصيوان وهو مسرور فرحان فالتقاه
بالبشاشة والاكرام ولاطفه بالكلام وقال له كيف وجدت خصمك نمر
الجارح اجاب انه من الجحاجح ولكنني نهار غدا اقصر عمره واكفيك
شره فشكره على ذلك المقال على احسن حال هذا ما كان من بني هلال
واما ما كان من عساكر الغضبان فانهم رجعوا من ساحة الميدان وهم في
قلق واضطراب من قتال ابو زيد والامير دياب وكان نمر قد جمع
الامراء ومن يعتمد عليهم من السادات والكبراء واخذ يستشيرهم في
امر الحرب والطعان فقالوا كلهم له عن فرد لسان اعلم يا سيد الفرسان
انه من الصواب ان ترسل الان وتعلم خالك الملك الغضبان بما جرى
وكان وتطلب منه نجدة والا وقعنا في الشدة فاستصوب رايهم وفي الحال
كتب الى خاله يعلمه بواقعة احواله ويطلب منه المعونة بهذا القصيد

يقول الفتى نمر الامير الذي شكا	ودمع عيوني على الخدود يسيل
يا غادياً مني على متن ضامر	فاقصد الى الغضبان امير جليل
وقل له يا امير اسمع كلامي	وافهم مقالي لا تكون ذليل
فلما اتتنا جموع قيس وعامر	على خيلهم وهي للسهول تشيل

ركبنا مطايانا وسرنا لنحوهم نزلنا عليهم مثل نار شعيل
صرخت انا فيهم بصرخة قوية هجموا علينا مثل نار شعيل
فبادرتهم بالضرب والطعن والقنا وصار الدما يجري كبحر النيل
وحاربتهم مقدار شهر وازود من الصبح الى النهار يميل
وهم يشيلونا ونحن نشيلهم بسمر القنا والمرهفات صقيل
وبعد حروب هائلات كثيرة قد انهزمنا بعد حرب صقيل
قتلوا فوارسنا وكل قرومنا وعدت انا خسران ثم ذليل
فانجدنا يا خال قبل ان تفنينا عساكر هلال وعامر وعقيل
فنمسي الا يا خال في ضيق حالة وتبقى نسانا للرحال تشيل
وتملك هلال بلادنا وديارنا ونعود في امر مهين ذليل

قال الراوي فلما انتهى نمر من شعره ونظامه طوى الكتاب وختمه بختمه وسلمه الى نجاب يقال له عقاب فاخذه وجد في قطع البراري والقيعان حتى وصل الى عند الملك الغضبان فدخل عليه وقبل الارض بين يديه ثم ناوله الكتاب ووقف مع زمرة الحجاب فلما فتحه وقراه وعرف حقيقة فحواه اغتاظ وتأثر وتطاير من عينيه الشرار وقد عظمت عليه الاحوال واقسم انه لا بد ان يفني بني هلال ولا يبقي احد منهم ثم امر بجمع العساكر للضرب والطعان ولم تكن الا ساعة من الزمان حتى تجمعت الفرسان فركبت ظهور خيولها واعتقلت بسيوفها ونصولها وركب هو ايضاً مع الضرغام اخو نمر ووزيره النعمان وقصدوا بني هلال بقلوب كالجبال وجدوا في قطع البراري وكان عدد الفرسان خمسماية الف عنان

قال الراوي هذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من نمر الجارح فانه كان بعد انفاذ الرسول لخاله ركب في ثاني الايام بجميع فرسانه وابطاله وتقدم نحو بني هلال وهو قاصد الحرب فتقابل الفريقان في ساحة الميدان وتقدم الامير نمر الى معركة الطعان وطلب براز الفرسان فالتقاه الامير دياب وهجم عليه هجوم ليث الغاب وحالا اشتبك بينهما الحرب واخذا في الطعن والضرب حتى علا عليهما الغبار وحجبهما عن اعين النظار فلله درهما من بطلين وفارسين عظيمين وما زالا على ذلك الى قرب الليل كان دياب اشجع من نمر واقدر واعلم منه بمواقع الطعن واخبر فطعنه بالرمح في صدره خرج يلمع من ظهره فوقع على الارض قتيلاً فلما نظرت عساكر الغضبان بما جرى وقد زادت عليهم المصائب والبليات وايقنوا بالهلاك والدمار وطلبوا الهزيمة والفرار وتبعتهم جموع بني هلال وحكموا فيهم السيوف والنصال وقتلوا منهم عدداً كثيراً واغتنموا اموالاً لا تعد وبينما هم سائرون وفي الفلاة مشتتون واذا بغبار قد ظهر عليهم من جوانب القفار ومن خلفه جيوش وعساكر تبهر النواظر فلما اقتربوا منهم وتاملوهم بالعيان واذا هم بعساكر الغضبان وكانوا قد حضروا من الاوطان لمعونة نمر كما شرحنا الان فلما رأت العساكر المنهزمة ملكها الغضبان وهو في المقدمة تقدموا اليه وقبلوا يديه واعلموه بما حل فيهم من المصائب وكيف ان بني هلال قتلت نمر الجارح فلما سمع الملك الغضبان منهم هذا الكلام خرج عن دائرة الصواب فشخر ونخر وطغى وتجبر وقال وحق ديني ومعبودي لابد من قتل جميع بني هلال

وامن الحريم والعيال ثم انه جد في قطع القفار وقلبه يتوقد بنار من جرى هذه الاخبار وقتل نمر الاسد الكرار لانه كان يحبه اكثر من الغير ويتمنى له كل نجاح وخير وما زال يجد السير حتى التقى بالقوم في ثالث يوم فامر الفرسان بالهجوم فهجمت في الحال والتقتها بنو هلال بقلوب قوية وهجم عليه وفي مقدمتها السادات والاعيان والامير حسن ابن سرحان واشتبك الطعان بين الفرسان والتقى الضرغام بالامير حسن وهو ينخي العساكر فالتقاه الامير بقلب اقوى من الصوان واخذا يتضاربان نحو ساعة من الزمان وكان الامير حسن قد طعن الضرغام قاصداً ان يسقيه كاس الحمام فخلي تحت بطن الجواد فراحت الطعنة خائبة ثم اعتلا الضرغام على ظهر حصانه وطعن الامير حسن بقوة جنانه فالتقاه بترس البولاد فانكسر ووقع وراح اربعة قطع وما زالا في عراك وصدام الى وقت المساء فعند ذلك دقت طبول الانفصال ورجعت العساكر عن ساحة القتال وباتوا يتحارسون تحت مشيئة الرحمن

ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح ركبت الفرسان ظهور الخيول واعتقلت بالسيوف والنصول وتقدمت الى ساحة الميدان للبراز والطعان فتقدم الامير ضرغام وطلب البراز والصدام فبرز اليه الامير عقل وكان صاحب ادب وفضل وهجم الضرغام بقلب شديد فالتقاه عقل بقوة السنان واخذا في الضرب وقد اشتد الحرب بينهما ومازالا على ذلك نحو اربع ساعات من النهار وكان الامير عقل قد استظهر على خصمه وهجم عليه وطعنه بالرمح في صدره خرج يلمع من ظهره فوقع

الضرغام قتيلاً وفي دماه جديلاً فلما نظر الملك الغضبان ما جرى استعظم الامر وهجم على عقل وفاجاه وطعنه بالرمح يريد ان يعدمه الحياه فخلى منها عقل فراحت الضربة خائبة وما زالا في اشد قتال الى قرب الزوال فرجعت بنو هلال في السرور والافراح وعساكر الغضبان بالهم والاتراح واخذوا جثة الضرغام واقاموا عليها النواح وكسروا السيوف والرماح ثم كفنوه وبعد ذلك دفنوه ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح ركبت بنو هلال للحرب والكفاح واشهرت في ايديها السلاح فالتقتها عساكر الغضبان في ساحة الميدان وطلب الغضبان براز الفرسان ونادى اين الشجعان اين جبابرة الضرب والطعان فما اتم كلامه حتى صار الامير دياب امامه وصدمه صدمة تزعزع الجبال وترتعد منها قلوب الفرسان فالتقاه الغضبان كالاسد وضربه بالسيف المهند فالتقاه دياب بدرقة البولاد فانكسر السيف وما افاد ثم ان الامير دياب طعن الغضبان بالرمح فغطس تحت بطن الجواد راحت الضربة خائبة وبعد ذلك هجم الغضبان على الامير دياب هجوم الصناديد فاشار دياب يتهدده بهذا القصيد

قال ابو موسى دياب ابن غانم نيران قلبي زايدات لهايب
ايا ملك الغضبان اسمع كلامي وافهم حديثي ايا وغد الاعارب
ارسلت تطلب نوقنا وجمالنا ونسانا مع بنات الكواعب
اما تخشى تطلب بنات حرائر بنات الامارا من فروع اطايب
اما تعلم يا غدار ان وراءهم ليوث حرب من هلال اطايب
فلا بد من قتلك في حد صارمي وتبقى دماك على الفلاة سكايب

وتبقى رجالك بعد موتك مشتتة   وتبقى نساكم راخيات النقايب

قال الراوي فلما فرغ دياب من كلامه التقا الفارسان كانهما جبلان او اسدان كاسران وتضاربا بالسيوف وتطاعنا بالرماح واشتد بينهما الحرب والكفاح وتمايلا في ساحة الميدان وتعلمت منهما الفرسان حقيقة الضراب والطعان وما زالا في قتال يشيب رؤوس الاطفال الى ان اختلف بين الاثنين ضربتين قاطعتين وكان السابق الملك الغضبان وقال له خذها من يد فارس الميدان وليث المعارك والطعان فغطس دياب تحت بطن الخضرا راحت الضربة خائبة ثم طعنه دياب بالرمح من قلب ملان راحت الضربة خائبة وما زالا على ذلك وهما في اشد حرب الى قرب المساء فدقت طبول الانفصال فرجعت الفرسان من ساحة الميدان وباتا يتحارسان تحت مشيئة الرحمن وعند الصباح برز الغضبان الى ساحة الكفاح وطلب براز الفرسان فبرز اليه ابو زيد ليث الميدان واقتتلا طول ذلك النهار وفعلا افعالاً تذهل الابصار ثم افترقا على سلام الى المضارب والخيام واستمر القتال بين عساكر الغضبان وبني هلال ستة عشر يوماً على التمام وكان قد قتل من عساكر الغضبان عشرين الف فارس ومن بني هلال خمسة الاف بطل مداعس وفي اليوم السابع عشر استعدوا لقتال العسكر فدقت طبول الحرب وبرزت الفرسان للطعن والضرب وكان اول من برز الى الميدان الملك الغضبان وقال هل من مبارز هل من مناجز فلا يبرز لي لا كسلان ولا عاجز اليوم يوم الهزاهز فما اتم كلامه حتى صار الامير ابو زيد قدامه فالتقاه الغضبان

قلب شديد واخذ معه في عراك وصدام وجرى بينهما في ذلك النهار
قتال شديد يذهل كل صنديد وكان الغضبان من اشد الفرسان واقدرهم
في ساحة الميدان وكان يعد نفسه في ساحة الطراد من طبقة عنتر ابن
شداد فلما رأى ابو زيد قوة حربه تأخر من امامه فعند ذلك صاح
الغضبان على الفرسان بالهجوم على بني هلال فهجم العسكر فالتقته بنو
هلال واشتبك القتال فما كنت ترى الا رؤوساً طائرة وفرساناً غائرة
ودماء فائرة وكانت بنو هلال قد قصرت في القتال وانكسرت اشد
انكسار وانسدت في وجوهها ابواب الانتصار وايقنت بالهلاك والدمار
فتأخرت ثلاثة ايام الى الوراء وعساكر الغضبان تتبعهم في تلك الصحراء
وفي اليوم الرابع اجتمع ابوزيد بسادات بني هلال وقال لهم قد ساءت
احوالنا وفقدت ابطالنا ورجالنا فما هو رايكم ايها الاعيان في قتل الملك
الغضبان فقالوا الراي هو عندك يا امير فما فينا من يخالفك حتى ولا
الامير حسن فقال الراي عندي ان نقسم بني هلال الى اربعة اقسام
ونهجم على الاعداء من اربع جهات ونسد عليهم جميع الطرقات وتكون
الجازية في اول العماريات مع باقي النساء والبنات واهجم انا من جهة
الشمال والامير زيدان والامير حسن والقاضي بدير من جهة الجنوب
باقي الابطال ونقاتلهم اشد قتال والا حل بنا الوبال فاستصوبوا هذ
الخطاب لانهم رأوه عين الصواب قال الراوي ولما اصبح الصباح
ركبت الفرسان للحرب والكفاح وانقسمت بنو هلال اربع فرق
واعتقلوا بالسلاح والدرق وهجموا على عساكر الغضبان كليوث الغاب

وكان السابق الامير دياب فصاح وزعق وعلى الفرسان انطبق وحكم سيفه فى الهامات والصدور وتبعه اخوه زيدان بكل فارس مشهور وحملوا على الفرسان بقلوب اقوى من الصوان وجندلوا الابطال في ساحة الميدان فلما راى الغضبان ما حل بقومه من الهوان استعظم ذلك الشان فجعل ينخي الابطال وتقدم هو بنفسه وقد هانت عليه المنية في بلوغ الآمال وضرب فيهم بالحسام وتبعته الفرسان من خلف وقدام وازدحم الميدان وثبت الشجاع وفر الجبان وقطرت الدما وحجب الغبار وجه السماء فبينما هم على ذلك واذا بغبار قد ظهر وبان من تحته جيوش وعسكر وامام الجميع الامير حسن ابن سرحان وهو راكب ببني دريد وابو زيد ببني زحلان والقاضي بدير بباقي الرجال والشجعان ومن حول السادات البيارق والرايات ولما اقتربوا الى الميدان هجموا على عساكر الغضبان من كل جهة ومكان فاشتد قلب دياب بقدوم القوم وامل بالنصر في ذلك اليوم فقاتل اشد قتال وهكذا فعلت بنو هلال هذا وقد التقت الرجال بالرجال وجرى الدم وسال وكان يوماً شديد لم يسمع مثله في سالف الاجيال فلله در بني هلال فانها ثبتت ثبوت الاسود وكان الملك الغضبان قد برز الى الامير دياب وهو غائب عن الصواب وكان دياب يدور حوله مثل الدولاب وهو ثابت على الحرب والجلاد كانه طود من الاطواد فعند ذلك تقدم الامير حسن والامير ابو زيد والامير زيدان وهجموا هجمة رجل واحد على الغضبان واحاطوا به من جميع الجهات ونزلوا عليه بضربات قاطعات تهد الجبال الراسيات وبهذه الفعال

هان على الامير دياب القتال فقوم السنان وهجم على الملك الغضبان كانه قضاء الرحمن وقال له خذ هذه الطعنة من يد ليث الغاب وفارس الاعراب الامير دياب وطعنه بالرمح في صدره خرج يلمع من ظهره فوقع على الارض قتيلاً وفي دمه جديلاً فقطع راسه وعلقه في راس السنان حتى تراه جميع الفرسان فلما رأته الرجال استبشروا بالسعد والاقبال وقالوا لله درك من فارس فتاك فلا شلت يداك ولا شمتت بك اعداك وقد تهللت النساوالبنات وقد اظهروا الافراح والمسرات وصاحت الجازية مع البنات والمخدرات لا عدمناك يافارس الخضراوفخر سادة الورى فقد خلصتنا في هذا النهار . واكتسبت بفعالك الشرف والفخار فمدحهن الامير دياب على هذا المديح والخطاب ثم انه انحط على الابطال ففرقهامن اليمين الى الشمال وتبعته بنو زغبي الشجعان وبنو زحلان وهجموا على عساكر الملك الغضبان بقلب اقوى من الصوان وكانت عساكر الغضبان لما رأت ملكها قد مات وحلت به الافات ضعفت عزيمتها وقلت همتها وايقنت بالهلاك والبوار فولوا الادبار واركنوا الى الهزيمة والفرار فتبعتهم فرسان بنو هلال مثل اسود الدحال وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وكسبوا اغنائم ذات قدر وقيمة وكانوا قد تبعوهم الى البلد وحكموا في اجسامهم الصارم المهند فنهبوا الاموال وسبوا الحريم والعيال وبعد ذلك رجعوا الى الخيام وقد بلغوا المرام وزالت عنهم الاوهام ثم انه حضر ابن الملك الغضبان وكان اسمه عبد المدان الى عند الامير حسن ابن سرحان وبمعيته الاكابر والاعيان وطلبوا منه الامان

فاجابهم الى ذلك الشان وعاملهم باللطف والاحسان وخلع عليهم الخلع الحسان وبعد ذلك ولوا الامير عبد المدان حاكماً على تلك الاوطان مكان ابيه واقامت بنو هلال في تلك الاطلال خمسة ايام على التمام وفي اليوم السادس دقت طبول الارتحال فركبت الفرسان بالحريم والنسوان وساروا يقطعون الافاق بدون انعواق حتى وصلوا الى بلاد العراق

قال الراوي وكان الحاكم على تلك البلاد رجل من الاخواد قد اتصف بالفضائل وحسن المآثر يقال له الخفاجي عامر وكان يحكم على البصرة وبغداد والموصل والعراق وما يلي تلك البلاد وكان عنده من الابطال والفرسان نحو مائتي الف عنان فبينما هو جالس في الديوان وحوله الوزراء والاعيان اذ قد دخلت عليه الرعيان وقالوا له اعلم ياملك الزمان ان بنو هلال قد دخلت ديارنا واكلت من ثمار بساتيننا واشجارها وهم كالجراد المنتشر لم يعرف لهم اول من اخر وقد هربت من امامهم جميع الرعيان وتركت النوق والفصلان

قال الراوي فلما سمع الخفاجي هذا الكلام صار الضيا في عينيه كالظلام والتفت الى الامراء واكابر الرجال وقال لهم ما قولكم في بني هلال فعند ذلك تقدم الوزير عميره واشار يقول

يقول الفتى المسمى الوزير عميره ايا امير اسمع لي ترى افكادي
يا امير ارسل للامير ابو علي وابو زيد والزغبي وكل كبار
ليأتوا بعشر المال والخيل والنضى والبوش يأتي لك مع الابكار
وكل السراري والجواري وغيرها وما يملكوا من فضة ودراري

حتى البنات تشوف حسن بناتهم | من كل خود تكسف الاقمار
فان ارسلوا لك ما انت طالبه | من الخيل والاموال والاعشار
فدعهم يجوزوا يا امير بلادنا | ويرعوا ميامن ارضنا ويسار
وان كان لم يرضوا يجيبون قولنا | فيبلون بالنكبات والاضرار
فهذا كلامي يا امير ونصحتي | والشور عندي احسن الاشوار

قال الراوي فلما فرغ الوزير من هذا الشعر والنظام . وسمعته جميع الامراء والسادات الكرام . قال الخفاجي هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب ثم انه كتب الى الامير حسن يطلب عشر المال والنوق والجمال بهذا القصيد وعمر السامعين يزيد

يقول الخفاجي ابن درغام عامر | ولي عزم يقطع صخرها وجبال
ايا غادياً مني على متن ضامر | تسبق هبوب الريح فوق رمال
اذا جيت اني عند الهلالي ابو علي | امير الورى مقدام كل هلال
قل له قال الخفاجي عامر | امير البوادي قاهر الابطال
قومي هم ميتين الف عدادهم | يلقون قومك في الفلاة جدال
وان قصدكم ان تجوزوا بلادنا | وللغرب تبغوا يا رجال هلال
فهاتوا لنا يا امير عشر موالكم | وعشر المواشي وخيلكم وجمال
وهاتوا لنا عشر البنات مع الخدم | وهاتوا لنا يا ابو علي الاموال
وهاتوا لنا الجازية الشريفة | لها عين سودا مثل عين غزال
وهاتوا لنا نجلا وشهلا وحاكمه | وريا ووطفا والبها ودلال
وهاتوا جمال الظعن بنت سلامه | وميتين سرية ملاح طوال

وهاتوا لنا ميتين درع وخودة　　ومیتين سيف مرهفات صقال
ومیتين حربة صنعة ابن جباره　　ومیتين رمح من القنا العسال
وهاتوا لنا ميتين عبد وعبدة　　ومیتين مملوك ملاح جمال
فان اتيتم لي بما قد ذكرته　　لكم عندنا الاكرام والاجلال
وان لم تجيبوا ما تقدم ذكره　　والا تروا مني عنا واهوال

قال الراوي فلما فرغ الخفاجي من شعره ونظمه . طوى الكتاب وختمه بختمه . واعطاه لوزيره سلام . ليأخذه الى حسن ويطلب منه المطلوب بالكمال والتمام . فاخذه وجد في قطع الروابي والتلال . حتى وصل الى نجوع بني هلال . فدخل على الامير حسن ابن سرحان وناوله الكتاب ووقف بقرب الباب فلما قراه وعرف فحواه اغتاظ من ذلك التهديد وخاف من عواقب الامور وقال للجمهور ان الذي كنت احذر منه فقد وقعنا فيه . والله يعلم تاليه . ثم انه امر باخذ الوزير الى دار الضيافة حسب العادة . وقرأ الكتاب امام الحاضرين وطلب منهم الراي والافادة فقالوا الراي عندك افعل ما تريد ودبر هذا الامر برايك السديد فقال مرادي ان ارسل له كتاب منطوي على المودة والاصطحاب وننظر ما يكون الجواب فقال الجميع هذا هو الصواب فعند ذلك كتب الامير حسن اليه يقول وعمر السامعين يطول

ايا غادياً مني على متن ضامر　　يسبق مسير الطير ان كان سابر
اذا جيت الى نحو الكبيسة وارضها　　فاقرأ سلامي للخفاجي عامر
وقل له قال الامير ابو علي　　حاشا لمثلك يبتغي للمناكر

تريد بناتنا يا خفاجي ومالنا ومنا تريد الخيل ثم الاباعر

وقد شاع ذكرك في البلاد جميعها وكفك سخي بالجود يا ابن الاكابر

نحن لنا يا امير بالغرب سادة بارض الزناتي يا ملك بالجنازر

جينا جميعاً يا امير لاجلهم لكي نخلصهم بضرب البواتر

نحن ضيوفك يا خفاجي واهتدي بجاه النبي فخر الورى والعشائر

دعنا نثني الخير عنك بدربنا حتى نصل للغرب وارض الجزائر

امير نحن تحت حكمك وطاعتك فافعل باصلك ياخفاجي عامر

قال الراوي فلما فرغ الامير حسن من هذا الشعر والنظام طواه واعطاه الى الوزير سلام فاخذه وسار حتى اشرف على الخفاجي عامر في اخر النهار فاعطاه الكتاب ففتحه وقراه وعرف فحواه وسمعه من كان حاضر من السادات الكرام. قال له ابو ضرغام جواب بنو هلال احلى من الماء الزلال فقم اعزمهم وترحب بهم ولا تشهر في وجوههم الحرب لانهم عابرون طريق وقاصدون بلاد الغرب ثم انه بعد هذا الكلام اشار يخاطب ابنه بهذا الشعر والنظام

قال الفتى ضرغام قولاً صادق ونيران قلبي زايدات الهواجس

بالله اقصر عن هلال وحربهم فان فيهم كل قرم فارس

بني هلال سارين مغرب اولادهم يا امير جوا قابس

وقد القحطت نجد عليهم وامحلت والزرع فيها صار اصفر يابس

رحلوا وخلوها وكم اتتهم عدا استقبلوها في درق وملابس

كان الدبيسي فارساً متغطرساً وملوكها اتوهم كاسد عوابس

والبغي يا ولدي قبيح فعله اسمع كلامي لا تكون مراوس
هذا كلامي يا خفاجي افهمه اني كبير السن شهم ممارس

قال الراوي فلما انتهى الضرغام من كلامه وفهموا الحاضرين فحوى شعره ونظامه قالوا هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب وفي الحال ركب الامير خفاجي في جماعة من الابطال وركب والده الامير ضرغام الاسد الريبال وقصدوا منازل بنو هلال ولما علم الامير حسن بقدوم الخفاجي عليه وانه عن قريب يصل اليه ركب مع الامير ابوزيد ودياب وزيدان شيخ الشباب وجميع السادات الانجاب وساروا لاستقباله بالعجل وقد زال عنهم الخوف والوجل ولما التقوا ببعضهم البعض نزلوا في تلك الارض وتقدم الامير حسن الى الخفاجي وسلم عليه وقبله بين عينيه . تقدم بعده الامير دياب وجميع الامراء الانجاب فسلموا عليه سلام الاحباب فشكرهم على ذلك الاهتمام وسار معهم الى المضارب والخيام فاجلس الامير حسن والده في صدر الديوان وبعد ان دارت القهوة وطاسات الشراب اشار الخفاجي يترحب بهم بهذه الابيات

قال الخفاجي ابن ضرغام عامر يا مرحباً في من اتوا لبلادي
يا مرحباً بك يا امير ابو علي يا مقري الضيفان والقصاد
يا مرحباً بك يا امير سلامه يا قاهر الفرسان يوم طراد
يا مرحباً بك يا دياب الماجد يا حامي الزينات حين تنادي
يا مرحباً بك يا بدير الفايد يا قاضي العربان والورادي
يا مرحباً بهلال جملة كلها وكبارهم وصغارهم واولادي

يابوعلي سيروا جميعاً وانزلوا   بارض الكبيسة ثم بارض الوادي
اهلاً بكم اهلاَ بكم اهلاَ بكم   انتم ضيوفي تاكلوا من زادي
وهبتكم ارض الكبيسة كلها   من ها هنا حتى الى بغدادي
فجميعها بين الايادي بحكمكم   نحن العبيد وانتم الاسيادي

فلما انتهى الامير خفاجي من كلامه شكره الامير حسن على لطفه واكرامه وما ابداه من حسن اهتمامه واجابه يشكره بهذا القصيد

يقول الفتى حسن الهلالي ابوعلي   يامير عمرك لا ترى اكدارا
يامير نحنا سايرين مغرباً   يامير ما نحن لكم خطارا
اولادنا فى الغرب عند خليفة   في حبس ما اله يامير قرارا
نحن اليهم سايرين بسرعة   والله يفعل كل ما يختاره
قد عمنا خودك وفيض مكارمك   ياقاهر الفرسان يوم الغارا

فلما فرغ الامير حسن من كلامه والخفاجي والامير ضرغام يسمعان رقة شعره ونظامه فانشرح خاطر الخفاجي عامر وتقدم بعده ابوه الامير ضرغام واشار يترحب ببنو هلال بهذا المقال

يقول الفتى ضرغام والقول صادق   يا مرحبا بالقادمين جميع
يا مرحبا فيمن اتوا لبلادنا   اضاء بهم حيّ انا وبقيع
يامرحبا بك يامير ابوعلي   يا من له كل الملوك تطيع
يا مرحبا بهلال جملة كلهم   رعيانهم وعبيدهم وتبيع
اضاءت منازلنا بيوم قدومكم   قد زال عنا همنا وصديع
يابوعلي ارض العراق وسيعة   بها مرتع لابلكم وربيع

وفي حكمنا ستين سوق مدينة　　بها الخز والديباج وكل بديع
فقوموا عندي يا ملك في بلادنا　　ونبقى لشورك يامير نطيع
وهبتك جميع المال والمدن كلها　　ولا حاكمها الا اليك يطيع

فلما فرغ الامير ضرغام من هذا الشعر والنظام وسمعه السادات والامراء الكرام شكروه على هذا الاهتمام وقال له الامير حسن بارك الله فيك وجعلك خليفة لابيك ثم اجابه على شعره يقول

يقول الفتى حسن الامير ابو علي　　الا استمع لي يامللك ضرغام
ياليت عمرك الف عام على المدا　　وانت بخير يا ملك وانعام
وابنك عامر ليته دون سالم　　وعمره لا ينظر عنا وسقام
يا امير املاكك عليك مباركة　　تعيش فيها ما دامت الايام
فعندي البوش والخيل والغنم　　واموال تكفينا مدى الاعوام
ولكن لما امحلت نجد واقحطت　　وسبعة سنين في عنا وسقام
بعثنا ابو زيد للغرب رادها　　ومعه ثلاثة ضاربين لثام
وهم الفتى مرعى ويحيي ويونس　　اولاد اختي من فروع كرام
فراحوا عند الزناتي خليفة　　قبضتهم واشبعتهم عنا وسقام
فشفعت فيهم سعدا بنت الزناتي　　وفي حب مرعي قلبها قد هام
اتانا ابوزيد من الغرب وحده　　واجبرني عما جرى بتمام
رحلنا وسرنا بالجيوش جميعنا　　وصارت اراضينا في فنا وعدام
وهذاالذي قدصار يا فخر الورى　　ايافارس الفرسان يوم صدام

قال الراوي فلما انتهى الامير حسن من هذا الشعر والنظام

مدحه الملك الضرغام . ثم ركبت سادات بني هلال مطاياهم والخفاجي عامر ودخلوا البلد في فرح وسرور وتفرقت عرب بنو هلال في تلك الاراضي . واما الامير حسن والسادات فبقوا عند الخفاجي عامر على اكل وطعام . وشرب مدام . وفرح وسرور . مدة ثلاثة شهور وهم على احسن حال . فاتفق في بعض الايام ان الخفاجي عامر اولم وليمة عظيمة دعى اليها الامير حسن وسادات بنو هلال الاكابر حضرتها النساء والبنات . وجميع السادات وبعد ان اكلوا وشربوا . ولذوا وطربوا دارت كاسات المدام . على من حضر في ذلك المقام . وكانت البنات والنساء الحرائر يشربن على اسم الخفاجي عامر الى ان انتهت النوبة الى الجازية وكانت بديعة الجمال . فصيحة المقال . فتقدمت الى الخفاجي تصف له محاسن بنات هلال وماخصهن الله به من اللطف والكمال والظرف والجمال . فاشارت تقول

تقول فتاة الحي الجازية ونيران قلبي زايدات شعال
ان الامارا يامير بناتهم مثل الظبا في الحسن والاشكال
اما جمال الظعن بنت سلامه الوجه منها مثل بدر كمال
وبنت ابوموسى دياب الماجد فعيونها يامير كمين غزال
وبنت قاضينا البدير الفائد تشبه غزالا بالفلاة جفال
وبنت امير البوادي ابوعلى شبيه البدر في بها كمال
انظر لحسني يا امير فانني اجمل والطف من نساء هلال
قد شاع ذكرك بالمكارم والسخا وبكل فضل شائع وجمال

فلما فرغت الجازية من هذا الشرح والوصف شكرها الخفاجي على شعرها ونظامها . ولما فرغوا من الطعام وشرب المدام نهض الامير حسن على الاقدام وشكر الامير الخفاجي على ذلك الاكرام وقال له في آخر الكلام اريد من لطفك وافضالك ان تشرفني نهار غدا بجميع رجالك لاجل اكل الطعام وشرب المدام وبذلك تجعلني ممنون على طول الدهور والاعوام فاجابه الى ذلك المرام ووعده بالمسير في ثاني الايام وفي اليوم الثاني اولم الامير حسن وليمة عظيمة لها قدر وقيمة ذبح فيها الف راس من الاغنام واحضر فيها مائة ضرف من المدام فكانت من اعظم الولائم لم يسمع مثلها في الاعارب والاعاجم حضر اليها الخفاجي عامر مع باقي قومه وسادات العشائر فتلقاهم الامير حسن بالترحاب والاكرام وبعد ذلك جلسوا على مائدة الطعام ودرات بينهم كاسات المدام فطربت الامراء والسادات والنساء والبنات على اصوات الاغاني ورقص المغاني ولما فرغوا من الطعام جلسوا للحديث والكلام فعند ذلك التفت الامير حسن على الخفاجي عامر وانشده هذه الابيات على مسامع الامراء والاكابر

مقالات الفتى حسن المسمى ابو مرعي فزال الهم عنا
نظرنا منك ياعامر جميلا ومعروفاً والطافاً وحسنا
فدستورك الا يامير عامر زمانا في بلادك قد اقمنا
ورانا حاجة يا مير نلزم اليها قاصدين ولو قتلنا
فلولا يافتى مرعي ويونس ويحيي وسط قابس مارحلنا

ك الافضال اطلب يا خفاجي — لك الارواح يا عامر ثمنا
نبي من بنات هلال أربع — عطيه من ابي مرعي المكنا
فهذه هي عطر بنتي يا مسمى — وهذه بنت ابو زيد المكنى
وبنت دياب وطفى يا خفاجي — وبنت قاضي العربان تكنا

فلما فرغ الامير حسن من كلامه وفهم الخفاجي فحوى شعره ونظامه قال والله يا امير حسن انت صاحب الفضل والمنن قدشرفتمونا فزالت عنا الكدر وطابت بقدومكم المهج والقلوب ثم اشار اليه يقول وعمر السامعين يطول

مقالات الخفاجي في نظامه — ابا مرعي لك الاكرام منا
وفيكم حلت البركة علينا — وضاء الحي فيكم يامكنى
وليس اريد منكم يا هلالي — بنات ولا جمال ولا اسنه
فليتك دائماً يامير قيس — مدى الايام في خير تهنا
قبلت عطيتك يا فخر قومك — وقد ردّيتها من غير منه
فكدرت الخواطر في رحيلك — ومن وقت اجتمعتم ما زعلنا
فلا بد لي بان اذهب معاكم — الى ارض المغارب يامكنى
احارب معكم جيش الاعادي — بحد السيف يا حسن المكنى

فلما فرغ الخفاجي من هذا الشعر والنظام . واكلت قوم خفاجي وهلال من موائد الطعام . امر حسن بالرحيل بعد ثلاثة ايام . فقال الخفاجي لا بد من مسيري معكم الى تونس وابذل معكم المجهود في استخلاص مرعي ويحيي ويونس . فلما سمع ابوه الضرغام منه هذا

الكلام لم يهن عليه ذلك الامر . وقد اشتغل قلبه بلهيب الجمر . لانه كان يحبه محبة زائدة . وليس له صبر على فراقه ساعة واحدة . فاشار عنعه بهذا القصيد . وعمر السامعين يزيد

يقول الفتى ضرغام عما جرى له — بدمع جرى من فوق خدي سكيبها
يا ولدي بالله ارجع وانثني — وابقى في ارضك واترك مغيبها
فكيف تفارقني وامك وحدها — تنادي وتندب ثم تبدي نحيبها
ايا ولدي ان رحبت ما انت عاقل — وذهنك شرد فما انت قرم نجيبها
مقال الفتى ضرغام الذي قل صبره — فارض الكبيسة راح ايام طيبها

فلما فرغ ضرغام من كلامه . اجابه الخفاجي على شعره ونظامه .

قال عامر يا ابي اسمع كلامي — ارجع الى حكمك وكن رجل صبور
مع هلال يابي لازم اسير — للمغارب والجزائر والثغور
ثم انظر لحلب وبلادها — وارى الاحوال فيها والامور
وارى حمص وحما حقاً اكيد — مع دمشق الشام انظر للقصور
اهلها اهل المكارم والسخا — فيها شبيب التبعي السبع الجسور
وانظر الرملة وغزة بعدها — واقصد القدس واوفي للنذور
بعدها نرحل الى ارض العريش — ونرى البردويل ليث الجسور
ثم لقيطة ومطر بعدها — فنيلها يحلو على كل النهور
ثم نخوض البحر الى ارض الصعيد — ونرى الماضي السخي المشهور
وارض هوار الى الغرب البعيد — وارض قابس والزناتي له نزور
ثم نقتله ونملك ارضه — نخلص الاولاد ونسبي للبدور

ثم للاوطان نرجع بالهنا يا ابي والخير مع كل السرور
يا ابي وحيات راسك لا اغيب اكثر من سنتين مع ستة شهور
قر عينك ثم طيب خاطرك وعلى حكم الولاية كن صبور

فلما فرغ الخفاجي من كلامه وعرف الضرغام فحوى قصده ومرامه بكى البكاء الشديد الذي ما عليه من مزيد وعلم ان كلامه لا يفيد ثم تقدمت امه شولا وزوجته وابنته ذوابة واخذن ينهينه عن السفر ويظهرون له عما فيه من الغيظ والكدر . واشارت امه تقول

تقول فتاة الحي شولا التي شكت بدمع جرى فوق خدي سكائب
ايا ولدي عامر فطيعني وارتجع فراقك علينا من عظيم المصائب
ايا امير ارض القيروان بعيدة واقطارها فيها العنا والمتاعب
فما انت مديون ولا انت شارد ولا انت محتاج ولا لك مطالب
تغتب عن الاوطان يا امير عامر وتقصد مع العربان ارض المغارب
ايا ولدي اسمع كلامي وارتجع ابوك كبير السن قد عاد شايب
بحيات راسي يا خفاجي عامر بحرمة نبي تحج له الاعارب
تتركن اهلك يا امير بحسرة ونبقى حيارى ما لنا من يحارب
ايا ولدي بالله انك تطيعني ينجيك ربي من جميع المصائب
ايا ايها الخلان بالله اقبلو وساعدوني حتى ارد الحبائب
رد الفتى عامر لامه وقال لها فلا بد من سيري لارض المغارب
حسن ما بقي لي قلب اقدر افارقه امير سما على كل الاعارب
ابو زيد والزغبي دياب الغانم وقاضيهم بدير للعلم طالب

لســاني رهنتــه يا امي بلا خفى معاهم واني لست عمري بكاذب
ايا امي قلي النواح مع البــكا فما عدت ارجع للحما والمضارب
فلا بدعن قابس وعن حرب اهلها ونأتي بالاموال لهم ومكاسب
وان قضت في تلك الاراضي منيتي فابكي علي في دموع سكائب
ما قال الخفاجي ولدضرغام عامر غدا ابقى بعيداً من الاهل سائب

قال الراوي فلما انتهى الخفاجي من هذا الشعر والنظام بكى بدمع مثل قطر الغمام على مفارقة الاهل والاوطان والاصدقاء والخـلان وطلب من ابنته ذوابة وزوجته مي ان يذهبان معه الى تلك الديار ويتركان الحي فامتنعا عن المسير وبكيا بدمع غزير ثم تقدمت ابنته ذوابة واشارت تنهيه عن السفر وتقول وعمر السامعين يطول

تقول ذوابة يا ابي لا تسافر فتترك الاهل في عنا ومصـاب
فما لك يا امير في الغرب حاجة ولا لك بها مال ولا اسبـاب
ولا ثار لك عند الزناتي خليفه ولا دم لك ايضاً ولا اصحـاب
فكيف تشتتنـا وتطلب بعادنا ونبقى ضوائع في عنا وحساب
وتبقى الهـلالين بجموع شملهم ونحن بلا اهل ولا اصحاب

فلما فرغت ابنته ذوابة من كلامها وسمع الحاضرون فحوى شعرها ونظامها زاد البكاء والنحيب من ذلك الامر الغريب ثم تقدمت بعدها امرأته مي واشارت تقول وعمر السامعين يطول

تقول فتاة الحي مي التي شكت ولي قلب من كثر الغبائن ذاب
فوالله اني ما اسير مغرب ولو ان راسي طار بالقرضـاب

رواحك الا يا امير ما فيه فائدة   وقصدك بلاد الغرب ليس صواب
فدع قول ابوزيد الهلالي سلامه   وحسن الهلالي والامير دياب
وكيف تخلي يا امير بلادك   وتبقى قصورك خاليات خراب
مقالات فتاة الحي مي التي شكت   وهذا كلامي لك جميعه صواب

فلما انتهت مي من هذا الكلام . تقدم ضرغام وجعل يودعه بهذا الشعر والنظام

يقول الفتى ضرغام عما جرى له   ودمعي جرى فوق الخدود سريع
بالله يا قبائل هلال وعامر   اوصيتكم في عامر اخاف يضيع
ايا ذل قصر عاد من بعد عامر   به البوم والغربان دوم جميع
سقى الله يا عامر ليالي سرورنا   ايا حيف راحت يا امير سريع
الا يا حمام الحي نوحوا بربعه   وسيحوا بدمع يا حمام نقيع
ساعمل لفراد الحمام ولمة   واكسي يتامى نجعنا وقطيع
ايا ولدي اودعتك الله خالقي   ومن اودع الرحمان ليس يضيع
فلا تقطع الاخبار عنا فقلبنا   سيبقى بعدك يا خفاجي وجيع

قال الراوي فلما فرغ الامير ضرغام من كلامه . وفهم الامير حسن فحوى نظامه . قال له اعلم يا امير ضرغام لا يكون لك على ولدك ادنى اهتمام . لانه مثل ولدي وقطعة من كبدي . فمهما جرى علينا يجري عليه . وجميعنا نلتفت اليه . فكن مطمئن الخاطر من هذا القبيل ايها السيد الجليل . فلما رأت زوجته وابنته انه لا بد للخفاجي من المسير مع بني هلال . فاتفق رأيهما للرحيل معه الى تلك الاطلال فاستعدا

من ذلك اليوم . وتجهزا للسفر مع القوم . وبعد ذلك حضرت جميع الولاة وسادات العشائر . لوداع الخفاجي عامر . فودعوه بالبكاء والنواح ودعوا له بالتوفيق والنجاح . قال الراوي وبعد هذا الحديث والكلام بثلاثة ايام امر الامير حسن بدق طبل الرحيل والاستعداد والسفر من تلك البلاد . فعند ذلك هدت المضارب وركبت الفرسان ظهور الجنائب واعتقلوا بالسيوف والنصول . وقدملأُوا بكثرتهم تلك السهول وركبت ايضاً النساء والبنات في الهوادج قاصدين بلاد الغرب وتلك الجهات وامام الجميع زوجة الخفاجي وابنته والجازية ونساء الامراء والسادات وكان الخفاجي عامر من افرح البشر في هذا السفر وكان بنو هلال كلما وصلوا الى مكان تاتيهم الهدايا من الامراء والاعيان وحكام تلك الاوطان الى ان قطعوا الموصل وقصدوا حلب الشهباء وما زالوا يقطعون البيداء الى ان اقتربوا من نهر الفرات

﴿ الى هنا انتهى الجزء الخامس من تغريبة بني هلال ويليه ﴾
﴿ الجزء السادس وهو يحتوي على قصة التمرلنك ﴾

الكتاب السادس

من تغريبة بني هلال

﴿ وهو يحتوي على قصة ﴾

تمرلنك

يطلب من

مكتبة الترقي

لصاحبها

شكري الخوري وشركاه

شرقي ساحة البرج اول طريق النهر . (بيروت)

برخصة مجلس معارف ولاية بيروت الجليلة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الراوي ياكرام سبحان رب الأنام قلنا ان بني هلال قتلوا ملوك العجم وكان الحرمند صهر التمرلنك يحكم على بلاد الموصل فلما قتل الحرمندارسلت زهرة لابوها كتاب واعلمته بقتل زوجها الحرمند فلما سمع التمرلنك ذلك الكلام صار الضياء في عينيه ظلام وغضب غضب شديد ولبس كل شيء احمر باحمر وطلع الى الديوان وهو بالغضب مليان قال وكان هذا التمرلنك من الحوارج السابقين وكان في زمانه قهر الملوك والوزراء وهدم البلاد وقتل العباد وكان في زمانه ملك حلب والشام وحرث قلاعها وزرعها واطعم خيله وكان له وزير من جملة وزرائه اسمه اسكندر فلما تكامل الديوان اشار يسأل الملك عن غضبه ويقول وعمر السامعين يطول

قال الفتى المسمى الوزير اسكندر	والدمع من فوق الحدود تحدرا
والنار في قلبي تهب وتنطفي	قد هب لاعجها وعادت تسعرا
يا امير مالي في الديار اشوفك	غضبان ولابس يا امير الاحمرا
لابد اتاك اليوم علم من العجم	او من بلاد العامرة يا هل ترا
تكون قد جاك الخفاجي عامر	همهم عليه مثل سبع يهدرا

هذاك حاكم على العراق جميعها … بما اتى بدريس اليكم طايرا
بما اتاكم عبس خليفة راشد … امير بالرستين ينهي ويأمرا
والا شبيب التبعي في الزرقا … امير طي شبه سبع كاسرا
والا اتونا ملوك نجد جميعهم … قاسون بالشدايد منها مرمرا
قالوا ان نجد امحلت بلادها … سبع سنين ثم سبعة اشهرا
رحلوا وفي قصدهم ارض غصيبه … بلاد تحمل بوشهم والعسكرا
ان كان اتونا يخربوا كل البلاد … ويفعلوا فيها فعال المنكرا
بالله اخبرني الاكيد الواضح … قد حرت انا في امري يا فاخرا

فلما فرغ الوزير اسكندر من كلامه والملك التمرلنك يسمع نظامه فقال اسمع يا وزير وانتم يا اكابر دولتنا واشار يخبرهم

يقول التمرلنك ابو شميله … انا قاهر الابطال والفرسان
اذا قام سوق الحرب والخيل غارة … اطعن صدور الشوس في عيدان
حكمت بلاد العجم بالسيف والقنا … بسيفي ودرعي ثم عود الزان
قتلت اكابرها وكل ملوكها … وادعيتهم في مدرج الاكفان
وكم من امير راح مني هزيمة … وذكري وصل لسائر البلدان
ومن سطوتي ولت ملوك كثيرة … وسيطي وصل للسند مع عمان
كتاب من زهرة اتاني وراعني … خبر اكيد ما به بهتان
بان هلال قد اتوا للحله … وتملكوا الكوفة وكل مكان
اميرهم حسن الهلالي ابو علي … امير ابن امير وراجح الميزان
وابو زيد الهلالي هذاك عمه … ومثله دياب مشبع الجوعان

وصلوا لراس العين وترلوا بارضها   وكان دري الخرمند يا اخوان
طلب لعشر المال منهم بلا بطا   اعطوه ضرب سيوف وعود الزان
وقتلوا الخرمند وملكوا للعجم   وسلطنوا من بعده النعمان
الا يا اسكندر اجمع الجيش للقا   وشدوا على خيل ملاح ضمان

فلما انتهى الملك من كلامه والوزير والقوم يسمعوا نظامه فقام من بين الوزراء وزير وقال له ياملك الزمان ارسل للبلاد واجمع العساكر ودعنا نلاقي بنو هلال قال فتقدم الوزير اسكندر وقال انا عندي راي انك ترسلني اغزي بنو هلال وانت ابقى هنا فامره التمرلنك ان ياخذ معه مائتين الف مقاتل وقال له سير بالعساكر واحفظوا حالكم وكونوا رجال فسار الوزير اسكندر بالعساكر الى ان وصل الى مكان يقال له القصر فوجد فيه تجار اتيين من بلاد العجم فسألهم من اين اتيتم والى اين متوجهين فقالوا اتينا من بلاد العجم الى هذا المكان فاستدعى كبير التجار وكان اسمه كمال الدين وقال له ماذا سمعت لنا عن بنو هلال فاخذ يوصفهم له بهذا القصيد وعمر السامعين يزيد

يقول كمال الدين عما جرى له   بدمع جرى فوق الخدود وسال
اريد اعلمك يا امير عما جرى لنا   الا يا اسكندر ليت عمرك طال
انا من طريق العجم قد جئت قادم   ومعنا بضايع يا وزير احمال
بهارات من ارض الهند معنا   وحملتها من فوق ظهر جمال
طلعنا من البصرة الى بر الحصا   الى جاكده جينا الى شموال
وجينا الى شيبه ورحبه وارضها   الى قصر شروان اتينا بحال

لقينا جيوش سدت القاع والفلا ... وملوا الاراضي سهلها وجبال
امارا كبار يدهش العقل شوفهم ... ومن شافهم عقله غدا بالحال
لم نزل يا امير قد ضيق الفضا ... اذا سرحوا ببوش لهم وجمال
مسير ثلاث ايام يا امير نزلهم ... خيمة بخيمة حشك يا مفضال
خرمند ارسل يطلب العشر منهم ... وعشر بنات مفتنات جمال
فقال ابو زيد الهلالي سلامه ... ما له عندي غير ضرب نصال
وكان ركب الصنصيل وجمع قومه ... وجاه الفتى القمقام والابطال
وعند الضحى صاحت ملوك ال عامر ... واما العرب مالوا ترى بالحال
ياما غدا منهم ملوك كثيرة ... وراحوا من تحت الوطا ونعال
قتلوا ملوك في ذابل القنا ... ودعوا الفوارس بالفلا اجفال
وقد خربوا الكوفة وحلوا بارضها ... وخلوا مداينها سريع تلال
وراحوا من الكوفة الى ارض عاته ... وملوا الى بلدانها وجبال
وملكها ترى الغضبان فارساً ... وابن اخته نمر ليس له مثال
قتلوا الوزير وابن عمه ورفقته ... وكل الفوارس قد غدون جفال
وفارقتهم من باب سنجا وارضها ... وجيت البوادي مثل سيل سال
وياما نظرنا يا امير بدربنا ... ومثل هلال ما رأيت رجال

قال الراوي فلما فرغ من كلامه والوزير يسمع نظامه فقالوا له كيف نركب عليهم ونقاتلهم فقال لهم الوزير الراي عندي ان نرسل من عندنا مايتين فارس الى بلاد الرها يكشفوا لنا الخبر ونحن نبقى هنا حتى يأتي الملك واذا قال لنا لماذا ما ذهبتم نخبره بان اتانا علم ان بنو هلال نازلين

في بلد جاكده ونحن ارسلنا لهم رواد يكشفوا لنا خبرهم وبقينا ننظرهم فقالوا الجميع هذاهو الراي والصواب . اسمع ما جرى للتمرلنك فانه بعث المكاتيب الى جميع البلاد بجمع العساكر وضبط اعدادهم لقاهم اربع كرات وجابوا معهم المدافع واحضر ابن اخته شروان وقال له احكم موضعي حتى احضر لك وطفا بنت دياب فقال له على الراس والعين ثم انه سار بالعسكر والجيوش يقطع البراري والقفار والسهول والاوعار حتى وصلوا الى بلاد القرقس الذي نازل فيها الوزير اسكندر فلما وصل الملك لاقاه الوزير وسلم عليه فقال علامك ما لحقت بنو هلال فحكى له ما صار فعند ذلك غضب الملك غضب شديد وزاده الهم والتنكيد وامر بقتله فتشفعوا فيه ملوك العجم من القتل فصفح عنه ثم انهم ساروا على بنو هلال الى ان وصلوا لراس العين ونزلوا في ذلك المكان . قال اسمع ما جرى الى بنو هلال فان الامير حسن رأى منام هائل الاحلام فلما اصبح الصباح استدعى ابو زيد والامير دياب والقاضي بدير وكل الامارا وراح يخبرهم بالمنام ويقول وعمر السامعين يطول

يقول الفتى حسن الامير ابو علي ... الدمع من فوق الخدود سجام
ايا قوم اسمعوا لي قصتي ... وافتهم يا ابو زيد يا ضرغام
شفت في نومي مناماً راعني ... واصبحت منه موجع وسقام
قد شفت لال عامر كلهم ... في بحر من غيث ثم غمام
ترانا في مركب بالبحر سائر ... والموج يضربنا الى قدام
والريح جانا من شمال بلا خفى ... قد زاد منه الضر والاسقام

من ساعته جتنا سباع كواسر   نزلوا لبحر الدم عاد معام
وكان عاد مركباً وسط البحور   يقلب ونحن في البحور نيام
عدنا جميعاً وسط لجة كلنا   اكابرنا وصغارنا وغلام
اما السباع تواردوا من حولنا   شبه الدياب لاحقات الاغنام
هو ان ماء البحر احدق مهجتي   واما فؤادي والحشا ما نام
يا ابو مخيبر قوم فسر لي المنام   وعجل علينا ريت عمرك دام

فلما فرغ حسن من كلامه هزّوا الحاضرين رؤوسهم وقالوا لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال فتقدم ابو زيد والتفت شاف ابنه صبره فقال يا ولدي اتيني في كتاب الرمل وتفسير الاحلام فراح ابنه صبره واتى به فقام وضرب تخت الرمل ورسم الاشكال على شرح الحال فشاف الاهوال فبكي ابو زيد بكاء شديد واشار يقول

يقول ابو زيد الهلالي سلامه   بدمع جرى فوق الخدود سكيب
ونيران قلبي كلما اقول تنطفي   لها بين محنا الضلوع لهيب
من اجل منامك يا امير ابو علي   دعى في ضميري لاعجاً ولهيب
ولاظن مثلي حد قاري العلم دارس   وربي على كل العباد رقيب
من اجل منامك صار في القلب حسرة   وقد عدت منه يا امير مريب
وبساع انا يا امير افسر منامك   وما قد جرى لك في كلام عجيب
وقد شفت حالك في بحر من الدما   وانت بمركب زايد التقليب
فذاك بحر من المنايا رجالنا   تخوضه ونحن في بكاء ونحيب
وهذا ترانا نبتلي بشدائد   ويا ما جرى كل امر عجيب

اما السباع تأتينا قبائل من ارض بعيدة مثل نار لهيب
جموع الوف سدت القاع والفلا ويأتوا الينا راكبين جنيب
ونحن نخاف من العجم لاحقيننا واميرهم تمرلنك قوم صعيب
وان جاء الينا نقتله مع جموعه وندعيهم بالماضيات ذهيب
مقال ابو زيد الهلالي سلامه لا بد يجري المقدر بلا تكذيب

فلما فرغ ابو زيد من كلامه قال حسن المعونة من الله تعالى هذا ما كان من بني هلال واما ما كان من العجم فانهم بقوا سائرين حتى وصلوا الى بلد الرها فخلت منهم تلك البلاد وتوجهوا نحو راس العين واذا جملة من بني هلال نظروهم آتيين مثل الجراد فعند ذلك ركب الامير ابو زيد ولاقاهم وقال لهم من انتم والى اين ذاهبين فقالوا له نحن من بلاد الرها ونزلوا علينا عساكر ملوك العجم خربوا بلادنا ونهبوا مالنا فقال لهم ابو زيد كم عدد جيوشهم قالوا يا طويل العمر ما يعلم عددهم غير الله فلما سمع هذا الكلام ساق جواده نحو بني هلال حتى وصل عند الامير حسن ابن سرحان واشار يقول

قال ابو زيد الهلالي بادروا للحرب يا امير الملا لا تكابري
يا امير شد الخيل واركب سرعة تمرلنك جانا في جيوشه غاري
فهو اتى ياخذ ثار خرمند الملك اتانا بجيش شبه بحر الزاخري
نادى الفتى الزغبي دياب الماجد نادي على مسرور ابن الجابري
انا عليَّ النصف وحدي يا فتى وانتم علي شهود يا آل عامري
ما قال ابو زيد الهلالي سلامي يا امير شد الخيل واركب باكري

فلما فرغ ابو زيد من كلامه قال لهم كونوا على حذر من الغدر والامكار فلموا بوشهم واخذوا حذرهم من الاعادي وباتوا الى الصباح حتى صار وقت الضحى ما اقبل عليهم احد فقال ابو زيد يا امير دياب اعذل من قومك الف ومن بني زغبي الف ومن قوم القاضي الف ومن قوم حسن الف ومن بني هلال اثني عشر الف ونسلمهم الضعن ونجعلهم اربع فرق من كل فرقة اربعة الاف فارس قال فرجع دياب ولم الضعن وفعل مثل ما قال له ابو زيد واجتمعوا الامارا عند الامير حسن فقال لهم كيف الراي عندكم قالوا الراي انك ترسل كتاب الى التمرلنك واذا بالامير دياب كان مسيره في البر نظر رجالاً اتين من ناحية بلاد التمرلنك مسكهم دياب واتى بهم الى الامير فقالوا اما هذا يا دياب قال لقيتهم في البرية فقال حسن انا اكتب كتاب الى التمرلنك وارسله مع واحد منهم ثم انه استدعا في قلم وقرطاس واشار يرسل الى التمرلنك ويقول

يقول الفتى حسن الامير ابو علي ... بدمع جرى فوق الخدود يسيل
ونيران قلبي كلما اقول تنطفي ... يهب لها جوا الضلوع شعيل
نعم ايها الغادي على متن ضامر ... تشبه غزال بالفلاة جفيل
اذا جئت نحو التمرلنك بلا خفى ... امير على العجمان امير ثقيل
وقله يقلك الامير ابو علي ... امير ابن امير سيد وفضيل
نحن ترانا سايرين مغربا ... ولا نحن عليكم رايدين نزيل
الى الغرب نبغي يا امير بلا خفى ... واولادنا في وسط قيد ثقيل
ومن غدا نرحل يا امير عنكم ... ولاني عليكم رايد التطويل

فعارضنا الدبيثي ابن مزيد دعينا بلاده بلقعاً ودميل
ومن بعده جينا العجم بضعفتنا ملينا اراضيها وكل سهيل
وقد جالنا الخرمند هو وقومه وقد راح من حد السيوف قتيل
فان طعتنا اقصر وارجع لورى والا ترى تغدي بحد ثقيل
ما قال الفتى حسن الامير ابو علي ولا خير في رجل يعيش هزيل

فلما انتهى حسن من كلامه طوى الكتاب وختمه بختامه واعطاه الى الذين جابهم الامير دياب وقال لهم اعطوه الى التمرلنك فاخذوه وساروا حتى دخلوا عليه وقبلوا يديه واعطوه الكتاب اخذه وقراه وعرف رموزه ومعناه اطرق راسه في الارض وصفن مقدار ساعة من الزمان وقال مرادي ارسل لهم الجواب واطلب منهم عشر المال والخيل والجمال والبنات الحسان وبالحال استدعى بقلم وقرطاس واشار يقول

يقول التمرلنك على ما اصابه ولي مدمع فوق الخدود يسيل
من اجل كلام البدو يا قرومنا واصبح جسمي والفواد نحيل
ارسل لنا ابن سرحان كتابه قد يضف شور زايدات نكيل
يهددني بالحرب والحرب مقصدي ايا ريت ظني فهو رجل هبيل
هم يحسبوني اخاف من كلامهم وماني بيوم الموزمات ذليل
ايا غادياً مني على متن ضامر عليها من الفرسان قرم ثقيل
اذا جيت الى حي الامير ابو علي امير ابن امير زاكياً واصيل
سلم ترى كتابي اليه بلا بطا وخليه يقراه ولا يكون هبيل
يسمع ويقصر عن كلامه بلا خفى يسلم لنا ماله بلا تمهيل

وارسل لنا بنات من هلال وعامر | بنات الامارا طرفهم كحيل
من قبل ما تاتيك جحفل العجم | ويأتي اسكندر فارس وثقيل
وياتي مقدح الامير مشعشع | وشمعون والمسمى الفتى الدرفيل
وساداتنا مائتين الف ومثلها | ومائتين مدفع تنضرب تعجيل
ما قال التمرلنك انا ابو شملة | انا قاهر الابطال بالتكميل

فلما فرغ التمرلنك من كلامه طوى الكتاب وختمه بختامه وكان عنده عبد اسمهِ الماس لكن شديد الباس صعب المراس فقال يا الماس خذ هذا الكتاب الى حسن ابن سرحان امير العربان وقل له يرسل نصف مال بني هلال والنصف الاخر له بخشيش فاخذ العبد الكتاب وسار حتى وصل الى عند الامير حسن دخل عليه وقبل يديه واعطاه الكتاب اخذه وقراه وعرف رموزه ومعناه غضب غضباً شديد ماعليه مزيد وقال الى قومه كيف يكون الراي عندكم يا اماره فتقدم الامير ابو زيد واثب على الاقدام واخذ الكتاب وفهم معناه رمادفي الارض واشار يرسل له الجواب ويقول

يقول ابو زيد الهلالي سلامه | ولي دمع جرى فوق الخدود سكيبها
من اجل كلام قد افاض مدامعي | وعدت اقاسي من كلامه نحيبها
وارسل يريد المال منا غصيبة | جموع هلال تأتيه اليها جديبها
فترسل تهددنا بطعن وغيره | وماتعلم اين من الباع مريبها
فنحن رجال الحرب في يوم غارة | بيوم يعود الدم يجري سكيبها
فكم من ملوك كبار شتت شملهم | وراحوا من سيفي يقاسون لهيبها

ايا تمرلنك اجمع الاعجام وارتحل لارضكم سافر فما لك نصيبها
انا اعلمك عن آل قيس وعامر وآل زغبي خلاني وجيبها
ان طعتني ارحل بقومك يا فتى نحنا سباع الفلا ثم ديبها
من قبل ما نعلق بكم نار حربنا مغرور يوم الكون من يقدر يصيبها

فلما فرغ ابو زيد من كلامه طوى الكتاب وختمه بخاتمه واعطاه الى العبد اخذه وسار حتى وصل الى عند حسن دخل عليه وقبل يديه واعطاه الكتاب اخذه وقراه وعرف رموزه ومعناه غضب غضب شديد وزاد به الغم والتنكيد ثم ان التمرلنك استدعى بالوزير اسكندر وقال له كيف اعمل بالعربان ما يعطونا حسب طلبنا وحيات راسي لاحصدهم حصيد واجلهم بالبراري شريد قال له الوزير ما هو الجواب يا ملك الزمان فقراه عليهم ثم قام الوزير اسكندر وقال دعني يا ملك الزمان ان اكتب جواب الى الامير ابو زيد فقال الملك لا يلزم جواب وباكراً نصلي عليهم نار الحرب ونسقيهم كاس الكرب وثاني يوم ركب الامير ابو زيد واشرف على القوم واذ هم مقبلين مثل الجراد الناشر ما لهم اول من اخر ولما نظرهم ابو زيد رجع واخبر بني هلال بهذه الابيات

قال ابو زيد الهلالي سلامه يا حسن جتنا العجم تمشي سريع
يا ملك جانا التمرلنك قاصد من فوق اشقر يا امير تليع
والخيل من خلفه جراد زاحف ودوارع وسيوف تلمع لميع
عشر ملوك كبار غير صغارهم والتمرلنك في قومه جانا سريع
يا دياب انهض واركب عاجل واجمل الاعجام ان يغدوا قطيع

قال الراوي وهم في الكلام واذا بالعجم اقبلت مثل الجراد فركبت بني هلال ولاقوا الاعجام ثم انهم وقفوا في جانب بعضهم البعض فنزل وزير من وزراء التمرلنك الى الميدان وكان اسمه دخان عرض وبان طلب الفرسان وصاح على بني هلال وقال هل من مبارز هل من مناجز لا يبرز لي كسلان ولا عاجز وما في حومة الميدان الآ الوزير دخان فما اتم كلامه حتى صار القاضي بدير قدامه وارمى العمامة وصدمه صدمة هائلة فقال له من تكون من الفرسان حتى جيت تصادم الوزير فقال له انا قاضي العربان ثم التقوا البطلين كانهم جبلين وافترقوا كانهم مركبين وزعق على راسهم غراب البين وثار الغبار على راسهم حتى سد القطار وقدحت حوافر خيلهم نار وما زلوا على تلك الحال الى اخر النهار فزعق القاضي في وجه دخان صوت مثل الرعد القاصف ثم انه ضربه بالرمح فاخذها دخان بالترس البولاد راح ضرب القاضي خايب فارتد عليه الوزير وضرب القاضي بالسيف اخذه بالترس شطح السيف على رقبة الجواد براها كما يبري الكاتب القلم فوقع على الارض فاراد ان يكمل عليه ادركه الرياشي مفرج فاركبوه جواد والتقت الرجال بالرجال وجرى الدم وسال الى وقت الزوال فعندها دقت طبول الانفصال وكل عاود الى حيه والاطلال ولما اصبح الصباح دقوا طبول الحرب والكفاح وركب التمرلنك بقومه وركبت بنو هلال وخرجوا الى حومة الميدان واصطفوا في جانب بعضهم البعض فبرز الوزير دخان الى حومة الميدان ونادى على الفرسان وقال لا ينزل الا الامير حسن ابن سرحان فما اتم كلامه

حتى صار الامير دياب قدامه وقال له سد فمك لعن الله ابوك وامك

ثم انه انشار يقول

قال ابا موسى دياب الغانم ... دخان اغدي من قبالي هزيم

فوز في نفسك وارجع يا فتى ... انا ابو وطفا ما انت لي خصيم

ها الوقت تنظرني وتنظر همتي ... لادعيك شطرين في سيفي قسيم

انزل الى الميدان بادرني سريع ... وانظر الى طعني كنار الجحيم

ها الوقت اسقيك من سيفي عطب ... وادعيك على الوطى تبقى رميم

واقطع لراسك عاجلاً في صارمي ... وادعيك من فوق الوطا تولي عديم

وافني عساكركم ايضاً والملوك ... اما التمرلنك اجعله حطيم

قول الفتى الزغبي دياب الغانم ... لا بد ما اسقيك كاسات الجحيم

رد الفتى دخان في حرب الهمم ... اسقي الاعادي من يدي كاس حميم

انا مريع الخيل في دز القنا ... كم فارس غدا مني هزيم

والسيف في يدي تراني شامطه ... هندي يكاد يقطع الصخر المتيم

لابس على درع داودي عجيب ... وخودتي تضي كما نجم الظليم

تحتي حصان جيد ثابت للقا ... موصى عليه خاص من خيل العجم

كم من امير قد قتلته بالوغا ... قد راح مني في الوغى اصبح عديم

قال الراوي فلما فرغ دخان من كلامه التقوا البطلين كانهم جبلين وحان عليهم الحين وغنا على راسيهم غراب البين وافترقوا كانهم اسدين فعندها ضرب دخان الى دياب بالسيف اخذها بترس البولاد راحت خايبة بعد ما كانت صايبة ثم ان دياب انحرف على دخان وكان معلم

الخضرة اذا صاح فيه الفادس وكان من وراء تضربه الخضرا بالجوز
فلما انحدف على دخان واراد يضربه التفت دخان من وراء دياب
ريد يضربه واذا بالخضرة ضربته جوز ارمته هو والجواد على الارض
فنزل له دياب وشده كتاف قوي منه السواعد والاطراف واخذه اسير
بجره من وراه الى ان وصل لعند الامير حسن فقال ما هذا يا امير
دياب فقال هذا دخان الذي قتل جواد خالي القاضي بدير وقتل
من بني هلال ستة عشر فارس قال حسن والله هذا ما ينسخا فيه ان
يقتل ثم ان حسن امر له في خلعة سنية ولبسها الى دخان وقال له
لا تخف وعليك الامان ان رحت الى عند التمرلنك مع السلامة وان
بقيت عندنا حلة البركة فقال الوزير يا ملك الزمان اذا رحت الى
عند التمرلنك ما اعود اقدر انزل اليكم وان نزلت اليكم يقتلني التمرلنك
والان انا بقيت واحد منكم فقال حسن حلت البركة فقال يا ملك الزمان
لي ولد عند التمرلنك فقال دياب ابشر انا اجيب لك اياه فبقي دخان
عند بني هلال اسمع ما جرى من قوم التمرلنك فانهم لما اصبح الصباح
ركبوا وركب ابن دخان وكان اسمه سكران فنزل الى الميدان وطلب
براز الفرسان فنزل اليه دياب وقال له من انت فقال انا سكران ابن
الوزير دخان وقال انت اسرت ابوي قال دياب نعم واليوم الحقك فيه
ثم التقوا البطلين كانهم جبلين وافترقوا كانهم مركبين وحاز عليهم الحين
وغنا على رؤسهم غراب البين من طلوع الشمس الى الغياب ودياب
ما يسخى بقتله اكراماً لابوه فداموا على ذلك الحال الى ان امسى

المساء دقت طبول الانفصال فافترقوا عن بعضهم وكل من طلب اهله وباتوا الى الصباح فنزلوا الاثنين الى الحرب والكفاح وتجاولوا في الميدان من الصباح الى المساء فقال الامير دياب متى وانا اطول روحي وسحب الدبوس وضرب به سكران ارماه على القيعان ونزل اليه شده كتاف وعاود به الى عند ابوه الوزير دخان فضمه الى صدره وقبله بين الاعيان واخبره بما اكرمه الامير حسن ففرح سكران وبقوا عند بنو هلال هذا ما كان منهم واما ما كان من العجم لما راح الوزير وابنه صاروا في حساب وامور صعاب واما التمرلنك غضب الغضب الشديد وزاد به الغم والتنكيد وباتوا تلك الليلة الى الصباح دقوا طبول الحرب والكفاح وركبت القومين وترتبت الجيشين جانب بعضهم البعض ثم برز وزير من وزراء التمرلنك اسمه شاهين فنزل له طوي ابن مالك فقال ما اسمك ايها القادر فقال اسمي طوي ثم التقوا البطلين كانهم جبلين حتى كلت من تحتهم الجوادين وتعب منهم الزندين ولم يزالوا على تلك الحال من الصبح الى العصر فعندها قام طوي في عزم الركاب وضرب شاهين في عود القنا اخذها بترس البولاد راحت خايبة ثم قام شاهين في عزم الركاب وضربه ومن عظم هوي الضربة وقع شاهين من على ظهر الجواد الى الارض فرد عليه وضربه بالسيف على هامه التي راسه قدامه فلما شافت الاعجام الى شاهين قتيل هجموا على العرب وهجمت العرب على الاعجام والتحمت القومين في بعضهم البعض وصار بينهم شر عظيم حتى جرى الدم وهربت الاندال ولم يزالوا على تلك الحال الى ان

دقت طبول الانفصال ورجعوا القومين الى الصباح فعند ذلك اصطفت عساكر القومين وبرز الامير ابوزيد الى الميدان عرض وبان وطلب براز الفرسان فنزل اليه فارس من الاعجام يقال له اسكندر وزير التمرلنك وصدم الامير ابوزيد صدمة هائلة فتلقاها وقال على مهلك من تكون من الفرسان ثم اشار يقول

قال ابو سرحا اسكندر * انني قرم غضنفر * راس فرساني وعسكر * دوم في الهجمات عابس * انني قرم غشمشم * من يعاندني يندم * بس يافارس تترجم * اليوم اعدامك مقايس

فلما فرغ اسكندر من كلامه وابوزيد يسمع نظامه اشار يرد عليه

قال ابوزيد الهلالي * فارس يوم المجالي * عادته قتل الرجال * يوم وقعات الصدام * جاك ابوزيد المسما * من لقاكم ما يهما * ضربتي والسن سما * سهمها يبري العظام * من وقع في يدي يزول * كم قتلت ملوك اكابر * شوف ايضاً مع عساكر * يا اسكندر قوم بادر * والتقيني بالصدام

فلما فرغ ابو زيد من كلامه التقوا البطلين كانهم جبلين وحان عليهم الحين وغنى على رؤوسهم غراب البين ولم يزالوا على تلك الحال الى وقت العصر حتى كلت منهم الزنود فعندها قام الوزير في عزم الركاب وضرب ابو زيد بالسيف اخذها بدارقة البولاد راحت خائبة ثم ان الامير ابوزيد هجم عليه كانه السبع الكاسر وضربه بالسيف القرضاب على نواعم الرقاب واذا براسه قد تدحرج على التراب وافل نجمه وغاب فلما قتل الوزير حملت العجم على العرب والعرب على العجم

وما كنت ترى الا رؤوس طايرة وخيل غايرة وادمية فايرة فانكسرت قوم العجم وانحطت منهم الهمم ولله در ابوزيد ودياب وباقي الشباب بما فعلوا من الفعال وما فرق بينهم الا الظلام ودقت طبول الانفصال وافترقوا عن الحرب والقتال وقد قتل من العجم خلق كثير وعادت بني هلال على خيل شاردة وعدد مبددة ثم انهم باتوا الى الصباح ودقوا طبول الحرب والكفاح واصطفت الفريقين فنزل من الاعجام فارس يقال له سعد الفلك فلما صار في الميدان عاد يلاعب الجواد على اربع اركان المجال فنزل اليه ابوزيد الهمام قال سعد الفلك يا ابوزيد ما جابك الا يومك واشار يرمي مسائل على ابوزيد ويقول

يقول الفتى المضني الذي فاض ما به ... سعد الفلك صور العذارى وقومها
ولي همة تعلا على كل ماجد ... يخلي كراديس الفوارس هزومها
سلامة كلامك وسط قلبي ومهجتي ... كما سطر الخط بيدي رسومها
قتلت امارتنـــا وجملة كبارنا ... وخضت الى سوق المنايا تسومها
ترى الحرب له صدمات ماحد يصلها ... الا صميدع يدعي من قرومها
وكم راح مني كل امير مجرب ... وراحوا من تحت الوطى عدومها
وما كل من نقل القنا يطعن العدا ... ولا كل من رام المراجل يرومها
مالك مخـــاصم يا سلام بهمتي ... لا بد ما تغدي بسيفي حطومها
كم فارس يتمت منه عياله ... وخليته درج الكفن في رسومها
انا شاع ذكري في البوادي جميعها ... كم فارس مني غدا طعم بومهــا
وتعرف مخاريم الرمل من الفلك ... وتعرف حساب القيد وكل نجومها

وسمعت انك قارياً في علامنــا وشاطر وانت مدعي من قرومها
فسر لي شمس الضحى طبع القمر وبروجها وكم تكون نجومها
واعلمني عن اليوم كم فيه ساعة وانبيني عن سعدها ثم شومها
والا دهيتك يا سلامه بطعنــة وتكون ما بين الخناجر حكومها
وتعود كل الناس منك مريحة وتروح من تحت الوطايا سقومها

قال فلما فرغ سعد انفلك من كلامه اشار يرد عليه ويقول

يقول ابو زيد الهلالي سلامــه بدمع جرى فوق الخدود يعومها
ونيران قلبي كلما اقول تنطفي يهب لها جوا ضلوعي ضرومها
وكنا بطيب العيش بخير ونعمة وطير الهنا طايب لنا في نظومها
ولكن المحل في نجد هاننــا وسعد الليالي قد تبدل بشومها
يا حيف دار العز تبقى خرابة ومأوى الى غربانها ثم بومهــا
وخضت بحر القيل والعلم كله والرمز والمغطى لمن جاء يرومها
واعرف حساب الروم ثم بروجها واعرف منازلها وساعة يومها
نيسان برجه بالحمل تم واكتمل وايامها عدتها ثلاثين يومهــا
واما نهاره في ثلاث عشر ساعة وليله احدى الذي يرومهــا
ويطلع شرطين الحمل يوم سادس وعشرين تعود الارض تزهي نعومها
ويصلح فيه الفصاد والشرب للدوا ودهن الماورد تابع لشمومها
وتفور نهور الشام من كل جانب وتفيض للشط واردات تخومها
وتورق اشجار البلاد جميعهــا وتكتسي الاشجار ثم كروسها
ايار طبعــه والثور بروجه واحد وثلاثين يوم حد يومهــا

وثامنـــه يا خوي فيـــه يطلع   ببطن الحمل بالفجر خافي علومها
وثلاث عشر تنزل الشمس جوزه   واما ليالي الصيف يارب دمها
واربعـــة وعشرين يبقى ليلة   عدة عشر ساعات لمن جا يرومها
ونهاره اربعـــة عشر ساعة   تفصلها الى الزكي يا فهومها
وحزيران الخير برجه بجوزه   ثلاثين حررناه مضبوط يومها
ومن كان زراع يجمع الان زرعه   ومن كان له خيل تولى لزومها
العقرب والميزان يطالع بدايع   لها جوز مقرونات سبع نجومها
ويرد فيها بالغرب سبع كواكب   فهي حمرة المريخ تنبي علومها
ويحكم فيها القيض والارض تكتسي   واربع وعشرين هاجت حمومها
وتبقى الشجر الوان في كل بلدة   وترتاح فيها النفس لا حد يلومها
وفي يوم رابع عشر تنزل شمسه   تحكم بالسرطان هذاك يومها
ويعود خمسة عشر ساعة نهاره   وليله تسعة للذي جاء يرومها
وتموز بالسرطان برجه بواكد   واحد وثلاثين معدود يومهـــا
عاشرها يبدي الزراع قدومه   هجير يعم الارض باقصى تخومها
وسابع عشر تميت الارض كلها   من القيض كم يذوب شحومها
وتاسع عشر تنزل الشمس بالاسد   ويشتد حر القيض كم يدوي سمومها
ويوم واحد وعشرين فيه تباين   بانوارهـــا شقر اليماني قدومها
وآب بالاسد ذاك برجـــه   واحد وثلاثين محسوب يومها
وثاني عشر السنبله ذلك برجه   وطاب الفواكه اكلها وكرومها
ويحلى العنب والتين يلوي عمامته   بنور سعوده ثبتوا في لزومها

وينكس الحر الشديد وقيضه ويبدي الحريق لطيف هبت سرومها
وثامن عشر تنظر السهيل طالع ويموت منه كل ناحل جسومها
واربعة وعشرين يبقى نهاره ثلاث عشر ساعة واكد علومها
وليله يبقى احد عشر ساعة وينزل من انف العوالم زكومها
وايلول برج السنبله طبعه يابس وعدة ايامه ثلاثين من يومها
ويبقى الليل والنهار سوية مقرون بالساعة الى من يرومها
وسابع يوم قد تخفى بالجمل الى الغار من اشرار قوم وشومها
ويوم ثامن عشر فاض مصر نيلها تموج امواجه باقصى تخومها
وعيد الصليب اربع العشر منه وينفك فصل القيض من يومها
وتنزل بالميزان شمسه بواكد ومن كان ساطح غرقته رسومها
واول خريف خامس عشر منه واشرب الدوا ينفع وحجبة دموعها
وتاسع وعشرين ترى الهواء بازغ مع الفجر له خمسة نجومها
وتشرين بالميزان برجه بواكد واحد وثلاثين قد رسمت يومها
ويكمل بمصر النيل يوم ثامن ونفسك غدت تسالها في هدومها
ويوم خامس تنزل الشمس للعقرب وبادر لقطع الخشب بكل عزومها
ويبقى ليله ثلاث عشر ساعة ونهاره احدى عشر لمن يرومها
وثامن وعشرين انتقل فيه آدم ابو الانبياء تراه وارث علومها
وتشرين الثاني له برج عقرب وعدة ايامه ثلاثين يومها
وفيه الزبانه تنبت يوم خامس تراها شبه الرمح عالي قدومها
وثالث عشر الشمس بالقوس تنزل على الارض تبقى تارة من سمومها

ويبقى نهاره عشر ساعات يافتى … وليله اربع عشر واكد علومها
وسابع عشر يفلق البحر موجه … به الارياح ثم تبقى رسومها
تمسى اعوام الارض في يوم خامس … وعشرين تجمد دمها في لحومها
وفي ثامن وعشرين الثريا تسقط … وتبقى الافاعي بالزوايا لزومهـا
وكانون اول برجه القوس يافتى … واحد وثلاثين معدود يومها
وفي اوله تنظر القلب طالع … ومن كان عنده شيء لا يسومها
ونظل الشجر تهوي به الروح عندما … تنسم هواها حاليات جسومها
واثنى عشر تلاقي الشمس بالجدي … وقولي واكد ما به من تهومها
وفصل الشتا يحكم والعوالم تكتفي … عند ما يلزم لكل نفس لزومها
وتعمى به الحيات في يوم رابع … وعشرين ترى الشولة وعدة نجومها
وكم من فتى تلقاه على الماء هارب … كما نخل جاموس جفل من حطومها
وتجمد على الاحجار من كل راكد … من الماء تحاكي لابدات ركومها
وتبرق من كل الجهات اللوامع … برعد تكامل رعدها من سمومها
وسابع وعشرين النعايم تعلقت … بايام مـا يبري لزيد حكومها
وكانون الثاني له برج الجدي … واحد وثلاثين مضبوط يومهـا
ويوم حادي عشر منه ابتدت … به المربعانيـة وولت همومها
وثاني عشر منه فصل الشتا … ترى الشمس تنزل دلوها وعرومها
ورابع عشر منه يبقى نهـاره … مدة عشر ساعات سحر قدومها
وليلة اربعة عشر بكل من أتى … يريد الى علم الفلك ويرومهـا
في مصر يصفى النيل من حين هجمه … وتصفى به الايام يارب دومها

وشباط برجه الدلو طبعه بارد　وثامن وعشرين جاء ربيع يومها
وسعد بلع في سادس العشر منه　يطلع بنو سعود ثبت في لزومها
وتبدي اللواقح سادس من عندنا　انقضت ايامه وولت همومهـا
وسابع اول جمرة قد تحدرت　واربع ثانية من يرومهـا
وثالث عشر الشمس بالحوت تنزل　وتبقى جميع الناس تغرس كرومها
ورابع عشر فالسعود تبادرت　ودبت في كل الشجر دمومها
ويبقى نهـاره احد عشر ساعة　وليله ثالث عشر بانت قسومها
وخامس وعشرين النحوس تحكمت　ثمانية ايام تولت جسومهـا
واذار برج الحوت اول ربيعه　واحد وثلاثين حررت يومها
وسعد الخبايا باوله قــد بينت　وتخرج هوام الارض من تخومها
ورابع عشر منه الفرع قادم　وتبقى سفن البحر تجري بعومها
ويحسن حال الزرع والعيش واكد　وغربة العربان تطوي حزومها
ورابع عشر تنزل الشمس بالحمل　واول ربيع زاهياً في نعومها
ويبقى الليل والنهـار سوية　وتخاف من تمساحها مصر يومها
وقد يعم الماء من سائر الملا　بقدرة المولى عالماً في علومها
سبحان ربي كل هذا بامره　ويحيي عظام البالية في رسومها
مقالات ابوزيد الهلالي سلامه　احوال ها لدنيا فما امر شومها

فلما فرغ ابوزيد من كلامه تعجب سعد الفلك من فصاحة الامير ابو زيد غاية العجب وصاح وحمل عليه حملة الاسد فتلقاه الامير ابو زيد كما تلتقي الارض العطشانة وابل المطر وانطبقوا الاثنين كانهم

جبلين وافترقوا كانهم مركبين وحان عليهم الحين وغنى على رؤوسهم غراب البين والتطموا كانهم مركبين ولم يزالوا على تلك الحال في حرب وقتال الى ان لاح منهم ضربتين قاطعتين كان السابق سعد الفلك تلقاها الامير ابوزيد بدارقة البولاد راحت خايبة من بعد ما كانت صائبة ثم هجم عليه ابوزيد وضايقه وسد عليه طرقه وطرايقه وضربه بالحسام على قحف راسه شقه نصفين وارماه قتيل وفي دمه جديل قال وكان الى سعد الفلك اخ اسمه عبد الفلك فلما نظر اخوه قتيل طار عقله من راسه وانحدف الى حومة الميدان وقال يا ابوزيد تقتل اخي وما تعرف اني انا اخوه ولكن اسألك مسائل ان رديت الجواب تكون مسامح بدم اخي ثم ان عبد الفلك راح يتلي عليه المسائل ويقول

يقول الفتى عبد الفلك يا سلامه ومنك بقلبي لاعجات الغرايم
انا حافظ لكل العلوم جميعها بدرب الذكا والفهم ما لي ملايم
فقل لي عن واحد عن الناس مختفي بقلبك حاضر فمله دوم دايم
وقل لي عن اثنين والاصل واحد واثنين عبد وسيد والعبد قايم
واثنين ثم اثنين واثنين مثلها واثنين تادب جميع العوالم
وقل لي عن اثنين لم تعرف الشبع واثنين مقرونين للحشر دائم
وقل لي عن شيء احلى منه وعن شيء كله مثل العلاقم
وآدم من حوا خلق يا سلامه والا حوا خلقت هي من آدم
خلقت من سائر اعضاه جميعها والا من بعض خلقها عالم
واخبرني عن روح في روح داخله من غير شبه خالطه في الطعايم

ومن كان يسجد قبل ابليس وآدم   الى ربه في الف عام تمايم

فلما فرغ عبد الفلك من كلامه قال ابو زيد يا عبد الفلك هذه مسائلك يعرفونها اولاد الصغار واشار يرد عليه

يقول ابوزيد الهلالي سلامه   كلام يطرب قلوب العوالم
يغنوا بها اهل الذكا من بعدنا   ويترحموا علينا بطيب الكلايم
انا ابو مخيبر تعرف الناس همتي   بيوم الوغى مردي كبار العمايم
عبد الفلك وقعت بقبضة سلامه   ورجل يقع ما اظنه عاد سالم
نقل لي عن واحد عن الناس محتجب   فهذا اله العرش للعبد راحم
ونقل عن اثنين عبد وسيده   فهذا النهار السيد والعبد خادم
واثنين ثم اثنين واثنين بعدها   واثنين تادب جميع العوالم
فذاك شقي وسعيد والشمس والقمر   وايضاً سحاب ثم ريح النسايم
وقولك عن اثنين لم تعرف الشبع   خواجا يطلب المال والدرس عالم
وقولك عن اثنين تدبع على المدا   نفس الماء من الذي كان قادم
وقولك عن شيء ليس احلا منه   كلام طيب من وجوه الحشايم
وقولك عن شي مر كالصبر طعمه   كلام سفيه ليس يخشى الملايم
وآدم من حوا خلق يا سلامه   والا حوا خلقت هي من ادم
انا اعلمك مني العلوم اكيدة   خلقت من آدم وهو كان نائم
فلو تخلق منها ترى باذن خالقه   لكان الطلاق الى النسا يا فهايم
وقولك من اعضاه خلقت جميعها   والا من بعض خلقها علايم
قد اخلقت من بعض اعضاه يا ذكي   خلقة شريفة زاهية بالحشايم

فلو تخلق من اعضاه جملة　　لكانوا بالميزان بالنصف قايم
وروح بروح هي داخــله　　من غير شبه حاطها بحر عائم
والحوت كان بالبحر يونان　　روح بروح اضحى قائم
من كان يسجد قبل ابليس وآدم　　الى ربه بالف عام تمايم
ذاك نور الهاشمي محمد　　قبل ما يخلق بالفين آدم
عبد الفلك هذه رموزك شرحتها　　وان كان عندك شيء قدم وهاجم
وانا اسألك عن شيء واحد　　ان كنت يا عبد الفلك لي تنادم
فقل لي عن البيضة من ايش صفارها　　وبياضها من الريش ام من اللحايم
مقال ابو زيد الهلالي سلامه　　ونيران قلبي زايدات الضرايم

قال فلما فرغ ابو زيد من كلامه تعجب عبد الفلك من فصاحته ثم انطبقوا الاثنين على بعضهم البعض والتقوا البطلين كانهم جبلين وحان عليهم الحين وغنا على رؤوسهم غراب البين قال ان الامير ابوزيد ضرب عبد الفلك بالسيف على هامه طير راسه الى امامه ارماه قتيل وفي دمه جديل فلما قتل عبد الفلك بطل الكون ذلك اليوم وباتوا الى ان اصبح الصباح دقت طبول الحرب والكفاح فبرز التمرلنك الى الميدان وعرض وبان وطلب براز الفرسان قال الراوي فلما رأى بنو هلال التمرلنك تعجبوا من هامته وكبر قامته وهو كانه البرج الحصين فقال حسن يا ابوزيد ماذا تقول في هذا الفارس . قال ابو زيد العلم عند الله انه عفريت من عفاريت السيد سليمان . فقال حسن نادوا الى الوزير دخان لئلا يعرفه فنادوا الى دخان لخضر فقال حسن يادخان من يكون هذا

فارس الذي في الميدان فقال له يا ملك الزمان هذا التمرلنك فقال حسن
لا احد ينزل اليه لانه سخطة من السخطات • فقال دياب انا انزل اليه
وعلى الله الاتكال ثم انه نزل الى الميدان وصدم تمرلنك فالتقاه وقال من
تكون من الفرسان قال له انا اسمي دياب وكنيتي القصاب وحداف الرقاب فلما
سمع التمرلنك هذا الكلام صار الضيا في عينيه ظلام اشار يهدد عليه ويقول

يقول التمرلنك على ما جرى له — بدمع جرى فوق الخدود سكاب
ونيران قلبي كلما اقول تنطفي — لها بين محني الضلوع لهاب
الا يا دياب افتهم لمقالتي — ودائماً انا يوم الوغا مهاب
وكم ملك مني قد راح هزيمة — وشلحته الملبوس والاثواب
انا ان طعتني اسلم بروحك — واغدي والا يافتى ترتاب
واغدي وارسل ابن سرحان ابو علي — اميركم ينزل لي لا يكون خياب
فما انت مثلي يا دياب بلا خفا — ولا الف مثلك والنبي الوهاب
عياري انا بالكون الفين فارس — اذا قامت الهيجا انا القصاب
انظر يا فتى رمحي بيدي وصارمي — وطاعت لحكمي مدنها وجناب
لا بد ما اخذ بثاري بلا خفا — واقتل مشايخكم وكل شباب
ونسبي نساكم وكل اموالكم — وناخذ غناءكم مع الاسباب
وناخذ ملابسكم وكل دروعكم — وناخذ بناتاً راخيات نقاب
واقتل ابوزيد الهلالي سلامه — وانت ملكي يا امير دياب

قال الراوي فلما فرغ التمرلنك من كلامه رد عليه دياب

يقول الفتى الزغبي دياب ابن غانم — لاني بغشاش ولا كذاب

ولا ني جبان عند مشتبك القنا اخلي العدا فوق الوطا وتراب
انا الامير زغبه من فروع زكيه وخالي بدير والامير شهاب
انا راعي الخضرا اذا قام سوقها ان خفت بالهيجا انا القصاب
ياذل من عاند دياب ابن غانم امير ابن امير زاكي الانساب
كم مثلك اهفيه بحد صارمي برمحي وسيفي ودز حراب
يا تمرلنك بادر لطعاني وشوفني وشوف الذي يغلب من الشباب

قال الراوي فلما فرغ الامير دياب من كلامه والتمرلنك يسمع نظامه التقوا البطلين كانهم جبلين وحان عليهم الحين وافترقوا كانهم مركبين والتطموا كانهم بحرين وغنا على راسهم غراب البين حتى كلت منهم الساعدين وتعب من تحتهم الجوادين واختفوا عن العين وثار الغبار حتى سد منافس الاقطار وقدحت حوافر الخيل شرار النار ولم يزالوا على ذلك الحال من الصباح الى المساء ثم ان الامير دياب تعجب من قوة التمرلنك وعندها دقت طبول الانفصال ورجعوا عن القتال وباتوا الى ان اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح دقوا طبول العراك والكفاح فنزل التمرلنك الى الميدان وطلب الفرسان فتقدم اليه فارس من بنو زغبي يسمى مرداح وتجاولا فوقع بين الاثنين ضربتان كان السابق بها التمرلنك فوقع الحسام على هامه طير راسه امامه نزل اليه ثاني فارس قتله وثالث جندله والرابع دهوره والخامس ما امهله ولم يزل يقتل فارس بعد فارس حتى قتل منهم سبة وعشرين فارساً وكان امسى المساء فدقت طبول الانفصال فرجع كل فريق الى حيه والاطلال فجمع الامير حسن

الاماره الى عنده وقال لهم كيف الراي عندكم فقال القاضي بدير ياحسن ان بقي ينازل التمرلنك فارس بعد فارس على هذا الحال يقتلهم في ساحة الميدان فقال حسن ما الراي عندك يا ابوزيد لان مرادي ان تدبر لنا تدبير يكون مليح وكيف نسوي مع هذا اللعين والله انه فارس عظيم فقال ابو زيد الذي تريده يصير فقال حسن مرادي ان ارسل الى التمرلنك كتاب بلكي يبطل عنا القتال فقال ابوزيد الذي تريده افعله عندها استدعى حسن في قلم وقرطاس واشار يرسل اليه ويقول وعمر السامعين يطول

يقول الفتى حسن الامير ابو علي　　بدمع جرى فوق الخدود سكاب
ونيران قلبي كلما اقول تنطفي　　يهب لها جوا الضلوع لهاب
نعم ايها الغادي على متن ضامر　　تشابه نسيم الريح مثل شهاب
اذا جيت للتمرلنك بلغ رسالتي　　ايا ريت عمره ما يشوف نكاب
وقل له قال الامير ابو علي　　امير ابن امير من فروع انساب
الا يا ملك اسمع مقالي وقصتي　　وافهم كلامي لا تزيد عتاب
فان طعتني اسلم بروحك وعزوتك　　وفز بروحك من ملوك اعراب
من قبل ما تعلق بكم نار حربنا　　وتوقع باوشم شومها وانكاب

قال الراوي فلما فرغ حسن من كلامه طوى التحرير وختمه بختمه واعطاه الى عبد من عبيده فاخذه وسار الى ان وصل الى عند التمرلنك دخل عليه وقبل يديه واعطاه التحرير فاخذه وقراه وعرف رموزه ومعناه فغضب غضباً شديداً وسحب السيف وضرب العبد

طير راسه واخمد انفاسه وقال الى قومه باكر يكون اخر ايام بنو
هلال قال وكان الى التمرلنك عبد ابن حلال اسمه جوهر ترك سيده
حتى نام وسار لعند حسن واخبره بان التمرلنك غدا يركب عليكم فقال
حسن يفعل الله ما يشاء فقال العبد جوهر ياسيدي مرادي اذهب فقال
له حسن لماذا لا تقعد عندنا . فاجابه لا اقدر على ذلك خوفاً من
سيدي فامر له حسن بخلعة سنية والف دينار فلما صار له هذا الانعام
اخبره عن العبد الذي اخذ التحرير بان تمرلنك قطع راسه واخمد انفاسه
وما رضي ان يكتب لكم فغضب الامير حسن غضباً شديداً وودعهم
العبد جوهر وسار وما دري فيه احد لا ابيض ولا اسود واما الامير
حسن فانه شاور الامير ابو زيد على هذا الامر فاجابه هاتوا لنا ثمانين
الف جمل وحملوها تراباً ناعماً ويركب مع الجمال ثمانون امير من اولاد
الامارة والعبيد تسوقها من ورا ونركب نحن وراهم والله يعطي النصر
لمن شاء فاعتمدوا على هذا الراي ولما كان الصباح ركب الامير ابو زيد
بقومه التسعين الفاً والقاضي بقومه والامير دياب بقومه والامير حسن
بقومه ومشوا الجمال بعد ما حملوها تراباً وقال ابو زيد الى الذي مع الجمال
اذا انكسرتوا تعالوا اصوبنا ثم انهم دقوا النوبات وركبت الكرات وطلبوا
اللقا والثبات فلما سمع التمرلنك صوت الطبول دق طبله وركب بقومه
ونزل الى الميدان عرض وبان وطلب الفرسان فنزل اليه الامير حسن
وصدمه صدمة هائلة تهد الجبال وتقرب الآجال وتهددوا على بعضهم
البعض بالاشعار والتقوا البطلين كانهم جبلين وافترقوا كانهم مركبين

وحان عليهم الحين وغنا على رؤوسهم غراب البين ولم يزالوا في كر وفر وهزل وجد وقرب وبعد الى آخر النهار فعندها هجمت الاعجام بالمدافع وكان عددها خمس مئة مدفع فعندها لكزت بنو هلال الجمال على المدافع فجفلت من صوت المدافع وكثر الصياح من وراء الجمال والعبيد تنخسهم بالرماح وفزروا عدل التراب وهب الهواء وثار العجاج والغبار حتى عمي الابصار فركضت الجمال وداست الاعجام وخيلها حينئذٍ هجمت العربان هجمة الاسود وطعنوا بالصدور والكبود . قال الراوي ماصار مثل هذه الوقعة الا يوم تعطيش النوق في سيرة عنتر ابن شداد ولم يزالوا على تلك الحال حتى داسوهم تحت سنابك الخيل فلما نظر التمرلنك الى ما صار في قومه اراد الهرب واذا بالامير صبره ابن الامير ابو زيد عارضه في الطريق واعدمه التوفيق وصاح به قائلاً له يا ابن الالف قرنان واخس العجمان ياما قتلت ملوك وياما سبيت حريم فما له التمرلنك الا انه التقى صبره بقلب مثل الصخر وتجاولوا في الميدان وتكسرت بينهم العيدان ثم هجم التمرلنك على الامير صبره هجمة الاسود وحمله على راحة زنده مثل العصفور بيد الباشق الجسور وارماه عَلَى وجه الارض . قال الراوي وكان صبره لما رماه تعلق في صدره ومن عزم التمرلنك وقع هو واياه سواء وصاروا الاثنين على الارض وتعدل صبره على خصمه وسحب الخنجر وطعن به التمرلنك في مفارق امعاه شق بطنه واذا بالامير حسن ادركه وفي يده السيف ونزل وقطع راس التمرلنك فعندها مالت العرب على العجم وفتكوا فيهم بالسيف وما سلم منهم الا

كل طويل العمر وفاتوا على خزائن ملك التمرلنك ونهبوها ورجعوا
بني هلال على خيل شاردة وعدد مبددة وغنموا تلك الاموال وفرق
الامير حسن على العربان واحضر اقوام التمرلنك واحضر الوزير دخان
وابنه سكران والبسه عليهم ملك وقال حسن كل من خالف كلامه
ارميت راسه واخمدت انفاسه قالوا حاشا ان نخالف كلامه وبعد ان
ارتاحوا العساكر من الحرب والصدام واقاموا عدة ايام في بلاد
الاعجام رحلوا وساروا الى ارض حلب

﴿ انتهى الجزء السادس من تغريبة بني هلال ويليه ﴾
﴿ الجزء السابع وهو يحتوي على قصة الخزاعي ﴾
﴿ والملك بدريس في حلب ﴾

الكتاب السابع

من تغريبة بني هلال

وهو يتضمن قصة الخزاعي والملك
بدريس في حلب

يطلب من

مكتبة الترقي

لصاحبها

شكري الخوري وشركاه

شرقي ساحة البرج اول طريق النهر . (بيروت)

برخصة مجلس معارف ولاية بيروت الجليلة

بسم الله الرحمن الرحيم .

قال الراوي يا كرام لما ذهب بنو هلال من بلاد الخفاجي عامر
الى حلب وكان حاكم حلب يقال له بدريس وكان صاحب مال وخيل
وجمال وعساكر وابطال وكان وصل له خبر عن بني هلال انها امحلت
ارضهم والبلاد ورحلوا منها وما فعلوا في الملوك الذين حاربوهم وكيف
ان الخفاجي عامر اضافهم وسافر معهم فلما سمع هذا الكلام جمع اكابر
قومه وخابرهم بهذا الشأن وكان عنده وزير يقال له الخزاعي فقال
له علامك يا ملك جمعت القوم والفرسان فاجابه اريد ان اخبركم
عن بني هلال وما فعلوا من الفعال ولا بد من ان يدخلوا بلادنا ويفعلوا
فينا مثل ما فعلوا بغيرنا ويقتلوا ابطالنا ورجالنا واذا ما عملنا تدبير وقعنا
في امر عسير فلما سمعوا منه هذا الكلام عادوا في امرهم متحيرين
عندها التفت الوزير الخزاعي وقال ايها الملك العظيم انا عندي من
الراي ان ترسل لهم رواد الى ارض الكيسا يرودوها وكم يكون معهم
من العساكر والابطال ويكشف لنا خبرهم ويعود بالحال حتى نحضر حالنا
لاجل حربهم وقتالهم فلما سمع منه هذا الكلام قال هذا هو الرأي
الحميد وعنه لا احيد ثم استدعى برجل وكان شيطان مريد وجبار عنيد
يسمى سابق وقال له اعلم ان مرادي منك ان تذهب ترود لنا بني

هلال وتنظر قومهم والفرسان وترجع لنا في الخبر الشافي فقال سمعاً وطاعة وركب ناقة عشارية وصار يقطع الفيافي والقفار حتى اشرف على نجوع بني هلال فرآهم بعدد الرمال وحار مما شاهد من الفرسان وبينما هو على ذلك واذا بالامير ابو زيد آتياً من الصيد فلما رآه عرف انه رواد فتقدم اليه وسلم عليه وسأله اما انت آتياً من حلب لكي ترود بني هلال وترجع تخبر مولاك بدريس عن احوالنا فاجابه قائلاً ما اخطى ظنك وما عاد شيء مخبا عليك ولكن قل لي عن اسمك حتى اعرفك . فاجابه انا ابوزيد والان وصلت من الصيد فقال له يا امير اعطني الامان حتي اعلمك في جميع الاعلام فقال له عليك الامان والف مرحبا بك انت ضيفي وكل من عارضك ارديته بسيفي عندها اشار سابق يقول وعمر السامعين يطول

قال سابق ابن كاسب صادق — والدمع من فوق الخدود سراعي
قد جيت من حلب ارود جموعكم — وانا رسول للملك قطاعي
بدريس ارسلني برأي صايب — بدريس سيفه للعدا قطاعي
اما الخزاعي يا امير وزيره — يسمى محمد ابن مفلح واعي
وانا بظنك يا امير سلامه — انا شبيه الشاة وانت الراعي
ابوزيد لك بين الملوك اشارة — كل الخلائق منها غدت ترتاعي
قول ابن كاسب للامير سلامه — يا ريت عمرك ما تشوف صداعي
رد ابو زيد الامير الواعي — يا امير سابق انت رجل مراعي
اني خبير بالرجال وفعلهم — وعمات حالك جيت الينا ساعي

وانت جاسوس نجيلة رايد　　وقطعت وديان الفلا وقلاعي
تأخذ علام اولاد عامر سرعة　　لبدريس الملك وايضاً خزاعي
ابشروا من ضلال سلامه　　ما يوم ضيفي يا ابن كاسب ضاعي
ان الملوك حواصل وغواضب　　طعناتهم جوى الحشا لساعي
يا امير سابق موج كل جموعنا　　انظر بعينك صنعـــة الصناعي
اربع ملوك على التخوت جوالس　　عز الملاح الراخيات قناعي
قله اذا عاودت نحو اميركم　　نفسه وينهيها عن الاطماعي
ما قال ابو زيد الامير سلامه　　من كان يعرف للنزيل يراعي

فلما فرغ ابوزيد من كلامه وسابق يسمع نظامه فاطرق الى الارض فقال له ابو زيد انت اليوم ضيفي قوم بنا الى المنزل فسار معه الى بيته واكرمه غاية الاكرام واخلع عليه ثم قال له قم بنا ياسابق الى عند الامير حسن نواجهك فيه فاجاب اني اخاف من ان يقتلني فقال له لا تخف بكفالتي فقام واخذه معه وسار لعند الامير حسن فدخل ابوزيد وسلم فردوا عليه السلام وقاموا له على الاقدام فجلس عن يمين حسن وجلس مسابق الى جانبه فقال حسن من اين ضيفك يا امير ابوزيد فقال له من حلب ولكن اسأله عن كل ما تريد فعنده ناداه حسن فقام سابق واقفاً وتقدم اليه وقبل يديه فقال له حسن اهلاً وسهلاً ومرحبا من اين آتي والى اين ذاهب يا سابق احك وعليك الامان فقال يعيش راسك يا ملك الزمان وحكا له قصته على التمام ثم اقام عند ابو زيد عدة ايام وبعدها طلب الاذن للسفر فاذن

، واعطاه الف دينار فسار وما هو مصدق بالنجاة الى ان وصل الى
حلب ودخل على سيده ووزيره واشار يقول

قال الفتى سابق على ما جرى له ... ترى القول ينقص تارة ويزيد
وما زينة الانسان الا صدقه ... وكذب الفتى يشينه والتفنيد
غدوت انا يا امير من باكر الضحا ... وكان بها برد وبعض جليد
انا رماني السير بارض الكبيسه ... بلاد الخفاجي عامر الصنديد
نظرت جموعاً يا امير كما الرمال ... تقول غماماً او كبحر مديد
مسير ثلاث ايام يا امير نزلهم ... ويوم تراه بالعرض يا صنديد
الوف وميات ملوا واسع الفلا ... وربي بقولي عالم وشهيد
اما حسن مقدام كل جموعهم ... امير ابن امير ابن ست وسيد
وابوزيد راعي الشور والراي كله ... ابوزيد نجمه بالسماء سعيد
اما دياب الخيل قرم مجرب ... على ظهر خضرا فارساً وشديد
ومعهم مكاسب يا امير كثيرة ... وشفت طبولاً يرعدون رعيد
وضربوا بلاد الفرس يا امير مفلح ... وحله وكوفه والعراق عميد
وقد جاءوا لعند الخفاجي عامر ... بارض الكبيسه والعراق قعيد
يا امير يوم ينزلون بلادنا ... يخلوا بلادك بلقعاً وهديد
يا امير شد الخيل بالزعف والزرد ... وجرد قومك للوغا تجريد

فلما فرغ سابق من كلامه والملك يسمع نظامه تغيرت منه
الاحوال من عظم هذه الاقوال ثم التفت الى الوزراء والقواد وقال
ما هو رأيكم ايها الاعيان هل نبادرهم بالقتال والطعان او ندعهم يجوزوا

بلادنا بالامان فقالوا يا ملك الزمان نحن بين يديك ولا نبخل بارواحنا عليك والذي تشوف فيه الصواب افعله فقال الملك ما تقول ياوزير فقال ارى نصبر حتى يصلوا الينا ونكون قد جمعنا قومنا وابطالنا حتى اذا وقع فيما بيننا القتال نشيلهم على اسنة الرماح وننهب مالهم ونسبي عيالهم فقال الملك هذا هو الراي الموافق ثم انه بعث الاوامر الى جميع عماله بان يحضروا حالاً بالفرسان والابطال وما مضى الا القليل من الايام حتى غصت حلب الشهباء من كثرة العساكر وازدحام الدساكر فسر الملك بهم وامر القواد ان يكونوا دائماً متيقظين لقدوم بني هلال ومتى حضروا ضيقوا عليهم ولا تخلوهم يتفرقوا عن بعضهم البعض حتى تملكوا الجميع ولا يفلت منهم لا فطيم ولا رضيع واما بنو هلال فانهم لم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى مكان يبعد قليلاً عن حلب الشهباء وكان كانه فردوس الجنان وهو بين كلس وعينتاب فنزلوا فيه وامتدوا في نواحيه واكلوا الاشجار والاثمار وشربوا مياه الانهار فهربت الاهالي والسكان واعلموا الملك بهذا الشان فلما سمع بهذا الخبر تطاير من عينيه الشرر وفي عاجل الحال امر بجمع الفرسان ثم استدعى اليه القواد وفرسان المعارك والطراد واكابر الوزراء والاعيان واستشارهم بهذا الشان فقالوا له انك ترسل تطلب عشر المال والنوق والجمال فان جابوا الى هذا الطلب كان غاية المراد وان امتنعوا نبادرهم بالقتال والحرب والنزال فاستصوب الملك هذا المقال وفي عاجل الحال كتب اليهم يقول وعمر السامعين يطول

يقول الملك بدريس ابن مهاهل	بدمع جرى فوق الخدود بدايد
يا غادياً مني على متن ضامر	يطوي براري الفلا ثم الفدافد
اذا جيت الى حسن الهلالي ابو علي	فقل له جئت اليوم قاصد
وقل له بدريس حاكم في بلاده	ارسل يقول لك يا ابن الاماجد
وهذي دياري قصدكم تملكوها	وترعوا مراعيها وتبقى حصائد
فهاتوا لنا عشر الجمال مع الغنم	وعشر المال مع عشر الولايد
وهاتوا لنا نجله وفتنه وغيرها	وهاتوا فتاة الزين اي بنت قائد
وهاتوا فتاة الجازية ام محمد	وهاتوا وطفا بنت دياب الماجد
وهاتوا جمال الضمن بنت سلامه	وريا وغيا ثم بنت ابن حامد
وهاتو لنا ايضاً مية بنت مليحة	عذارى يكونوا ما عقدنا العقائد
وميتين سيف من الصواعق مسقطة	وميتين عقد من خواص القلائد
وميتين حمرة من خيول اصايل	ومئة حصان من خيول اجاود
وهذا الذي اطلب يا امير ابو علي	فاياك الى قولي تكون معاند

قال الراوي فلما فرغ من شعره ونظمه طوى الكتاب وختمه بختمه واستدعى بنجاب وقال له خذ هذا الكتاب وسر في الحال وسلمه الى الامير حسن سيد بني هلال فاخذه وسار وجد في قطع القفار حتى وصل الى نجع بني هلال ودخل على الامير حسن فتقدم اليه وقبل يديه واياديي الاماره الذين حوله ثم سلمه الكتاب وطلب منه الجواب فلما قراه وفهم فحواه تغيرت منه الاحوال واعتراه العجب ولكنه اخفى الكمد واظهر الصبر والجلد وامر بان يأخذوا الساعي الى دار الضيافة

فاخذوه وبعد ذلك التفت الامير حسن الى سادات الرجال واعلمهم بالقصة وما كتب اليه بدريس من التهديد واشار الى ابو زيد يقول

قال الفتى حسن الهلالي ابو علي ... ابوزيد اعلمني وكن شوارا
بحياة راسك يا امير فقل لنا ... واسرع لنا يا امير بالاشوارا
هذا الملك بدريس اشغل بالنا ... وارسل الينا يطلب الاعشارا
يبغي لعشر المال يا فخر الملا ... والابل والخيل الجياد المهارا
وعشر النسا يا امير مع كل الخدم ... مع السلاح وهذا اعظم عارا
ابو زيد يا ابو زيد انت مشيرنا ... فشور علينا اليوم شور جهارا
قول الفتى حسن الهلالي ابو علي ... مهما أراد الله كان وصارا

فلما انتهى الامير حسن من كلامه وعرف ابو زيد والامارة فحوى قصده ومرامه قال يا ابن عمي ليس لبدريس غير ضرب السيوف والطعن واما الامير دياب صار الشر يطير من عينيه وعوارضه ترقص في وجهه وقال عليَّ في بدريس والخزاعي وحدي فاستحسن الحاضرون هذا الكلام منه فعند ذلك اشار القاضي بدير يرد له الجواب ويقول:

يقول الفتى القاضي بدير ابن فايد ... ولي عزم امضى من حسام باتر
يا غادياً مني على متن ضامر ... يسابق لطير الجو ان كان طائر
اذا جئت الى بدريس ابن مهلهل ... فاعطيه مكتوبي وارجع باكر
بعثت تهددنا بعزم عساكرك ... تقول هم مثل الجراد الطائر
بدريس بدريس هل عقلك شارد ... تريد بيض من هلال وعامر
البيض في حمى الهلالى ابو علي ... ومن حولهم قروماً اسود كواسر

ان كنت فارس خيل قرم مجرب انهض الينا في جموعك باكر
وانظر مضارب ما رأيت نظيرها من حد هندي رهيف باتر
وانا بدير العامري بلا خفا وذكري شاع في كل العشائر
واعلم يقيناً ان هلال كثيرة تسعين الفاً شاهرات البواتر
وتسعين الفاً ثم تسعين مثلها وتسعين ايضاً في الحروب كواسر
اطغيت يا بدريس مالك حيلة فلست على حرب الامارا بقادر
والله والبيت العتيق وزمزماً مع كعبة الغراء ومن جاء زائر
لا بد من قتلك وقتل رجالكم واجعل دماكم بالاراضي فائر
من ذا الذي يرسل اليك حليلته او ابنته او ما له يا فاجر
باربع مذاهب حل قتلك يا ردي من يستحل العرض حقاً كافر

فلما فرغ من هذا الشعر والنظام استحسنه جميع السادات الكرام ثم ختمه واعطاه للنجاب فاخذه وسار يقطع الهضاب حتى وصل الى الملك بدريس فناوله اياه فلما فتحه وقراه اسودت الدنيا في عينه ثم استدعى بوزيره الخزاعي فحضر الى بين يديه فاعلمه بواقعة الحال • وامره بجمع العساكر والابطال فامتثل امره بالعجل وجمع مائتين الف بطل فركبت الفرسان ظهور الخيول واعتقلوا بالرماح والنصول • وركب الخزاعي بهذا الجيش الكثير وركب معه كل سيد وامير • وسار خارج البلد لاستقبال بني هلال قبل وصولهم الى الاطلال واما بنو هلال فانهم كانوا قد استعدوا للقتال واذا بالخزاعي قد برز الى ساحة الميدان وطلب براز الفرسان فبرز اليه الامير دياب كانه

سبع الغاب فالتقاه الخزاعي بقلب كالحديد وصدمه صدمة الفرسان الصناديد واشار يتهدده ويقول

يقول الخزاعي والخزاعي اروعي ... كل الفوارس لا اخاف لقاها
اسمك دياب والدياب ستأكلك ... يا ارذل الفرسان يا ارداها
وساملك الخضرا بعدك يا فتى ... وتنال نفسي منك كل مناها
اني الخزاعي ابن مفلح صادق ... وتخافني الفرسان يوم لقاها
ما عاد لك مني الرجوع ولا رجا ... حتى ولا وطفا بقيت تراها
رد الفتى الزغبي دياب الماجد ... الخيل تعرف همتي وطرادي
الخيل تعرفني بيوم كريهة ... والبيض في اسمي الي تنادي
اني اصيد الاسد في غاباتها ... بمهند ماضي الحديدة حادي
فاسأل الابطال في يوم الوغى ... عني وعن حربي بيوم جلادي
كم كربة فرجتها في صارمي ... والخيل ولّت لا تطيق طرادي
انزل عن الاشقر وبوس ركابي ... قبل المات وفرقة الاولادِ
ان لم تطاوعني قتلتك بالعجل ... فاسمع لقولي لا تكون مرتادي
اني دياب الخيل ذباح العدا ... مردي الفوارس يوم حرب جلاد

فلما فرغ الامير دياب من شعره ونظامه وفهم الخزاعي فحوى شعره وكلامه زاد به الغيظ والحنق وهجم عليه وانطبق فالتقيا البطلين كانهما جبلين او اسدين كاسرين وتضاربا وتطاعنا بالرماح واشتد بينهما الحرب والكفاح وكان الخزاعي من الابطال المذكورة والفرسان المشهورة فقاتل قتال الجبابرة وثبت ثبات الاسود الكاسرة وما زال

مع خصمه في كر وفر وطعن احر من لهيب الجمر من الصباح الى
وقت الظهر وكان الخزاعي قد استقتل وضاقت به الحيل فطعن
خصمه وهو على آخر نفس فانقلب دياب تحت بطن الفرس فراحت
الطعنة خائبة بعد ان كانت صائبة فعند ذلك استوى دياب على ظهر
الخضرا وضرب خزاعي بالسيف شزرا فالتقاها بدرقة البولاد
فوقعت على رقبة الجواد فبرتها كما يبري الكاتب القلم فوقع الوزير
على الارض وانحطم وصار وجوده كالعدم فاراد الامير دياب ان
يثني عليه بالحسام ويسقيه كاس الحمام واذا بقومه قد ادركوه وشلوه
من على وجه الارض وخلصوه فلما رأى دياب تلك الاحوال وهجوم
الفرسان والابطال من اليمين والشمال صاح في بني زغبي وامرهم
بالهجوم والقتال وفي عاجل الحال التقت الرجال بالرجال والابطال
بالابطال وجرى الدم وسال وتمددت الفرسان على وجه الرمال
وعظمت الاهوال وكثر الصياح وتلفت الارواح وتكسرت السيوف
والرماح . من شدة الكفاح . وفر الجبان وراح . وكثرت المصائب
والاتراح وارتجت الروابي والبطاح من ضجيج الابطال وقعقعة السلاح
والانين والنواح فما كنت ترى الا رؤوساً طائرة وفرساناً غائرة وادمية
فائرة وخيولاً نافرة هذا وقد بلغ دياب غاية الارب واظهر في قتاله
كل العجب وظفر بعساكر حلب فكسرهم اشد انكسار فولوا الادبار
وركنوا الى الهزيمة والفرار فتبعهم في جموع بني زغبي الشجعان وشتتهم
في البراري والقيعان وما زال وراهم في الطلب حتى اوصلهم الى مدينة

حلب فدخلوا المدينة وغلقوا الابواب وهم في حالة الخوف والاضطراب ورجع الامير دياب كانه ليث الغاب وهو مثل شقيقة الارجوان مما سال عليه من ادمية الفرسان وقصد الامير حسن في الصيوان فدخل وسلم عليه فقبله حسن بين عينيه وشكره على ما صنع وخلع عليه اثمن الخلع فاخبره بما جرى له في ذلك اليوم في قتال القوم وقال له في اخر الكلام لا بد للملك بدريس ان يقصدنا في ثاني الايام . ويخرج بنفسه الى ميدان القتال فاذيقه الوبال واستخلص الغنائم والاموال . هذا ما كان من الامير دياب وبني هلال واما الخزاعي فانه رجع الى حلب وهو في حالة العناء والكرب ودخل على الملك بدريس واعلمه بذلك الانكيس وما جرى عليه في ذلك اليوم التعيس وكيف قتلت الرجال وفقدت الاموال وظفر بهم بنو هلال فلما سمع منه هذا المقال اعتراه الانذهال وخرج عن دائرة الاعتدال وبات بدريس تلك الليلة على غير هدى وقد صمم انه يخرج في ثاني الايام لقتال العدا ولما اصبح الصباح واضا بنوره ولاح امر بخروج الابطال للحرب والقتال فاستعدت في الحال وركب في اول العسكر كانه الاسد الغضنفر وخفقت على رأسه الرايات ومن حوله الوزراء والسادات وخرج بموكب عظيم وجيش جسيم فلما علمت بنو هلال بقدوم الملك بدريس للقتال استعدت في الحال وركب الامير حسن في الفرسان والابطال فاصطفت الصفوف وترتبت المئات والالوف وقد برز الملك بدريس الى ساحة الميدان بقلب اقسى من الصوان

طالباً براز الفرسان وقال لا يبرز لي سوى الامير حسن ابن سرحان لاني انا ملك وهو ملك فمن قتل خصمه حصل على طلبه وبلغ غاية قصده واربه فما اتم كلامه حتى صار الامير حسن امامه وصدمه في الحال صدمه تزعزع الجبال فالتقاه بدريس واشار يقول

قال بدريس الهمام الماجد　　اسمع كلامي ياحسن الفاقد
لابد لي من قتل كل رجالكم　　في حد سيفي يا امير القائد
واقتل ابو زيد الامير سلامه　　ودياب والقاضي بدير الفايد
قال الملك بدريس هذا يومكم　　يا من يودع قومه ويعاود

قال الراوي فلما فرغ الملك بدريس من كلامه اجابه الامير حسن على شعره ونظامه يقول وعمر السامعين يطول

قال الفتى حسن الهلالي ابو علي　　نيران قلبي زايدات وقائد
لا بد من قتلك ونهب اموالك　　مع قتل ابطالك وكل معاند
لو ان قومك الف الف ومثلها　　لا بد ان يبقوا الجميع فقائد
قومي انا تسعين الف ومثلها　　تسعين في تسعين الف معاضد
افعالهم يا امير هي طعن القنا　　فترى الفتى منهم كصخر جامد
فيهم ابو زيد الامير سلامه　　ودياب والقاضي بدير الفايد
هل ما رأيت دياب قل جموعكم　　وكسر عساكركم بغير مساعد
واليوم تبقى يا امير مجندلاً　　وممدداً بين الفوارس فاقد

قال الراوي فلما فرغ الامير حسن من كلامه وفهم بدريس فحوى شعره ونظامه زاد حنقه وكثر غيظه فهجم عليه وحمل كانه

قلة من القلل او قطعة فصلت من ذيل جبل فالتقاه الامير حسن
في الحال واشتبك بينهما القتال وعظمت الاهوال وكانا تارة يتقدمان
وتارة يتأخران كأنهما اسدان كاسران او بحران زاخران وما زالا
يتجاولان في ساحة الميدان حتى قصرت من تحتهما الجوادان وكلت
منهما الزندان وتعجب من قتالهما الفرسان وقد اختلف بينهما طعنتان
وكان السابق بدريس فراحت خائبة بعد ان كانت صائبة فارتد
حسن اليه وهجم عليه وضربه بالسيف فاستتر في درقة البولاد
فبرى السيف رقبة الجواد فوقع على بساط المهاد كانه طود من
الاطواد فاراد حسن ان يضربه بالحسام ويسقيه كاس الحمام فادركه
قومه في الحال وخطفوه من ساحة المجال واركبوه ظهر الجواد
وفي الحال اشتبك القتال والطراد والتقت الاجناد بالاجناد وتضاربوا
بالسيوف الحداد والرماح المداد وتحكمت السيوف في الجماجم والاكباد
فما كنت ترى في ذلك اليوم المهول الا ضرب السيوف وطعن
النصول وهذا مجروح وهذا مقتول وما زالوا على تلك الحال وهم
في اشد قتال الى وقت الزوال فدقت طبول الانفصال فرجعت بنو
هلال الى المضارب والخيام ولاقوا الامير حسن بالترحاب والاكرام
ودعوا له بطول العمر والدوام فشكرهم على ذلك الاهتمام واما
بدريس فانه رجع وهو غضبان كثير الهموم والاحزان وقد خاف
من العواقب وحلول المصائب وفي الحال كتب الرسائل وارسلها
الى ولاة المدن والقبائل يطلب منهم المساعدة والامداد بارسال

العساكر والاجناد لقتال بني هلال الاوغاد وان يبادروا اليهم بالقتال ويحملوا عليهم من اربع جهات المجال لينتهي الحال وتنقضي الاشغال وبقي هو داخل البلد بالعساكر والعدد فلما وصلت هذه الرسائل والاخبار الى ولاة الاقطار امتثلوا امره في الحال وجمعوا الفرسان والابطال وقصدوا بني هلال من حدود البحر الاسود في جمع كبير العدد وكانت بنو هلال في سرور وافراح وهم يؤملون بالفوز والنجاح واذا بالمواكب والكتائب قد اقبلت عليهم من كل جانب واحاطت بهم من اليمين والشمال من اربع جهات المجال وهم كعدد الرمال فهجموا عليهم على الابيات وسبوا النساء والبنات فعلت الضجات وتكاثرت الصيحات وتضايقت بنو هلال اشد الضيق وعدموا السعادة والتوفيق وايقنوا بالهلاك والدمار وقاتلوا في ذلك النهار قتالاً يذهل الابصار والقوا نفوسهم على الاخطار وما زال الحرب يعمل والدم يبذل والرجال تقتل حتى صار وقت الزوال فعند ذلك دقت طبول الانفصال فافترقت العساكر عن بعضها ورجعت الجيوش كل طائفة الى ارضها وبات بدريس في سرور وانشراح وانبساط وافراح على ذلك الانتصار والنجاح وبات بنو هلال في اسوأ حال مما اصابهم من الذل والوبال ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح جمع بدريس اكابر اعيانه وارباب ديوانه وقال لهم اعلموا ايها الرجال بان بني هلال قد حل بهم النكال وتضعضعت منهم الاحوال ومرادي الان ان اطلب منهم عشر المال فان ابوا وامتنعوا وما دفعوا فحينئذٍ نقاتلهم في هذا

النهار ونستخلص منهم المال بالقوة والاقتدار ونبليهم بالويل والدمار فلما سمع الخزاعي واكابر الديوان هذا الكلام قالوا افعل ما تريد ايها الملك الهمام فعند ذلك كتب لهم هذا القصيد على سبيل التهكم والتهديد

على ماقال الملك بدريس صادق غدا نركب عليكم يا هلالي
غدا نركب بجيش عرمرمي شبيه الغيث في عدد الرمال
فعربان البحيرة والسويدة وعربان الدهيمي والموالي
تراهم يوم تنتشب العوالي كسبع طالب صيد الغزال
واقتل منكم الامير قيس واخذ خيلكم ثم الجمال
واقتل آل زغبي مع الهلالي بضرب السيف مع طعن النصال
واخذ من دياب الخيل بنته ولا افكر لنكبات الليالي
فان طاوعتني فلك الاماني وهات لعشر خيلك والجمال
وهاتوا من بنات هلال جملة جمال الظعن وفتنة كالهلال
وهاتوا الجازية مع بنت كامل ووطفا ثم نجلا ذي الدلال
وارسل لي عطور الجيد بنتك فابقى صهركم بين الرجال
وان لم ترسل لي ما طلبته فقوموا واستعدوا للقتال
الا يا امير لا تبطي علينا الا يا ابو علي فاسمع مقالي

فلما فرغ من هذا الخطاب طوى الكتاب وسلمه الى نجاب وامره ان يسير في الحال ويسلمه الى الامير حسن سيد بني هلال فامتثل امره وسار وجد في قطع القفار حتى وصل الى بني هلال قبل الزوال فدخل على الامير حسن وسلمه الكتاب وطلب منه الجواب

فلما فتحه وقراه وعرف فحواه انشغل باله وتضعضعت احواله وامران يأخذوا النجاب الى دار الضيافة ثم التفت الامير حسن الى سادات الرجال وقرأ لهم ذلك القصيد وقال لهم ما قولكم ايها الاماجيد في هذا التهديد ثم اشار يقول

الا يا بني عمي وكل قرايبي ... انا حسن فلست يا اهل ذليل
بدريس ارسل يطلب الخيل والنسا ... ويطلب بنات طرفهن كحيل
فان كنتم تعطوه ما هو طالبه ... فاعلموني بصدق القول بلا تطويل
وان كان ما تعطوه يا قوم بادروا ... الى حربه يا قوم بلا تمهيل
ابو زيد اخبرنا ابو زيد قل لنا ... فانت لنا بالنائبات دليل
وانت يا زغبي دياب الماجد ... وانت يا قاضي امير جليل
فرايك مبارك والنبي يا ابن فايد ... وتعرف بما قد جاء في التنزيل
فقولوا لنا ماذا تشوروا جميعكم ... فما عاد الا يا كرام نشيل

فلما فرغ من هذا القصيد قالوا ان الراي السديد عند ابو زيد الفارس الصنديد فلما سمع ابو زيد هذا الكلام وعرف القصد والمرام قال الذي يلوح في فكري ايها السادات الكرام هو ان اكتب انا والامير حسن الى بدريس ابن اللئام نوعده بارسال المال بعد عشرة ايام بشرط ان يرفع عنا القتال والحرب والنزال وعند فروغ الوقت الموجل نرحل في الليل من هذه الاطلال وهو لا يعلم بنا حتى نكون قطعنا مسافة يوم او اكثر حتى اذا لحقنا بالعسكر نبادر بالقتال ونسقيه كاس الوبال ونملك مدينة حلب ونبلغ القصد والارب فاستحسن

الحاضرون هذا الخطاب ورأوه عين الصواب فعند ذلك كتب الامير حسن يقول وعمر السامعين يطول

يقول الفتى حسن الهلالي ابو علي ابشر اتاك الخير يا بدريس
الا ابشروا فقد اجبنا مرامكم غدا الخير يأتي في ظهور العيس
ونعطيك فتنة يا امير وغيرها ونعطيك اموالاً وكل نفيس
الا يا ملك بدريس انت اميرنا وقولي صحيح ما به تدليس
ونار الوغى يا اميرلا تضرمونها ولا تستمع يا امير شور ابليس
اني حسن امير قيس وعامر كريم ولست بما اوعدت خسيس

قال الراوي فلما فرغ الامير حسن من شعره ونظامه طوى الكتاب وختمه بختمه ثم اشار ابو زيد يخاطب بدريس ويقول

يقول ابو زيد الهلالي سلامه جفتنا بلاد الخير والانعام
حكمنا على عشرين تخت لابي علي ولا صدنا عنها ملك همام
فمحلت اراضينا وقد قل خيرها وعدنا بحيرة والامور عظام
جئنا من نجد العدية مغرب وفي فكرنا نذهب لارض الشام
مررنا على الشهباء حلب بطريقنا ونرحل عنها جايزين قوام
تعرضتنا يا امير بدريس بالعجل طغاك الخزاعي والامير خزام
ايا امير بدريس فما انت خصمنا ولا لك علينا ثار يا صدام
فان طعتني فاسمع كلامي وقصتي فسفك الدما يا مليك حرام
ولاتضرم النيران يا فخرالورى فكبر المنافس للقرى هدام
انا ابن رزق الخيل ابو مخيبر انا للفوارس في الوغى صدام

سنعطيك يا امير ما انت طالبه ولكن مستمهلنا عشرة ايام
مقال ابو زيد الهلالي سلامه ونيران قلبي زايدات ضرام

قال الراوي فلما فرغ الامير ابو زيد من كلامه وشعره ونظامه طوى الكتاب في الحال وسلمه مع كتاب الامير حسن الى النجاب فاخذه وسار وجد في قطع والقفار حتى وصل الى حلب عند نصف النهار فدخل على الملك بدريس وقبل اياديه ثم ناوله الكتاب ودعا له بالنصر على اعاديه . فلما قراها وعرف فحواها فرح الفرح الشديد الذي ما عليه من مزيد . والتفت الى ارباب الديوان . والوزراء والاعيان . وقال لهم لقد بلغنا المراد وحصلنا على مسرة الفواد . ثم انه امر الرجال ان تهيي المخازن في الحال لوضع الاموال التي ستاتيه من بني هلال وان تفرش القصور والحارات برسم البنات المخدرات فامتثلوا امره في الحال وفعلوا كما رسم وقال فهيأوا المخازن والقصور وفرشوا الحارات والدور . هذا وقد استبشر بدريس ببلوغ المرام وزالت عنه الغموم والاوهام وكتب الى الامير حسن بن سرحان يعطيه الامان ويأذن للعرب بالدخول الى حلب وذلك على سبيل البيع والشراء بدون ادنى احتساب وهذه صورة الكتاب

قال الملك بدريس يا اجوادي القول مني صادق الانشادي
يا ابو علي ادخل مدينتنا حلب فلكم امان الله يا اجوادي
اعطيتكم مني الزمام وجرتكم والله شاهد والنبي الهادي
بيعوا بضائعكم علينا واشتروا روحوا وجولوا بالملا وبلادِ

الارض ارضك والبلاد بلادكم   ارسلت مع كل الجموع منادي
هذا كلامي بالامان فادخلوا   والختم من فوق الكتاب شهادي
كونوا براحة بال من بعد العنا   يا ابو علي يا زينة الامجادِ

قال الراوي ثم انه طوى الكتاب وسلمه الى النجاب وامره ان يسير بالحال الى بني هلال ويسلم الامير حسن الكتاب ويأتيه بسرعة الجواب فامتثل وصار ودخل على الامير حسن في ذلك النهار فسلمه الكتاب وطلب الجواب فلما قراه وفهم فحواه فرح الفرح الشديد الذي ما عليه من مزيد فاخلع على النجاب وارسل معه الجواب وهو يتضمن على كلام لطيف ويشكر بدريس على ذلك التصرف ثم انه اعلم سادات بني هلال بما كتب بدريس من المقال فاعتراهم الفرح والطرب بعد ذلك الغم والكرب ومن ذلك اليوم ابتدأت العرب تدخل الى مدينة حلب فيشتروا من اهلها البضائع الثمينة ويبيعوهم من المكاسب التي اكتسبوها من كل بلد ومدينة وما زالوا على تلك الحال وهم في انشراح بال حتى اقتربت الوعدة ومضت تسعة ايام من المدة فعند ذلك اجتمع الامير حسن بالامراء والسادات الاماجد وقال لهم هذا هو اليوم التاسع ولم يبق لنا غير يوم واحد فما هو رايكم ايها السادات والفرسان فقال ابو زيد الراي ان نركب ظهور الخيل ونسير في ظلام هذا الليل وان لا يذهب احد من العرب في هذا النهار الى حلب خوفاً من ان بدريس يعلم بواقعة الحال فيقبض عليه لينما نقدم له المال فاستحسن الامراء هذا الخطاب وراوه عين

الصواب وفي الحال ارسل الامير حسن منادياً ينادي بين جموع العرب ان لا يذهب احد منهم الى حلب . قال الراوي هذا ما كان من بني هلال وما صمموا عليه من الفعال . واما ما كان من الملك بدريس فانه صبر الى اليوم العاشر ولما بلغه بانه لم يدخل في ذلك النهار احد الى البلد من عرب العشائر زاد كدره بعد الفرح والسرور وخاف من عواقب الامور فارسل بعض الجواسيس في ذلك اليوم لتكشف له اخبار القوم وكان رجل اسمه المحتال وهو ذو مكر واحتيال يخطف الكحل من العين بسرعة اليدين كانه الثعلب ابو الحسين فغير زيه وتنكر حتى لا يعرفه احد من البشر ثم اخذ حماراً وحمله من النقولات وانواع العطريات وجد في قطع الفلوات قاصداً بني هلال بدون عاقة ولا اهمال ولما وصل اليهم واشرف عليهم جعل ينادي ويقول يا معشر العرب معي برسم البيع الملبس والزبيب والتين وفستق وكرابيج حلب فمن اكل وشرب التذ واستطيب وحصل له السرور والطرب ومعي ايضاً المعطر والطيب الذي يصلح لكل حبيب ولم يزل على تلك الحال يصيح وينادي على الرجال وهو قاصد الامير حسن وفي يده الرسن فاتفق انها حانت منه التفاتة الى وراه فلم يرَ اثر للحمار في تلك الفلاه فتعجب كل العجب وعرف انها سرقته العرب فقال لقد انفقنا بضاعتنا وفقد الحمار منا فجبر الله عنا ولما وصل الى صيوان الامير حسن جعل يتجسس الاخبار بما امكن فوجد عنده جماعة من الامراء المشاهير وهم يتداولون في

امر المسير فعرف المرام وان قصدهم الرحيل تحت ستور الظلام فرجع على الاثر واعلم بدريس بذلك الخبر فعظم عليه الامر وتكدر . فقال للخزاعي ومن حضر من الرجال قد خدعتنا بنو هلال بالمكر والاحتيال ومرادهم ان يرحلوا من هذه الديار تحت ستور الاعتكار فما هو رايكم الان في هذا الشان . فقال الوزير الراي عندي يا ملك الزمان ان اسير بالمواكب والكتائب واكمن لبني هلال في سهل سراقب لانه لا بد لهم من العبور من ذلك المكان ثم تدركني انت بباقي الابطال والفرسان ونبادرهم بالحرب والصدام من خلف وامام ونبلغ منهم القصد والمرام فاستصوب بدريس هذا الكلام فعند ذلك ركب الوزير خزاعي بما تيسر من العسكر وقصد سهل سراقب وكمن لبني هلال في تلك السباسب وكان الملك بدريس قد كتب الى ولاة المدن والبلدان يطلب منهم ان ينجدوه بالابطال والفرسان فارسلوا له بالعجل مايتين الف بطل ففرح واستبشر وامل ببلوغ الوطر ثم دقت الطبول ونفخت الزمور وتقلدت الرجال بالرماح والنصول وعليت الفرسان على ظهور الخيول وسار بالعساكر والشجعان قاصداً ذلك المكان

قال الراوي هذا ما كان من الخزاعى وبدريس وما جرى لهما من الكلام والحديث واما ما كان من بني هلال فانهم لما اظلم الظلام امر زيد العرب ان توقد النار امام المضارب والخيام حتى لا يشعر بهم احد من الانام وان تركب الحريم والعيال على ظهور الهوادج والجمال

وتسير امام الابطال ففعلوا كما امر وتجهزوا للسفر وسار الخفاجي عامر بخمسة الاف من الفرسان والشجعان مع البنات والنسوان خوفاً من نكبات الزمان وطوارق الحدثان حتى وصل بالقرب من سراقب وتلك السباسب وعند وصوله الى ذلك المكان ادركه الخزاعي بالابطال والشجعان وهجم عليه من كل جانب ومكان فلما شاهد تلك الحال وهجوم العساكر والابطال من اليمين والشمال اعترى الخفاجي عامر الاندهال وخاف على الحريم والعيال فحمل هو ومن معه من الابطال والتقوا الاعداء بقلوب كالجبال وفي الحال انتشب القتال وعظمت الاهوال وجرى الدم وسال وكان الخفاجي كما تقدم الكلام من اشد فرسان الصدام فقاتل قتال الاسود ونكس الرايات والبنود وبذل في الحرب غاية المجهود غير ان عساكر الاعداء كانت اكثر فانصبت عليه كعارض المطر فظفر الخزاعي واستظهر وذلك بعد قتال شديد وهجمات تشيب الطفل الوليد واسر عدة من البنات والنساء المخدرات فبينما كان الخفاجي في اشد الاهوال وهو غارق في وسط المجال وعساكر الاعداء محيطة به من اليمين والشمال واذا بفرسان بني هلال قد اقبلت الى ذلك المكان وامامها الامير ابو زيد ليث الميدان وهو راكب على فرسه الحمرا وكان قد بلغه الخبر بما حصل الى الخفاجي فغار في ساعة الحال بالفرسان والابطال حتى ادرك بني هلال وهجم الى ساحة المجال وتبعته العساكر والجنود وقاتلوا قتال الاسود فخرقوا الصفوف بطعن الرماح وضرب السيوف وبعد معركة عظيمة ومذبحة جسيمة خلصوا

البنات والنسوان من الاسر والهوان وابلوا الاعدا بالويل والحرمان وما زالوا على تلك الحال وهم يجندلون الفرسان والابطال الى قرب الزوال واذا بغبار من خلفهم قد ظهر وثار وبعد ساعة انكشف للابصار وبان عن عسكر جرار كعدد رمال البحار وكان هذا عسكر بدريس ملك حلب قد حضر لقتال بني هلال ليبليهم بالذل والعطب لاننا كنا ذكرنا قبل الان بانه ارسل الى ولاة المدن والبلدان يطلب منهم النجدة والامداد فامدوه بالعساكر والاجناد وكانت مايتين الف مقاتل بين فارس وراجل فخرج بهم من حلب وقصد بنو هلال وفي قلبه منهم نار اللهيب وما زال يقطع الروابي والقيعان حتى ادركهم في ذلك المكان وهم في حالة الانتصار فبادرهم بالقتال من اليمين واليسار وفي الحال انتشب القتال وعظمت الاهوال وجرى الدم وسال وتعددت الفرسان والابطال في ساحة المجال واستمر القتال على هذا المنوال الى وقت الزوال فعند ذلك دقت طبول الانفصال فانفصلت العساكر عن بعضها البعض ونزلت كل فرقة في ناحية من الارض وكان بدريس في قلبه من بني هلال نار الاشتعال وذلك لعدم اعطائهم المال وما بدا منهم من المكر والاحتيال فبات تلك الليلة في قلق عظيم وغم جسيم

قال الراوي ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح دقت طبول الحرب والكفاح فركبت الفرسان ظهور الخيول واعتقلت بالرماح والنصول واصطفت الصفوف وترتبت الميات والالوف وانتشرت

الرايات والبيارق وخفقت على رؤوس السادات الاعلام والسناجق وبرز الخزاعي الى ساحة الميدان كانه النمرود ابن كنعان وطلب براز الفرسان وقتال الشجعان وقال لا يبرز لي من الابطال وسادات الرجال سوى ابو زيد المحتال فما اتم كلامه حتى صار ابو زيد امامه وصدمه صدمة تزعزع الجبال فالتقاه الخزاعي بقلب كالجبال وانشد وقال

قال الخزاعي فالحرب مرادي — اني مريع الخيل يوم طرادي
اليوم يا ابو زيد امحي جمعكم — وانال غاية مقصدي ومرادي
واقتل حسن اميركم بمهندي — واقتل عرندس والامير حمادِ
واقتل دياب الخيل من حاز الملا — وساخذ الخضرا بضرب جلادي
والبيض اخذها واقتل كل من — يوم الوغا عند البنات ينادى
اني وزير القوم جئتك عاجلاً — فاليوم تبصر شدتي وطرادي
وساخذ الحمرا رغماً يا فتى — من بعد طعن يشيب الاولادِ
واجعل نساكم خادمات نسانا — طول الزمان ومالهم من فادِ

قال الرواي فلما انتهى الخزاعي من شعره ونظامه وفهم ابو زيد فحوى قصده ومرامه اغتاظ منه الغيظ الشديد على ما سمعه من التهكم والتهديد والوعيد فاجابه بهذا القصيد وعمر السامعين يزيد

قال ابو زيد الهلالي سلامه — اليوم تبصر ياخزاعي طرادي
اليوم تبصر حربنا وقتالنا — وطعناتنا بالرمح في الاجسادِ
شهدت لنا بحروبنا كل الورى — يا اخبث الوزراء والاوغادِ

اليوم تبصر فارساً ذو همة ... وعزيمة اقوى من البولاد
اني سأملك ارضكم وبلادكم ... ويطيب في هذا النهار فوادي
وحلب سنجعلها محل جلوسنا ... من بعد حرب يشيب الاولاد

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من هذا الشعر والنظام اغتاظ الخزاعي من هذا الكلام وصدمه صدمة الاسد الضرغام فالتقاه ابو زيد بالعجل وانطبق عليه وحمل وجرى بينهما من الاهوال والحرب والقتال في ساحة المجال ما يشيب رؤوس الاطفال فلله درهما من فارسين وبطلين مغوارين فانهما تهاجما هجمات الاسود وتطاعنا بالرماح حتى خدرت منهما الزنود وتحيرت من قتالهما العساكر والجنود وما زالا على تلك الحال وهما في اشد قتال الى ان سبق منهما ضربتان عظيمتان كانهما صاعقتان وكان السابق الخزاعي فالتقاه ابو زيد بدرقة البولاد فقطعها وسقط على رقبة الجواد فبراها كما يبري الكاتب القلم فوقع ابو زيد على الارض وانحطم فاراد الخزاعي ان يعجل فناه ويعدمه الحياة واذا بفارس قد اقبل من وسط المجال وصاح صيحة تزعزع الجبال وانقض على الخزاعي مثل العقاب الكاسر او السبع الجائر وقال ارجع يا كلب الرجال فسوف يحل بك الوبال وتضحى قتيلاً على الرمال وكان صراخ الامير دياب ليث الغاب فانه لما شاهد الاحوال ورأى ما حل بابي زيد من الوبال حمل في الحال والتقى الخزاعي في ساحة القتال فالتقاه الخزاعي بقلب كالجبال واشتد بينهما القتال وعظمت الاهوال وما زالا على تلك الحال الى وقت الزوال

رهما في ضراب وطعان يحير عقول الفرسان وكان قد اختلف بينهما طعنتان قاتلتان وكان السابق الامير دياب الاسد الوثاب فطعن الخزاعي بالرمح في صدره خرج يلمع من ظهره فوقع على الارض يختبط بعضه ببعض فلما رأت عساكر حلب ما حل بوزيرها من العطب زاد بها الغيظ والغضب وحملت في الحال على بني هلال من اليمين والشمال بقلوب كالجبال وهم يصيحون يا لثارات الوزير وقاتلوا قتال الابطال المغاوير فالتقتهم بنو هلال واشتبك بينهم القتال وعظمت الاهوال وجرى الدم وسال وتمددت الرجال على وجه الرمال وما زالوا على تلك الحال الى وقت الزوال فدقت طبول الانفصال فافترقوا عن القتال ورجعت بنو هلال في فرح واستبشار على ذلك الانتصار وباتت عساكر بدريس في غم وانكيس وحال تعيس لانه كان قد فقد منها عدداً كثيراً من العسكر ولا سيما قتل الخزاعي الوزير الاكبر لانه كان من افراد الرجال ومشيرها في الحرب والقتال وعليه الاعتماد والاتكال فتضعضعت احوالها من هذا القبيل وايقنت بالهلاك والتنكيل والحال الوبيل هذا ما كان من جيش الاعادي واما ما كان من دياب ليث الوادي فانه رجع من ساحة الميدان وهو مسرور فرحان وثيابه كشقائق الارجوان مما سال عليه من دماء الفرسان فالتقته النساء بالفرح والسرور والغبطة والحبور وشكروه على ما فعل وقلن له لله درك من بطل لقد قهرت الغريم وقاتلت عن الحريم فلا عدمناك يا فارس الخضرا وليث الصحراء ثم انه نزل في

المضارب والخيام وخلع ثياب الحرب والصدام ولبس ثياب البرفير والارجوان وبعد ذلك دخل الامير حسن فقام له على الاقدام والتقاه بالترحاب والاكرام واجلسه بقربه وترحب به وقال له مثلك تكون الفوارس يا زينة المجالس ومثل ذلك قال له القاضي بدير ابن فايد والامير ابو زيد الهمام الماجد ولما استقر به الجلوس وطابت من القوم النفوس التفت الامير دياب الى ابو زيد واشار يخاطبه بهذا القصيد

مقالات الفتى الزغبي ديابا ولي عزم كما الصخر الاصما
ولي همة كهمة ليث عابس انا الزغبي دياب انا المسمى
فكيف رماك يا امير الخزاعي وأنت اشد قلباً ثم عزما
ايا ابو زيد يا حصن العذارى فلولا ما ادركك لقتلت رغما
ولما قد اتيتك يا سلامه اذقت انا الخزاعي كاس سما
وما قصدي امنن في كلامي لانك فارس البيدا المسمى
انا روحي فداك وكل قومي لانك عزنا نعم المسمي
واقتل للملك بدريس باكر وآخذ مالهم والمال حتما

قال الراوي فلما فرغ الامير دياب من شعره ونظامه شكرته الامراء والسادات على حسن اهتمامه ثم اشار ابو زيد يرد عليه بهذا القصيد وعمر السامعين يزيد

مقالات ابو زيد الهلالي ايا زغبي جزيت الخير عني
ابو موسى فاسمع من كلامي انا منك بقيت وانت مني
برزت انا الى الميدان عاجل وقد برز الخزاعي قرب مني

ضربني ضربة بالسيف حقاً ... ولولا الترس يا زغبي قتلني
فصاب الى جوادي في حسامه ... لوى ثم التوى من تحت مني
وقفت على الوطا والذهن غائب ... جفوني بالدموع فقرحتني
ورا سي طايش يا امير زغبي ... فجرحت شفتي من فوق سني
وقد ادركتني يا ابن غانم ... وفرقت العدا من حول مني

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من شعره ونظامه فهم الحاضرون فحوى كلامه شكره حسن على هذا المقال وقال له مثلك تكون الرجال وباتوا تلك الليلة في سرور وانشراح وانبساط وافراح على ذلك الانتصار والنجاح ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح استعدت الفرسان للحرب والكفاح فدقت الطبول وركبت الابطال ظهور الخيول واعتقلوا بالرماح والنصول وترتبت الميامن والمياسر واصطفت الجنود والعساكر وركب بدريس ظهر الحصان وقلبه يقدح بلهيب النيران على ماجرى له وكان من الانكيس والخذلان وبرز الى ساحة الميدان بقلب اقوى من الصوان وطلب براز الفرسان . وقال من عرفني فقد اكتفى ومن لا يعرفني فما بي خفى انا بدريس ملك حلب فابرزوا لي يا امراء العرب اصحاب الحسب والنسب فما اتم كلامه حتى صار دياب امامه فاشار بدريس يتهدده بالكلام بهذا الشعر والنظام

يقول الملك بدريس قولاً صادق ... اني مربع الخيل في حد الاسل
اسمع دياب من كلامي وافتهم ... بو زيد يا مكار صنفت الحيل

ارسلت اطاب يا خبيث نساكم عشر الغنم والمال ايضاً والجمل
ولقد بعث ملككم واميركم يطلب المهلة ومثلي من مهل
رحلتم بنجح الليل مع اظعانكم بو زيد يا مكار يا داعي الحيل
لا بد ما القيك في وسط الفلا وانال هذا اليوم من دهري الامل

فلما فرغ بدريس من شعره ونظامه اجابه الامير دياب على كلامه

يقول ابو وطفا دياب الغانم فيوم الحرب يا بدريس عيدي
فنحن قد مررنا في بلادك نريد السير الى الغرب البعيد
نريد السير الى ارض المغارب الى عند الزناتي بالاكيد
لنا عنده ثلاث شباب حقاً اسارى قد وثقهم بالقيود
فكيف تريد عشر المال منا وعشر الخيل مع عشر العبيد
تريد بنات منا مع جواهر فهذا يا ملك عنكم بعيدي
امام بناتنا من كل فارس قوي القلب ذو باس شديد
لقد اطمعت نفسك في هلال فسوف ترى رجالاً كالاسود
فانزل عن جوادك لا تكابر فسوف ترى الى حربي الشديد
والا اقتلك في حد سيفي وتبقى اليوم من اهلك فقيد

قال الراوي فلما فرغ الامير دياب من هذا الشعر والنظام انحدر الى بين الصفين وهجم على الملك بدريس على الميمنة وابو زيد على الميسرة وكان الامير دياب يدور بالخضراء عليه بضربات قاطعات تهد الجبال الراسيات وكان قد اختلف بينهم طعنتان قاتلتان وكان السابق الامير دياب ليث الميدان فطعنه في صدره خرجت تلمع من

ظهره فوقع بدريس على الارض قتيلاً وفي دمه جديلاً فلما رأت
العساكر ما حل بملكها ايقنت بهلاكها وقلمانها ولكنها صممت على
القتال فهجمت كليوث الدحال وهي تصيح الثار الثار البدار البدار
وحملت من اليمين واليسار بقوة واقتدار فالتقتها بنو هلال في الحال
واشتبك بين الفريقين القتال وعظمت الاهوال وجرى الدم وسال
وتقطعت الاوصال وتزلزلت الارض بالزلازل من ضجيج الابطال
وقعقعت النصال وما زالوا في عراك وقتال يشيب الاطفال الى وقت
الزوال فعند ذلك تأخرت عساكر بدريس وحل بها التعس والانكيس
فجدت في الهزيمة والهرب وقصدت مدينة حلب خوفاً من الهلاك
والعطب فتبعها ابو زيد بالابطال والفرسان فلما رأت ما حل بها من
الهوان طلبت لانفسها الامان وعند ما بلغ اهل المدينة بما جرى
وكان خرجت الاكابر والاعيان والتمست من ابي زيد ان يعفو عنهم
ويعاملهم بالفضل والاحسان فاجابهم الى ذلك الشان بعد ان استشار
الامير حسن ابن سرحان وبقتلة بدريس ملك حلب زال عن بني
هلال العنا والكرب وطابت لهم الاوقات وحصلوا على الافراح
والمسرات وكان لبدريس ولد حميد الخصال ممدوح من جميع الرجال
اسمه جمال فلما قتل الملك بدريس وحصل ذلك الانكيس خرج الامير
جمال في جماعة من الابطال ووقع على الامير حسن سيد بني هلال
فاجابه الامير حسن ومال قلبه اليه وقد شفق عليه فاقامه ملكاً مكان
ابيه وامر اهل المدينة ان تطيع اوامره ونواهيه واقامت بنو هلال

في تلك الاطلال نحو عشرة ايام وهم في اكل طعام وشرب مدام وسماع اصوات وانغام وفي اليوم الحادي عشر تجهز للرحيل والمفر فدق طبل الرجوج تنبيهاً للعسكر وفي الحال هدت الخيام وركبت فرسان الصدام وسارت النساء والبنات في الهوادج والعماريات وركب ايضاً الامير حسن وباقي السادات ورفعت على رؤوسهم الاعلام والرايات وجدوا في قطع البراري والفلوات كانهم ليوث الغابات هذا وقد اشتد ظهرهم وزاد قدرهم وفخرهم بما شيدوا لهم من الشرف والمجد بعد رحيلهم من بلاد نجد وذلك باستظهارهم على الملوك العظام بقوة الحرب والصدام وما زالوا يقطعون الروابي والاكام مدة ستة ايام على الكمال والتمام حتى وصلوا الى مدينة حماه فنزلوا على نهر العاصي ولم يعترضهم احد لا داني ولا قاصي لان اهالي البلد كان قد بلغهم ما جرى على اهل حلب من النكد فخافوا من عواقب الامور واثارة الفتن والشرور فاستقبلهم الملك بالاكرام والوقار والاحترام وصار لهم من جملة الاعوان والاصحاب والخلان

﴿ انتهى الجزء السابع من تغريبة بني هلال ويليه ﴾
﴿ الثامن وفيه اسر الامير دياب في قبرص ﴾

الكتاب الثامن

من تغريبة بني هلال

وهو يحتوي على اسر الامير دياب في
قبرص وخلاصه عن يد
الامير ابو زيد

يطلب من

مكتبة الترقي

لصاحبها

شكري الخوري وشركاه

شرقي ساحة البرج اول طريق النهر . (بيروت)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الراوي ومن الامور الغريبة والحوادث العجيبة وهو انه كان بمدينة حلب تاجر اسمه كساب وكان من اشهر الناس ومن اتباع صاحب جزيرة قبرص الملك هراس قد حضر الى تلك المدينة وكان يتاجر بالبضائع الثمينة فاتفق انه لما قدمت بنو هلال الى تلك الديار انتهبت امواله من جملة الاموال فشكى امره الى الامير دياب واعلمه بذلك المصاب وطلب منه رد الاموال التي اكتسبتها بنو هلال فلم يستفد ولا حصل على ما يريد فترك حلب ونجا بنفسه وهرب خوفاً من العطب وقصد الملك هراس دون باقي الناس فدخل عليه وشكا امره اليه وبكي بين يديه واعلمه بواقعة الحال وما فعلت بنو هلال به فاغتاظ الملك غيظاً شديد ما عليه من مزيد لانـه كان يحب كساب فاوعده باحضار دياب وكان عنده ثلاثـة من الاتباع اصحاب حيـل وخدع وكانوا من جملة محافظين المدينة فاحضرهم اليه واعلمهم بواقعة الحال وفقد الاموال وطلب منهم ان يسيروا مع كساب ويأتون بالامير دياب فقالوا سمعاً وطاعة وغيروا ثيابهم وساروا بالمراكب من تلك الساعة وصحبتهم هدايا وعند وصولهم الى اللاذقية نزلوا الى المدينة

وجعلوا يتجسسون اخبار بني هلال حتى علموا انهم في حماه وتلك الاطلال فعند ذلك ركبوا الخيل وساروا تحت ظلام الليل الى ان وصلوا الى البلد ولم يعرفهم احد ودخلوا نزل الامير دياب وصحبتهم الهدايا مثل سيف معقرب وخنجر قبضته جوهر وابريق فضة وثلاث مماليك كل مملوك يسوى الفين دينار وغير ذلك من الاشياء الثمينة فلما وصلوا حولوا عن مطاياهم ودخلوا على الامير دياب وسلموا عليه وقدموا الهدايا اليه فترحب بهم غاية الترحيب وامر لهم في الجلوس وقدموا لهم كاسات الشراب والقهوة وامر ان يذبح لهم الذبائح التي تليق في السادات الكرام وانشد يقول

يقول الفتى الزغبي دياب الماجد ... يا مرحبا في من اتونا ضيوف
يا مرحبا فيكم والفين مرحبا ... عدد ما مشيتم بالفلاة عسوف
لكم عندنا الاكرام والخير والهنا ... وناموا على فرش الحرير وصنوف
وشوفوا وطاقي ياضيوف مدور ... وطاقي حرير بالذهب مرصوف
وان كان جيتم ضيوف يا مرحبا بكم
لكم عندنا الاكرام والمعروف
وان كان جيتم قاصدين للعطا ... انا ابن غانم للعطا موصوف
وان كان جيتم هاربين من العدا ... انا صاحب الناموس انا المعروف
وان كان غير هذا فخبروا ... وقولوا لي حقاً بغير كلوف
وما هو اسماؤكم وما هي بلادكم ... باي الفيافي نزلكم وجلوف
وانا قرم زغبي يا كرام جميعها ... كريم المحيا يا ضيوف عفوف

قال ولما انتهى من كلامه وهم يسمعون شعره ونظامه فقالوا له حياك الله ورقاك وجعل الجنة مأواك وقد سمعنا بمروتك وسخاك وان سالت عنا يا امير نحن تجار واخوة ثلاثة وجينا في تجرة عظيمة وتركناها في اللاذقية وخفنا من الطريق وحذرنا كل صديق ومرادنا تعدينا من هذا الطريق وعند ذلك شالوا ثلاث بقج من الجواهر الثمينة التي تدهش الابصار وتحير الافكار التي ما شاف منها في سالف الاعصار وقالوا له هذه الاولى الى الامير حسن والثانية الى ابوزيد والثالثة الى القاضي فقال دياب ومن هولاي الذين تقولون عنهم وكلهم من تحت يدي فقالوا نحن آتينا لعندك والذي تريده اعطيه والذي ما تريده لا تعطيه فقال لهم نحنا ما ندري فيكم احد ائلا يقوموا يلحقوكم واشار يقول

يقول الفتى الزغبي دياب الغانم   وحاتمونا يا كرام جميل
انا مرعب الفرسان بالسيف والقنا   اجول على الاعدا برمح طويل
انا راعي الصيوان عالي مشرع   تجيه المقاوي والسنين محيل
وقعتم عندي ذال يا قوم همكم   انا مدرك العليا بباع طويل
فان مكثتم عندي فيا مرحبابكم   لكم عندنا الاكرام والتبجيل
على ما قال الزغبي دياب ابن غانم   ولا عاش في الدنيا من يكون بخيل

قال الراوي فلما فرغ الامير دياب من كلامه والافرنج تسمع شعره ونظامه قال له كبيرهم نحن اناس تجار ولا احد يجلب متاجر مثلنا ومعنا مركب موسوق خلاف ما معنا ونحن كل سنة نجلب تجرة

ثلاثتنا نبيع ونشتري ونكسب النصف في بضايعنا ولا تجي طريقنا الا على حلب وكان اللعين بدريس يشتري منا ما يلزم له من البضائع كل سنة وقداتينا هذا العام على حسب عادتنا فلم نجده وقد وجدناكم ناصبين على حلب فسئلنا بعض المسافرين فاخبرونا عنك بانك قتلته وملكت بلاده ففرحنا وانسر قلبنا وقلنا بعقلنا ان ذلك الملعون كان اخذ منا عشرة الاف دينار وهذا غير عشرة الاف ثانية فقلنا من شدة فرحنا انا نقدم الك هذه البدلة حيث انك قتلت هذا الملعون الخيبري ونحن قد اتينا اليك وما لنا واموالنا ونوالنا وتحفنا وما كان تحت يدنا فهو اليك وهذه بدلة هدية منا اليك ثم اطلعوا له بدلة من احد الاخراج الثلاثة واعطوها له فقلبها في يده فوجد انه طول عمره ما حاز مثلها فلما نظرها تبسم ضاحكاً فقالوا له هل اعجبتك قال لهم نعم فقالوا له نحن ما اتينا اليك الا لاجل ان نهاديك بها وبعد ذلك مالوا على بعضهم وتكلموا بكلام ما يفهمه . فقال لهم دياب ما تشركونى معكم في الكلام فقالوا يا ابوغانم اعطنا الامان فقال دياب لكم ذلك فقالوا اننا نقول ان الامير دياب لنا منه اكرام زائد واننا نعاهده ونطلعه على سرنا فقال لهم العهد لا بد منه وتقدم وعاهدهم وبعد ذلك قالوا له نحن مرادنا نسافر الى بلاد الغرب معكم نبيع ونشتري والك الربع في المكسب ولكن لنا حاجة نقول لك عليها لانها معنا من بلادنا وهي ساقية من ذهب ومرصودة بقلم الحكمة اذا دارت يمين يتساقط الذهب من اكلالها واذا دارت شمال تتساقط الفضة من اتراسها ونحن

مرادنا انا نبقى معك كرجل واحد ونعطيك ثلث الساقية في نظير خفرك علينا الى ارض تونس الغرب لان جميع الناس يهابوك ففرح بهم فرحاً شديداً ثم التفت الى التاجر الثاني وساله ما اسمك فاجابه اسمي منذر ثم التفت الى التاجر الثالث وساله ما اسمك فاجابه نطرون العقيلي فقال لهم ان كان متاجركم تعوز مائة جمل اعطيها لكم ولكن ان كان مرادكم ان اكون لكم حمي من المضرين واغفركم الى ارض تونس الغرب وتعطوني الساقية التي تذكرونها في اشعاركم فاحلفوا لي بالله العظيم انه ما يقع منكم خونة في حقي من المكسب فاجابوه هذا الشرط جيد لنا ولك وهو غاية مرادنا ثم حلفوا له اليمين فصدقهم بتلك الايمان وغره الطمع وانطلت عليه الحيلة ثم قال لهم قوموا وسيروا بنا الى المركب حتى انظر متاجركم واشوف الحمولة كم جمل تحتاج حتى ارسلهم لكم مع عبيدي فدخلوا معه بالخداع وقالوا انت تريد ان تشعر بنا الناس ونحن نريد ان لا يطلع على سرنا الا الله وانت يا ابو موسى لان العرب متى رأوا متاجرنا يطمعون فينا ويغيروا علينا فيقع الخلاف بينك وبينهم وينتشب القتال ونكون نحن السبب في هذا الشر والنكد فلما سمع منهم هذا الكلام قال سيروا وانا اسير معكم وحدي وما اخذ معي احداً من اهلي وجندي حتى انظر ما ذكرتموه لي فقالوا له سر على بركة الله تعالى فركبوا الثلاثة هجنهم وركب الامير دياب ايضاً وساروا ليلاً خوفاً من ان ينظرهم احد لئلا تظهر حيلتهم وبينما هم سائرين واذا بالامير عمار اخو الامير حسن

التقى بهم فلم يعرف منهم سوى الامير دياب فقال له يا ابن غانم الى اين سائر مع هولاء القوم فاجابه هولاء ضيوفي وموصلهم خوفاً عليهم من سفهاء العرب فقال له تريد ان اذهب معك فاجابه ارجع أنت في حالك ولا تتعب ذاتك وتسير معي فسار الامير عمار الى منزله واما الامير دياب فانه سار مع اصحابه من العشاء الى ثاني يوم الظهر حتى اشرفوا على البحر المالح فسمع دياب صوت دوي الماء مثل الطبل فدخل عليه الوهم وقال في باله الله اعلم ان هولاء الثلاثة خائنين لان عيونهم ملآنة بالغدر وهذه علامة الغدر فاراد ان يرجع من وقته ولكن المقدر لا بد من نفوذه ولما رآه الثلاثة قد تغير وفي سيره قد تأخر قالوا له اما تنزل معنا في البحر فاجابهم ان تزولي معكم الى البحر ما هو ضروري وان كان كلامكم صدق انزلوا وهاتوا ما قلتوا لي عليه وانا ما عدت اخطي ولا خطوة واحدة ثم نزل عن الشهبا ومسك صرعها بيده اليسار والسيف بيده اليمين ووقف ينتظر فتركوه ونزلوا البحر حتى اتوا الى الغليون وجابوا له خيمة من الحرير الاصفر وعامودها من الذهب واوتادها من الفضة البيضاء وتلك الخيمة مكللة بالدر والجواهر والياقوت والمرجان والزمرد الاخضر يكاد من حسنها يدهش البصر فنصبوها قدامه وفرشوها حرير اخضر ووضعوا فيها اربع وسايد طول كل واحدة اربعة اذرع مكللين بالمعادن والجواهر فلما رأى الامير دياب تلك الخيمة وفرشها الذي يدهش الالباب تعجب غاية العجب وظن كلامهم صحيح ودخل معهم

الى الخيمة وجلسوا يتحادثون واتوا بالماكل والمشرب وفي الحال بنجوه وفي السلاسل قيدوه ونزلوه الى المركب ورفعوا المرسي واقلعوا ولما قطعوا مسافة طويلة اعطوه ضد البنج ففاق فوجد حاله مقيداً بالسلاسل والتفت يميناً وشمالاً فما نظر الا سماء وماء والجماعة كانوا في ملابس بيض يلاقيهم في برانيط سود فعرف ان الحيلة تمت عليه فتنهد وانشد يقول وعمر السالمين يطول

يقول الفتى الزغبي دياب ابن غانم بكيت على حالي وانا مأسور
بكيت على جاهي وعزي وهيبتي وانا فوق تختي جالساً مسرور
غفير البوادي والعذارى سياجهم وكم جيش مني ولى وهو مكسور
على ظهر خضرا يقطع العود عزمها وتسبق رياح عاصفة وطيور
وانا فوقها فوق القرابيص جالس كجلمود صخر بالزرد مستور
ومن بعد عزي وارتفاعي وشمختي بقيت مقيد بينكم مأسور
وخنتموني لا عمر الله دياركم وبقتون ايماناً لنا وستور
اتيتم لي بذي تجار عندي منحتكم وعشرين راس ذبحتها وجزور
فما كان في بالي ولا جاء بخاطري على انكم تاخذوني زور
ولكن هذا حكم من رافع السما ويحتاج من يبلا يكون صبور
يا رب يا رحمان يا سامع الدعا يا من تسبح له شجر وطيور
يجيني ابو زيد الهلالي سلامه يخلصني من كل هلاك وضرور
ما قال الفتى الزغبي دياب الغانم دهتني الليالي والزمان غدور

فلما فرغ دياب من كلامه ندم على فعاله ثم قالوا له لا بد عن

قتلك واتلاف مهجتك وما زالوا سائرين به الى ان وصلوه الى جزيرة قبرص وطيلعوه مقيد وادخلوه الى عند الملك هراس وكان عنده جماعة من اكابر الناس ففرح الملك به الفرح العظيم والقاه تحت العذاب والترسيم هذا ما كان من دياب وما جرى له من الاحوال والعذاب . واما ما كان من بني هلال فانهم كانوا كما تقدم الخبر في فرح ومسرات والهدايا تاتيهم من جميع الجهات فبينما هم في بسط وانشراح والا الخضراء قادمة اليهم مثل هبوب الريح وهي كئيبة حزينة على فقد خيالها الاسد المهاب الزغبي دياب فاول ما نظرتها ابنته وطفا طار الشرر من عينيها فصاحت وولولت فتراكض جميع الفرسان والابطال على صياحها وفي تلك الساعة صار ضجة عظيمة ما صار مثلها في سالف الزمان هذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من الامير حسن فانه قال لابو زيد ان دياب صارله مدة ما حضرلعندنا واظن انه مغتاظ علينا لاننا ما خليناه ينهب حاب فقال له ابو زيد قم بنا نزوره ونشوف اموره ودياب او ما كان صار له شيء فما كان طوّل علينا كل هذه الغيبة فمن ساعتهم ركبوا على ظهور خيولهم هم والقاضي بدير وساروا نحو منازل دياب فسمعوا البكاء والنواح في جميع الجهات ولما نظروهم الاماره والعذارى لاقوهم بالبكاء وتقدمت وطفا ابنة دياب وانشدت تقول من فواد متبول

تقول وطفا يا امارا　　واحترق قلبي بنارا　　وانتلا قلبي غباين

والحشا والعقل طارا　　والحيا والعقل راحا　　وانتصب سوق النواحا

ساح دمع العين ساحا فوق وجنات العذارى حرمت عيني المنامي
بعد ابي ذلك الهمامي حامي الزينات حامي يوم كر الخيل غارا
كم قليمة مع جواد جابها يوم الطراد كم قتل قرماً وسادا
يشهدوا له العذارى يا ملك بوبي ديابي في غنا او في عذابي
شاب بيت الشعر شاني بعد ابو موسى جهارا اين ابو وطفا يكوني
كان للزينات يعوني يا امارا اسعفوني نور عيني اين ساره
ضيوف اجو نازيراتي يحكوا في جملة لغاتي كوتروا الساعه ثلاثه
حين ما فلوا السهاره سافروا جنح الظلامي مع ابو موسى الهمامى
وحرموا عيني المنامى بغياب حامي العذارى ابو علي دق الطبولي
ثم اركب للخيولي دوروا كل السهولي والبراري والقفاره
سير بالعسكر شمالي دوروا روس الجبالي اميركم يا بني هلالي
ما اخذتوا له خبارا ابو زيد شوف لحالي ما بقى الا خيالى
انت امير بني هلالى لك جملة شواره قوم خبرني الاكيدي
في اسرار الكتب جيدي واضرب الرمل الحميدي ثم اكشف للخبارا

فلما فرغت وطفا من كلامها وابو زيد والامير حسن يسمعا نظامها استعظموا هذا المصاب على فقد الامير دياب فعند ذلك تقدم عرندس وانشد يقول

مقالات الفتى المدعو عرندس ودمع العين فوق الخد ساح
ابات الليل في هم وغم من المغرب الى وقت الصباح
بليت بفرقة الزغبي دياباً وصرت اليوم بعده في نواح

سياج الخيل والبيض العذارى　　وحامي الظعن في يوم الكفاح
عليه البيض تبكي كل يوم　　من جنح الليل لوقت الصباح
فقوموا اركبوا خيل السوابق　　عسى نلقاه في بعض البطاح
وان كان الزمان سطا عليه　　فيا ويلي على ليث البطاح
نغير على العدا من كل جانب　　ونشهر للسيوف مع الرماح
فان لم تحضروا الزغبي ديابا　　والا عزكم يا قوم راح
فقوموا واركبوا يا قوم عامر　　على خيل السوابق في البطاح
ونحن آل زغبي نروح جانب　　ونشهر كلنا البيض الصفاح
ونقتل للاكابر والاصاغر　　بضرب السيف مع قطع الرماح
وللبيضان والسودان نقتل　　ولا نترك شناع ولا ملاح
وان لم تظهروا الاخبار عنه　　والا اقيم فيكم الصياح
ونلقيها جموع على جموع　　شبه النار لو هب الرياح
واوقدها واصليها بحربي　　واقد الهام والدرع الصفاح
انا المسمى عرندس تعرفوني　　انا شيخ العرب ما في مزاح

فلما فرغ عرندس من كلامه اغتاظ الكل منه عندها تقدم غانم ابو الامير دياب وهو باكي العين زايد الانتحاب واشار الى الامير ابو زيد في هذه الابيات يقول

يقول الفتى غانم على ما جرى له　　ودمعي جرى فوق الخدود سكيب
ونيران قلبي اشعلت في ضمايري　　يهب لها طي الضلوع لهيب
دياب يا عيني ويا نور ناظري　　سقاه النبا كاس المنون غصيب

تفرق شملي بعد ان كان مجتمع   غدرني زماني والزمان عجيب
نزلنا على عاصي حماه وسيجر   وريح العذاري مثل عطر الطيب
اتانا ضيوف قاصدين بلادنا   على ظهر خيل مثل ريح هبيب
فاضافهم ولدي وقام بجمعهم   ترحب فيهم غاية الترحيب
فقلبي يحدثني وعقلي يقول لي   فما هم الا من اهالي الصيب
بلاني زماني مثل يعقوب فرقةً   وقالوا يوسف اكله الديب
انا مثله يا ناس اعظم بلوةً   فكم جهد ابكي ومانظرت طبيب
يابو علي ابو زيد انا اليوم قاصده   ومن يلتجي في بو زيد ليس يخيب
ابو زيد قدامك ابو بدر غانم   ابو زيد قدامك حزين كئيب
ابو زيد لك مني المال جملة   الفين سربه والف جنيب
والفين سابق من خيول اصايل   وميتين مهره سرجها تذهيب
ابو زيد اخبرنا برملك يا فتى   لانك في علم الحساب لبيب
وتعرف سعوده والنحوس طالعه   وعلم الغرابة وكل فن عجيب
وحقي عليك اليوم يا ابو مخيبر   دخيل اتيتك مثل ضيف غريب
ما قال الفتى غانم على ما جرى له   وما اليوم اصعب من فراق حبيب

فلما فرغ الامير غانم من كلامه وسمع الحاضرون فحوى شعره ونظامه حزنوا على فقد دياب واستعظموا ذلك المصاب ثم التفت الامير حسن الى ابو زيد وقال حطت عندك الحكاية وما احد يقضيها غيرك فالتفت الامير ابو زيد الى عبده ابو القمصان وقال له

قال ابو زيد المسمى   جيع الشور لنا ردي

حسن وبدير وابو تكنا مفرج هم البعدي
عرندس والمسمى زيدان شديه الاسدان هذي
والهدار مع الشجعان بيدي سيوف الهندي
ملوك هلال لهم افعال بيوم مجال اذا اشتدي
حسن يا ناس كبير الباس فهو راس وانا سندي
ابو القمصان اسرع جريان اياك تهان على العبدي
هات الرملين مع الشكلين شرح الصدرين لنا يهدي
كتب التفسير لها تحرير عالم وخبير بها يهدي
لاجل دياب قلبي ذاب كما القصاب على الزندي
غانم يا سيد البشر يا جيد دياب بعيد بيرتدي

فلما فرغ ابو زيد من كلامه راح العبد وجاب الزمل واعطاه الى الامير ابو زيد فاخذه منه ورسم الاشكال على شرح الحال وولد البنات من بطون الامهات وحرر النقط على سائر الجهات فبان له اشكال النحوس وعلى دياب الفال معكوس وعرف غريم دياب مين وهو بالقيود وسجانه يسمى حرفود وهو بحال العناء والنكود فلما شاف الامير ابو زيد هذا الحال بكى حتى ابكى كل من كان حاضر فقال له حسن لماذا يا ابو زيد بكيت وابكيتنا معك فاخبرهم ان دياب في قبرص عند الملك هراس وهو في السجن يقاسي انواع العذاب فلما سمعوا هذا الكلام صاح الجميع عن فرد لسان ما لنا سواك يا شيبان لانك مفرج الغم يا ابن العم فقال لهم سمعاً وطاعة وتجهز للسفر واخذ

عشرة فرسان من الفرسان الشهيرة واشار يودعهم ويقول

يقول ابو زيد الهلالي سلامه الايام اكثرها عنا وصداع
الايام كم ذلت امير وسيد وخلت دياره بعد عزه قاع
مثل اسكندر والملوك الذين مضوا وسيف وتبع والامير شجاع
وفرعون ونمرود ثم ابن غادر وقارون مع هامان والاتباع
الا يا هلال اسمعوا شرح قصتي وكونوا لقولي يا كرام سماع
اوصيتكم لا ترحلوا من محلكم فكم من مليك وحاكم قدطاع
واحمي ظعون هلال يا امير ابو علي بطعن القنا والماضيات لماع
امامكم جن في وسط رستن ثمانون الفاً جاردين تباع
وحمير على الزرقاء سياج محصن عليهم دروع ماكنات رفاع
وقدامكم رملة فتى الجود عامر وفيها فرنج مثل اسود بقاع
وقدامكم السركسي ابن نازب عملك علَى غزة وذكره شاع
وقدامكم البردويل ابن راشد بوادي العريش كالعقرب اللساع
قطيه بها يا امير ابن عجاجه ومن شافه يا امير عقله ضاع
ومصر العزيزة لو ترى لجيوشها شبه الجراد على الشوامخ شاع
وقدامكم الماضي ابن مقرب كريم المزايا في العطايا شاع
الى ان تجوا للغرب ربي يعينكم يا ما يصادمكم عنا وصداع
خليفة بتخت الغرب عزيد كاسر له حربة قالوا بطول الباع
تحذر لهم يا ابن سرحان بالوغا ولا تسمع من جاهل طماع
وهذه نصيحة يا ابن سرحان بو علي وداخل فوادي زادت الاوجاع

انا سائر لعنـد دياب اخلصـه — اجيبه اليكم يا حاضرين بساع
وداعي لكم يا حاضرين فودعوا — وداع ومن بعد الوداع وداع

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من هذه الابيات ودع الامارة والسادات وركب ظهر الحصان وصار يقطع البراري والفلوات وما زال سائراً حتى وصل الى عين الباردة فجلس حتى يرتاح واذا بحاكم اللاذقية هجم عليه بالف فارس ومسكه وقال له وقعت يا ابو زيـد يا صاحب المكر والكيد فقال له من هو ابو زيد انا رجل سائح فقال له نوفل انا لي زمان انتظرك هنا اما انت رايح الى قبرص كي تخلص دياب في حيلك ومكرك فقال له ابو زيد يا سيدي انا من القدس وكنت في زيارة ابرهيم الخليل فخذلك هذه الورقة البخور وهي من دير الحميره ودير الجيروان على بركة الرحمان فضحك نوفل وقال له طحان ما يعبر على كلاس واشار يقول

قال الفتى نوفل سياج الدارا — اما انت ابو زيـد يا مكارا
اسمك سلامي ابن رزق الذاكي — مشهور في الدنيا وصيتك صارا
لك عزم بالهيجـا كسبع كاسر — كل الملوك بحيلك تحتارا
لولاك ضعن البدو ضل بارضه — طول الزمان من ارضه ما سارا
اربع ملوك هلال وانت الارقى — لك الشور اقطع من لهيب النارا
رايح ورا الزغبي كسبع الكاسر — بالمكر والحيلة لبست زرارا
وقعت عندي زال همك يابطل — الشر بزورق يشبه الاطيـارا
اني انا مسلم وابوي حاكم — باللاذقيـة كان والاقطـارا

قتله ترا هراس هل ولد الزنا وحكم بلادي ميمنه ويسارا
وانا بقيت تحت يده حطني اريدك تدعي لدمه جارا
لما مسك لدياب ارسل جابني وقال انظر برها وبحارا
ان كان ابو زيد يعلق امسكه في ذي سائح للملا غدارا
وهات لي راسه ومالك قد وصل فاعود اخذ منكم دينارا
فقلت له الفين سمعاً وطاعةً وقعدت ارقب برها وبحارا
اوصيك يا ابو زيد من غدراتهم هولاء ملاعين كلها فجارا
ادخل على الهراس لا تتهاون واضرب بهم يا اميرفي البتارا
وارسل اجيك بعزوتي ورجالي مايتين مركب في قلوع كبارا
رد الفتى ابو زيد انا محتارا شكيت امري للاله البارئ
ارجوه يغفر لي ويمحو زلتي رب كريم واحد ستاري
يا امير نوفل بالعجل اعطيني زورق مليح يحاكي الاطياري
وابشر بقتل الملك وحياتي ان هون المولى العظيم الباري

فلما فرغ ابو زيد من كلامه وكان نوفل مهياء له شختور خفيف وارسل معه عشرة من اتباعه يودوه الى قبرص ويرجعوا فقردوا الكتان وسافروا على كف الرحمان حتى وصلوا الى بر قبرص فطلع ابو زيد الى البر وعاد فريد وحيد ما له مسعف ولا عضد سوى الواحد المجيد وهو يقول يا دليل التائهين تجعل لنا من كل هم فرج ومن كل ضيق مخرج قال فبينما ابو زيد سائر واذ اتى اليه راهب وقال له جيت يا ابو زيد صاحب المكر والكيد مثلك من يترك البر

ويدخل البحر حتى تخلص دياب فلما سمع كلامه عرف انه عرفه فقال له من يكون ابو زيد ومن هو من المكر والكيد فانك تحملت اثمي وزدت في ظلمي انا سلامه وكنت خادماً في دير القمامه فلما سمع الراهب كلام ابو زيد ضحك وقال له وحق ديني انت ابو زيد الهلالي سلامه وقد ارسل نوفل معك عشرة من اتباعه اوصلوك الى هنا وعادوا وانت مرادك ان تخلص دياب من الاسر فوالله لا بد ان اذيقك انواع العذاب وهجم عليه وسحب السيف واراد ان يبطش به فلما رأى ابو زيد منه هذا الحال خاف على نفسه من الوبال وسحب النمشه من العكاز وضربه على هامه رما راسه قدامه وسحبه الى حفرة رماه بها وطمه وسار الى قبرص بقلب مثل الحديد الى ان وصل الى باب المدينة فرأى الهراس خارج بجماعته الى الصيد والقنص فعرف ابو زيد انه الملك فتقدم اليه بقلب اقوى من الصوان وسلم عليه بافصح لسان وسحب المبخرة وحط بخور فعقد الدخان وقال له هذا البخور من دير الجيروان وطلع ثلاث شممات وقال خذ هذه من دير البنات ودير الحميره المباركات فقال الهراس وقعت يا ابو زيد وكيف خلصت وانا مربط عليك الطرق فقال سلامه لا تقول هذا الكلام يا ملك الزمان انا خادم الملك مثقال ولي مايتين عام سايح ما خليت دير ولا صومعة ولا محبس وانك احتلت على دياب واسرته لانه قتل بدريس . فقال الهراس يا راهب اما دياب فقد مسكناه وفي الحديد رميناه ولكن بحياتي عليك انت بعثك الملك مثقال . فقال له

ابو زيد اي وحق الاله المتعال فعندها اخبره الهراس كيف عمل في
دياب . فقال له ابو زيد شاباش الك على هذه الحيلة التي تعجز عنها
اشد الرجال ثم انهم ساروا ودخلوا الى الديوان وامر لابو زيد
بالجلوس فجلس وبالطعام فاكل ثم بدا ابو زيد يحدث الملك حديثاً ما
سمع مثله في طول عمره حتى ولا من العلماء والفلاسفة فسر منه جداً
ونادى في اكابر ديوانه بان يكون ابو زيد الكبير فيهم جميعاً فتكدروا
من هذا الكلام وقالوا كيف تقيم هذا الرجل الغريب رئيساً علينا
كلنا العله اعلم منا فاجابهم الملك الذي يريد منكم ان يسأله شيئاً فليتقدم
فعندها تقدم اليه رجل اسمه نعمه وقال له يا ابو زيد حيلتك لا تجري
علينا فقال سلامه يا هذا لا تتكلم في هذا الكلام ومن اخبرك اني ابو
زيد فقال له تبين عندي في الرمل ولكن اريد ان ارمي عليك رموزاً
ان عرفتها خلصت وان ما عرفتها قتلت وانشار يقول

يقول الفتى نعمه بما جرى	اسمع كلامي انت يا سحاري
ان الملك هراس سواك قاضي	وراح جاب دياب هل غداري
وانت عامل ذي راهب وارد	وتريد تاخذ لدياب بالثارِ
ان كنت عارف بالرواهب قل لي	عن عظيم مرفع المقدارِ
خلق من الارض بساعة الرضى	وفضله المولى الاله الباري
ما في الخلايق قط مثله اخر	ويعبد الله ليلها ونهارِ
هذه طريحه فضلها يا سلامه	والا انت ابو زيد بعلمك داري
قاصد تفك دياب بهذه الحيلة	كل الحيل عندك وسيطك جاري

رد الراهب سلامه بلا خفا القلب من بين الجوانح طار
نعمه تادب ثم لم كلامك تحسب باني راهب مكار
الا انت يامسكين لي تعترض في مسائل ما سمعها شطار
ودرت انا كل الديور جميعها ما احد منهم قال انا مكار
القمامه كنت انا خادم فيها في الصخرة الصماء بنيت الدار
ان الصلاة والعبادة ربنا فضلها المولى العظيم الباري
ادم خلقه من وسط التراب من جميع الارض والاقطار
هذا سوالك وهذا هو قولك وانت اسمع لي كلام جهاري
اخبرني عن طير ما له شي جناح ولا في الطيور مثله طياري
كل الطيور تطير من فوق راسه يحط فوقه كل طير طار
لا اكل ياكله ولا ماء يشربه كل البرايا صوبه تندار
وان اكل ما احد يقدر يشبعه ياكل مدينة كبارها وصغار
وان شرب تلقاه وسط المياه والماء يعدي يمينه ويسار
فيه منافع للبلاد جميعها حتى ببطنه يشعلون النار
ان كنت بتريد المسائل عندي من كل عالم مثل بحر الجاري
معي مسائل من زمان جدودي حيرت فيها كل عالم قاري
هذا ما قال الراهب سلامه الله يفعل كل ما يختار

فلما فرغ سلامه من كلامه ما احد رد عليه جواب ولا كلمة فقال الهراس لماذا لا تردوا جوابه تقدم كبير الرهبان وكان حاضر ضرب الرمل فعرف انه ابو زيد فقال الجميع هذا كبيرنا اذا انقلب

نكون انغلبنا كلنا وكان يسمى ابو برناس فتقدم لعند ابو زيد و
يقول

قال الراهب ابو برناسي   اسمع قولي يا فاسي
شربت الخمر ودست الجمر   وخيل الحمر حمى البرجاس
انا لك ضد بهزل وجد   وحق العهد وابو شماس
دخلت المكر وبحر الفكر   وماء السكر وام الناس
وما المكروم وما المحروم   وما المفهوم بغصن الاس
وما البنتين لهن بعلين   وما الشيخين وما الرفاس
وما المحروف وما المطروف   وما المعزوف وما الجلاس
وما الرادي وما الكادي   وما الشادي وما المرناس
سوالي جيب ان كنت لبيب   بلا تعجيب ولا ملاس
رد سلامه يا جلاس   انتم ملوك خيار الناس
كونوا شهود على الراهب   شهادة حق بغير او كاس
وشوفوا السيد من الخادم   وابن اللاش من ابن الناس
سيدكم هذا مجنون   ما له عقل خفيف الراس
ولا له راى ولا تدبير   ولا له شور ولا اساس
اما المكروه واما المحروم   وما لقوا ابليس وخاس
اما المفهوم جفاه النوم   وليس يروم لجفنه نعاس
اما البنتين فلهم بعلين   بيد شيخين راوى نخاس
اما المقروف ابليس يطوف   له شرشوف فتن للناس

اما المحروف خليل الله اماالمطروف الخضر العباس
اما الهاجوس لنا جاسوس حاسدوتعوق خفيف الراس
امـا الرادي نسيم الريح اما الكادي عقرب الكاس
امـا الشادى دني النفس من المسكر نعيم النـاس
فهي حواء خلقت كالبدر بوجه منير كما المقباس
آدم قام يريد لهـا اتاه الوحي بـلا قرطاس
سلامه قال زكي الحـال شرحت سوال ابو برناس

فلما فرغ سلامه من كلامه تعجبوا الحاضرين من فصاحة لسانـه
بقي عند الهراس اكبر منه وقال له تمنى على ما تريد يا سلامه
ل له اريد ان تريني دياب حتى اشفي قلبي منه بالعذاب فامرهم الملك
ا قال فعند ذلك قاموا في ساعة واخذوه والشمع قدامه اشعلوه
ساروا حتى وصلوا الى السجن فدخلوا ولما شاف دياب في هـذا
لاء والعذاب غاب عن الصواب وتقدم الى عنده ورفع يده
ضربه كف طير الشرر من عينيه فتالم دياب وصاح الله يقطع يمينك
ال له وانت الله يقطع عمرك من هذا السجن ثم انه خرج من عنده
وجه الى عند الهراس وقال يا ملك الزمان هذا دياب ما بقى ينفع
ل له الهراس كيف يكون الراي عندك فقال يا سيدي فكـه من
حديد والبسه شيء جديد وطلعه الى القصر واطعمه دجاج وخبز كماج
تى يسمن ويعود يصلح للعذاب فقال الهراس اطلعه فطلعوه وعمـل
ه مثل ما قال الراهب سلامه . وقال دياب من ساعة الى ساعـة

يفرجها رب الأرباب واما ابو زيد لم يزل يرسل الى دياب الاكل على
اتم المراد وكان مراد ابو زيد ان يردد دياب الى عافيته لانه قد انسلا
من كثرة الجوع ولا عاد عنده قوة ولا حيل. قال واستقام ابو زيد
عند الهراس فلا يعلا عليه احد من الناس فسمع فيه راهب من الرهبان
وكان يسمى مغلوب ابن توما فركب واتى الى عند الهراس فلما وصل
الى المدينة قامت الضجة وقالوا يا ملك اتى مغلوب ابن توما فركب
الهراس ولاقاه وسلم عليه فما رد سلامه قال له لماذا يا سيدي ما ترد
سلامي فقال كيف ارد سلامك وعدوك ابو زيد عندك واتي الى هذه
الديار لاجل خلاص دياب المغوار فقال الهراس انا لا اخذ احد ظلم
وعدوان فقال مغلوب هذا يتكلم بالسبع لغات ويصبغ حاله سبع
صبغات لانه غضبة من الغضبات وانا ما لي معه غرض ولكن غيرة
ومحبة واخاف من ان يقتلك ويخرب بلادك فقال له الهراس اذهب
معي يا سيدي الى الديوان وشوفه فساروا الى الديوان ولما دخلوا
التفت الهراس الى الراهب سلامه وقال له انت ابو زيد صاحب
المكر والكيد واتي تفك دياب من البلا والعذاب وحضر من يعرفك
وجيت سحرتنا في مكرك فقال سلامه من حضر وعرفني قال له
مغلوب قال له مغلوب يعرفك وهو عالم بلادنا وخطيب ديارنا فما
اتم كلامه الهراس الا والراهب سلامه بكي بكاء شديداً وقال يا
ملك ما دام كل من اتى اليك تسمع كلامه انا ما بقى لي عندك قعود
واشار اليه يقول

قال الفتى الراهب سلامه يامَلك اسمع كلامي انت قايد ها السوال
من عند مثقال اتيت لعندكم ودرت قبرص والسهول مع الجبال
رجيت الى عندك وقد اكرمتني واعطيتني كل المواهب والموال
وعلى الجميع قد رقيتني وجعلتني ملك احكم بالرجال
وكل من يسمع بفضلك يا ملك يبقى بنيران الحسد في اشتعال
هات لي مغلوب ياتي بالعجل ينظر اليّ وناظمه بين الرجال
ان قال اكيد هذا ابو زيد الذي يحكون عنه من جبال الى جبال
هاته وخابره واثبت شاهده والحق ما يخفى على اهل الكمال
فعل معي ما تريد وتشتهي وعود اشبحني على روس الجبال
وان ما يثبت ويطلع كاذب من اين اتي له ابو زيد الهلال
وانا وراني الف عابد سايحين ماكولهم عشب الفلا ثم الزلال
وصايمين الدهر عن اكل الخبز ما يعرفون الخيل ايضاً والجمال

فلما فرغ من كلامه قال الهراس تحقيق هذا فعل الشيطان قوم روح الى عند مغلوب هذا وهما في الكلام الا والراهب داخل عليهم قاموا له على الاقدام وسلم عليهم فردوا عليه ثم التفت الى من حوله وقال هذا الراهب سلامه قالوا نعم قال له من اين انت يا راهب قال انا من بيت المقدس قال هذه اول كذبة وانا لي اربعين عاماً في بيت المقدس ما سمعت في راهب سلامه قال ابو زيد انا مثلي ما يدخل جدار ولا يأوى عمار انا كنت سايح في رؤوس الجبال قال له طلعت يدك يا محتال ولكن اقرأ لنا الانجيل فقراه فقال له اقرأ

لنا المزامير فقراه وقال السواعي وغيرها من الكتب فقراها في لسان
مثل المبرد فتعجبوا الحاضرين منه غاية العجب وقالوا مسلم ما يعرف
يقرا كل ذلك قال لهم مغلوب هذا يعرف السبع السن يقرا فيهم
واشار يسأله ويقول

قال مغلوب ابن توما الموجعي ... افهم كلامي يا سلامه واسمعي
قد جيت تاخذ انى دياب بمكرك ... وتروح الى اهلك وعنا تطلعي
نحن سمعنا فيك داخل ارضنا ... انك حرامي بالخلايق مدعي
ودخلت في علم النصارى واكد ... تعرف الاديان لا يا مدعى
ان كنت راهب عن مسائل قل لي ... ان كنت شاطر لا تكون مصيعي
اخبرني عن شجرة طويلة فرعها ... وبها ثمار مثلثة ومربعي
واخبرني عن شيخ مصلي دائم ... مفطر ولا يدخل لمعبد يركعي
واخبرني عن حرمة تصيح بصوتها ... والخلق تهواها واليها ترعى
ردالجواب ان كنت عارف راهب ... والا لثوبك والبرنس اقلعي
لا تحسب ان العلم عقب من لبن ... لما تريد تجي اليها تركعي
اليوم يابو زيد لارويك العجب ... عن كل مسالة بها لا تسمعي
هذه مسائل ابن توما ردها ... ارمي للبسك ثم قوم واطلعي
رد الفتى الغريب المسمى سلامه ... اصلي من قدس الشريف وموضعي
وانت تنسبني لابو زيد الامير ... حاشا لديني بين الانام اضيعي
وانت ترمي لنا مسائل معجزه ... عندك ولكن عندنا لا تسمعي
صبياننا بالقدس بلغوا فيها ... ومشهورين بين الناس ايا مدعي

تقول عن شجرة طويلة فروعها | آدم وحوا النيل منهم منزعي
وتقول عن نور يضي بجنح الدجى | فوق الظلام وللظلام يفرقعي
هذاك نور الصبح لما ان قضى | يغدي الظلام بسرعة يتفرقعي
وتقول عن شيخ مصلى صايم | مفطر لا يدخل لمعبد يركعي
هذاك طير الليل دايم ساجد | صايم ويا كل دود ما يترجعي
وتقول عن حرمة تصيح بصوتها | والخلق تهواها واليها تهرعى
هاتيك دنيانا تجول وتنقلب | وتميل مثل الملح ما تتروعي
هذه رموزك قد شرحت فصولها | اخبرني عن خمسة وستة واربعي
خلقوا من الصخر الاصم جميعهم | ماكولهم نار تهب وتلدعي
واخبرني عن حرمة تواقع بعلها | الفين مرة بفرد يوم وتقلعي
ويجوا اولادها ما يتوصفوا | والشخص منهم للقلوب يروعي
واخبرني عن اربع بنات بكر | من شافهم فوق الوطا يتصرعي
وقلي عن نقر نقير ومنقر | والكير والكار اين بيطلعي
وقلي عن شلا وشل وشله | والشحط والشحوط والمترجعي
والزهل والزهمول اين مكانهم | واليسط والنبطان والمتزعزعي
رد الجواب ان كنت عارف فاهم | والا فقم من قبالي واطلعي

فلما فرغ من كلامه تعجبت الناس من فصاحة لسانه وعلمه وبيانه

واما من مغلوب قال له الملك علامك ما ترد جوابه وقد ارميت عليه

مسائل ردها قال يا ملك انا ما قلت لك هذا نقمة من النقمات ولكن

هذا ابو زيد هذا ابو زيد هذا ابو زيد ان ردت اقتله وان ردت

ابقيه فقال الهراس كيف تقول يا راهب سلامه فقال يا ملك الليلة امسى المساء ولكن ابقيها الى غدا وانا الليلة اختلي في ذاتي مع ساداتي الذين ربوني من صغر سني وما اظن انهم ينسوني ومن هذا المشكل يخلصوني وانا ماذا قالوا لي غدا اخبرك وانفض الديوان وتوجه ابو زيد واختلى بنفسه ثم احضر دهن الشمندل ودهن به جسمه واذا لمس النار ما تاذيه وبات الى الصباح وطلع الهراس وانعكفت عليه الناس قال الهراس كيف رأيت يا سلامه فبكى ابو زيد وقال وحق الغمامة اتاني اربعين عابد وكل واحد طول اربعة رجال وعمرهم ما تركوا الصلاة وهم في اقطار الارض طايرين ينظروا لحال المساكين فحكيت لهم عن مغلوب فحلفوا انهم لا بد ان يحرقوه وحكيت لهم عن فضلك باركوا لك في طول عمرك وكل واحد أوهبك من عمره عام تام فقال له الهراس جزاك الله عني كل خير لانه زاد في عمري اربعين عام هذا في اليقظة او في المنام وكيف قالوا لك ان تفعل. قال قالوا لي خلي الملك يوقد النار بالفرن وادخل الفرن انت ومغلوب والذي يكون غلطان تحرقه النار . قال الملك ماذا تقول يا مغلوب قال دعه يدخل النار قبلي هذا الشيطان المكار فقال سلامه نعم ادخل قبل وامر ان يوقد الفرن فاوقدوه حتى صار جمر احمر ودخل ابوزيد الفرن من بعد ما تلا اسم الله الاعظم فعادت النار عنه باردة باذن الله سبحانه وتعالى العزيز الجبار فنظر الهراس بعد ساعة وجده جالس كانه في روضة خضرة فقال ادخلوا مغلوب فقدموه وصرخ صوت

صميم فواده فمد يده ابو زيد برشاقة ونتره حتى صار داخل الفرن فاحترق وقضي نحبه واما ابو زيد طلع سالم فصاروا الموجودين يتباركون منه واما الهراس انشد يقول

يقول الملك هراس ابن بشاره　　تعجبت من قولك وانا مرتاب
سلامه انا اخطيت عند دخولك　　الى الفرن بنار تزيد لهاب
ولكن مغلوب طغاني وقال لي　　هذا ابو زيد الذي اتى وساب
وظنيت فيك القول تاريه باطل　　وعدش حقيقة مفتكر مرتاب
والحق قد بان منك وسرني　　وما عاد يا راهب عليك عتاب
اريد تسامحني الا يا سلامه　　فقل لي انا لك ما عليك حجاب
رد الفتى الراهب سلامه يا ملك　　واني لك من اكبر الاحباب
وانت تمغمغ للكلام وتنحرف　　تطاوع الى من جاك بغير حساب
انا جيت الى مثقال حليت عنده　　ثمانين يوم ومثلها بالباب
وجيت لعندك حتى اشوفك　　وانظر انا عندك هلال دياب
ولولا كلامك كنت باخذ يا ملك　　انا دستور قبل غياب
وروح ولكن ما بقيت فارقك　　بقعد عندك حتى يقوم حساب

فلما فرغ من كلامه استعقد فيه العباد وصارت تجيه النذورة باكر وعند الغياب الى ان قرب العيد قال سلامه ارسل يا ملك نبه عني كل البلاد ان كل من عنده اسير يجيبه حتى نقتلهم سوية فجمعوا الاسارى من جميع البلاد واذا هم اثني عشر الف اسير فوضعوهم في مكان حصين وفي الليل قام ابو زيد واخذ شمعه ودخل على دياب

يلاقيه في هم شديد ولكن فيهم واحد اطول من الكل اسمه عمر وكان من بلاد الشام فلما شاف سلامه قال اه يا ملعون على ما اكون مطلوق السواعد فقال له سلامه ماذا يطلع بيدك ثم تقدم اليه واطلقه وقال له دونك وما انت طالب ها انا امامك فاستعد عمر وانطبق على ابو زيد فالتقاه بقلب كالحديد ومد يده الى وسطه ورفعه الى فوق راسه وخبطه بالارض كاد يدخل طوله بالعرض وقال كيف رأيت نفسك فعندها اشار عمر ويقول

قال الفتى عمر الاسير الذي شكا ولي قلب زاد اليوم بالحسرات
سلامه سلمنا من القتل والعنا ارميت وسط قلوبنا رهبات
ولما نظرنا الضوء بالليل قد اتى ولا رجل الا قلبه قد مات
فنحن غرباء من بلاد بعيدة ولا رجل الا قلبه قد مات
وراحت تجارات لنا واموالنا وجابونا الى ارضهم عرات
ورعونا الخزير والوحش بالفلا وقد طحنونا الماء بالراحات
لكن انت رسمت فينا وجيتنا حتى تقربنا فدى حسرات
كلاب نحن او غنم وسط روضة والا تيوس تابعة عنزات
سالتك بعيسى ثم مريم تجيرنا واعتقنا تبقى لك الخيرات
ما قال الفتى عمر الاسير الذي شكا وعزمي تقطع فات مني فات

قال الراوي فلما فرغ عمر من كلامه وابو زيد يسمع نظامه قال له لا تخاف عليك الامان انت ودياب وجميع الاخوان واشار اليهم هذه الابيات

قال ابو زيد الهلالي سلامه   اسمع كلامي يا امير ديابا
وانت يا عمر الاسير فابشر   السعد جاء والهم عنك غابا
وكلكم يا ذا الاسارى ابشروا   لا تحملوا هماً ولا انكابا
انا ابو زيد الهلالي سلامه   قدجيت اجعل هل البلاد خرابا
اني لاجل دياب جيت اخلصه   واقتل الى الهراس والحجابا
قد جيتكم يا ذا الاسارى كلكم   وجميعكم والقلب فيكم طابا
اريد ان نهجم ببطش كلنا   ونغار على الهراس ليس نهابا
نقتل اكابرهم ونمحى اثرهم   وكبيرهم نسقيه كاس شرابا
قوموا ادخلوا الزردخانا كلكم   وتسلحوا بسيوفها وحرابا
ثم اطلعوا حتى نروح لقصره   ونصيبه في موضع الينا صابا
ونجيب الى نوفل نحطه موضعه   ويعود حاكمها ولا يرتابا
ونروح الى ارض لنا وبلادنا   ونشوف الى اولاد لنا وحبابا
ويزول عنا الهم ايضاً والعنا   وتزورنا الارفاق والاصحابا

فلما فرغ ابو زيد من كلامه فرح دياب فرحاً شديد ما عليه من مزيد والاسرى دعوا له بالتوفيق ثم اخذهم الى الزردخانة فاخذوا منها ما يحتاجون ثم ان ابو زيد ارسل عمر مع الفين من الشباب وربطوا الطريق والابواب وفرق الباقي في جميع انحاء البلدة واخذ معه دياب و ...ف فارس وسار بهم نحو السرايا ودق الباب فرد عليه الحارس فقال له ابو زيد افتح انا الراهب سلامه ففتح ودخل الامير ابو زيد وضربه بالسيف قطعه نصفين ودخل على الهراس مع رفاقه

لقاه نائم على فراشه فرفسه برجله فقاق وفتح عيونه يرى الموت الاحمر فوق راسه فقال من انتم يا قوم فاجابه ابو زيد انا الراهب سلامه الذي اسمي ابو زيد وهذا اسيرك دياب قد خلصته من اسره فاشار الهراس يترجاه ويقول

قال الفتى هراس من قلب حزين ... ايا ابو زيد انا واقع دخيل
ارجوك يا امير اقبل رجوتي ... ما يقبل الرجا الا الاصيل
حاشا لمثلك ان يخيب قاصده ... اجبر القلب قد عاد واقع ذليل

قال الراوي فما اتم الهراس كلامه الا واشهر دياب حسامه وضربه على هامه رمى راسه قدامه واخمد انفاسه ثم تفرقوا في الاسواق والازقة وعملوا السيف بمن لم يطع حتى قتلوا اثنى عشر الفاً وباقي الناس طلبوا الامان ووضعوا المحارم في رقابهم فعفوا عنهم وطلع منادي ينادي في الامان وجلس ابو زيد في الديوان واتى لعنده الاكابر والاعيان وكان بين ابو زيد ونوفل اشارة وكانت مراكبه دائماً في البحر فرفع ابو زيد الاشارة فحالاً تقدم نوفل بمراكبه نحو البنط وصعد الى البر فذهب ابو زيد ودياب لاقوه وسلموا عليه ورجعوا به الى الديوان والتفت ابو زيد الى الحاضرين من اعيان البلده وقال لهم لقد وليت نوفل حاكم عليكم ولا احد منكم يخالف له امراً ثم مدوا مائدة الطعام والشراب فاكلوا وشربوا واشار ابو زيد يقول

قال ابو زيد الهلالي سلامه ... الا اسمعوا يا جملة الخلان

يا اهل قبرص اسمعوا الي جميعكم   كونوا جميعاً كلكم اخوان
وانت يا نوفل فكن عليهم   شفوق لا تظلم الى انسان
وانت مثل ابني وانا مثل والدك   وقلبي يحبك والنبي العدنان
عملت معي معروف ما لقيتني   على العين انفدا وانا غميان
واياك ان تظلم يجازيك ربك   اذا قمت من قبرك غدا عريان
واعطيتني مركب صغير نزلته   وارسلت من قومك معي غلمان
وقد اوصلوني لجزائر قبرص   وردون عني والحشا فزعان
ودبرت احوالي ونلت مرادي   قتلت الى الهراس هل الخوان

فلما فرغ ابو زيد من كلامه شكروه على مقاله ودخلوا الى دار الهراس فوجدوا المال الذي فيها لا يعد ولا يحصى فاخذوه ووسقوه في المراكب وودعوا نوفل وسافروا . وبعد ثلاثة ايام وصلوا الى دير اللاذقية فارسل ابو زيد من يبشر الامير حسن وبني هلال بقدومهم فقامت عندهم الفرحات وعلت الضجات وزلغطت النساء والبنات ودقت النوبات وركبت الاربع كرات والامارة والسادات وساروا حتى وصلوا لعندهم فلما وقعت العين على العين ترجل الفريقين وسلموا على بعضهم البعض سلام الاحباب وهنوهم بالسلامة ثم حملوا الاحمال وساروا . اما الاسارى فبقوا ماشين في عراضة قدام الامير ابو زيد الى ان وصلوا الى الخيام فلاقتهم النساء والبنات بالزلاغيط والنوبات وهنوا الامير دياب بخلاصه من الاسر والاعتقال وشكروا الامير ابو زيد على حميد افعاله والخصال وصرفوا ذلك النهار بالفرح والسرور

والغبطة والحبور وعمل الامير حسن في اليوم الثاني وليمة عظيمة لها قدر وقيمة وما زالوا على تلك الحال وهم في ارغد عيش وانعم بال مدة عشرة ايام وبعد ذلك صمموا على الارتحال من تلك الاطلال فهدت الخيام وانتشرت الرايات والاعلام وركبت السادات ظهور الخيول واعتقلوا بالرماح والنصول وركبت النساء والبنات في الهوادج والعماريات وجدوا في قطع البراري والفلوات طالبين ارض عتاب حتى وصلوا اليها بعد ايام فنصبوا المضارب والخيام ورفعوا الرايات والاعلام

﴿ انتهى الجزء الثامن من تغريبة بني هلال ويليه الجزء ﴾
﴿ التاسع وهو يحتوي على قصة ابو بشاره ﴾
﴿ العطار الحاكم على قلعة صهيون ﴾
﴿ وتلك الديار ﴾

الكتاب التاسع

من تغريبة بني هلال وهو يحتوي على قصة

﴿ ابو بشاره المطار ﴾

الحاكم على قلعة صهيون وتلك الديار وما جرى له
مع بني هلال واسر حسن ودياب وغيرهم
وذلك بالسحر والكهانة ومجي ابوزيد
وما جرى لهم بعد ذلك من
الحروب والاهوال

يطلب من

مكتبة الترقي

لصاحبها

شكري الخوري وشركاه

شرقي ساحة البرج اول طريق النهر . (بيروت)

برخصة مجلس معارف ولاية بيروت الجليلة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الراوي لما رجعوا بنو هلال من قبرص واجتازوا في طريقهم ماردين التفت حسن ابن سرحان الى الامارة والفرسان وقال لهم ياقوم مرادنا هذا اليوم ان نذهب الى الصيد والقنص وانتهاب اللهو والفرص فماذا انتم قائلون فقالوا له نحن لك مطيعين ثم في ساعة الحال نهض الامير دياب والقاضي بدير وساروا مع حسن يجدون السير ويسابقون بمسيرهم الطير وما زالوا سائرين من مكان الى مكان وهم يطاردون الارانب والغزلان حتى وصلوا الى ارض يقال لها قلمة سواكن فبينما هم على هذه الحال واذا لاقاهم رجل عطار ذو هيبة ووقار وقدامه حمار واضع عليه آلة العطارة فلما اقبلوا اليه سلموا عليه فما رد عليهم السلام بل قال وقعتم يا أوباش لا بد ما اقتلكم واريح الدنيا منكم ثم تقدم الى حسن وقال له ويلك الى اين سائر في هذه الاطلال انت ودياب وبدير ابناء الكلاب والله لاعذبكم اليم العذاب ثم انه وقف حماره وهز بدماغه واشار يقول

يقول ابو بشاره الساحر العطار والنار في قلبي تزيد لداعي

يا امارا اسمعوا لي وافهموا | لا بد ما تغدوا في الفلا قطاعي
قتلتم امارا لا نظير لهـا | لا بد ما تغدوا في الفلا قطاعي
لا بد ما اخذ انا لثارهم | وادعيكم بالماضيات قطاعي
يا دياب انا لاعمل عذابك شهرة | ويشيع سيطك بالورى وبقاعي
يا بدير انت رجل هزيل مقرقع | انت مهبول وكان عقلك ضاعي
يا حسن بتأمر على الامارا بالقتل | وكان حق الله عندك ضاعي
في هذا اليوم لا اريد خلافه | انا ابو بشاره وكنيتي قطاعي

قال الراوي فلما فرغ ابو بشاره العطار من كلامه والامـارا يسمعوا نظامـه قال له حسن اصمت قطع الله لسانك فعند ذلك صاح القاضي بدير وارتمى على ابو بشاره مثل الطير واراد ان يبطش به فصاح به اجمد بالقدرة فما اتم كلامه حتى ارتخت اعضائه وكذلك حسن صار فيه مثاله فلما نظر دياب هذه الاحوال خرج عن دائرة الاعتدال وانحدف عليه وانشد وقال

يقول الفتى الزغبي دياب الغانم | ونيران قلبي زايدات سعارا
ابو بشاره يا لعين تأدب | اظن عقلك من دماغك طارا
يا كلب يا غدار تغدر بالملوك | يا بايع الفلفل مع الجنزارا
فلا بد ما فرق عدولك على العرب | وفرق عليهم فلفلك وبهارا
وغنم النسوان انا بعطارتك | واجعل قتلك بالملا تذكارا
وخلي حمارك ينسحب لبيوتنا | واخذ ثيابك احرقهـا بالنارا

قال الراوي فلما فرغ دياب من كلامه وابو بشاره يسمع نظامه

اغتاظ منه غيظاً شديد ما عليه من مزيد وقال له لماذا تتكلم بهذ
الكلام على ابو بشاره الاسد الضرغام ولما سمع دياب كلامه حمق منه
وصاح فيه وقال اليوم يومك يا ابن اللئام ثم انه قوم الرمح العسال
وقال له خذها من دياب الاسد الريبال فاراد يطعنه فما نظر ذاته
الا مكتف مكشوف الراس بلا لبـــاس حافي الاقدام فعند ذلك
صاح فيهم ومشى قدامهم فتبعوه مثل الغنم وكل منهم صار في حالة
العدم وما زال سائر فيهم حتى وصل بهم الى قلعة صهيون فاحضرهم
قدامه واراد ان يسقيهم كاس المنون ثم ادخلهم الى السجن ووضع لهم
الحديد والاغلال وقال لهم ما بقي لكم خلاص من ضيق الاقفاص
قال الراوي هذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر ابو زيد
فانه كان غايب في الصيد والقنص فلما رجع الى الاطلال ما وجد
حسن والابطال فسأل عنهم بعض الرجال فقالوا له ساروا على الصيد
والقنص ولهم يومين في تلك البراري والاكام وهذا ما نعلمه يا ابن
الكرام فبينما هم في الكلام واذا بالذين كانوا مع الامارا شاردين في تلك
الاكام فسألهم ابوزيد عن حسن والامارا فاعلموه بهذه الاشاره فلما
سمع ابو زيد هذا الكلام غاب عن الصواب وصار في حساب وامور
صعاب وصفن ساعة من الزمان ثم التفت الى الامارا والفرسان وقال
لهم كيف يكون عندكم الراي فقالوا له الراي رايك ونحن ما عندنا
راي فقامت نساء هلال بالصياح والبكاء والنواح من كل جانب وناح
وباتوا في غم وهم شديد ما عليه من مزيد . قال الراوي ولما اصبح

الصباح واضا بنوره ولاح اجتمعت بنو هلال عند ابوزيد وقالت ما هذا المصاب وما يكون منه الجواب . قال لهم قوموا بنا في ساعة الحال لاجل ندور عليهم في البراري ونفحص عن هذه الاحوال فعند ذلك نهضوا على الاقدام وساروا في الفيافي والاكام يسألوا على امارتهم الكرام الى وقت الظهر فما وقعوا لهم على اثر فعند ذلك اخذهم الاضطراب وحثوا على رؤوسهم التراب فبينما هم كذلك واذا برجل ساير في تلك الدكادك فساروا اليه وسلموا عليه فرد السلام بكل ادب واحتشام فقال له ابوزيد يا اخا العرب وصاحب الفضل والادب انت من اين والى اين قاصد فقال له يا اميرنا كنت في صهيون وسائر الى بغداد وتلك العيون فقال له ما عندك من الاخبار فقال له اعلم بينما كنت نهار امس سائرًا في تلك الناحيـــة اذ وجدت ابو بشاره المطار معه ثلاثة اماره اخيار وهم من بني هلال ولكن واقعين في اوشم الاضرار واخذهم الى قلعة صهيون ووضعهم في الحديد والاغلال وهذا ما عندي من الاخبار واذا كنتم ذاهبين الى خلاصهم ارجعوا واستخيروا الله لئلا يصير فيكم مثلهم لانه ما احد يقدر ان يصل اليهم فقال له ابوزيد من اي شيء فقال له من بو بشاره لانه سحار مكار لا يصطلى له بنار ولكن انتم من اي بلاد فقال له من بلاد الحسا والقطيف فلما سمع الساعي كلامهم تركهم وسار في حال سبيله واما ابوزيد فانه قال الى فرسانه والابطال ما يكون عندكم من الراي والارشاد فقالوا له الراي عندك يا ابن الامجاد فقال لهم ارجعوا الى

الاطلال وانا وزيدان لهذه الاحوال فقتدها رجعت العرب واما ابوزيد وزيدان ساروا في تلك البراري والكثبان طالبين قلعة صهيون وتلك الاوطان واذ نظروا ابو بشاره المطار يدور في تلك البراري وسايق قدامه الحمار فلما نظرهم وقف حتى وصلوا اليه وصاروا بين يديه فصاح فيهم ويلكم ايها الانذال وقعتم في اوشم الاحوال وقعت يا ابوزيد انت وزيدان وتظنوا ان مكركم يدخل عليّ والله يا ابوزيد لا بد عن قتلك واريح الناس منك . فقال ابوزيد من عرفك فينا حتى تعادينا . فقال له انا عارفكم من وقت ما خرجتم من اوطانكم واشار يقول

يقول ابو بشاره الامير الذي شكا	ودمعي جرى فوق الخدود بدادي
ونيران قلبي كلما اقول تنطفي	قد هب لاعجها وزاد وقادي
ابو زيد من اين يا غدار جيتنا	يا من بسيطك في الملا وبلادي
زيدان انت بقيت الان اسيرنا	سالقيك على وجه الصعيد بدادي
واما ابوزيد ادعيه ماقى مطوح	ودمه في وسط الفلاة بدادي
واليوم يوم العز لا اريد خلافه	ولي عزم امضى من سيوف حدادي
واما ابوزيد بارض عنتاب شفته	عمل صفة جارية في دق بدادي
ابو زيد قتلت عزاز في حيلة	يتمت اولاده وكل بلادي
والله لاجعل قتلكم دابي	واقطع لروسكم من بين الابنادي
اخاف يا ابوزيد تعمل حيل تذكر	وتفك الى رفقتك من قيد حدادي
لادعيك تغدو بالحبال مسوسح	بالزلط تبقى ودمع العين بدادي

قال الراوي فلما فرغ ابو بشاره من كلامه والامير ابوزيد يسمع نظامه اغتاظ غيظاً شديد وقال له سد فمك لعن الله ابوك وامك وما انت الا ملعون يا بايع الفلفل والكمون روح وبيع عطارتك على النسوان ولا تعارض الفرسان وشار يهد عليه ويقول

قال ابوزيد تخسا ياردي تخسا   انا ابوزيد حاوي جميع اوصافي
لا بد ما اقتلك واقتل الى حنا   لو كان عندك ثلاثين الف سيافي
زيدان اسحب لسيفك واقطع راسه   واحدف الى رقبته من الاكتافي
عطار عمرك خلص ما عاد لك نجا   ياناقص العقل يامعدوم الاوصافي
انا ابوزيد وكل الناس تشهد لي   قرم صميدع من نسل الاشرافي

قال الراوي فلما فرغ ابوزيد من كلامه وابو بشاره يسمع نظامه غضب غضباً شديد ما عليه من مزيد وزاد فيه الهم والتنكيد فعندها سحب الامير زيدان حسامه وغار عليه يريد اعدامه فما نظر حاله الا وهو مكتوف وراسه مكشوف ووقف قدامه بلا شاش ودموعه رشاش فلما نظر ابو زيد ما صار في زيدان خرج عن دائرة الاعتدال وزاد به الهم والخبال وما هان عليه في تلك الاسباب بل سحب سيفه القرضاب وهجم عليه هجمة الاسد الريبال وقال له ويلك ابن الانذال دع... عن هذه الاحوال فلما نظر ابو بشاره من ابوزيد تلك الفعال خاف من شرب كاس الوبال فقبض كمشة من تراب وعزم عليها ثم حدفها على ابوزيد واذا رجليه قد يبست في الارض وكذلك يداه يابسات ومرفوعات الى فوق راسه فعدم عقله وحواسه

ثم ان ابو بشاره زعق في ابوزيد صوت هائل كانه الرعد الصائل ورفعه في يده ما شاف ذاته الا وهو طائر ما بين الارض والسماء واما زيدان فجره ذلك الملعون ووضعه في حبس صهيون فقال له حسن وانت ما جابك الى عندنا يا امير زيدان فقال لهم وقعة ملعونة ما لها الا الله واشار لهم يقول

يقول الفتى المسمى زيدان ابن غانم ونيران قلبي زايدات لفاح
انا كنت مع ابوزيد بالبر ساير ندور عليكم في مسا وصباح
فلاقانا العطار الكهين بدربنا تاريه سحار مكار يا صاح
فصاح عليه الامير سلامه وقال له من هنا ما عاد لك نجا ورواح
وصاح علي صوت مثل رعد قاصف وقعت مرمي على الوطا بشباح
وابوزيد ما نظرته اين غدا ياحسرتي ما اعلم لاي ارض راح

قال الراوي فلما فرغ زيدان من كلامه والامارا يسمعوا نظامه فقالوا مليح هالملعون يجيبنا واحد بعد واحد وعادوا في حساب وامور صعاب هذا ما كان منهم واما ما كان من الامير ابوزيد فانه ما وعي على ذاته الا وهو بين بيوت بني هلال يبكي بدموع سجام وينعي اهله والاعمام ويضرب بيديه ذات اليمين والشمال فلما رأته بنو هلال بهذا الحال قاموا عليه الصياح من كل جانب وناح وقالوا يا ناس ابوزيد جن والان يبكي ويأن ثم انهم تقدموا اليه وغاروا عليه وقبضوه وحطوا القيد في رجليه وبقي على هذا الحال مدة ثلاثة ايام مع ليال وهو ما يعرف ذاته في اي مكان ثم اجتمعوا عليه الفرسان

وصاروا يؤانسوه بالكلام فعند ذلك صحي من الاوهام فقالت له اكابر بني هلال الى اي متى هذا الحال يا ابوزيد وما الذي عامل فيك هكذا فقال لهم انا اين وانتم من تكونوا فقالوا له نحن اهلك واحبابك بني هلال فعند ذلك صحي مليح وعرف من عنده وضيح واشار يعلمهم بهذا القصيد ويقول

قال ابو زيد الهلالي سلامه ونيران قلبي زايدات ضروم
يا آل عامر يا اجواد اسمعوا لي فيما جرى لي يا ناس هذا اليوم
علمي انا والفتى زيدان قدامي في فرد ساعة دعانا يا قروم
وقال لي انت يا غدار تغدرني اسمك سلامه وانت داير على القوم
فقلت له سلامه ما انا خايف يا كلب يا ملعون يا ابن الشوم
فصحت في زيدان اقطع راسه ادعي هذا الكلب وسط الدم يعوم
فصاح يا ناس بزيدان اوقفه مربوط في شاشة بقي محزوم
لما نظرت انا يا هلال فعاله بقيت بحال الذل شبه البوم
صرخ عليَّ وبيده اوما نحوي ما عاد لي حيل حتى اقوم
وجدت نفسي بين العرب واقف ساهي كأني يا ناس في نوم
عمري ما رأيت بالناس مثله ابو بشاره دهاني انا يا قوم
يا هلال ماذا العمل والراي قولوا ارواحنا في سبيل الله بنسوم

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من كلامه وبنو هلال يسمعون نظامه واذا بالامير غانم ابو دياب مقبل عليهم فدخل وسلم فردوا عليه السلام وقاموا له على الاقدام فنظر بينهم فما رأى اولاده فزاد همه

وغمه وقال يا ابوزيد اين اولادي وثمرة فؤادي فاخبره بما جرى وصار
فلما سمع هذه الاخبار طار من عينيه الشرار وصاح صوتاً من صميم
فؤاده ووقع مغشياً عليه وغط على قلبه ساعة من الزمان فاستيقظ وعاد
يصيح اين دياب واين زيدان فارس الفرسان واشار يقول

يقول الفتى غانم على ما اصابه ونيران قلبي زايدات شعال
يا امير اسمع الى كلامي وافتهم يا فارس الفرسان يوم نزال
انت ابوزيد الامير سلامه ريت عمرك قط ما تنظر هوال
اين زيدان المسمى مع دياب مرعب الفرسان في سوق المجال
اين او تكنا بدير الفايد قاضي هلال ما مثله مثال
اربع فرسان في يوم الحروب مال فيهم الدهر يا امير مال
اتوك جميع هلال يا امير الملا ايا فارس الفرسان يا مفضال
وكلهم منك يريدون الفرج يا ابو شيبان يا فارس هلال
انهم ما يوم جابوا لك قبيح تاجر فيهم ترى هن الاصال
اخذت لاولادي سرعة بطا ابو بشاره كتفهم باربع حبال
وانت قد ذليت اتيت لنحونا ما نظرنا منك قط هذه الفعال
بالقلم يا امير ما احد يسبقك غير سعدا التي عنها يقال

قال الراوي فلما انتهى من كلامه والامير ابوزيد يسمع نظامه
صاحت بنو هلال صيحة عظيمة تفلق الجبال وقالوا يا ابوزيد الى اي
متى هذا الحال وانت قاعد يا مفضال قم وسير بلا اهمال وانظر احوال
الاماره والابطال ونحن نعرفك ما تترك ملوك بني هلال ويا ما لك

عوائد واقبال وكيف عاد تجري فيهم هذه الاحوال ونحن ماذا يصير فينا من بعدهم وزادوا في البكاء والعويل والحزن الطويل فوردت اليه جميع بني هلال النساء والعيال وقدام الجميع الجازية ام الدلال اخت حسن سيد بني هلال ووقعوا عليه وقبلوا يديه فراحت الجازية تحشمه في هذه الابيات وتقول

الجازية قالت في بيوت ملاحي — مسطرة في كتبها وطراحي
ياحيف يابوزيد على خيل الملاحي — قدامنا تعرض في مسا وصباح
يا بنات البدو هاتوا خيولهم — وسيوفهم ودروعهم ورماحي
حتى ندور على الامارا كلنا — في كل ارض يا فتى وبطاحي
ابوزيد عامل انت مالك مقدره — نحن اليهم سائرين صباحي
انت قتلت الاربعة في مكرك — اخي حسن صيطه كمسك فاحي
واخذت الى اولاد الامارا وفتهم — بالغرب عادوا في بكا ونواحي
عمال يا بوزيد تقرا بالعذر — وتقول عقلي من دماغي راحي
مقالات فتاة الحي ام محمد — على فقد اخي زادني اجراحي

قال الراوي فلما فرغت الجازية من كلامها وابوزيد يسمع نظامها فقامت الجازية والبنات حتى ركبوا الصافنات فقالت امارة بني هلال هذا شيء ما يصير قوم يا ابوزيد وسير انت عوايدك فارجينا فعايلك فقال لهم ياقوم هذا ابو بشاره كهين من الكهان وما يقدر عليه احد لا من انس ولا من جان ولكن استعنت عليه بالله وتوكلت على الله الواحد الديان الذي لا يشغله شان عن شان فارجعوا يا بنات وكونوا

باعظم المسرات ان شاء الله ما ابات الا وانا مخلص السادات من الاسر والشدات فبكوا الجميع بكاءً شديد ما عليه مزيد وقالوا له يا ابوزيد لا تسير نخاف عليك من التعتير لربما يصير فيك مثلهم فقال لهم ابوزيد ما يصيبنا الا ما كتبه الله لنا ثم انه قام من ساعته وشلح ما كان عليه من الثياب ولبس في صفة درويش واخذ بيده عكاز وابريق وكوبك وسار يقطع البراري والقفار والسهول والاوعار وما زال سائر حتى انه دخل الى ضيعة من حكم تلك البلاد فبينما ينظر في تلك الوهاد واذا يسمع صوت ابو بشاره ابن الاوغاد وهو ينادي على العطاره يا غنادره فقال ابوزيد الله يخفي انك هل صوت ياستار استرني من هل جبار ثم انه دخل الى خربة في ذلك المكان وتخبى فيها خوفاً من ذلك الملعون ابن الانذال الى ان طلع ابو بشاره من تلك الضيعة فكان ابوزيد مشاهد اليه ثم انه خرج من تلك الخربة ولحقه من خلف الى خلف حتى يقتله فلما قرب اليه التفت ابو بشاره نظر ابو زيد تابعه فوقف وقال له اين بقيت تروح يا نذل العرب وانا وراك في الطلب تحسب اني ما شايفك من حين الذي تخبيت في الخربة ثم قال له تعال قدم الى عندي حتى اوريك تعسك يا كلب يا مكار يا مخروب الديار فلما سمع ابو زيد هذا الكلام اراد ان يهرب في الاكام اذا برجليه يابسات ولاصقات في الارض فقال له العطار موت كمد ولا يعلم فيك احد فسار وتركه فعند ذلك رفع ابوزيد راسه الى قبلة الدعاء وباسط الارض على وجه الماء وقال

الهي وعزي وجاهي وسندي ومولاي ورجاي بجاه كل الانبياء والمرسلين انك تغيثني من هذا الضيق بجاه سيدي الخضر عليه السلام منجد الايتام ومغيث كل من دعاه فما اتم ابوزيد كلامه والا قايل يقول له لا تخاف يا ابو زيد وما عليك من باس اقبل عليك شيخك الخضر ابو العباس عليه السلام عند ذلك انطلق ابو زيد من مكانه وسار قليل واذا في ابو بشاره العطار مقبل عليه وقال له من فكك ياغدار يامكار واشار يهدد عليه في هذه الابيات

قال ابو بشاره انت يا مكار تحسب باني منك انا خوافي
تحسب بانك يا فتى تغلبني والا انا من عكازتك خوافي
اقلام سبعة بالحال انا اعرفهـــا والرمل عندي في الكتب اصنافي
بالسحر ما اظن احد يغلبني ما فيك لي لو جبت سلافي
وانت في ظنك ترى لي تغلب بعـــلم الكواهن خابر عرافي
وحيات راسي لاجعلك عبرة وتموت ما احد لك يا امير شوافي
وانت وسط الحجر للنصف منبلع وانت واقف وطرفك للبلا شافي

قال الراوي فلما فرغ ابو بشاره من كلامه وابوزيد يسمع نظامه فقال له يا عطار انا عمري ما تدخلت على احد يا مغوار فارجوك يافتى ان تخبرني وتطلعني من وثاقي وانت سير واقتل كل المحابيس الذين عندك وانا في دمهم سامحتك فقال له اذا اطلقتك وسرت الى عند المحابيس وقتلتهم ماذا اعملت اكون قطعت ذنب الحية وابقيت راسها ولكن انا لا ارجع عن قتالك يا ابن الانذال واخلي محابيسك

امارة بني هلال فلما سمع ابو زيد من ابو بشاره هذا الكلام صار الضيا في وجهه ظلام واشار يقول وعمر السامعين يطول

يقول ابو زيد الهلالي سلامه ونيران قلبي زايدات شعال
سألتك يا رحمن يا سامع الدعا بجاه من على الجبل قد جال
ابو بشاره ما تخاف الله يا كاهن ايا حيف راحت ابطالنا ورجال
لو كنت ماسور كان الاسر اهون لي كنت اشوف لرفقتي ورجال
الهي بحق الحرم وكعبة الغراء وبجاه الانبياء وكل مفضال
بانك تجيرني من الكهين الساحر ابو بشاره الساحر المحتال
مقالات ابو زيد الهلالي سلامه ونيران قلبي زايدات شعال

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من كلامه والحق متجلي على دعائه استجاب ندائه فاراد ابو بشاره يسير الا وصوت ارعد له الجبال يقول الحقه يا ابو زيد يا مفضال واسقيه كاس الوبال انا استاذك الخضر ابو العباس ما عليك يا ابو زيد من باس فلما سمع ابو زيد هذا الكلام ظن انه في منام فعندها انطلق ابو زيد ولحق ابو بشاره في تلك البيد ولما قرب اليه صاح عليه وقال له اين عدت تسير يا ابن اللئام اليوم اسقيك كاس الحمام ومـا عاد لك خلاص من ضيق الاقفاص فاراد ابو بشاره ان يلتفت اليه ويهجم عليه واذا بكف نزل على وجهه وعقد لسانه وجمدت عيونه وما بقي له كلام فزادت به الاوهام فسحب ابو زيد المشة من داخل العكاز وطسه على هامه حط راسه قدامه فوقع قتيل وفي دماه جديل ولما قتل ذلك المحتال حمد الملك المتعال الذي

خلصه من هذه الاهوال وقرا الفاتحة واهداها الى الخضر ابو العباس الذي خلصه من هذه الارجاس ثم انه خذ حماره ونزل عنه بضاعته ففردها ونظر ما فيها وبعد ذلك حزمها ووضعها على ذلك الحمار وبقي في ذاته محتار ثم انه شلح ما كان عليه من الثياب بدون ارتياب وتزيا بزي ابو بشاره العطار وساق قدامه الحمار وقال له الله يحرق عظام ابو صاحبك ابن الاوغاد وسار في تلك البراري والوهاد وسار على قلعة صهيون وصاح انا الحنون ساقي الضد كاس المنون ومعي فلفل وكمون وحنه واساور وابر وحلق ودهون وحمره وسبيداج وخطوط ارخص اكم البضايع في هذه السفرة يا بنات فتواردت عليه النساء من كل جانب ومكان فصار يكمش ويعطي لهم بلاش من دون دنانير ويقول لهم هل سفرة كسبنا شيء كثير فعادوا يدعوا له بكل شفة ولسان فتركهم وسار في تلك البراري والكثبان ولم يزل ابو زيد سائر حتى انه وصل الى قلعة صهيون وتلك المعالم فما نظر الا واحد فز له وانتصب على الاقدام والتقاه بالترحيب والاكرام واجلسه الى جانبه على مراتبه وامر له بالخمر والشراب فقال ابو زيد في سره انا عمري ما شربته وكيف اشرب الان وعاد بامره محتار من هذه الاضرار فقال له صاحب القلعة وكان اسمه حنا علامك يا ابو بشاره ما تشرب وتطرب فقال له ابو زيد ما لي به حاجة حيث حلفت عنه يمين جمعة كاملة اني ما اذوقه لانه في خاطري اقتل هؤلاء الاسارى واسقيهم كاس الذل والخسارة فقال له ونحن عدنا ننتظرك حتى انك تحضر وتفعل فيهم مرادك فقال لهم هاتوا لي زيدان لاجل

اسقيه كاس الهوان فلما احضروه نظر اليه وصاح عليه ويلك ابن الانذال ابن رفقتك والابطال قال له في السجن يامفضال فقال له ياجبان انا اسألك عن ابوزيد ابن هو الان فقال له زيدان البشر باكر يجيك ويدعيك فقيد فقال له تخسا انت واياه لازم اقتلك انت وابوزيد وحسن ودياب وآخذ منكم الثار واكشف عني العار واشار يقول

ابو بشاره قال يا زيدانِ وحيات راسي لاجلك قرباني
لاعملك شهرة في كل الملا وحيات ديني يا فتى زيداني
ولاقيتكم في الطريق عاجل جبتك وابو زيد يازيدان زاد جناني
نفخت عليه انا نفخة طيرته وعاد يركض بالملا حفياني
اليوم يا زيدان تبقى عادم من يد ابو بشاره الفارس المرماني
واقتل حسن انا من بعدك واقتل دياب الفارس الخواني
واقتل بدير ابن فايد يا فتى واقتل ابوزيد على الوطا ينهاني
ياقوم هاتون الحطب ثم اضرموا كبريت ابيض حطوا على النيراني
وهات جريس والكواهن كلها وهات يعقوب وابو سلماني
وكل من ياخذ شقفة منهم يوصل خبرهم الى جبل سمعاني
وآخذ الثار بدريس الفتى وثار دابق ثم ثار اخواني
زيدان لاشفي فؤادي منكم ان كنت فارس قوم هنا القاني

قال الراوي فلما فرغ من كلامه وزيدان يسمع نظامه قال له زيدان يا ابو بشاره لا تخوفني في قولك ولا هي المراجل في السحر المراجل على ظهور الخيل هات لي جواد وعدة جلاد وادعي قومك

كلهم يلقوني في الميدان يا كلب ياجبان واشأر يقول

قال الفتى المسمى انا زيدانِ ابو بشاره مـا انا فزعاني
ان كنت تقتلني فهذا يومي هذا الذي ما قدره الرحماني
لان عمري يا فتى ما هو بيدك العمر من عند الواحد المناني
ابو بشاره لا تظن اني داشر خلفي عقيد الخيل ابو شيباني
ان كان نجاني الاهي منكم لالعن ابوك من قديم زمان
وحياة راسي ان طلعت الى الفلا وركبت لفرسي وعود الزان
ابو بشاره كيف امرت بحرقنا وتقول قوموا اضرموا النيران
النـار تحرق يا لعين فؤادك ما تحرق الاسلام يا خوان
يا ابو بشاره يا لعين تأدب يا نذل يا سحار يا شيطان
قوم وانظر في المرايه وجهك ما كانك الا من فروخ الجان
قول الفتى زيدان من وسط الحشا كلامي صدق ما به بهتان

قال الراوي فلما فرغ زيدان من كلامه وابو زيد يسمع نظامه قال له يا نذل دياب قتل ابن عمي ام انت وابو زيد قتلتـه وعلى الارض جندلته قال زيدان تقول انك عارف شاطر وبعلم السحر ماهر تاريك كذاب وما لك علم في هذه الاسباب فقال له كيف ما اعرف ذلك وانا ياما لي وقائع ومهالك فقال له زيدان اعلم ان كل الذين قتلوا ما قتلهم غير دياب ابن الانجاب واما انا وابو زيد ما قتلنا احداً . فقال ابو بشاره هاتوا دياب ومن معه حتى ننظر هذا الارتياب فاجابوه بما قال وساروا في الحال واحضروا دياب وبقة

الابطال فحينئذٍ التفت ابو زيد الى دياب وقال له من قتل اولاد عمي واسقاهم كاس العذاب فان زيدان يقول انت قتلتهم اصحيح هذا الكلام افيدني بالجواب قبل ما اعلي راسك بهذا الحسام فاجابه اعلم يا ابو بشاره ان المكتوب يقرا من عنوانه انظر الى كلام زيدان انت تحاكيه بالدرهم وهو يجاوبك بالقنطار هذا كلامه في هذه الامصار وماذا يكون في البراري والقفار والله ما انجس منه الا ابوزيد الفارس العنيد وهؤلاء الذين عليهم الكلام يا فريد فقال له ابو بشاره والله ما فيكم واحد مقصر وكلكم انجس من بعضكم البعض انت مثل الحية التي تلسع وتخبي راسها واشار يقول

ابو بشاره قال ابيات مرتبه ... ابيات موزونة على البيكار
لا تأمن الدهر عمرك ساعة ... الدهر دولابه حقيق دمار
دياب قتلت العزاز في سيفك ... حتى الخزاعي دعيتة على الوطا محتار
وحياة ديني لاجعل قتلكم عبرة ... يوصل خبرها الى بلاد سنجار
يا امير انت تحدثني وما تفزع ... هل وقت احرقك بلهيب النار
هاتوا عصاتي حتى اضربه بيدي ... انا قاهر الفرسان يوم سعار
واقتل امارتكم وكل رجالكم ... ميتين كرباج كل واحد دار

قال الراوي فلما فرغ من كلامه وقومه تسمع نظامه دعوا له بالنصر والظفر ثم قال ارموا دياب فجابوه وطرحوه فاخذ العصا بيده وقام ليضربه فقال له زيدان مكن يدك يا ابو بشاره ريت عمرك ما تشوف خساره ومن بعد ذلك العذاب القيه في النار فقال دياب

ويلك يازيدان كيف يهون عليك هذا المرام يا حيف يكون ابوك غانم واخوك دياب فقال ابو بشاره الى زيدان ماذا يكون منك هذا هل هو اخوك فاجابه نعم من فرد ام واب ولكن قوم اقتله وادعي من الدنيا مرتحله لانه هو الذي قتل رجالك والقانا بين يديك ظلم فقال دياب والله يا ابو بشاره صاحب اللسان غلب صاحب الاحسان والله ما مستاهل القتل غير زيدان وابو زيد لانهم قتلوا اولاد عمك وهذا زيدان تربابة ذاك الشيطان فقال ابو بشاره حقاً انت تربابة ابو زيد وعامل حالك مسكين فاجاب زيدان نعم انا تربابة ابو زيد ولا بد ما يعدمك روحك مع البنين واشار يقول

على ما قال زيدان المسمى ... مريع الخيل ان اجوا صايلينا
مريع الخيل في يوم الوقائع ... سياج البيض اذا طلع الكمينا
انا زيدان ليس انا مخبا ... وتربابة الملوك الغانمينا
انا ابوزيد رباني حقيقاً ... ابو شيبان يا عيني اليمينا
ايا ملعون بالك لا تقصر ... واضرب ضرب عصي الماكنينا
انا قلبي ما يخاف منك ... وحق البيت والركن اليمينا

قال الراوي فلما فرغ من كلامه ودياب يسمع نظامه التفت الى العطار وقال له سمعت كلام زيدان يا مغوار الذي هو امرّ من ضرب البتار فقال الملك حنا صدق دياب يا ابو بشاره دعنا نقتلهم ونستريح فقال ابو بشاره ما نقتلهم حتى نجمع عليهم اهل البلاد ونستدعي رهبان قبرص وحلب وجميع من له عندهم ثار لكي يتفرجوا على قتلهم

ويشربوا من دماهم فقال له حنا افعل ما تريد ونحن عن رأيك لا نحيد يا ابن الاماجيد فامر ان يأخذوهم الى السجن فاخذوهم ووضعوا لهم الحديد وقالوا لهم ما عاد من عمركم غير هذه الليلة وغداً تذبحون جميعكم ذبح الغنم ولا يدع منكم ديار ولا نافخ نار وقفلوا عليهم الباب وتركوهم يقاسون انواع العذاب فعند ذلك التفت الامير حسن الى بدير قاضي العرب وقال له ما العمل في هذه الوقعة المشومة مع ابو بشاره والان ارسل يستدعي اهل البلاد وغداً يجندلونا في البراري والوهاد فلما سمع بدير هذا الكلام سكت اضراسه وبال في لباسه واما حسن فقطع الاياس من روحه وانحلت عزائمه وذاب تغيرت الوانه وجمدت عيونه وصار يقول الله يضرك يا زيدان عَلَى فعلك حتى شمت علينا ابو بشاره وطمعته فينا فصار زيدان يضحك عليهم فقالوا له علامك تضحك وهذه الوقعة ما لنا منها خلاص فقال لهم اذا كان لنا عمر ما احد يقدر يقتلنا واذا كان فرغ اجلنا نحباً وكرامة في لقاء الله وماذا يكون ابو بشاره حتى يقتلنا وغداً يجينا ابو زيد ويخلصنا بامر الله تعالى ثم انهم اخذوا يندبون انفسهم عَلَى هذه الوقعة الردية وصار حسن يندب ذاته والامارا يودعون الدنيا وزيدان يضحك عليهم وعادوا في حساب وامور صعاب هذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من حنا حاكم قلعة صهيون فانه التفت الى ابو بشاره وقال له هات الاسارى حتى نعذبهم ونشفي غليل قلبنا منهم فعند ذلك احضروهم ولما وصل الامير حسن ارمى السلام فما احد رد عليه ولا التفت اليه فقال

علامكم ما تردون السلام • فقال ابو بشاره اننا ما نرد عليكم السلام واليوم نسقيكم كاس الحمام فقال له حسن سوف يحل بكم البوار وتشربون كاس الدمار من ابوزيد الفارس القهار • فقال له ابو بشاره تخسا يا فاني واليوم اوريك العذاب الماكن قال له حسن اعلم يا امير لا بد ان تندموا على فعلكم هذا الكبير فقال له على ماذا نندم ومن هو الذي نفزع منه فقال له حسن سوف يأتيك ابو زيد صاحب المكر الكيد ويخرب بلادك ويقتل اجنادك قال فعندها نهض الملك حنا على الاقدام وصاح تخسا يا ذليل يا مهان انت وابو زيد الكشحان هل بلغ من قدرك ان ترد بوجه ابو بشاره فارس الفرسان واشار يقول

يقول الامير حنا على ما جرى له	ونيران قلبي زايدات لظاهـا
وحق ديني وما اعتقد من يقيني	لاعمل عمايل ما احد سواها
وجيب ابو زيد لعندنا حاـفي	ودمع عينه على الخدود اجراها
ابو بشاره هات السيف واقتلهم	ارواحنا لك يا امير وهبناهـا
هذا كلامي اليك يا امير الملا	لا تأمن الدهر غدراته نظرناها

قال الراوي فلما فرغ الامير حنا من كلامه قال يا ابو بشاره قوم اقتل هؤلاء الاسارى فقال له طول بالك يا ملك ولا تعرف قتلهم الا مني ولكن لا اقتلهم حتى اجيب ابوزيد وندبحهم سواء وانت كون في صفاك فلما سمع حنا كلامه سكن روعه وجلس موضعه وقال له افعل مرادك بلغك الله امالك عندها التفت ابو زيد الى القاضي وقال

له انت قاضي العرب قال نعم قال انت قلت الى قومك ان يقتلوا عباد النار ذات الشرار حتى قتلوا الى امارتنا وفرساننا فقال له قتلهم حلال قال له في اي مذهب قال له في كل المذاهب لانه ليس يعبد الا الله سبحانه وتعالى فقال له مرادي ان ارمي عليك مسائل فقال القاضي اسأل عما شئت فقال اخبرني عن شجرة لها اثني عشر غصناً وفي كل غصن ثلاثين ورقة وفي كل ورقة خمس ثمرات اثنتين بيض وثلاثة سود فقال له القاضي هذه السنة والاشهر والايام والصلوة الخمس فقال له اخبرني السماء مسيرة كم يوم فقال له خمسمائة عام قال زيدان بقي عليك ان تسأل دياب وان ما عرف جاوبك اقطع راسه واخمد انفاسه فقال دياب ويلك يازيدان اما انا اخوك لا شك انك ابن لئام وانت تربابة ابوزيد الهمام قتلتم بدريس وعزاز فان قتلوكم يكونون اخذوا ثارهم منكم واشار يقول

دياب غنى قصيداً من ضمائره ودمع العين على الخدين طوفان
يا اهل المروّة اعفوا اليوم عن قتلي ان كنت تقتل قوم اقتل زيدان
هذا الذي قد خان يا فخر الورى وادعي دماهم على الفلا خلجان
هذا وابو زيد قتلوا عمامك وخلوا الفوارس في بلا واحزان
ونحن يا ابو بشاره قوم اقتلنا انا وبدير مع ابن سرحان
ترمي علينا مسائل ما نعرفها ما يعرف اللغز الا اخي زيدان
وان كان زيدان ما يعرف سؤالك اقتله يا امير مجد يمان
واقتل ابو زيد الهلالي سلامه واجمع عليهم يا ملك فرسان

انت صاحب العز والمجد والعلا   انت صاحب الصيوان والميدان
وهذا الذي ابصرت يافخر الملا   وقولي صحيح مـا به نقصان

قال الراوي فلما فرغ الامير دياب من كلامه وابو بشاره يسمع نظامه قال يادياب انت تقول ما قتلته وحسن والقاضي وزيدان يقولون ايضاً ما قتلوا احد ومرادي اعلم من هو الذي قتلهم اخبروني واصدقوا في المقال والا قتلتكم في الحال فقال له دياب اعلم يا حباب ما احد قتل اعمامك والابطال الا ابو زيد والامير زيدان وانا اعلمك بصدق اللسان وما بقي عليَّ ملام واذا قتلتنا جميعاً تكون فسخت الزمام فقال زيدان ويلك يا دياب من قتل بدريس والخزاعي في ذلك المقام والمراعي فانت تعمل عمايلك وتتهم غيرك وانت دائماً ابو الفانيات وما لك في شيء ثبات وطبعك دائماً الغدر والهزيمات ثم انشد يقول

قال زيدان قصيد من ضمائره   ابيات كالدر موزونة بميزان
وحق عيسى وموسى والنبي محمد   قولي صحيح مـا فيه بهتان
دياب هو الذي قتل الى اعمامك   قتل بدريس في سيفه وسنان
ايضاً قتل للخزاعي ما اختشى منك   تحقيق يا ابو بشاره ما انت وهمان
حنا يا اهل المروة اقتله بالساع   واجعل دمه فوق الارض غدران
بحيات راسك تشفي خاطري منه   هذا يقيم الفتن كشبه شيطان
وهذه المسائل يحلها دياب بساع   وان ما عرفها اجعله اليوم قربان
اضربه على رقبته بالكف بحياتك   يا فارس الفرسان يوم طعان

قال الراوي فلما فرغ زيدان من كلامه والجميع يسمعوا نظامه فقال حنا كيف يا ابو بشاره دياب يقتل اهالنا ورجالنا وانت ساكت عنه بحياتي عليك تشفي خاطري منـــه فقال ارموه تحت الضرب فرموه وقام ابو بشاره اخذ المكاز في يده ومال عليه حتى كسر اجنابه من القتل والتفت الى القاضي وقال له مرادي ارمي عليك مسائل ان ما اجبت عنهم ضربتك مثل رفيقك فقال له اسأل عما تريد ايها الملك السعيد فقال له اخبرني كم طير ترل بالكتاب فقال له تسعة فقال حنا وما هي التسعة فقال الذباب والنمل وطير الابابيل والجراد وطير عيسى وهو الخفاش والغراب والهدهد والصفا واللهوه وهو السمن فلما اتم كلامه قال له اخبرني عن طير يمن ويحيض وعن شيء اذا حبس عاش واذا شم الهوا مات فقال له اما الطير فهو الوطواط والثاني هو السمك ثم ان القاضي التفت نحو ابو زيد وقال له مرادي اسألك سؤال وهو اخبرني عن شيء كان حلال ثم صار حرام فقال له ابوزيد البيضة حلال واذا وضعت تحت الفرخة صارت حرام فقال القاضي اخبرني يا ابوبشاره عن رجل قام الى الصلاة سلم عن يمينه وجب عليه مائة دينار وسلم عن شماله طلقت زوجته فنظر الى موضع سجوده بطلت صلاته فاشار يشرح له ويقول

ابو بشاره قال يا قاضي العرب انت فهيم وتعرف الابيـــاتي
اسمع كلامي يا امير وافتهم واصغى لقولي يا فتى وابياتي
وحق ديني انني مشفق عليك والا دعيتك كنت بالخفراني

دياب قربت بذا النهار منيتك   ايضاً حسن اسقي له كاساتي
هاتوا المقارع واضربوهم بالعجل   حتى يروحوا الكل للفراتي
ترمي علي يا بدير مسائل   انت فما تعرف امور صلاتي
هلي يصلي كان يا قاضي العرب   عليه مائة دينار من الطلباتي
نظر عن يمنه قد شاف الهلال   وجب عليه المال بالخزاتي
سلم على اليسار قد شاف المرا   وجبت عليه طلاقها بثباتي
لانه حالف عليها بالطلاق   بان لا تطلع من الابياتِ
نظر قدامه موضع ما سجد   وجد النجاسة ما تجوز صلاتي
الله تهدينا الى اوقاتها   بحق من قد انزل الاياتي
هذا كلام ابو بشاره يا بدير   وحيات راسي لاجعلك شقفاتي

قال الراوي فلما فرغ من كلامه والقاضي بدير يسمع نظامه فقال له عفاك يا امير على هذا العلم لكن ياحيف عليك تكون عابد النار ويكون هذا العلم عندك فضحك وقال يا قاضي خلص روحك والا اقتلك انت وارفاقك فقال القاضي اريد اسألك سؤال قال له قل عما شئت فقال له اخبرني عن خمسة ارواح اكلوا وشربوا ولا لهم ام ولا اب فقال له انا عرفت سؤالك والتفت ابو بشاره الى رفقاه وقال جيبوا سؤال هذا المسلم فقالوا اذا ما كان عرفت سؤاله نحن ماذا يعرفنا فقال ياقاضي نحن ما عرفنا سؤالك فاشرحه لنا وخذ لك خمس دجاجات محشيات رز وسنوبر وكان ابو زيد مراده ان يطعمهم لحم حتى ترد روحهم اليهم فقال له بدير يا امير هؤلاء هم آدم وحوا وكبش اسماعيل وعصاة موسى

وناقة صالح فقال ابوزيد اخبرني عن موضع لا تجوز فيه صلاة المسلمين وهو طاهر فقال له ظهر الكعبة فامر ابو زيد ان يأخذوهم الى موضعهم فاجابوه بالسمع والطاعة واما ابوزيد رتب لهم كل يوم خمس دجاجات وما زالوا على هذا مدة ايام . قال الراوي وفي ذات الايام قال ابوزيد يا امير حنا انا الان مرادي اسير الى بني هلال واقتل ابطالهم ورجالهم وادعيهم باوشم حال واكتف ابو زيد ونبقى ندبر في هلاك الجميع ثم انه اشار يعامه في هذا القصيد وعمر السامعين يزيد

اعتب على دهري وفي صهيون ارماني عند قوم وبين الخاص والداني
الدهر دولاب لا تأمن له بالك في ارض صهيون هذا اليوم ارماني
فجبلي حماري وجبلي هل بضاعة حتى اروح سواح في سائر البلدان
واعمل وليمة واجمع كل فرسانك وحط يدي عليهم ثم درعاني
وهذه المحابيس يوم العيد نذبحهم واجعل دماهم بالارض طوفان
واجيب ابو زيد واعمله لماكر كي ينظروا العذاب اشكال والوان
وحيات ديني لاجعل قتله شهرة واجلي صدا القلب واكشف الاحزان

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من كلامه والملك حنا يسمع نظامه قال له افعل مرادك وما فينا من يخالف مقالك هذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امارة بني هلال فبينما هم بالذل والخبال تفكروا في اهلهم والخلان وكيف عادوا في الذل والهوان من بعد عزهم فقال القاضي يا امارا ما يصير علينا الا ما كتبه الله لنا هذا ما كان منهم واما ما كان من امر ابو زيد فانه التفت الى حنا ووزيره جريس وقال لهم

هذه الليلة مرادنا نعمل كيفية فقالوا حباً وكرامة وما كان الا برهة من الزمان حتى حضر الخمر وجلسوا في ذلك المكان وقالوا من يكون الساقي علينا يا اخوان فقال احد الامارا ما احد يسقينا غير ابو بشاره لان يده مباركة فقام المذكور من ساعته وصار يسكب الخمر ويسقيهم حتى سكروا الجميع ولا عاد يعرف الاول من الاخر فتركهم ابوزيد وسكر عليهم الباب وسار على الاعقاب في البراري والهضاب حتى وصل الى امارة بني هلال وفتح باب السجن ودخل عليهم وقال قوموا ولما رأوه ارتعدوا منه وقالوا نحن في جيرتك يا ابو بشاره فقال لا تخافوا انا لست ابو بشاره فقالوا من تكون انت يافارس الفرسان اعلمنا بالحال فقال لهم انا اخوكم ابوزيد وعليكم الامان من نوائب الزمان فقالوا له لله درك يا ابو صبرا وشيبان ولولاك من زمان متنا في هذا المكان ولكن اعطي بالك من ابو بشاره لربما يعرفك في هذا المكان فقال لهم كونوا براحة من هذا الامر ولازم ما اذيقه كاس الحمام فطيب خاطرهم ورفع عن وجهه اللثام وحدثهم بما جرى بينه وبين ابو بشاره من الاحكام بالتمام وحدثهم بما فعل بهم فلما سمعوا منه هذا الكلام قاموا له على الاقدام وقبلوه ما بين الاعيان وشكروه بكل شفة ولسان فعند ذلك تقدم اليهم وفكهم من وثاقهم واخذهم في جنح الظلام وساروا يقطعوا البراري والاكام حتى وصلوا الى قومهم ففرحوا بهم فرحاً شديد ما عليه من مزيد وطلعوا لاقوهم بالطبول والزمور وفرحوا في سلامتهم وشكروا الامير ابو زيد على تلك الفعال التي

تعجز عنها صناديد الابطال وما زالوا سائرين الى ان التقوا في بعضهم البعض فسلموا على حسن ودياب وزيدان ونزلوا في تلك الكثبان في الخيام وقدموا لهم الطعام وبعد ذلك قاموا على الاقدام وتقلدوا بانواع السلاح وباتوا ينتظروا الصباح

قال الراوي هذا ما كان من امر بني هلال واما ما كان من امر حنا والابطال فكانوا خمرانين كما تقدم الكلام ولما كان الصباح استفقدوا الاسارى فما وجدوهم وفتشوا على ابو بشاره فما وجدوا له خبر ايضاً فحينئذٍ علموا القضية بماذا كانت مطوية ثم صاح حنا في الفرسان وامرها بركوب الخيل فعند ذلك ركبوا ظهور المهاره وجدوا في تلك الصحارى طالبين بني هلال وما زالوا مجدين في سيرهم حتى قاربوا الارض التي فيها بنو هلال فقال لهم الوزير جريس واخوه مرقص خذوا اهبتكم للقتال واستعدوا للحرب والنزال فلما سمع حنا المقال قال ما لكم ومن بنو هلال فقال جريس اذا اقمنا هنا الى وقت السحر وسرنا بلا مهل نصل نصف النهار الى بني هلال فقالت الفرسان لقد نظر جريس موضع النظر لان من امسى واصبح على خطر لا يأمن القضاء والقدر ثم انهم باتوا في ذلك المكان يتقلبون تحت مشيئة الرحمن وعولوا على ما قال جريس من الخطوب وفيما هم على ذلك واذا بخيل بني هلال قد طلعت ولمعت رماحها في شعاع الشمس وهي غائصة في الزرد والسلاح تجر خلفها قطع الرماح وفي اوائلها ابو زيد ومن وراه دياب وحسن والقاضي وزيدان وفرسان الحرب والطعان

فتبادرت اليهم عساكر جريس وحنا وصاحوا بهم فارتجت لصياحهم الوديان ثم سأل من انتم ايها اللئام فحمل عليهم دياب بدون جواب فتلقاه فارس يقال له دهقان وتجاول هو واياه ساعة من الزمان فحكم دياب اليه السنان وطعنه في صدره خرج يلمع من ظهره وكان معه عشرة من الفرسان فلما نظروا ما حل به حملوا على دياب فتلقاهم كانه الاسد وفي اقل من ساعة قتل سبعة فرسان وانهزم الباقون وهم ينادون يا للعرب انجدونا من قتال الجن فقد حل بنا العطب قم الان يا حنا وقاتل الجان فقد برز الينا من هولاء القادمين شيطان بصورة انسان قتل مقدمنا دهقان وسبعة من الفرسان فلما سمع حنا هذا الكلام صعب عليه وكبر لديه وقال لهم كأن هؤلاء القوم ما عرفوكم حتى قاتلوكم وعلى وجه الارض جندلوكم ولو عرفوكم ما كانوا حاربوكم وان صدقني حذري ما هذا الجيش والعسكر الا مع ابو زيد الاسد المنكر واظن انه لما خلص الاسارى سار الى العرب واتانا للطلب والان يحل به وبهم العطب ثم انه غار عليهم ولما وقعت العين على العين علا الصياح من الفريقين ووقع السيف بين الطائفتين ونادى الملك حنا لئام غير كرام تظنون اني اخلي لكم مالي وما نهبتوه من انعامي وما قتلتم من رجالي اليوم ابلغ منكم مأربي وآمالي فلما سمع ابو زيد كلامه عرفه وقال له ويلك يا فاجر لمثلي تفزع بهؤلاء الانذال وانا ابو زيد مقدم الاقيال ثم امر رجاله بالحملة فحملوا من غير امهال ووقع بينهم القتال ساعة من الزمان فوقع بقوم حنا الفناء والدمار وخاب منهم الامل وايقنوا بحلول

الاجل ووقعت اسنة الرماح في الارواح والمقل وجرى الدم على تلك البطاح وهطل وضرب في ذلك اليوم المثـل وبان الخطا والزلل وغليت الحرب كغليان المرجل وكان حطبها عوامل الرماح الذبل وخاضت بنو هلال الغبار والقسطل وابروا الرقاب وطعنوا الصدور بالاسل وقاتلوا قتال الجبابرة الاول فلله در ابو زيد وما فعـل ودياب قد استقل وسطا زيدان سطوة البطل ولم يزل الامير حسن في حملته بين تلك الامم حتى التقى في الوزير مرقص اخو جرليس فرآه ينخي من حوله الفرسان فاقبل عليه وطعنه في صدره خرج الرمح يلمع من ظهره فلما نظرت قوم حنـا الى مرقص وهو قتيل تصايحوا على حسن وطلبوه من كل مكان فعند ذلك حملت القومين فرد كره واسعروا من الحرب جمره وسالت منهم الدما وعاد وجود القوم عدما وزادت نار الحرب تضرما وصارت النعم نقما وملأت الارض جماجما وخلت السـروج من ركابها بعد ما كانت لها حما وكحلت الاجفان بمراود العما وثبتت عساكر الملك حنا واجتهدت وطلبت صد اعداها فما قدرت بل اهالها ما رأت وانحلت عزائمها وتفرقت ولم يزل السيف يعمل والدم يجري الى ان امسى المساء فعند ذلك دقت طبول الافتراق وكفوا عن الحرب وكل فريق ذهب الى مكانه اما عساكر الملك حنا فصاروا يتآمرون ويقولوا ما هم الا ابوزيد ودياب اللذين شاع ذكرهم في كل الارض وبقوا يتذاكرون في المحاضر اعمالهم واخبارهم وان كان الامر على هذا الشان فهذه مصيبة لا ترتد الا بكثرة الفرسان ومعاونة

الاخوان هذا ما كان من هولاء واما ما كان من بني هلال فانهم هنوا بعضهم بعضاً بهذا النصر وباتوا تلك الليلة مسرورين ولما اصبح الصباح نهضوا للحرب والكفاح واصطفوا ميمنة وجناح واذا بالوزير جريس برز الى الميدان وطلب مبارزة الفرسان فنزل اليــــه الامير دياب فالتقاه جريس بقلب لا يهـــاب وقال له ماذا بلغك من ذلنا حتى دخلت الى ارضنا فدع عنك اللجاجة وما لك فيها حاجة ولو مـــا كنت جاهل لما دخلت هذه الاوطان وطلبت ان تلاقينا في شرزمة من الفرسان فاستدرك امرك قبل الفوات وادخل على مقدمنا حتى يعطيك الزمام وما اتم كلامه حتى اشهر دياب سيفه وضربه على هامه حط راسه قدامه فلما نظر الملك حنا الى وزيره قتيل غاب عن الصواب وصاح في قومه اتوني بهذه العصابة القليلة حتى اشفي منهم غليلي فحملوا عليهم من كل جانب فالتقتهم بنو هلال كالاسود الكواسر وانطبقوا على بعضهم البعض حتى غطت الدماء وجه الارض وابوزيد في قلب العسكر ينثر الجماجم والقمم ويبلي الفرسان بعد وجودها بالعدم فكانت ساعة مكدرة وقد طلعت على الطائفتين الغبرة حتى وقع في عسكر الملك حنا التقصير ولما نظر الى عساكره قد انكسرت وعصابة بني هلال قد انتصرت خاف على نفسه وبلاده ونادى في العساكر وشجعهم على الثبات فانطبقوا على بني هلال انطباق الليالي على الايام وحمل حنا في اوائلهم ونشرت الاعلام فوق راسه واخذ ينخي الفرسان وبينما هو على ذلك واذ التقى به ابو زيد فحمل عليه وضربه بالحسام

بين العينين خرج يلمع من بين الفخذين وقطع الجواد ايضاً قطعتين
واما دياب وبقية الفرسان فانهم فرقوا الكتائب واظهروا العجائب ولما
رأت عساكر الاعداء ما حل بملكها من الدمار ولت الادبار واركنت
الى الفرار والتجأت الى القلعة فتبعهم ابوزيد والفرسان فعندها طلبوا
الامان فاعطوهم الامان ورتبوا عليهم الجزية في كل عام ورجعوا الى
مضاربهم كسبانين غنمانين وفرق الامير حسن ما غنموه على الجميع
واقاموا علَى شرب قهوة واكل طعام مدة ثلاثة ايام . وبعــد ذلك
صمموا على الارتحال من تلك الاطلال فهدمت الخيام وانتشرت
الرايات والاعلام وركبت الفرسان ظهور الخيول واعتقلوا بالرماح
والنصول وركبت النساء والبنات في الهوادج والعماريات وجدوا في
قطع البراري والاكام حتى وصلوا الى حمص فاقاموا فيها خمسة ايام
وكانت تأتيهم الهدايا من جميع الولاة والحكام ثم ارتحلوا الى بعلبك
ومنها الى زحلة وقد طابت ايامهم في هذه الرحلة لانهم كانوا يصرفون
الاوقات في السرور والطرب وقد زال عنهم العنا والكرب وبعد
ذلك ساروا قاصدين مدينة الشام فوصلوا اليها عند الظلام ونصبوا
بقربها المضارب والخيام

﴿ انتهى الكتاب التاسع من تغريبة بني هلال ويليه العاشر ﴾

﴿ وهو يحتوي على قصة شبيب التبعي ﴾

ويباع مع جميع القصص باسعار متهاودة في مكتبة الترقي لصاحبها
شكري الخوري وشركاه . في بيروت

الكتاب العاشر

من تغريبة بني هلال
وهو ديوان
﴿ شبيب التبعي ﴾

وما جرى له مع بني هلال من الحروب والاهوال
بالتمام والكمال والحمد لله على كل حال

تباع مع جميع القصص والكتب باسعار متهاودة جداً
في مكتبة الترقي
لصاحبها
﴿ شكري الحوري وشركاه ﴾
شرقي ساحة البرج اول طريق النهر (بيروت)

كتب بقلم عبد القادر محفوظ

برخصة مجلس معارف ولاية بيروت الجليلة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الراوي تقدم لنا في الجزء التاسع ان بني هلال بعد ان قتلوا ابو بشاره العطار حاكم بلاد صهيون جدوا في قطع الفلوات حتى اقبلوا على مدينة الشام والان نقول ان الحاكم الذي كان في تلك الايام على دمشق الشام كان ملكاً صاحب جاه ومقام وكان من اشد فرسان المعارك واسمه شبيب التبعي ابن مالك ومن الامور الغريبة والحوادث العجيبة هو انه كان في تلك الايام قد راى حلماً في المنام فقام خائفاً وهو فزعان فجمع اكابر الديوان والوزراء والاعيان وقال لهم قد رايت رؤيا الان وهي من غرئب الزمان قالوا ما هي ياملك العصر والاوان قال رايت في منامي ولذيذ احلامي هو انه قد اتى الى هذه البلاد سباع واساد شبه الجراد وكان كل سبع ياتي الى شجرة من الاشجار يقلعها بانيابه ولا يبالي بالاخطار

قال الراوي وكان لهذا الملك وزير عاقل خبير افضاله شهيرة واسمه الوزير عميره فلما سمع من الملك هذا الكلام نهض واقفاً على الاقدام واشار يفسر المنام بهذا الشعر والنظام

يقول عميره والفواد محسر — من اهل عامر ياشبيب تحذر
بني هلال بجمعهم قد اقبلوا — مثل الجراد ياشبيب واكثر
من نجد قد رحلوا بجمع وافر — وفرسانهم من كل ليث قسور
قتلوا الدبيسي بعد حرب هائل — واتوا الى الكوفة بهذا العسكر
لاقاهم الخرمند سلطان العجم — قتله ابو مرعي بحد الابتر
اما الفتى القمقام فارس قومه — قتله الفتى الزغبي دياب الاشقر
قتلوا الخزاعي ابن حامد في حلب — ثم غربوا الى حماة وسنجر
ولقد رايت النار في نومك تضي — وسباع بر كالجراد واكثر
اما السباع بني هلال وحربهم — اما الشجر ابطالنا تتنتر
فالقرم منهم ما يسلم روحه — الا بضرب السيف حتى يكسر
هذا الذي قد بان عندي يا ملك — هذا منامك ياشبيب تفسر
الراي عندي ان تدق طبولك — واجمع عليهم ياملك العسكر
هذا كلام الصدق قول عميره — شجاع يوم الحرب يشبه عنتر

قال الراوي فلما فرغ الوزير من شعره ونظامه وفهم الملك تفسير حلمه ومنامه استعظم هذه الامور والاحكام وكان قد بلغه قدوم بني هلال الى قرب الشام فزاد ذلك الامر اهتماماً على اهتمام لان ابوزيد كان عند رجوعه من تونس ومروره الى الشام كما سبق الكلام قد استخلص من داره سرية عربية واسمها قنوع العامرية وسار بها نحو بني هلال فتأثر شبيب من هذه الافعال وكانت هذه القصة عليه اعظم بلية لا تبرح من باله بالكلية فاستدعى بنجاب وكان من الانجاب

وامره ان يسير في الحال ويكشف له اخبار بني هلال فقال السمع والطاعة وسار فى تلك الساعة الى ان وصل الى بني هلال ودار بهم من اليمين والشمال حتي وقف على حقيقة الاحوال ثم دخل على الامير حسن وهو في الصيوان وحوله الامراء والاعيان فحيا وسلم وبافصح لسان تكلم فالتقوه بالترحيب والاكرام واجلسوه في اعز مقام وبقي عندهم ثلاثة أيام ثم ودعهم وسار وجد في قطع القفار حتى وصل الى شبيب التبعي عند المغيب فدخل عليه وهو جالس في الديوان ومن حوله الوزراء والفوارس وارباب الديوان والمجالس فاشار يشرح ويقول

يقول الفتى مسرور عما جرى له ونيران قلبي زايدات شرار
على ماجرى فينا وماقد اصابنا وصرنا بحيرة والامور عسار
ذهبت اكشف في هلال ونزلهم فسرت وفي قلبي لهيب النار
وما زلت سائر في البراري وسهلها حتى وصلت لنزلهم والدار
ولما وصلت ياشبيب لارضهم نظرت خلائق مثل موج بحار
مسافة خمسة ايام يا امير نزلهم ويوم وليلة عرض يا مغوار
دخلت صيوان الامير ابو علي مليك عظيم عالي المقدار
وقال لي اهلا والفين مرحبا لك الخير مني انت ضيف الدار
وامر لي حسن بخلمة سنية بعشر تفافيح وخمس زرار
وجدت قنوع العامرية جالسة ومن حولها الشبان والامار
وباتت قنوع ترفع الصوت بالغنا بصوت يحاكي العود والمزمار
قد مدحت بالسكر حتى تمايلت وقد طار عنها برقع وخمار

تميل على غصن الرياح وتنثني الى ان عرفتني بغير انكار
فقالت لي اوصي شبيب وقل له يلاقي هلال في صفا ووقار
اذا جاء ابو زيد يبغي حربكم يكون شبيب في لقاه حذار
ترى عدد قوم هلال وعامر اربع تسعينات الوف جهار
ابوزيد من زحلان قومه عدادهم تسعين الفاً كلهم امار
ودياب في تسعين الف محارب من آل زغبي من فروع كبار
وتسعين للقاضي بدير الفايد قاضي هلال فارس الجبار
وتسعين الى حسن الهلالي ابو علي امير حوى جاهاً وكل وقار
وهذا الذي ابصرت يافخر الملا وقولي صحيح ما به انكار

قال الراوي فلما سمع شبيب هذا الشعر والنظام وفهم فحوى الحديث والكلام صار الضيا في عينيه كالظلام وقد خاف من عواقب الامور واثارة الفتن والشرور فقال لاكابر الاعيان ومن حضر في الديوان ما هو رايكم في هذا الشان لان بني هلال قد مهدوا الملوك والابطال وحضروا الآن الى هذه الاطلال بعساكر كعدد الرمال فقالوا ان الراي هو ان نبادر بالقتال ولكن في اول الحال ارسل واطلب منهم عشر المال فان اجابوك الى هذا الطلب بلغت القصد والارب والا تحاربهم في العسكر وتشتتهم في البر الاقفر فاستصوب شبيب راي القوم وارسل يطلب منهم عشر المال من ذلك اليوم وكتب اليهم يقول

يقول الفتى المدعو شبيب ابن مالك ولي قلب اقوى من صفا الجلمود
انا صاحب العز والمجد والملا انا صاحب الصيوان والماموود

انا صاحب الدرع الذي قدورثته   من عن جدودي من عمل داود
انا صاحب السيف الثقيل قرابه   بياضه شبه المشعل المرقود
ولي خوذة من عهد جدي ورثتها   لها عشر تفاحات وخمس بنود
ويا حسن قدم لنا المال عشره   وقدم لنا من احسن الموجود
وقدم لنا عشر الخيول جميعها   وعشر الحرير بيضها والسود
وقدم الفين عود من القنا   وقدم لنا الفين سيف هنود
وقدم لنا الفين عقد جواهر   عقود ثمينة قليلة الوجود
وقدم لنا الفين طير جوارح   ومعها ضواري كاسرات اسود
وقدم قنوع العامرية بخدرها   وهاتوا عطور الورد ام الجود
وهاتوا فتاة الحي ام محمد   صبحة الوجه ام العيون السود
وقدم جمال الظعن بنت سلامه   ووطفا وريا غاية المقصود
ومن بعد هذا امكثوا في بلادنا   وتكنفوا من شرنا ونكود
مقال شبيب التبعي ابن مالك   ومن كان عارف يفهم المقصود
واياك تمهل كل شيء ذكرته   والا تروحوا للجبال شرود

قال الراوي فلما فرغ شبيب من شعره ونظامه طوى الكتاب وختمه بختمه وارسله مع نجاب في الحال الى الامير حسن سيد بني هلال فاخذ الكتاب وسار وجد في قطع القفار الى ان وصل الى الديار فدخل على الامير حسن واعطاه الكتاب وطلب منه الجواب فلما فتحه وقراه فهم معناه قال لاحول ولا قوة الا بالله فكلما وصلنا الى مدينة او بلد يلاقينا ملكها بالشر والنكد ويطلب منا عشر المال

فالى متى هذا الحال فقد ضجرنا من الحرب والقتال والقيل والقال
ثم جمع امراء بني هلال ومن يعتمد عليهم من الرجال واخبرهم بالكيفية
وقال ما هو رايكم في هذه القضية فقال الامير ابوزيد والامير
دياب ليس له عندنا جواب الا الرمح المكعب والسيف القرضاب
فحينئذ قال الامير حسن الرسول اذهب الى مولاك شبيب وقل له
اني سارسل له الجواب في وقت قريب وبعد ذهاب النجاب نهض
ابو زيد كليث الغاب والقى امام الامير حسن هذا الخطاب اعلم ايها
الملك الهمام ان الامير شبيب ملك دمشق الشام قد استعد لمحاربتنا
وجمع الرجال لمصادمتنا ومن الراي الصائب ان اسير مع بعض
الفرسان الاخيار الى تلك الديار لاجل كشف الاخبار والوقوف على
عدد العساكر والابطال التي تجهزت للحرب والقتال وذلك في
شعراء حتى لا يعلم بنا احداً ولا يدري وبهذه الوسيلة نبلغ المقصود
ثم نرجع ونعود فاستصوب الامير حسن هذا الكلام وقال لقد اصبت
يافارس الصدام في مسيرك الى تلك البلاد واكتشافك اخبار
الاعادي والاجناد ثم استقر الراي على مسير ابو زيد والامير دياب
مع الامير عرندس والرياشي مفرج وابو الليث الكندي العارف بعلم
الرمل والحساب الى تلك الديار ليجسوا الاخبار وهكذا انفض الديوان
وتفرقت السادات والفرسان وفي ثاني الايام استعد ابو زيد الى المسير
الى الشام مع الفرسان الذين سبق عنهم الكلام فغيروا ما عليهم من
الثياب وتزيوا بزي فرسان الرباب ودخلو على الامير حسن فودعوه

ثم تركوا الحي وفارقوه وجدوا في قطع البراري والاكام حتى وصلو الى دمشق الشام فدخلوا بسلام وقصدوا الامير شبيب في سرايته حتى دخلوا على حضرته فسلموا عليه وتمثلوا بين يديه وكان جالساً على كرسي مرصع بالجوهر يدهش العقل ويذهل البصر وحوله الاتباع والخدم فرد عليهم السلام وقال لهم من تكونون من العرب الاجواد وما هو سبب قدومكم الى هذه البلاد قالوا نحن شعراء نقصد الملوك والامراء فنمدحهم بالقصائد الحسان ونرجع بالخلع والاحسان وقد سمعنا بجودك ونداك ومكارم اخلاقك وحسن مزاياك فاتينا اليك وقصدنا لنمدحك وننقل ثناك ونرجع مجبورين الخاطر الى الديار وندعو لك بطول العمر على مدى الدهور والاعصار ثم ان ابو زيد بعد هذا الخطاب عدل الرباب واشار يمدح الامير شبيب بهذه الابيات ويقول

يقول الفتى المدعوا الامير سلامه	بدمع جرى فوق الخدود سكيب
ركبنا وجئنا يا امير على نقا	من فوق نوق شبه ريح هبيب
فقلنا لهم يا نوق اين مسيركم	فقلنا الى نحو الامير شبيب
شبيب ابن شيبان ابن مالك	امير البوادي والبلاد شبيب
شبيب الذي كل البلاد عياله	ونحن نتينا من عيال شبيب
شبيب الذي ان قل ماله يوماً	فيغزي الى مال العدى ويجيب
شبيب الذي لا يوجد في الترك مثله	ولا ربت العربان مثل شبيب
اتينا الى ملك العراق بدربنا	فالح وصالح والامير نجيب

نجاد علينا بالمكارم والعطا وبالجود اقضاً ثم مسك وطيب
يا امير اعطينا ولك منا الثنا فنشكرك عند الضحى ومغيب

فلما فرغ ابو زيد من كلامه شكره شبيب على حسن نظامه ثم انه صرف معهم هذا النهار في الحديث والاخبار ولما اصبح الصباح واضا نوره ولاح ركب شبيب الى الصيد وركبت معه الفرسان وابنه صقر ما عدا الشعراء وابو زيد فالتفت شبيب الى الشعراء وقال لهم لماذا لا تركبون معنا في هذا النهار فقالوا له اعلم يا بدر الممالك ان الذي يمنعنا عن ذلك هو عدم وجود الخيل لان مطايانا لا تصلح للركوب في الوعور والسهول فامر لهم شبيب بخمسة افراس من الخيل الجياد فركبوا عليها من عدا ابو زيد فارس الطراد فقال له شبيب علامك لا تركب وما هو السبب فقال ان هذا الجواد لا يحملني وهذا هو السبب الذي يمنعني فامر السايس ان ياخذه الى الاسطبل ويختار له جواد من اطايب الافراس فذهب معه الى الاسطبل وجعل ابو زيد ينظر في الخيول فلم يعجبه سوى جواد شبيب وهو الغطاس وكان قصد ابو زيد بهذا العمل الغريب هو الاكتشاف على خيول شبيب وكان السايس قد رجع على الاثر واعلم شبيب بذلك الخبر فقال له وقد زاد تعجبه اعطيه اياه ان كان يقدر يركبه فعاد السايس الى الاسطبل من قريب واعلم ابو زيد بما سمعه من الامير شبيب وقال اعلم يا شاعر العرب ونخبة الادب ان هذا الحصان هو جواد الامير شبيب الغطاس الذي تضرب به الامثال بين الناس فلا يقدر احد منا ان يقربه او يدانيه واذا اردنا

ان نطعمه ندلي له الشعير من سقف البيت الذي هو فيه فخذه ان كنت تقدر عليه فتقدم ابو زيد اليه فصهل الحصان حتى زعزع المكان لانه كان بطران فلطمه ابو زيد بالكف بين عينيه ثم سرجه وركب عليه وسار الى عند شبيب فتعجب منه كل العجب وقال في نفسه وحق ذمة العرب ان هذا الامر مستغرب وهذه الافعال والاعمال لاتقدر عليها الشعراء بل صناديد الابطال وقد تاثر من ذلك الامر ثم انهم ساروا في جوانب البر وجعلوا يصطادون حتى صار وقت العصر ثم ارتدوا راجعين قبل دخول الليل وفي اثناء طريقهم امر شبيب ان يعقدوا ميداناً لسباق الخيل فامتثلت امره الفرسان وجعلوا يتسابقون في الميدان فعلم ابو زيد على جمع الشجعان بالسيف والسنان حتى حير العقول واذهل الابصار وكثرت فيه الظنون والافكار فرجعوا الى البلد ونزل ابو زيد في دار الضيافة مع جماعته وكان للتبعي رمال اسمه عكرمه كان قد خرج معه للصيد فاجتمع به في قاعته وقال له على انفراد اعلم ايها الرمال انني في حيرة من جهة اولئك الرجال الذين حضروا نهار امس عند غروب الشمس وادعوا انهم من الشعراء وما اقول الا انهم جواسيس نظرا لما رايت من افعال احدهم في هذا النهار الذي لايقدر على فعلها ابليس لانه علم على جميع الناس وهو راكب كالاسد على ظهر الغطاس فاريد منك الان ان تضرب الرمل وتعلمني بواقعة الحال لانني قد صرت مشغول البال فقال السمع والطاعه وانا اظهر لك صحة الامر في هذه الساعة ثم انه احضر الرمل وولد البنات من الامهات وجعل يعلمه بهذه الابيات

يقول ابو عكرمه الرمال صادق خرجنا يا شبيب الى البراري
وجدنا صيدة يا نعم صيد اكابر قيس من فوق المهاري
فهم خمسة كانهم اسود ومنظرهم عفائف كالحراري
وفيهم سيدٌ شهم اديب بكل حوادث الايام داري
وفي جسمه رسوم كثيرة تدل على معاني كالدراري
عريض الصدر مدموج السواعد وسيع الوجه مثل السبع ضاري
عساه يكون ابو زيد الهلالي وترميه المنية في الديار
تذكر فعله بنهار امس بوادي السطر عند الاعتكار
وهو يحشر جواده بين طيٍ كحملات المراهف والقطار
ورفاقته فهم امراء هلال محاسن وجههم مثل الدراري
فاقطع يد ابو زيد الهلالي واقطع انفه هذا النهار
فهذا يا امير قد بان عندي وقولي حق ليس به فشاري

قال الراوي فلما فرغ الرمال من هذا الشعر والنظام وعرف شبيب فحوى الحديث والكلام غضب شديد ما عليه من مزيد وفي عاجل الحال احضر ابو زيد ومن معه من الرجال وصاح فيهم وقال اتيتم ايها الاشرار الى هذه الديار لتجسوا الاخبار ونسبتم انفسكم بانكم شعراء تمدحون الملوك والامراء فلا بد من قتلكم في هذا النهار بحد الحسام البتار ثم انه بعد هذا الكلام اشار يتهددهم بهذا الشعر والنظام

يقول شبيب التبعي ابن مالك ونيران قلبي زيدات لفاح
فمن اي ارض اتيتوا بلادنا ونحن حمانا صعب ليس مباح

حمينا حمانا بالصوافن والقنا ونحميه بالسيوف ثم بالرماح
اماانت ابوزيد الذي جئت ارضنا ومعك شباب ظراف ثم ملاح
رحت وذكرك في البراري مشتهر تغني له الشعار والمداح
قاصد بلاد الغرب تبغي اكتشافها ايا فارس الفرسان ياجحجاح
فلما وصلتم للمغارب وارضها اسركم ابو سعدا بدون مزاح
ونادي عليكم في شوارع تونس فشفعت بكم سعدا وعقلك راح
رجعت تجيب المال حتى تفكهم اتيت الى ارض لنا وبطاح
اخذت قنوع العامرية بلا خفا لها وجنتين تشابه التفاح
ولما رحلتم من حما نجد وارضها وجئتم لارض الشام ياسواح
والان اتيتم خمسة لبلادنا اتيتم كما الشعار والمداح
فان طعتموني ارجعوا لبلادكم وخذوا مواشيكم وكل ملاح
والا سنلقاكم بكل جيوشنا وندعي دماكم في الفلا سواح
ابو زيد تحسب ذاتك فارس فما انت تلقاني بسوق نطاح
فعندنا ميتين الف ومثلها وميتين الف من خدم ورباح
انا فارس الميدان اذ قام سوقه اشتت فوارسكم بطعن رماح
واخذ حلائلكم وكل موالكم واخذ منكم خيلكم وسلاح
مقال الفتى شبيب ابن مالك الايام اكثرها بكاء ونواح

قال الراوي فلما فرغ الامير شبيب من هذا الشعر والنظام امر العبيد والخدام ان يأخذوهم الى المشنقة فامتثلو امره بالسمع والطاعة واخذوهم في تلك الساعة ووضعوا المرس في ارقابهم ودوروهم في

منازلهم واطلالهم وبعد ذلك رجعوا الى المشنقة وارادوا يفعلوا فيهم الشناعة واذا بصقر ابن الامير شبيب لافي من الصيد والقنص فلما نظر ذلك سال عن الخبر فاخبروه بذلك الامر المنكر فعند ذلك نزل عن ظهر الجواد الي الارض والمهاد وخلصهم من ذلك الشان وقطع المرس من ارقابهم والاذان فوصل الخبر الى شبيب فاحضرهم الى عنده للديوان ووبخ ولده على هذا الشان وقال له هؤلاء اعدانا بني هلال واتوا الى منازلنا والاطلال لاجل ان يقتلوا الرجال ويدعونا باوشم الاحوال قال له صقر يا ابي ما عندي خبر من ذلك الاخبار وهذا الامر قدجرى وصار وشفعني في هؤلاء الشعار ولاتبطل كلامي وتنقض بين الشباب مقامي فالاوفق ان تبصر لهم اهانة وتقتلهم وتدعي من الدنيا مرتحلهم والا اذا قتلتهم من دون سبب فتبقى معيرة بين العرب واذا سمعت كلامي احضر الشعرا ان يرموا عليهم رموزواسامي واذا ما عرفوهم فحينئذ اقتلوهم قال شبيب هذا هو الصواب والامر الذي لايعاب ثم انه التفت الى ابو زيد وقال له يا صنديد ما كارك اليوم يا اديب قال له شاعر لبيب قال له مرادي ادعي شعرائنا واحضرهم الى ديارنا وادعيهم ان يرموا عليك رموز واذا ما عرفتهم فاني اقتلك وادعي من الدنيا مرتحلك قال له ابو زيد افعل ما تريد يا ابن الاماجيد فعند ذلك ادعى الامير شبيب الى شعراء بلاده وكانو اربعة وعشرون شاعراً وكبيرهم يدعى صولجان ابن ماهر فلما حضروا امرهم ان يرموا رموز على ابو زيد ورفقاه فاجابوه بالسمع والطاعة فاحتبك الديوان

في تلك الساعة فالتفت ابو زيد الى الشاعر صوجان وقال له يا سيد الفرسا مرادي قبل ان نبدي شعر وقصدان ان تسير الى موضعك يا همام وتاتي لنا بطعام حتى يصير بيننا وبينك خبز وملح كي لا تبوق في حقي فاجابه بما قال وسار الى بيته في ساعة من الزمان وحضر الى الديوان وقدم الى ابو زيد قطعة ملآنة عصيدة وفيها ملعقة وقال له كل يا ابن الكرام من هذا الطعام وادعى لنا بدوام العز والاكرام فاخذ ابو زيد شقفة براس الملعقة وذاق شيء قليل وجدها مرة مثل الحنظل قال له هذا زادك لا رحم الله ابو شبابك قوم يا ذليل يا مهان وهات ما عندك من الاوزان فعند ذلك تقدم الصوجان واخذ الرباب وبدا يلعب حتى اطرب ذوي العقول والالباب واما ابو زيد بدا يراقب الكواكب فنظر نجمه حاجب وهو سعيد ففرح بذلك فرحاً شديد ما عليه من مزيد فلما راى الصوجان ينظر في الكواكب ظن انه ينظر الى بنات نعش عندها اشار يقول

رايتك ناظر الى بنات نعشي   عن قبل المشى لحين تعشي
فهل عاديت نجم في سماها   فهل تعرف من النعشات نعشي
فنحن في حمانا كل مسا   نقري ضيفنا لحم ومحشي
فمالي ابصرك تقطع وتبلع   وكثر الزاد في الماكول يفشي
كانك ضفضعة في قاع جب   يجيها الماء رشاً بعد رشي
فاذا اتاها الماء يوماً تسبح   وتسمن باكل الوحل وتبشي
فقل لي كم بين السحاب باعاً   وبين الارض من شبر وكشي

وعن عنزة تغني جنح ليلاً   فهل جاهدت او تعلم بدي شي
وعيناها طوال وهي عميه   وادنا عراض والسمع طرشي
فلا فرخ ولا بيض لولدها   ولا حبل ولا تسقم بشي
فقل لي لاتكن جاهلا غشيما   وكام من مدعي ما يعرفشي

فلما فرغ الصولجان من كلامه وابو زيد يسمع نظامه فاشار يجاوبه على شعر ويقول

اراك تدافش الاشمار دفشي   وما عندك من العقل ولا شي
قولك عن ابو زيد الهلالي   غشيماً مايعرف الشعر الادبشي
فانتم تعرفون فلا تراغوا   فقول الصدق مابه من غبشي
فكم من يوم قيس اجرعوكم   سم الافاعي من سمن ودقشي
فسوف ان هذا الحديث يجري   ويمفش في صدور الخيل عفشي
وتشبع ضعنكم حرباً وطعناً   وتبقى الروس مكدوشات كدشي
وتنظروني على احمر طحومه   ارش الدم على الارض رشي
ونجزي المعتدين بالشر معنا   وننقش ديارکم بالسيف نقشي
وعيب عليكم اذا لم تعرفوني   ازيح الخيل بالارماح مغشي
الله يطعمك طعنة غموسي   من يد فارس قط ما يرحمشي
تكون من يد ابو وطفا دياب   يروح الرمح في كرشك ويمشي
لانك لا تصد ولا ترد   ولا تلقى الضيوف ولاتعشي
انا ياطول ما اقريت ضيفي   لخطار المساهدي مفلفل ومحشي
انا ابو زيد انا صور الصبايا   ولست بفارغاً منكم بلبشي

انا حذرتكم لا تجهلوني ... بتنهشكم سباع البر نهشه
ايا صولجان اعلم باني ... عرفت مسائلك صنعاً ونقشه
تسايلني عن عرش عظيم ... فكم بينه وبين الارض كمشي
وعنزة تغني بجنح ليل ... رواما بالارض عطشاً ثم عطشه
تقدم اخبرني عن عشرة عشرة ... عددهم خمسة تربح وترشي
وهم من حين خلق ابوك آدم ... الى يوم الحساب ولم يموشي
يموتوا ثم يحيوا بعد موتا ... ومنهم شي لم يتبعشي
ومنهم طائفة تاكل وتشرب ... ومنهم منذ عمره ما اكل وماشي
وعن حوت وفرق الحوت جوت ... وتحت الكل بحر الماء يمشي
ودولاب يدور الشغل منه ... مجوهر فيه من صنف البلخشي
اذا لم تخبروني عن ما اقالك ... والا انت عندي مثل جحشي
فنحن نشبع الحطار لحماً ... ونخمش منهم بالزاد خمشي
وحيا الله اجاويد الرجال ... ومن هو لكلامي يستمع شي

فلما فرغ ابو زيد من كلامه وشاعر طي يسمع نظامه تعجبوا الامارة من ذكاوة ابو زيد وما عاد الشاعر يعرف يجاوبه فاغتاظ شبيب غيظاً شديد ما عليه من مزيد وحلق دقن الشاعر وطرده من عنده والتفت الى ابو زيد وقال له بقي لي عليك ست اشياء ان عرفتهم خلصت من دهاهم واذا ما عرفتهم قتلتك انت ورفقتك فاجابه ما هم اخبرني عنهم فقال له المصارعين والمشابكين والمدافقين ورمايين النشاب وسايلين العلم وطباخين الكيما فقال اذا ما اجبتك عن

ذلك فاني لاشك هالك ولكن لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
ثم انهم باتوا تلك الليلة الى الصباح فقام شبيب واحضر كبير المصارعين
وكان بطل رزين ما له من قرين فلما رآه ابو زيد قال له يا اخا
العرب دونك والطرب لابد ان اجعلك في الترب ولا تظن الصراع
اكلة حلو فقال له المصارع دع عنك من شقشقة اللسان ياذليل يامهان
واليوم يبان الشجاع من الجبان فقال له ابو زيد اليوم عندي عيد
بقتلك يامهان ثم نهض واثبت الاقدام واسرع اليه مثل الاسد
الدرغام والتقى البطلين كانهم جبلين وحان عليهم الحين وزعق
فوق راسهم غراب البين قال وكان المصارع دافن في ركن التبان
حربة مثل الثعبان وهي شغل بلاد الروم مذخرها لمثل هذا اليوم
ويريد بها هلاك ابو زيد في تلك البيد فرآها دياب وقال له بالك
يا امير من هذا الشيطان الرجيم وانظر هذه الحربة التي كانها نقمة
فقال انا رايتها قبلك يا امير دياب وهذا اليوم ادعيه ملقى على
التراب ثم اصطدما وافترقا واقتربا وابتعدا ومـا زالا على هذا الشان
مدة ساعة من الزمان فما وجد المصارع مع ابو زيد طالع فعند ذلك
هجم عليه وادخل دماغه بين رجليه واراد يقلبه ويقصف عمره فما
كان من ابو زيد الا انه طبق فيه من صوابين ركبته واتكا على رقبة
المصارع فلك جوزة رقبته وما زال كامشاً عليه حتى خرجت روحه
من بين جنبيه فقلبه على قفاه قدام شبيب وصاح غيره يا امير سلم
راسك بهذا النحرير ثم تقدم المدافق ودافق ابو زيد ساعة من

الزمان فالتقاه بهمة وشان وضربه بالعصا على دماغه فرطش بزر مخه
وقال غيره يا امير شبيب قدم فارس نجيب فتقدم المشابك وشابك
ابو زيد ففرك انامله ولقطه في يده ملخها من الباط فتقدم رامي النشاب
فذهب ابو زيد ووقف في تلك الهضاب واما ذلك الرجل فرشق
ابو زيد اربعين فاستعان عليه برب العالمين فما اصابه شي ثم ضربه ابو
زيد من قفاه وعلى الارض رماه فوقع قتيل وبدماه جديل فعند ذلك
تقدموا سائلين العلم فغلبهم وكذلك طباخين الكيما طلعت طبخته
احسن من طبختهم ثم انه التفت الى شبيب وقال له يا امير لك عندنا
شيء بعد من هذا التنكير فاتركنا نذهب الى اهلنا وعيالنا فعند ذلك
غضب غضباً شديد ما عليه من مزيد وقال له لاشك انك عفريت
من عفاريت سليمان وبعد ذلك امر الخدام ان ياخذوهم الى السجن
لاجل القصاص والانتقام فاخذوهم في الحال ووضعوا في ارجلهم القيود
والاغلال ووكلوا بهم جماعة من صناديد الرجال وكان الامير دياب
ومن معه من الاصحاب في خوف واحتساب خوفاً من القتل والعذاب
وكانوا في شدة واضامة وقد قطعوا الامل من السلامة فجعل ابو زيد
يشجعهم في المقال ويوعدهم في الخلاص من الاعتقال ويقول لهم ان الفرج
قريب بعون الله السميع المجيب وانا في هذه الليلة نذهب الى اهلنا
وننال المأمول ثم اشار يقول

لا تنظر الهم بل انظر الفرج ... ولا شدة ابتدت حتى لها فرج
فهذه الدنيا ما دامت الى احد ... وما الصبر الا بعده الفرج

تكر في نوح لما جاء الموج عليه ... سبعة بحور يبرمها بالحجج
بالصبر صير له الباري سفينته ... من التخوف اتاه العون والفرج
ثم ومن بعده يعقوب قد بكا ... حقاً على يوسف لكن نجاه ونجي
ثم موسى باذن الله خلصه ... من سيف فرعون باشيا تالم المهج
ونال داود بالصبر العظيم منال ... ايوب لما شكى من صبره لهج
عيسى فاحيا من الموت بكلمته ... قاموا وادوا له التسبيح بالدهج
باذن ربٍ عظيم قادر ملكٍ ... آياته تقطع الايات والبهج
صبراً جميلا لقد رحلوا وانتقلوا ... عن الدنية ونالوا غاية الفرج
ونحن نقدر في هذا الليل نتخلص ... باذن مولانا ذاك المنظر البهج

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من كلامه فهمت الامراء فحوى حديثه ونظامه طابت منهم الخواطر واملوا بالفرج من المخاطر وجعلوا يتحادثون بالكلام حتى اظلم الظلام ونامت الحراس وباقي الناس فعند ذلك اخرج الامير ابوزيد من الكيس حجر المغنطيس والقاه على القيود والاغلال فتساقطت في الحال ثم انه صاح على الامير دياب وباقي الفرسان الانجاب وقال لهم هلمّ بنا للذهاب فقد تخلصنا باذن رب الارباب فنهضوا في الحال وجدوا في قطع الروابي والتلال حتى وصلوا الى بني هلال وكان وصولهم عند الصباح فدخلوا على الامير حسن فالتقاهم بالسرور والافراح لان افكاره كانت مشغولة عليهم فقبلهم بين عينيهم وقال الحمد لله على سلامتكم لاني كنت مضطرب الافكار من جهة عاقتكم فاخبروني باحوالكم وقصتكم وما جرى لكم مع

شبيب في سفرتكم فاخبروه بحديثهم من الاول الى الاخر واطلعوه على الباطن والظاهر فشكر الله على خلاصهم من الاعتقال واثنا على ابي زيد نظراً لما ابداه من حسن الفعال وهم في هذا الحال والاوفد عليهم مرسال من عند الامير شبيب يطلب الجواب لان الامير شبيب تفقد المحابيس فلم يجدهم وهذا هو السبب الذي اوجبه الى ارسال ذلك النجاب ثم انه بعد ان عرف حقيقة الاحوال وفهم ما عند شبيب من الفرسان والابطال اشار يكتب له الجواب ويقول

يقول الفتى حسن الهلالي ابو علي   فلي حربة كالمشعل الموقود
ولي همة تعلو على كل ماجد   اخلي الاعادي على الجبال شرود
تهيا غداً ايا شبيب لحربنا   مع كل ابطالك وكل جنود
فكم حاكم مثلك ملكنا بلاده   من بعد حرب يشيب المولود
ونجد ملكناها بحد سيوفنا   وزلت لنا يوم القتال جنود
تريد منا اليوم عشر موالنا   فسوف ترى منا رجال اسود

فلما فرغ الامير حسن من هذا الخطاب طوى الكتاب وسلمه الى نجاب وامره ان يسير الى شبيب بالعجل فاجاب وامتثل ولما دخل على حضرته سلمه الكتاب ورجع من ساعته ولما قراه غاب عن الصواب وفي الحال امر بجمع العساكر والابطال والاستعداد الى الحرب والقتال فاجتمع عنده مائة الف مقاتل بين فارس وراجل وكلهم بالسيوف والرماح والات السلاح فلما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح دقت طبول الحرب واستعدت العساكر للطعن والضرب وركب شبيب في

ول الفرسان ومن حوله الوزراء والاعيان وسار بهذا الجيش الكثير والعدد الغفير الى قتال بني هلال وكانت بنو هلال قد استعدت في ذلك النهار واصطفت من اليمين والشمال ولما تقابل الجيشان برز شبيب الى ساحة الميدان ومقام الحرب والطعان وطلب براز الشجعان فما اتم كلامه حتى برز ابو زيد وصار امامه فلما راه شبيب حمل عليه وهو ينشد ويقول

يقول شبيب، التبعي ابن مالك صرفت كل الليل بالتفكير
ابو زيديا ابوزيد يا ولد الخنا فانت ردي الاصل ياطنجير
ذهبت لارض القيرواني وقابس ترود الارض مثل لص حقير
رجعت الى اهلك اتيت بجمعهم اخذت قنوع الظلام عكير
وبسوء فعلك قد حبست رفاقتك وخبثك بين الانام كثير
فوالله اني قاتلك بمهندي واجعل لدمك شبه نهر كبير
واقتل دياب الخيل ايضاً يافتى واجعل حسن من لمع سيفي يطير
مقال شبيب التبعي ابن مالك لاخير في رجل يعيش حقير

قال الراوي فلما فرغ شبيب من نظامه وفهم ابو زيد فحوى كلامه اجابه على شعره يقول وعمر السامعين يطول

يقول ابو زيد الهلالي سلامه ونيران قلبي زايدات سعير
انا ابو شيبان قهار العدا افك رموز العلم بالتفسير
فلا فخر للمرء الا فعاله وفرط السخا وكل فضل شهير
انا الرجل الذي يبرد حربته يوم الوغا في صدر كل امير

اليوم تنظر حربنا وقتالنا   وفعالنا حقاً بغير نكر
وتبقى على الارض ممدداً   وياكل جسمك كل طير يفر

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من هذا الشعر والنظام انطبق الفارسان على بعضهما مثل اسود الاجام واخذوا في الحرب والصدام وكان شبيب كما تقدم الكلام من جبابرة تلك الايام فقاتل قتال الاسود وفعل افعالاً تشيب الاطفال في المهود فثبت ابو زيد امامه كالجبل الراسخ والتقاه بقلب اقوى من الصوان القاسي فكانا تارةً يتقدمان وتارةً يتاخرن كانهما اسدان كاسران وقد تعجب من قتالهم جميع الفرسان وتعلمت منهما حقيقة الحرب والطعان وما زالا على تلك الحال وهما في اشد قتال الى قرب الزوال وكان ابو زيد قد انحل عزمه وقصر فرجع الى الوراء وتاخر فعند ذلك دقت طبول الانفصال فافترقت العساكر من ميدان القتال ورجع ابو زيد في اسوإ حال مما شاهد من الاهوال فساله الامير حسن عن خصمه فقال انه فارس شديد وبطل صنديد واني قد بارزت الابطال في معارك النزال فما وجدت افرس منه في القتال ولما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح ركبت الفرسان ظهور الخيول واعتقلت بالرماح والنصول واصطفت الصفوف وترتبت المئات والالوف فكان اول من برز الى ساحة الميدان وطلب براز الفرسان الامير شبيب الفارس النجيب فبرز اليه الامير دياب وهجم عليه كليث الغاب فالتقاه شبيب في الحال والتحم بين الفارسين القتال وجرى بينهم عجائب واهوال تشيب روس الاطفال وما زالا في قتال وصدام الى ان اقبل الظلام وكان الامير دياب

قد ابصر في ذلك النهار من قتال شبيب ما يذهل الابصار ويحير العقول والافكار فلم يقدر ان ينال منه المرام لا بضرب الرمح ولا بضرب الحسام فارتد راجعاً الى الوراء ثم نزل الى الميدان القاضي بدير ابن فايد وجعل يتصادم مع شبيب في ساحة الميدان نحو ثلاثة ساعات من الزمان وكان القاضي قد كل ومل وضعف عزمه وانحل فرجع وتاخر خوفاً من وقوع الخطر فبرز الامير زيدان يتقاتل معه في ساحة الميدان وبعد قتال شديد وحرب ما عليه من مزيد ولى الامير زيدان من امامه خوفاً من حربه وصدامه ثم تقدم غانم ابو دياب واقتتل معه القتال الشديد وثبت ثبات الجبابرة الصناديد الا انه لم يكن من رجاله ولا يعد من اقرانه فما لبث اكثر من ثلاث ساعات من النهار حتى طلب الهزيمة والفرار فبرز اليه الامير عرندس كانه المفترس فجال معه وصال وتقاتلا في ساحة المجال وما زالا على تلك الحال الى وقت الزوال وكان عرندس قد ضعف وتعتع فولى وارتجع وبعد ذلك دقت طبول الانفصال فرجعت عن بعضها الفرسان والابطال وكانت بنو هلال قد اعتراها الانذهال وخافت من عواقب الاحوال فلما رجعت الى الخيام جمع الامير حسن الامراء الكرام ومن يعتمد عليهم من فرسان الصدام واستشارهم في امر شبيب ملك الشام فقالوا له فارس جبار وبطل مغوار لا يصطلا بنار هجماته هجمات الاسود وقلبه اقوى من الجلمود ومن الصواب ان نحاربه غدا بالعسكر ونترك برازه الى يوم اخر لبينما يكون قد تعب من القتال فحينئذ تبرز اليه الابطال فاستصوب

الامير حسن هذا الخطاب ورآه عين الصواب وباتوا تلك الليلة على هذه النية وفي قلوبهم نار الحمية ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح استعدت بنو هلال للحرب والقتال فدقت الطبول وركبت الفرسان ظهور الخيول واعتقلت بالرماح والنصول وركب الامير حسن على ظهر حصانه وتبعه جميع ابطاله وفرسانه وكان شبيب الاخر قد التقاهم بالعسكر فعند ذلك حمل وصاح وحملت معه فرسان الكفاح وفي الحال التحم القتال والتقت الرجال بالرجال والابطال بالابطال وجرى الدم وسال وعظمت الاهوال وتزعزعت الروابي والتلال من صياح الفرسان وقعقعة السنان وكانت بينهم وقعة عظيمة وهممة جسيمة قتل فيها خلق كثير وعدد غفير فالله در ابو زيد والامير دياب فانهما هجما كاسود الغاب وحكما السيوف والحراب في الصدور والرقاب ونكسا البيارق بطعن اشد من نزول الصواعق وفعل شبيب ايضاً في ذلك النهار العجيب والقى نفسه على العطب وما داموا على تلك الحال الى وقت الزوال فعند ذلك دقت طبول الانفصال فرجعت الفرسان والابطال وفي اليوم الثاني اصطفت الصفوف وترتبت المئات والالوف والتقت الرجال بالرجال والابطال بالابطال وكان يوماً شديد الاهوال انتصرت فيه عساكر الشام وأسرت فيه عدت من البنات والنسوان وقتلت جملة من الفرسان ولما اقبل الظلام رجعوا وباتوا في الخيام وهم في قلق واهتمام

قال الراوي وفي اليوم الحادي والثلاثين برز الامير حسن مع

السادات والمقدمين وطلب براز شبيب وقلبه احر من نار اللهيب فما
اتم كلامه حتى صار شبيب امامه واشار اليه يقول

يقول شبيب من قلب قويا فنيران قلبي مصطليا
الا يا غادرين فسوف تلقوا قتالاً من عساكرنا قويا
فما تعطوا قنوع بغير ضرب بقد الهمام والدرع القويا
قنوع ياكرام فمن رآها لها جبهاً كما الشمس المضيا
فان لم تحضروا ما قد طلبته ساسقيكم كاسات المنيا

قال الراوي فلما فرغ شبيب من نظامه اغتاظ الامير حسن من
كلامه واجابه يقول وعمر السامعين يطول

قال الفتى حسن الهلالي ابو علي ها قد جهلت ياشبيب بحلك
ادعي الى الله واحفظ عهده واريح بالي يا شبيب وبالك
ان كان عندك الف الف مقاتل عندي لها الفين الف قبالك
تسعين الفاً آل قيس ومثلها تسعين الف مهيئة لقتالك
وثلاث تسعينات اخرى غيرها ناخذ مواشيكم وكل جمالك
نحن وانتم ملوك جميعنا فلا يغراك كثر جيش رجالك
فجيوشنا ورجالنا متحضرة هذا النهار لحربكم وقتالك

قال الراوي فلما فرغ الامير حسن من هذا النظام انطبق على
خصمه مثل ليث الاجام فالتقاه التبعي بالحسام وتجاول معه في معركة
الصدام حتى حجبهما الغبار عن العيون والابصار ومازال الاميرحسن
يحارب شبيب حتى قرب وقت المغيب وكان قد ابصر منه الاهوال

فالتفت اليه وقال قد ولى النهار وزال فدعنا الآن من القتال وفي الصباح نعود الى البراز والقتال فتبسم شبيب من هذا الكلام وقال ان شئت فانا امهلك ثلاثة ايام ثم رجع بمن معه من الجمع وفي اثناء الطريق نزع عنه الدرع وعند رجوع حسن قالت له الجازية ام محمد علامك رجعت بالعسكر والعدد والحرب لها رجعات في الوقائع والغارات فتحمس الامير حسن من هذا المقال ورجع الى خصمه وصاح فيه وطعنه طعنة قويه بهمة وحمية فاصابته في رقبته فانجرح ووقع عن ظهر الجواد وانطرح فادركوه قومه في الحال ونشلوه من ساحة المجال واخذه العسكر الى داره وهو في حالة النزاع يقاسي الالم والاوجاع هذا وقد ارتدت العساكر على بعضها البعض واقتتلوا قتالاً شديدا في تلك الارض حتى كان ذلك اليوم مثل يوم العرس كثرت فيه الاهوال وجرى الدم وسال وزاد الخوف وعظم البلا وتعددت القتلا على وجه الفلا واستمر القتال على هذا المنوال الى وقت الزوال وكانت بنو هلال قد خلصت اسراها من الاسر والاعتقال بضرب السيف وطعن النصال فعندها دقت طبول الانفصال فارتدت عن بعضها الفرسان ورجعت بنو هلال في فرح واستبشار على ذلك النجاح والانتصار واما الملك شبيب فانه كان كما تقدم قد اشرف من ذلك الرمح على العدم فلما راى حاله طريح الفراش زاد عليه الخوف والارتعاش وقد عظم عليه واسودت الدنيا في عينيه ولا سيما راى الاهل والاصحاب في عويل وانتحاب فتنهد من فواد متبول وانشد يقول

يقول شبيب التبعي ابن مالك قد زال عقلي ياناس وراح
اتتني جنوب تلطم على خدودها وهي في عويل وكثر نواح
فقلت لها تحملي همي واصبري ان طبت باكر عزك ماراح
انا ان سلمت ياجنوب الى غدا ترى الاعادي في بكا ونواح
ساقتل منهم كل قرم غشمشم في دز مزراقي وطعن رماح
وان مت امري لالهي وخالقي وارضى بحكم الواحد الفتاح

قال الراوي فلما فرغ شبيب من نظامه غاب عن الدنيا لكثرة الامه فوقع في قوده البكا والنحيب هذا ما كان من امر شبيب واما ما كان من بني هلال فان الامير حسن كان قد جمع سادات الرجال وقال لهم مرادي هذا الصباح ابادر الاعادي بالقتال والكفاح فقال له ابو زيد تمهل فسوف تبلغ القصد والامل وانا مرادي عند طلوع النهار ان ادخل المدينة واكشف لكم الخبر وانا بصفة طبيب فلعلني اجتمع بشبيب فيفرح قلبي ويطيب فقال حسن افعل ما تريد ايها الفارس الصنديد فعند ذلك سار ابو زيد الى مضربه وهو يومل ببلوغ اربه ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح نهض ابو زيد بالعجل ولبس افخر الحلل وتعمم بعمامة كبيرة ولبس جبة قصيرة وغسل وجهه ببعض العقاقير فصار ابيض مثل الثلج وانعم من الحرير حتى لم يعد يعرفه احد من الانام ثم ركب ظهر كديشة عرجاء ودخل مدينة الشام وهو في هذا الزي والهندام وجعل يجول في الاسواق وهو ينادي انا الطبيب انا الجراح فمن كان فيه علة ازلتها عنه باذن الاله الفتاح وما

زال يطوف ويجول وينادي ويقول انا الحكيم انا الطبيب حتى وصل الى قصر شبيب وكان لشبيب ولد مثل البدر يقال له الامير صقر فاتفق انه كان هناك وسمعه من الشباك فقال في نفسه ان هذا الطبيب رجل غريب ولو لم يكن من الشطار والحذاق ما كان يطوف في الاسواق فرادي ان اتعرف فيه واجعله يداوي ابي لعله يشفيه ثم طلبه فحضر وسلم فقال انت طبيب قال نعم قال اذا شفيت ابي من هذه العلة والمرض وازلت عنه المرض اغنيتك الى الابد وقدمتك على جميع اطباء البلد فقال اني سابذل الجهد واداويه ولا اخرج من هذا القصر حتى اشفيه ففرح كل من حضر هناك بهذا الخبر وزال عن قلوبهم الغم والكدر ولم يعلموا بان هذا الطبيب هو عدوهم الاكبر ثم تقدم ابو زيد الى شبيب في صفة حكيم وطبيب وهو يترقب الفرصة ليعدمه الحياة عن قريب وكان راسه معصوباً بمنديل وهو يتنهد من قلب عليل ففك العصبة ومسح الدم ووضع له المرهم وقال لقد زالت الاكدار باذن الواحد القهار فاتفق ان شبيب فتح عينيه فراى ابو زيد حواليه فخاف وانذر وايقن بالموت الاحمر فصاح من حلاوة الروح بصوت خفيف هذا ابو زيد صاحب المكر والكيد فقال الحاضرون ما هذا الذي يقول شبيب ايها الطبيب قال يريد ان تملوا السراج زيت وتخرجوا جميعكم من البيت حتى يستريح ويزول عنه الياس لان العليل تضيق اخلاقه بكثرة الناس ففرحوا الفرح الشديد الذي ما عليه من مزيد وخرجوا بالحال من القاعة ولما خلي المكان من الجماعة اخرج ابو زيد من جنبيه السكين وذبح شبيب من الوريد الى

ابو زيد وقد بلغ قصده ثم غطاه الى فوق راسه وخرج من عنده فسالته
عن حال شبيب الجماعة فقال انه بخير وعافية فلا تدخلوا عليه الا بعد ساعة
ريثما يكون قد صحي من النوم ولا بد ان يشفى من علته في هذا اليوم لاني
عالجته باحسن علاج فلا تكونوا في قلق وانزعاج فشكروه على ذلك
الاهتمام ووعده بالخلع والانعام وبلوغ القصد والمرام ثم ودعهم وسار
ولو له اجنحة لطار هذا ما كان من ابو زيد العيار وما فعله في ذلك
النهار واما زوجة شبيب وباقي الجماعة فانهم بعد ذهاب ابو زيد بساعة
دخلوا على شبيب في القاعة فوجدوه على تلك الحال فخرجوا عن دائرة
الاعتدال وعلموا ان ذلك الطبيب كان ابو زيد المحتال لانهم كانو
يسمعون عنه اشياء كثيرة فاستعظموا الامر واخذتهم الحيرة واقاموا العزا
والنحيب على فقد شبيب وهم يلعنون ذلك الطبيب وكان لشبيب اخا
اسمه الصحصاح وكان من ابطال الكفاح فاسودت الدنيا في عينيه وعظم
الامر عليه وقال لا بد لي ان اتبع هذا الغدار واسقيه كاس الدمار لانه
فجعني باخي الحبيب واضرم في قلبي نار اللهيب ثم ركب جواده وسار وراه
وهو يهدر كالاسد الى ان التقى به بقرب طاحون خارج البلد فلما نظره
ابو زيد وراه عرفه انه الصحصاح وانه يريد قتله وفناه فدخل على الطاحون
وغير لونه بالاعشاب ونزع عنه تلك الثياب ثم خرج ووقف على الباب
فلما وصل الصحصاح اليه اشتبه امره عليه فقال له من قلب محزون اعلمني
اين صاحب هذا الكديش فقال له في الطاحون فنزل عن ظهر الحصان
وسلمه مع الرمح الى ابو زيد فارس الميدان ثم سل سيفه ودخل الى الطاحون

وهو من شدة الغيظ مثل المجنون فلم يجد سوى الطحان هناك فضربه بالسيف اورثه الهلاك وخرج في الحال وهو يظن انه بلغ الامال وقتل ابوزيد المحتال فوجد ابوزيد على ظهر الحصان فتعجب من ذلك الشان وقال له من تكون يا فلان فما اتم كلامه حتى طعنه ابوزيد بالرمح في صدره خرج يلمع من ظهره فوقع على الارض قتيلا وفي دمه جديلا وسار ابوزيد بالعجل وهو مسرور على مافعل حتى دخل على الامير حسن في الصيوان وحوله الامراء والاعيان فاعلمه بما جرى وكان وكيف انه قتل شبيب والصحصاح ورجع بالفوز والنجاح فشكروه الجميع على ذلك الاهتمام وقالوا لاعدمناك يافارس الصدام فقد هان علينا الحال وبلغنا المرام وسوف نبادر الاعدا بالحرب والمهاجمة لانهم بعد شبيب لاتقوم لهم قايمة هذا ما كان من بني هلال واما ما كان من اهل شبيب فانهم لما علموا بقتل الصحصاح زاد عندهم النواح واحضروه لجانب اخيه واقاموا عليهما النحيب فتقدمت جنوب زوجة شبيب ترثيه بهذه الابيات وزادت عليها الحسرات

تقول جنوب الحميرية بما جرى ... بدمع جرى فوق الخدود سكيب
الايام والدنيا كفا الله شرها ... ومن عاش فيها ينظر التنكيب
فما اضحكت الا بكت بعد ضحكها ... فيا لها من حسرة بعد شبيب
الا يا نجوم الليل عالمينه ... لعل اوجاع الفواد تطيب
أيا قصب الزرقاء مالك نايم ... وما الك لا تبكي لفقد شبيب
شبيب الذي قرقع له الرعد بالسما ... وصاحت ديوك العرش مات شبيب
شبيب الذي مازبت الترك مثله ... وما ربت الدايات مثل شبيب

شبيب الذي يلقى الضيوف بفرحه ومسرة ولو كان الزمان جذيب
فياليت من كان السبب بفراقنا يقتل بحد الماضيات قريب
الا يا حمام النوح نوحوا واندبوا وابكوا على فقد الامير شبيب
فيا هل ترى الايام عادت تلمنا وتجمعنا به بوقت قريب
شبيب الذي بكته الناس كلها وصاحت ديوك العرش مات شبيب
تقول فتاة الحي على ما اصابها ولا عيش لي بعد الحبيب يطيب

فلما فرغت من هذه المرثية جعلت تبكي وتنوح من فواد مجروح وتلطم على خدودها من شدة الاسف وتقول والله لقد انهدم بعد شبيب العز والشرف فبكت الناس لبكاها وعزوها على ما دهاها ثم اجلسوا شبيب على كرسي من الذهب الاصفر مرصع بالدر والجوهر والبسوه عدة الحرب والطراد وتقدمت النساء والبنات والامراء والسادات وبكوا على ملكهم حتى كثر الصياح وارتفع البكاء والنواح وتكسرت السيوف والرماح ثم تقدمت جنوب وهي ترقص بالسيف وبعد ذلك تقدمت اليه وقبلته بين عينيه وقالت له باطل عنك يا ابا الخنساء مالك نائم يا مقري الضيوف قم وانظر هولاء الامراء الذين قد جاؤا لضيافتك فمالك الآن نايم لا تقوم بواجبهم وهي ترقص بالسيف وتقول اني من بعدك لا اريد الحياة ثم وضعت راس السيف في بطنها وقبضته في الارض واتكئت عليه فخرج يلمع من ظهرها فحينئذٍ ضج الجميع في العويل وكثر الولاويل ثم دفنوهما مع الصحصاح بكل احترام ومن بعد ما دفنوهم بالاحتفال والاكرام اقاموا مناحة طويلة واظهروا احزاناً جزيلة فماثلت بهم سائر الانام في

شدة الحزن والاغتمام هذا ما كان من هولاء واما ما كان من الامير حسن وبني هلال فانهم بعد هذا الحال استعدوا للحرب والقتال فاعتقلوا بالسيوف والنصال وهجموا على المدينة بقلوب كالجبال ومكنوا الضرب على الرجال من اليمين والشمال ونهبوا ما فيها من الامتعة والاموال فعند ذلك خرجت الامراء والاعيان وابنه في جماعة من النسوان وطلبوا من الامير حسن العفو والامان فاجابهم الى ذلك الشان وارسل منادياً ينادي في الاسواق بالامان فتوقف القتال وخرجت بنو هلال واقامت في الخيام وبلغت المرام وزالت عنها الاوهام وبعد ذلك بعشرة ايام ولى الامير حسن الامير صقر مكان ابيه على تخت مدينة الشام وخلع عليه الخلع والانعام ثم امر بدق طبل الارتحال والمسير من تلك الاطلال وفي الحال هدمت الخيام والمضارب وركبت الفرسان ظهور الجنائب وجدوا في قطع الروابي والاكام حتى وصلوا الى القدس الشريف بعد ستة ايام فنزلوا خارج المدينة في المضارب والخيام وزاروا الاماكن المقدسة بكل احترام وتصدقوا على الارامل والايتام ثم رحلوا منها بعد عشرة أيام قاصدين غزة بقلوب معتزة

انتهى الكتاب العاشر ويليه الحادي عشر وهو يشتمل على قصة السركسي ابن ناذب

﴿وهو يباع مع جميع القصص باسعار متهاودة جداً﴾

في مكتبة الترقي لصاحبيها شكري الخوري وشركاه في بيروت

الكتاب الحادي عشر

﴿ من تغريبة بني هلال وهو يحتوي على ديوان ﴾

﴿ السركسي ابن نازب ﴾

وما جرى له من الحروب والاهوال التي
تشيب رؤوس الاطفال

يطلب من

مكتبة الترقي

لصاحبها

شكري الخوري وشركاه

شرقي ساحة البرج اول طريق النهر · (بيروت)

برخصة مجلس معارف ولاية بيروت الجليلة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الراوي يا كرام لما رجعوا بني هلال من مدينة الشام قصدوا بطريقهم القدس الشريف لاجل الزيارة فوصلوا اليها بعد ستة ايام وزاروا فيها الاماكن المقدسة بكل احترام وتصدقوا على الارامل والايتام ثم بعد عشرة ايام رحلوا من القدس الشريف قاصدين غزة بقلوب معتزة وما زالوا مجدين في قطع البراري والآكام حتى اقبلوا على تلك المدينة وهي مشيدة حصينة فنصبوا فيها الخيام والرايات والاعلام وفرقوا مواشيهم في جوانب اقطارها واكلوا من محصولاتها واثمارها . فلما رأت الرعيان تلك الفرسان قد ملأت البراري والقيعان ذهبوا الى ملكهم واعلموه بذلك الشان

قال الراوي وكان صاحب غزة في ذلك الزمان ملك قوي الجنان لا يهاب قتال الشجعان ولا يبالي باحد مهما كان صاحب جيوش ومواكب يقال له السركسي ابن نازب وكانت عدة عساكره خمسمائة الف من الابطال الذين يعتمد عليهم في الحرب والقتال فلما بلغه الخبر من الرعيان بقدوم بني هلال الى الاوطان اغتاظ وتكدر وطار من عينيه الشرر فجمع الوزراء والاعيان واكابر الديوان واستشارهم في ذلك الشان وكان

عنده وزير عاقل خبير ذو راي وتدبير يقال له الامير راشد فكان كثير الشر معاند فلما سمع من السركسي هذا الكلام قال اعلم ايها الملك الهمام اني من اخبر الناس ببني هلال واعرف ما عندهم من الغنم والجمال والخيل والاموال لانني قد ذهبت الى نجد من نحو عشرة اعوام واقمت فيها جملة ايام فعددهم اربع تسعينات من الذكور وبناتهم مثل البدور ومن حيث قد اقبلوا الى هذه الاطلال فمن الصواب ان نبادرهم بالحرب والقتال ونهب ما عندهم من الاموال لاننا اشد منهم باساً واقوى مراساً ثم انه بعد هذا الكلام اشار يصف له بني هلال بهذا الشعر والنظام

اسمع كلامي ايها الملك الهمام	باكر نلتقي القوم في سوق الصدام
ونلتقيهم بالصوارم والقنـا	ونقتل منهم كل بطل همام
ثم نكسب كل بيضة ناعسة	تسحر العشاق من دق الوشام
بنت قاضيهم بدير الفايد	تشبه النجم في جنح الظلام
اما فتاة الحي ام محمـد	تشبه البدر عند التمام
اما عطور الجيد بنت ابو علي	ما مثلها بالترك مع ارض العجام
اما جمال الظعن ووطفا بعدها	ابوها دياب الخيل في يوم الزحام
فان ظفرنا بهم وحزنا بناتهم	يصير لنا سطوة ما بين الانام
شد عزمك ثم انهض بالعجل	من قتل ولى ومن عاش اغتنم

قال الراوي فلما فرغ الوزير من شعره ونظامه وفهم السركسي فحوى قصده ومرامه استصوب ما قال وقد طمع في بني هلال وفي الحال كتب لهم هذا الكتاب يطلب منهم عشر المال

يقول السركسي هو ابن نازب بدمع جرى فوق الخدود يسيل
ونيران قلبي كلما اقول تنطفي يهب لها طي الضلوع شعيل
ياسائراً بالله خذ لي رسالتي مكتوبة مني بلا تمهيل
الى حسن امير قيس وعامر امير البوادي في الملوك جليل
فارسل لنا عشر الموال مع الغنم وعشر النسا وجمالكم والخيل
وهاتوا فتاة الجازية ام محمد لها عين سودا ثم طرف كحيل
وارسل عطور الجيد بنتك بلا خفا بعيون سود مكحلات بميل
وهاتوا ريا ثم وطفا بعدها ليس لهم بين النساء مثيل
وان لم تجيبوا يا اماره لطلبي اخلي دماكم بالفلاة يسيل
واقتل دياب الخيل بحد صارمي وادعي الفتى زيدان بالتنكيل
واقتل ابو زيد الهلالي سلامه واقطع لراسه في حسام طويل
واقتل جميع هلال في حد صارمي وادعي نساكم في بكا وعويل
مقال الفتى السركسي ابن نازب حاكم بلاده بين الملوك جليل

قال الراوي فلما فرغ السركسي من هذا الخطاب طوى الكتاب وسلمه الى النجاب وامره ان ياخذه الى الامير حسن ويأتيه بالجواب فاخذه وسار وجد في قطع القفار وما زال يقطع الروابي والتلال حتى وصل الى نجع بني هلال فدخل على الامير حسن وسلم عليه واعطاه الكتاب ووقف بين يديه وكان حسن جالساً في وسط الديوان وحوله الامراء والاعيان منهم الامير ابوزيد والامير دياب وغيرهم من السادات والانجاب فلما فتح الكتاب وقراه وعرف حقيقة فحواه

شغل باله وتغيرت احواله ثم اعرضه على الامراء وقال لهم ما هو رأيكم ايها السادات فقال الامير ابوزيد والامير دياب ليس عندنا سوى الطعان والضراب فعند ذلك اشار الامير حسن يجاوب السركسي بهذا القصيد

يقول الفتى حسن الهلالي ابو علي بدمع جرى فوق الخدود نقوع
ونيران قلبي كلما اقول تنطفي يهب لها طي الفؤاد لذوع
اسمع ترى ياسركسى لمقالتي فانت تريد الجازية وقنوع
وتطلب بنات محسنات كواعب وتريد تاخذ سيوفنا ودروع
فمالك عندي سوى السيوف والقنا واجمع عليكم من دريد جموع
ابو زيد والزغبي دياب ابن غانم لهم ضرب يقطع عسكرك وجموع
فنحن ملوك هلال ليس مثالنا وياما قتلنا من ملوك جموع
وكم قد قتلنا من ملوك مثالكم تركنا دماهم في الفلاة نقوع

قال الراوي فلما انتهى الامير حسن من هذا الجواب طوى الكتاب وسلمه الى ذلك النجاب فاخذه وسار يقطع السباسب حتى دخل على السركسي ابن نازب فسلم عليه وقبل الارض بين يديه ثم ناوله الكتاب فلما قراه وعرف ما تضمنه من الخطاب طار الشرر من عينيه وامر الوزير ان يجمع العساكر والابطال لمحاربة بني هلال فامتثل امره في العجل وجمع ثلاثماية الف بطل وكلها بالاسلحة الكاملة والعدد الشاملة وركب الامير السركسي في اول العسكر مع الامير راشد الوزير الاكبر ومن حوله الاعلام والرايات والفرسان والسادات وجد في قطع البراري

والفلوات قاصداً قتال بني هلال ونهب الامتعة والاموال ولما دنا من القوم وعرفت بنو هلال بقدومه في ذلك اليوم استعدت للقتال والطعان والنزال وركب الامير حسن في عاجل الحال وتبعته بنو هلال وكان الامير ابوزيد راكباً عن يمينه بفرسانه وابطاله والامير دياب راكباً عن شماله بجموعه ورجاله ولما التقت العساكر ببعضها البعض وقف كل فريق في ناحية من الارض وكان اول من برز الى ساحة الميدان وطلب براز الفرسان السركسي وهو كالليث الواثب فبرز اليه ابوزيد في الحال فالتقاه السركسي بقلب كالجبال واشار يتهدده بهذا المقال

يقول السركسي هو ابن نازب ... وناري بالحشا زادت شعالي
ونيران بقلبي احرقتني ... على ما قد فعلتم يا هلالي
طلبت المال منكم والعطايا ... وعشر الخيل ايضاً والجمال
فلم ترسل لنا مالاً ونوقاً ... وانتم لم تخافوا من قتالي
فجردت العساكر الى لقاكم ... لاقتلكم على وجه التلالي
واقتل لك وللزغبي دياباً ... واقتل بعدكم حسن الهلالي

فلما فرغ السركسي من هذا المقال اجابه الامير ابوزيد في الحال

يقول ابو زيد الهلالي سلامه ... والنار في قلبي تزيد ضرام
ارسلت تطلب خيلنا وجمالنا ... وتطلب بناتاً شبه بدر تمام
اما تستحي تطلب بنات كواعب ... امارة اصائل من فروع كرام
وراهم الفتى حسن الهلالي ابو علي ... حامي اليتامى يوم حرب صدام
فلا بد عن قتلك وقتل رجالكم ... يوم الوغى عند حرب حسام

قال الراوي فلما فرغ ابوزيد من هذا الشعر والنظام انطبق على السركسي انطباق الرعد في الغمام فالتقاه السركسي كانه ليث الاجام واخذ معه في طعن الرمح وضرب الحسام وكان السركسي افرس اهل زمانه ولا احد يعادله في ميدانه في ضربه وطعانه كانت تضرب به الامثال وتهابه الفرسان والابطال فقاتله خصمه اشد قتال حتى اتعبه واكربه وضربه بحد الحسام قاصداً ان يسقيه كاس الحمام فاستتر ابوزيد بالدرقة فنزلت الضربة على رقبة الجواد كانها صاعقة فبرتها كما يبري الكاتب القلم فوقع ابوزيد على الارض وانحطم فهجم السركسي عليه هجمة الاسد واراد ان يثني عليه بالسيف المهند فلما رأى ابوزيد تلك الحال خاف من الهلاك والوبال فطلب منه ان يعفو عنه فاجابه الى ذلك الشان وقال له اذهب من الميدان وارسل لي الامير دياب حتى اعلمه حقيقة الطعن والضرب او تحضروا لي عشر المال حتى اوقف عنكم القتال فرجع ابوزيد على الاثر وهو في حالة الذل والكدر ورجع معه باقي الجيش والعسكر حيث كان اظلم الليل واعتكر ولما وصل الى المضارب والابيات التقته النساء والبنات وسألوه عن حاله وما جرى له في قتاله وكانت امام البنات عطور الجيد ابنة الامير حسن فاشار اليهن يقول

قال ابو زيد الهلالي سلامه	والدمع من فوق الخدود سواجم
ايا عطور الجيد ان السركسي	يشبه لذئب قد حظي بغنائم
روحي وقولي لابيك ابو علي	ينزل اليه بأكراً ويهاجم
ما دامت النسوان تولد في الورى	تظهر فوارس كالسباع تصادم

هذا السركسي ما احد يصادمه　　اذا قام في ظهر الحصان يلاطم
فامضي الى حسن الهلالي والدك　　وقولي له ابوزيد ولى هزايم

قال الراوي فلما فرغ ابوزيد من هذا الشعر تعجبن البنات واستعظمن الامر ورجعن وفي قلبهن لهيب الجمر وعلمن ان السركسي بطل عنيد وفارس صنديد ثم ان ابا زيد ذهب الى عند الامير حسن وهو في الديوان واعلمه بما جرى وكان فتعجب الامير حسن وباقي الامراء على ما تم وجرى وقالوا ما دام الامر على هذا الحال فما بقي غير الامير دياب ان يبرز الى السركسي في ساحة المجال فلعله يقضي الاشغال ويبلغ منه الامال والا تضعضعت منا الاحوال وطمعت فينا ابطال غزة دون باقي الابطال فاستصوب الامير حسن هذا الكلام واشار يحمس الامير دياب بهذا الشعر والنظام

قال الفتى حسن الهلالي يا دياب　　انت فارس خيل شهم منتخب
فقم وانزل لقتاله يا امير　　واسقيه بالحرب كاسات العطب
واترك دماه فوق الوطا　　كما فعلت بالخزاعي في حلب
بالحرب والمرجله انت مجرب　　ياعز قيس في المكاره والكرب
قال الفتى امير قيس وعامر　　اليوم اقتله وبلغنا الارب

قال الراوي فلما فرغ الامير حسن من كلامه اشار الامير دياب يجيبه على شعره ونظامه

يقول الفتى الزغبي دياب المنتخب　　وحق النبي ومن بمكة قد خطب
لا بد عن قتله امير الملا　　وادعي دماه على الاراضي ينسكب

واليوم تملك في بلاده بلا خفا ونجعل غزة تحت احكام العرب
نحن ملوك هلال فرسان الوغا وليوث حرب لانخاف من العطب

قال الراوي فلما فرغ الامير دياب من شعره ونظامه شكره الامير حسن وباقي الامراء على حسن اهتمامه وباتوا تلك الليلة على تلك النية وقد خافوا من عواقب القضية ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح برز السركسي الى ساحة المجال فصال وجال وطلب براز الابطال فبرز اليه الامير دياب كانه ليث الغاب وهو راكب على فرسه الخضرا وكل العيون تنظر اليه وترى ولما صار في ساحة الميدان التقاه السركسي بقلب كالصوان وقال له من تكون من الفرسان قال انا البطل المصادم والليث المقاوم الذي شاع ذكره في الاعارب والاعاجم الامير دياب ابن غانم فضحك السركسي من هذا المقال والتقى خصمه في ساحة المجال واقتتلا بالرماح والنصال اشد قتال وهجما على بعضهما هجوم الاسود حتى خدرت منهما الزنود وما زالا على تلك الحال الى وقت الزوال وكان السركسي كما تقدم الكلام من اشد الفرسان العظام في تلك الايام فانه استطال على الامير دياب بعد ان لعب عليه من ابواب الحرب اثنين وسبعين باب فهرب من امامه مع عسكره وخلانه ولم يثبت لحربه وصدامه حتى دخل المضارب والخيام وهو مقهور ورجع السركسي الى قومه وهو بغاية الفرح والسرور وبات تلك الليلة مشروح الفؤاد على نيل المراد واما الامير دياب فرجع وهو غائب عن الصواب حتى اقبل على صيوان الامير حسن فلما رآه قال

له علامك يا امير دياب فاني اراك في خوف واضطراب فعند ذلك اشار يخبره بهذه الابيات على مسامع الامراء والسادات

قال الفتى المدعو الامير دياب ... والنار في قلبي تزيد لهاب
يا حسن اسمع كلامي وافتهم ... واصغى الى قولي ورد جوابي
السركسي ما رأيت مثله فارس ... يفتح عليَّ بالحروب ابواب
وقد هالني لما يروح ويرتجع ... نزل عليَّ مثل سبع الغاب
ما له مثيل في هلال وعامر ... ايضاً ولا في سائر الاعراب
قوموا بنا بالليل حتى نرحل ... يا ابو علي الراس مني شاب

قال الراوي فلما فرغ الامير دياب من كلامه وامراء بني هلال تسمع نظامه احتسبوا من السركسي وخافوا من الشرور وعواقب الامور وجعلوا يتخابرون كيف يكون العمل في قتال ذلك البطل وباتوا تلك الليلة وفي اليوم الثاني جمع الامير حسن الابطال والفرسان ونزلوا الى ساحة الميدان فالتقتهم عساكر السركسي في ساحة المجال واقتتلوا اشد قتال وهجموا على بعضهم البعض واشتبك بين العسكرين القتال وجرى الدم وسال حتى كلت منهم الزنود وبقيوا على هذا الحال الى نصف النهار فما كنت ترى الا رؤوساً طائرة ودماء فائرة وفرساناً غائرة حتى دارت على قوم السركسي الدائرة وفيما هم على مثل هذا الحال ومتضايقين بالحرب والقتال وقد آيسوا من النجاة وكانت بنو هلال محيطة بهم من اليمين والشمال فبينما هم في ضربات قاطعات تهد الجبال الراسيات واذا بغبار من خلفهم قد ثار حتى سد منافس

الاقطار وبان عن عسكر جرار ليس له قرار وفي مقدمتهم الوزير راشد الاسد المعاند فانه كان قد جهز مائتين الف فارس اسود عوابس وكان السبب في قدومهم ان السركسي ارسل يطلب منهم الامداد للحرب والطراد فحضر الوزير بمائتين الف عنان فلما وصل الى ساحة الميدان ووجد ما بقومه من الذل والهوان هجم على بني هلال واحاط بهم من اليمين والشمال وخلص السركسي من بين ايدي بني هلال واقتحم هو والعساكر الى ساحة المجال بقلوب كالجبال وما زال الحرب يعمل والرجال تقتل والدم يبذل الى ان انكسرت بنو هلال اشد انكسار وانهزم الامير دياب ببني زغبي وابو زيد ببني زحلان والامير حسن والقاضي بدير ببقية الفرسان وتبعهم الوزير راشد بكل بطل مغوار واسد كرار وشتتهم في جوانب القفار مسافة ثلاثة ايام وكسب منهم غنائم كثيرة واموال غزيرة ولما اظلم الظلام رجعت الفرسان عن بعضها البعض ورجع الوزير والملك وهو بحالة الانتصار وقد كسبوا من بني هلال المال والبنات والنوق والجمال وصارت بنو هلال مشتتين في البراري والتلال وفي تلك الليلة اجتمع الامير حسن والامير دياب والامير ابوزيد واكابر الديوان واخذوا يتشاورون في خلاص ما اخذه منهم قوم السركسي وكيف يقتلوا الوزير الذي كان سبب هذا البلاء

قال الراوي وكان للامير حسن ابن اخت شديد الباس قوي المراس يسمى الامير عقل وكانت اوصافه ممدوحة مستحسنة وعمره

اربعة عشرة سنة فلما رأى ما جرى وكان وانهزام الابطال والفرسان من قتال السركسي في ساحة الميدان استعظم ذلك الشان فجاء الى عند خاله الامير حسن وتعهد له بقتل السركسي وازالة الكروب والمحن بشرط ان تذهب معه النساء والبنات ليشجعوه في الحرب والثبات ثم انه بعد ذلك الكلام انشد هذا الشعر والنظام

يقول الفتى عقل الامير بما جرى ونيران قلبي زايدات وقيد
انا فارس الفرسان في حومة الوغى اخلي الاعادي بالفلاة شريد
فنادي بنات هلال يأتون سرعة ونادي لنا ام الامير شديد
ونادي للجازية ام محمد وغيا وريا ثم ام الجيد
ونادي لوطفا بنت عمي وزينب وعليا ونجلا حسنهن يزيد
فاوريك فعلي فيه يا ابو علي واورويه طعناً في المجال شديد
على ظهر حمرا ليس يوجد مثلها انا فوقها قرم اصيل عنيد
مقال الفتى عقل الامير بما جرى لا خير في رجل يكون بليد

قال الراوي فلما فرغ الامير عقل من كلامه شكره حسن وباقي الامراء على حسن اهتمامه وقد تعجبوا من ذلك الامر وقالوا لعل الله ان يأتي على يده بالفرج والنصر ثم ان الامير حسن امر اخته الجازية ان تنتخب في الحال ماية بنت من خيار البنات الابكار اللواتي يشبهن الاقمار فحضرت بهن لعند اخيها بالعجل وقالت له ماذا تريد ان تفعل قال تذهبي مع البنات ومع الامير عقل الى ساحة الميدان وتنشدونه بالاشعار الحسان كما فعلتم مع غيره من الفرسان حتى يتحمس على

قتل السركسي ابن نازب فالله يقضي الاشغال وننال المقاصد فلما سمعت الجازية فحوى كلامه استعظمت الحال وقالت كيف نذهب مع عقل وهو ولد صغير السن وليس هو من رجال الحرب والقتال فاذا كان ابو زيد ودياب ما قدروا على قتال السركسي فكيف يقدر هذا الصبي وربما نحن بهذه الوسيلة نقع في الورطة الوبيلة ويأسرنا السركسي ابن نازب ونبقى معيرة بين الاعارب فلما انتهت من هذا الخطاب تقدمت وطفا بنت الامير دياب وانشدت تقول

تقول فتاة الحي وطفا التي شكت بدمع جرى فوق الخدود بديد
ابو زيد وابي دياب الغانم ما مثلهم بين الملوك شديد
راحوا هزايم منه يا امير ابو علي فكيف ترسلنا مع طفل وليد
مقالة فتاة لوع البين قلبها فاحكم بعدل لا تكون عنيد

قال الراوي فلما فرغت من شعرها ونظامها وعرف الامير حسن فحوى كلامها اغتاظ الغيظ الشديد وقال لها هذا الكلام لا يفيد ثم امرهم بالركوب مع الامير عقل وفي الحال ركبت العماريات امام الفرسان والابطال واعتقلوا بالرماح والنصال وقصدوا ساحة القتال فلما وصلوا اصطفت الصفوف وترتبت المئات والالوف وكان الامير عقل مسربل بالسلاح وهو راكب على ظهر جواد يسابق الرياح فبرز الى الميدان عرض وبان وطلب براز الفرسان فبرز اليه السركسي كانه قلة من القلل او قطعة فصلت من جبل فقال له عقل من تكون من الابطال وصناديد الرجال فاني ارى نفسك شامخة معتزة . قال انا

السركسي امير غزة وانت من تكون من الشبان . قال الامير عقل ابن الامير بدر ثم انشد وقال

يقول الفتى عقل الامير بما جرى ... بدمع جرى فوق الخدود سكايب
انا فارس الفرسان في حومة الوغى ... اخلي دماك على الاراضي سكايب
ونحن الهلاليون ما فينا غبا ... فمن نجد نملكها لارض المغارب
ولا بد ما ادعي لشخصك مجندلاً ... وتصير غزة بعد منك خرايب
دونك سوق الحرب بيني وبينك ... وتشهد بنات القوم من كل جانب
مقال الفتى عقل بقول صادق ... فلا بد من سيفي تروح شطايب

فلما انتهى الامير عقل من كلامه اجابه السركسي على نظامه

يقول الفتى السركسي ابن نازب ... ونيران قلبي زايدات اللهايب
فيا ايها الشاب الذي ضر نفسه ... اظنك مجنون بلا عقل ذاهب
مالك ومال الخيل تلوي عنانها ... وتحارب اصحاب اللحا والشوارب
فان طعتني اسلم بروحك وانهزم ... وارجع الى قومك وولي هرايب
هجمنا على عسكر هلال وعامر ... فساروا وولوا في الروابي هرايب
فارجع عن الميدان يا ولد الخنا ... والا ادعي دماك على الاراضي سكايب

قال الراوي فلما فرغ السركسي من كلامه التقاه الامير عقل واخذ في حربه وصدامه هذا وقد التقى البطلان في ساحة الميدان كانهما جبلان او اسدان كاسران وعلا عليهما الغبار حتى حجبا عن الابصار وقدحت حوافر خيلهما شرار النار وما زالا على تلك الحال وهما في اشد قتال الى قرب الزوال وكان السركسي قد تعجب من

حرب الامير عقل واستعظم قتاله لانه رأى منه في مواضيع الطعن والضرب ما ادهشه واهاله ثم ضربه بالدبوس قاصداً ان يعدمه الحياة ويجعل القبر مأواه فخلي عنها فراحت الضربة خائبة بعد ان كانت صائبة ثم ان الامير عقل ارتد على خصمه مثل الاسد وضربه بالسيف المهند فجاءت الضربة على رقبة الجواد فبرتها كما يبري الكاتب القلم فوقع السركسي على الارض وانحطم فادركوه قومه في عاجل الحال ونشلوه من ساحة القتال فمال عليهم الامير عقل بالحسام فولوا وطلبوا الانهزام حتى وصلوا الى غزة عند الظلام فرجع الامير عقل هو والفرسان من معركة الصدام وهو في فرح واستبشار ورجعت معه البنات الابكار وقد تعجبن من امره نظراً لصغر سنه فدخل على الامير حسن وسلم عليه وعلى جميع الامراء الذين حواليه واعلمه بما جرى وكان وكيف ان خصمه ولى من ساحة الميدان بعد ان حاربه طول النهار وقال له ان كنت في ريب في كلامي فاسأل البنات الابكار فشهدت له البنات بالشجاعة والفروسية والهمة العلية فشكره الامير حسن على فعاله وقد تعجب من قتاله وثباته واجلسه بقربه في صدر الديوان ووعده بالجميل والاحسان ورفعه الى درجة الامراء والاعيان هذا ما كان من بني هلال واما ما كان من السركسي فانه رجع من ساحة القتال وهو مشغول البال فاجتمع بوزيره واعلمه بقتال الامير عقل ووبخه بالكلام ولامه اشد ملام وقال له قد كنا في غنى عن هذا التعب والعنا لانك انت الذي اشرت عليَّ في حرب بني

هلال دون باقي الامراء وسادات الرجال حتى جرى ما قد جرى في هذا النهار من ذاك الولد الجبار والبطل المغوار فقال له الوزير لا تخاف ياملك الزمان انشاءالله نهار غد انزل الى الميدان وابارز هذا الولد واذيقه الاهوال والشدائد وباتوا تلك الليلة يتحارسون وفي الصباح اصطف الجيشان وتقابل العسكران وبرز الوزير راشد الى ساحة الميدان وطلب براز الفرسان فبرز اليه الامير عقل فالتقاه راشد بقلب كالجبل والتحم بينهما القتال في ساحة المجال وتضاربا بالسيوف وتطاعنا بالنصال وفعلا افعالاً تعجز عنها صناديد الابطال وما زالا على تلك الحال وهما كل يوم في حرب وصدام يشيب الاطفال قبل الفطام مدة خمسة ايام على التمام وفي اليوم السادس التقيا في ساحة الميدان وتقاتلا امام الفرسان الى ان اختلف بينهما ضربتان قاطعتان وكان السابق الامير عقل فجاءت الضربة على رأس الوزير راشد فوقع قتيلاً وفي دمه جديلاً فلما رأت قومه ما حل به من الوبال نشلوه من ساحة القتال واما الامير السركسي فلما نظر ما جرى وكان وكيف ان وزيره قد قتل وحل به الهوان غاب عن دائرة الصواب وهجم على الامير عقل مثل ليث الغاب فالتقاه عقل وانطبق على السركسي كليث الاجام واخذ معه في الحرب والصدام فالتقاه السركسي بقلب اقسى من الصوان وتقاتل معه في ساحة الميدان حتى تحيرت من قتالهما الفرسان وما زالا على تلك الحال وهما في اشد قتال الى وقت الزوال فعند ذلك دقت طبول الانفصال فرجعا عن الحرب والقتال ورجع السركسي وهو غضبان

على ما قاسى من الحرب والطعان في ساحة الميدان وخصوصاً على ما اصاب الوزير من الهلاك والتدمير وصمم النية ان في ثاني الايام يهجم بالفرسان والابطال على بني هلال ويذيقهم العذاب والنكال هذا ما كان السركسي وما جرى له من الاحوال واما بنو هلال فان الامير حسن بعد رجوعه الى المضارب والابيات احضر اليه الامراء والسادات وقال لهم اعلموا ايها الرجال انه قد طال علينا الحال في هذه الاطلال ونحن جل قصدنا الوصول الى تونس الغرب لنخلص اولادنا من اسر الزناتي بالحرب والطعن والضرب والراي عندي الان ان نهجم في الصباح بالابطال والفرسان ونحارب اعدانا بقوة الجنان حتى نبلغ الامال ونسير بالعجل من هذه الاطلال ويركب الامير دياب في بني زغبي الشجعان والقاضي بدير والخفاجي عامر مع الامير زيدان والرياشي مفرج وعرندس الزغبي والامير عقل يقصدون الميدان والامير ابوزيد يركب في بني زحلان ويقصد ابواب غزة بعد حضور السركسي الى الميدان وهكذا تم الاتفاق وصار الافتراق

قال الراوي ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح دقت طبول الحرب وركبت الفرسان للطعن والضرب واندفعت الشجعان الى ساحة الميدان من كل جهة ومكان وطلب السركسي معركة القتال وطلب براز الابطال فبرز اليه الامير دياب وتجاول معه ساعة من الزمان ثم هجمت العساكر على بعضها البعض في تلك البقاع كانها كواسر السباع . وجعلوا يتضاربون بالسيوف ويتطاعنون بالرماح

حتى جرى الدم وساح وزهقت الارواح وما زالوا على تلك الحال
الى قرب الزوال فعند ذلك هجم الامير عقل وزيدان واقتلعوا
السركسي عن ظهر الحصان واوثقاه بالسلاسل والقيود واخذاه الى
الخيام وبلغا المقصود ولما بلغ ابوزيد هذا الخبر فرح واستبشر وكان
كما تقدم المقال انه محيط بالبلد من جهة الشمال فعند ذلك هجم بالفرسان
والابطال على عساكر السركسي الذين انهزموا من ساحة المجال
وحكم فيهم ضرب السيف الفصال وبعد ان دخلت بنو هلال الى غزة
بقلوب معتزة فغنموا الاموال وبلغوا الامال وخلصوا سباياهم من
الاسر والاعتقال وكان قد اظلم الظلام فخرجوا وباتوا في الخيام وفي
اليوم الثاني اقبلت اهالي البلد والاكابر والعمد وطلبوا من الامير
حسن الامان فاجابهم الى ذلك الشان وارسل منادياً ينادي بالامان
والاطمئنان فاستكنت الاحوال واستبشرت بنو هلال بالنصر والاقبال
ثم حضرت قواد الفرسان والامراء والشجعان الى عند الامير حسن
ابن سرحان فشكرهم على ذلك الاهتمام وغمرهم بالعطايا والانعام . ثم
احضروا عقل واكرموه غاية الاكرام على ما ابداه في الحرب والصدام
من مزيد الاعتناء والاهتمام وقلده الامير حسن مقام الامراء العظام
والبسه سيفاً مرصعاً بنفيس الجواهر ثم اشار يمدحه بهذه الابيات
ويعرض عليه ما يريد من بنات النساء والسادات مكافأة لافعاله
ومجازاة لاعماله واشار يقول

يقول الفتى حسن الهلالي ابو علي   بدمع جرى فوق الخدود بديد

عقل اسمع الى كلامي وافتهم   ياليت عمرك كل يوم يزيد
انت نصرت هلال في حد سيفك   ومنت الى السركسي في اليد
نحن كنا غافلين بحربنا   نصرت قوم هلال بالتأييد
لولاك كنا الان في حالة الردى   سبايا عرايا في البلاد شريد
فخذ لك مني ما تريد وتشتهي   واطلب مني كل شيء تريد
وهذه بنات هلال ما فيهم خفا   صبايا عليهم من خلاع جديد

قال الراوي فلما فرغ الامير حسن من نظامه وفهم الامير عقل فحوى كلامه شكره واثنى عليه امام السادات وقال له ياخال ارجوك ان احوز الاشتمال بنظرك السعيد طول السنين والاجيال لانه ما حل وقت زواجي وطلوع نجم ابراجي فتقدم الامير زيدان شيخ الشباب والتمس من الامير حسن المهاب ان يأمر بعمل عرس لاولاد الامارا الذين حان وقت زواجهم في هذه الادارة حيث انه تمت الوقائع والحروب واسترحنا من الشدائد والكرب فقال له الامير حسن لا باس وركبت اولاد الامارا فوق ظهور المهارا والافراس وعملوا عراضة عظيمة لها قدر وقيمة وبعده عملوا عرساً طافحاً بالمسرات رقصت فيه امامهم النساء والبنات المخدرات ومكثوا على هذا الحال ثلاثة ايام بالفرح والسرور وشرب المدام والخمور في المزاهر حتى خلوا العقل حاير وبعد ذلك احضروا الامير السركسي مقيداً بالاغلال وهو صامت الفم واللسان وادخلوه الى عند الامير حسن فترامى على اقدامه وطلب منه العفو والامان وكان جالس

الامير ابوزيد عن يمينه والامير دياب عن شماله فتهدده الامير دياب في العقاب والانتقام على ما جرى منه فحينئذٍ طلب منه العفو والامان وقال له يا امير دياب الوزير غشني وكان هو سبب الاذية والضرر وكان سبباً لسبب النساء الحسان وارخاء العنان في ذلك الشان فارجوك ان تعفو عني فحالاً امر الامير حسن في اطلاق الاغلال عنه وقال له يا امير السركسي اعفو عنك اذا حفظت الشرائع الملوكية وهي اوصيك بمحبة الله وحفظ شرائعه ووصاياه ما دمت في قيد الحياة ولا تكون لجوجاً في الكلام ولا مدمناً لشرب المدام بل حافظاً ذمام الاحتشام متخلقاً باخلاق الكرام مع الخاص والعام متجنباً كلام الهزل والهزيان واقياً نفسك من عثار اللسان لانه صدور الاحرار قبور الاحرار فمن صان سره ملك امره ومن باح به لم ينجح وزاد ندمه واحذر ياسركسي من النساء الاشرار فان مكرهن عظيم وخطواتهن تؤدي الى قاع الجحيم لانهن اصل الاذى والضرر وسلاح ابليس عدو البشر يتظاهرون بين الرجال تحت براقع العفاف والكمال وهن اغدر من الحيات ومن اعظم المصائب والبليات وبهن استعان الشيطان على ملك سليمان وكان من اعظم حكماء الزمان وافضل رجال العصر والاوان حتى غدره وطغاه ونال منه مبتغاه ثم لما تسلط على ايوب بامر الله كما هو مذكور في التوراة واعدمه كل خيراته وفجعه ببنيه وبناته واتخذ امرأته له سلاحاً فكان يحاربه بها مساء وصباحاً وهو الذي وسوس الى حواء فاغوت آدم وبها دخلت الخطية الى العالم

الخطية دخل الموت الذي لا مهرب منه ولا فوت فبالجملة انهن
قبيح الشرور لا يركن اليهن بامر من الامور لان ليس لهن عهد
ولا امانة. ولا شريعة ولا ديانة . اذا استغنى زوجهن امرضنه بلسانهن.
وان افتقر اكلته باسنانهن . واذا شاب واكتهل عاملته بالجفاء والملل.
ويجحدن جميله وخيره . وصاحبن خليلاً غيره . ولو كان فقيرا .
وصعلوكاً حقيراً وان مات تزوجن بعده وما حفظن حبه ولا عهده .
كما هو ظاهر للعيان في كل عصر وزمان والان استدعيك ايها
الامير السركسي لكي تسمع وصيتي . وتصغى الى نصيحتي . بحضور
ارباب دولتي . فقال له السركسي انا طوع يديك . وجميع اموري
راجعة اليك . فشنف اذناي باقوالك اللطيفة . ونصائحك الظريفة .
فاني لامرك سامع . ولوصاياك خاضع . فقال له الامير حسن متى
توليت احكام البلاد . وتحكمت على رقاب العباد . فاياك ان
تغفل عن احوال الرعية . وتتعدى القواعد الهلالية . وتخالف
قوانين وشرائع الملوكية . بل كن سالكاً الطريق المرضية . معاملاً
الكبير والصغير بالسوية . رافعاً لشكوى المظلوم حجابك . فاتحاً
في وجهه بابك . واضعاً الاشياء في محلها . والمناصب في يد اهلها .
ولا سيما ولاة الاقطار . وارباب الوظائف الكبار . فينبغي ان
يكون هؤلاء الرجال من خواص العيال . ومن اهل الفضل
والكمال . موصوف بالاستقامة والامانة . ومشهود لهم بالحلم
وصدق الديانة . لا يميزون بين الحقير والشريف . ولا يظاهرون

القوي على الضعيف . فيهابهم جميع المأمورين ويقتدي بهم باقي المستخدمين . لانهم اصحاب الكلام . وولاة الاحكام . وبيدهم ازمة الامور . وتدبير مصالح الجمهور . ومحافظة الحدود والثغور . فاذا كانوا على هذه الحالة تستقيم احوال الرعايا وينتشر العدل والامان . في كل مكان فترعى الذئاب مع الغنم وتبات العصافير مع الرخم . اما اذا كانوا خلاف هذه الاوصاف . مايلين الى الاعوجاج والانحراف . لا يبالون بمنافع الخلق . ولا يعلمون بما يقتضيه الحق . بل يصرفون الاوقات بالملاهي واللذات . وسماع الاغاني والاصوات وارتكاب الكبائر والمنكرات . ويسمعون كلام الوشاة . وينقادون لطغيان العداة فتضطرب الاحوال ويوقع الاختلاف . ويكون سبباً لضرر البلاد . عوض الاصلاح ونفع العباد . فيضيع الحق والانصاف . ويكثر الجور والاعتساف . وترفع الادنياء على الاشراف . وتتسلط البهائم على الاكارم بالبراطيل والولائم . وبذل الدراهم . فتسقط المملكة الهلالية . ويصير وجودها كالعدم . بين ملوك الامم . لان الشوكة والصولة . وتمكين قواعد الدولة . لا تقوم بكثرة الجنود . ولا باتساع الاقاليم والحدود . بل انما بالوزارة . وحسن التدبير والادارة . وعدالة السلاطين والملوك . والتصرف باحسن سلوك . فاياك ايها الامير ان تسمي وزيراً . وتقيمه مديراً او مشيراً . الا بعد الفحص والامتحان . ولو كان ابن رفعة وشان . حتى تستقيم امور دولتك . وتستعد به احوال رعيتك . فهذا الذي يقتضيه مقامك .

ويحسن به في الدارين ختامك . واياك ان تغتر في الدنيا ولذتها . وتلتهي بافراحها ومسراتها . فانها محتالة غدارة وجميع امورها مستعارة فلا تركن اليها ولا تثق بها وتعتمد عليها . فكم افنت من الملوك وفتكت بالانبياء . وما هي الا كظل الزائل والجدار المائل . واعلم يا امير السركسي ان مراتب العليا . وسعادة الانسان في هذه الدنيا . لا تنال بالفصاحة والمهارة . ولا في كثرة السعي ومعاطاة التجارة ولا بالتقوى او قوة الباس . كما يتوهم بعض الناس وانما هي مواهب وعطايا وعناية من رب البرايا . لاناس خصصهم الله دون الغير . وفتح في وجههم ابواب الخير . وذلك لغايات لا تدركها العقول . واسباب لا تهتدي الى معرفتها الفلاسفة الفحول . فمنهم اتقياء وابرار . ومنهم اشقياء واشرار . كما هو ظاهر بالاختبار . كالشمس في رابعة النهار . ولكن يجب على صاحب الدولة ان لا يكل عن مساعدة العناية ويصرف وقته في الكسل . دون ادنى عمل . لكن عليه ان يسعى ويجتهد . وعن طريق الشر يحيد ويبتعد . فيجب على الانسان الحاذق . ان يخضع لاوامر الخالق . ويقبلها بالرضى والتسليم . لان الله كريم وعادل وحكيم . وهو الشفوق على عباده . كما الوالد على اولاده . فلا اعتراض اذاً على ما حكم . ولا فيما سمح به ورسم . وسوف تتضح هذه الامور . في يوم المنشور . عندما تقوم الموتى من القبور . فتظهر الحقائق . وتعرف الخلائق مقاصد الخالق . واوصيك متى توليت تخت مملكة غزة . اوصيك في الحكم والحكم .

والسيف والقلم . وواجب عليك ان ترسل لي الجزية في كل عام . فحينئذٍ نهض السركسي فقبل يديه وقال له انا طوع يديك وجميع اموري متجهة اليك وما انسى جميلك واحسانك ما دمت في قيد الحياة فحينئذٍ امر له الامير حسن في خلعة سنية وحلة ملوكية ونهض الامير ابو زيد والامير دياب والبسوه اياها امام الوزراء والقواد وارسلوه الى محكمته في احتفال عظيم واجلسوه على تخت المملكة وودعوا بعضهم بعض ثم اخذوا في اهبتهم للمسير الى بلاد الغرب لكي يخلصوا اولادهم من الاسر والكرب فركبت الاربع تسعينات الوف وانتشرت البيارق والصفوف وضربت الطبول في الصحارى والسهول واخذوا يجدون في السير ويسابقون في مسيرهم الطير الى ان اقبلوا على وادي المريش فنصبوا المضارب والخيام وسرحوا مواشيهم في تلك الوادي والآكام

﴿ انتهى الجزء الحادي عشر وهو قصة السركسي
ابن نازب ويليه الجزء الثاني عشر وفيه
قصة البردويل ابن راشد ﴾

هذه القصة مع سائر القصص والروايات والكتب المختلفة المواضيع تباع باسعار متهاودة في مكتبة الترقي لصاحبها شكري الخوري وشركاه * بيروت

الكتاب الثاني عشر

من تغريبة بني هلال

﴿ وهو يحتوي على قصة ﴾

البردويل بن راشد

ونزول بني هلال عليه وما جرى له مع ابو زيد
من الحروب والاهوال وما اعقب ذلك من
السحر والكهانة بالكمال والتمام

يطلب من

مكتبة الترقي

لصاحبها

شكري الخوري وشركاه

شرقي ساحة البرج اول طريق النهر . (بيروت)

برخصة مجلس معارف ولاية بيروت الجليلة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الراوي انه كان في وادي العريش ملكاً من الملوك العظام صاحب بطش واقدام يقال له البردويل ابن راشد وكان فارس شديد وبطل عنيد وكان باني له قصراً مشيد الاركان عالي البنيان وحوله العساكر والفرسان وكان مجوسي يعبد النار دون العزيز الجبار ويسجد الى الشمس في كل نهار ويلبس طاقية الاخفا ويقرا الطلاسم والبرهان فما يعود احد ينظره من الفرسان وبهذا الشان يقهر الابطال والشجعان ففي بعض الايام اخذ خبر بنت ملك سنبس الملك مرصاد حاكم هاتيك البلاد وعنده ثلاثمائة الف فارس ما بين مدرع ولابس والبنت اسمها عليا وكانت ذات حسن وجمال وقد واعتدال وبهاء وكمال فلما سمع البردويل بوصفها ما بقي يملك من العقل ولا درهم فكتب كتاب الى ابوها الملك مرصاد يطلب ابنته عليا الى الزواج فابى الملك مرصاد ذلك فحاربه البردويل وقتله وقتل وزيره واخذ ابنته عليا زوجة له هذا ما كان من امر الملك البردويل والملك مرصاد والنرجع بالكلام الى بني هلال فانهم لما انتهوا من حرب السركسي في غزة قصدوا وادي العريش فنصبوا فيها المضارب والخيام وسرحوا

مواشيهم على تلك البوادي والاكام وكانت هاتيك البلاد يحكم عليها البردويل فلما سمع بقدوم بني هلال الى بلاده ونزولهم في وادي العريش ضد مراده واطلقوا طروشهم في كرومه ياكلون الاثمار ويتلفون الاشجار اغتاظ وتكدر وشخر ونخر واقسم برب البشر ان لا يبقي من بني هلال لا عيناً ولا اثر واستدعى بوزيره منصور اليه فتمثل بين يديه فقال له ما الراي في هولاء العربان الذين غطى سوادهم البطاح والوديان واشار يقول

قال الهمامي . ودمعي سجامي . انا ابن راشد . قاهر الاخصامي جونا هلالي . فوق الجمالي . ونزلوا قبالي . وابنوا الخيامي . وابنوا البيوتي . ثم التخوتي . وهيوا الرخوتي . لخيل كرامي . واملوا الاراضي طولا وعرضي . اليهم لامضي . بجنح الظلامي . معهم دروعي . سيوفاً لموعي . جملة جموعي . قوماً لزامي . معهم رماحي . بيضا صفاحي . لاجل الكفاحي . ليوم الصدامي . يا وزير منصور . قل لي ما الشور . لنركب وندور . ندركهم قوامي . لنركب عليهم . ونبلغ اليهم . ونهجم عليهم . وقت المنامي . دولي خوارج . جونا دوارج . مثل الدحازج . ادفعهم امامي . يقول ابن راشد . للقول ناشد . وللاعداء حاصد . في يوم الزحامي

قال الراوي فلما فرغ البردويل من كلامه والوزير يسمع نظامه اجابه وقال ياطويل العمر ورفيع القدر ان كنت تريد رايي وشوري ولا تقع لقول غيري اكتب الى الامير حسن في طلب عشر المال

والنوق والجمال فان اعطى كان قتالهم حرام وان ماعطى يكون قتالهم حلال وملام فبعد ان اتم الوزير هذا الكلام عندها طلب البردويل قلم وقرطاس ودواية من الذهب الخاص واخذ يكتب الى الامير حسن في طلب عشر المال والخيل والجمال ويقول

يقول الفتى البردويل ابن راشد ورفاس الهيجا بيوم طرادي
ولي همة تعلو عَلَى كل ماجد ولي في ملاقات الملوك عوادي
يا حسن اسمع كلامي وافتهم واصغى لقولي لا تكون مفادي
من اي ارض قد اتيتوا لبلادنا وانا حاميها فوق ظهر جوادي
يا ابو علي وادي العريش حميتها بسيفي ورمحي للدما بدادي
يا ابو علي قدم لنا عشر خيلكم وعشر المواشي مع جمال بوادي
وقدم لنا وطفا وبنت القاضي وقدم لنا بنتك بغير عنادي
وان لم تجيبوا كل شيء طلبته ردوا الى نجد مريع ردادي
ما قال البردويل ابن راشد وانا دوم سيفي للعدا حصادي

قال الراوي فلما فرغ البردويل من كلامه ونظامه طوى الكتاب وختمه واعطاه الى عبده سعيد فاخذه وسار في الحال الى ان وصل الى بني هلال فسال عن صيوان الامير حسن فدلوه عليه فدخل اليه وكان القوم مجتمعين حواليه وبعد ان وصل الرسول وسلم قدم الكتاب ولم يتكلم ففضه الامير حسن وتلاه وفهم رموزه ومعناه واطرق وافتكر ساعة ثم قال ابو زيد ما الخبر فاوما اليه الامير حسن بطرف البصر الى العبد فمضوا به الى دار الضيافة بحسن لطافة واخذ

ابو زيد المكتوب قراه على روس الجميع فقال الامير حسن اصغوا الي ثم انشد يقول

يقول الفتى حسن الهلالي ابو علي النار في قلبي تزيد لهاب
اسمعوا لي يا امارا وافهموا من اجل هذا صار فكري في حساب
للبردويل اخبار شاعت في الملا كم بطل ياقوم ادعاهم ذهاب
قاطع درب القوم جميعها وقد نهب اموال مالها حساب
هذا يعرف يا ملك اسما عظيم اذا تلاه على اصم الصخر ذاب
وان تلاه على عسكر ضده يقطع الاعضا منها والرقاب
وقبعة الاخفا عنده حقيق واذا لبسها يختفي ورا الحجاب
لو كان مثل الناس باين شخصه كنا جعلناه سريعاً في التراب
دبروا شي راي حطوا للغفر هذا شور مليح هو نعم الصواب
قال الفتى حسن سرحان ابو علي صبحت كالسكران من كاس الشراب

فلما فرغ الامير حسن من كلامه والامارا تسمع نظامه فقال الامير دياب والله حيث ان الامير ما حكي الا صحيح الخبر فالواجب ان نباشر في لم الغفر حيث ما احد يلقى البردويل في هذا السبيل فلما سمع ابو زيد من دياب هذا المقال وقف شعر شاربيه وقال يا امير ما كنا متاملين منك هذا الكلام وانا والله عليّ في قتل البردويل واخلي جميع العربان تشهد لي بذلك فقال له دياب لاتحسب اللعقات كلها زلابية واشار الى ابو زيد في هذا القصيد

قال ابو وطفا دياب الماجد ابو زيد خلي القول عنك والخطاب

ابوزيد ماكل الرجال على السوى ياك تلقاه وتنزل للحراب
تهلك وتهلكنا جميعاً كلنا ياخذون المال مع كل الشباب
ابو زيد ما كل البحور رقيقة ولا الارانب يافتى مثل الذئاب
ولا الرخم مثل الصقور الطايره ولا الثعالب يشبهوا ديك العقاب
ولا البواشق مثل عصفور الذي تبقى ملان الارض ايضاً والرحاب
ولا السيوف القاطعة مثل الحديد ولا الخنافس مثل حيات الجباب
ياحسن البردويل نعم الفتى قدشاع في كل الارضي والشعاب
قوموا ادفعوا رسم الجزية واسلموا وانا علي الدفع من قبل الشباب
نعطيه عشر المال ايضاً والنسا ونسير اليه جمعنا مثل الضباب
قال ابو موسى دياب الماجد قولا صحيحاً ما به ادنا عتاب

قال الراوي فلما فرغ دياب من كلامه والجميع يسمعون نظامه احمرت عينين الامير ابو زيد وقال كل هذا الذي نسبته الي فراح تتكنا في قتال البردويل ويعاتب دياب ويقول

قال ابو زيد الهلالي يا دياب لست اخشى البردويل ولا اهاب
فكم وكم من فارس قد فاقه ادعيه مدفون من تحت التراب
ان كان عنده مكر عندي الف مكر اوكان عنده باب عندي الف باب
ان كان عنده اسم عندي الف اسم كل اسم للبرايا لا يهاب
لا بد عن قتل راشد يا امير لو كان في حصن وداخل الف باب
ان كنت تخشى يا امير كفاحه اجلس في صون النسا ضمن الطناب
وانا الذي اغدو اليه عاجلاً وانزل انا واياه باكر للحراب

ان كان يقتلني فيا تعساً لكم او كنت اقتله فقبلوا الركاب
دياب تعرف همتي يوم الوغى انا صور الخيل في يوم الحراب

قال الراوي فلما فرغ الامير ابو زيد من كلامه والامير دياب يسمع نظامه فقال له انا مازحتك يا امير حتى انظر مايكون عندك من التدبير فعند ذلك نادى ابو زيد العبد وقال له اخبر سيدك وقل له ليس لك عندهم غير طعن الحراب ورمي الرقاب فراح العبد واخبر مولاه البردويل في هذا الخبر الثقيل فلما سمع البردويل هذا الكلام صار الضيا في عينيه كالظلام وفي الحال نادى وزيره منصور البطل المشهور وقال له اركب في مأية الف من الابطال وانزل الذل في هولاء الانذال ولا تبقي رفيع ولا رضيع فقام الوزير للحال وامتثل امر سيده ونادى الاجناد والابطال فلباه ماية الف فارس في الحال من كل فارس كرار وبطل مغوار وتوجه في تلك العساكر حتى بلغ ساحة الميدان ومحل الضرب والطعان فحين ما نظرت بنو هلال عساكر البردويل قد اقبلت بادروا الي الخيل واعداد العدد وكان ابو زيد تتطاير من عينيه الشرار ونادا عبده ابو القمصان وقال له اسرج الحمرا فقال له دياب دعني انوب عنك في هذه الكرة فامر على بني زغبي في الركوب فركبت الجميع فاتوه مثل سباع الكواسر فدقت الطبول وانتشرت الرايات وركب الامير دياب على الخضرا وانطق على عساكر الوزير وابلاهم بالذل والتدمير وعند ما انتصف النهار التقى بالوزير منصور وهو كالاسد الجسور وانطبق عليه انطباق الليالي على الايام وصالا

وجالا والتحما واصطدما وابتعدا وافترقا واختلف بين الاثنين ضربتين قاطعتين كان السابق في الضربة الوزير في الرمح خلي عنها الامير دياب فراحت الضربة خالية بعد ماكانت صايبة فعند ذلك هز عود الزان الامير دياب حتى التوى الكعب الى السنان وضربه بين البزين طلع يلمع من بين اللوحين فوقع قتيل وفي دماه جديل فحين مانظرت عساكر البردويل ما حل في الوزير انطبقوا على الامير دياب مثل سباع الغاب فتلقوهم بني زغبي مثل الاسود الكواسر بالسيوف البواتر والرماح الطوال ولله در الامير دياب فانه ابرى الروس مثل الاكر ونثرها كاوراق الشجر فلما امسى المسا ولت قوم البردويل وهم ينادون بالعويل والثبور وعظائم الامور واخبروا ملكهم بما فعله بهم الامير دياب الاسد الذي لا يهاب فعند ذلك وثب البردويل كانه نمر جارح او ذيب خاطف وركب على ظهر جواده الاشهب ولبس ثلاثة دروع وثلاث خود وثلاث دوارق ووضع في جيبه طاقية الاخفا ونادى بالرجال والابطال وركبوا وراه فلباه اربعماية الف في عاجل الحال وانتشروا في الروابي والجبال فدقت طبول الحرب واستعدت نيران الطعن والضرب فجفلت بنو هلال مما رات من الرجال والابطال ولاسيما من نظر البردويل وهو مشهر في يده الحسام فلما التقت العين بالعين انطبق عليهم كانه صاعقة او الجن الماحقة فحين نظروه بني هلال اعتراهم الخوف والرعب في الحال ولكن لله در بعض ابطالهم فانهم اظهروا الجلد واخفوا الكمد ومع كل ما جاهدوا وعانوا استظهرت عليهم عساكر البردويل وكسروهم

في اخر النهار فرجعوا على اعقابهم مقهورين وقد كان ابو زيد غائب في الصيد والقنص ولم يعلم ما جرى في هذه القصص في صيوان الامير حسن ومن بعد رجوع بني هلال من هذه الوقعة التي كانت عليهم اشام الوقائع اجتمعوا واخذوا يتشاورون في دفع الجزية للبردويل واذ هم في الحديث اقبل ابو زيد فلازموا السكوت فسالهم الامير ابو زيد ما لهم وعما لاقوه من حرب البردويل اجابه الاميرحسن وقال له والله ان البردويل ما احد يلقاه لاانس ولا جان فقال له الامير ابو زيد والله يا امير حسن قد اغركم الوهم ولاشك انكم تتشاورون في دفع الجزية للعدو فوالله ثم والله ما طاوعتكم ابداً ولاارسل الجزية ما زلت اقدر على ركوب الجواد واتقلد في آلة الحرب والجلاد وراح يتكنا بقتل البردويل ويقول

قال ابو زيد الهلالي يا حسن ⁂ اسمع كلامي انت مع من حضر
لا تخافوا من طعان البردويل ⁂ انني اطفي الكم منه الخبر
وغدا باكر انا انزل اليه ⁂ فوق مهر مثل طير او صقر
سوف اسقيه المنية عاجلا ⁂ ثم اتركه حديثاً يذكر
ما يشاء ربي ويركبني الجواد ⁂ لا تخافوا من ملوك ووزر
وكفى التسليم في كل الامور ⁂ وهنيئاً الذي بلغ الوطر

فلما فرغ ابو زيد من كلامه والقوم يسمعون نظامه قالوا له ياويلنا من بعدك يا ابو شيبان يا مزيل الكروب في وقت الطعان وقد انصرفوا من الديوان وتوجه كل امير للصيوان ولم يبقَ عند الامير حسن غير

دياب والقاضي بدير وطي ابن مالك وابو عوف وعامر وحماد وعرندس
فتشاوروا مع بعضهم وقالوا غدا يذهب ابو زيد الى البردويل فيقتله
البردويل ونبقى بعده في حزن طويل ما نكون عملنا شيء ثم نهض
الامير حسن ودخل الى خزنة السلاح واطلع قيد المملكة وهو
اربعة ارطال فضه ووضعه في منديل واعطاه الى دياب وقال اذهب
الى عند الامير ابو زيد انت وخالك القاضي بدير والامير طي ابن مالك
والامير ابو عوف وعامر وحماد وعمك عرندس وقل له ان كنت طايع
لله والامير توضع رجلك فى هذا القيد لبكرة وباكر نجي نفتح لك
فان حسن خايف عليك ان تذهب الي البردويل يقتلك فاخذ
القيد دياب والامارة الذي قال عنهم حسن وساروا الى عند ابو زيد
ودخلوا وسلموا عليه فقام لهم على الاقدام وترحب بهم غاية الترحيب
واجلسهم في دار الضيافة وبعده قال لهم ماهذه المجئة فقام دياب ووضع
المنديل قدام ابو زيد وقال له باعث لك اياه ابن عمك الامير حسن
فقام ابو زيد فتحه وجد فيه القيد فقال ما هذا يا اجاويد قالوا لاجل
ان توضعه في رجلك لبكره واخبروه بما قال حسن فقال صبراً جميل
وبهت ساعة وقال ان خالفت حسن ما يعود احد يطيعه ومن يقدر
يسفه كلام الاجاويد ثم انه اخذ القيد ووضعه في رجله وقال سمعاً
وطاعة لله والامير ولكن لي عليكم واحدة تجيء وتفتحوا لي القيد بكرة
من صلاة الصبح فقالوا سمعاً وطاعة وذهبوا اعلموا حسن فخاف حسن
ان يتعوقوا على ابو زيد فبعث وراء ام مخيبر وقال لها يا ام مخيبر

خذي مفتاح القيد حطيه معك ولما تشوفين الفجر لاح يمكن الامارة يتعوقوا على بعلك وابقي اعطي المفتاح لابنك مخيبر وادعيه يفتح لابيه القيد ويقول له توجهت واحضرت المفتاح من عند الامير حسن واياكِ يا ام مخيبر يعلم بكِ ابو زيد وتخبريه عن المفتاح فقالت له سمعاً وطاعة ثم ذهبت الى عند ابو زيد وقعدت قباله هذا ما جرى على ابو زيد الدرغام ويرجع الكلام الى البردويل الهمام فانه في الصباح دق طبول الحرب والكفاح وبرز الى ساحة الميدان وطلب براز الفرسان فانحدر اليه الامير حسن وحين التقت العين بالعين قال له البردويل اهلاً وسهلاً في امير بني هلال وعامر ومن في الديار والخيل علينا تخامر اما حسن فلما شاهد البردويل وهول جثته وكبر هامته وغلظ رقبته فقال والله ان هذا من عفاريت السيد سليمان ومن افرس ابطال الانس والجان فانطبق عليه واخذ معه في الصدام من الصباح الى وقت الظلام فافترقوا على سلام وكل منهم رجع الى الخيام ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح برز البردويل الى ساحة الميدان فبرز ليه قاضي العربان فلما نظره البردويل قال انت قاضي العربان تريد تحارب الفرسان فقال له القاضي اليوم نريك افعالي وابليك بنزالي وهجم عليه وتماكونا وتصادما ولم يمضي عليهما ساعتين حتى ان البردويل برم الدبوس في يده وضرب القاضي بين كتفيه ظن ان روحه خرجت من بين جنبيه فدار راس جواده وولى هارب والى النجاة طالب فانحدر اليه الامير زيدان وانطبق عليه انطباق الغمام

فما طال عليه المطال حتى كل في الحال فولى هارب والى النجاة طالب فبرز اليه مخيبر وبعده عكرمه ثم مفلح وايضاً عقل حتى برز اليه خمسة وعشرون امير من الفرسان المشهورة والابطال المعروفة فقهر الجميع وتلم على الكبير والصغير ولم يمكث الواحد منهم اكثر من ساعة الا ويولي هارب والى النجاة طالب ومازالوا هكذا حتى امسى المساولما اقبل الظلام دقت طبول الانفصال اخذ كل منهم يشكو مما اصابه من هذا الاسد الريبال وفي ثاني الايام برز الامير دياب الاسد المهاب وصال وجال ولعب برمحه العسال حتى حير عقول الشيوخ والشبان وطلب برز الفرسان فبرز اليه البردويل وهو بعظم جثة الفيل فالتقى البطلين كانهما جبلين وحان عليهما الحين وغنا فوق رؤوسهما غراب البين واخذوا في كر فر واقتراب وابتعاد فلما شاهد الامير دياب ان خصمه شديد وقرم عنيد فاشار الى بني زغبي فطبقوا على قوم البردويل فتلقوهم اولئك في ضرب مثل النار حتى ماعدت تنظر في ذلك النهار الا رؤوس طائرة ودماء فائرة وفرسان غائرة وانذال حائرة والروس تتساقط مثل ورق الشجر فيالها من وقعة مهولة تشيب روس الاطفال وتحير عقول الابطال وكان ذلك اليوم على بني هلال بئس الايام واشر الاعوام وقد كسرتهم عساكر البردويل وارجعوهم الى الخيام ينوحون على مصائب الايام ورجع البردويل الى قصره فرحان وهو يدمدم كالاسد الغضبان هذا كله والامير ابو زيد مقيد قال الناقل فلما بلغ ابو زيد هذا الخبر وما جرى على بني هلال من العبر

اغتاظ وتكدر وصارت عيناه تقدح شرر وصار ابو زيد يتقلب على الفراش مثل التعبان فقالت له ام مخيبر علامك انت حامل كل هذ الهم وانت عندك مال اكثر من غيرك وانت الامارة مايدفعوك غفارة لاي شيء ترمي روحك في المهالك مع هذا الساحر وانت ما سمعت ماذا عمل مع العباد فقال لها ابو زيد والله ما هو على شيء ولكن من غيظي من حسن ودياب ما يعذروني ولازم ان اروح للبردويل واقتله وانا بعون الله تعالى قده ثلاث مرات بكل ما يمكن واما البردويل قد طلب مال وخيل وجمال وعبيد وجوار وسلاح وبنات ملاح واول ماطلب بنتك جمال الظعن كيف تعطيه اياها قالت لا يرحم الله ابوه ولكن انت تقدر عليه وعلى طلاسمه وسحره قال لها ان شاء الله تعالى وانتِ ما تعرفي بعلك يا ام مخيبر والامير حسن كل يوم عند الصباح يعطيك المفتاح ومرادي الآن في هذا الليل ان تسيري اليه وتسرقي المفتاح من جيبته وتجي تفتحي لي القيد واتوجه الى البردويل واقتله واخذ اباحة على بني هلال واشار يقول

يقول الفتى المسمى الامير سلامه والدمع من فوق الخدود طفاحا
يام مخيبر اصغي الى كلامي واعلمي عقلي وذهني والبصر قد راحا
روحي سيري لعند حسن بلا بطا واسرقي من جيبته المفتاحا
وافتحي قيدي سريعاً عاجلاً حتى يزيل عني الهم ثم كفاحا
حتى اروح للبردويل واقتله وادعيه من فوق الوطا مسطاحا
واطفي خبره ثم اطفي حرقتي ويعود في قلبي هنا وفراحا

مقالات ابو زيد الهلالي سلامي يارب تفرجني ايا مفتاحا
قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من كلامه وام مخيبر بنت عمه تسمع نظامه فضحكت وقالت له ماذا تعطي الذي يجيب لك المفتاح فقال لها ما تريدي ان انام عندك اربعين يوم فاذا كنتي تريدي ان تفرجي كربتي افتحي لي القيد واطلقي الباز للصيد فقالت له ان الامير حسن قد أقسم عليَّ بان لا افتح لك الا الصباح فالى اين تريد الذهاب في هذا الليل فاني اخاف عليك من البردويل ان يقتلك ويعجل بدمارك فقال لها ان قتلني تأخذي لك رجل اخر وان قتلوك بعدي فما انت احسن مني فقالت له يا دلنا من بعدك يا ابو شيبان واخرجت المفتاح وفتحت له القيد فوثب للحال مثل النمر الحردان وشد على ابن الحيصا وتصفح بخمس صفح من البولاد ولبس الدرع المصفح وشد حاله بانواع آلة الحرب حتى صار قطعة من البولاد واعتلى على ظهر الجواد كانه قلة من القلل او قطعة فصلت من جبل وشلح عليه وعلى الحصان هياكل الطلاسم والقسام وتحوط بايات الله العظام وسلم روحه الى الواحد العلام وقد جد السير للحال حتى بلغ قصر البردويل الريبال ودار حواليه ثلاث دورات فوجده عالي البنيان رفيع الاركان وهو منفرد عن القوم مسافة نصف يوم وكان وصول ابو زيد عند طلوع الشمس فكان البردويل نايم على ركبة عليا ومتمرد مثل العفريت من اول القصر الى اخره فكان وصول ابو زيد فتقدم الى الباب فوجده مصفح في الواح من البولاد كانه من بنيان ثمود وعاد فرفع يده وضرب الباب في دبوس الحديد فتزعزع القصر بسكانه

وكاد يزيح من مكانه فعند ذلك اتكى على مزراقه وصار يتامل فيمن يرد عليه ويفتح له فما احد رد عليه فدق الباب ثاني وثالث فاتاه سعيد عبد البردويل واشر من الشباك فراى ابو زيد راكب على ظهر الجواد وهو كقطعة من بولاد فقال له ما تريد ايها الفارس العنيد والبطل الصنديد فقال له ابو زيد اريد مولاك البردويل يا ايها العبد الذليل فاذهب اليه وقل له فارس على الباب طالبك الى الحرب والكفاح فاندهش العبد من هذه الجسارة ورجع واخبر سيدته عليا بهذه العبارة فان مولاه البردويل كان نائم على ركبتها فقال لها يا مولاتي ان فارس على الباب اسمر اللون بطل عنيد كانه البرج المشيد وهو قد ملا الارض بصراخه ولما رآني قال لي قل لمولاك البردويل ان يبرز الى الحرب والكفاح فقالت له ما قال لك عن اسمه اجابها لا ولكن هيئته تدل انه اعرابي وبينما العبد يخبرها بذلك والا سمعت صوت من خارج القصر يقصف كالرعد حتى كادت تهتز منه اساسات القصر وكان الصوت صوت ابو زيد وهو يقول قم يا بردويل من نومك الآن وفيما بعد ادعوك تنام الى الابد فلما سمعت عليا هذا الصوت ارتعشت فرائصها ورفعت راس البردويل عن ركبتها ووضعته على مخدة ناعمة واشرفت الى الشباك قبال الامير ابو زيد وتاملت فيه واذا هو مثل الصقر وقلبه اشد من الصخر فلما نظر ابو زيد ذلك المنظر كانها البدر المنير حول نظره عنها فقالت ما مرادك ومن اي قبيلة انت فقال لها انا الامير ابو زيد من بني هلال ومرادي احارب البردويل في هذا

النهار ودعيه ينزل الى حربي فلما سمعت منه هذا الكلام اخذت تترحب به وتخبره عن حالها وتقول

تقول فتاة الحي عليا التي شكت ... ولي قلب من جور الزمان تلوف
ولي عين طول الليل ماتألف الكرى ... هما دمعها فوق الخدود الوف
اناكنت قبل اليوم ما اعرف البلا ... وربي بلاني والزمان ظروف
فاسمع ايا صنديد مني وافتهم ... واصغى لقولي لاتكون جنوف
ان الملك مرصاد ما مثله حدا ... يحكم على قوم بغير جنوف
مائة الف امير تركب مع ابي ... ومائتين الف عساكره وصفوف
خمسون الف من العبيد وغيره ... ماكولهم لحم الغنم معلوف
وانا التي قد قاق حسني على القمر ... حتى دعاه البردويل كسوف
قتل ابوي بوسط عكا بظلمه ... ودعاه من فوق الثرى محدوف
واباد عساكرنا وشتت شملنا ... وانا اخذني غصب عني عسوف
وانا ثمان سنين اندب حائرة ... حتى الهي من سماه يشوف
فاراد اخذي ابن راشد زوجة ... ايام سعدي قد اتت سعوف
ان كنت ياصنديد تفرج همنا ... جبراً لقلب الخايف الملهوف
ادعو لربه من سماه يخلصك ... من شر هذا الناكر المعروف
ماقالت عليا على ما جرى لها ... يانار قلبي لا تزيدي لهوف

فلما فرغت عليا من كلامها والامير ابو زيد يسمع نظامها اشار يجاوبها في هذا القصيد ويقول

يقول ابو زيد الهلالي سلامي ... ولي قلب اقوى من حديد صروف

ولي همة تعلو على كل ماجد وانا بالشجاعة والكرم موصوف
فيا ست عليا اسمعي ما اقوله واصغي لقولي والكلام حروف
لقد جيت نحو البردويل احاربه بنفسي واترك قلبه ملهوف
فانا امير هلال بل مقدامهم انا عونهم دون الانام سعوف
لابد عن قتل ابن راشد عاجلاً بزندي وكفي والقنا وسيوف
اما ويقتلني واما اقتله وانت عيونك للتنين تشوف
واخذ لك بالثار تشفي غليلك ونجم سعدك على النجوم يشوف
يا عليا ادعي البردويل بسرعة ينزل الى حربي بلا مكاوف
يقول ابو زيد الهلالى سلامه ايا نار قلبي مثل بحر يطوف

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من كلامه والست عليا تسمع نظامه قالت له انا خائفة عليك من البردويل ان يذيقك الحرب الوبيل لانه فارس ما له مثيل ولا يوجد مثله في الافاق قال لها ابو زيد نبهيه ان ياتيني من دون اطالة كلام واليوم تنظرين افعالي والسلام ولا بد ان تذكري افعالي على الدوام فعند ذلك توجهت عليا الى البردويل فرأته غارقاً في المنام فلما افاق قصت عليه ماسمعت من الكلام واخبرته عن قدوم البطل ابو زيد الصنديد وانه عن قتله لايحيد فلما سمع كلامها من الاول الى الاخر فقام وقعد وارغى وأزبد وقال لها بغضب كيف اقلقتيني وفي وفي هذا الكلام ازعجتيني ثم اشار عليها في هذا القصيد يقول

يقول الفتى البردويل ابن راشد وقلبي صفا منذ صرت انام ارتاح
فمالك توعيني ووقتي ما اتى وانا في لذيذ النوم وقت صباح

يا عليا خليني انام بجانبك   لعند صلاة العصر انا مرتاح
وقلبي بك دون الانام مولع   لو كان غيري كان عقله راح
بملك شجاع القلب ما له مناطح   سبع الفلا من هول حربه راح
قال الفتى البردويل ابن راشد   انا الفارس القهار انا الجحجاح

قال الراوي فلما فرغ البردويل من كلامه قال لها لوما كنتِ اعزمن عيوني وشاع فيك غرامي وشجوني لكنت ضربت عنقك في هذا الحسام فكيف تخيفيني من فارس او من مناية فارس او من الف فارس وانا لا احسب لكل من دب على الغبرا وطار في السما حساب فقالت له اهل كل الرجال رجال او الثعالب مثل اسد الدحال فمازالت النساء تحبل وتلد ما على وجه الارض شاطر فلما سمع من عليا هذا الكلام صار الضيا في عينيه ظلام وصرخ صوتاً ادوت له الجبال واهتزت من هوله التلال وقال لها كفاكِ هزيان يابنت اللئام والا قطعت راسك بهذا الحسام فلما سمعه ابو زيد من خارج الدار صاح عليه صوتاً وقال له اسكت ياحمار وانزل الى قبالي فسترى بلائي انزل قبالي والا اهدم عليك القصر قبل ان ياتي وقت العصر فلما سمع البردويل هذا الكلام صار الضياء في عينيه ظلام فقام لساعته ولبس آلة حربه وعدته وافرد على بدنه درع داوودي مصفح وتقلد في سيف كانه البرق اللامع او الموت الماحق ووضع على جنبه طاقية الاخفا ونادى علَى عبده مسعود وقال شد لي على جوادي المعهود وللحال شد عليه واحضره اليه فوثب راكب عليه وعلا فوق ظهره كالبرج المشيد وهو كقطعة من حديد حتى صار كانه قلة من القلال او قطعت فصلت من جبل وقال للعبد افتح

لي الباب وحافظ على مافي القصر والا اذيقك العذاب ففتح العبد الباب وكان مصفحاً بالحديد وحصل ابو زيد على فرج ماعليه من مزيد ولما فتح الباب تاخر الى الوراء واخذ يقرأ ايات الله العظام ويقول عونك يارب الانام وحينئذٍ خرج البردويل كانه سبع كاسر او اسد ظافر واخذ يلاعب حصانه كانه فرخ جان او من عفاريت السيد سليمان وكان ابو زيد متكي على رمحه يلتفت ذات اليمين والشمال فنزل اليه البردويل وناداه قائلاً تعال يااعرابي حتى انظر ماهو مرادك ومن الذي قادك وغربك فاخذت ابو زيد الحمية الجاهلية والنخوة العربية وهجم عليه هجمة الاسود فالتقيا البطلين كانهما جبلين او اسدين درغامين اوبحرين متلاطمين كانهما كفتي ميزان او بيضتي قبان تكالوا بالعرق الى ان صارت الخيل تحتهما كالعاق وكل من على رفيقه طبق وتمنى كل واحد منهما انه ما كان خلق تارة يتفارقا وتارة يتلاشقا وعلت منهما الصيحات حتى ملات الفلوات فعندما راى البردويل انه تعبان من صدمات ابو زيد ليث الميدان طلب سعفة ملوك الجان وانشد وقال

قال ابن راشد من فواد مبتلي ... والنار في قلبي تزيد وقادي
الا يا ملوك الجان قولي فاسمعوا ... الا افهموا ماقلت من الانشادي
يا ملك شمرخ اتيني بعزوتك ... عكرش ومكرش ثم ابن جرادي
كذاك يا غرموس هات لعصبتك ... واقف قبالي اين شخصك بادي
وانت يا غيلان هات لقومك ... مثل الجراد واربطوا بالوادي
يا شمرذان فلا تخالف كلمتي ... واشفي لقلبي مرة في مرادي
ولد راشد اليوم اقضوا حاجته ... قبل ان يروح مهزوماً وينادي

قال الراوي فلما فرغ البردويل من كلامه وابو زيد رافع عينيه الى السماء غير مكترث بنظامه بل كان يقرا الفاتحة ويذكر كلام الله ثم بعد ذلك التفت الى نحو البردويل فوجده لابس الطاقية فقال له اراك يا امير راشد جهول ثم اشار بيده الى الملوك العلويين وقال

يقول ابو زيد الهلالي سلامه ... فانا بفعل المكرمات انادي
اصيل من الجدين فخر قبيلتي ... شريف ذكي الاصل من امجاد
وامي شريفة يا ابن راشد اصلها ... منسوبة الجدين ذات عماد
واسم امك صالحا يا بردويل ... من لمتك كانت تشيل مرادي
ابوك افرنجي وجدك حنا ... وانت مخالف يالعين مرادي
ان كنت ما تسلم دهيتك طعنة ... واصير لك بين الملوك معادي
وان كان عندك قبع آخر البسه ... وقلوسي البس مع لبادي
عندي عزايم مع مزايد كثيرة ... بحكم على الخدام ثم مرادي
اسبع قبائل والملوك سبعة ... ايضاً خرفوس طاع والاجنادي
والكواكب والمنازل والبروج ... هو مسندي عند المنام وسادي
والرمل عندي من زمان اسكندر ... واليوم جيتك بالمزراق انادي
ضربت انا بالرمل اخذت علامك ... لقيت لك اضمار وشكل سوادي
وعزيمتك بطلتها يا بردويل ... لو صار لك اجواز مع افرادي
قلت بسم الله اول ما ابتديت ... اني بعون الله انا معتادي
انا اسالك ربي بموسى وعيسى ... كذا بالنبي المختار ذي الامجادي
فارسل ملاكك يعتني بحراستي ... واحفظني يارب من ذي عادي

وارسل روفائيل نحوي يعينني ويخزي ملوك الجان عني عادي
يارب يا رحمن اسمع دعوتي وغثني بلطفك يا سميع مرادي
مقالات ابو زيد الهلالي سلامه فاليوم جاك الموت والانكادي

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من كلامه والبردويل يسمع نظامه استشاط غضباً وغيظاً فما عدت تسمع الا صياح وهدير ودمدمة في السن مختلفة وكنت تسمع الصوت ولا ترى الزوال هذا والبردويل لما وجد حاله مغلوب ولم يقدر ان يختفي من قدام ابو زيد حيث الملائكة العلويه طردت ملوك الجان السفلية الى سابع ارض وبطلت عزيتهم وعدمت تبعته السحرية ولم تخفه عن الاعين ندم على ما فرط منه في حرب ابوزيد وكانت عليا تتفرج من الشباك فلما نظرت البردويل قد انقطع امله وحار في امره وابو زيد غلبه فرحت وصارت تزلغط الى ابو زيد فظن البردويل ان هذا الاعتناء لاجله ولم يعلم انه لاجل عجزه وفشله فاخذته الحمية والنخوة وهجم على ابو زيد مثل النمر اذا خطر فتلقاه ابو زيد كما تلتقي الارض العطشانة وابل المطر وعلا منهما الصياح حتى ملاء تلك الروابي والبطاح وصار الامير ابو زيد يدور حول البردويل وهو مشرعاً سيفه الثقيل ورمحه الطويل فحينئذٍ تيقن البردويل في ذهاب روحه وزوال سعادته فهز ابو زيد في يده عود الزان وصرخ فيه صوت هائل وقال له خذها من يد سلامه لاجل عينين عليا مالها اليوم فردت عليه عايا وقالت له انا شاهدة ونعم شاهد وقواك ربي يا متين السواعد فلما نظر البردويل هذا تعجب واخذه الخوف والاضطراب فطلب من الامير ابو زيد الامان وعلى

مافرط منه ندمان فانشد من قلب كوته الحسرات هذه الابيات

قال ابن راشد في بيوت متممي — النار في قلبي تهب وتضرمي

يا امير ابو زيد انا واقع عليك — جيرني يا ريت عمرك يسلمي

قال الراوي فلما فرغ البردويل من هذه الابيات ونيران قلبه تشتعل بالجمرات وهو متاسف على ما فات قال له ابو زيد دع عنك هذا المقال ولا تطلب المحال ثم صرخ فيه صوتاً مثل الرعد القاصف وانطبق عليه كالموت الخاطف ثم ضايقه وسد عليه طرقه وطرايقه وقرب اليه وحاذاه وحك الركاب في الركاب بقلب لا يهاب ثم هز عود الزان حتى التوا الكعب ودق بالسنان وصاح فيه صيحة ارعبته ورفع يده وقال اللهم استر عن عبدك يا من رفعت السماء وبسطت الارض وطعن البردويل في صدره خرج الرمح يلمع من ظهره ومن عظم الطعنه اصاب الرمح صخرة كانت وراء البردويل فشقها فوقع البردويل على الارض يختبط طوله بالعرض وزالت عنه النعم وحلت به النقم وذهبت روحه الى جهنم فقالت له عليا لا شلت يمينك يا فارس الزحام وحامي دين الاسلام وحالاً نزل ابو زيد عن ظهر الجواد وسحب لسانه وازال اسنانه واخذ الطاقية والدرع والسيف والخوذة والرمح ثم تقدم الى تلك الصخرة وكتب عليها بخط واضح هذه ضربة ابو زيد الهلالي سلامه وذكر في اخر كلامه ملعون ابن ملعون كل من يمر من هذا المكان ويقرا الكتابة ولم يمسح الغبار عنها والصخرة موجودة الان في عرلش مصر ثم التفتت الست عليا وقالت الى الامير ابو زيد خذ هذه بدلة البردويل فانت احق بها

فاخذها الامير ابوزيد وعلق الجميع في قربوص ابن الحيصا واتى نحو باب
القصر وكان ذلك وقت العصر وختمه في ختمه وركب على ظهر الجواد
وقال خاطرك يا ست عليا يا بنت الامجاد فارجوك عندما تطلبين للشهادة
تظهرين واقعة الحال كالعادة وتتكلمي كما نظرت وخبري كما شفت فقالت
ارجوك ان تدخل القصر لاجل اخذ الراحة ثم تناول الطعام ايها البطل
الدرغام والليث الهمام لانه قد طال عليك المطال وتعبت في كل حال
من الحرب والكفاح في البيض الصفاح فقال ابو زيد انا لا ادخل
الدار خوفاً عليك من العار لكونك غريبة فيكون كلام الناس امر من
ضرب السلاح واما الان اعطيني المفتاح لكي اقفل عليك القصر حينئذٍ
حققت عليا شهامته وعرفت نخوته واكدت انه من امارة بني هلال فاعطته
المفتاح فاخذه وقفل باب القصر ودار راس جواده الى ناحية بني هلال
فوصل في نصف الليل ودخل الى صيوان ام مخيبر فراها اخذت في
البكاء والعويل والحزن الطويل فقال لها ابوزيد مالك يا ام مخيبر حايرة
تذرفين الدموع فلما نظرت الامير ابوزيد شهقت من شدة الفرح وقالت
له قد احرمتني نوم الليل وانا اساهر نجم سهيل وقد طالت غيبتك هذين
اليومين وخشيت ان يسالني عنك احد واحرم من مشاهدتك الى الابد
فقال لها الحمد لله على اجتماع الشمل وزوال الكروب قال هذا ووضع
ما اتى به من امتعة البردويل في الصندوق ثم قيد نفسه بالقيد الذهبي
حيث وضعه في رجليه وتظاهر بان لا له ولا عليه هذا ما كان من ابوزيد
واما ما كان من الامير حسن وهو في الديوان وحواليه الامارا والاعيان

فقال لهم نهار البارح قد التهينا في الضيوف وتركنا الامير ابو زيد
ولا شفنا كيف حاله والبردويل ماعاد طلبنا للحرب فقوموا واذهبوا
لعنده ودعوه ياتي حتى ننظر ماهو رايه فراح احد الاماره واخذ معه
المفتاح غير الذي كان مع ام مخيبر ودخل على ابو زيد وقال له عن
امر الامير حسن ارفع القيد من رجلك واذهب اليه فقال له ابوزيد
قد صار لي ثلاثة ايام ولا نظرت منكم احد نسيتم اليوم ابو زيد ولكن
لاباس فالله يجازي كل باعماله فقال له الامير قايد والله يا امير ابوزيد
ما نسيناك ولا غدرنا بك ولكن كان موجود ضيوف عند الامير
حسن وهذا هو المانع من زيارتك فبعد هذا الكلام فك القيد من
رجل الامير ابو زيد وقام وركب دون سلاح وما حمل معه سوى
عصاه بيده وتوجه نحو الامير حسن فحين وصل الى الخيام قام الجميع
له على الاقدام وحيوه باحسن تحية وسلام وقال له الامير حسن لا
تواخذني يا ابن عمي فقد غفلنا عنك بمقابلة الضيوف وضيافة الغرباء
فقال له الامير ابو شيبان لاباس ولكن ماذا عملتم من المصالح في حرب
البردويل فقالوا نحن ارسلنا وراك لناخذ رايك الجليل فقال له الامير
ابو زيد والله يا حسن ان البردويل هو فارس من الفرسان وليس
من يقدر على حربه من ملوك الانس والجان فمالي راي الا ان ترسل
له عشر المال والنوق والجمال والنسا والعيال ونروح جميعنا اليه والمحارم
في رقابنا فقال حسن في هذا الوقت قد تكلمت الصواب والقول
الذي لا يعاب واشار اليه في هذا القصيد يقول

قال الفتى حسن الهلالي ابو علي — الان يا ابو زيد قد قلت الحقيق
ابن راشد تراه قرم غشمشم — مقاتل بالوغا يوم المديق
من له يوم الطعان يقاربه — قد دعا دمه على الغبرا دقيق
قومه ستين الف عدادهم — ستين الفاً دمهم راحوا محيق
لو كنت تبرز يا امير لحربه — قد كنت ذقت الموت ذا امر حقيق
قال الفتى حسن الهلالي ابو علي — حدت يا ابو زيد عن صدق الطريق
رد ابو زيد الهلالي وقال له — انت لي يا ابو علي صدق الصديق
كان قصدي ان امير لحربه — وانا سكران من خمر العتيق
قلت كل الناس في الحرب سوى — ثم غالطت الهواجس والطريق
ما نزل له فارساً الا غدا — مائتاً او ممسكاً بلا رفيق
فانا اعطيه مالاً وافياً — عشر ذي الاموال مع شي يليق
قال ابو زيد الهلالي سلامه — قلبي شعل يا ناس بنار الحريق

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من كلامه والامير حسن وبقية الامارا يسمعون نظامه قالوا بارك الله فيك واعطاك كلما يكفيك الان ارحت افكارنا واشتريت اعمارنا هذا ما كان من امر هولاء السادات واما اسمع ما جرى من بعد ذلك انه في صباح اليوم الثاني الذي قتل فيه البردويل اخذت الرعيان في تسريح المواشي حسب العادة فسار منهم ثلاثة رعيان وسرحوا في قرب قصر البردويل وكان لهم عادة يضجعوا في ظل القصر لان البردويل ما كان يقوم الا الى العصر فقبل ان بلغوا المكان المقصود نظروا شخص البردويل علَى الثرى ممدود

وهو منفوخ مثل البرميل ولم يعلموا انه قتيل ولكن توهموا بانه راصدهم ليغتابهم فقال بعضهم لبعض هذه النومة ميشومة فتاخروا ولم يتجاسروا على الدنو من ذلك المكان خوفاً من ان يسطي عليهم هذا القرنان وكان بينهم عبد اسمه مسعود فقال لهم انا مرادي اذهب اليه وانظر ماحو اليه فان نظرني اقول له انا آتيت بهذا الطرش من عند العرب واريد ان اعيش في ظلك وانال الارب وان ما شافني ارد وارجع واترك عني الفزع فقالوا رايك مناسب فتوجه مسعود الى ان وصل الى قرب القصر خايف ولهان فراى البردويل مقتول وعلى الثرى مغلول وعظم جثته كجثة الغول وراى راسه بعيد عن جثته ولسانه ماخوذاً منه فاخذ يتفرج على ذلك الراس وهو قد راس الثور الكبير فاخذه الرعب والفزع والقلق والجزع وصار يلتفت يميناً وشمالاً وخلفاً واماماً فلم يجد احداً فقوى قلبه وسكن روعه وجاشه وعليا تنظر اليه من الشباك فصاح مسعود هيا اصحاب القصر علام سيدكم قتيل وانتم نيام يا حيف على هذا البنا يترك هذا المقدام فاجابته عليا من الشباك وهي تضحك عليه فسال عن زوجها البردويل فاشارت اليه تقول

تقول فتاة الحي عليا بما جرى	والنار في جوي الحشا زادت ضرام
اسمع كلامي ايا مسعود وافتهم	ما اتى راعي ولا قد جاء غلام
هذا بعلي البردويل بلا خفا	من اين اتاه السهم هل من الغمام
بان لي بانك انت غريمه	باين عليك انت من الفوارس العظام
افتخر في قتله عند الملوك	يبقى لك هيبة كما سبع الاكام

قال الراوي فلما فرغت الست عليا من كلامها ومسعود العبد يسمع نظامها ظن انه يخدعها وقال لها انا الذي قتلته وللحياة اعدمته ومرادي اخذ راسه الى اميرنا حسن الهلالي وافتخر في قتله على جميع العربان فقالت له افعل ما تريد لانك تستاهل ان تكون سيداً على العبيد فاخذ مسعود الراس وكان هايل جداً فقدح الدينين وربط الراس في مرسة وعلقه في كتفه وراح يترنم بقوله ما كل العبيد عبيد ولا كل الموالي موالي فلما شاهدوه العبيد قالوا له ايش هذا يا ابن الخالة قال لهم اسكتوا يا طناجير واولاد الارزال انا قد قتلت البردويل وساصير سيدكم ومولاكم الجليل وها انا اخذه لعند الامير حسن وانتم اشهدوا لي في ذلك قالوا له على الراس ثم العين فساقوا الجمال ومسعود العبد يعدهم بالخير ونوال الامال حتى وصلوا الى النجع وعند ذلك شاعت الاخبار بان مسعود العبد قتل البردويل فعندها اجتمعت الناس ولاقوه بالاغاني والافراح وخلعوا عليه الخلع الحسان واخذوا يثنون عَلَى مسعود ويحمدونه وهو يطنب مثل الديك على المزابل فقاموا الضجة والصراخ وكان العبيد حول مسعود يغنون الاغاني وينشدون النشائد وكان هو حامل راس البردويل على كتفه حتى وصل الى صيوان الامير حسن ورمى الراس قدام الصيوان وكان كراس مردة الجان فخرج الامير حسن والامارة يتفرجون على ذلك الراس الهائل والشعر فيه كالجدايل وقد تعجب الجميع من فعل مسعود البطل المعدود فقال الامير حسن والله الذي اتى براس البردويل هو بطل ما له مثيل وله مني الانعام الجزيل فوثب مسعود وقال

لعينيك يا سيدي عبدك مسعود اتى بالراس واخمد من ذاك الشقى الانفاس واعدمه الاحساس فقال الامير حسن لله العجب من كان يقول ان منية البردويل تقضي على يد عبدنا مسعود وقد كان هذا يخطف الارواح ويتركها كالاشباح وذقنا من حربه البلا والكرب وانواع الذل والعجب وقد خرب البلاد وهلك العباد ثم التفت الى العبد وقال يا مسعود كيف عملت في قتل البردويل فقام وقبل يد الامير حسن وقال يا طويل العمر وعديم المثال في مدى الدهر قد كان عبد دولتكم في البرية والجمال سارحة فاخذتنا هجمة النوم فنمنا قليلاً ثم استيقظنا فوجدنا بوشنا غابت عن اعيننا حتى بلغت قصر البردويل وتلك القفر فتوجهت بنفسي لاردها وعن عنادها اصدها فلاقاني ابن راشد ونهرني وظن انه يوهرني ولكن لم ارد عليه وتقدمت اليها لاردها فاتاني وهو مثل السبع الكاسر ورفع في يد الدبوس واراد اعدامي الحياة ويذيقني الممات فزحت عن الضربة فراحت خائبة غير صائبة ثم وضعت حجراً في مقلاعي وفعلت فعل داود في جليات واذقت البردويل الحسرات لانه بالقضاء والقدر اتت الضربة بين عينيه فخرج الدم يدفق من بين شفتيه وحالاً تقدمت اليه وعجلت عليه وطرحته على الارض فانقطع منه النفس وخلص منه البصر وسحبت في يدي السكين وقطعت راسه واخمدت انفاسه وان هولاء العبيد جميعهم يشهدون لي بذلك فقالت العبيد نعم ثم نعم انه قد قطع راس البردويل امامنا فقال مسعود اريد منك يا سيدي ان تجعلني سيداً على كافة

العبد وان تزوجني ابنة بيضاء واربع جوار سود وان تعطيني جوادمن خواص الخيل وعدة حرب كاملة والف دينار ومواشي وعبيدوغلمان فقال القاضي تستاهل يا مسعود ازود من ذلك فالحال نهض ابو زيد على اقدامه وقال كفاك ياعبد السوء هزيان اما تستحي انك تقول قتلت البردويل يا ايها الهبيل قال العبد نعم وحيات راسك وراس الاميرحسن فقال له ياعبد السوء انت افرس مني ومن الامير دياب فقال مسعود ان لكل انسان منية والبردويل منيته على يدي فقال ابو زيد في اي شيء قتلته فقال حسن كيف ماكان قتله اما اراحنا منه ربما كان يلعب في الميدان وقنطر فيه الحصان ومسعود جز راسه فقال ابو زيد تمهل يا حسن قليلاً ثم قام وفتح فم البردويل وقال اظنه كان اخرس لان ليس له لسان فما هذا الشان وقام الجميع ونظروا ذلك وتعجبوا فقال حسن يا مسعود لما طلع البردويل اليك ما كلمك ابداً فقال نعم وكان صوته مثل الرعد القاصف فبالحال وقف ابو زيد وقال له اين درعه واين طاقيته واين سيفه ورمحه وجواده وبدلته وحصانه وقد اخذت من ابو زيد الحدة وصار يستهزي على من حضر لتصديقهم على كذب العبد وانشد يقول

يقول ابو زيد الهلالي سلامه وعزمي امضى من سيوف ورماح
يا امارا اسمعوا شرح قصتي واصغوا لقولي وقللوا المزاح
وهذا العبد مسعود يضحك عليكم ايضاً حسن يختم له بنجاح
هذا الكلام كلام الكذب ماهو صادق اين عقلك ياحسن والذهن راح

اين لسان البردويل ياذا القروم ... طوله شبرين يشبه للوشاح
اين درع البردويل وعدته ... اين سيفه ثم رمحه والسلاح
اين طاقية الاخفا واين الحصان ... وقاته العالي الى خد الصفاح
ابن راشد كان خيالاً مليح ... ما احد يلقاه في وقت الكفاح
تحته ادهم مضمر يا حسن ... عند ما يركض يشبه للرياح
كيف عبدك جاب راس البردويل ... ما معه يا امير سيف ولا رماح
سر لنحو القصر واكشف للخبر ... زوجته تنبيك في امر الوضاح
انما سيفي الذي قد قده ... اسأل لعليا زوجته ست الملاح
الة الحرب شهود والجواد ... وكذا الطاقية والدرع الصفاح
قال ابو زيد الهلالي سلامي ... الحق ما يخفى على قوم فصاح

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من كلامه والامارة تسمع نظامه فقام وركب جواده وتوجه الى عند ام مخيبر واتى بعدة البردويل والحصان والطاقية والسيف والرمح وكل ما كان عنده من امتعة البردويل واتى بهم الى صيوان الامير حسن ووضع الجميع امام الامارة ثم رمى بلسان البردويل امام الامير دياب وقال له تفرج على هذا اللسان فبهتوا الامارا وتعجبوا من هذا الامر واما مسعود العبد فحين نظر ما جرى صار ينسحب بحرفة الى ان هرب من الصيوان لعند الرعيان اما الامارة فاقاموا من ساعتها وركبوا خيولهم وكانوا الفين امير من الفرسان المعدودة والرجال المشهورة وقالوا الى الامير ابو زيد اركب معنا فقال انا ما اروح حتى ينكشف لكم حقيقة الخبر فركبوا وفي اوائلهم الامير

حسن وساروا الجميع نحو قصر البردويل وعند وصولهم اليه وجدوه قصر عالي البنيان مشيد الاركان فداروا حواليه فوجدوا قبة الباب كانها طود من الاطواد فقالوا والله ان البردويل كان فارس عظيم فتقدم حسن نحو باب القصر فوجده مختوماً بختم ابو زيد فقال حسن يا هل ترى هل يوجد احد في هذا القصر فما اتم كلامه الا وعليا اشرفت من الشباك فشاهدت الامير حسن وامارة بني هلال قال الناقل وكان للقصر باب صغير غير الذي قفله ابو زيد وختمه بختمه فنزلت عليا منه واقبلت الى امام الامير حسن وقبلت يديه وتمثلت بخدمته وحينئذ سالها عن قتل البردويل فحكت له كل ما جرى لابو زيد معه وما فعل العبد مسعود بعد ذلك وماذا جاوبته عند ما سالها عن قتل زوجها

فلما فرغت الست عليا من كلامها والامير حسن وبقية الامارة يسمعون قولها قال الامير حسن والله ما هذه الا افعال الامير ابو زيد ثم قال الى عليا واين المفتاح فقالت له مع الامير ابو زيد وبينما هم في الحديث الا واقبل الامير ابوزيد راكب على ابن الحيصا فعند ما اقبل قاموا له على الاقدام ولاقوه وحيوه في الاكرام واثنوا عليه وقالوا له لله درك من بطل مقدام لا تخشى نوائب الايام وحينئذٍ قام ابو زيد واخذ مفتاح الباب المصفح بالحديد والزرد النضيد وفتحه وادخلهم الى القصر ليتفرجوا على حسن فرشه وما فيه من انواع التحف والمواد التي تحير العقول وتدهش الفكر هذا ما كان من هولاء الكرام واما ما كان من قوم البردويل عند ما علموا بموت ملكهم ساروا لعند ابن

اخته مسعود وكان عدو لخاله البردويل وكان نازل في اطراف العريش فاخبروه بقتل خاله البردويل ثم قال لهم سعيد ما الراي عندكم في بنو هلال قالوا الجميع عن فرد لسان ان بنو هلال نجم سعدهم عالي واميرهم حسن الهلالي وهذا قد ارتقى ما لا يرتقي غيره من درج المعاني فاننا نشير عليك ان نركب جميعنا ونسير اليه ونوقع بين يديه ونطلب منه ان يجلسك مكان خالك فاستصوب سعيد كلامهم وسار معهم لعند الامير حسن فلما وصلوا الى دار بني هلال طلبوا ان يوذن لهم بالدخول على الامير حسن فدخلوا عليه وقبلوا الارض بين يديه واخبروه عن حالهم فترحب بهم حسن غاية الترحيب ولبس الامير سعيد خلعة سنية وحلة ملوكية واجلسه مكان خاله وعين عليه الجزية وكتبوا كتاب الامير سعيد على الست عليا امرأة خاله البردويل وبعد ذلك امر الامير حسن بدق الطبول وان يرحلوا من تلك التلول فنشرت الرايات وركبت العماريات على الهوادج واعتلوا الفرسان ظهور الخيول واخذوا يجدون لسير حتى وصلوا الى مصر القاهرة

انتهى الجزء الثاني عشر من تغريبة بني هلال

ويليه الجزء الثالث عشر وفيه قصة الفرمند ملك مصر

يباع هذا الجزء مع جميع الكتب والقصص باسعار متهاودة جداً في

مكتبة الترقي

لصاحبيها شكري الخوري وشركاه في بيروت

الكتاب الثالث عشر

من تغريبة بني هلال

﴿من نجد العدية الى بلاد الغرب﴾

﴿وهو ديوان﴾

الملك الفرمند

حاكم مصر القاهرة ونزول بني هلال عليه وتبنيج
الملك فرمند ومحاربة بني هلال مع اهالي مصر

يطلب من

مكتبة الترقي

لصاحبها

شكري الخوري وشركاه

شرقي ساحة البرج اول طريق النهر . (بيروت)

برخصة مجلس معارف ولاية بيروت الجليلة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الراوي انه كان في بلاد مصر ملك يقال له الملك فرمند ابن متوج وكان ملك عظيم الشان يحكم على ابطال وفرسان يكل عن وصفها اللسان . ولما بنى هلال قتلوا البردويل وولوا مكانه ابن اخته سعيد قاموا ونبهوا على الرحيل وساروا يقطعوا كل سهل وبر حتى وصلوا الى مصر فنزلوا في تلك النواحي والاطراف ورعوا الزرع حتى حصدوه حصيد هذا ما كان من بنى هلال واما ما كان من فرمند ملك مصر فانه في تلك الليلة حلم منام هائل المنظر فقام مرعوباً فاحضر الرمال واشار يخبره عن ذلك المنام ويقول

يقول الفتى الفرمند ابن متوج — بدمع جرى فوق الخدود سجام
ايا نار قلبي زايدة في لهيبها — يهب لها ريحا تزيد ضرام
رايت مناماً آخر الليل راعني — واقلقني والعالمين نيام
رايت ناراً اضرمت في بلادنا — وقد احرقت اشجارها واكرام
واضرمت على الماء والتراب وغيره — والشجر الاخضر فعاد حطام
ورايت سباع ماليا السهل والفضا — ومعهم لبوات بحسن قوام

يهيوا لى بالعين قدام ناظري كغزلان زنجي في مراح خزام
فهميت الى اللبوات اني اصيدهم الا وسبع اسمر عليّ حام
ورفع الى عنقه وهم وناشني فوليت منه هارباً وهزام
فوليت نحو القصر هارب ومرتعب الا وطير ابيض عليّ حام
ضربني بمنقاره وحط مخالبه في وسط قلبي والدما قد عام
فقزيت من هذا المنام خايف تحيرت يا ناس في هذه الاحلام
ونستغفر الله العظيم من الخطا اله تعالى واحد علام

قال الراوي فلما فرغ الفرمند من كلامه والرمال يسمع منه نظامه فاشار الرمال يفسر له منامه

يقول ابن بدران الفهيم الي شكى فسبحان ربي واحد علام
فسبحان رحمن جل جلاله يعلم دبيب النمل جنح ظلام
خلقنا وانشانا ويعلم عدادنا ومنه العطا والخير والانعام
عرفت منامك يامليك وبان لي وقد راعني من دون كل منام
فالنار هذه حرب يصير وضجة وتعلا عجاجته وضرب حسام
هذه عرب تسموا هلال بن عامر عربان على عدا الحصا ورِدام
وخربوا بلاد الاعجام قبل ما اتوا ومن بعدها خربوا بلاد الشام
واما السباع الذي تقول رأيتهم وهم يتزاحمون في البلاد زحام
والسبع الاسمر هذا الهلالي سلامه امير الملا سائر بهم قدام
والطير الذي جاء من البر لاشك وخلا دمائك على الثرى سجام
فهذا ابو موسى دياب ابن غانم وتحته شهبا مثل طير وحام

نمرك بيده يا ملك في بلادنا ونهى علتك الاهل والالزام
فان طعتني يا امير لاتعرض لهم هما بوادي خيرين كرام
فما ينزلوا ارضك وما يقربونها ولا ينصبوا في ذي البلادخيام
محابيسهم عند الزناتي خليفه لهم عنده مدة سبع اعوام
وانا بنصحك ياامير لا تتعرض لهم وانا ناصحك والنصح خير كلام
وهذا كلامي يا ملك مصر افهمه ولله كل الامر والاحكام
ونستغفر الله العظيم من الخطا اله تعالى واحد علام

قال الراوي فلما فرغ الرمال من كلامه اضطرب الملك اضطراب عظيم وصار في حساب وامور صعاب وهو في هذا الحال واذ دخل عليه المهلهل حاكم الصالحية وسلم عليه وبكى بين يديه واشار يعلمه بواقعة الحال ويذكر قدوم بني هلال الى تلك الاطلال بهذا الشعر والمقال

يقول الذي المسمى الامير مهلهل ايا ملك اصغى وافهم لقولي
بنو هلال قد اتو لبلادنا كل النواحي عرضها والطول
رعيوا مراعينا وكل زرعنا والارض قفرا عشبها ماكول
مثل الجراد فروعهم وجموعهم والبوش والله يذهل للعقول
يا امير ماجوا ارض الا وغدت قفرا وحكم صحابها معزول
قتلوا لسادات العجم وملوكها وتغنموا بمالهم وخيول
كذا الخزاعي مثل بدريس الملك قتلوه في حاب بحد نصول
اما قبرس كان فيها حاكم يسمى الملك هراس قرم مهول

قد اسر اميرهم دياب بحيلة · فخاصه ابو زيد من كل شدة وهول
كذا شبيب انتبعي بالزرقا · قتلوه وصار حكمه معزول
والسركسي قد راح داخل غزة · ماسور من فرسانهم مخزول
والبردويل اسقاه ابو زيد الفنا · وكانت يده على انام بطول
ايضاً بالاسكندرية راح ابن مجاجه · ذاقه الفتى الزغبي دياب الهول
واليوم قد صار الجميع بمصرنا · والناس منهم قد غدون جفول
ان لم تبادرهم بجمع العسكر · ملكوا الارض عرضها والطول
قوموا بنا ندهم هلال وعامر · نهجم عليهم والانام غفول
قول الفتى المسمى الامير مهلهل · من كان عارف يفهم المعقول

قال الراوي فلما فرغ المهلهل من شعره ونظامه وفهم الفرمند فحوى كلامه اشتدت عليه المصائب وخاف من العواقب فاحضروا الوزراء والاعيان وعقد مجلساً بهذا الشان . وبعد جلسة طويلة ومفاوضة مستطيلة استقر الراي بوجه الاجمال . في ان يرسل يطالبهم بعشر المال والنوق والجمال . فان اجابوه الى هذا السوال كان جل القصد والمراد والاَّ يباديهم بالحرب والجلاد فاستصوب هذا الراي وكتب اليهم يقول وعمر السامعين يطول

يقول الفتى الفرمند ابن متوج · ملك مصر من نظامه قال
يا غادياً مني على متن ضامر · يا قاطعاً فيافي سهلها وجبال
اذا جئت الى حلة هلال وعامر · وسلطانهم حسن الامير هلال
فقول له من اين اتيتم لارضنا · بجمع كثير وخيلكم وجمال

دخلتم بلادي يا حسن بظعونكم الا يا امارا كلكم جهال
سمعنا بكم من قبل ان تدخلوا بلادنا اخذتم جميع المدن والاموال
هذه مصر ليس غزة وغيرها وحاكمها الفرمند باعها طال
وعندي من الابطال كرات تنسحب مسربلة باللبس للاذيال
ثلاثماية الف ايضاً ومثلها قروم لزامهم ابن عم وخال
واحكم على مصر ابن يعقوب يوسف وطاعت لحكمي سهلها وجبال
الا يا هلالي ياحسن رد وارتجع وبو زيد لا يعمل هنا محتال
ان كان قصدك تدخلوا بلادنا للغرب تبغوا في هنا واقبال
فهاتوا لنا عشر المال مع الخدم والبوش مع خيل لكم وجمال
وهاتوا لنا الفين سيف مسقط والفين رمح عاليات طوال
وهاتوا لنا الفين درع وخودة والفين دبوس ملاح ثقال
وهاتوا بنات من الملاح كواعب صبايا تحاكي الغصن وهو ميال
سمعت انا بالجازيه فارسلوها وحسن وحسنا والبها وجمال
ووطفه وفتنه حالاً لي ارسلوهم وهاتوا الى ريا بغير امهال
فان جبتم كل الذي قد ذكرته تبقون في امن وحسن الحال
وارعوا المراعي باكرام واوردوا وتاتوا الى عندي ايا ابطال
وان كان ما تأتوا بما قد طلبته والا فردوا ياهلال شمال
من قبل ماندهمكم بجيش عرمرم اقيم عليكم ضجة واهوال
قول الفتى الفرمند ابن متوج ولا خير في قول بغير فعال

قال الراوي فلما فرغ من الشعر والخطاب . طوى الكتاب .

واعطاه الى نجاب لتاخذه الى الامير حسن ويأتيه بالجواب فاخذه وسار وجد في قطع القفار حتى وصل الى القوم في ذلك اليوم فدخل على الامير حسن وهو في الصيوان وكان عنده جماعة من الامراء والاعيان فتقدم وسلم وبافصح لسان تكلم وناوله الكتاب ووقف من جملة الحجاب بانتظار الجواب فلما فتحه وقراه وعرف رموزه ومعناه اغتاظ الغيظ الشديد الذي ما عليه من مزيد وقال لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فان كل ما وصلنا الى اقليم يبادرنا اميره بالتهديد والتوهيم ويطلب منا عشر المال او الحرب والقتال . ثم امر الخدام ان تاخذ الرسول الى دار الضيافة فاخذوه واكرموه غاية الاكرام وبعد ذلك قرا الكتاب على ارباب الديوان واستشارهم في ذلك الشان فقال ابوزيد ارى من الصواب ايها الامير المهاب ان ترسل له الجواب وتوعده باجراء الايجاب وتطلب منه مهلة عشرة ايام لبينما نكون قد اخذنا الاستعداد التام للحرب والصدام فاستصوب هذا الخطاب في الحال ارسل له هذا الجواب

يقول الفتى حسن الامير ابو علي
فانى من كثر الهموم عليل
ونيران قلبي كلما اقول تنطفي
يهب لها طي الفواد شعيل
ياغادياً مني على متن ضامر
يسبق هبوب الريح لما يشيل

اذا جئت للفرمند ابن متوج
سلطان مصر في الملوك جليل
فقل له قال الامير ابو علي
اصبحت في قومي عليك نزيل
ونحن ضيوفك يا امير جميعنا
يابزمكي يا فخر كل اصيل
ترى الضيف له يومين مع يوم ثالث
وفي يوم رابع نرتحل ونشيل
نحن لنا يومين عدنا بارضك
وبعد هذا عنكم نجد رحيل
لنا بالمغارب يا امير ثلاثة
عند الزناتي وسط قصر جميل
ونحن ترانا سالكين بدربنا
عليكم وماني رايد التطويل
فامهلنا يا امير عشرة ايام بلا خفا
ومن بعدها نرسل جميع ما قيل
لنجمع من العربان عشر اموالهم
وعشر النسا والخيل بالتعديل
وهذه مقالات الامير ابو علي
وعار على مثلي ان يكون بخيل

قال الراوي فلما فرغ الامير حسن من شعره ونظمه طوى الكتاب وختمه بختمه واعطاه الى الرسول فسار وجد حتى وصل الى عند الفرمند فسلمه اياه ففتحه وقراه وعرف رموزه ومعناه ففرح واستبشر وزال عنه الغم والكدر وايقن ببلوغ الوطر وظن انه سينال ما طلب من المواشي والفضة والذهب ولم يعلم بان دون هذا الطلب الهلاك والعطب ولما مضى الوقت المعين ولم يقف على افادة من الامير حسن نما غيظه وقد زاد عليه الحال وكتب الى الامير حسن يطلب منه عشر المال بهذا الشعر والمقال

يقول الفتى الفرمند ابن متوج ولي قلب اقوى من صفا الجلمود
ولي همة تعلو على كل ماجد وملك مصر من ابا وجدود
يا غاديا مني على متن ضامر اذا سار في البيدا وجد جدود
اذا جئت الى حسن الهلالي ابو علي فاعطيه مكتوبي على المقصود
كم جهد توعدني بوعدك ياحسن كانك جاهلني حقيق وكود
الا يا حسن قدم لقتنه بلا خفا ودريا وغيا بغية المقصود
وهاتوا لنا وطفا وبدرا وغيرها وهاتوا جمال الظعن حق وكود
اذ لم تطيعوا للكلام وتسمعوا والا سندعي دماكم مبدود

قال الراوي فلما فرغ الفرمند من هذا الخطاب طوى الكتاب وسلمه الى نجاب وامره ان يسير به الى الامير حسن ويأتيه بسرعة الجواب فاخذه وسار وجد في قطع القفار حتى وصل الى بني هلال قبل الزوال فدخل على الامير حسن وسلم وبافصح لسان تكلم ثم

اعطاه الكتاب وطلب منه الجواب فلما قراه وعرف فحواه التفت الى من حوله من الامراء والاعيان واعلمهم بما كتب لهم الفرمند وقال ما رايكم في هذا الشان فقال ابو زيد للنجاب سر بامان وقل لمولاك الملك بانه في هذا النهار ينال المطلوب ويحصل على تمام المرغوب ففرح النجاب بهذا الخبر ورجع على الاثر واخبر مولاه بما سمع وابصر ففرح واستبشر وزال عنه القلق والضجر وبعد ذهاب النجاب التفت الامير حسن عَلَى ابي زيد ليث الغاب وقال له ماذا عولت ان تفعل يا ابا الحيل قال مرادي ان احتال على الفرمند بحيلة يكون ما سبقني عليها احد وهو ان اختار اربعين بنت من بنات العمد من جملتهم الجازية ام محمد واحضر اربعين صندوق كل صندوق يكون بطبقتين فاجعل في الطبقة الاولى القماش والحرير وفي الطبقة الثانية الفرسان المغاوير ونحملهم على ظهور الجمال واركب انا مع البنات والاحمال ونسير الى عند الفرمند على سبيل تقديم المال وندخل السراية وهو لا يعلم بهذا الحال حتى اذا وصلنا الى هناك احتلنا عليه وبلجناه وبلغنا منه ماتمناه ونهبنا ما في قصره من الاموال ثم ارتحلنا بالحريم والعيال من هذه الاطلال وليس لنا غير هذا التدبير ايها الامير فلما انتهى ابو زيد من هذا الخطاب التفت اليه الامير دياب وقال ليس هذا الراي بصواب لاننا نخاف ان ينكشف الحال ويعود الامر الى وبال وتقع البنات الابكار اسارى في ايدي الانذال والراي عندي ان نبادرهم بالقتال ونشغل فيهم ضرب السيوف وطعن النصال فتعهد ابو زيد

امام السادات في النساء والبنات وانه يرجعهن سالمات فقال له الامير حسن افعل ما تريد ايها الفارس الصنديد فعند ذلك تجهزت البنات في الحال وفعل ابو زيد كما اشار وقال وكانت هذه البنات من المحسنات وكان من جملتهن وطفا بنت الامير دياب ليث الغاب وجمال الظعن بنت ابو زيد وبنت القاضي بدير والست ريما وبدر التمام وجوهرة العقول وسعد الرجا ولبس ابو زيد فروا من جلد الثعالب والذياب وتقلد بالسيف من تحت الثياب وارخى له سوالف طوال من اذناب الكدش والبغال وجعل يقود بزمام ناقة الجازية ام محمد وقد تعجبت من افعاله السادات العمد وقال له الامير حسن لله درك على هذه الحيلة التي لم يسبقك عليها احد ثم جعل يوصيه بالبنات بهذه الابيات

قال الفتى حسن الهلالي ابو علي ولقد وقعت اليوم في وسواس
اوصيك يا ابو زيد باختي الجازية يافارس الفرسان يا دعاس
اوصيك في كل البنات مع النسا من سطوة الفرمند والجلاس
احرص عليهم عند ليل طائل لما يدور الكاس ثم الطاس
ارقص والعب لاتكون مسربلا واطرب وغني ثم دير الكاس
احفظ وصاتي يا امير سلامه اياك تغفل يا شديد الباس
ودعتكم الله ربي وخالقي فيجيركم من كل شر واسى
ان كنت تاتي بالبنات مهانة يبقى لنا معيار عند الناس
مقال الفتى حسن الامير ابو علي يا طال ما في كل يوم اقاسي

قال الراوي فلما فرغ الامير حسن من شعره ونظامه اجابه ابو زيد على كلامه يقول وعمر السامعين يطول

قال ابو زيد الامير سلامه　　يا ابو علي لاتخشوا هم البنات
سيدخلوا لمصر لعند الملك　　ويرجعوا الى عندك سالمات
انا امامه يا ملك مثل الاسد　　ارعى بعيني للعيون الدابلات
يخشى الملك فرمند يقرب منهم　　اسقيه مني ياملك كاس الممات
يابو علي سيروا وهدوا وارحلوا　　في ليلكم ونهاركم نحو الفلات
في يوم ثالث اجتمعوا يا رجال　　هاتوا لي الفين فارس كاملات
اكون طالعت البنات جميعهم　　والمال من قصر الملك المثمنات
وان اتبعنا يا ملك فسنقتله　　وتصير من حوله تنوح النائحات
يقول ابوزيد الهلالي سلامه　　لابد هذه القوم ما تغدي شتات

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من كلامه شكره حسن على حسن اهتمامه ثم ان ودعهم وسار بمن معه من البنات الابكار والصناديق الكبار ومن داخلهن الاقمشة الحسان والابطال والفرسان حتى دخل الى المدينة وطلع الى قصر الفرمند فوجدوه مزين باحسن الزينة وانواع المفروشات الثمينة وكان الفرمند قد بلغه قدومهم من الخدم فالتقاهم بالترحاب والاكرام فسلمنَ النساء عليه وجلسنَ حواليه فقال اهلاً بالكواعب الاكرام والاصدقاء والاحباب وكان ابو زيد امام الجميع وهو يرقص ويلعب ويضحك ويطرب وكان لابساً تلك الثياب التي ذكرناها وهو على تلك الصفة التي وصفناها فسال الفرمند البنات

والنسوان من يكون هذا الانسان. فقلن هذا مهرج يزيل الغموم بحركاته ويفرج . فانسر غاية السرور . وساله عن اسمه قال اسمي قشمر ابن منصور قال مثلك من يصلح لمسائرة الملوك لما فيك من الحركات وحسن السلوك فاملي لي هذا الكاس حتى اشربه امام الجلاس ويزول عني الباس فاملاه وناوله اياه فاخذه الملك وهو مسرور الفواد وقد ظن انه بلغ المراد وحصل على ما اراد ولم يعلم ان دون ذلك خرط القتاد فعند ذلك غنت البنات ودقت على الالات حتى كاد يرقص القصر ويطير من شدة الطرب والفرح الكثير وكان الملك قد وقعت عينيه على الجازية فهويها وتعلقت نفسه فيها لانها كانت كما تقدم الخبر جميلة المنظر ولطيفة المحضر فاجلسها على جانبه الايسر والتفت الى ابي زيد وقال من تكون هذه يا قشمر قال هذه الجازية ذات الوجه الحسن واخت الامير حسن فالتفت اليها وقال غني لي على هذا الكاس ياصاحبة الجمال فان قلبي اليكِ قد مال وما زال يشدد عليها ويتذلل اليها حتى اجابته الى مقاله واخذت تغنيه بهذه الابيات حسب طلبه وسواله

تقول الجازية من قلب محرّق فنحن اليوم قد جئنا هدية
هدية من ابى مرعي الهلالي امير البوادي والرعيه
اخي ابن سرحان المسمى امير ابن امير برمكيه
ايا حيف الفلا ياتي بلادي ونجد يا ملك ارض عديه
نشف ماها وقل الخير منها وصارت مقفرة ارضاً رزيه

رحلنا نبتغي ارض المغارب   انا في هودجي وسط الحيه
وجئنا لمصر عدنا لك حلائل   ولا عاد في رواح ولا مجيه
تقول الجازية من قلب محرّق   ايا حيف الزمان اجنف عليا

قال الراوي فلما فرغت الجازية من كلامها طرب الفرمند من نظامها واشار اليها يقول

الا يا جازية حني عليّ   فعقلي راح كله بالسويه
الا يا مرحبا فيكم جميعاً   وزال الشر عنكم والرزيه
الا ياجازية حسنك سباني   ومثلك ما رأينا في البريه
فعيناكِ كما عين الغزالة   حواجبكِ كقوس منحنيه
جزاة هلال عنا كل خير   لان حسن ارسل لنا هديه
مقالات الفتى الفرمند صادق   ونيران بقلبي مصطليه

قال الراوي فلما فرغ الفرمند من كلامه شرب الكاس عن اسمها وهو يتامل في محاسنها وبياض جسمها ثم امر قشمر ان يملي له كاساً اخر فاملاه وناوله اياه فاخذه وتقدم الى وطفا بنت الامير دياب وقال لها غني على هذا الكاس يا بنت الاماجد فجعلت تغني وتقول

تقول وطفا من فواد اكتوى   بدمع جرى فوق الخدود غزار
ونيران قلبي كلما اقول تنطفي   يهب لها في وسط قلبي شرار
الا ياملك سعدك على الناس داير   وطاعت لامرك سائر الاقطار
يا مير حبك سكن في ضمائري   والهب حشاي ياملك بالنار
يا مير مصر اشرب واسكر بالهنا   وانظر بنات تشبه الاقمار

منهم جمال الظعن بنت سلامه ، وريا وغيا من فروع كبار
ومنهم فتنة افتنت كل عاشق ، ونجلا تراها نزهة النظار
ومنا الجازية ام محمد ، ما مثلها في سائر الاقطار
وانظر جمالي واعتدالي وبهجتي ، وحسني فاق على الاقمار
وعنقي كعنق الريم لو كعنق شارد ، وانظر وشامي يحير الافكار
نحن الهلاليات ما في مثلنا ، نشبه لتفاح على الاشجار

قال الراوي فلما فرغت من كلامها انشرح الفرمند من نظامها وشرب الكاس على اسمها واعطاه لقشمر فاملاه وقد زاد عشقه وهواه ثم تقدم وجلس امام جمال الظعن وقال من تكونين يا ربة الحسن قالت انا بنت ابو زيد قال انت بغية المراد ومسرة الفواد وانا اسال رب العباد ان يرزقني منك بولد يكون مثل جده كالاسد كل هذا وابو زيد يسمع الكلام ويلتفت الى وراه ويبدي الابتسام ثم قال لها وحيات راسي ان تغني على كاسي فاشارت تقول

قالت جمال الظعن بنت سلامه ، ابيات شعر لانقات غرائب
ملك مصر لك البشارة فانشرح ، وانظر بنات فاتنات كواعب
انظر بنات هلال يا امير نظرة ، الينا ونحن كالاسود نجائب
مسكين فرمند سكرت لاجلنا ، والعقل كانه من دماغك سالب

فلما فرغت من كلامها وسمع فرمند رونق نظامها طرب من كثرة شرب المدام ولا عاد يميز بين النور والظلام ثم اصرف الاعوام والخدام حتى لا يكون احد حاضر في ذلك المقام وبعد

ذلك شرب الكاس على اسمها وشكرها على نظمها واعطاه لقشمر ليملاه فاملاه واعطاه اياه وجلس امام نجلا وكذلك جلس امام جميع البنات الابكار وهن ينشدونه الاشعار وهو يشرب العقار حتى فقد الوجود وصار بصفة مفقود فعند ذلك بنجه ابو زيد حتى غاب ونهض مثل الاسد الوثاب ونزع ما كان عليه من الثياب حتى عراه وجعله عبرة لمن يراه ولفه بحرام عتيق ثم فتح الصناديق فخرجت الابطال مثل الاسود الدحال فنهبوا ما في القصر من الاموال والتحف الغوال ولم يتركوا قيمة عقال فعند ذلك انشد ابو زيد وقال

يقول ابو زيد الهلالي سلامه ... ومثلي من يدخل عميق المطارح
تعالوا انظروا فرمند فتروه ... بالقصر مبنج سقيته كاس طافح
قوموا واملوا ماله في عدوالكم ... سيوف مسقطه واملوا الصفائح
ولا تبقوا في القصر شيئاً ولملموا ... غير الملك خلوه بالزلط شالح
وسيروا بجنح الليل الى عند اهلنا ... على كل شاهين من الابل جارح
قول ابو زيد الهلالي سلامه ... انا صاحب الهمات اذا صاح صايح

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من كلامه وفهمت الابطال فحوى قصده ومرامه شكروه على حسن تدبيره واهتمامه وكانوا كما تقدم الكلام نهبوا ما فى القصر بالكمال والتمام وكانت وطفا قد اخذت خاتم الفرمند على تلك الحالة التي تقشعر منه الابدان ولو ارادوا قتله لقتلوه واسقوه كاس الهوان وساروا حتى وصلوا الى باب البلد فاعترضهم الحارس فارته وطفا خاتم الفرمند وقالوا نحن من جملة الخدام وقاصدين الآن

هانا لاجل المنام فعند ذلك فتح لهم الباب ولم يعرف حقيقة الاسباب فساروا في سرور وافراح وقد استبشروا بالفوز والنجاح الى ان وصلوا الى بني هلال ففرحت بقدومهم جميع الرجال ودخل ابو زيد على الامير حسن ابن سرحان واعلمه بما جرى وكان فالتقاه بالترحاب والاكرام وشكره على ذلك الاهتمام ثم ساله عن واقعة الحال ومافعله من الفعال فاجابه وقال

يقول ابو زيد الهلالي سلامي يا بو علي جبت البنات وجيت
وجبت لك مال كثير وعده تحف وجواهر يا ملك عبيت
وجبت دروع ثم طوس مذهبة دبابيس مع اطبار لك لميت
وجبت معادن مع سيوف مسقطه وديباج مع كتان لك شديت
دخلت الى قصر الملك يابو علي واركانه يا امير لك هديت
وقصت للملك وطيبت خاطره ومن بعد ذلك كله اسقيت
انقلب مردون على الارض واقع فقمت انا من ساعتي فزيت
جئنا بعون الله يا امير كلنا فلا تحسبوني نمت والسريت
وضمنت انا للبيض من كل ريبة وقمت بقولي يا حسن ووفيت
وجبت البنات مع الموال جميعها وهذه فعالي والذي سويت
قول ابو زيد الهلالي سلامي وقط يوم الروع ما زليت

فلما فرغ ابو زيد من شعره ونظامه شكره الامير حسن على حسن مساعيه واهتمامه واشار بشكره على ما فعل بهذه الابيات امام الامارا والسادات

يقول الفتى حسن الامير ابو علي — لمثل هذا اليوم لك خبيت
ولولاك ماسرنا الى الغرب خطوة — ولا كنت من نجد اتيت
ياليت عمرك الف عام على المدا — اما عدوك من حسامك ميت
حميت البنات بمصر بل انت عزهم — وقد جبتهم يا نعم مـا سويت
فانت امير هلال يا ابو مخيبر — ومثلك انا والله قد حبيت

قال الراوي فلما انتهى الامير حسن من كلامه وفهمت الامراء فحوى مرامه قالوا عن فرد لسان ان الاوفق لنا ان نرحل من هذا المكان قبل ان تدهمنا الابطال والفرسان فاستحسن الامير حسن هذا الخطاب ورآه عين الصواب وفي عاجل الحال امر بدق الطبول للمسير والارتحال فدقت الطبول وركبت الفرسـان ظهور الفرسان وارتحلوا من تلك الاطلال بالحريم والعيـال حتى ابتعدوا مسافة يومين عن البلد خوفاً من امر يتجدد وكان الامير دياب وزيدان في اول الظعن بباقي الفرسان هذا ما كان من بني هلال وما جرى لهم من الاحوال واما ما كان من وزراء الفرمند واكابر الاعيان فانهم كانوا قد استبطوا حضور ملكهم الى الديوان فلما فات الوقت ولم يحضر اخذهم القلق والضجر وقالوا لابد لهذه العاقة من سبب وكان له ابن اخت اسمه محمود الغضنفر وكان وزيره الاكبر وقائد العسكر فصعد الى القصر في جمـاعة من الحجاب وقرع الباب فلم يجبه احد بجواب فخلع الباب ودخل الى القاعة فوجدها خالية خاوية ووجد خاله ملفوف بذاك الحرام ومطروح على الزاوية

فغاب عن الصواب واستعظم هذا المصاب فارسل واحضر ارباب الديوان فلما دخلوا الايوان ونظروا ملكهم على تلك الحال اعتراهم الانذهال ثم ان ابن اخته اعطاه ضد البنج فعطس وخرج مثل فلق العدس ففاق وهو على اخر نفس فوجد ذاته ملفوفاً في ذلك الحرام وهو في حالة الذل والهوان ولم يجد احداً من البنات والنسوان فزاد مصابه وعظم اكتئابه فبادر ابن اخته في العجل واتى بحلة من افخر الحلل فلبسها وقد اعتراه الخجل لاسيما لما رأى حاله على تلك الحال وهو بين الوزراء وسادات الرجال ولكنه تصبر والتفت الى من حوله من الوزراء وقواد العسكر . وقال لهم اتعلموا من فعل معي هذه الفعال واحتال عليّ بهذا الاحتيال حتى بلغ القصد والامال قالوا ومن يكون ياملك الزمان فانت اخبر بهذا الشان فعند ذلك اخبرهم بواقعة الحال وطلب منهم ان يكونوا مستعدين للحرب والقتال وختم الكلام بهذا الشعر والنظام

يقول الفتى الفرمند ابن متوج ... انا لم يلمني بالهوى قط لائم
وعقلي شرد من دماغي بسرعة ... وقد جرت لي مجاري عظائم
هنيئاً لمن شاف الى بنت فائد ... وشاهد الى الزينات نسل الاكارم
ونظر الى وطفا وغيا ونجلا ... والجازية من نسل قوم اكارم
لهم اوجه كالبدر عند اكماله ... والشعر على الاكتاف كريش النعائم
ابو زيد احرمني منهم نظرة ... ابو زيد اخذ عقلي وهد القوائم
ابو زيد اتاني في اسم قشمر ... ولابس له قبع وشال العمائم

ابو زيد شاكك لاذناب الثعالب   واجراس مع حس راياتهم ملائم
فلو انني ادري لكنت قتلته   ولكن فات الوقت واضحيت نائم
ولكن انا له يا ابن اختي بهمتي   اذيقه طعام الموت ثم السمائم
واقتل حسن ودياب ثم القاضي   واجعل عجاج القوم للجو قائم
وافني قبائلهم وشتت جموعهم   واكسب بنات البدو ثم الغنائم
يا ابن اختي اجمع المال واركب   الحق هلال قبل يغدوا هزائم
ونبه على كل العساكر يركبوا   نجيب غنائمهم بحد الصوارم
واشفي غليلي من ابي زيد بينهم   وافعل به قصدي وذا الامر لازم
واشويه فوق النار وادري رماده   قد غاب عني وقد صرت ولهان هائم
مقال الفتى الفرمند عما جرى له   فلا بد ابقيهم جميعاً هزائم

قال الراوي فلما انتهى الفرمند من شعره ونظامه وفهم ابن اخته وباقي الامراء فحوى كلامه استعظموا القضية واستغربوا تلك العمايه وكيف ان ابا زيد جاءه بتلك الوسيلة وانطلقت عليهم الحيلة فقالوا الامر اليك وها نحن طوع بين يديك فامر بدق طبول الحرب والاستعداد للطعن والضرب فدقت في الحال واجتمعت الفرسان والابطال وكانت نحو مائتي الف مقاتل بين فارس وراجل فركبوا فى الحال واستعدوا للقتال وركب محمود في مقدمة الجنود وخفقت على رأسه الرايات والبنود واشار الى خاله يقول وعمر السامعين يطول

قال محمود ابن اختك يا ملك   انا مريع الخيل يوم الغارا
انا وزيرك صاحب الراي الرشيد   نركب عليهم قوم جد الغارا

نهجم عليهم ثم نقطع اثرهم نفني اكابرهم وكل صغارا
اني مريع الخيل في سوق الوغا ادعي الروس من السيوف نثارا
واقتل اكابرهم وافني جمعهم بالاسمر البولاد والخطارا
اني شبيه الزير حين احارب في صولتي ومعاركي وشرارا
واشبه لعنتر عبس يا امير الملا وادعي الفوارس ميمنة ويسارا

قال الراوي فلما فرغ من شعره ونظامه شكره خاله الفرمند على حسن اهتمامه وقال له سر بماية الف من الابطال واتبع بني هلال الانذال وامنعهم عن المسير والارتحال واقيم فيهم ضرب السيف الفصال من اليمين والشمال وانا اتبعك بباقي العساكر والرجال في عاجل الحال ثم سار الوزير بالفرسان والابطال وجد في قطع الروابي والتلال حتى ادرك بني هلال فلما رات بنو هلال العساكر المصرية قد اقبلت من تلك البرية . استعدوا للحرب والقتال . وركبت الفرسان والابطال والتقت ببعضها البعض في تلك الارض . وخرج الوزير محمود من بين الابطال فصال وجال في ساحة المجال وطلب براز الفرسان والابطال وقال لهم هل من مبارز هل من مناجز فلا يبرز لي لا كسلان ولا عاجز اليوم يوم الهزاهز ثم انشد يقول

يقول الفتى محمود عما جرى له الايام والدنيا تريني الهوائل
فمن اين اتيتم يا هلال بجمعكم رعيتم مراعينا وكل المحاصل
بعثنا نريد المال منكم بلا خفى وعشر النسا والخيل ثم الاصايل
فارسلتم بنات هلال ثم موالكم ومعهم ابوزيد ردي الخصائل

بنج لحالي ثم رجع بناتكم فهذا الردي ينزل الي يقاتل
أريه كيف يكون غدره بلا خفا واجعل دماه على الارض جدايل

قال الراوي فلم يترك ابو زيد الوزير يتم كلامه حتى صار امامه وانطبق عليه انطباق الاساد بدون شعر ولا انشاد فالتقاه الوزير بالعجل وهجم عليه وحمل واخذ في الطعان والصدام والمهاجمة والاقدام والمفارقة والالتزام واختلف بينهما الطعن في ذلك المقام حتى تحيرت من قتالهما العربان وتعلمت منهما حقيقة الضراب والطعان واستمرا على تلك الحال لوقت الزوال فعند ذلك دقت طبول الانفصال فافترقا على سلامة ولم يعلم احدهما على الآخر بعلامة وعند رجوع ابو زيد الى الخيام ساله الامير حسن عن خصمه فقال هو بطل همام وليث درغام فقال الامير حسن لابد في ثاني الايام ان نهجم عليهم بالمواكب ونبليهم بالويل والمصائب لان الحريم والعيال قد سبقونا مع الامير دياب وفي ثاني الايام استعدت العساكر للحرب والصدام فنفخت الزمور ودقت الطبول وركبت الفرسان ظهور الخيول واعتقلوا بالسيوف والنصول وهجمت المواكب على المواكب والكتائب على الكتائب وتطاعنوا بالرماح وتضاربوا بالقواضب وعظمت الاهوال والمصائب وزاد الامر على الناس فوق الحد والقياس وتضايقت الانفاس وتقطعت الدروع والاتراس واشتد الصدام والكفاح وعملت اسنة الرماح في الصدور والاشباح وضجت الفرسان من الم الجراح ونعق غراب البين وصاح وبان شخص الموت ولاح

فلله در ابو زيد فارس الجحجاح ودياب ليث البطاح فانهما اشفيا بقتالهما الصدور وفعلا فعلاً يذكر على مدى الايام والدهور وكذلك فعل الامير زيدان وباقي الابطال والفرسان فانهم قاتلوا اشد قتال ونازلوا اعظم نزال وما زال السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل الى ان صار وقت الزوال فعند ذلك دقت طبول الانفصال فارتدت عن بعضها الابطال ورجعت بنو هلال بالعز والاقبال والعساكر المصرية في وبال . قال الراوي واستمر الحال على هذا المنوال مدة ثلاثة ايام على التمام والكمال وفي اليوم الرابع انكسرت عساكر الوزير واصابها الفنا والتدمير ولم يعد لها ادنى ثبات فولت في جوانب البراري والفلوات واتفق لها في ذلك الوقت قدوم الفرمند بباقي الجند فلما اشرف الى ذلك المكان ورأى ما جرى وكان اغتاظ الغيظ الشديد الذي ما عليه من مزيد وحمل على بني هلال بمن معه من الابطال واحاط بهم من اليمين والشمال فنكس بفعاله الميامن والمياسر وحكم الطعن في الصدور والخواصر وتبعته ابطاله مثل الاسود الكواسر وقاتلوا اشد قتال ونازلوا اعظم نزال وكانت العساكر المنكسرة لما رأت جماعتها ظافرة منتصرة ارتدت الى معركة الصدام وقاتلت بعد ذلك الانهزام وكان الملك الفرمند قد التقى بالامير حسن في ساحة الميدان وهو ينخي الفرسان والابطال ويحثهم على الضراب والطعان فتقدم اليه وهجم عليه وانشد يقول وعمر السامعين يطول

يقول الفتى الفرمند ابن متوج ونيران قلبي زايدات شرار

انا ملك مصر وحاكم بلادها انا فارس الفرسان بالبتار
الا ياحسن ما تخجلوا من فعالكم ايا باقين السيط يا فجار
بعثم لنا مالاً صحبة سلامه ومعه بنات مفتنات ابكار
دهاني واخذ مالي بحيلته فلو علمت انه هو ذلك المكار
وقد اتيناكم بجيش كما الفضى ونسبي حلايلكم وكل جوار
ويبقى فعل الله بيني وبينكم ونقتل اكابركم وكل صغار
وتنظر اسوداً فوق خيل ضوامر وصوت طبول تزعج الاقطار
وضرب سيوف ثم ضرب بواتر وهجمات خيل مع قنا وغبار
انا جيتكم قد جاكم الشر والبلا فرمند خلفه عسكر جرار
يقول الفتى فرمند ابن متوج اليوم اطلق في جموعك نار

قال الراوي فلما فرغ الفرمند من كلامه اجابه حسن على شعره يقول وعمر السامعين يطول

يقول الفتى حسن الهلالي ابوعلي لاشك عقلك من دماغك طار
الا فاستمع لي يا امير وافتهم واصغى الى قولي بنظم شعار
نحن ترانا سايرين مغرب عند الزناتي خليفه المختار
لما وصلنا يا ملك لبلادكم ارسلت تطلب مالنا وجوار
فارسلنا لك من بنات قومنا فوق الهوادج بغية النظار
وارسلنا معهم ابو زيد صانهم ورجع بهم شبه الاسد هدار
لو راد قتلك كان جز لرأسك ولكن ما هو خاين غدار
وكيف تريد بناتنا مع موالنا وتاخذ حلائلنا فهذا عار

وكم ملك مثلك دعيناه على الوطا قتيل ولا يؤخذ نظيرك ثار
ولو كان خلفك سبع كرات فما يحمونكم من سيفنا البتار
نجار وحك قبل ما تفنى عساكرك ونتركم بالماضيات نثار
نصحتك انا من شفقتي بدماركم وما اصعب الفرقا وبعد الدار
مقال انتى حسن الهلالي ابو علي يا مير فرمند الفلك دوار

قال الراوي فلما انتهى الامير حسن من كلامه وفهم الفرمند فحوى شعره ونظامه انطبق عليه وحمل فالتقاه حسن بالعجل وانصب عليه انصباب الغيث اذا هطل وتطاعنا باطراف الاسل وتضاربا بالسيوف على القلل حتى حارت منهما المقل وارتفع عليهما الغبار وحجبهم عن العيون والنظار ولم يزالا على تلك الحال وهما في اشد قتال حتى اختلف بين الاثنين ضربتين قاطعتين وكان السابق الفرمند فراحت خائبة بعد ما كانت صائبة واما ضربة حسن فالتقاها الفرمند في درقة البولاد فسقطت على رقبة الجواد فبرتها كما يبري الكاتب القلم فوقع الفرمند على الارض وانحطم وصار وجوده كالعدم فعند ذلك هجمت فرسانه مثل سيل المطر وخطفوه وخلصوه من الخطر وفي الحال التقت الرجال بالرجال والابطال بالابطال وتقاتلوا اشد قتال حتى جرى الدم وسال وعظمت الاهوال وما زالوا على تلك الحال الى وقت الزوال فعند ذلك دقت طبول الانفصال فرجعت العساكر عن بعضها ونزلت كل طائفة في ارضها . ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح جمع الامير حسن اكابر الديوان ومن يعتمد عليهم

من الفرسان وقال لهم مرادي ان اكتب الآن واستدعي بالامير دياب ليحضر الى هذا المكان ويساعدنا على الحرب والطعان والا طال الحال وقتلت الرجال لانه كما تقدم المقال ان الامير دياب كان قد سبقهم بالحريم والعيال فاستصوبوا رايه وقالوا لقد اشرت بالصواب فاكتب الى الامير دياب فعند ذلك كتب اليه يقول

يقول الفتى حسن الهلالي ابو علي　　ونيران قلبي زايدات لهاب
على ما جرى فينا وما قد اصابنا　　وصرنا بحيرة والامور صعاب
ايا غادياً مني على متن ضامر　　فقل الى الزغبي الامير دياب
اتونا جموع كالجراد كثيرة　　قروم شداد مثل سيل سحاب
نزل من الميدان فرمند وانتخى　　وقال من ينزل من الانجاب
فاين المسمى امير سلامه　　واين حسن ثم الامير دياب
فقلت له لبيك يا فارس الوغا　　ونزلت انا لحربه يا امير دياب
ضربته في القرضاب يا امير ضربة　　فقتلت جواده وكاد هو ينصاب
والتقت الجيشان في ساحة الوغا　　ويااما قتلنا من شيوخ وشباب
قدامنا بحرين يامير زاخرة　　النيل ورجال مثل اسود الغاب
مقال الفتى حسن الهلالي ابو علي　　انا شعر راسي قبل وقته شاب

قال الراوي فلما انتهى الامير حسن من هذا الخطاب ختمه وسلمه الى نجاب وامره ان يسير به الى الامير دياب ويعود بسرعة الجواب فامتثل وسار وجد في قطع القفار حتى وصل الى عند دياب في وسط النهار فسلمه الكتاب وطلب منه الجواب فلما فتحه وقراه

وعرف ما حواه احمرت عيناه وزاد بلاه وامر بدق الطبول فدقت في الحال واقبلت اليه الفرسان والابطال فاعلمهم بجلية الاحوال وقال لهم استعدوا لمساعدة بني هلال قبل ان يحل بكم الوبال وتسبى الحريم والعيال فلو لم يكونوا في اشد الاهوان ما كان كتب لي حسن هذا الكتاب وارسله مع النجاب فلما سمعوا منه هذا الخطاب تحمست منهم جميع الجهال والشباب وركبوا في ساعة الحال طالبين معركة قتال وفي مقدمتهم الامير دياب ليث الغاب والامير زيدان شيخ الشباب حتى اشرفوا الى بني هلال عند الغياب فالتقوهم بالاكرام والترحاب وشكروهم على ذلك الاهتمام وفي ثاني الايام ركبت الابطال والفرسان وطلبت معركة الطعان وكان اول من برز الى ساحة الميدان وطلب براز الشجعان الوزير محمود ابن اخت الفرمند قائد الجنود ولما صار في ساحة المجال قال هيا يا بني هلال اين فوارسكم المشهورة اين ابطالكم المذكورة اين الامير دياب الذي تلقبوه بليث الغاب فما تم كلامه حتى صار الامير دياب امامه فعند ذلك اشار يتهدده بهذا القصيد ويفتخر بنفسه على الابطال الصناديد

يقول الفتى محمود عما قد جرى   انا ناطح الابطال يوم نكيد
ايا ابن غانم صرت انت غنيمتي   فسوف ترى مني قتال اكيد
فلا تظن بانني منك خائف   لا ولا عن حربكم عمري لا احيد
فاسال الابطال مثلك كم قهرت   لا بد لي من قطع راسك يا عنيد
ان طعتني اسلم بروحك يا دياب   واخلع لدرعك وما عليك من حديد

وارمي لسيفك ثم رمحك والثياب   واترك الخضرا ولاتكون عنيد
قول محمود الوزير الماجد   لا بد عن قتلك واخذ ما اريد

قال الراوي فلما انتهى الوزير من كلامه اجابه دياب على شعره ونظامه يقول وعمر السامعين يطول

قال الفتى المسمى دياب الغانم   فارس الفرسان انا قرم شديد
اني دياب الخيل في حومة الوغا   قاتل الابطال وكل قرم عنيد
كم فارس جندلته بمهندي   وجعلته من بعد عزه فقيد
محمود لا تصلح تسوس لخيلنا   من كان مثلك نجعله بين العبيد
لا بد ما اضرب لراسك بالحسام   واترك دمائك على الفلاة بديد
مقال ابو موسى دياب الغانم   اسمع كلامي يا امير ولا تزيد

قال الراوي فلما فرغ دياب من هذا الشعر والنظام انطبق على خصمه مثل صاعقة الغمام فالتقاه الوزير كسبع الاجام واخذا في العراك والصدام وما زالا في قتال شديد وضرب يشيب الطفل الوليد نحو ساعة من النهار وقد شخصت نحوهما الابصار ثم اختلف بين الاثنين ضربتين قاطعتين وكان السابق الامير دياب ليث الغاب لانه كان اشجع واقدر واعرف بمواقع الطعن واخبر فجائت الضربة على راس الوزير فحل به الهلاك والتدمير فوقع على الارض يختبط بعضه ببعض فلما رات العساكر المصرية ماحل بوزيرهما من البلية وكيف انه شرب كاس المنية عظمت عليهم الامور وانقضوا على بني هلال مثل الصقور واحاطوا بهم من اليمين والشمال فالتقتهم بنو

الابطال بقلوب كالجبال وتقاتلوا اشد قتال حتى جرى الدم وسال وعظمت الاهوال وما زالوا على تلك الحال الى وقت الزوال فعند ذلك دقت طبول الانفصال فرجعت العساكر عن ساحة المجال واما الفرمند فانه بات مشغول البال في قلبه نيران الاشتعال على ما فقد له من الرجال ولا سيما قتل محمود ابن اخته فانه كان عنده اعز من مهجته فما صدق ان يطلع الصباح حتى برز الى ساحة الكفاح كانه ليث البطاح ثم صال وجال في ساحة المجال وقال لا يبرز لي من الابطال غير ابو زيد المحتال فما اتم كلامه حتى صار ابو زيد امامه فالتقاه الفرمند في الحال وانشد وقال

قال الفتى الفرمند قرم مهولا ... اليوم تبقى يافتى مقتولا
اني ربيع الخيل يوم الغاره ... سيفي ترى بدم العدى مبلولا
دخلت الى قصري عملت مهرج ... جبت البنات وجيت كالمبهولا
شكيت في راسك ذناب ثعالب ... قد كان لعبك عندنا مقبولا
لو كنت اعرف حيلتك وفعايلك ... لقطعت راسك ياردي بالطولا
جيناك يا ابوزيد بكل مدرع ... مسربلين ومجردين نصولا
دياب قتل الوزير بضربة ... وجعل دماه في الفلا مهطولا
قول الملك فرمند عما جرى له ... اليوم يبقى جيشكم مقتولا

قال الراوي فلمافرغ الفرمند من هذاالقصيد اغتاظ ابو زيد الغيظ الشديد وانطبق عليه بقلب اشد من الحديد واخذ معه في الحرب والجلاد بدون جواب ولا انشاد فالتقاه الفرمند بقلب كالجبال واخذ

معه في الحرب والقتال وقد هان عليه الاجل وبلوغ الامل فقاتل
قتال من استقتل فثبت ابو زيد لقتاله وفعل كفعاله وما زالا في حرب
وصدام مدة عشرة ايام وفي اليوم الحادي عشر ظفر به ابو زيد واستظهر
فهجم عليه هجمة جبار وضربه على عنقه بالسيف البتار واذا براسه قد
طار فوقع على الارض قتيلاً وفي دمه جديلاً فلما رات المصريون تلك
الاحوال خابت منهم الامال وايقنت بالهلاك والوبال واجتهدت ان
تخلص جثة ملكها فما قدرت وقد اهالها ما رات وابصرت وانحلت
عزائمها وتاخرت واشتد عليها الحصر وخاب املها من النصر فرجعت
طالبة مدينة مصر وهي على اسواء حال لا تعرف اليمين من الشمال
فتبعتهم بنو هلال على الاعقاب وفي مقدمتهم ابو زيد والامير دياب
والامير زيدان شيخ الشباب وحكموا فيهم ضرب السيف القرضاب
على الاجسام والرقاب حتى دخلوا البلد وهم في حالة الذل والنكد فلما
رات اكابر المدينة والاعيان ما جرى وكان وكيف ان الفرمند شرب
كاس الهوان خرجوا الى عند الامير حسن ابن سرحان وطلبوا منه العفو
والامان فاجابهم الى ذلك الشان واوصى الابطال والفرسان ان
لا ينهبوا شيئاً من امتعة المدينة لا رخيصة ولا ثمينة بل يكونوا في هدو
واحتشام اكراماً للمزارات الاولياء ومقامات العلماء العظام وكان للفرمند
ولد مقتدر اسمه الامير منذر فاحضره اليه وقبله بين عينيه ثم ولاه
مكان ابيه بحضور اكابر البلد والذوات العمد بعد ان اوصاه ان يتصرف
بحسن السلوك ويتخلق باخلاق الملوك ثم انه انشد وقال بحضور

سادات الرجال

يقول الفتى حسن الهلالى ابو علي | وسبحان ربي حاكم ديان
خلق الخلائق ثم احصى عدادهم | له الحكم والتدبير والاحسان
الا يا اهل مصر اصغوا لقصتي | وكل واحد منكم يكون فهمان
ثت انا المنذر عليكم حاكم | فلا يعترض منكم له انسان
وكونوا بطوعه ثم اصغوا لقوله | فهو اليوم حاكم وهو سلطان
وانت يا منذر فكون عليهم | شفوق ولا تظلم منهم انسان
واحكم بقانون النبي محمد | نبي الهدى من آل عدنان
يقال الفتى حسن الهلالي ابو علي | ومن كان له فعل مليح يبان

فلما انتهى حسن من هذا الشعر والنظام وسمعه الخاص والعام قالوا عن فرد لسان قد رضينا بمنذر علينا سلطان ثم قامت الافراح وزالت الهموم والاتراح وكان الامير حسن قد استحسن مصر كل الاستحسان نظراً لكبرها وما فيها من الابنية الحسان فصمم ان يبني فيها على اسمه جامعاً ليكون ذكراً له على طول الزمان فامر البنايين وجماعة المهندسين ببناء الجامع المذكور في ظرف ستة اشهر فاجابوه الى ذلك المرام وبعد ان تم بالتمام امر ان يفرشوه بنفيس الفرش وينقشوا حيطانه باحسن النقش فامتثلوا امره في الحال وفعلوا كما ذكر وقال فكان جامعاً عظيم المثال يزهو كالهلالى وكان مكتوب على بابه بماء الذهب هذا جامع الامير حسن الهلالي سيد العرب وبعد ذلك بثمانية ايام امر الامير حسن بهدا المضارب والخيام فهدت في الحال وركبت

الابطال ظهور الخيل والجمال وسارت العماريات بالنساء والعيال امام الفرسان والابطال وجدوا في الترحال قاصدين بلاد المغرب والامير ماضي ابن مقرب وما زالوا يقطعون القفر العريض الطويل حتى وصلوا الى مكان يقال له المخاضة

انتهى الجزء الثالث عشر من تغريبة بني هلال ويليه الجزء
الرابع عشر وهو يحتوي على غريق بني هلال في ارض
المخاضة وزعل عليا مع الجازية ورحيل حسين الجبري
الى ارض نجد وديوان الماضي حاكم
بلاد الصعيد

كتاب الرابع عشر

من تغريبة بني هلال

وهو يحتوي على غريق بني هلال في ارض المخاضه
وزعل عليا مع الجازية ورحيل حسين الجمبري
الى ارض نجد وديوان الماضي حاكم بلاد الصعيد
وما جرى لبني هلال في تلك البلاد

يطلب من

مكتبة الترقي

لصاحبها

شكري الخوري وشركاه

شرقي ساحة البرج اول طريق النهر . (بيروت)

برخصة مجلس معارف ولاية بيروت الجليلة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الراوي تقدم في اخر الكتاب السابق ان بني هلال دخلوا الى مكان يقال له المخاضة . والان نقول انه اتفق بالامر المقدر ان الماء في ذلك المكان المسمى المخاضة كان في ذلك الوقت ممتداً في السهول والبساتين والحقول وكان الامير زيدان والنساء والعيال سائرين امام الفرسان والابطال وكان ابو زيد خلف جميع بني هلال فعند وصولهم الى ذلك المكان تضعضعت احوال الرجال والنسوان والاطفال والشبان لان الماء كان جارياً في تلك السهول كالطوفان فوقعت الاحمال عن ظهور الجمال وصاحت النساء والعيال وصرخت الاطفال خوفاً من الغريق ولم يعودوا يعرفون الطريق وقد عدموا السعادة والتوفيق فلما شاهد الامير حسن تلك الحال خاف على الحريم والعيال وتضعضعت منه الاحوال وايقن بالهلاك والوبال فقال لبعض القوم اين هو ابو زيد في هذا اليوم فقالوا هو مع عمه حسين الجعبري في اخر الظعن مع حريمه وعياله فارسل واستدعاه اليه فدخل وسلم عليه فقال له الامير حسن قد اشتدت علينا المحن وانا خايف الان على الحريم والعيال من الغريق والوبال ثم انشد وقال

قال الفتى حسن الامير ابو علي | تفكرت في الدنيا وكل حوالها
رحلنا من نجد المدية بلادنا | نريد بلاد الغرب نبغي وصالها
هل هو حلال يا ابو مخيبر انه | تغرق نسانا مع جميع طفالها
ابو زيد هلال على الماء تزاحمت | كثير من العربان غرقت جمالها
ترى ان كان ذلك حاجة تريد نوالها | خذ لك ثلاث حاجات مثى بدالها
وان كان صابك يا امير مصيبة | بعلم القلم يا امير عندي زوالها
وان كنت خائف ان عليا تفارقك | فاجعلها قدام وامشي قبالها
تقول الفتى حسن الامير ابو علي | ونيران قلبي زايدات شعالها

فلما فرغ الامير حسن من شعره ونظامه وفهم ابو زيد فحوى كلامه اشار يقول وعمر السامعين يطول

يقول ابو زيد الهلالي سلامه | فكم جهد قلبي ما يقاسي غباين
من قال لكم يامير تمشون بالعرب | وتمشون وسط الماء وانتم ظعاين
انا تاخرت مع ظعن عمي الجعبري | حسين ابو عليا وبعض الظعاين
تقول باني يا امير مكدراً | علامك علي يابن سرحان كاين
فاقف قليلاً حتى اعود بسرعة | واتي بعليا مع باقي الظعاين
وجيت الى عمي فيمشي بقربنا | هذا غريب الدار يامير حازن
مقال ابو زيد الامير سلامه | من حزن قلبي صرت يامير جانن

قال الراوي فلما انتهى ابو زيد من شعره ونظامه وفهم الحاضرون معنى كلامه قالوا له عن فرد لسان قطع يا ابازيد العربان فلكن الحصان وبين لهم طريق الامان لانه كان يعرف المكان قبل ذلك الاوان فجعلت تتوارد

العرب وقد استامنت من العطب وكان اول من عبر الجازية وعليا زوجة الامير ابي زيد الغضنفر فاتفق ان هجنهما تزاحمت بعضها ببعض حتى كان يقعن على الارض فتشاتما بالكلام وتخاصما اشد خصام وكانت الجازية ازدرت فيها وتكلمت معها كلام لا يرضيها فاغتاظت عليا من كلامها ورجعت الى الوراء وعلمت ابيها بما تم عليها وجرى ثم اشارت تقول

قالت عليا ونار قلبي تسعرا ... اسمع كلامي يا ابي وتبصرا
ولقد جرى لي يا ابي مشاجرة ... من بنت سرحان كلاماً منكرا
عند المخاضه هودجي زاحم لها ... وتحطمت اطرافه فتكسرا
نادت وقالت يا عشيقة عبدنا ... ردي لهودجك بغير تغيرا
رديت للهودج لاجل كلامها ... والدمع من عيني غدا يتفجرا
ارجع ابي عن هلال لارضنا ... ولا تروح الى المغارب تخسرا
لاتحمل المعيار يا امير الملا ... القلب مني والفواد تسعرا
عليا تقول وليس قولي كاذب ... ما عاد لي جلد به اتصبرا

قال الراوي فلما فرغت عليا من شعرها ونظامها وفهم ابوها فحوى كلامها اغتاظ الغيظ الشديد الذي ماعليه من مزيد وعلم ان ذلك كان من الجازية عدوان وافتراء وامر عربه في الحال ان ترد الظعن وترجع الى الوراء فامتثلوا امره في الحال ورجعت العرب بالنوق والجمال في عاجل الحال فلما راى ابو زيد بان الظعن راجعة وهي وراء بعضها متتابعة اندهش وتعجب وسال عن السبب فقالوا اعلم يا نور العين هذه ظعن عمك حسين وهو قاصد ان يرجع الى الاطلال بالحريم والعيال فلما سمع

ابو زيد هذا الكلام صار الضياء في عينيه كالظلام ثم ركب فرسه الحمرا
وقصد عمه حتى التقى به في تلك الصحراء وقال له مالك راجع الى الوراء
فبكي حسين من فواد متبول واشار ينشد ويقول

قالى الامير الجعبري بما جرى | العرض مني هتك بين الملا
اسمع كلامي يا امير سلامه | النار في قلبي تهب وتشعلا
عند المخاضة اجتمعت نساءكم | وبناتكم فوق الهوادج تنجلا
فتزاحمت عليا وجازية المها | عند المخاضة والمياه ينحدلا
شتمت لعليا الجازية بكلامها | وعلت عليها المصائب والبلا
قالت لها عليا ما هذا الامل | منك ايا بنت سرحان العلا
انا زوجة ابو زيد الفتى | هو ابن عمك في الرجال مجملا
قالت فروحي يا عشيقة عبدنا | ساقطع لراسك ما اخاف من الملا
زادت على عليا كلام يغيظها | كسرت لحرمتها اتتني ترفلا
فبكت وشكت ثم قالت ارتجع | فرديت ظعني ياسلامي معجلا
وحيات راسك ما بقينا نرتجع | للغرب وحيات النبي المرسلا

فلما فرغ حسين الجعبري من كلامه وفهم ابو زيد فحوى شعره
ونظامه اغتاظ واحتد وكان ذلك عليه اقوى من ضرب السيف واشتد ولكنه
اخفى الكمد واظهر الصبر والجلد وقال له اعلم ايها العم المحترم انه ليس على كل
النسا ارتباط والتفت الى زوجته وقال لها اعلميني يابنت الكرام بما جرى بينك
وبين الجازية من النفور والخصام فاعلمته بواقعة الحال واوقفته على جلية
الاحوال وكيف انها قابلتها بوجه الغضب وشتمتها بدون سبب وجعلتها

معيرة بين نساء العرب فقال اخذي عنك الشيطان وقومي بنا حتى نرجع الان قالت . اذا رجع ابي رجعت انا ولا اجعل نفسي عرضة للاهانة والعناء وسمع كلام اولاد الزنا فجعل يتلطف بخاطر عمه ويطلب منه الرجوع فقال ان كلامك على الرس والعين الا في هذا الامر فانه غير مقبول ومسموع الا بشرط ان تقطع راس الجازية وتعدمها الحياة فعند ذلك ارجع واكون قد بلغت ما اتمناه فقال ابشر بما طلبت يا عماه فعند ذلك رجع ابو زيد على الاثر والسيف في يده مشتهر حتى دخل على الامير حسن وهو في الصيوان وحوله الامراء واكابر الاعيان فسلم عليه وهو عابس فقال له الامير حسن علامك يا زين الفوارس فاني اراك عابس غضبان فاعلمه بما جرى وكان وقال له في اخر الكلام ان مرادي اقتل الجازية بحد الحسام واسقيها كاس الحمام على ما بدا منها وجرى من كلام الذم والافتراء وحدثه بما فعلت من الاول الى الاخر فقال الامير حسن دع عنك كلام النسوان ولا تغتاظ من هذا الشان وقم بنا الان حتى نتعطف بخاطر عمك ونعود ولا نجعل سبباً لشماتة العدو والحسود فاجابه الى ذلك المرام وركب هو واياه وعند وصولهما الى المضارب والخيام استقبلهما حسين الجعبري بالترحاب والاكرام فاخذ حسن يستعطف خاطره بالكلام ويقول له ارجع معنا يا ابن الكرام ودع كلام النسوان ولا تشمت بنا الاعداء في هذا المكان لاننا غرباء عن الاوطان ولا يجوز ان نختلف في هذا المكان فقال وحق الواحد الصمد اني لا ارجع الا براس الجازية فقال ابشر بما طلبت وارجع بالعجل فاني ابلغك القصد والامل فعند ذلك اجاب

وامتثل ورجع معهما في الحال بمن معه من العيال ولما بلغ الجازية هذا
الخبر اخذها القلق والضجر وخافت من الخطر فسارت الى عند القاضي
بدير وسلمت عليه وترامت على قدميه وقالت انا في جيرتك وقد وقعت
على حضرتك لانك كهف الانام ومن يلتجي اليك فلا يضام فقال لها
ابشري بالسلامة والخير فقد صرت في جوار القاضي بدير ثم انه اخذها
الى عند الحريم وزاد لها في التكريم والتعظيم لانها من اشرف نساء العربان
ولاسيما انها اخت الامير حسن العظيم الشان ثم رجع الى الديوان وهو
يتعجب من ذلك الشان وحوادث الزمان وبينما هو كذلك اذ اقبل الامير
حسن وابو زيد فارس المعارك فالتقاهما بالبشاشة والترحاب واخذ معهما
في الحديث والخطاب وقال لهما ما بالكما متكدران فاعلماه بذلك الشان وان
مرادهما قتل الجازية دون باقي النسوان فقال نفسي فداها فكيف يمكنني ان
اسلمكم اياها وقد دخلت الى داري وصارت في زمامي فهذا لا يكون ابداً
ولو شربت كاس حمامي فقال ابو زيد لابد من قتلها على وقاحتها وفعلها فتقدم
حسن الى القاضي بدير سراً وقال اخاف من رجوع ابو زيد الى نجد
اذا ما بلغناه غاية القصد ونقع في هذه الديار ويحل بنا الهلاك والدمار
فقال القاضي من الصواب ايها السادة الانجاب ان نحضر علياً والجازية
للمحاكمة والاستنطاق فالتي تكون مذنبة منهما تستوجب القتل والاستحقاق
ولا يعود يلومنا احد من الناس لان هذا الامر خارج عن حد القياس
فلما انتهى القاضي من هذا الخطاب راوه عين الصواب وهكذا استقر
الحال ورجع ابو زيد الى عند عمه واعلمه بواقعة الحال وارجعه مع ابنته

عليا الى الديوان وكذلك حضرت الجازية للمرافعة في ذلك الشان فجلست خلف الستار خوفاً ان يقتلها ابو زيد بالسيف البتار فعند ذلك سالها القاضي عن سبب اهانتها لعليا وما هو الداعي الموجب لذلك المقال الذي يورث القيل والقال فانكرت امام الحاضرين بانها ما قالت لها كلاماً يغيظ ولا يهين بل كان كلامها على سبيل العتاب كما جرت عادت الاحباب

قال الراوي فلما فرغت الجازية من كلامها وفهم القاضي بدير فحوى نظامها التفت الى عليا وقال يظهر من هذا المقال بان الجازية لم تتكلم في حقك بشيء يورث القيل والقال فان كان معك شهود فاحضريهم لكي يشهدوا عليها فذهبت عند البنات اللواتي كن في ذلك الوقت حواليها واعلمتهن بما قد جرى وكان وطلبت منهن ان يحضرن معها الى الديوان فقلن نحن لانذهب معك ولا نترك الجازية ونتبعك فعادت على الاثر واعلمت القاضي بذلك الخبر فقال هي برية ليس عليها ادنى حق ولقد تكلمت بكلام الصدق ثم دخلت لعند الحريم ورجعت عليا لعند ابيها وهي في غم عظيم فلما رآها ابو زيد راجعة تنهد من فواد قريح وقلب جريح وقد عظمت عليه المصيبة وقال لو لم تكن معي عليا في هذه التغريبة ما كنا امتلكنا بلد ولا ظفرنا باحد ولو كنا اضعاف هذا العدد لانني كنت اذا نظرتها وهي في الميدان يشتد مني الجنان ولا اعود اشبع من الطعان وقتال الفرسان ثم انه تاوه وتنهد وبعد ذلك انشد يقول

يقول ابو زيد الهلالى سلامه الى الغرب قد صارت جميع الفوارس

انا ثالث الاثنين ان جد سيرهم ... ورابعهم وان احوجت كنت خامس
انا مزعج الفرسان في ساحة الوغى ... واني قوي العزم صعب المرايس
ويوم اتونا الملوك وجهروا ... وقد اسروا الزينات ثم النواعس
وقالت عليا يا ابو زيد غيثنا ... ايا امير لاتخشى حديث المجالس
ثمانين بنتاً من هلال اسارى ... بنات الامارا لابسين الاطالس
وقلنا الينا ياهلال انجدونا ... غدينا سبايامع الوجوه العوابس
ابو زيد انجدنا واستر عروضنا ... فمثلك من يصلح لحرب الفوارس
فلما سمعت القول هاجت ضمائري ... وقد ثار مني هادساً واي هادس
فشجعت نفسي ثم كريت على العدا ... ومكنت ضربتي بالدروع الاوابس
وكانوا يجوني من هناك ومن هنا ... فرديتهم شبه الجراد الحابس
ولما رأت عليا هجومي على العدا ... فخافت ان اكون على الارض ناكس
ناديت ايا زغبي فانجد سلامي ... احاطت به الفرسان مثل الاشاوس
اتاني الفتى الزغبي دياب الغانم ... يطارد الاعدا كالليث عابس
فخمسة منا طاردوا خمسمائة ... وفيهم اماجد ثم فيهم فوارس
فاولنا كان الخفاجي عامر ... وثانينا القاضي يكيد الفوارس
وثالثنا الهلالي ابو علي ... ورابعنا الزغبي وانا كنت خامس
مقال ابو زيد الهلالي سلامه ... انا راجع الى نجد دون الفوارس

فلما فرغ ابو زيد من هذا الانشاد ركب ظهر الجواد وقال والله لقد مليت من الحرب وليس لي بعد حاجة في بلاد الغرب ثم رأته الامراء والفرسان قد رجع الى الوراء ازدادوا غماً وكدراً واستعظموا الحال

وعملوا انهم بدونه لا ينفعون في القتال فعند ذلك تقدم الامير زيدان وقال للسادات وارباب الديوان نحن والله بدون ابي زيد لانقدر على عمل وحيلة ولولاه ما كنا قطعنا كل هذه المسافة الطويلة ثم اشار يقول

يقول الفتى زيدان عما جرى له ... ارى ابو زيد الهلالي راح
اذا راح ابو زيد الهلالي مشرق ... ما عاد لكم بين الانام نجاح
والنيل حايطكم ومانع ظعنكم ... بوسط المخاضة مثل بحر طفاح
ابو زيد ماله بالمغارب حاجة ... حتى يسير له يجد رواح
وان رجعتم يهلكوا اولادكم ... ويبقوا على وجه الاراضي طراح
ولنجد ما نقدر نعود بظعننا ... يوجد لنا اعداء بكل بطاح
فاسكندرية والعريش وغزة ... واللد والرمله وكل انواح
والقدس ثم الشام وحمص بعدها ... اما حلب ابطالها فرجاح
هولاء جميعاً مبغضين لقومنا ... ذاقون منا بالحروب كفاح
فاذا رجعنا يقتلونا كلنا ... يدعونا فوق الرمال تراح
ابو زيد ان عاد يذهب بينهم ... بي حيلة منه وضرب صفاح
قوموا اليه وادركوه بالعجل ... بكباركم وصغاركم وملاح

فلما فرغ زيدان من هذا الشعر والنظام وسمعه الامير حسن وباقي الامراء الكرام قالوا لقد تكلمت بالصواب واشرت بامر لا يعاب لان ابا زيد سيفنا الصقيل ورمحنا الطويل وقال الامير حسن مرادي ان اذهب اليه والح بالكلام عليه فعساه ان يسمع ويرجع والا بدونه فلا نصلح ولا ننفع ثم ركب في الحال واخذ معه جماعة من الابطال

وسار الى عند حسين الجعبري وقد علم ان ابا زيد محق في رجوعه وغير مفتري فالتقاه بالتعظيم والاحترام واكرمه كل الاكرام وبعد ذلك قال له الامير حسن ان كل غاية مرادك ان ترجع الى ارضك وبلادك فدع ابو زيد يوصلنا الى بلاد الغرب والا تشتت شملنا وتهنا عن الدرب ثم اشار يقول من فواد متبول

يقول الفتى حسن الهلالي ابو علي ولي قلب من بين الجوانح طار
ياامير قد جيناك نرجو لهمتك ايا ليت عمرك اطول الاعمار
فاولادنا بالقيروان وقابس رهاين وهم في قلعة وحصار
نريدك ترد ابو زيد يا ملك يدلنا للقيروان جهار
فادخل عليه لا بد يقبل عزيمتك يا برمكي يا مقري الخطار
حتى نروح الى البلاد نجيبهم ونجعل بلاد القيران دمار
فقلبي على مرعي قدذاب وانكوى وشبت بقلبي والضماير نار
لان سلامه خاضعاً لاوامرك وانت مني ارجع ولا تندار
وخلي كلام الجازية ام محمد فلا بد اتركها تروح نشار
على شان مرعي هنت حالي وجئتكم واتوك هلال كبارهم وصغار

فلما فرغ الامير حسن من شعره ونظامه وفهم حسين الجعبري فحوى كلامه قال انا لا بد لي من الرجوع الى دياري وتلك الربوع ثم انه التفت الى ابي زيد وقال بحياتي عليك ان ترجع الى قومك بني هلال وتذهب معهم الى بلاد الغرب وتلك الاطلال فقال سمعاً وطاعة ثم انه ودع زوجته وعمه ورجع من تلك الساعة وكان قد تأثر على

فراق عليا لانها كانت اعز عليه من نساء الدنيا فبكي بدمع مهراق من
الم الفراق فلما اشتدت عليه الاحزان اجتمعت الامراء والاعيان ودخلوا
على الامير حسن في الصيوان وقالوا ما هو رأيك ايها السيد المحترم
فان ابا زيد كثير القلق والغم فقال عرندس والامير دياب وجماعة من
اكابر الجهال والشباب انه من الصواب ان يتزوج فتزول عند الشدة
ويحصل على الفرج فصار كل واحد منهم يقول انا ازوجه ابنتي
واشاركه في مالي ونعمتي ثم انهم جمعوا بنات امراء القبيلة وزينوهنَّ
باحسن الثياب الجميلة وكان من جملتهن ثمانين بنت من بنات الامارا وهم
بنت الامير دياب ليث الغاب وبنت الامير حسن وبنت الرياشي
وبنت عرندس الاسد المفترس وبنت الليث الكندي والقاضي بدير
والجازية ام محمد التي بسببها حصل هذا النزاع والنكد واحضروهن
اما ابي زيد واعرضوهن عليه واوقفوهن بين يديه وقالوا له اختار
لك واحده من هذه البنات لك زوجة عوض عليا فان كل واحدة منهن
اجمل منها واحلى وانت احق بهن واولى فلم يرضى ولم يقبل احد منهن ثم
تقدمت الجازية الى بين يديه واعرضت نفسها ايضاً عليه وكان كما تقدم عنها
الخبر جميلة المنظر ومحبوبة من جميع البشر فقال لما ارجعي ارجعي على
مرتين والا جعلتك بسيفي قطعتين فاغتاظت من هذا الكلام وكانت تظن ان
يتزوج بها وتبلغ المرام ثم خرجت هي والبنات الى المضارب والابيات
وفي اليوم الثاني عبرت بنو هلال نهر النيل وقد استراح بالهم من هذا
القبيل وما زالوا يقطعون البرارى والبيد حتى وصلوا الى بلاد الصعيد

﴿ هذا ديوان الماضي في بلاد الصعيد ﴾

وكان الحاكم عليها في تلك الايام رجل صاحب قدر ومقام وفضل
واحترام عديم المثال بين الرجال قد اتصف بالجود والكرم ومحاسن
الشيم وبجوده كانت تضرب الامثال في المشرق والمغرب واسمه الماضي
ابن مقرب وكان صاحب حسب ونسب واصله من بلاد العرب
وكانت اقامته في بلاد نجد العديه الى ان تملكها بنو هلال بالقوة
الجبرية وقتلوا ملكها الهيدبي ابن عطيه واستوطنوا فيها وانتشروا في
جميع نواحيها فاصطحب الماضي مع الامير حسن وسادات بني هلال
غير انه لكثرة الرجال وازدحام المراعي بالنوق والجمال ارتحل الماضي
من تلك الارض وسار باهله وعياله ونوقه وجماله ومن يلوذ به من
رجاله واتى الى بلاد الصعيد وسكن في تلك البيد وكان ملكها رجل
جبار صاحب بطش واقتدار وهيبة ووقار يقال له نصار فائتلف مع
الماضي اشد ائتلاف وجعله نائبه في تلك الاطراف ثم زوجه بابنته
وشاركه في ماله ونعمته وبعدموت الملك نصار تسلطن الماضي على تلك
الديار وكان محبوباً من الكبار والصغار فلما وصلت بنو هلال الى تلك
البلاد كما تقدم الايراد التقاهم الماضي بالترحاب والاحترام واظهر لهم
مزيد الاكرام نظراً لما بينه وبينهم من الحب القديم والوداد المستقيم
وانزلهم في بلاده مع رعياه واجناده واخذ الامير حسن ومن يلوذ به
بحضرته من اعوانه واكابر عشيرته الى سرايته واجلسهم في اعز مقام
وذبح لهم الطيور والاغنام وجعل يترحب بهم بهذا الشعر والنظام

قال الفتى الماضي ابن مقرب   يا مرحباً في من اتوا اصعيدنا
يا مرحباً بك يا امير ابو علي   يا ابن حازم كان جدك سيدنا
انتم اقاربنا ونحن اقاربك   حاشا نكيد لكم وانت تكيدنا
رحلت من نجد وجئت لارضنا   ارض الصعيد وملكها في ارضنا
قد كنت ابكي دائماً لفراقكم   حقاً وما عاد البكاء يفيدنا
اضات منازلنا بكم يا ابو علي   والله من فضله علينا يزيدنا
يا مرحبا بك يا امير سلامه   انت الامير فخر العباد وسيدنا
يامبيت اهلاً وسهلاً يا امير بقربكم   انت قليد هلال ثم قليدنا
اهلاً وسهلاً في بدير الفايد   ودياب زغبي طاب فيه نشيدنا
اهلاً وسهلاً في هلال جميعهم   مع كافة العربان حلوا بيدنا
جولوا وارعوا في البلاد ظعونكم   واستوطنوا في ارضنا وصعيدنا
قول الفتى الماضي بقلب فارح   قلبي فرح فيكم وزال نكيدنا

قال الراوي فلما انتهى الماضي من شعره ونظامه شكرته الامراء على حسن اهتمامه ثم اخذهم الى ابياته واقام الامير حسن في ضيافته مع اهله وسادات عشيرته مدة عشرة ايام في اعزاز واكرام وشرب مدام واكل وطعام وبعد ذلك تفرقوا في بلاد الصعيد وانتشروا في البيد وهم في سرور وافراح وبسط وانشراح فاتفق في بعض الايام بينما كان الماضي جالساً على الطعام قال له احد الاعوان اعلم يا ملك الزمان قد بلغني من بعض النسوان انه يوجد في بني هلال امراة بديعة الجمال عديمة المثال في الحسن والكمال والقد والاعتدال وفصاحة المقال لا يوجد

ثلها بين الخلق لا في الغرب ولا في الشرق واسمها الجازية
ثلها الشمس الضاحية فاذا خطبتها منهم حصلت على السرور
والافراح لان طلعتها تنعش الصدور والارواح فقال الماضي ياقوم
ما لها وجه وان طلبنا منهم يقولوا الماضي بدحق ضيافته منا بنت من
بنتنا فقال له الوزير ياملك الزمان الزواج بين الناس ما هو عيب
والذي يتقرب من الناس خير من الذي يبعد عنهم فلما سمع الماضي
كلامه اشار يقول

يقول الفتى الماضي ابن مقرب ... قلبي الى نحو الزواج يريد
وفي خاطري ارسل كتاب لبو علي ... اطلب منه اخته بوكيد
ولكنني خايف يقولوا بذاتهم ... عزمنا الماضي للديار عميد
عطانا وحيانا وحيا ركابنا ... وارسل الينا بالكتاب يريد
يريد فتاة الجازية ام محمد ... وهي بنت سيد يا امير وسيد
بقوا بافكار وعظم وسواس ... سكارى حيارى والفواد حقيد
ودولا ضيوف في طالبين مغرب ... الى تونس الخضرة بلاد بعيد
يا قوم مالي عين ارسل لبو علي ... وانا مستحي والرب عليّ شهيد
انا عملت المعروف ياقوم معهم ... من الخير اكلفهم وكون سنيد
وجنا الثنا يا قوم خير من الغنى ... ترى الكل يغنوا والاله مريد
فلو قعدوا عندي عوام كثيرة ... وجبت لهم رزق لسد سديد
ما اكرم قدر دبع ابو علي ... ولا قدر ابو زيد الامير وكيد
عمر وعامر والامير ابن غانم ... وايضاً بدير والامير سعيد

غدا يرحلوا عنا يروحوا مغرب ولا يتركوا في ذا البلاد وليد
فهذ كلام قط ما فيه فايد ورد جوابي في كلام مفيد

فلما فرغ الماضي من كلامه وقومه يسمعون نظامه فقال بعض الحاضرين وكان من الوزراء المتقدمين لقد سمعت انا ايضاً بخبر هذه الصبية وما فيها من المحاسن البهية ولكن اعلم انهم لا يزوجونها باحد ولو كان من الملوك واعاظم العمد فاذا كان ولا بد لك ايها الملك من ذلك فاطلب اولاً فرس دياب الخضرا التي لا يوجد مثلها في جميع الممالك وانا اعلم انه لا يعطيها لان نفسه معلقة فيها وبهذه الحيلة يصير لك وسيلة على ان تطلب الجازية وتنال المراد بعون رب العباد فلما سمع الماضي هذا الكلام تعلق قلبه بالجازية وهام وكان استحسن هذا الخطاب وراه عين الصواب فكتب الى الامير حسن يقول وعمر السامعين يطول

يقول الفتى الماضي ابن مقرب ودمعي جرى من فوق خدي عايم
يا غادياً مني على متن ضامر تسبق هبوب الريح ثم النسايم
اذا جئت الى عند الامير ابو علي حسن ابن سرحان وفي الزمايم
فقل له ابن عمك وصاحبك وقلبه يحبك من سنين القدايم
وقول له اسمع يا امير مقالتي وافهم من الماضي معاني لوازم
فقد بلغني يا امير بانه موجود في قومك خيول اكارم
الا فارسلوا لي من خيار جيادكم اريد انا خضرة دياب ابن غانم
وان كان تعطوني يا امير نظيرها فابقوا عطيتكم الا يا اكارم
فرد جوابي يا امير ابو علي واسرع في الجواب ان كنت فاهم

فقال الفتى الماضي على ما جرى له　　انا مستحي منكم والله عالم

قال الراوي فلما انتهى من هذا الخطاب سلمه الى نجاب وامره ان يسير في الحال الى بني هلال ويسلم الكتاب الى الامير حسن وياتيه الجواب فاخذه وسار وجد في قطع القفار حتى وصل الى بني هلال قبل الزوال فدخل على الامير حسن وسلم عليه واعطاه الكتاب وتمثل بين يديه فلما فضه وقراه وعرف حقيقة فحواه اعتراه العجب واحتار من هذا الطلب ثم انه تلى على ابو زيد الكتاب وقال له كيف عاد الراي عندك انا اعلم ان دياب ما يطلع عن الخضراء ولو ذهبت كل بني هلال فلما سمع ابو زيد هذا الكلام اشار يقول

يقول ابو زيد الهلالي سلامه　　هذه امور مشكلات عصاني

احضر اكابرنا وكل شيوخنا　　ونسير الى عند الامير دياب

نطلب الخضرا منه يا ملك　　وان ابى لاتكون مرتاب

نرسل عوضها الجازية في هودج　　نجزي بها الماضي يا حبابي

وتقول له رحنا لعند الزغبي　　من اجل خضرته بجمع ركابي

واعطيه مال وخيل سوابق　　واعطيه خدم وعبيد رقابي

ابى فارسلنا اليك الجازية　　هي بنت عمك افخر الانساني

قول الفتى المسمى الامير سلامه　　يا بو علي هذا جميع جوابي

فلما فرغ ابو زيد من كلامه والامير حسن يسمع نظامه فقال ابو زيد ان الراي عندي ايها الملك المهاب . ان اذهب انا وانت مع القاضي بدير الى منازل الامير دياب . ونعلمه بما تم وجرى ونطلب

منه ان ينعم بالخضرا وندفع له عوضها مهما اراد من الاموال والخيول الجياد والاسآت احوالنا وانشغل بالنا فقال الامير حسن دبر يا ابا زيد برايك الحسن فركبوا وساروا في الحال حتى اشرفوا على تلك الاطلال فالتقاهم الامير دياب بالاكرام والترحاب واولم لهم الولائم وقال اهلاً وسهلاً بالسادات الاكارم وبعد ان جلسوا قليلاً التفت الامير حسن الى دياب ابن غانم . وقال له لي عندك حاجة اريد ان تعديها وتبلغ امانيها ثم اشار يخاطبه بهذه الابيات امام الامراء والسادات

قال الفتى حسن الهلالي ابو علي   يا امير زغبي افتهم اعلامي
اتانا من الماضي كتاب يقول به   سلام ومن بعد السلام كلام
يقول اريد خضرة دياب الغانم   امير بني زغبه ابو غنام
اتينا اليكم يا امير جميعنا   ومن يقصد الاجواد لا ينضام
الا يا دياب خذ خيولي جميعهم   وبوشي ومالي يا فتى وغنام
وخذ لك بنتي يا امير حليلة   واسترنا يا ابن خير كرام
مقال الفتى حسن الامير ابو علي   اني دخيلك يا ابو غنام

قال الراوي فلما فرغ حسن من كلامه . وفهم دياب فحوى قصده ومرامه قال له بحضور السادات يا امير حسن كل شيء عندي في قبضة يدك الا الخضره ما فيها تفريط لان روحي وروحها سوا ثم ان دياب اشار الى حسن يقول

قال الفتى الزغبي دياب الغانم   انا صاحب الجودات والاكرام

ابو علي اطلب موالي جميعها   واطلب ابوشي يا حسن وسوام
اطلب بناتي والعبيد وابلنا   واطلب الى موسى مع غنام
خضرتي فلا تذكرونها   واليس بها دستود يا درغام
رابط الخضره جوات منزلي   وحافظها من كل قرم همام
قيدين فيها باليدين مقيدة   ومفتاحها عندي بغير اوهام
بيدي ارعاها بيدي اسوسها   واطعمها لحم القديم دوام
واسقيها لبن اللقاح على المدى   وافرش لها فرش الحرير تنام
وربيتها مهرة صغيرة بحينا   الى ما بقت فرس عديل تمام
وعلمتها طبعي تعلمت طبعها   وفيها خصائل يا امير فهام
اذا نمت في ارض الفلاة مع الخلا   وكنت فريد في البر والاكام
تقف على راسي يا امير واقفة   وتنظر لنحو البر يا درغام
اذا نظرت للزوال تضرب بيدها   وتندهني سريعاً افز قوام
وان كان ترميني واعود مشوايح   توقف بجنبي ما تريد هزام
وعند ما اركبها انال مطالبي   شبهتها بالبر طير حمام
فوالله لو جابوا العرب كل خيلهم   واموالهم من نجد لارض الشام
فما ينظروا الخضره يا امير نظرة   لو ملكت الدنيا باسرا تمام
ولا الماضي فارس ولا من رجالها   ولا هو يشابه لا ابو غنام
مقال الفتى الزغبي دياب الغانم   واقصر عنا يا امير كلام

فلما فرغ الامير دياب من كلامه التفت اليه خاله القاضي بدير وقال له هتكتنا الاماره وكيف يجوا الى عندك وما تقضي غرضهم فقال

فقال دياب يا خالي ان الخضرا اعز عليّ من البنين والبنات فخذ عوضها
مهما تريد من الخيول السوابق لاني لا اعطيها ولو اجتمعت علي كل الخلائق
فاغتاظ حسن من هذا المقال وعول على الرجوع الى بني هلال فنمعه
الامير غانم عن الرجوع واضافه عنده بمن معه من الجموع وذبح لهم
الاغنام واكرمهم غاية الاكرام وفي ثاني الايام دخل على ابنه الامير
دياب وعاتبه اشد عتاب وغلظ عليه في الخطاب وامره ان يعطيهم الخضرا
رغماً عنه وجبراً فاجابه الى ذلك المرام ولم يقدر يخالفه بالكلام ثم انه
اسرج الخضرا في الحال وقادها الى الامير حسن وانشد وقال

يقول الفتى الزغبي دياب الغانم — انا صاحب الهمات يوم طراد
يا بو علي لست بخيل ولا ردي — ولا انا بين الملا مرصاد
ولكن جيتم يا امير لنحونا — تريدوا الى الخضرا يا اجواد
وما طاق قلبي يا امير فراقها — وربيتها احسن من الاولاد
وقلت انا ما هي عطية لبو علي — وليس له فيها الامير مرام
ولكن سيرسلها لابن مقرب — انا احق في فرسي من الابعاد
وقدرك كبير عندنا يا بو علي — ونحن عبيدك كلنا بوكاد
ترى المال ثم الابل يا ملك — الى خضرتك يا بو علي تنقاد
انا تحت ظلك يا امير ابو علي — فافعل بنا ما تفعل الامجاد
مقال الفتى الزغبي دياب الغانم — روحي فدتكم والحشا وكباد

قال الراوي فلما فرغ الامير دياب من كلامه شكره الامير حسن
على حسن اهتمامه واشار يجيبه بهذه الابيات على مسامع الامراء والسادات

قال الفتى حسن الامير ابو علي اجاد الفتى الزغبي دياب اجاد
اجاد ابو وطفا دياب الغانم امير على كل الاكابر ساد
فدونك مني يا امير قبالها ثمانين فاطر تعجيب النقاد
وخذ لك ميتين بكره عديله وميتين درعاً من شغل بغداد
وخذ لك ميتين عبد وعبدة ملاح المعاني عندنا تنقاد
وخذ ميتين حمل من الذهب وحملين عنبر ثم حمل زباد
وخذ لك بنتي يا امير عطيه يا ابن قوم جيدين جواد
وانت عمرك ما بخلت بحاجة وانت دياب سيد الاسياد
يا ليت عمرك الف عام على المدا تعيش ولا تنظر الم ونكاد
مقال الفتى حسن الهلالي ابو علي اتانا ابو وطفا بلا ميعاد

قال الراوي فلما فرغ الامير حسن من هذا المقال قال له ابو زيد اكتب كتاب الى الماضي وارسل له الحضرا في الحال فكتب اليه يقول

يقول الفتى حسن الهلالي ابو علي فحاشا لمثلي ان يكون بخيل
ايا ماضي ارسلت الينا تقول لنا اريد انا خضرة دياب عجيل
ارسلت لك خضرة دياب بسرجها والدرع والدبوس والتكميل
وما مثلها عند الملوك جميعها وليس لها عند الملوك مثيل
ايا ليتها يا ابن عمي مباركة فوكل عليها يا امير وكيل
مقال الفتى حسن الهلالي ابو علي تمنيت عمرك ان يكون طويل

فلما انتهى حسن من هذا الخطاب سلمه الى النجاب وامر ان يسير بالحضرا لعند الماضي ويعطيه الكتاب فبكي دياب على فراقها

وتقدم اليها وعانقها فاخذها النجاب وجد في قطع الاراضي حتى وصل الى عند الماضي فقدم له الفرس واعطاه الكتاب فلما قراه وراى الخضر تعجب من كرم الامير دياب ثم انه سلمها الى اثنا عشر سائس ووكل بها جماعة من الفوارس والتمت من حوله اكابر قومه وهنوه من نحو الخضرة ونظروا اليها فماراوا لها نظير بين الخيل فقالوا له يا امير ماضي هنياً لك بهذه الفرس الله يجعلها مباركة فقال لهم الماضي اركبوا خيلكم ودعونا نطلع على الصيد ونجرب فعلها فقالوا نعم لواي ثم انهم ركبوا خيلهم والماضي شد على الخضرة وركبها وساروا الى ان وصلوا الى مكان الصيد فاطلقها الماضي مشوا فطلعت الخضرة لقت الخيال ما هو خيالها وكانت تشيله من ظهرها اكثر من خمس اذرع فوقع على الارض مثل عدل اخنه وتمت الخضرة مشوارها الى ان اخذت حدها وعادت الى فوق راس الماضي ووقفت فوق راسه وصارت تهز براسها هذا والماضي غشيان فلما افاق من غشوته لقا الخضرة واقفة فوق راسه فقام على حيله وقادها من رسنها وما قدر عاد ركبها وسار الى عند قومه فقالوا له كيف يا امير فعل الخضرة اشار يحكي لهم ويقول

قال الفتى الماضي ابن مقرب   الرجل لا يامن هموم الدهري
اسمع كلامي يا امير وافتهم   قد حرت يا ذا الوزير بامري
جتنا ترى الخضرة فرحت بشوفها   وانشرح مني الحشا والصدري
وركبتها حتى اشوف لركبها   طارت شبيه الطير يم الوكري
وراحت كما الغزلان غابت بالفلا   وقعت فوق الذلا عند الصخر

بت عن نفسي وحيلي انقطع ‏ وتكسرت جنابي من الظهري
زير مالي قلب اركب لها ‏ اخاف ترميني ازور القبري
فكيف يقواها دياب وعزمها ‏ شبهتها للقلع وسط البحري
منذ فما تصلح اكون خيالها ‏ الله يعلم بالامور ويدري
نا برسلها غدا لاهلها ‏ لعند ابومرعي طلوع الفجري
ماذا يكون الشور عندك ياوزير ‏ اسرع برد القول يا بو عمري

قال الراوي فلما فرغ الماضي من كلامه والوزير يسمع نظامه فقال له الوزير يا امير ماضي بلكي ما هي خضرة دياب ياما عند بني هلال من خيل خضر كثير يمكن ارسلوا لك غيرها فقال الماضي لا ياوزير هذه خضرة دياب فقام من بين الامارة امير من جماعة الماضي يسما سرور فقال يا قوم انا بعرف الخضرة ولي فيها علايم فقالوا العرب ما تكون علايمك فيها فقال الخضرا ما تاكل الا القديد الضان ولا تشرب الا لبن الجمال ولا تنام الا على فرش الحرير وان دست راكباً توقف فوق راسه واذا شافت زوال تضرب في يدها على الارض وتضربه في راسها حتى يقوم فان كان هذه الحصايل فيها تكون خضرة دياب وان كان هذه الحصايل مافيها تكون ماهي الخضرة فقال الماضي نحن نجربها هاتوا شعير فجابوا شعير وحطوه في مخلاية وحطوا المخلاية في راسها فما اكلت منه فقال هاتوا القديد فجابوه وحطوه قدامها فاكلت حتى شبعت فقال هاتوا ميه فجابوها وحطوا قدامها فما شربت فجابوا لبن الجمال شربت حتى ارتوت فقال هاتوا واربطوها قدامي فربطوها قدام منه فصارت تنام وتقوم

ولا كانت تنام فقال هاتوا لها خام فجابوا الخام ومدوه تحتها فما كانت تنام فقال هاتوا فراش الحرير فجابوه ومدوه تحتها فنامت الخضرا ومدت كل اجر من ناحية فقالوا هذه خضرة دياب ابن غانم بعينها فقال الماضي يا قوم دياب ما اعطا فرسه الاغصب عنه من حسن ونخاف تقع بينهم عداوة ونكون نحن سببها فبينما هم بالكلام واذا بنجاب مقبل من صدر البر وهو قاصد الماضي ولم يزال حتى وصل الى باب صيوانه فخول على باب الصيوان وسلمه كتاباً وتمثل واقفاً بين يديه ففتحه الماضي وقراه امام السادات والعمد واذ به من عند شكر الشريف ابن هاشم زوج الجازية ام محمد يتضمن على سلام وافر وشوق متكاثر ومن اعجب ما تضمنه وحواه هو تنازله عن الجازية وتقديمها له لتكون من جملة نساه وكان السبب الذي اوجب الى ذلك الامر المستغرب الذي لم يسمع مثله في العجم والعرب هوان بني هلال عند وصولهم الى مدينة الشام وحروبها مع شبيب التبعي كما سبق الكلام كانت الجازية ارسلت الى بعلها المشار اليه كتاباً تسلم عليه وتعلمه عن مسيرهم الى بلاد المغرب وانهم سيجتازون في طريقهم على الامير الماضي ابن مقرب وانه بالكاد ان ترجع اليه وتراه فلما اطلع زوجها على هذا التحرير وقراه وعرف حقيقة فحواه اوجبه الحال ان يكتب للماضي ذلك المقال لانه كان يحبه ويود قربه فتنازل له عن زوجته نظراً لفرط مودته وارسل له ايضاً صورة الكتاب على سبيل العهد والميثاق وهذه صورته

قال الفتى شكر الشريف ابن هاشم ولي قلب من وسط الحشا موجوع

وعيني لا تنام ولا تالف الكرى جرى دمعها فوق الخدود نبوع
وخضت بحور العاشقين جميعها وانحط لي سيف وسطهن قلوع
وهذه مقاذيف المراكب في يدي وابكي على فقد الحبيب دموع
اصبح سبا قلبي وروحي ومهجتي واصبح قلبي والحشا مصدوع
ثم ايها الغادي على متن ضامر يجد السرى في سهلها وربوع
اذا جئت الى الماضي ابن مقرب فاعطيه مكتوبي وكون خضوع
امير الملا سلطان كل بلاده ومقري اليتامي في سنين الجوع
يا ماضي جائك العرب من بلادنا وانت تراهم سائرين نجوع
عرب ان احتاجوا اليك تخاضعوا واذا استغنوا ما ينفعوك نفوع
فيهم فتاة الجازية ام محمد عليها ثياب الطيلسان لموع
اذا خيط الخياط وضيق ثوبها تقول ياخياط زيد وسوع
ارسلت لك يا ابن مقرب حليلتي ياصاحب الصيوان العالي المرفوع
ذخرة المحتاج ان قل ماله يا حاكماً على بلدانه وجموع
هديها لك فاتخذها زوجة وادخل عليها لا تكون جزوع
وهذي تكون مني اليك عطية فهي تحت تصريفي بلا ممنوع
وان عصوا فلم عليهم يا امير جموعك وجرد عليهم في كثير جموع
ثم هكذا قال الشريف ابن هاشم سلامي عليكم ثم كل جموع

فلما فرغ الماضي من قراءة الكتاب وفهم الحاضرون ما حواه من
الخطاب اعتراهم العجب واخذهم الطرب وقالوا وحق علام الغيوب لقد
جاء هذا الكتاب طبق المرغوب لانه قط لم يخطر في بال احد بان

شكر الشريف يتنازل عن الجازية ام محمد فاتفق راي الجمهور بوجه الاجمال على ان الماضي يرسل الخضرا الى بني هلال ويعلمهم بواقعة الحال ويطلب منهم ارسال الجازية بدون اهمال فاستصوب الماضي هذا القرار وايقن ببلوغ الاوطار وكتب الى الامير حسن بهذا الصدد وارسل الخضرا وطلب منه الجازية ام محمد وهذه صورة الكتاب وما تضمنه من الخطاب

يقول الفتى الماضي ابن مقرب ... بدمع جرى فوق الخدود بداد
يا ليت عمرك الف عام على المدا ... تنال الهنا والخير والاسعاد
ارسلت لك خضرة دياب ابن غانم ... وابذات فيها موال ثم جياد
وسامح بها ما راد منك جزاتها ... ولكن قلبه فيه كثير حقاد
تورث العداوة يا امير وبغضه ... وتجري اموراً هائلات شداد
انا قصرت الشر والخلف بينكم ... واطفيت ناراً مضرمة بوكاد
ونحن نعرف يا امير مكارمك ... وكفك سخي طول المدا مداد
ونت نعم الطاب عالي الحسب ... اريد منكم النسب بلا ميعاد
اريد فتاة الجازية ام محمد ... وهي بنت عمي بغيتي ومراد
فخذ لك مني ميت حمره اصيله ... وميت حصان اعوجي شداد
وميت حمل حرير من صنعة اليمن ... وميت حمل من عمل بغداد
وميت عبد يا امير وعبدة ... وميتين سرية من الاعباد
وميتين مملوك من الترك اصلهم ... والفين سيف صنعة الهناد
والفين حربة صنعة ابو جباره ... مركبة يا امير على اعماد

رميتين درع يا امير وخودة والفين دبوس من البولاد
وكذلك ثمانين الف من الدراهم ذهب مصري يعجب النقاد
فقال الفتى الماضي ابن مقرب وانت لنا يا ابو علي اسناد

قال الراوي فلما فرغ الماضي من هذا الخطاب طواه واعطاه الى نجاب وسلمه الخضرا فرس الامير دياب وامر ان يسير بها الى عند الامير حسن ويأتيه بالجواب فامتثل وسار وجد في قطع القفار حتى وصل الى عند بني هلال قبل الزوال فدخل على الامير حسن وسلمه الكتاب وطلب منه الجواب واتفق بالامر المقدر ان الامير دياب كان حاضر في ذلك المحضر فلما فتح الكتاب وقراه قال الحمد لله فقد زال العنا والكرب وقد حصلنا على بلوغ الارب ثم التفت الى الامير دياب وقال له امام الامراء والاعيان هافرسك قد رجعت اليك فقم وخذها بامان واشكر الاله الرحمن على هذا الجميل والاحسان فقال دياب انني ما وهبت قط حاجة في حياتي وعدت استرجعتها الى ابياتي فابقيها لك واجعلها من جملة خيولك فقال هذا لا يكون كثر الله خيرك فانت صاحب المعروف واحق بها من غيرك فعند ذلك اخذها دياب وسار وهو في غاية الفرح والاستبشار وبعد ذهاب الامير دياب استدعى الامير حسن باخته الجازية ايه فاتت ودخلت عليه وقبلت راسه وبين عينيه وقالت له ماذا تريد ايها الملك السعيد فاخبرها كيف ارسل الماضي يطلبها ومراده يتزوج بها فلما سمعت هذا الخطاب غابت عن الصواب وقالت كيف يتم هذا الامر وبعلي هو شكر الشريف وابو اولادي محمد وعمر ثم انشدت تقول

تقول فتاة الجلحي الزية ام محمد بدمع جرى فوق الخدود بداد
الا يا اخي استمع شرح قصتي واسمع لقولي لا تزيد عناد
ترى الحرمة ما تاخذ اثنين يا فتى باي مذاهب حل وباي اسناد
انا بعلي شكر الشريف ابن هاشم سلطان مكة من اب وجداد
وفارقت اولادي بغير ارادتي وطاوعتك ما كان لي بمراد
وما فرقة الاولاد الا مصيبة فما يدخل عيني قط سهاد
وما شفت عمري من شكر قط نكبة كلاماً مغلظ ثم زود عناد
وما طلقني حتى اريد بداله وصار بقلبي لهيب ووقاد
فوالله لست للشريف رايدة ولكن ترى لي عنده اولادي
مقال فتاة الجازية ام محمد وهكذا حكم ربي علي عاد

قال الراوي فلما فرغت الجازية من كلامها وفهم الامير حسن وابو زيد فحوى شعرها ونظامها كتب الامير حسن هذا المكتوب يعتذر للماضي عن تقديم المطلوب

قال الفتى حسن الامير ابو علي اضحيت من كثر الهموم مقلقا
كنا بخير وفي سرور وفي هنا لما يجينا الضيف نفرح باللقا
امر جرى فيما جرى ياما جرى يا مير ماضي جا كتابك واللقا
طالعته وفهمت كل رموزه ان المقدر من الاله الخالقا
ان كنت طالب للزواج بلاخفا فبناتنا مثل البدور المشرقا
يا امير خذ لك ما تريد وتشتهي لكن اختي بالشريف معلقا
ولها ثلاث عنده يا ملك ما هي ايا ماضي حقيق مطلقا

ولا ذلك كنت تحظى بقربها — وتجيك في هودج وتفرح باللقا
قول الفتى حسن الهلالي ابو علي — لست هزيلا بالرجال مزرقا

قال الراوي فلما انتهى الامير حسن من هذا الخطاب سلمه الى نجاب ياخذه الى الماضي ويأتيه بالجواب فامتثل وسار وجد في قطع القفار حتى وصل الى الماضي فاعطاه الكتاب وطلب منه الجواب فلما قراه وعرف معناه كتب الى الامير حسن بذلك الصدد وكيف ان شكر الشريف قد تنازل له عن الجازية ام محمد ثم ارسل ذلك التعريف مع الرسول الذي حضر من عند شكر الشريف فلما وصل اليه دخل وسلم عليه وكان جالساً في الديوان وعنده جماعة من الامراء والاعيان وكانت الجازية ايضاً من جملة الحاضرين في ذلك المكان فافتتح حسن الكتاب وقراه وعرف رموزه ومعناه تعجب وانبهر من ذلك الخبر الذي لم يخطر في فكر بشر ثم التفت الى النجاب القادم وقال له كيف احوال شكر الشريف ابن هاشم فقال الحمد لله بخير وعافية وهو يهديكم جزيل الاشواق الوافية فعند ذلك اخبر الحاضرين بذلك التعريف وما كتبه الى الماضي شكر الشريف فلما اطلعت الجازية على هذا الحال اعتراها الاندهال وخرجت عن دائرة الاعتدال وقالت هذا لا يكون ابداً ولو شربت كاس الرداء فقال لها ابو زيد انه من الصواب يا بنت الكرام ان نرسلك الى الماضي بكل احتفال واكرام لان له علينا جميل واحسان ولا سيما ان زوجك قد رخص له بهذا الشان فمتى صرت عنده حاوليه بامر الزواج وانا اخلصك من هذه القضية وتذهبين معنا الى الغرب بالسوية وهكذا انقضت الاشغال وتمت الاحوال واغتسلت الجازية بالاطياب ولبست احسن الثياب وكانت كما

تقدم الخبر بديعة المنظر تزهو كالقمر فازداد حسنها عن الاول لما تزينت بافخر الحلل ولبست الجواهر التي تذهل الابصار ثم ركبت في هودجها بجماعة من البنات والنسوان وركب معها ايضاً الامير حسن وعدة من الفرسان وجدوا في قطع الاراضي طالبين الماضي وارسلوا نجاب يعلمه بقدوم الجازية والامير حسن عليه فاخذ الكتاب النجاب وسار وجد في قطع القفار حتى وصل الى عند الماضي فاعطاه اياه فلما فتحه وقراه زادت افراحه وكثر انشراحه وايقن بلقا الحبيب في وقت قريب وامر احد وزرائه العمدان يركب بالعساكر والعدد يلاقي الامير حسن والجازية الى خارج البلد فركب في الحال بثلاثة الاف من الابطال وسار يقطع الفلوات بالاغاني وسماع الاصوات وسارت معه ايضاً جماعة من البنات والنسوان الذين لهم قدر وشان فكانت النساء تدق بالدفوف والمزاهر والابطال تلعب بالرماح والسيوف البواتر الى ان التقوا ببعضهم البعض في تلك الارض فزادت بينهم الافراح وجدوا في قطع البطاح حتى دخلوا البلد نصف النهار وكان يوماً يستحق الاعتبار لم يسمع مثله في سالف الاعصار وكان الماضي قد زين القصر بانواع الحرير والقماش الفاخر وعند وصولهم استقبلهم احسن استقبال واحتفلهم اعظم احتفال واجلس الامير حسن في صدر المقام وجلست من حواليه الامراء الفخام ونزلت العروس عند الحريم وهي في تعظيم وتكريم ثم دارت الحلويات وكاسات الشراب على مائدة الامراء والسادات وبعد ذلك حضرت سفرة الطعام وفيها من جميع انواع اللحومات كالضان والدجاج والحمام وبعد ان اكلوا وشربوا والتذوا وطربوا اشتغلت النوبات ورقصت النساء والبنات وغنت المغنيات بانواع

اصوات فكانت ليلة لم يسمع بمثلها ولم يفعل احد كشكلها واستمر الحال على
هذا المنوال والقوم في فرح وسرور وغبطة وحبور مدة ثلاثة ايام على
الكمال والتمام واتفق في اليوم الرابع استأذن الامير حسن من الماضي ابن
مقرب بالمسير الى بلاد الغرب فقال الماضي من الصواب ايها الملك المهاب
تقيم عندي في هذه الاطلال فبلادي واسعة وكثيرة المراعي والاوفق
ان نبقى معاً ثم اجابه بهذه الابيات بحضور الامراء والسادات

يقول الفتى الماضي ابن مقرب	يا بو علي مالي اراك ضجور
اراك تريد السير يا امير ابو علي	فاسمع كلامي يا امير وشور
ابقى عندي بالصعيد وارضها	واسكن مدائنها وكل قصور
واعمل بها سلطان يا امير الملا	وانا وزيرك في البلاد ادور
اتيك باموال من كل جانب	وتبلغ مناك وما تشوف كدور
فوالله ما عادلي قلب يفارقك	حتى اموت وابقى بالسرا مقبور

قال الراوي فلما فرغ الماضي من كلامه شكره حسن على حسن
كلامه واشار يقول وعمر السامعين يطول

قال الفتى حسن الهلالي ابو علي	وحولي عساكر مثل موج بحور
بلادك وسيعة يا امير زهية	وفيها فواكه زاهية وزهور
لكن لا تحمل ظعون سلامه	وايضاً ظعن دياب ست شهور
لابد عن سوق الظعون مغرب	وتملك مدائنها وكل قصور
نخرج الى مرعي ويحيي ويونس	من حبسهم ويحظوا بعد العنا بسرور
عندكم يا امير ميتين ليلة	ذبحت بها يا امير الف جزور

فابق بخير يا امير بنعمة تنال بها الافراح وكل سرور
مقال الفتى حسن الهلالي ابو علي واني على جور الزمان صبور

قال الراوي فلما انتهى حسن من هذا الشعر والانشاد وعرف الماضي بان لابد لهم من المسير الى تلك البلاد بكى بدمع كالمطر من شدة ماجرى عليه من القلق والكدر ودعى لهم بالتوفيق وبلوغ الوطر ولما صممت بنو هلال على الذهاب والرحيل جعلت الجازية تبكي بدمع جزيل لانه لم يكن لها صبر ولا سلوان على فراقهم ساعة من الزمان فلما زاد عليها الحال واكثرت من النحيب والاعوال انزعج الماضي من تلك القضية وسمح لها بالذهاب معهم الى الديار الغربية ففرح بذلك الامير حسن وحالاً أمر الفرسان بالركوب فركبت الفرسان ظهور الخيول وساروا قاصدين بلاد الغرب وتلك الديار فعند ذلك ركب بالفرسان وسار بصحبتهم مسافة ثلاثة ايام ومن ثم حلف عليه الامير حسن بالرجوع فترجلت حينئذٍ جميع الفرسان وودعوا بعضهم بعض فدعى لهم الماضي بالتوفيق والانتصار وسارت بنو هلال لبلاد تونس لخلاص مرعي ويحيي ويونس

انتهى الجزء الرابع عشر من تغريبة بني هلال

ويليه الجزء الخامس عشر وهو الجزء الاول من قصة الزناتي خليفه

يباع هذا الجزء مع جميع الكتب والقصص باسعار متهاودة جداً في

مكتبة الترقي

لصاحبيها شكري الخوري وشركاه في بيروت

كتاب
الخامس عشر

من تغريبة بني هلال

﴿ وهو ديوان ﴾

الزناتي خليفة

وما جرى له مع امراء بني هلال من الحروب والاهوال التي تشيب رؤوس الاطفال على التمام والكمال والحمد لله على كل حال

يطلب من

مكتبة الترقي

لصاحبها

شكري الخوري وشركاه

شرقي ساحة البرج اول طريق النهر · (بيروت)

برخصة مجلس معارف ولاية بيروت الجليلة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الراوي ومازالت بني هلال تقطع السهول والبوادي من بعد رحيلهم من عند الماضي حتى وصلوا الى بلاد الغرب ودخلوها ونزلوا في وادٍ يقال لها وادى الرشاش وكان ذلك الوادي بين جبلين واحد عن اليمين والثاني عن اليسار فلما نزلوا بني هلال في ذلك الوادي سدوه من جبل الى جبل وكانت الوحوش تجفل منهم وكان الزناتي له ابن اخت يقال له العلام بن غضيه فالتفت الى الزناتي وقال له يا علام اخرج للصيد واتنا بما تقتنص فاجابه سمعاً وطاعة فقام العلام وركب واخذ جماعته ومعهم الكلاب والصقورة وطلع على الصيد فما مشوا الا قليلا واذا بالوحوش من كل جنس بين ارجلهم فاصطادوا حتى حملوا خيلهم ورجع هو ومن معه الى عند الزناتي فلما دخل العلام ومن معه والقوا الصيد امام الزناتي قال له ياعلام ما هذا انا ارى خير لان ما جاب هذا الصيد الا العجائب فقال العلام وانا اقول ان ذاك العبد الذي حبست دفاقه راح وجاب لنا البلا وعند ذلك اشار العلام يقول

يقول الفتى العلام ولد قضيه الايام والدنيا تسبب عجائب
ونيران قلبي كل ما اقول تنطفي يهب لها جوا ضلوعي لهايب

حكمنا بلاد الغرب في السيف القنا

وطاعت لدينا الغرب واهل الجنايب

وشباننا تسرح للصيد والقنص يصيدون اولاد الوحوش القصايب

مرة نصيد اثنين مرة ثلاثة وفي بعض مرات ترى الصيد غايب

وكنا نصيد الوحش من واسع الفلا صرنا نصيد اليوم جو المخارب

رينا وحوشاً تذهل العقل يا ملك تدعى لعقل الناس يا امير ذاهب

اجتنا وحوشاً ما حصينا عدادهم جتنا ذرافات الهوا والمراتب

جا الثعلب والنمس والدب جملة والذيب املا ارضنا والجنايب

وسبع الذي كان ماواه الفلا سكن عندنا اليوم جوا المخارب

انا وجدنا الصيد بالقرب يا ملك كثيرا واجناس الوحوش غرايب

فنها كالتمساح يزحف عالثرى وذيله على الارض ساحب سحايب

ومنها مثل القط والنمر مثله برانيه ترتح فوق المخالب

ومنها مثل الطور بقرون لاوي يسما ابو الفرمندراخي الشوارب

ومنها كما الانسان شبه ابن آدم بدينين بعينين باربع حواجب

ومنها مثل الغول يا ناس واكبر وذيله على ظهره شبيه الذوائب

ومنها مثل الضبع في لون اصفر

وخشمه ثلاث اشبار على الارض ساحب

ومنها مثل الفار يدعى مقشمر فتغدي وحوش البر منه هرايب

والوحش املا ارضنا واوطاننا وعدنا نصيد جوا الخرايب

يا ابو سعدا لا تفرحوا بهذا كله ماجاب هذا الوحش الا العجايب

فلا بد ان قوماً اتت لبلادنا الى حد بحر النيل جتنا نشايب
خاف من ذاك انه راح وارتجع وجاب قروماً جائت الينا تحارب
لاجل رفقاه الذين حبستهم جتنا ملوك الشرق لارض المغارب
ما قال الفتى علام ولد غضيه لا بد ما تجري اموراً صعايب

فلما فرغ العلام من كلامه والزناتي يسمع نظامه عاد في حساب وامور صعاب ثم انه فك الديوان وكل من طلب محله والاوطان والزناتي نام فراى في منامه ولذيذ احلامه ان اتته عربان مثل الجان ولهم سلطان كبير الشان ومعهم العبد الذي أتى الى عندد وراح وخلى رفاقه وشاف فارس اشقر مثل السبع الغضنفر اسمه على اسم الذيب وقاضي العرب في حكمه وملكوه بلاده وقتل اجناده فقام من منامه طايش العقل واستعوذ من الشيطان وراح من باله هذا المنام واستدعى بابن عمه العلام وقال له قد رايت منام فقال العلام ما يكون فاشار الزناتي يقول

يقول ابو سعدا الزناتي خليفه انا اصبحت يا اجواد كما الكسوف
انا كنت في رغد سليما من الدنيا وحكمي على كل البلاد يطوف
ان شاء رب العرش اهلاك طائفة يسلط عليها طاغيا وعروف
ويهملهم حتى يضلوا ويكفروا وارواحهم منهم تروح الوف
علام يا ابن العم فسر منامنا انا اصبحت من هذا المنام رجوف
رايت ان عربانا اتت لبلادنا فغطوا الاراضي سهلها وحروف
واما ملكهم كالاسد فوق ضامر حوله جمع كالجراد زحوف

قد جاء معهم العبد كالاسد قدامهم والقلب ليس مخوف
معهم فتى رايته فوق خضرة واسمه على اسم الوحوش موصوف
فكانت انا واياه في حومة الوغا وهو ذهب وانا قدامه كخروف
وقلت له خذ ملكنا مع بلادنا وانا لك على طول الزمان سعوف
قد شاوروا ابو زيد ان يطيع له وجاني على غفلة وهو ملهوف
وقال وحق البيت والركن والصفا وحق الذي اليه العباد تطوف
لا بد لي عنك يا زناتي خليفه اسقيك ضرب المرهفات سيوف
هذا رايته في المنام وراعني واصبحت منه مختشي ملهوف
عسى ان يكون هذا المنام لغيرنا ينادیكم بالعالمين زحوف
يقول الزناتي والزناتي خليفه فسر منامي يا امير وشوف

فلما فرغ الزناتي من كلامه والعلام يسمع نظامه استحضر الرمل وخطه قدامه وحرر الاشكال على شرح البال وولد البنات من بطون الامهات فبان عنده اهوال وضرب رماح ونصال من عرب كالرمال فيهم كل امير يكثر الجيش الكثير فقال

يقول الفتى العلام ولد غضيه لقد بان عندي يا امير حروف
كلاماً صحيحاً ما به قط ريبه وعلماً صحيحاً ما به مكلوف
بهذا غربان الهلالي ابو علي عليهم الذهب وهم عاقدين دفوف
وهذا ملكهم ابن سرحان يامالك امير ابن امير سيد معروف

فلما كمل العلام كلامه والزناتي يسمع نظامه فعاد الزناتي في هم وتنكيد واذا بالهصيص قد اقبل واخوانه بصحبته فقام الزناتي ومن في

المقام لملاقاته واستقبله وانزله في اعز مقام ثم اجلسوا على الطعام واخذوا يتفاوضون بالكلام فقال الهصيص يااخوان مالي اراكم مغيرين الاحوال فاخبره الزناتي بما حلمه من الاهوال فقال وانا حلمت بمثل ذلك واشار يقول

منام أ حلمت باخر الليل راعني بنارين من حولي تزيد لهيب
وقد احرقت ذيلي وهبت بارضنا
وصارت تحرق كل ارض خصيب
وقد احرقت شجر النخل وغيره وعاد لها بالقيروان دبيب
ومن بعدهاقد راعني ديب ابيض فما مثله بين الكواسر ديب
ومن بعدها قد شفت فارس احمر تحاربت انا واياه حرب صعيب
ضربني رماني عاوطا يا زناتي وراح جوادي من وراي جنيب
فما هذا الديب الذي قد رأيته وما لنا من اهل مربع هريب

فلما فرغ الهصيص من كلامه والزناتي يسمع نظامه فماد في حساب وامور صعاب من هذا الاعراب . وكان حاضر رجل اسمه سليمان خبير في طرق واراضي تلك البلدان . فقال له يا سليمان اذهب اكشف لنا هولاء العرب واتنا بالخبر عن حقيقة امرهم وان فعلت يكون لك عندنا جزيل الاحسان ورفعة الشان فاجاب سمعاً وطاعة وركب جواد وخرج من تلك الساعة وما زال سائراً يقطع الفيافي والاوعار والمهامع والاقفار حتى وصل الى وادي الرشاس فوجدهم قد كسوا تلك الارض فتخيل له يوم العرض ورآهم تحقق

ن الوف بيوتهم كالبحر الزاخر ولا ينظر لها اول من اخر فسال عن
بن امير العربان فارشدوه فدخل على الصيوان فراه مثل زهر البستان
وصاحبه الامير حسن يترحب في كل من جاء ويودع من ذهب
وادهشه كرم بن سرحان وما راى في بيت القاضي من الاموال فعاد
الى اهله الى ان وصل فدخل على الزناتي وسلم عليه وتمثل بين يديه
فقال الزناتي يا سليمان سمعنا عما خرجت اليه فانشد يقول

يقول الفتى سليمان عما جرى له ... ارى الهول ياجواد من ذو القبائل
والهول ثم الهول من كثر جمعهم ... جموعا اتت مثل حمل الرمايل
لا فاسمعوا لي ياملوك بما جرى ... انا جيتكم ياعزوتي بالزعايل

حضرت الى وادي الرشاش وارضها

نظرت لقوم كانهم بحر جايل

يقولون معهم مية الف مدرع ... وميتين الف ناقلين الزوايل
وميتين الف بالصوارم والقنا ... عليهم من الحشمة لبس الكوامل
وتنظر الى وادي الرشاش عند المسا ... لها ضوء زاهر مثل وقد المشاعل
وخيمة ملكهم مية زراع علوها ... على ضوها تلفى جميع القبائل
وفيهم قروم يقطع القلب حسها ... كما موج بحر في تواليه جايل
قالوا اتوا من نجد واقصى بلادها ... قد جابهم منها شديد المحايل
هم طالبون الغرب والخصب والصفا ... الى ارض فيها البر والخير حاصل
وقالوا لنا اولادنا عند خليفة ... بالحبس اولاد الملوك الاصايل
ونحن قد جينا نخلص اولادنا ... من تونس جينا اليها نوازل

وقد طلب سلطان مصر موالهم فقاموا اليه بالقنا والسقايل
ومنهم قلع ابو زيد الف قلمة
وخلا دما الابطال على الارض سايل
ونزلوا بارض الماضي ابن مقرب قدم لهم خيرات عادت جزايل
ورحلوا من ارض الصعيد لاجلنا وهذا خبر تحقيق ما فيه زلايل
وان نزلوا بارض الكم يرودوها قوموا اليهم لاتكونوا غوافل
لملم بلاد الغرب واجمع ملوكها وميلوا عليهم شللوهم شلايل
تعالوا اليهم بالظلام واكبسوهم وخذوا جميع موالهم والحلايل
لان معاهم كتب ادهج نواظري ومعهم زينات ملاح النفايل
ابعث ورا كل القروم جميعها على الحرب يتهيوا الضرب النصايل
وفرق سلاحك على الرجال جملة وحافظ بلادك ثم قيم المحافل
انا اوصيك يا هصيص بالحرب والقنا
وحضر قومك لايكونوا غوافل

فلما فرغ سليمان من كلامه والزناتي واخوه يسمعون نظامه فصاروا في حساب وافكار صعاب وتغيرت من الزناتي الالوان وعاد في بلاء وامحان من هولاء العربان. فقال له الهصيص علامك يا اخي تغير لونك وارتعب كونك وانت سلطان هذه البلاد وتحكم على فوارس واجناد وتحت يدك اربعة وعشرين اميراً وكل امير يحكم على مية الف عنان . فقال الزناتي اكتب يا اخي الى ملوك بلادنا فاستدعى الهصيص بقلم وقرطاس واشار يكتب الى

...وك بلادهم ويقول

...ول الفتى الهصيص قام الحربي — والنصر بالله والسيوف الحدب
...اضرين اسمعوا ثم انهضوا — قوموا وسيروا لبلاد الغرب
...ات يا علام روح الاندلس — اياك تحكي او تنادي بكسبي
...ت يا منصور روح لتادرس — هات لهم الابطال هم من صحبي
...ت يا زيتون روح لقاعه — قول لهم يا قوم ابوكم ركبي
...ات يا غضروف روح لناسه — حتى يقفوا كلهم بالدرب
...وات يا درغام روح لمغيرة — ايضاً بلاد الكرج قوم النجب
...وات يا هدار روح للمندرة — وارض ذيلالي يجونا لقربي
...ات يا شمعون روح لا كره — وقول لهم القوم عادت قربي
...ت يا طلهام روح لباجه — وقول لهم اسرعوا جري النجب
...ت يا عماد روح لاغمداس — والجيل ولديرم ابن المتبي
...ت يا جفال روح لسكرة — مثل الهبوب وقول لهم ياعصبي
...ت يا رداح روح لفتراة — للمبر وسلمان الغربي
...وات يا فراج روح وانهض — ونادي لكركر ثم بلاد العنب
...ات يا عجاج روح لثغرب — لارض مركاش ثم ارض السلب
...ات يا بلهيس روح لتودس — الى ارض مفرق ثم ارض القصب
...وات يا حماد روح وبادر — لارض مكناس وبلاد الشهب
...وات يا بولاد روح لحربة — ودور كل ديرة المتنبي
...رات يا شداد روح لقابس — دعهم يقيموا عند باب الدرب

وانت يا عبود روح لمن يجي ... ونادِ باعلا الصوت جاكم كربي
وانت يا حماد روح مقصد ... واركب جوادك لبلاد الهدبي
وانت يا سلمان اظهر للخبر ... في قيروان وقابس والغربي
واظهر الاخبار باعلا صوتك ... في الجهر ايام العلام تنبي
قوموا بنا ميتين الف مدرع ... مع ماية الف بالسيوف الحدب
نكد عليهم بالظلام جميعنا ... بالمرهفات الماضيات القضب
يا امير قومك يتخون بحبهم ... يا ما يذوقوا من حروب صعب
الحرب ساعة والثبات شجاعة ... من ذل راحت روحه بالكتب
ان الشجاعة للرجال غنيمة ... والذل يصبح للنسا والعجب
الحروب تريد قلب ثابت ... مثل العقاب على الطيور النعب
يا اهل قابس ارغبوا في كسبهم ... انتم جميعاً كلكم من حزبي
النصر بالله والسيوف مع القنا ... والخيل والتبان عندي تسبي
قال الفتى الهصيص كونوا على حضر ... وانذالكم يا حاضرين تنغربي

فلما فرغ الهصيص من كلامه والزناتي يسمع نظامه . فبعث الزناتي الى جميع الامراء واعلمهم في هولاء العرب الذي مثل الجراد ويرجع الكلام الى الهصيص فركب هو والعلام وجردوا قوم نحو ثلاثماية الف وقال الى اخيه ابقى مكانك وانا اريح افكارك وكل ماجاب فرعه ارسلها حتى ما نخلي العرب تدخل جدارنا وسار الهصيص فى القوم وفي ايام قلائل قد وصلوا الى وادي الرشاش فقال الهصيص الى ابن عمه العلام روح قدامنا بالف فارس واكشف لنا العرب اين نازلين

واخذ العلام الف فارس وسار قليلا واذا مقبل عليهم فرسان مثل جراد الزحاف وكان عقد القوم ابو زيد ومعه من الامارة الخفاجي عامر وزيدان ابن غانم فلما نظر الامير ابوزيد الى ذلك القوم قال الى رفاقه احترصوا من هولاء الابطال هذا العلام ابن عم الزناتي فوصلوا الى بعضهم ووقعت العين على العين ونزل العلام للميدان وعرض وبان وسقط اليه ابو زيد مثل سبع الحردان فقال له العلام من تكون من الفرسان حتى جيت الى هذه الاوطان انت عبد المحابيس المردان قال نعم هو يا جبان فقال له اين المال قال ابو زيد انا معي الف والباقون خلف وانا ابو زيد الهمام فلما تحقق العلام هذا الكلام صار الضيا في عينيه ظلام . واشار يقول

يقول الفتى العلام يا عبد مالك   عدمت عقلك كنت للقول كاذب
فلا بد اني اليوم اشيل لراسك   ما جيتني ذا اليوم بالقوم ضارب
يا عبد يازربول ما اكثر كلامك   سيدك تخبى غاب وانت المحارب
والله لولا العيب طيرت راسك   وخليت دمك على الارض ساكب
ومن انت تخرب الارض ياردي   يا انذل السودان هل انت غايب
ترى الغرب تحميها سباع كواسر   مذخرة للحرب يوم الكرايب
اولهم العلام ولد غضية   وثانيهم الهصيص كف الغرايب
انا خليفة حاكم الارض كلها   وحامي المغارب من جميع المغارب
مقال الفتى العلام ولد غضيه   لابد ما اسقيك كاس العطايب

فاجاب ابو زيد يرد عليه ويقول وعمر السامعين يطول

يقول ابو زيد الهلالي سلامه ... الايام والدنيا تسوى العجائب
الايام والدنيا كفى الله شرهـا ... تدعيك ماشي بعد ما كنت راكب
انا عبد للضيفان وهم بمنزلي ... اضيفهم من غاليات الغصايب
فتحسب اني عبد ما تعلم انني ... مقدم تسعين الف والجمع راكب
اما حسن سلطاننا واميرنا ... له منسف عالي لحد الركايب
اما بدير قاضي البدو كلهـا ... يقاد على الفرسان من كل جانب
وفينا فتى يسمى دياب ابن غانم ... من فرع عالي من خيار القرايب
وحيات ربي ثم والبيت والصفا ... لادعي بلاد الغرب تبقى خرايب
تقول لمثلي عبد ما تعلم انني ... امير ابن امير صاحب الرحايب
وامي شريفة سيدة بنت سيد ... الاشراف ما ترضى ببعد النسايب
ما قال ابو زيد الهلالي سلامه ... ولي عزم امضى من رهيف الارايب

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من كلامه والعلام يسمع نظامه التقوا البطلين كانهم جبلين وحان عليهم الحين وزعق فوق روسهم غراب البين وابتدر بينهم ضربتين قاتلتين وكان السابق في الضربة الامير ابو زيد في ذلك الحسام فاخذها العلام في ترس البولاد فسقطت على رقبة الجواد فبرتها كما يبري الكاتب القلم فوقع العلام على الارض فادركوه وقاموه ومن قدام الامير ابو زيد اخذوه فمال ابو زيد على اليمين والشمال واذرى واهلك من الابطال وولوا هاربين والى النجاة طالبين ووقعوا فيهم بني هلال حتى ادخلوهم في الجبال وعادت حالتهم في سؤ حال وعادت عنهم بني هلال كاسبين الخيل والمال

ولما اقبل الغلام وقومه على الهصيص وهم في تلك الحالة فصاح في الفرسان اعلموني بما جرى من هذا العربان وطلع الهصيص ومن معه الى الجبل مثل السيل اذا سال والبحر اذا جال حتى اقبلوا الى بني هلال فنظر ابو زيد واذا غبار قد حجب الابصار فقال الى قومه كثرت عليكم القوم يا شجعان فقالوا نحن فداك ونلقى اعداك ونزلوا الى الارض وكربوا حزم خيلهم وجالوا في الطول والعرض وشنوا على الاعدا غاره وغاصوا في القوم والامارة وارموهم في الذل والخسارة والغبار قد ملا الاقطار والهوادج كالاقمار والعماريات تنخي الفرسان على قتل الدشمان واول من ادرك ابو زيد الامير دياب ووراه اقبلت جميع العربان فلما نظر ذلك الهصيص وقومه اعطوه كسره واردوا الهرب فما تكاملت العربان والا ابو زيد كان كسرهم في اخر النهار ورد الخيل الشاردة والعدد المبددة وعاد الهصيص الى موضعه وكمن الى الليل وركب هو وقومه وكبسوا بني هلال واقاموا فيهم الرعبة فقامت من العرب الصيحات وعلت الضجات من كل الجهات واخلوا بني هلال الابيات واخذوا قوم الهصيص خيلهم والبنات والنوق وطلبت المغاربة الرواح فكان ابو زيد حالاً جمع اربع كرات وركبت معه العماريات وسبق القوم ومسك لهم الطريق واذا قد اقبلت عليهم العدوان فتلاقوا الفرسان على الجازية مع اولائك البنات فرد عليهم الامير دياب فتلقاه الهصيص مثل فرخ العقاب وضربه دبوس على الطاسة فحرك خضرته وولى من الهصيص هارب والى النجاة طالب ولحقه قومه

بني زغبي فر على البنات فنظروه فنادته بنته وطفاعلامك يا ابي هارب فما رد وراح وخلاها واذا بالقاضي بدير مهزوم هو وقومه فنادته الجازية لا تروح وتخلينا فقال وراي اخوك واذا حسن وقومه هاربين فنادته الجازية لا تروح وتخلينا فقال لها ابو زيد يخلصكم من الاسر فاذا ابو زيد قد لفي عليهم فلما نظروه البنات ضجوا عليه وقالوا له لا تتول ما نظرتنا فلما راى ذلك ابو زيد عادت نيرانه مشعلات ورد هو وقومه واطلق العنان وحشم الفرسان في لقاء العدوان وحميت ظهره الشجعان فالتقاه الهصهيص في الميدان فوقع فيما بينهم ضرب شديد يفك زرد الحديد فقام ابو زيد في عزم الركاب وضرب الهصهيص في الرمح فشك في درعه نثره وارماه وعلى الارض رخاه فهجمت قومه وخلصوه وصار طعن شديد يفك زرد الحديد والبنات تنادي وتنخي قوم ابو زيد وتزافط لهم وابو زيد في اولهم وولوا قوم الهصهيص شرايد واخذوا منهم بني هلال خيلهم واموالهم وعادوا الى اهلهم فلاقتهم الامارة والبنات بالدفوف والضجات وراحوا قوم الهصهيص شتات واما بني هلال فاجتمعوا في صيوان الامير حسن وحضرت الجازية تشتم وتسب وتوبخ من هرب وتمدح من حضر واشارت تقول

تقول فتاة الحي ام محمد	بدمع جرى من فوق خدي سجايم
يا ابو علي افهم كلامي وقصتي	وجوا الحشا نيران قلبي ضرايم
ايا امير ما كنا نظن هذا منكم	ولا كان في هلال الحشائم
تخلوا العذارا عند قوم تهينها	وتغدوا شرايد خائفين هزايم

لما اتا الهصيص عالضمن غاير غشاكم على غفلة غشي الظلائم
وولولت البنات من عظم ماجرى وعاد عجيج الخيل للجو قائم
على موقف الرشراش قدمت واقفة وصفقت بالرحات فوق النعائم
وناديت باعلى صوت يا ال عامر ويا للهلالين يا للحشائم
ولا مير منهم سامع الصوت جانبي وكل ليوث الحرب ولت هزائم
واول مين ولى دياب وقومه وقلت دياب اليوم مالك هازم
قف عند خدري يافتى واطعن العدا
اقف واختشي من قول كل اللوائم
يا حيف خضرتك يا حيف مرجها
يا حيف سيفك خانوك القدائم
وراح وولى واسكن القلب حسرة وخاب ظني في دياب ابن غانم
وثاني من ولى بدير ابن فايد اصابعه مبرى كبري القلائم
فقلت له يا فارس الخيل كلها سياج الهلاليات يا ابو العزائم
فقال العز يا ام محمد ما لي اصابع امسك الرمح دائم
ولكن وراي فارس الخيل ابو علي بيده حسام مثل مشهاب صارم
وثالث من جاني حسن ابن والدي
وجمع الدريد مثل سحب الغمائم
وقلت له يا حسن يا ابن والدي مالي اراك منهزم لاتقاوم
قف عند خدري يافتى واطعن العدى
وتهرب وما تخشى كلام اللوائم

فقال وراي ابن رزق سلامه ابو زيد صور الخيل يوم الزحائم
ايا جازية تلقي في ذيال وهو ابن عمك من خيار اللزايم
وراح وولى واسكن القلب حسره وراح وخلى ذابلات الوشائم
ولا عتبي الا على ابن والدي وباقي هلال ما عليهم لوائم
الا يا سميا راح ابوك وخالك وكل ليوث الحرب ولواهزائم
فقالت وجائي في ابن رزق سلامه ابوزيد صور الخيل يوم الزحايم
ابو زيد صور الخيل يوم ازدحامها امير الهلاليات ماضي العزائم
وجاني سلامه والرشاوى بكفه فقلت سلامه مالك اليوم هازم

قف عند خدري يا فتى واطعن العدا
واحمي هوادجنا بضرب الصوارم

فكم افرجتها يا سلامه يا اشجع الشجعان يا ابا الحشائم
ففى الحال لباني ابو مخيبر وهو فارس الفرسان مدري الجماجم
انا صوركم يا بنت سرحان في الوغا بسوق المنايا بايع الروح سائم
دعوا هوجي رمانة زاد حملها مدلية الاثمار تحت الكمائم
طعن دون خدري اربعين ومثلها جماجهم بالسيف راحت قسائم

واسمع بين الخيل هرج سلامه
كفرخ العقاب وعاد الصيد حائم

وحمرة ابو زيد تلوح وتختفي وكان في بحر من الدم عائم
ويطعن لعين الجازية ام محمد ويثني لاعين ذابلات الوشائم
وثالث لعين الجازية ام محمد ورابع محبة في دياب ابن غنم

وخامس لعين الجازية ام محمد　　وسادس في محبة في دريد الاكارم
وسابع لعين الجازية ام محمد　　وثامن محبة في حسن والاكارم
وتاسع لعين الجازية ام محمد　　وعاشر محبة في هلال والحشايم
وطمنات ابو زيد بعيني رايتها　　كما النار تشعل بين يبس الهزايم
ابو زيد حامينا بكل كريهة　　ابو زيد صور البيض من كل ظالم
ما قالت فتاة الحي ام محمد　　على حالها تبكي دموعاً سجايم

قال الراوي فرغت الجازية من كلامها تقدمت سميا واشارت تقول وتوبخ الامارة في هذا القصيد

قالت سميا ودمع البين رد في　　ريقها ناشف والقلب لهاسيفي
من هول يوم تعد الحيرين به　　في بلقع خالي من بعض الاشرافي
ويا هلال اسمعوا ما اقول لكم　　من بحر فكري حديث مرتب شافي
فلو نظرت ولد سرحان قول له　　حيف على سيد في الكون خوافي
ويا حيف لبس النظيف ومجاس العالي
وشاشك الحلو وسط الجمع رفرافي
تتر على الجازية يا ابي منهزماً　　ولونها منكسف من بعد اشرافي
دياب ذليت ذل الله سابقتك　　لمن غدا كانه جلمود حدافي
تتر على البيض كانك ما بتعرفهم　　والقنا خلفهم سافي وغراسيفي
والمير خداش مثل الليث منصباً　　جاري على خصمه كالطير خطافي
واما الامير معيقل انه بطل　　مهذب لدرب الحرب طوافي
واما ابو زيد زايد وصفاً　　وفي مهنده للروس قطافي

الله اكبر من ضربات صارمه على الجماجم يشبه سيل طوافي
وانتم هربتم وخليتم حلايلكم فوق الهوادج بوسط الجمع ياخافي
والجازية كانها بدر على جمل بنت الملوك وغنج الكحل رافي
فما عاد تصلح زينات العيون لكم ايضاً ولا تحظوا اليها باطرافي
وتتلكم لسيوف الهند مقبحة وسلكم للقنا من فوق الاكتافي
ما منكم فارس يذكر حليلته ونومه عندها في مطرح دافي
وريحة المسك مع الند والعنبر مع كل غنطوسة تسموا باوصافي
ايا هلال اذل الله شواربكم من دون ابو زيد ذلك السيد الوافي
يستاهل الحمد وجل ضل حامينا يوم الكريهة وهو حمال اكلافي
وحظ خداش والحيلين كائنة ودمه من سنان الرمح نظافي
وردنا بعد ما كنا لهم طمعاً والليل راخي علينا ذيله وافي
لولا ابو زيد ما كنا حلايلكم ولا نظرتم عيون السود منمافي
شاباس شاباس يابو زيد يا بطل يا حامي البيض ياتزال الاضيافي
تستاهل الحمد منا كل ما طلعت شمس النهار وعليت فوق الاشرافي

قال الراوي فلما فرغت سميا من كلامها والامارة يسمعون نظامها . فغضب الامير دياب غضباً شديد ما عليه من مزيد وقال يا سميا اتوبخيني بقولك وانا ما خليت معركة الا وقعت فيها ولكن ابو زيد زايد علينا نعم نحن نعرفه بغير قولك . واشار الامير دياب في هذا القصيد يمدح الامراء ويقول

يقول الفتى الزغبي دياب ابن غانم ولي عزم امضى من حديد المبارد

ولي عزم امضى من حسام اذا سطا ولي همة تعلو على كل ماجد
واما ابي سبع تملى بلبوة وجابتني ضيغم وكم لي عوائد
وجابتني امي وقد زال همها بليلة شتا والبرد يعطي الرعايد
وجابت مقياس من الحروب بن غانم ان اغتاظ تخشاه القلوب الجمايد
اذا مالت الثريا والموازين غربت وهب نسيم في دجى الليل بارد
التي خطا طير الفلا بعد نومه رماني ردي الحال في البيت لا بد
ولي منسف لا يلحق الرمح قاعه مرتب للخطار واللحم واجد
ولي بيت مرفوع الستارات متسع اذا ماغدا طوفاً يجي طوف وارد
ولا افرس مني فارس ينقل القنا انا افرس في يوم الوغا من يطارد
ولكن عندي يا هلال شهادة يا بن حضر في الجمع من كل ماجد
افرس مني ابن رزق سلامه انجب منه قرم يعاند
واشجع مني عند خيل تكاسرت اذا نادت الزينات يا بو العوايد
واكرم مني ابن رزق سلامه وانا اسرع عند جر الموايد
نحن عصافير وابو زيد باشق نوالي من الباشق اذا جا يطارد
بيوم تصحيح الجازية يا سلامه مفرحة ما هي من العوائد
يلبيها ابو زيد قرم مجرب يجيبها على حمرا من الخيل جايد
يقحم جلاميد المنايا حصانه كما زحف البولاد ماضي البواتر
ابو زيد زايد عن هلال وعامر كما زاد كانون الشتا في الرعايد
واكرم اهل الشرق والغرب ابو علي اذا ماحكم فصل السنين الشدايد
سميا تزميني وانا واد غانم وعزمي يهد الشامخات الرواكد

والله لولا العيب طوحت راسك　　وخليت دمك عالاعادي برايد
انا الفتى الزغبي دياب ابن غانم　　وماني من اصحاب القلوب القلايد

قال الراوي فلما فرغ دياب من كلامه والامارة يسمعون نظامه ومى ابو زيد الى الجازية فاخذت البنات وراحت والفتت ابو زيد الى الامير دياب وقال من الزم الناس الى المسبة سبوه بالحق واشار يقول وعمر السامعين يطول

يقول ابو زيد المكنا سلامه　　وكل فتى عند الكلام يقاس
ومن كان حراً صادق في كلامي　　له في اساليب الحديث قياس
وفي الناس من هولاء بلوى كلامه　　ليبيت على ما يحمدون اناس
ومن لايجود اليك يجود لغيرك　　حقيقاً ولا ناس تشابه ناس
ولا كل من يطلب ينال مراده　　فكم واحد قد ذل حظه وخاس
ولا حيط مبنياً عميق اساسه　　يشابه الى حيط بلا اساس
ولا عامنا هذا يشبه الذي مضى　　ولا ليلة القمرة كما الاغلاس
ولا سكر حلو يشابه حنظلاً　　ولا ذهب الناقي بسعر نحاس
ولا اي من مسك القنا يطعن العدا　　ولا كل من لف العمامة راس
حشد علينا جوافل الغرب ياحسن　　بالخيل والشبان والافراس
غزوا نجعنا صبحاً وكسبوا ضعوننا　　وكانت غنيمة والظلام غلاس
واميرهم يوم الوغا يندهونه　　يسمونه بلسانهم غلماس
سبوا مالكم وجمالكم مع بناتكم　　بضرب المواضي والحود عالراس
جردنا لهم ميتين الف ومثلها　　وعليها من الزرد المنيع املاس

بتنا نراقبهم وهم يراقبونا الى الصبح عيني ما عفت بنعاس
وصل علمنا نحو الزناتي خليفه وجمع عساكره وكل الناس
وقتلوا منا المعيقلي ابن تعلب امير له بالحرب سيط وباش
وعادت بنت المعيقلي تكثر البكا ودموعها على الخدود تملي الطاس
فقلت ابشري ثم ابشري ياكريمة الا وابشري بالثار دون الناس
كسرت عساكرهم وشتت شملهم ورديت انا لحريمكم وحواس
وانتم هربتم يا ابن غانم جميعكم ونار الحروب من خلفكم مقياس
وهذا بعون الله ثم بهمتي وتخمد عليَّ يا دياب انفاس
ما قال ابو زيد الهلالي سلامه غرست من المجد الحميد اغراس

قال الراوي فلما فرغ ابوزيد من كلامه شكره الخاص والعام على هذا الكلام فقال لهم ابو زيد ياأجاويد هلال لاتحسبوا ان الهصيص قد انكسر وراح فلموا بعضكم واعطوا بالكم الى حالكم والذي وراه عدو ماله هدو فاجعلوا حرس يحرس في الليل واما ابو زيد كان تعب من الكون وعرق وبرد في الليل وهو دابر في الحرس فاعتراه وجع في جوفه وماعاد يقدر يجلس على ظهر الجواد فوقف الخفاجي عامر موضع ابو زيد وبقي ابو زيد سبع ايام ضعيف هذا ماجرى الى بني هلال واما ما كان من الهصيص اخو الزناتي فجمع قومه وقال لهم والله انا اريد اعمل لهم حيلة تسوى قبيلة وارمي الاسمر بينهم حتى ننال مرادنا منهم ولو يدري ان ابو زيد نايم لغار عليهم بالنهار جهراً ثم قال الى قومه اركبوا والحقوني واتى الى بني هلال من ناحية الشرق وارسل الى

الامير حسن يخبره ان الزناتي عدونا ونحن جايين نجدة معكم عليه وسمى روحه الامير مقلد واشار يقول

يقول الفتى المسمى الامير مقلد · من ارض كورج والكبار جميع
اتينا نفدي يا حسن مع قومكم · امارة هلال كل قرم سجيع
اريد اسفكم جميلاً وطيباً · ومن سلف الاجواد ليس يضيع
لما سمعنا بسيطكم جينا لكم · ونكسب غنايهم وكل تخت رفيع
فلا تحملوا هم الزناتي خليفة · انا لكم عوناً سريع مطيع
ولا بد نملك ارض تونس بلادهم · وندعي خليفة في المجال يضيع
هذا كلامي يا امارة افهموا · انا مقلد بانطراد وليع

قال الراوي فلما فرغ مقلد من كلامه طوى الكتاب وختمه في ختمه وارسله الى الامير حسن فقراه وعرف معناه وكان ابو زيد له ثلاث ايام مريض وكان حاضر الامير دياب وبني هلال جميعهم فقرا عليهم حسن الكتاب وعلم بني هلال ما فيه فقال دياب اتونا في وقتهم واشار حسن يكتب الى مقلد ويقول

يقول الفتى حسن الهلالي ابو علي · واخبارنا في كل امر تشيع
فيا مرحباً فيما اتانا جميعهم · لكم فضة الدنيا وكل وقيع
فيا مقلد اقبل اليوم عاجلاً · واركب معانا ثم اتي سريع
لان الفتى الهصيص يا اميرهاننا · بحرب شديد يا امير شنيع
كبسنا بجنح الليل ارعب قلوبنا · وذقنا مرار الهول والتقشيع
فاجاه سلامه والتقاه بالقنا · والروح في سوق المجال تضيع

وضربه ابو زيد ارماه عالوطا فمن كان معه ادركوه جميع
تولى مخوفاً في جموعه هارب من حرب ابو زيد الامير سجيع
ولكن سلامه قد انعقص يامقلد وقد عاد من فوق الفراش وجيع
والحمد لله جيت الينا عاجل وصرت لنا اخاً رفيق تبيع
وان ملكت الغرب لاعطيك نصفها وتصير عندي في مقام رفيع
هذا ما قال الهلالي ابو علي يا مرحبا في من اتانا وضيع

قال الراوي وركب الامير حسن ودياب والقاضي بدير واكابر بني هلال نحو الف فارس يلاقوهم من غير عدد سوى المزاريق لان البدوي اين ما راح رمحه على كتفه فلما قاربوا الهصيص ركب ولاقاهم ودق طبله ونشر الاعلام وشهر الحسام وهجم على بني هلال مثل السبع الغضبان وتفرقت قومه من كل مكان وغاروا على البيوت ونهبوا الاموال ومالوا يمين وشمال واخذوا الخيل والجمال ومايه بنت فايقات الجمال واخذ البيوت من اهلها وساروا نحو قومهم فرحانين كاسبين وقال الهصيص انا ما نظرت الاسمر ولاسمعت صوته لعله يكون قد قتل اليوم واما ابو زيد فكان نايم من الضعف فسمع الضجة فقام من نومه وقال ما الخبر بهذه الصرخات فخبروه في حيلة الهصيص ومافعل في بني هلال وكيف نهب البوش والمال وسبى النساء والعيال وكيف هربت الرجال وحال فيهم الحال فصاح من قلب جريح وفؤاد قريح ونهض من ساعته وركب حمرته ودق طبله وعدل رايته فاجتمع الى عنده من بني هلال اثنى عشر الف فارس والباقي كانوا هاربين على

رؤس الجبال واخذ الحاضرين وساروا الى القوم وربط لهم الطريق وصاح فيهم يومكم فرفرفت النساء على ابوزيد مثل رف الحمام وقالت الينا ياصور الحريم فقال ابشروا يا بيض وقوم بيده عامود الحديد فصاح في القوم وقال خلوا الحريم والمال وهجم عليهم في الحسام فدعاهم رمام وكانت ساعة تحير الانس والجان وغار على الفرسان كفرخ الحمام وهو يميل على الميامن والمياسر فاتى الهصهيص الى ناحية ابو زيد مبادر وهو كالسبع الكاسر وتقابل مع ابو زيد واصطفت الجيشين ووقعت العين بالعين وقال الهصهيص انت باقي حي وفي كل موضع اراك وقال ابو زيد في هذا الوقت اريك افعالي واشار ابوزيد يقول وعمر السامعين يطول

قال ابو زيد الهلالي سلامه لي همة للضد انا مخبيها
انا ابن رزق الخيل قرم فاتك صور العذارى في الوغا حاميها
هصهيص اسمع لكلامي وافتهم انا خصمك جئتك لادميها
يا نذل يا بواق بقت بقومنا لازم علامك يا ردي اخفيها
تريد تأخذ مالنا ورجالنا من هو الذي لا حريمنا يدنيها
واليوم ياهصهيص لازم اقتلك بين الحوافر جئتك القيها
ولا بد عن قتلك واخذ جوادك لي حربة بالسم انا ساقيها
لاهلك اهلك يا ردي من بعدك من حد سيفي ما احد يحميها
قال ابو زيد الهلالي سلامه اليوم افني عصبتك وادريها

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من كلامه اشار الملك الهصهيص الى ابو زيد يقول

ال الفتى الهصهيص قول صادق ‏ في همتي نيران هبت فيها
انا لي زمان اريد حربك والصدام ‏ لي همة لاجلك انا مخبيها
نت ابو زيد الذي قد جيتنا ‏ رواد جيت لرفقتك تسميها
رحبستهم حتى جيت فكاكهم ‏ ومدامعك من اجلهم تجريها
شفعت بكم سعدا وكانت غاوية ‏ من اجل مرعي حبه كاويها
ورحت يا ابو زيد نحو بلادكم ‏ وجبت قومك والندل غاشيها
وجبهم وارميتهم وسط الفضا ‏ شورك علم في البلا باليها
لا بد عنكم يا هلال اهفيكم ‏ وحريمكم لا بد ما اسبيها
ماني المغارب قرم يلقى سطوتي ‏ ابطال قومي يشهدوا لي فيها
دونك يا بو زيد سوق مجالها ‏ روحك بسيفي في الوغا اشتريها
قال الفتى الهصهيص فيما قد جرا ‏ سوق المجال متعود احميها

قال الراوي فعندها التقوا البطلين كانهم جبلين وطار من تحتهم الغبار . وقدحت حوافر الخيل نار . هذا والفريقين تنظر الى نحوهم وحريم بني هلال تزلغط الى ابو زيد من وراه لكي يخلصهم من اعدائهم فعندها صرخ الهصهيص صوت ادوت له الجبال وقام باعه في المزراق وطوحه الى ابو زيد فاخذه في السيف ابراه كما يبري الاقلام وابو زيد ضيق الهصهيص ولاصقه وسد عليه طرقه وطرائقه وهز بيده عود الزان حتى دق الكعب الى السنان وطعنه بين بزيه طلع من بين لوحيه ثم ثنى عليه بالسيف فطير راسه . ولما نظروا جماعته ما صار ولوا الادبار وتبعتهم قوم الاخيار وقتلوا مقتلة عظيمة وما

ابقوا لهم قيمة وعاد ابو زيد وجماعته الى الخيل الشاردة والمدد المبددة واذا بالامير دياب والامير حسن والقاضي وقومهم كانوا قد سمعوا ان ابو زيد لحق الهصهيص برجال قليلة فتاملموا ولحقوه وكان السابق الى عنده الامير دياب فقال اين الرجال يا ابو زيد فقال اكفيت بعون الله فدونكم خيل اعداكم فقال دياب يا ابو زيد انت من طول عمرك تفرج عن بني هلال غمها ثم عادوا في المكاسب الى البيوت والنسا تزلغط الى ابو زيد واما هو فانه جلس في صيوان الامير حسن واشار يقول

يقول ابو زيد الهلالي سلامه ... حرام على عين المحب تنام

اذا لم يجيها ما تريد وتشتهي ... عليها بلا شك المنام حرام

ينام الذي قلبه سليم من النيا ... وقلباً شظاه البين كيف ينام

وكيف يجيه النوم والحب فارقه ... له عند زينات الملاح غرام

يا بو علي اسمع وخبرك ماجرى ... وجمع الزناتي بالقا هجام

جانا لخوة المخنجل يدرس الحصا ... غماما ومن فوق الغمام غمام

كبسكم طلوع الشمس ياامير باكر ... بقوم طشم قد يعبدون اصنام

وحلفوا لكم بالله يمين معظم ... وقالوا نحن لاجلكم حشام

وقدهجم الهصهيص بوسط حينا ... ومن حوله قوم خباث لئام

ودق طبوله طلعة الشمس باكر ... على راسه قد انشد الاعلام

وقدجالت الفرسان من كل جانب ... وكم حط منكم بالطراد غلام

وجال على الزينات والطعن كله ... وحاش جياد الخيل من قدام

تي واخذ من قيس ماية مليحة … وعشرين من طي بنات دهام

وانا كنت موجعا على حالة الزاد … اقاسي الام الضر والاسقام

جاني الخبر ارعب جميع مفاصلي … وشق الحشا والقلب ياضرغام

فدعوت الى ربي يفرج كربتي … سبحان ربي كاشف الاوهام

نهضت ولم اشعر بشيء بعيني … كسبع على جمع الغنم قحام

سرعت للحمرا وشديت سرجها … ولبستها سرجا رفيع قنام

ودقيت طبلي عاجلا ولحقتهم … بقومي بني زحلان وكل همام

سبقت انا اول خيلهم وحبستها … اشابه لسبع حابس الاغنام

زعقت انا فيهم بصيحة قوية … وطلعت نسانا مثل رف حمام

وقالوا انساكم يااهل قيس جميعكم … يالنخا ياجملة الاعمام

فناديتهم يا بيض قد زال همكم … انا ابو مخيبر بالطراد همام

نصخت العدا خلوا الحريم واسلموا … وفوزوا بارواح لكم واجسام

فلاقاني الهصهيص اسرع من القضا … عَلَى ظهر ادهم مثل برج حمام

وقال ياسلامه حاقك الشر والبلا … بزندي وكفي والقنا وحسام

ضربني اخذت الرمح بحد صارمي … وقد كان سيفي باللقا صمصام

طعنته بزرقا من يمين سلامه … بها غنت الشعار طيب كلامي

طعنت عنيد القوم بين بنوده … فخرجت حشاه والزرد وقدام

وجبت بنات البدو من قبل سبيها … وخفت العتب والعار ياطنام

وكنا اثنى عشر الف ياابن مزيد … مجربة في كل يوم زحام

ولا فارس الا وقد فاز بطعنة … لها في صدور المدرعين سهام

راحت جياد القوم منا هزايم ولا يعرفون خلف من قدام
وجاني دياب والامير ابو علي وجاني بدير والامير خزام
وقالوا يا ابو زيد اين عساكره فقلت لهم راحت بحد حسام
فقلت لهم حوشوا العدا ثم خيلهم بهمة ابو زيد الامير سلام
دياب اخذ ماية وخمسين سابق من الظهر حتى غربت بظلام
بدير اخذ ماية وعشر قلايع عرندس اخذ ماية جواد تمام
وحسن اخذ ميتين قليمة وغنمت انا لرفاقتي الاكرام
ما قال ابو زيد الهلالي سلامه هنيئاً لمن عند الصباح ينام

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من كلامه مدحوه الاماره على ما فعل وقالوا ياذلنا من بعد يا ابو شيبان . وعند ذلك اشار القاضي لشكر ابو زيد ويقول

يقول الفتى بدير ابن فايد ترى الحرب هتاك الرجال الفوارس
ترى الحرب هتاك الرجال بكونها اذا طارت الهيجات جوناءوابس
على اول بلاد العرجانا قرومهم على وادي الرشاش والضدعابس
وكنا معايا نايمين بغفلة فجانا عساكر يشبهون الابالس
كسبوا غنايمنا واخذوا موالنا واستأسروا منا قروماً فوارس
وقام صياح القوم من كل جانب وعاد ريق الفم بالحلق يابس
فقام ابو زيد الهلالي سلامه وصاح باعلى الصوت والليل عابس
وعاد علينا الهصهيص في ماضي القنا طعنه بزرقا زال منه المنافس
ورد عَلَى الفرسان اهلك جموعهم خلى دما الابطال مثل البواطس

..الينا المال والبوش كله　　وكل العذارى مع ملاح العرايس
..وب الاسارى من وراه مكتفة　　ثلاثين الفاً قادهم بالمرايس
..ت نساءنا من الخبايا وهاهلت　　باصوات تفرح كل قلب عابس
..زيد رد الخيل عنا وصدها　　وساق العذارى تجلى كالعرايس
..اض بوسط القوم قطع روسهم　　كماليث ضرغام على الصيد غاطس
..هذه فعايل ابن رزق سلامه　　وقد قل من ساواه يوم المعابس
..ال الفتى المسمى بدير القاضي　　وهذا كلامي يا قروم الغناطس

قال الراوي فلما اتم القاضي كلامه والاماره يسمعون نظامه فقال
..زيد كونوا على حذر لان الذين حاربناهم نقطة في بحر لان قوم
..ي اربعة وعشرين سلطان وكل واحد يحكم على كرة ماية الف
في هذه البلاد اخبر منكم ولكن البوش نخاف عليه من العدا ائلا
..دوه ومرادنا نبعث معه امير فقالوا من يروح مع البوش فارسلوا
..الجازية ام محمد لان كان لها ثلث الشور فاتت وارمت السلام
..وا عليها السلام واجلسوها في اعز مقام ثم بعد ما دارت القهوة
..سات الشراب التفت الامير حسن نحو الجازية وقال لها قد ارسلنا
..ك لكي نشاورك في امر البوش لانه ليس لنا مرعى لبوشنا في هذه
..ض فمرادنا ان نرسله لغيره وضع فشوري علينا من يروح مع البوش
..يدمالنا بعده تدبير وان اكون انا لا يصلح لاني امير ونخاف ان تطمع
..لاعادي ويقولون ان اميرهم راعي والقاضي بدير اصابعه مقطعة
..يصلح الا الامير دياب لانه يحميه من الاعادي فاخبرينا ما هو

الشور فقالت له هذا راس الشور فاشار السلطان حسن ينخيه ويقول

قال الامير حسن والقلب في حرقة   من اجل بوش لنا ياخيرين يسيب
نحن نخاف الزناتي غد يشغلنا   ويصير ما بيننا طعن وتخريب
والبوش تاتيه ابطال مسربلة   وياخذوا البوش مناو ينهبوا انهيب
دياب يا امير زغبي اليوم هم بنا   وارع لنا المال واحميه من الذيب
وادي الغبا والغبان اقصدوه غدا   في ست الاف عوج كالعراقيب
وامكثوا فيه شهرين متتابعة   حتى نبرد لتونس وبلاد المغاريب
ونملك مدائنها ونقتل فوارسها   اما الزناتي فنتركه الى الذيب
ونسقيه كاس الموت من فعايلنا   ندعي قصور المدا تغدي مخاريب
والقبب العالية لا بد نكسها   وكل من جا الينا راح تقصيب
مرعي ويحي ويونس ان نخلصهم   نجيب سعدا فتورينا السراديب
تنظر لنا مال ابيها مع خزاينه   واللابس ايضاً واموال المغاريب
يصير مرعي الى سعدا لها بعلاً   قولا اكيد ترى من غير تكذيب
دياب من بطل يحمي الفلا غيرك   اليوم يوم الحشيمة كن كما الذيب
السيف ما ينظر الا لحزته   يوم الكريهة تظهر للاعاجيب
ياليت عمرك طويل زايد الافراح   اما عدوك يرى عكسا وتنكيب

قال الراوي فلما فرغ الامير حسن من كلامه والامير دياب يسمع نظامه عرف انها مكيدة من الجازية ولكن اخفى الكمد واظهر الجلد وشار يطيب خاطر حسن في حماية البوش بهذا القصيد

انا دياب ابن غانم ياحسن طيب   ولا تخافوا على لوسطي لذيب

طيبا لقلبك على بوشك ايا ملك ولا تخافوا على في المخاريب
والمال مالي ما يدنو اليه احد انى مجرب باذن الله تجريب
ابن غانم وكل الناس تعرفني فعلي شهودي وتعرفه الاقارب
وانتم كونوا حذارى نحو انفسكم وحافظوا على حريمي والمراكيب
ثم احضروا للزناتي حين يطلبكم
كونوا قروماً عوابس بوقت المضاريب
وانتم هلال النقا ما احد يقهركم حكمتم الارض تشريقاً وتغريب
كم من ملك قد غدا عن ملكه قهرا ودعيتم قومه شرقاً وتغريب
الهند والسند ثم السرور واليمن كل الملوك بقوا منا مهاريب

قال الراوي فلما فرغ الامير دياب من كلامه والامارة يسمعون نظامه فشكروه وقالوا له انت علينا صاحب الغفارات وتردعنا القوم عن كل غاره واشار يقول

قال ابو زيد المسمى. كلام اكيد من جدي. خذ البوش وروح رعاه وسير الى اقصى الجرذي. تسلم هناك ملوك هلال. كذا الرعيان جميع العبدي . ومثلك من يحمي ذا البوش . همام مثلك ما حدي ان يكن توقي هذا البوش . يا امير انا لك كالعبدي . تسود علينا جهعنا . ويبقى لك فخر المجدي . احفظ نفسك والرعيان . من ابطال ومن يردي . اخاف عليك من الغارات . يجوكم ليلا بالبردي اياك بالليل تنام اياك . فخلي النوم مع الرقدي . واكرم من جاءك قاصد . اياك بقولك ترتدي . ومن يأبت منكم معنا . ينال الخير

مع القصدي . غدا خليفة يلقانا . واكون له انا الجندي . نخاف يروح
مال هلال . ويأتي الهم مع النكد . ابو سعدا قرم مجرب . وهدته مثل الرعد
هذا الزناتي يا اجواد . وضربته لا ترتدي . باكر يصبح يلقانا . في البولاد
وفي الزرد . ومعه جيش تاتينا . عَلَى خيل ضمر كالجردي . وانا يا اجواد
احصركم . انا ابو زيد انا السند . غدا اغنمكم منهم . مكاسبهم ما تنعدي
وتفرح كل هوادجنا يفوح المسك مع الند . انا اوصيكم يافرسان كونوا
عصبة مشتدى . غدا ابو سعدا ياتينا . لا نخشى ضربة حدي . ولا
تزعل يا امير دياب . فكون بعزمك مشتدي . خذ البوش واسرع فيه
بالف غلام تنعدي . والفين فارس خياله . وثلاثين الف من الجندي
وكن صبور على الاهوال . ولا تاتونا على البعد . اسمع ياابو وطفا
دياب يا ابن غانم اشتهدي . لولاك هلال ما سكنت . بلاد الغرب
ولا نجد . المال تكفل فيه . وزغبي حولك كالاسد . كم وقعة اشفيت
هلال . انت يا زكي الجدي

انتهى الجزء الخامس عشر من تغريبة بني هلال
ويليه الجزء السادس عشر وفيه ديوان الزناتي خليفه

كتاب
السادس عشر

من تغريبة بني هلال

﴿ وهو ديوان الزناتي خليفه ﴾

وما جرى له مع امراء بني هلال من الحروب والاهوال

التي تشيب رؤوس الاطفال على التمام والكمال

والحمد لله على كل حال

يطلب من

مكتبة الترقي

لصاحبها

شكري الخوري وشركاه

شرقي ساحة (الاتحاد) البرج اول طريق النهر • (بيروت)

برخصة مجلس معارف ولاية بيروت الجليلة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من كلامه ودياب يسمع نظامه اشار يرد عليه ويقول

يا ابو زيد انت السيد . وفيك الخير مع السعدي . حسن يا امير انت خبير دياب مشير . كالاسد . اتيكم دوم . لهذا اليوم . انا الغشوم كما العبد . لو قام الحرب . بيوم الكرب . وطعن وضرب . اعمل جهدي وخيل تجول . ودم يسول . وكم مقتول وممتدي . ابو زيد هوش . ولم جيوش بوجه بشوش . بلا حردي . واخاف يجوك . بليل دهوك . جميع ملوك لهم جلدي . ان قام حراب . اياك تهاب . اسمع لدياب . لما يبدي . وان جاك صديق . كون شفيق . وانت وثيق . وكم تفدي اسمع لدياب سبع الغاب . انت مهاب . انت السند . اوفى الصحبي . لبني زغبي . لهم رعبي . بجلب الشدة . وانت كون . لهم بالعون . كون حنون . ولا تعدي . ابشر ياخال . في حفظ المال . واهل هلال . تشوف رغدي . لفعل دياب وسبع الغاب . فلا يرتاب . من العدد . ارعى البعران بكل مكان تبقى الرعيان بها تغدي . وانا حاميه . ومن يدنيه . ومن يا تيه من الضد . ولي ديوان . مع صيوان به الضيفان . على الابدولي تذكاز . ولي مقدار . ولي اسفار . وكم فهدي ملوك الغرب . ان

جاؤا للحرب . ارويهم ضرب . كما الرعد راعي البعران بذي الوديان بعود الزان . ومشتدي . ودعت هلال واخذت المال ودمعي سال على خدي . ابو زيد سعيد . وانت السيد وانا البعدي . ماقال دياب كلام صواب لاكذاب ومعتدى

قال الراوي فلما فرغ دياب من كلامه والامارة يسمعون نظامه فشكروه على هذا الكلام وركب الامير دياب في قوم بني زغبي تسعين الف فارس وكل الف راية بيضا وسار ابو زيد يدله على وادي الغبا والغبائن وساقوا البوش والرعيان وكانوا ست الاف راعي وساروا الجميع الى ان وصلوا الى وادي الغبا والغبائن فلاقوا فيه الزهور فائحة والمياه سائحة فنزلهم ابو زيد في الوادي واوصاهم من الاعادي وعاد الى بني هلال واما الامير دياب فنصب صيوانه في الوادي ووقف رقباء على الجبال اربعة الاف خوفاً من العدا ويرجع الكلام الى امير بلاد الغرب فانه لما علم في قتل اخيه غضب وللوقت جرد عسكره وركب هو وقومه الى ان قاربوا العربان فنظر ذلك ابو زيد وكان في هم شديد فنظر فيه الزناتي وقال له من انت يا قرنان حتى تنزل الى السلطان اما انت عبد المحابيس قال نعم فقال الزناتي اين المال قال معي الف والباقي خلف قال انت رحت تجيب مال او رجال فعندها انشد يقول

يقول ابو سعدا الزناتي خليفة لي عزم امضى من رهيف حسام
ولي همة تعلو على كل ماجد ودائم على خيل العدا هجام
وهذه بلاد الغرب الف مدينة غير الذين هم ناصبين خيام

وجاءوا جميعاً طائعين لكلمتي غصيبة وقهراً قد اتوا رغام
فان تروحوا يا عرب وتسلموا اليوم تغدوا في البراري هزام
ابو زيد اما تذكر وانت بحبسنا وعينك تذرف بالدموع سجام
وقلت انا عبد لكن رفاقتي وتحلف بحق الله والاقسام
فاطلقتك حتى تجيب فكاكهم فجبت لنا الفرسان يا هجام
يا حيف ذلك اليوم كنت قتلتك وكنا استرحنا من عنا وسقام
ولكنكم جيتم الينا غنيمة وندعيكم تغدوا شقا ودمار
واين ابو مرعي واين دياكم واين بدير قاضي الدرغام
انا هو الزناتي حاكم الارض كلها والحرب فيكم يا هلال سلام

قال الراوي فلما فرغ الزناتي خليفه من كلامه وابو زيد يسمع نظامه فاشار الامير ابو زيد يرد عليه الجواب وهو شاهر بيده السيف القرضاب

يقول ابو زيد الهلالي سلامه الا يا زناتي انت في احلام
الا يا زناتي حاقك الشر والبلا اظني بنومك قد رايت منام
فلو كنت تعتقنا ما كنت جيتكم ولا كنت جبت القوم والاحشام
فما كنت تذكر يوم اتينا بلادكم ونحنا ببستان لكم ومقام
وناديت للجلاد حالاً فقادنا لتحت المشانق في حبال برام
فلولا الصغيرة قلت راحت رواحنا ومالك علينا عفة وذمام
لكنني قد جيت اوريك فعلنا وادعي قرومك في البلاد هزام
واريك حرباً من يمين سلامه وطعن يفك الدرع والالحام
وانتم تروحوا مثل ما راح غيركم بحد الصوارم ما ترون سلام

وتونس ترى تخت الامير ابو علي حلالاً له لكن عليك حرام
انا هو ابو زيد الهلالي سلامه انا ماحق الابطال والاخصام

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من كلامه والزناتي يسمع نظامه التقوا البطلين كانهم جبلين وحان عليهم الحين وزعق فوق روسهم غراب البين وراح بينهم ضربتين قاطعتين فكان السابق بالضربة الامير ابو زيد فاخذها الزناتي بطارقة البولاد فشطحت على رقبة الجواد ابرتها كبري القلم فوقع الزناتي على الارض فركضت القومين على بعضهم البعض وقاموا الزناتي وخلصوه والتقوا الجيشين والتحم الفريقين وقاسوا الاهوال وبطل القيل والقال حتى اقبل الزوال ودقت طبول الانفصال وقعدوا القومين الى الصباح فاعتدوا بني هلال ونزلوا طلبوا الكفاح ونزل الزناتي مع قومه للميدان فحملت الشجعان على الشجعان وظهر الشجيع وولى الجبان وطارت الروس عن الابدان وهجم ابو زيد وفحم حتى خلى القوم عدم وبقوا على هذا الحال للزوال ودقت طبول الانفصال وكل منهم طلب الاهل والاوطان فلما عادت بنو هلال جلسوا في صيوان الامير حسن ابن سرحان فقال الامير حسن لماذا يا ابو زيد تقاتل القوم انت بنفسك وما تعطيني خبر وانت والله ما عدت تركب معنا وامر في قيده وقال يا ابوزيد ان كنت طائع الله والامير توضع رجليك في هذا القيد قال ابو زيد سمعاً وطاعة وانا اتبع كلامك كل ساعة فحط القيد في رجليه وبقي في بيت الامير حسن فلما اصبح الصباح دقت بنو هلال طبولهم ونزلوا الى الميدان فنزل

الزناتي اليهم فلما راى ابو زيد مهم فطمع فيهم وغار عليهم مثل الاسد الضرغام وقتل منهم كل جبان ومحق الفرسان ودخل فيهم في باب من ابواب الجان وشتتهم بين الروابي والاكام ونزل موضعهم وقام وتعدل عليهم وكسرهم حتى رحلهم سبعة مراحل وفي اخر مرحلة حمل عليهم فقام الرعب فيهم وقتل الرجال واخذ الخيل والجمال والحريم والاطفال وابو زيد مقيد فقالت بني هلال الى متى ابو زيد مقيد في الحديد وقالوا له فك القيد من رجليك فاشار ابو زيد يقول

قال ابو زيد اسمعوا . يامن لقلبي اوجعوا . والقوم منكم يشفعوا اليوم يوم الحربي . حسن دق طقوالك . ثم شد على خيولك . قوم الزناتي حوالك . فرسان قوم الغربي . يا عبدهات الحمرا . واقلم طواسي السمرا وهات بنت القمرا . في سرجها وركابي . وسيف اليماني عندي . من عهد ابي وجدي . محفوظ دايم عندي . لاجل الوغى والحربي . هلال هلال يا شجعاني . يامنية الاعيان . عدوكم جباني نقيم فيه الرتبي قوموا بنا نتقاهم . بسيوفنا نضحاهم . ونفوز كسب غناهم . في طعننا والضربي شوفوا الزناتي جاكم . يريد سفك دماكم هذا العدو اتاكم . قيموا عليه الحربي . حطيتني في القيدي . وما كان رايك جيد . مثلي اميري وسيدي . وانا حاكم في السربي

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من كلامه والاماره يسمعون نظامه شكروه وقالوا له يا ويلنا من بعدك يا ابو زيد ثم انه اشتد واعتدحتى صار كانه قلة من القلل او قطعت فصلت من جبل ودق طبوله ونزل

فسمع الزناتي دق طبول بني هلال ونادى على الابطال لا ينزل الى الميدان الا الامير حسن ابن سرحان ام القاضي بدير اما ابوزيد فما تم كلامه الا ابو زيد قدامه فقال له اين كنت متخبي يا ابوزيد يا صاحب المكر والكيد فقال كنت غائب واليوم جئتك محارب فالتقوا البطلين كانهم اسدين درغامين ورف فوق روسهم غراب البين حتى تعبت منهم الساعدين وكلت من تحتهم الجوادين وداموا في قتال وجدال حتى قرب الزوال دقت طبول الانفصال وكل من طلب حيه والاطلال وباتوا يتحادثون الى ان اصبح الصباح فركب القومين واصطفت الجيشين ووقعت العين على العين وصار قتالاً واهوال الى قرب الزوال وبقيوا على ذلك الحال سبعة ايام حتى كلت منهم الزنود وذابت منهم الكبود وفي اخر النهار ولى الزناتي هارب والى النجاة طالب فغار عليهم الامير ابو زيد بقومه وبقي غاير خلفهم حتى ارجعهم اربعة عشر مرحلة الى الوراء وادخلهم البلد فلما قارب الزناتي الى المدينة دخل ابواب تونس وسكرها وراه وقال انا ما بقيت اقاتل ابو زيد ثم استدعى بقلم وقرطاس ودواية من الذهب الخاص واشار يكتب الى الامير حسن ويقول

خلق الزناتي طاره . يا معشر الحطاره . من اجل قوم جونا خلوا البلاد دماره . انا الزناتي عندي . ابطال ما تنعد . والحرب حاكم غدي . يشبه لهيب النارا . يا ابو علي القاني . في حومة الميدان واوريك طعن الزان يا ما قتلت اماره . يا بو علي ني بالك . ان الدهر يصفالك . لا بد ما تشوف حالك . وتشوف شيء ما صاره . وتشوفني بانومي . وتقول

جاني قومي . مرعوب دائم دومي . عقلك وذهنك طاره . ارحل بظعنك غادي . في عزوتك وبوادي . هذه البلاد بلادي . ماهي لغيري دراه . اياك من بو سعدا . يجيك مثل الرعدا . نجمه خدمه سعدا نجمك عليه غباره . جاك الزناتي غاير . من فوق ادهم طاير . بيدي حسام شاهر . ان صاب راسك طاره . والله انا لافنيكم . وبناتكم تنعيكم . قصاب لاعمل فيكم . واعمل بكم جزاره . كم فارس مقتولي من طعننا المغزولي . ابطال تاتي حولي بالعزلي تذكاره . بالعز والناموسي ثوب الفخر ملبوسي . ما يوم يخطي قوسي . دائم كشبه ناره . يا ابو علي اتهير . للحرب لا تغير . عند اللقا تتحير . في طعن مثل الناره

فلما فرغ الزناتي من كلامه طوى الكتاب وختمه بختامه وارسله الى الامير حسن فاخذه وقراه وعرف رموزه ومعناه واشار يرد عليه بهذا القصيد وعمر السامعين يزيد

ما قال الفتى حسن المسمى   كريم الجد من فروع اصيلا
كريم الجد من فروع اصيلا   امير صاحب القدر الجليلا
نحن ما اتينا اليك عمداً   ولا جزنا بلادك من قليلا
فلولا حبستك يحيي ويونس   ومرعي ذاك الى روحي عديلا
فلو اطلقتهم نلت الغنائم   وتكسب يا ملك منا الجميلا
ولا كنا اتينا الى بلادك   ولا للغرب ابو زيد الدليلا
وكم جبار من حربي تخبى   وكم امير من سيفي قتيلا
خذني لك باكر لا توانى   غدا ما بيننا يوماً طويلا

ونسقي الشاربين وهم سكارى　وارواح الملوك وهم نزيلا
انا واياك يا بحر المكارم　بميدان الحروب انا هويلا
انا امير قيس وآل عامر　معز الجار حامي للنزيلا
وكم امير اخربنا دياره　وكم صنديد خضع لي ذليلا
ملوك الارض خافت من لقانا　بلاد الهند مع ارض الخليلا
وفي كل الملا قد صار حكمي　حكمت وكنت في حكمي عديلا
ولولا المحل ما جينا بلادك　ولا ابو زيد ما بعتنا دليلا
ولا نخنا مطايانا بارضك　ولا السمر العوالي الك تميلا
حبست ولادنا وقد عبت فينا　وتهدد علينا يا هزيلا
غدا ما بيننا سوق المنايا　ويبقى النصر من رب الجليلا
اما تأخذونا يا زناتي　اما نحن فيكم قد نميلا
ونملك ارضكم ونشيخ فيها　ونحكم بعدكم دهراً طويلا
ما قال الفتى حسن الدريدي　ونيران القلوب لها شعيلا

قال الراوي فلما فرغ حسن من كلامه طوى الكتاب وختمه بختامه وارسله الى الزناتي فلما وصل لبين يديه قراه وعرف رموزه ومعناه شق الكتاب ورماه وصاح بمن حداه وامر في دق الطبول والركوب على الخيول ثم ركب الامير حسن ودق طبول الضبوح وطلب من الله النصر والفتوح ونزل هو وقومه الى الميدان فنزل اليه الزناتي وعرض وبان وقال لا ينزل لي ردي ولا جبان ولا يبرز الا امير العربان فما اتم كلامه حتى صار حسن قدامه فقال له الزناتي انت مثلي

وانا مثلك فعندها التقوا البطلين كأنهم جبلين وحان عليهم الحين وغنا فوق روسهم غراب البين وداموا في قتال حتى ولى النهار ودقت طبول الانفصال وعاد كل الى مكانه ولما اصبح الصباح نزل ابو زيد الى الميدان وطلب مبارزة الفرسان فنزل اليه الزناتي وقال له من امرك أن تنزل لحربي انا طالب الاميرحسن حتى اذيقه طعني فقال الامير ابو زيد انا خصمك جيتك فعند ذلك اشار الزناتي يقول

انا الزناتي في الحروب مجرب ... صعب المراس ومهلك الابطال
جيتم تريدون تملكون بلادنا ... الله يعلم انكم جهالي
ابو زيد جبتم الضعن الينا عاجل ... غطى الاراضي سهلها وجبال
ذا الوقت ارمي جثتك في سيفي ... بين الصفوف ادوسها بنعالي
واقطع انا لرقابكم في سيفي ... وانزل عليكم نزلة الزلزال
الشر حاقك يا سلامى مني ... وقعت في بحر عزيم مجال
طعنات رمحي في الملا مشهورة ... سم الافاعي براس رمحي غال
ابو زيد لك مني نصيب وافر ... لالقيك منها وافر وزلال
اليوم يا بو زيد تنظر مني ... طعناً يشيب المرد والاطفال
كيف جيتم يا ردي لبلادنا ... زدتم علينا الجور يا انذال
ارجع بقومك يا سلامه ارجع ... جاك الزناتي مثل سبع صالي
قال الزناتي من فواد مولع ... اسلم بروحك واختشي لقتالي

فلما فرغ الزنا من كلامه اشار ابو زيد يرد عليه في هذا القصيد وعمر السامعين يزيد

قال ابو زيد الهلالي صادق   كل الامارة يشهدوا افعالي
من نجد الى تونس قهرت ملوكها   فرسانها وشجعانها الابطالي
اولهم الديبسي ابن مزيد   قد راح مني على الوطا ورمال
وثانيهما الخرمند امير العجم   اسقيه كاس الفنا ووبال
وقبله الصنصيل راح مجندل   من فوق بحر السرج سريعة مالي
امير مصر بحربتي ادهكته   لي معجبات تحير الابطال
ومثله غدا غنام ابن عجاجه   كان حربه يشيب الاطفال
وكما ترى الهصيص اخوك قتلته   وانت تلحقهم غدا بعجالى
ولا ملك الا ملكنا بلاده   وخربتها واخرجت منها المالي
انا ابو زيد ابن رزق سلامه   بنو قريش عمومي وخوالي
ان طعتني خلي الجواد والبسك   الدرع والخودي وباقي المال
في حسابك من الذين قد مضوا   ما عدت ارثي لك ولا ترثالي

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من كلامه والزناتي يسمع نظامه التقوا البطلين كانهم جبلين وحان عليهم الحين وزعق فوق روسهم غراب البين كلت منهم الساعدين وتعبت منهم الزندين وبقوا في القتال الى قت الزوال وفي ثاني الايام نزلوا الى الحرب والكفاح واما ابو زيد زاد في الحرب على الزناتي خليفه ولكن الزناتي ما لقي له مهرب فدار راس جواده وولى هارب وللنجاة طالب وانكسرت قومه فداركه ابو زيد حتى وصل الى مدينة تونس ففتح البواب الى الزناتي حتى دخل وغلق الباب في وجه ابو زيد فقام ابو زيد من عزم

الركاب وضرب الرمح في الباب ثمان كعاب وعاد الى عند قومه والاصحاب من بعد ما فرق قوم الزناتي وقتل منهم كل قرم عاتي الى ان وصلت بني هلال لبيت الامير حسن ودار فيما بينهم من الكلام وشكروا ابو زيد الهمام ومن بعد ذلك مد لهم الطعام حتى اكتفى الخاص والعام وبعد ذلك اشار ابو زيد يقول

قال ابو زيد المسمى . بقلب قاسي ليث يلين . ابو مرعي اسمع قولي وافهم قول القوالين . انا ابو زيد سياج الضعن غفير البيض حمى المسكين . وكم امير لقد اهلكت . وجبت لحيله عندي هين . ملكت الشرق بحد السيف . وعدنا فيها حاكمين . ملكنا نجد بحد السيف وهد حصون البنايين . سبع قبائل شقتنا وولوا منا فزعانين . ملكناها في عزم دياب . امير زغبي المضمونين . اما حسن فيها سلطان حاكم فيها بالتمكين . وسيفه طال في الابطال . ولم اموال قسامين وطاب العيش وراق البال . بطيب الكاس وقصاصين . بنات هلال جمال ظراف . كما الغزلان العطشانين . لما غاب السعد وراح . جانا المحل ودام سنين . خمس اعوام علينا دام . عام وعام متوالين . جاني مرعي مثل السبع . ويحيي ويونس كالشهين . ثلاث شبان كما العقبان قالوا قالوا لتونس مشتاقين . بسرعة ودعنا السربة . وفاضت دموع الباكيين . قطعنا جبال بجنح الليل . سلكنا ارض الرواضين ثلاث شهور نمشي بسهول . لتونس جينا عيانين . نزلنا نمنا في بستان اجتنا عبيد غضبانين . ربطونا وقد ساقونا . عدنا منهم فزعانين

وجابونا لعند الامير . بهرني وقال لي يا مسكين . كيف قد جيتونا
بكار انتم جيتم جساسين . قلت له اسمع يا سيد نحن جينا طالبين
سمعنا في ذكراك يا جيد . انك تكرم عالمسكين . غضب ودعا
بجلاد . وجانا شيخ الجلادين ضربنا ضرباً مثل النار واشفى فينا
لحسادين . وقال اشنقهم يا جلاد . ودار غمز الغمازين . شفعت فينا
انه سعدا . وعاد الاعادي حيرانين . وقال خليفة يا سعدا خذيهم
لسجن السجانين . راحت اخذتنا سعدا . بقينا فيها فرحانين قالت
رعي محبوبي . حبيبي دون الحبابين . ركبت هجين انا وسريت
لهجانين . وجيت لنجد بهذا الوقت . لقيت هلال متضاقين قال
حسن غربت الضعن . وحط لضعنك ضمانين ملوك الارض دهكناها
ضرب وطعن الطعانين . دخلنا الغرب وقام الحرب . وحميت نار
شعالين . وقام السوق ابو سعدى . ونادى ابن الشرايين . حسن
يبرز الى لقاه . حسن سلطان بلا توهين برزت لحربه يا ابن العم .
تقول سباع وغضبانين . بعدك جيت للميدان . لقيت البنايين . قلت
انا ابو زيد . سياج البيض النعسانين على حمرا جيتك للحرب . اشجع
من سبع كمين . وهاج الحرب وقام الكرب واصلت نار الوقادين
وجاني غاير مثل الغول . ومثل فهد الفهدين . طعنته طعنة في عزمي
وطعنته طعن القتالين . ثاني طعنة بالعرفان . قطعت له الدرع المتين
وثالث طعنة يا فرسان مشهاب نار الشعلانين . وتبايعنا في الارواح
تجار الحر البياعين . شرينا ما بعنا منه دليل البيع الشرايين . وغدا

هرعرب ابو سعدا . وحاله دون البوابين . غلق الابواب خلفه . وكانوا اربع بوابين ضربت الباب . بعود صلاب يسمى عود الثلاثين حديد قديم يقيم سنين وكم حداد يجيء اليها . تعود عينه منقشمين فراح بالباب ثمان كعاب . وهيك زنود الضاربين

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من كلامه والاماره تسمع نظامه فقالوا ياويلنا من بعدك يا ابو شيبان ويا حامي الاظعان ثم يرجع الكلام الى الزناتي لما انخرق الباب من ضربة ابو زيد جاءت قومه الى عنده وقالوا له عن الضربة الذي ضربها ابو زيد خرقت الباب ثمانية كعاب فعاد الزناتي في حساب وامور صعاب وجمع قومه وقال لهم كيف الراي ثم باتوا في بلادهم اما ابو زيد ثاني يوم دق طبله ونزل الى الحرب وطلب اللقا فدخل البواب الى عند سيده الزناتي وقال له من ينزل الى الميدان فقال الزناتي ياحضرة الارباب من ينزل الى عزرائيل قباض الارواح ثم انه اخذ يكتب الى الامير ابو زيد ويقول

قال ابو سعدى الزناتي خليفة	لي همة بالجود والمعروف
لي دار دائم للضيوف من يجي	وخطار تأتيني صفوف صفوف
وكل بلاد المغرب طاعت سطوتي	واحكم بهم من غير حكم جنوف
عشرين امير تحت امري وقبضتي	والفين سنجق تحتها والوف
والف مدينة يرسلوا لي اموالها	واعدادها ياتي ذهب موصوف
ولا كان في عصري ولا في زماني	مثل عيشي صافياً وذروف

ولكن هلال قد اتوا لبلادنا ومعهم الاسمر كامل المعروف
واشار شور السؤ في حبس رفقته وقد قال دعني في البلاد اطوف
اروح اجيب المال اخذ رفاقتي وطلقت انا العبد راح رهوف
انا احسبه عبد وهو اميرهم كريم المزايا دوم سخي كفوف
تاريه امير ابن امير واميرة هلالي مسما سيداً وعفوف
وقد راح لبلاده وجاب لقومه شبيه الجراد الطارشات زحوف
من بعد عامين اتوا بلادنا بضرب القنا ومجردين سيوف
اميرهم حسن الامير ابو علي وابو زيد يقدمهم لنا ويطوف
نزلوا بلادي سهلها مع وعرها وعادوا علينا بالحروب صفوف
جردنا عددهم تاه منا حسابهم كما رمل العاصفات نسوف
الى يوم الجمعة كان اول حربنا الى السبت عاد الدم نقع تشوف
رحلتهم في يوم سبع مراحل وقومي عليهم زاحفين زحوف
وكم من امير راح في دزالقنا وكم من زنود طايرات كفوف
اسرناهم سبعة بسبعة قبالها وكم اصيل راح منا تلوف
حصرونا في تونس واخذوا اموالنا ولا مير منا بالعجاج يشوف
ولا شفت بالجيشين مثل سلامه ولا اظن مثله فارساً موصوف
تكاوت انا واياه في حومة الوغا وعاد لنا بالحرب عظيم رجوف
اثنين رمح تكسرت ما بيننا وعشرين طبر بالارض صار نتوف
وسبعين سيفاً انحطم بذراعه والكل كانوا من الجياد رهوف
تحته حمرا يقطع العود عزمها مسربلة سيف لبسها وزعوف

ثلاثين الف امير جز رقابهم وخلي دماهم على الوطاء زروف
وما هكذا الا جواد يا بو خير تكون بحكمك طاغياً وجنوف
وانت مقدمنا وانت اميرنا وانت حمانا تنجد الملهوف
اسمعنا يا امير يا طيب الثنا وقلبي يحبك ليس منك صروف
فارفع عنا الحرب يا امير الى غدا وارفع عنا شرك المعروف
واعطيك من خيلي جياداً سوابق عشرين الفاً سلايل وعروف
واعطيك ميتين حمل حرير احمر وميتين كاس مذهبات تحوف
وميتين الف من سيوف مسقطه بيض اليماني كلها مرهوف
واعطيك ارض القيروان وقابس بلاد الغرب سهلها وكهوف
ابو زيد خذ مالي وملكي جميعه وانا عبدك على الدوام معروف
بالحرب ما بلقاك يافارس الوغا واسمح ترى عني وكون عفوف
وكل بلاد الغرب تستلمونها وتجنوا بساتين لها وظروف
ابو زيد اقسمها ولم خراجها واقبل دخول الخايف الملهوف
عدد عسكري ميتين الف ومثلها ومايتين الف مثل بحر يطوف
وتسعين الفاً فوق ما حررتهم تركب معي في معركات الخوف
ابو زيد بالبيت الذي قد زرته ان تعفني من حربك الموصوف

قال الراوي فلما فرغ الزناتي من كلامه طوى الكتاب وختمه وارسله مع الوزير لعند ابوزيد فلما وصل اليه اخذه وقراه وتوجه نحو صيوان الامير حسن واعطاه الكتاب فلما قراه قال بحيث ان الزناتي زل من حربنا ابعث له ان يعتق اولادنا من الحبس ويرسل لنا اياهم

راح ابو زيد يكتب الى الزناتي ويقول

يقول ابو زيد الهلالي سلامه | ولي قلب اقوى من حجر صوان
ولي عزم بالهيجا اذا قام سوقها | ولي طعن ماكن يكسر السندان
وكم من ملك مثلك كان مجرب | بطعن يهد العزم راح مهان
من الشرق الى الغرب راحت ملوكها
وكم ذل لسيفي امير مع سلطان
خليفة تبعث بالكلام تقول لي | هذا كلامك زور مع بهتان
ان كان ما قلته صدق موكداً | اطلق لنا اولادنا في الان
هذا مرادنا يكون منك يا ملك | ونأمنكم من ضرب عود الزان
فلو تزرع الجودات يا ولد صالح | حصدت بداله اربع وثمان

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من كلامه طوى الكتاب وختمه واعطاه الى المرسال فسار الى ان وصل لعند الزناتي اعطاه الكتاب فحمد الله الذي رضوا في فكاك الاولاد فبعث الزناتي الى بنته سعدا وقال لها اطلقي المحابيس حتى نرسلهم الى اهلها فلما وصل اليها الخبر اتت لعند ابوها وقالت له ياحيف عليك يا ابي انت صدقت كلام العرب هولاء العرب ما بقوا يفارقوا هذه البلاد فقال لها الزناتي والله لقد صدقتي ولو عدمنا الحياة ما عدنا نرسلهم وكان تلك الساعة مرعي عندها فقال لها عملتي هكذا وما رضيت نروح لعند اهلنا فقالت اين يا حبيب القلب الم تعلم انني متى اطلقتكم تذهب روحي برفقتكم ثم اشارت تسليه بهذه الابيات وتقول

تقول سعدا بنت امير تونس   وجرح الهوى قد علقني حبايله
جرحني الهوى في القلب أهانني   ومشمال نار الوجد اشعل فتايله
انا ما ضناني غير مرعي وذلني   فيارب تجمع شملنا واواصله
طوله يشابه للرديني اذا مشى   متى تسمح الايام وانظر جمايله
انا خايفة يطلقكم ابي وترحلوا   لان سلامه كل يوم يزاعله
فان كان يرسلكم تروحوا الاهلكم   وينظركم حسن وتشفي نحايله
انا خايفة يبطل حربنا مع قومكم   يفرح بمرعي حين ينظر جمايله
ويامر حسن بالشيل سرعة لارضكم   وتروحوا الى نجد العدية حمايله
ما قالت سعدى الهوى قد اضامني   على حب مرعي في فوادي عمايله

قال الراوي فلما فرغت سعدى من كلامها فانشد مرعي يجاوبها ويقول وعمر السامعين يطول

يقول الفتى مرعي بمين سخية   لها بعد نوم الهاجعين دراف
لان حبك يامليحة ذابني   وجاني هواك والغرام صداف
ولكن ابوك يا مليحة اهاننا   بالحبس صرنا موجعين ضعاف
وان كان يطلقنا فلا تمنعيه   حتى نروح لاهلنا وسلاف
واخبر حسن بما فعلتيه معنا   ابوك بين الملا عراف
ونرسل الى ابوك نخطبك منه   ونعطيه خيلاً مع اموال ظراف
هذا مرادي يا مليحة ومنيتي   نريد الحلال وما نريد خلاف
واما الخنا فليس فيه نطابق   لاني انا من نسل قوم اشراف
ولا بد نملك ارضكم وبلادكم   واخذك حقاً بغير اخلاف

فلا تحملي الاحزان يا غاية المنى يداركنا الرحمن بالالطاف

قال الراوي فلما فرغ مرعي من كلامه وسعدا تسمع نظامه فبقيوا
في ما كانوا عليه في الاول في النهار تنزله الى الحبس وفي الليل تجيبه
الى عندها وتنام هي واياه واما ما كان من بني هلال لما لقوا اولادهم
ما طلعوا من الحبس قام ابو زيد ودق طبوله ونزل الى الميدان فما
احد نزل اليه فغار في جواده ودق باب تونس فرد عليه البواب فقال
له من تكون فقال ابو زيد اريد سيدك حتى اخذ روحه من جسده
فراح البواب لعند سيده واشار يقول

قال خضر اسمع امير الملا قلبي احترق من الامور بنار
جانا سلامه كانه سبع كاسر من فوق حمرا مثل طير طار
وقال لي حارس لاكثر راسك اسرع الى سيدك وهات خبار
قوم انحدر اليه وكون صارم واسقيه كاس حنظلاً مرار
ان كنت ما تنزل اليه اناله اجيب لك راسه مع الاخبار
هات لي خوذه ودرعاً دائماً وهات لي سيفاً يكون بطار
ان عانني ربي لاقطع راسه واقيم انا من فوق راسي صار
قال خضر في كلامه صادق في وسط قلبي اليوم هبت نار

قال الراوي فلما فرغ خضر من كلامه والزناتي يسمع نظامه
فاعطاه الجواد والدرع والسيف والخودة وآلة الحرب وقال له يا خضر
ان كنت تقتل ابو زيد اعطيك مدينة معاف واعطيك سعدا فقال له
يا سيدي انا اكفيك شره فبرز الى ابو زيد فقال ابو زيد من انت من

الفرسان حتى تنزل الى الميدان قال له انا خضر ابن موسى فضحك ابو زيد ووقف يشوف ماذا يريد فاشار خضر يقول

يقول خضر ابن موسى الذي شكا   انا للزناتي يا فتى بواب
ترى خليفة ما عاد ينزل لمثلك   ولا يلتقيك يا فتى بحراب
اوعدني اذا جبت له راسك   يعطيني سنجق بغير عقاب
وجيت اليوم اليك لكي اقاتلك   ولا بد مني ما تذوق عذاب
والايام كلها ماتجي معك سعادة   يوم به خير ويوم نكاب
والابطال يا ابو زيد ما كلها سوى   هذا فارس وهذا صعب مراب
انت ابو زيد الى خضر بادر   لاشك في انك قتلت صواب
رد ابو زيد الهلالي بقوله   احترقت بنار القلوب حراق
حرقني الزناتي من فعاله بحقنا   وكان علينا باغياً مراق
نزلت لميدان الزناتي اقاتله   لابد مني ما يروح محاق
يا ايها الرجل الذي جاء لحربنا   غرقت في بحر ما له رفاق
ان كنت فارس خيل بين حربك   لانك اتيت الى القبر مشتاق
انا ما يلتقيني الا خليفة اميركم   لان الزناتي فارساً سباق
تكاونت انا واياه في حومة الوغا   لو ما دخل قصره راح محاق
قد ارسلك لا يريد الا هلاكك   تضحى قتيلاً تحت تل طياق

قال الراوي فانطبقوا على بعضهم فقام ابو زيد وحرك الجواد ولاطف الى ان حضر وطسه في الدبوس ارماه بين ايادي الحصان فقال خضر انا بجيرتك يا ابن الاجواد فقال له ابو زيد قم اشلح عدة الحرب

ما تستاهل القتل لان ما عليك مقدرة فقام البواب وعاد وهو يبكي حتى وصل الى عند الزناتي فقال له كيف حالك مع ابو زيد فقال يا ملك الزمان كأني رايت منام لاني كنت احسب الحرب مثل فتح الباب وغلقه وراح يخبر الزناتي ويقول

يقول الذي قدشاهد الحلم في الدجا وارماني في فارس جحجاح
فغار علي مثل ليث اذا سطا ضربني كان الراس مني طاح
واراد قتلي طلبت منه الجيرة فقلت له العفو فقال سماح
يا سيدي انزل اليه وبادر لانه فارس للعدا ذباح
انا يا ملك بواب في الباب واقف ولا اعرف صنعة سوى المفتاح
افتح في الباكر واسكر في المسا وانا قاعد في صنعتي مرتاح
قال الفتى خضر الذي نظر العجب ويا ما نظرنا من ليالي افراح

فلما فرغ من كلامه والزناتي يسمع نظامه فللوقت استدعى بقلم وقرطاس واشار يقول

قال ابو سعدى الزناتي خليفة فزادت همومي اليوم ثم النكايد
جفتنا ليالي العز صارت رزية ولا عاد تاتينا ليالي السعايد
انا دل عندي في خراب بلادنا من وقت اجانا ابو زيد رايد
نفقته عفواً وحالاً فقد غدا وجاب الوفا من قروم حشايد
حصرني سلامه حصرة وهي حصرة ولا لي على حرب الهلالي جلايد
يا غادياً مني على متن ضامر تجد الثرى في قربها والبعايد
اذا جيت الى زيد الهلالي سلامه فاخبره عني اكيد النشايد

وقل له ياعز قيس وعامر ويامن على الاجواد في الجود زايد
سالتك بحق الله يا امير جيرني بدينك اذا ما كنت للدين رايد
لانك تعفو عن قتالي وترجع ينالك ظرى من طيبات الفوائد
وانا عتيقك يا امير سلامه وكسب الثنا والجود هو لك عايد

قال الراوي فلما فرغ الزناتي من كلامه طوى الكتاب وارسله مع عبده الى ابو زيد فاخذه وسار الى ان وصل فركع وباس يد الامير ابو زيد واعطاه الكتاب فاخذه ابو زيد وقراه وعرف رموزه ومعناه واخذه لعند الامير حسن فقراه ايضاً وهم في الحديث والا عبد من عبيد الامير حسن اسمه غازي كان راح ودار بلاد الغرب الجواني من يوم دخل بلاد الزناتي لان بلاد الغرب الجواني تسمى الشقور وفيها سبعة ملوك وكل ملك يركب بمائة الف خيال رجع وابتداء يخبر الاسياد ويقول

ما قال الفهاد غازي يا ملك جتكم عساكر مثل بحر طافح
اجونا ملوك المغارب كلهم من فوق خيلاً صافنات قوارح
قدراحت بلادالغرب انا ورايتهم فانهم كما رف الجراد السارح
ارسل الزناتي اليهم جابهم اتوه نجدات من بعيد المطارح
من لا يقاتل عند عرضه يقتل الجيد ما يرضى فعل القبايح

قال الراوي فلما فرغ غازي من كلامه والاماره يسمعون نظامه قال ابو زيد ارتاحوا انا علي في جميعهم وحدي ثم انه نبه فرسانه وراح الى صيوانه فقام الامير حسن وراح لعنده وقال يا ابو زيد انت

انت رايح وانا خايف من الزناتي يجينا وياخذحق الله منا فقال ابوزيد انا احط لكم راية حمرا على بوابة تونس فلا يطلع اليكم ما دام الهوى يلوح بها ونمشي بالليل ولا ندق طبل حتى نلاقي القوم ونرمي فيهم الوهم فماد الامير واما من ابو زيد صبر الى الليل وركب هو وقومه بني زحلان ومشوا نحو ذاك العدوان مقدار سبعة ايام حتى وصلوا الى موضع فيه ربيع ومياه فقال ابو زيد حولوا فحولوا وفرشوا له الحرام فنعس ابو زيد ونام وتوقع ان ذلك على وكر تعبان فطلع وضرب ابو زيد في فخذه وقلب وارمى سمه ففاق ابو زيد من ضربة التعبان وصاح صوت من صميم الفؤاد يا اجواد فركضت عليه اخوانه فبحشوا على التعبان فتلوه واذا هو عشرة اشبار وعاد في قلب ابوزيد لهيب النار وعاد القوم في اكبرهم فحملوه وعادوا فيه الى البيت فقامت عياله البكاء والنواح على هذا الاسد المسموم وصار النكاب في بني هلال فعرف الامير حسن وخاف من الزناتي واما من الزناتي فلما عرف ان ابو زيد ملسوع ودياب غايب قوي عزمه وفرح وبات معتمد على حرب بني هلال واشار يكتب الى الامير حسن ويقول

يقول ابو سعدى الزناتي خليفة ... وقلبي عليكم ياهلال حقود
قتلتم رجالي في المجال غصيبة ... وعاد دماهم في البلاد بدود
قتلتم اخي الهصيص غدر وبوقة ... وهو كان ضد الظالمين عنود
ولي طار سالف من عهود قديمة ... وطاري عندكم من زمان جدود
والله لاجرد عليكم عساكر ... وحشد عليكم بالانام حشود

واسبي حلايلكم واخذ موالكم وابدل لطيب عيشكم بنكود
انا ابو سعدا انـا قاهر العدا ولي في فعـالي يا كرام شهود
شهودي زنودي والقنا ثم صارمي وبيض الذمارى والخيات جعود
يا بو علي قوم التقيني بلا بطـا وتروح من سيفي طعام الدود
خمسماية الف عدة جموعنا عليهم من الزرد المتين بنود
يا بو علي ارحل بضعنك من ارضنا وفوز بنفسك تبلغ المقصود
ما لك عندي الا الطعن والقنـا وضربـاً يشيب هامة المولود
فان عانني ربي سريع اهلكتكم واعقد عليكم كل يوم عقود
انا ابو سعدى الزناتي خليفـة هنيـاً لمن خالي عنا وحقود

قال الراوي فلما فرغ الزناتي من كلامه طوى الكتاب وارسله الى الامير حسن فلما وصل اليه كتب له الجواب فانشد وجعل يقول

يقول الفتى حسن الهلالي ابو علي مضى العمر منا بشدة ونكود
مضى عمرنا بالطعن والضرب والقنا زمـان المضى ما عاد ظن يعود
من نجد الى تونس قهرنا ملوكها وكم جيش سلطان غدا مطرود
ما عاد غيرك يازناتي مصـادم كم واحداً مني غدا ممدود
غدا الله ينصف ما بيني وبينك اجيك بدرع من عمل داود
وجرد لسيفي والقنـا وصارمي وحوله شباب يشبهون فهود
جالد زغازي يا ابن مذكور فيهم على خيل ضمر بالطراد تجود
انا حسن المسما ابن سرحان ابو علي انا للاعادي حنظلاً مبرود
انا شوكة انا لوعة البلا بيوم يصير الريق منه جمود

وانا ما انسيك يا زناتي خليفة ولا عن قتالك عاجز مطرود
غدا تنظر الزينات فعل ابو علي له في صدور المدرعين قيود
ما قال الفتى حسن الهلالي ابو علي يا سعد من لاشاف يوم نكود

قال الراوي فلما فرغ الامير حسن من كلامه طوى الكتاب واعطاه الى النجاب فاخذه الى مولاه واعطاه اياه وقراه وعرف رموزه ومعناه ولما اصبح الصباح دق طبوله وركب واطاق الغارة على بني هلال فركبت بنو هلال خيولهم ودقت طبولهم فالتقى الفريقين وانحطت اليمين على اليمين فبرز الزناتي الى الميدان وطلب مبارزة الفرسان فبرز اليه الامير حسن والتقوا البطلين كانهم جبلين وطار من تحتهم الغبار حتى سد منافس الاقطار وقدحت حوافر الخيل نار وتكسرت بينهم الرماح الطول والسيوف الثقال وكلت منهم الزنود وزهقت منهم الجود وبقوا على هذا الحال حتى دق طبل الانفصال فافترقا على سلامه وباتوا الى الصباح يتحادثون فلما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح طلعت الشمس على روس الروابي والبطاح فبرز الزناتي للميدان ومحل الضرب والطعان فاراد الامير ينزل اليه فمنعوه قومه والاماره وقالوا له نخاف عليك من الزناتي وابو زيد ملسوع ودياب غايب وان صار لك حادث بتروح بني هلال شرايد في الجبال فقام الخفاجي عامر وطلب الزناتي فمنعه حسن وقال انت نزيل عندنا والنزيل ما عليه حرب فقام الخفاجي واقسم يمين عظيم ان لم يبرز للزناتي يرحل بقومه عن بني هلال فتركوه وثاني يوم دق طبل الزناتي ونزل الى الميدان فبرز اليه

الخفاجي عامر فالتقوا البطلين كأنهم جبلين وزعق فوق روسهم غراب البين وفي اليوم الثالث كلّ الزناتي وولى هارب من قدام الخفاجي وكان عند الزناتي خطيب يسمى مطلوع فقال الزناتي باكر انت انزل اليه وانا اتخبى بين الوردوانت انكسر قدامه فيلحقك حتى يفوتني فاجيه من وراه واطعنه من قفاه واعدمه الحياة واما من الخفاجي فانه راى مناماً ان قدام بيته شجرة طويلة اجاها نجار قطعها وحفر على شلوشها فقام من منامه مرعوباً واستدعى في بنته ذوابة وامراته وقال لهم عن منامه

يقول الخفاجي والخفاجي عامر رايت مناماً منه عقلي طار
رايت شجرة نابتة وسط دارنا قطعها سريعاً يوسف النجار
وقدم منكوشه وحفر شلوشها وقطعها بالقدوم والمنشار
وامس ارسل الزناتي يقول لي كلاماً اكيداً واضح الاسرار
يقول لي يا امير اترك قتالنا وبطل عنا جملة الاضرار
اوعدني بالمال والملك والعطا يرغبني في معدن وبهار
فما ردت في هذه المطايا يا ذوابة وارميت في قلبي لهيب النار
نخاف انهم حسبوا حسابي جميعهم وقوم الزناتي كلهم مكار
لان منامي يا ذوابة راعني وارمى في قلبي لهيب النار
ولكن مهما يفعل الله جائزاً الله تعالى واحداً قهار
قال المسمى الخفاجي عامر من ذا المنام بقيت كالمحتار
ردت ذوابة بنت عامر تقول له اترك خليفة لا تزيد اشرار
انا خائفة من ذا المنام يعيبنا ويرمي لنا بالهم والاضرار

نخاف عليك من الزناتي خليفة   لانه امير بالملا غدار
له سطوة بالحرب ما شفت مثلها   يشابه لسبع بالفلا غدار
ماشفت قوم هلال فيما جرى لهم   خلى دماهم على الوطا فوار
فاهجع ولاتطع واقعد واهتدي   يامصعب الفرقة وبعد الدار
ما قالت ذوابة وابكا هد حيلها   يا حصرتي ان راح عز الدار

قال الراوي فلما فرغت ذوابة من كلامها وابوها يسمع نظامها قال لها يا بنتي اذا ركبوا بني هلال ماذا يكون الجواب وانا حالف يمين باني احارب الزناتي عشرة ايام فقالت له اعمل حالك ضعيف يعذروك اما بني هلال دقوا طبولهم وركبوا خيولهم وفقدوا الخفاجي عامر فما وجدوه بينهم فسأل عنه حسن فقالت الجازية انا اروح اليه فراحت تلاقي ذوابة قائمة تبكي فسالتها عن الخفاجي قالت اصبح مريضاً فرجعت اخبرتهم فقال حسن الخفاجي قسم يمين انه يحارب الزناتي عشره ايام وكاونه ثلاثة ايام بقي عليه سبعة ايام فكان حاضر امير اسمه ظريف محب الى الخفاجي فقال انا بروح اليه وبنظر معانيه فراح الى عند الخفاجي فلما وصل كان نائم فجلس على حيله وقال له حول يا اخي فحول عن جواده فسأله عن حاله فاشار الخفاجي يقول

قال الخفاجي ولد درغام عامر   يا ظريف حول تعال اضيف
وحيلي ارتخى مني يا امير وانقطع   وعاد جسمي يا امير تليف
مرعوب مما نظرته في منامي   وقد تهدت من هذا المنام رجيف
رايت شجرة طالعة وسط دارنا   لها كل غرس نائف وظريف

اجانا نجار وقطع غصونها واحرفها بمنشاره تحريف
وشفت الزناتي راح مني هزيمة وكنت عليه بالطراد جنيف
خايف يكون دبر علينا حيلة ومهما تشوره ما به تخيف
فرد الفتى المسمى ظريف وقال له الا يا خفاجي لا تكن مخيف
شد واركب للزناتي وصادمه اخاف تصبح بين الانام مخيف
ياامير ان العمر من رافع السما مكمن علينا ايس منه مخيف
ما دام لك اجل ما قط تقتل ولوكنت نازل وسط بحر مطيف
خيار الفتى موته بظهر جواده بيوم يكون الريق فيه نشيف
يقتل ويقتل يكسب الحمد والثنا يبيض لعرضه وثناه نظيف
انهض ولا تخشى المنايا جميعها ولا عيشنا بالذل والتخويف

قال الراوي فلما فرغ ظريف من كلامه والخفاجي يسمع نظامه وثب كالاسد وشد على جواده وتقلد في الة الحرب والجلاد وسار مع ظريف فعندها زلغطت البنات ودقت العاديات وحين شافه الزناتي انشد يقول وعمر السامعين يطول

يقول الزناتي من فواد معمر نيران قلبي زايدات وقودها
انا خليفة بالحروب مجرب لي سابقاً بالخيل انا ردادها
القي الوف الخيل ماني خايف ابطال تعرفني بيوم طرادها
اجول في حربي وحين طرادي وزيد في حربي ترى انكادها
ابشر بقصر العمر جالك واكد لابد ما تسكن عميق لحادها
رد الفتى المسمى الخفاجي وقال له نار الحروب انت قائم شرارها

رسلت لي مكتوب كون صديقي   واعطيني تونس وكل جدارها
ماردت درب العيش يابو سعدا   اخاف ترخص عندنا اسعارها
من ما كون الخفاجي عامر   في جاه عند كبارها وصغارها
اصبح هزيلة في هلال ممسح   ويكشفون عروضها وسطورها
لكن هذا اليوم جيت لحربك   لابد ما اسقيك كاس مرارها

فلما فرغ الخفاجي من كلامه التقوا الفارسين في حرب وصدام وصاروا في حرب شديد يفك الزرد النضيد فانفك عزم الزناتي من شدة حربه فولى هارب وللنجاة طالب وحكم دربه نحو جنائن الورد وكان الخطيب كامن بين السياجات وماسك الرمح بيده واذا بالزناتي والخفاجي لاحقه فطلع الخطيب وطعن الخفاجي بين كتفيه خرج يلمع من بين لوحيه فارماه قتيل وفي دمه جديل ففار الفريقين والتحموا الطائفتين وصاح على روسهم غراب البين واما ظريف صديق الخفاجي فقد شوش عليه فالحق الخطيب وطعنه في الرمح اصاب الجواد ارماه على الارض فرد الزناتي اليه وخلصه من بين يديه وركبه جواده ولا زال بينهم القتال حتى ولى النهار فانفصلوا عن القتال وامتلئت الارض من القتلى واخذوا الخفاجي عامر الى بيته ومددوه فاشارت بنته ذوابة تقول من فواد متبول،

قالت ذوابة دموعي من اماقيها   نيران قلبي من يقدر يطفيها
جادت علينا سليمان نوائبها   واسقت لعامر شربة من اوانيها
ابكت ذوابة دموعاً لاجل والدها   بنت الخفاجي من يقدر يبكيها

ياحيف رحنـا ما شفنا منازلنـا — ياحيف يا بدر دار العز تخليهـا
انا ذوابة ابوي عامر المـاجد — انشا المكارم وقد شيد مبانيهـا
قد كان منك في ارض العراق له — كم كربة من هموم الدهر يجليها
البين يا ربع بارض البين شتتنـا — جور الليالي تجهزنا لياليهـا
جاله مطاوع على شهبا مبرشمة — تشبه لريم الفلا السرج محليهـا
طعنه بحربة طول الليل يسقيهـا — وواح عامر طريح العرش ساليها
جاله ظريف سريع من فوق سابقة — ضرب مطاوع ضربة جاهده فيها

واضحى الخفاجى بارض الغرب منطرحاً

ما ظن عدنا لارض الشرق نقتيهـا

من هو الذي يوصل الاخبار لديرتنا — وعلام عامر ترى من عاد يحميها
ما قالت ذوابة ونار القلب مشتعلة — على ابوها وغربتها وتاليهـا

فلما فرغت ذوابة من كلامها فاق ابوها الخفاجي من غشوته وعيونه تدفق بالدموع واشار يقول .

يقول الخفاجي ابن درغام عامر — بدمع جرى ما ظن مثله مدامع
نيران قلبي كلما اقول تنطفي — يهب لها جوا ضلوعي لدايع
انا مثل صقر راياً تحت عشه — من المحل جابته بروق اللوامع
نسي وكره لمن طلع من بلاده — وخلا في وكره فروخ الجوازع
يبات ويسري طالب الصيد والفلا — يمنع حتى ما ترى الوفد جامع
وان كان هذا الطير ضيع وكره — وراح على ذكره مديد الوسايع
اذا ما جفاك الدهر يوماً بقربه — اسال عن الاجواد ان كنت ضايع

ولا تنزل الا في بلاد رتيبة بلاد المدية حولها السم ناقع
وشبابها تنقل السيف مع القنا على كل طافح يرعب الخيل قادع
وشيوخها ترمي العدا في المهالك بالروح ماهو بالمسهمات القوانع
قولوا للطير الذي في بلاده ايضاً طيور قد تجينا نواجع
ما جاك الا يكسب الحمد والثنا تجيني وتاتيني بعقل رواجع
ذوابة ان كانت دنت منيتي فاوصي ظريفا يجعل القبر واسع
وبعد موتي ابعتوا الكتب لاهلنا عسى الخبر منهم يجيكم مسارع
ولا ظن خبر ياتيكم من بلادنا بلادي بعيدة سهلها والبقائع
ابي وامي يري كيف حالهم يستنظرون رجوعي ولست براجع
ولا ولد من بعد مني بقى لهم دعوهم من بعدي يسكبون المدامع
وقولوا لهم قد عظم الله اجركم ولدكم عامر عند ربه مطاوع
بوصيك يا حسن الهلالي ابو علي دول اليتامى ما لهم من مدافع
وانت شفوقاً على اليتامى ومحسن يعطيك ربك عاليات المواضع
يا ايها الطير الذي طار بالفلا تسما الى الدهر الذي بك مطالع
تأكل ربيع بارض مصر وزرعها وتبيض في ارض العراق المواضع
سلم على ابي وامي قل لهم يرضوا علينا في صلاة الجوامع
واشهد ان الله لا رب غيره فهو واحد وما له من ينازع
وان محمد عبده ورسوله نبي اتى برحمته عاد شايع
اودعتكم لله ربي وخالقي وفاتي دنت ما عاد لها من ممانع
وهذه مقالات الخفاجي عامر والروح من رب الخلائق ودايع

قال الراوي فلما فرغ الخفاجي من كلامه والامير حسن يسمع نظامه شهق شهقة واحدة واسلم الروح فقام عليه الصياح والتمت عليه العربان من كل ناح حتى ملوا الروابي والبطاح وكسروا عليه السيوف والرماح وغسلوه وكفنوه وواروه التراب يرجع كلامنا الى الزناتي فانه دق طبله ونزل الى الميدان وطلب مبارزة الفرسان فما برز اليه احد فقام حسن وقال علامكم يا بني هلال ما احد يبرز للزناتي فما احد رد

انتهى الكتاب السادس عشر من تغريبة بني هلال
ويليه السابع عشر وهو تابع ديوان الزناتي خليفة
وفيه ديوان عقل ابن هولا ورجوع
دياب لحرب الزناتي خليفة

كتاب

السابع عشر

من تغريبة بني هلال

وهو تابع ديوان

الزناتي خليفة

وفيه ديوان عقل ابن هولا ورجوع دياب لحرب الزناتي خليفة

تطلب من

مكتبة الترقي

لصاحبها شكري الخوري وشركاه

شرقي ساحة البرج اول طريق النهر : بيروت

برخصة مجلس معارف ولاية بيروت الجليلة

رد الجواب عليه فقال القاضي مرادي اكتب اوراق وتضعوم في
جرب والذي تطلع وبه يزول غضب عن رقبته فقال هذا هو
الرأي الصواب والامر الذي لا يعاب فكتبوا الاوراق ووضعوها في
الجراب ومد القاضي يده وشالها فقال نعم ورقتي فقالوا انزل اليه
فقال يا قوم احفروا لي قبر حد الخفاجي لانني اعلم انه دنى اجلي
وحان ارتحالي من هذه الدنيا ولكن امر الله ما منه مهرب فقالوا له اذا
تم الامر ما لنا لا زيد ولا عمر فقام واشتد واعتد وارتدى العباءة من راسه
ونزل الى الميدان فقال له الزناتي يا فرنان من تكون من الفرسان قال
انا عمر قاضي العربان قال له انت القاضي تعرف الحق من الباطل
وتجول والى حربي تنزل فانشأ يهدد عليه ويقول وعمر السامعين بطول

قال الزناتي مع ... انكوى	سيفي تحنى في رقاب الـ ...
كل الفوارس عندنا يوم الوغى	جميع قوم هلال دنى خائفين
خافوا جميع هلال من طعناتي	من رمحي يفسخ الصخر المتين
جونا هلال يملكون بلادنا	ايضاً وقد كانوا بنا مستهزئين
والتيهم ... يحش ...	ودحيتهم بالقصى البلاد ...
وتشتت منهم كل قرم شيشم	عادوا الايامى من حداثي ...
الا يا بدير انت رجل قاضي	كيف تبرز الرجال الجاهلين
انت قاضي الشرع ...	تقرأ كلام الله وتحفظ اليقين
كيف حال قتالنا في شرعكم	نحنا وانتم يا امارا مسلمين
قال الزناتي ... انت ...	وقعت في حربي وما عادلك معين

رد الفتى القاضي بدير وقال له　　يا خليفة كن في قولك رزين
نحن بشرع الله نحكم دائم　　نهدي جميع الخلق للحق المبين
لما اجانا المحل زار بلادنا　　وقد غشانا المحل في جد السنين
بعة سنين ما اجانا قطرة　　ولا زارنا برق ولا رعد مبين
نا بعثنا الامير سلامه　　ارفاقه ثلاث شباب مجربين
دار يدوروا في البلاد جميعها　　كل البلاد توا اليها رائدين
احد تعارضهم في كل الطريق　　الا انت حبستهم يا متين
رسلت تطلب من ابو زيد فكاكهم　　جمال ودراهم مع ذهب ثمين
وضبنا المال نرسل لك اموال　　جينا لارضك يا زناتي راحلين
نت تخوفني بحربك والنزال　　اين قائدكم غدا مني طعين
ال الفتى المسمى بدير الفايد　　لا بد ادعيكم جميع مجندلين

قال الراوي فلما فرغ القاضي من كلامه والزناتي يسمع نظامه
م فيما بينهم حرب شديد وضرب يقطع الورد النضيد مقدار
صف النهار فقام الزناتي في عزم الركاب وضرب القاضي بدير على كتفه
اي وشقه نصفين الى الخاصرة فوقع القاضي قتيل وفي دمه جديل
فلما رأوا بني هلال قاضيهم قتل التقت الرجال بالرجال حتى جرى
م وسال وفاضت الروابي والتلال ولا زالوا في تلك الحال حتى
ن النهار واقبل الليل بالانسدال ودقت طبول الانفصال فانفصلوا
لفتين عن القتال وحملوه الى بيته وقاموا عليه الصياح من كل ناح
ار مزاد كأنه يوم القيامة ووقعت الحسرة والندامة فقال حسن

ما ينفع الميت هذا العدد لكونه شي لا يفيد فغسلوه و كفنوه وفي التراب واروه واشارت بنته فتنة تقول

ما قالت فتنة بنة قاضي العرب ودموعها فوق الخدود رشوش
على فقد صناديد الرجال وعزها بذير ابن فايد ليس فيه غشوش
هذا ابي وعزي وفخري وذخري على فقده عقل الرجال يطيش
ما كان مثله في هلال وعامر ولا عمره لفظ كلام وحيش
تقي نقي ما يعرف العيب والخنا ولا يرتضي بالنقص والتغشيش
ولا عمره حط انسان في ذمته ولا يريد كثر الشر والتوحيش
يحسن على الايتام بالقحط والغلا وكل الارامل في حماه تعيش
قتله ابو سعدا بجد حسامه وعاد لاجله بالفواد تشيش
تلاطم هو واياه في حومة الوغا تقول سبعين التقوا في هيش
وتزاحموا الفرسان يوم ابن فايد وصاحوا الهلاليات ما منعيش
قبرناه بارض القيروان وقابس وقمنا على قبره ضلال عريش
وقديت قمصاني وكل ثيابي وعدت شبه الطير من دون ريش
عشرين الف قميص قد مزقونها وكانت ثمينة حسن التلبيس
وصابوا بنات البدو بعد موته واصبح فوادي مندهش تدهيش
الله لا يبلى المخاليق بلوتي من ابتلى مثلي ليس يعيش

قال الراوي فلما فرغت فتنة من كلامها اخذوها عن القبر وعادت بني هلال في حسرة على القاضي وثاني يوم دق الزناتي طبله وبرز للميدان وطلب مبارزة الفرسان فقال حسن هاتوا الجراب فجابوا

تقدم مفضل اخو القاضي بدير ومد يده طلعت ورقته ولبس الة
حربه و برز الى الزناتي واشار يقول

يقول الفتي المسمى الامير مفضل ونيران قلبي زايدات اللهايب
يب سناهـا بين راسي ومهجتى لمبـا له جوا الضمير تـلاعب
كبد هم اخذوا اخي ابن والدي وزادت فينـا معظمات المصائب
نت اريد الثار منك بلاخفـا فبـادر الينـا يا زناتي وحارب
اليوم يوم طـال فيـك نهـاره وتنظر ما تقضي اليك النوائب
ثات لنا القاضي يجازيك ربك الى جانب المولى فلا كنت راقب
انا مفضل كاسب الجود والثنـا الايا خليفة جئت لاجلك محارب
وهـذا كلامي يا زناتي فافتهم لا بد ما ادعى دموعك سكايب
رد ابو سعـدا عليـه وقال له سعد الفتي ماهو على الدهر غالب
عمر الفتي مكتوب من رافع السما اذا فرغ يغدي لتحت الترايب
لايام يا مفضل صارت سوية يوم بـه سعـد ويوم صعايب
خوك بـدير تمنـا في قتالنا وحلل لقتلى في جميع المذاهب
وهو اعقل العقال ما بين قومكم واصبح لنا دون البوادي محارب
لما رايته جن ما له هدى وطاوع هلال ثم اضحى يضارب
قلت له ما عاد فيها حشيمة والعود ما له منزل ولا صاحب
لا ايتم النسوان فى ضرب صارمي يجي بينهم يلسع كلسع العقارب
ضربت بدير يا مفضل قتلته وقد صار مني جيفة الترايب
وانت اخوه بتريد تاخذ بثاره وغريت نفسك بالبلا والمصائب

روح بحالك يا مفضل واهتدي ... لاني خبير حيثما امور المصائب
فهذه نصيحة من الزناتي فافتهم ... وان كان ما تسمع نكثم الحاجب

قال الراوي فلما فرغ الزناتي من كلامه التطموا الفارسين في حومة الميدان وبنوا فيما بينهم الحرب والطعان وما زالوا في كر وفر حتى طار عليهم الغبار وسد منافس الاقطار وقدحت حوافر الخيل نار وقد داموا في الحرب والصدام مقدار خمسة عشر يوماً حتى انذهل الزناتي من حرب مفضل فضرب ديوانه وقال لقومه من منكم يقتل الامير مفضل يا فرسان واشار يقول

يقول ابن مهران الزناتي خليفة ... ويا ما نظارت عيوننا من نكادها
والسعد قد ولى و راحت رواحنا ... وقد راح من طيب الليالي رقادها
ليالي قطعناها بخير ونعمة ... حكمت المغارب مع بلادها
ولكن رد الشور لراسي ضرني ... لزمنا وبلغنا الاعادي مرادها
وجانا ابو زيد بجيش كما جرد ... من الشرق اجونا للمغارب قصادها
واضحي يطاردني بميدان حربه ... لقيته على كل البوادي سنادها
وبعده قتلت قروم هنيتها ... واخذت نسوان للام اولادها
انا كل ما جاني امير اكيده ... واقول غدا ما عاد فيها روادها
يصبح يقاتلني امير بداله ... امارة شبيه النحل بالوكر اجادها
يا قوم اعجزني مفضل بحربه ... طعناته بالحرب ما في مثالها
كنت اقول ما مثل ابو زيد بينهم ... ثاري ما هو نقطة ببحر اسيادها
ان كان فيكم يا قوم من يحاربه ... ينبق الاعادي و فوارس نرادها

فنزالك الميدان بقهر مفضل ... بنال المعاني ونال مرادها
نعطيه مني ما يريد ويشتهي ... ونال مقامه بين قوم اسيادها
فقال الزناتي والزناتي خليفة ... الا ليفت الدنيا اجدد سوادها

قال الراوي فلما فرغ الزناتي خليفة من كلامه والخطيب مطاوع يسمع مقاله قال انا انزل اليه وما المفضل الا الخطيب ولما اصبح الصباح لبس الخطيب الة الحرب والقتال وبرز الى الميدان فنزل اليه مفضل وقال له اين الزناتي فقال انا جيت اكاوح عنه واشار الخطيب يقول وعمر السامعين يطول

قال الفتى المسمى خطيب مطاوع ... قد جيت اريك بحرب المدافع
سمعت بالقاضي يهدد لقومنا ... وعاد فى حربه الزناتي طامع
يا مفضل روح روحك راحت ... وعود الى قومك سريع راجع
وادعي اقومك يرحلوا من ارضنا ... ويقصدوا واسع الفلا والبلاقع
اذا قامت الهيجا وثار عجاجها ... كم قرم مني بالمعامع وقع
لي سيف محاربة الرجال والفسا ... واخبارها شاعت في كل المواقع
اتيت لحربي يا فتى لا تهرب ... وكن لحربي يا فتى قرم مانع
فقال الفتى المسمى مفضل رقـلـه ... لا يا خطيب اسمع وكن لي مطاوع
قد انا جيت لحرب الزناتي عاجل ... اقد منك الثار ماني فازع
انا اخي الى الزناتي قاصـده ... ادعا ابو سعدا قتيلاً واقع
يتم ولاده وهم صغار في حينا ... جميع النسا شقت عليه البراقع
فغضبت انا من فعل ابو سعدا به ... وجيت انا له يا مطاوع سارع

كاخته بالحرب اول وقعة | وجار سيف قصره رفيع المواضع
خمسة عشر يوم قمت بحربه | وراح جافل من قتالي فازع
كيف انت اليوم جتني تمرج | ما انت خصمي بالحروب ممانع
ان كان ابو سعدا هرب من صولتي | وهو شديد الباس قرم مصارع
انت خطيب ليس تسمي فارس | تحسب انت الحرب خطبه بجامع
يا خطيب الحرب البحر طافح | ان خضته ما اظن انك راجع
لا تروح غريق في بحر القضا | والصوت يبقى من حريمك واقع
لا بد غلك يا خطيب بلادكم | تبقوا لنا طول الزمان توابع

فلما فرغ مفضل من كلامه التحم هو والخطيب ووقع بينهما الحرب والطعن والضرب وقد تقطعت في اياديهم الرماح واختلف بينهم ضربات قتالة فكان السابق الخطيب ضرب مفضل بالحسام على هامه حط راسه قدامه فلما رات بنو هلال قاضيهم قتيل وفي دمه جديل التحم الجيشين وزعق فوق راسهم غراب البين واما بنو هلال فاخذوا مفضل قتيل من بعد ما راح منهم قوم كثير واما الزناتي فعاد في غاية الافراح وزالت عنهم الهموم والاتراح لكن بنته سعدا ما هان عليها بقتل مفضل وكان عند ابوها حكيم اسمه فتوح فاستدعته لعندها وقالت له بدي منك دوا يبري السقيم من لسع الثعبان لان عندي جارية انقرصت فاجاب لها دوا بقطع اثار السم فاستدعت عبد من عبيدها وقالت له خذ هذا الخنجور اعطيه الى ابو زيد واياك تخلي احد يدري فيه ولك مني كلما تريد فاخذه العبد واعطاه الى ابو زيد ورجع فشرب منه ابو زيد

شيء قليل فبري لوقته وفي ساعة الحال دقت الطبول وزعقت الزمور وذهبت عن بني هلال الهموم والكدور فسمع الزناتي وعرف ان ابو زيد قد طاب من لسع الثعبان فوقع في قلبه الخوف والارتعاب وقال باكر ينزل ابو زيد الينا من يبرز منكم فقال الخطيب انا له والى الف من مثاله فبرز الخطيب الى الميدان وعرض وبان وطلب الفرسان فبرز اليه ابو زيد واشار يقول

قال الفتى المسمى خطيب مطاوع ... ازميت قوم هلال في حرابي
وقت البقا طعن القنا بيناتنا ... والشوش ما كفة شبيه ديابت
اين ابو زيد كنت مخبا ... من امس ما شفناك رد جوابت
والخيل تصهل بالعجاج كانها ... رعد تحدر من اعالي سحابت
وحريمكم تندب لفقد رجالها ... فوق الجنايا ما نرد نقابت
ولا لكم قرم عاد يبرز ... وقد خاف كل شيوخكم وشبابت
ما ردها غير الامير مفضل ... قد جاء الينا مثل فرخ عقاب
وطعنته في سن رمحي طعنة ... سنها يلمع كبرق شهابت
وغدا مفضل من قناتي واقع ... وحريمه شقت عليه ثياب
واليوم يا بو زيد تبقى مثله ... مرمي على وجه الوطا وتراب
رد ابو زيد الهلالي وقال له ... قولك ما فيه خطيب صواب
تحقيق انك يا خطيب مغرقع ... وقعت بالاشراك والاطناب
مسكين عقلك ما بقا لك ملجا ... انا سلامه قاهر الطلاب
كم قد قهرت من الفوارس بالوغا ... كل الملوك انا لها قصاب

خضت وقائع بالطراد شديدة كم فارس مني غدا قلاب
انت قلت الي دخل برقته هذه المنايا كلها اسباب
كيف القسيس كان القروم جميعها وادي ضاؤهم تصير خراب
تحسب خطاب الحرب جيت تخطب تعلم الاولاد الكتاب
قال ابو زيد الهلالي سلامه ايا مطاوع لا تكن هراب

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من كلامه التقى البطلين كانهم جبلين وحام عليهم البين وزعق على رؤسهم غراب البين مقدار ساعتين فقام ابو زيد في عزم الركاب وضرب الخطيب بالسيف على هامه حط راسه قدامه فلما رات قوم الزناتي ان مطاوع قتيل وفي دمه جديل ولوا هاربين والى النجاة طالبين فلحقهم ابو زيد وبني هلال يدعوا منهم القتلا تلول وجابوا خيلهم وعددهم وعادت بنو هلال لعند حريمهم بالعز والاقبال واما اهل الغرب فوقع عليهم الذل فعند ذلك ارسل الزناتي الاعلام الى سلاطين الشرور وكانوا سبعة سلاطين وكل سلطان يملك على مية الف عنان وارسل يقول لهم انه قد اتانا عساكر وعربان ومعهم سكاسبة لا يمكن يصفها لسان فبادروا الالنا لنا خذهم في حد السيف والسنان فلما وصل الخبر اليهم جردوا عساكرهم بالحال ومشيوا من يومهم فتواردت اخبارهم الى بني هلال فقال ابو زيد عليَّ فيهم وحدي بعون الواحد القهار واشار بهذا القصيد يقول

قال ابو زيد الهلالي سلامه اصغوا لقولي يا جميع هلالي
طمعوا بنا الاعدا جميعاً واعتدوا وجاهدنا فيهم بحرب طال

قتلوا ابا زيد الذي عبى وعامر   فرساننا راحوا بحد نصال
وانا كنت ملهوفا من الحرب قاصر   اقاسي وجع في الضرب والانكال
لما الفرج قد جاء من رافع السما   ذهبت عني لاوجاع والاهوال
نزلت لميدان الزناتي اصادم   من الصبح باكر قاصد الابطال
اسرع وبارزني الخطيب مطاوع   فغدا مطروح فوق تل رمال
وجبت فرسه خلف مني جنيبة   والدمع منها على فراقه سال
يا قوم هموا ثم قوموا واركبوا   ميتين الف ثابتة في الحال
نقصد ملوك الشقور نبيدهم   قبل ان يضيقوا على هلال مجال
لا بد ما اقهر جميع ملوكهم   ونغنم جميع جمالهم والاموال
وانت يا حسن الهلالي ابو علي   هذا الزناتي جار في الاهوال
قرم عنيد فاحذر من حربه   ولا تولوا من القتال زلال
وان زحمكم ارسلوا لي بلا بطا   اجي وادعي للقتول تلال
ما قال ابو زيد الهلالي سلامه   لي قلب يشبه صخرها وجبال

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من كلامه دعوا له بنى هلال بطول العمر والبقا وركب في قومه بنى زحلان واخذ اولاده معه زيدان وشيبان واخذ معه من بني زغبي الفين عنان وساروا الى ملتقى الملوك ثلاثة ايام وثلاث ليال حتى وصلوا الى وادي النمور وكمنوا القوم في الليل ولما اصبح الصباح اقبلت عليهم جيوش مثل الغمام فعندها التقت الفرسان وركب ابو زيد في اولهم والتقى القومين فعندها صاح ابو زيد بصوت ومال فيهم على الميمنة وشيبان وباقي القوم على الميسرة حتى خلوا القتلى

تلول والدم نهور وقتلوا السبع ملوك وجيوشهم وكسبوا خيولهم واسلابهم واجمعوا فيهم نساءهم فعنده لم ابو زيد عسكره ونزلوا ربطوا في الوادي خوفا من غيرهم فهذا ما كان من ابو زيد ورفقاه وما جرى لهم فيرجع الكلام الى الزناتي فلما بلغه الخبر دق طبله وبرز الى الميدان فبرز اليه زيدان ابن غانم شيخ الشباب فقال له الزناتي من انت ومن تنسب من الفرسان فقال انا الامير زيدان ابن غانم واشار يقول

يقول الفتى زيدان انا ابن غانم   انا مرعب الابطال والفرسان
ولا اني غبي في الملا يا خليفة   ولا يلتقى مثلي بذا الفرسان
ولكن علينا اعتديتم بحكمكم   وفعلك بنا قد شاع في العربان
قتلت اجاويد لنا وقرومنا   وراحوا منك في التراب دفان
قتلت لي خالي بدير القاضي   واخوه مفضل قد غدا منهان
ولا وقعة الا يكون زعيمها   وفعله معنا يا زناتي بان
اخذته بالحيلة بيوم الغاره   غدرته بوقتها ايا خوان
وانا جيت الان اخذ بثاره   علي فقد عامر صرت انا وهمان
اتيت الى حربي ولا تتعذر   في الوقت تبقى منطرح منهان
ما لك سوى شيخ الشباب غريمك   اسمع انا المعروف سيف زيدان
رد ابن مهران الزناتي وقال له   اسمع لقولي يا فتى زيدان
انا يا فتى ما جيتكم لبلادكم   ولا ارضكم قاصد ولا بلدان
جيتم بلادي تملكوها وارضنا   مليتم فلاها السهل والوديان
وهذه ترى صعبة عليكم اخذها   انا دونها كالسبع يا زيدان

ومن قبلكم انت قروم كثيرة ... هزمتهم في حد سيف يماني
ولا قط قابلت العدا في ذلةٍ ... الا بضرب السيف والميدان
وانت افتهم يا امير زيدان واعلم ... انا خليفة راجح الميزان

فلما فرغ الزناتي من كلامه وقع بينهم الحرب الشديد حتى ذاقوا الجهيد الى اخر النهار حتي دقت طبول الانفصال وثاني يوم وثالث يوم كذلك نجاد الامير زيدان بالطراد فولي الزناتي هاربت و زيدان وراه طالب الى باب المدينة فقفلوا الابواب في وجه زيدان وكانت خطيبة زيدان معه وهي بنت عمه واسمها ضيا فلما تزاحمت القومين جفل هودجها ورماها فاخذوها قوم الزناتي ولما رجعوا من الحرب امر الزناتي ان تحضر ضيا الى عنده وامر سعدا ان تبقى ضيا عندها وتحفظها واشار يقول وعمر السامعين يطول

يقول ابن مهران الزناتي بلا خفا ... اما في المدامع قرح الجفن لونها
على ماجرى بيني وبين اهل عامر ... فرسانها لو قاتلوا في جنونها
كل يوم اذل امير واكيده ... واقول ما عاد احد منهم يصونها
يصبح يكاونني امير وثاني ... وزادوا علينا واكثروا في فنونها
جاني الفتي زيدان من صبح باكر ... ضرباته بالذرع اروت سنونها
زيدان يشبه الى ابو زيد بالوغا ... وطعناته تلك التي تعرفونها
ولا نظرت مثله في هلال وعامر ... يشابه لفرخ الباز عند شبونها
تلقاه بمهر السرج يقلب على الوطا ... بق يشابه الذيب يحسبوا بها
يرجع لبحر السرج كانه حمامة ... مبرقعة ما بان منها عيونها

ولي ثلاث ايام اقاسي حربه — من الصبح حتى الشمس نصف لونها
ضربني ضربة من يمين صميدع — قطع زرد درعي بطعن سنونها
انطرحت في قهري على حالة الردا — وسعدا ترش الدمع سود جفونها
يا سعدا ردي سيفه ضيا لابن عمها — لزيدان يصلح قدها وعيونها
والا عجبت السيف ما شفت وجهها — ولا شفت منها غير سود عيونها
ما قال ابو سعدا الزناتي خليفة — يا ما نقاسي من هموم شجونها

قال الراوي فلما فرغ الزناتي من كلامه وبنته سعدا تسمع نظامه فلا ارسلت ضيا لابن عمها واوصلها لعند اهلها واما الزناتي فقال الى قومه جاوبوا كيف رايكم يا فرسان من منكم يلتقي طراد زيدان وكان للزناتي ابن اخت يسمى مطاوع فقال يا خال انا عليّ فيه فقال الزناتي ما انت من رجاله ولا تقدر تلقاه في مجاله فقال صدقت يا خال ولكن دعني اعمل ما بدا لي فاخذ مطاوع الناس وحفر ثلاث حفاير وغطاها حتى لا تعرف ومن الغد دق الزناتي طبله وبرز الى الميدان فخرج اليه زيدان فالتقى الاثنين كأنهم اسدين كاسرين وحان عليهم الحين وزعق فوق رؤسهما غراب البين فاراد زيدان يضرب الزناتي بالرمح فولى الزناتي من قدامه وهرب الى نحو الحفاير فغار وراه زيدان فوقع في الحفيرة هو والحصان فرجع له مطاوع وهو في الحفيرة فضربه على عاتقه ابرا راسه قدامه وارسل راسه هدية مع روس الامارا على سور تونس فاشتبك القوم وحملوا على بعضهم الفريقين حتى ولى النهار ودقت طبول الانفصال فرجع الفريقين وباتوا الى الصباح وثاني يوم برز الزناتي الى

الميدان وطلب مبارزة الفرسان فبرز اليه بدر ابن غانم اخو زيدان ثم التحموا في الحرب اي التحام وصار بينهم ضرب شديد يقطع الزرد النضيد الى نصف النهار فوقع فيما بينهم ضربتين قاطعتين وكان السابق في الضربة الامير بدر فضرب الزناتي بالرمح فخلا منه والتقى عليه بالسيف واخذها بدرقة البولاد وثلث عليه في الدبوس فخلا منه ببراعته وكثرة شطارته فاعتدل الزناتي على ظهر الحصان وضرب بدر في السيف فقطع راسه وارسله الى تونس فوضعوه بجانب راس اخوه زيدان وكان لبدر ولدين واحد اسمه عقل والثاني نصر وكانوا افرس اهل زمانهم والجمل اهل عصرهم واوانهم فقال عقل لا بد ان ابرز الى الزناتي وكانت ام الاولاد اخت الامير حسن واسمها هولا فسمعت عقل يقول هذا الكلام فعزت الدنيا في وجهها وفزعت عليه من الزناتي لانه اولاً بطل مغوار وثانيا متى انغلب يدبر حيلة في قتل من نزله فابتدت هولا عن حرب الزناتي وتقول

تقول فتاة الحي هولا الحزينة ودمعي جرى من مقلتي سخين
جسمي انضنى من لوعة البين والنيا ولي من جور الزمان حنين
ايا عقل ارجع عن مقالك واهتدي واصغى الى قولي وكون فطين
انا خائفة عليك يا بني من العدا تعمى عيوني من البكا والبين
انت صغير السن ما ذقت لوعة وذا الزناتي في الحروب متين
ولا مارة في الحرب ما شفت مثلها كم فارس قد راح منه طعين
خيانة وغدر من عبد الرضى عرب وما احد له يوم الحروب معين

ما انت يا ولدــى ازاك قبــاله — بينك وبينه يا فتى خمسين
اما ابوك غدا وراح بيومــه — انا خائفـة افقـد اثنين بحين
بالله عليك يا عقل رد كـلامك — وقلبي بقى من ذا الكلام حزين
ما قالت فتاة الحي هولا الحزينة — قلبى انقطع من علة وعنين
رد الفتى عقل الذي هاج ما به — لى قلب من فقد الزمان طعين
طعين من فعل الزناتي خليفة — قتل والدى وزيدان عمى دفين
يا امى انا بالحرب باكر اكر له — بسوق المنايا ما احد لى يعين
مهما قضى الله على العبد صابه — وعمر الفتى يا اماه حصن متين
غدا ينظر الزناتى فعل ابن هولا — اذا ما بقى للصافنــات غبين
وتبقى الصبايــا بالعطاف ذوالــع — فوارع جوالس كالبدور ضمين
ويزلغطوا قد هاج عقل على العدا — وعقل بصوت الغانيات دهين
وشورك انا يا امى ما اريــده — شور المــذلة للرجال يهين
فلا بد عن قتل الزناتى خليفة — بقول حقيق واكدي يقين

فلما فرغ عقل من كلامه رات امه بان كلامها معه لا يفيد راحت عند اخوها ووقعت عليه فركب حسن واتى لعند عقل واشار بنهيه عن حرب الزناتي وتقول

يقول الفتى حسن الهلالى ابو على — يا عقل اسمع لى وكن عروف
واترك كلامك يا ابن اختي واهتدى — خليفة ترى صعب المراس جنوف
قتل من ابطال الدريدي وعامر — ايضا وزغبي حالهم مثلوف
ولا عاد له يا عقل فينا مقاتل — ولو كنـا مائتين الف الوف

يتم لنـــا اطفالنـــا في محلنا ... ويبكوا عليهم بالدموع ذروف
فتـــوى عمك دياب ابن غانم ... ونحن عجزنا وحالنـــا متلوف
فكيف يـــا ولدي انت تقـــابله ... وتاتي لضربات القنـــا رسيوف
لا تقرب النيران توقع بوسطها ... فاقصر عن قولك وكن عروف
وانت صغير السن لا ينبغي عليك ... ترى الزناتي ديب وانت خروف
فقال الا يا عقل يكفي تعانـــد ... امك لاجلك عقلهـــا مخطوف
رد الفتى عقل ابن هولا وقال له ... لا بد يا خالي غدا ما تشوف
اقدم كراديس المنايا بهمتي ... وسيفي وزينات العيون تشوف
هناك يرد الخيل عقـــل ويثني ... وكم فارس مني غدا مخطوف
انا يا خالي ما اريد الا معاركة ... بيوم الوقائع مـــا اريد وقوف
وانت تقول يا خال قوم وارتجع ... وكن عن حرب الزناتي مخزوف
وشورك لي يا خال ما اريده ... انا اخاف قدري يرتجع مخسوف
اكون ابن بدر الخيل ابى على نقا ... وانت خالي يا حسن معروف
ويصبح ابن اختك ذليل من اللقا ... ويغدي قدري منخفض مخسوف
فلا ارتضي ان اكون هزيلة ... لو كنت اغدي بالسيوف نتوف
وغدا لا بد ان اخذ الثار منهم ... واني الى حرب العدا وتشوف

فلما فرغ عقل من كلامه علم حسن ان ماله خلاص وقال له الله ينصرك عليه فلما اصبح الصباح لبس عقل ابن هولا آلة الحرب والكفاح وركضت العاريات دالعات فارعات ينخوه على الحرب والثبات وصار عقل في الميدان وعرض وبان وطلب مبارزة الفرسان فبرز الزناتي خليفة

وقال له من انت فقال الزناتي اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقال كبارهم يوفي صغارهم فصار عقل يهد على الزناتي بهذا القصيد ويقول

قال الفتى عقل ابن هولا صادق … لي عزم افرس من متين جبال
اني انا بالحروب مجرب … منسوب من زغبي وقوم هلال
بدر ابى اسم جدي غانم … انا الفتى حسن الدريدي خال
عمو دياب الفارس المتفطرس … سبع الفلا حامي لظعن هلال
اسمع كلامي يا زناتي وافتهم … اني اصيل من فروع طوال
جيتك لاخذ الثار منك عاجل … ايضاً لثار عموتي وخوال
زيدان عمي كان خيال الوغا … غدرته وادعيته على الرمال
ابوي قتلته بعد عمي بالوغا … وملت فينا ميمنة وشمال
وهفيت منا كل قرم غشمشم … ويتمت من بعد الرجال اطفال
وقد جيت اليوم اخذ ثارهم … وادعيك مقتولاً بغير محال
عقل اسمي قط ما فيَّ غبي … اليوم تنظر همتي وفعال
رد بن مهران الزناتي وقال له … انا مريع الخيل في يوم النزال
يا عقل راح العقل منك شارد … انت صغير السن ما لك حال
زيدان عمك كان اكبر منك … قرم مجرب قاهر الابطال
وابيك من بعده قتلته بالوغا … اذقته كاس المنية مال
كذا الخفاجي راح مثله بالوغا … قد ذاقني يا عقل كل هوال
قم لشوري ورد لاهلك عاجل … وحط عقلك يا صبي بالبال
واقه كانه ما ترجع دميك … تروح منا تحت ذل ومال

انــا الزناتي بالحروب مجرب ما شبيهي بالوغا ومثال

قال الراوي فلما فرغ الزناتي من كلامه فالتطموا الاثنين كانهم جبلين او اسدين زائرين حتي حمل وحمى عليهم الزرد فعرف الزناتي عقل انه فارس لا يطاق وامر من العلقم ومن صغر سنه خبير بطعن السنان وضرب اليمان وصاروا الزينات ينخوا الوحي باحامي الزينات وعقل قد زاد حربه واشبع الزناتي من ضربه وحمى الميدان بفعله لا زالوا في قتال وجدال لحين الشمس مالت للزوال فدقوا طبول الانفصال ولما اصبح الصباح ركبوا القومين والتحموا الفريقين فبرزوا الى الميدان وصاح على رومهم غراب البين واما الزناتي كل ودل وضعف قواه وانحل فالوى عنان جواده وولى هارب والى النجاة طالب فتبعه عقل واطلق له من بحر اق وقلب مشتاق ولحقته الطعنة للجواد ارما الزناتي على الارض فادركوه قومه وخلصوه فانحدف عليهم عقل و بني هلال وعظم الحرب والاهوال ولم يزالوا بالقتال حتى ولى النهار بالزوال واقبل الليل بالاسدال فدقت طبول الانفصال فعاد الزناتي مرهوج ومن حرب عقل مزعوج وصار يوحي فرسان قومه على قتل عقل و يقول وعمر السامعين يطول

يقول ابو سعدا الزناتي خليفــة ونيرانـ قلبي زايدات ضرام
حربت الاعادي طال على مجاله وكل نهار طال فيه قتام
ايا احبتي واهل الحشيمة فاسمعوا وكونوا لقولي يا كرام فهام
ومن منكم ينزل الى عقل يقهره ويدعيه في وسط اللحود ينـام
اعطيه تونس ثم تورس وارضها واعطيـه بصرة ملــكه ولزام

واعطيه سعدا ان تكون حليلة ويكون عندي في اعز مقام
ويشتفي مني الفواد بقتله يا للحشيمة يا ملوك كرام
هذا مقال الزناتي خليفة حزني من كيد العدى سجام

قال الراوي فلما فرغ الزناتي من كلامه وقومه يسمعون نظامه فقام ابن اخته مطاوع وقال يا خال انا له ان كان ما قتلته في حومة الوغا واجيب سابقه يحرم علىّ نقل الرمح مادمت سالم ويحرم على الفرح والعز والهنا ويحرم علىّ الشر فوق راسي اعلام فقال الزناتي الله يعينك عليه ولما اصبح الصباح ركب مطاوع جواده واعتدل في عدته وجلاده ودقت طبول بني هلال وركبوا الخيول الاصال وركب عقل اولهم وهو ينادي اليوم ولا كل يوم فلما شافوه الزناتية ولوا هاربين والى النجاة طالبين وفي اولهم مطاوع فقال له الزناتي لماذا انهزمت يا ابن اختي فقال انهزمت قومنا وما ضل احد فاما عقل وصل تحت سور تونس فطلت بنت الزناتي الثانية وكان اسمها بسما فنظرت الى عقل وقع هواه في قلبها وملك فوادها وانشدت تقول

تقول فتاة الحي بسما التي شكت ونار الهوى لوع ضميري لهيبها
وحبك بقلبي عقل اضنى لحالتي فانت من روحي وانت عديلها
خليفة لم اولاد مذكور كلهم بني مذكور كبيرهام صغيرها
وقال لم يا عزوة الجود والسخا زمونا العدا في حرب زائد نكيدها
فمن منكم يبرز الى عقل بالوغا ويسقيه من كاس المنايا غليلها
فنهض مطاوع وقال يا خال انا له واسقيه كاس الموت طافح بذيلها

وباتوا على هذا الشور يا ابن هولا وان خليفة لو وحك لازم يشيلها
وانا علمتك يا عقل شفقــا عليك لانك صغير الوقائع جهلهــا
وانا ارى يا فتى رد لاهلك وخلي البلايا كثيرها مع قليلها
وهذا الخبر يا عقل اصغي وافتهم وحبك زاد الورع مني غلابهــا
قالت فتــاة الحي بنت خليفــة بسما اشتهت ان عقل يكون حليلها

قال الراوي فلما فرغت الست بسما من كلامها فاشار الامير عقل يقول وعمر السامعين يطول

يقول الفتى عقل ابن هولا المتيم جرح الهوي خلا فواده نحيل
جرحني الهوى يــا بسما على صبا ولا يلتــقى لي بالغرام خليــل
وقد عدت يا بسما من الوجد هائم ركبت الهوى عسفا بغير دليل
وانا ما احب الا هوى كل كاعبة بنات الامــارا للعقول تزيــل
احب طراد الخيل والحرب واللقا اذا اصطلت نار الحروب شعيل
اخوض غبار الخيل داري عقيدها ويرمق لنحوي كل طرف كحيـل
ايا بسما قلي كلامك واقصريــــ انا عقل مني بالشباب هزيــل
لا تحسبي اني اخاف من العدى ولا انا من حرب الرجال جفيل
سايلي عني يا مليحــة قرومك ينسبونك عني والقروم تميــل
ابوك غدا مهزوم مني فاختشي وقد ذاق من حربي بلا تكابل
وراح وحشم ابن اخته مطاوع ويريد قتلي بالطراد عجيــل
فلو جاب لي بسما الف مطـاوع لادعيه من فوق الوطا قتيل
وانت تشوفــي يا مليحة فعــائلي وبيض العذارا بالمطاف تميــل

ويا بعما ودي الامير مطاوع فاليوم يوم الحرب والتنكيل
وهذا كلامي يا مليحة فاسمعي ولا تكاثريـ لي القال ثم القيل

قال الراوي فلما فرغ عقل من كلامه وبسمة تسمع نظامه فعاد عقل لعند العماريات وعقل نوقهم وقال ردونها فلما شافه مطاوع عقل نوق العماريات فبرز الى الميدان واشار يهدد على عقل ويقول وعمر السامعين يطول

جاك مطاوع من يطيق حروبه مضرم الفرسان في نار الحريق
جاءونا قوم هلال ذاقونا البلا قلبي من اجلهم دايم حريق
قتلنـا منهم كل قوم غشمشم بسيوفنا راحوا منا محيق
ما عاد غير اولادهم يطلبوننا ثاراتهم يريدوها منـا حقيق
ان كانت الابطال ما كادوننا كيف الذي بالحرب مايعرف طريق
انا مطاوع للعدى كايد حقيق بيوم المعامع انسي بحر عميق
اين يفدي عقل من طعناتنا قالون انه بالوغا شب وثيق
انت صغير السن ما ذقت الوغا ولد جاهل تسمى مانك عتيق
انـا قتلت قرومكم راحوا دفـا ما منهم فارس الى حربي يطيق
شيخ الشباب قتلته راح مقطـع وانت من بعده تكون لحيق
اليوم يومك يا ابن هولا واكد وتشوف مني يا ولد عظم مضيق
هـذه مقالات الامير مطاوع ما ينفعك اليوم خل ولا صديق
رد الفتى عقل المسمى وقال له يا مطاوع ما بقا لك من صديق
انا الفتى عقل ابن هولا المتيم مفرج الشدات في وقت المضيق

انا ابن بدر الخيل خليفة غانم — عمي دياب الفارس الزغبي حقيق
اما حسن خالي الامير ابو علي — سلطان قيس ودمعه علي حقيق
ايا مطاوع لا تجد روحك — اني انا باللقا ثابت وثيق
سايل خليفة يوم عارك حربنا — راح مني هارب ودمعه دفيق
ما اظن انك انت اقوى منه — ذاك فائق وانت نائم ما تفيق
ابشر بقطع الراس مني عاجل — اليوم من سيفي انا تقاسي عتيق
ما عاد فيها يا مطاوع عفة — لي عندكم ثارات سابقها عتيق
حيث ما استوفيتها من دون خفا — ما عاد غير الطعن والسيف البريق

قال الراوي فلما فرغ عقل من كلامه هجموا الاسلام وانعقد الغبار والقتام حتى سد منافس الاقطار وهم في حرب وصدام وافتراق والتحام وتجريع الموت الزوام قدحت حوافر خيلهم نار وطار من سلاحهم الشرار فيا لهم من اسدين ضرغامين وبحرين متلاطمين اما مطاوع فراى قدامه فارساً كرار واسد مغوار وشاف من عقل حرب جبر مشيب الاطفال فعول على الهرب والفرار فاشتلق عليه الزناتي فغار على عقل والثاني راح الى عند مطاوع والثالث قدامه وحطوا عقل ابن هولاء واسطة فالتفت عقل وضرب واحداً منهم ارماه وغار على الذي قدامه فلا زالوا الجميع من قدامه هاربين فنزل عقل عن جواده وعقل نوق العماريات واشار يقول

يقول عقل الشجيع الفارس — عقلون جمالكم يا ذا البنات
عقلونا وانظروا افعالي — وانتم من خلفي جميعاً دالعات
ولا تخافوا من مصادمة العدى — كل من قرب اليكم ذاك مات

كل يوم يوم لا اريد خلافه — انا سياج البيض عز المحصنات
جبار موت القوم في سوق اللقا — اذا بقت طعناتهم متخالفات
يورث الفتى سيف عزة يكتب الثنا — ان المضرة في ظهور الصافنات
لا عاش من هو بالرجال مزوق — مصفصفاً غاوي بلبس الفاخرات
ما يرى في الحرب يوم مجالها — يهرب ولا يخشى حديث المعيرات
انا ابن بدر الخيل ما في غبا — خالي حسن عز الملاح المفتنات
عمي الفتى الزغبي دياب الماجد — حامي الزينات عز المحصنات
يا جازية فعقلوا جمالكم — وانظروا عقل ابن هولا يا بنات
هذا مقال ابن هولا صادق — كونوا لقولي يا عذارى فاهمات

قال الراوي فلما فرغ من كلامه والبنات يسمعون نظامه فاشارت الجازية ام محمد تقول

قالت الجازية يا عقل اسمع — واصغى الى قولي وكن خبير
انت صغير السن ماذقت لوعة — ولا بعمرك خضت بحر كبير
يا عقل لا تجهل ولا يغريك الطمع — خليفة تراه فارس وذو تدبير
تريد تعقل النوق بجهلك — بهذه المقام ليس شور خبير
اخاف تعقلهم فياتوك العدى — يدعوك تبقى بالرمال دمير
ويسبون بنات البدو منك غصيبة — ويبقى عليك العار والتدمير
من قال انه دوم الدهر غالب — هذاك عقله ناقصاً وحقير
يوم به نصر ويوم مذلة — والدهر دولاب يفضل يدير
وتحذر يا عقل من ذا الثلاثة — والرابع المذكور راح غفير

نهم فارس لابس ثوب احمر هذا خليفة ما به تنكير
واحذر منه كم قتل من فوارس وكم ذل منه بالطران امير
قد وصفت الكل لك يا ابن هولا واني نصحتك نصح راي مشير

قال الراوي فلما فرغت الجازية من كلامها وعقل يسمع نظمها فاقبل بل عقل النوق وقال انا دونكم وغار على قوم الزناتي وكل فارس رفع امامه زوره المقابر والبلا فنزل اليه الزناتي ومطاوع والعلام وعلام ابن نجدة اثنين من قدام واثنين من ورا وغدره مطاوع في طعنة بقفاه رماه فقال الزناتي خذوه حي فتزاحمت عليه الرجال حتى جرى الدم سال فراح جسم عقل تحت نعال الخيل ما بان له اثار وانكسرت بني هلال ودقوا طبول الانفصال فرجعوا القومين الى الاطلال وكان الى عقل اخي يسمى نصر فقال غدا انزل الى الميدان اخذ ثاري من هولاء الانذال الغدادين فلما سمعت امه هولا بكت بكاء شديد وتحسرت على عقل واشارت تقول

قالت فتاة الحي هولا الحزينة وفي القلب نيران تزيد لهايب
حزن عقل الخيل اضنى لحالتي فتى من جميع العالمين يهاب
فتى خليفة الاجواد قرم مجرب له فعل بالهيجا كسبع الغاب
غدره مطاوع والزناتي خليفة وخلا دموعي جاريات سكاب
فيا نصر انظر اخوك ابن والدك هفوه العدا تحت النعال وتراب
فراح المسمى قتيل مطاوع ابن الردي من امس فينا عاب
اريد له يا نصر تاخذ لثاره وتزيل عني العار يا حبابي

اريد يا نصر تقتل مطارع وتدعي دماه على الوطا سكاب
الزم تجيب شبهة مطاوع جنيبة يكون في عرضك كلام عتاب
ولا يكون خالك الهلالي ابوعلي ولا عمك المسمى امير دياب
ولا اخوك عقل ولا بدر والدك ولايصح لك من البيض رشف رضاب
يا ولدي انت الفتى عز الثنا ولا يرتضي بالذل عرضه عاب

قال الراوي فلما فرغت هولا من كلامها والامارة وولدها نصر يسمعوا نظامها اشار يقول

يقول الذي قد فتت الحزن قلبه يا ام لا تبدي علي عتاب
فلا تحسبي اني اخاف من العدا انا نصر اسمي قاهر الطلاب
فان كان اخي قد راح راح بيومه وليس الاجل يبعد ولا يغتاب
وموت الفتى بعزه مثل عرسه اذا قام سوق الصافنات طلاب
وان لم اجب شبهة مطاوع جنيبتي فلست عز البيض يوم حراب
وان كنت لم اخذ بثار ابن والدي اكون ردي الاصل والانساب
غدا تنظري شبهة مطاوع جنيبتي ودماه من فوق التراب سكاب
ولا بد عن قتل الزناتي خليفه بثار شيخ ابطالها وشباب
انا نصر لزغبي الاصل ما في غبا ابو علي خالي وعمي دياب

قال الراوي فلما فرغ نصر من كلامه قد طاب خاطر امه وثاني الايام برز نصر الى الميدان ونادى في اعلى الصوت وقال ابرزوا يا ابطال فبرز اليه الزناتي وقد ظن انه عقل ما كان يعرف احدهما من الاخر فقال الزناتي لقد عاش عقل ورجع للحيوة عاد يوكد فيه نصر يهدعليه ويقول

جاك ابن هولا نصر قرم ثابت — يقتل مطاوع والامير زناتي
موجوع من غدرانكم وفعالكم — وقد جعلتم نار في احشاتي
يا ابن مهران عمرك قدفرغ — في عازمي المنقول ثم قناتي
انت قتلت ابي وعمي قبله — واسقيتهم صرف الفنا كاساتي
وبعد ذلك قد غدرتم عزمنا — عقل ابن هولا فارس الثبات
حرقت قلبي والفواد ومهجتي — وحرمت عيني النوم اليهناتي
فكيف انسى عقل واترك ثاره — واليوم كلكم تصيروا موات
الامير ارسل لي مطاوع بالعجل — لكي اقتله واكتسب الحسنات
قال الفتى نصر ابن هولا صادق — نيران قلبي زايدات لهبات
رد ابن مهران الزناتي وقال له — يا نصر جاك الموت والشدات
كم فتى يا نصر قبلك وابوك بعده — من راس رمحي بجملة الادوات
عمك غدا قبلك وابوك بعده — واخوك عقل راح من حملاتي
تحت الحوافر ما بان له خبر — ما انحط في كفن ولا حفراتي
اليوم انت تروح مثله هالك — وتذوق مني اوخم الموتات
ما جاء بكم الا نصيبي منكم — ارزاقكم والبوش نحو ابياتي
قال الزناتي من فواد معظم — يا ما تركت جيوش راحوا شتاتي

فلما فرغ الزناتي من كلامه صدم الامير نصر صدمة جبار لا يهاب اللقاه بقلب اقوى من الصوان والتطموا البطلين كانهم جبلين واختلف بينهم ضربتين قاطعتين كان السابق نصر للزناتي بالسيف فالتقاه بالدراقة فشطح السيف على رقبة الجواد براها كما بري القلم

فوقع الزناتي على الارض فادركوه قومه في جواد واركبوه ومالت المواكب وهاجت الكتائب وما عاد يعرف العدو من الصاحب وكان يوم مذكور كانه يوم النصر المنظور بقي السيف القرضاب يعمل على الرقاب حتى ولت الشمس الى الغياب فدقوا الطبول الانفصال وباتوا الفريقين يتحادثون الى الصباح فركب نصر وبرز الى الميدان وطلب مبارزة الفرسان فبرز اليه مطاوع فانشد نصر يهد عليه ويقول .

قال الفتى نصر ابن عولا صادق — اليوم جيتك يا امير مطاوع
قتلت مقتل الخيل غدرا يا ردي — ودعيت رمحك من بدنه طالع
احرقت قلب امى عليه يا ردي — عادت تنوح وتسكب المدامع
اليوم يومك فيك اخذ ثاره — ما عدت انت الي اولادك راجع
اليوم اخذ ثار ابي وعمي — وثار عقل منك يا مطاوع
تيت الحربي لا تكون مغرقم — او كنت ما بين الامارة شايع
لاسمع الاسباط في حربك ترى — وادعى حسامى هام راسك قاطع
اليوم يوم الفارس المتغطرس — فلا تكون في القتال مخادع
هذه مقالتي فاسمع يا ردي — يا مغربي يا ابن كلب جايم

قال الراوي فلما انتهى نصر من كلامه ومطاوع يسمع نظامه فاشار يرد عليه ويقول وعمر السامعين يطول

قال الفتى المسمى امير مطاوع — النار في قلبي تزيد لذايع
يا نصر روح بين الاولاد العب — انت ما تقدر الى تسارع
اخوك عقل كان اقوى منك — على الوطا غدا قتيل ينازع

اليوم انت جيت تاخذ ثاره ... رح الى اهلك وكن مني سامع
ان كان ما ترجع جيتك بضربة ... تروح ميت من حسامه واقع

فلما انتهى مطاوع من كلامه انطبقوا بالحرب الشديد حتى حمي الزرد النضيد فاختلف بينهم ضربتين وكان نصر السابق فوقع رمحه في صدر مطاوع فاطلع السنان يلمع من ظهره فوقع على الارض قتيل وفي دمه جديل فعندها غارت قوم الزناتي وحملت ايضا فرسان بنو هلال وزادت المصائب والاهوال والتحموا الفريقين في المجال وصار الزناتي وفرسانه يجاولوا نصر وامر الزناتي في اناس تقاتله وناس تحفر له حفاير وما زالوا بالحرب والصدام حتى وقع نصر في الحفيرة فغار عليه الزناتي وضربه بالسيف على هامه حط راسه قدامه فاخذوه وامر ان يحطوه على سور تونس جنب راس عقل ففارت القومين وتزاحمت الفريقين وزعق فوق روسهم غراب البين ولم يزالوا فى القتال حتى ولى النهار وزال واقبل الليل بالانسدال رجعوا عن الحرب والصدام واخذوا نصر يدفنوه في جانب ابيه ولحق بعمه واخيه واما امه واخته قصوا شعورهم واقاموا احزانهم واشارت امه تقول

تقول فتاة الحي هولا الحزينة ... بدمع جرى فوق الخدود بنار
على ما جرى فينا وماقد اصابنا ... والفكر ثم العقل مني طار
على عقل عقلي راح من مشتقره ... ويا نصر ما لى بعدكم انصار
وتزلت دموعي كالنهور الجارية ... وجاني البلا قاصد لوم الدار
فيا ادمعي جودي واجري صبابه ... على اخوين كانوا كالاقمار

فلوان نهر النيل بالقلب يجري وسيحون مع جيحون والابحار
ونهر الفرا ودجلة والشط كلها وعاصي وحما وكل نهر دار
على نار قلبي ليس يطفى لهيبها وتزيد فيه حرقة وشرار
على شان عقل ونصر الثان جملة كانهم قلبي مع الابصار
ولا عادلي حيل ولا قوى تجرعت صبر حنظل المرار
ايا ليتني قد مت قبل فراقهم ورحت انا تحت التراب وحجار

مين بعدكم صان العذارى من العدى

ويزيل عنا الضيم والاضرار

يا ابنتي قومي اندبي طول عمرك على اخوتك كانوا حمات الدار
فيا طول حزني كلما دمت بالحيا ان جاء دياب الحي وسط الدار
ينادون عقل ونصر اولاد ولادك يزيدوا علينا الحزن والاضرار
فهاتي وجودي يادموعي واسكبي ويا حيف اعمار الجياد قصار
فنوحوا على هولا وما جرى لها فان عيوني مثل كي النار

قال الراوي فلما فرغت هولا من كلامها اشارت بنتها فتنة تقول وعمر السامعين يطول

قالت فتنة بدمع جرى اسجامى يجري على الخد شبيه السيل طفاحي
ابكي على دارنا قد اصبحت قفرا فيها طيور النيا والبوم صياحي
تنعي اجاويدها من ظن تلقاهم والدار من بعدهم زادتها انواحي
كنا بخير وعز قبل فرقتهم وفارحين برغد ثم افراحي
وقوم عقل الى الخطار يكرمهم السيف والضيف موقف دوم دباحي

بهر مثله ولا عيب بخالطهم هم غاطاريف عدات الحرب وكفاحي

فلما فرغت فتنة من كلامها قادوها الناس هي وامها عن القبور. فقال
هم انا من بعد اولادي لا اريد حيوة ومرادي انزل للزناتي واحاربه
اقتله واخذ منه الثار واما يقتلني واستريح من الاحزان وكان غانم
ر اختيار فبرز الى الميدان وطلب مبارزة الفرسان فبرز اولا الزناتي
امه فاشار غانم يتهدد الزناتي و يقول

بل الفتى غانم على ما جرى له بدمع جرى فوق الخدود وغار
لا يا زناتي استمع شرح قصتي وكون لحربي فارساً هدار
انك غانم يا زناتي خليفة يشبه الى ليث الوغا اعصار
تلت اولادي يا زناتي كلهم واولادهم اثنان كالاقمار
بتسعين اميراً يا خليفة قتلتهم وقمنا عزاهم ليل ثم نهار
بيت انا اليوم اخذ بثارهم فما يغلب الا زايد الاعمار
فارس الفرسان ابو دياب بالوغا اليوم انا اخذ منك الثار
ل الفتى المسمى بفعله غانم حمل البعير ما هو كحمل حمار

قال الراوي فلما فرغ غانم اشار الزناتي يقول

ل الزناتي ابن مهران صادق ولي قلب اصلب من حجر صوان
تم علينا يا امير اعتديتم زرتم بلادي واخربتم البلدان
تت اولادك راحوا بفعالهم بدر الفتى المسمى اخو زيدان
اولادهم برزوا يريدوا قتالنا قتل واخوه زينة الشبان
فاتهم راحوا بغامض الثرى وضربت راس لكل في الميدان

تسعين امير صاروا رؤسهم عندي ‏ ‏ وزملت من بعدهم ترى الفنوان
مـا عاد الا انت يـا امير جيتنـا ‏ ‏ فانت شايب بالكـبر وزمان
فروح يا مسكين ما قل عقلك ‏ ‏ ما يلتقى حربـي سوى المردان
فاربح روح صلي واعبد ربك ‏ ‏ واختم لهم في صورة الرحمان
انا ما اقتلك ولاحط خطاك برقبتي ‏ ‏ قتلك تراه فسد ثم عدوان

قال الراوي فلما فرغ الزناتي من كلامه فالتقوا البطلين كانهم جبلين ولم يزالوا في قتال وجدال الى ان الشمس ولت بالارتحال فدقت طبول الانفصال فرجعوا عن الحرب والكفاح ولم يزالوا على ذلك مدة شهور على الكمال وبعد ذلك كلّ الامير غانم وما عاد له عزم على الحرب ومن غيره فما عاد احد ينزل الى الزناتي فضربُ الزناتي ديوان وقال لقومه ما عندكم من الراى فتقدم ابن عمه العلام واشار يقول

يقول الفتى العلام ولد غضيبـه ‏ ‏ اوصيك انت عارف ثم فـاهم
اوصيك لا تامن زمانك ولو صفا ‏ ‏ وافعل فعال الخير ما دمت سالم
ولا تامن الدنيا الغرورة ولو صفت ‏ ‏ ورجل يعاندها تخليه نادم
وتمضي ليالِي الطيبات بطيبهـا ‏ ‏ وتعرض ليال مظلمات قتائم
ماذا لك يا دنيا ومن يقتني بك ‏ ‏ تخليه فوق الارض غرقان عائم

الى هنا انتهى الجزء السابع عشر من ديوان الزناتي خليفة ويليه الثامن عشر ويباع في مكتبة الترقي لصاحبها شكري الخوري وشركاه في بيروت

كتاب

الثامن عشر

من تغريبة بني هلال

وهو تابع ديوان

الزناتي خليفه

وحربه مع امراء بني هلال وما جرى

للفريقين من الحروب والاهوال

على التمام والكمال والحمد لله

على كل حال

يطلب من

مكتبة الترقي

خاصة شكري الخوري وشركاه

شرقي ساحة البرج اول طريق النهر (بيروت)

برخصة مجلس معارف ولاية بيروت الجليلة

تفكرت انا في حالنا وما جرى لنا وشفت اموراً مزعجات همائم
يا نار قلبي كم يزيد لهيبها يزيد شعيلها في فوادي ضرائم
على ايام ابو سعدا الزناتي خليفه زمن اجتماع الشمل كنا لمائم
فلا نعرف الشدة ولا نعرف الرخا وكنا في نعمة والخير دائم
والا الليالي قد سعت بفراقنا وطير النيا فوق الدار حائم
بيوم اتى ضعن الهلال ابو علي باربع كرات الوف بلغوا العمائم
تسعين الفاً للهلالي سلامه وتسعين للزغبي دياب ابن غانم
وتسعين الفاً الى بدير ابن فايد وتسعين الى ابو علي بالسعد دايم
تسعين الف له توابع وقدهم يراعوا جميع البوش وكل الغنايم
يدل بهم ابو زيد في ارض تونس وفيهم امارة كالجبال الصدايم
بهم كل قرن ينطح الف وحده اجاويد شجعان بوقت اللزايم
صبرنا لهم قلنا يقوموا يرحلوا وهم قد اتونا طالبين الغنايم
زحفوا علينا كالجراد اذا زحف وتلاحفت نار البلا بالسمايم
اول نهار لا علينا ولا لنا وثاني نهار كم تقطع جماجم
وثالث نهار كان يوم عرمرم ورابع نهار بقى علينا ملازم
وخامس نهار الشمس ما بان ضوها وعاد السواد شبه ليل الظلايم
والسادس احمرت الارض بالدماء تدوس الخيل على الجثث والجماجم
وسابع نهار عقد علينا غبارها وما خاضه الا قوي العزايم
وثامن نهار خاضت الخيل بالدماء وعاد عجاج الخيل وقت الظلايم
وقالت عزيزة يازناتي خليفة انا حلمت حلماً ما حلم فيه نائم

رايت مناماً يا ابي قد راعني سهرت وغيري خالي البال نائم
رايت طيور الشرق اتوا لبلادنا طردوا طيور الغرب ولوا هزائم
وفيهم طير مثل برج مشهر ومن فوقه قوم قوى العزئم
دخل قرار البيت وارمى عموده قمت ضربت الرمل بان منه علائم
فذاك العمود انت هو بلا خفا والطير هي خضرة دياب ابن غانم
فقم يا خليفة شد واركب على سابق اشقر من العتب سالم
واطلق عليهم غارة اي غارة وقل اوفوا يا عرب للزمايم
انا لاشبع الغربان واليوم والرخم بضرب ما يرشيه سلك الملائم
قالت بنات هلال اين سلامه ينادون يا ابو زيد كل الحزايم
فكوا يديه من القيد جانا مطوح على ظهر حمرا مثل برق الظلايم
كسرنا سبعة ثم سبعة نظيرها وعاد علينا مثل سبع يزاحم
ولا يعتني الا بكل مجرب ومن يضرب به يبقى على الارض نائم
ابو زيد ماسك جنبها مع يمينها وزيدان على اليسر يسوي العظائم
ومن يضرب به زيدان ما يعود ينثني يعود على اعلى المدرجات حايم
تلوح عليه البيض من كل جانب يظلوا نسانا سابغات الهدايم
وعقل ابن هولا لا يرمح الخيل لو رمح من لمحته يعرف جميع اللمايم
ميتين طعنة لابن هولا حسبتها ولا طعنة الا ويبني الجماجم
ينادي ابن عشرة ما يموت ابن تسعة ولا بد ما يقضي جميع اللوازم
يضل ورانا حتى نخش قصورنا ونغلق الباب وكل المخارم
فيلعب حصانه عند ابواب تونس من الصبح الثاني ليوم وتحت الظلايم

فمسكوا شبابيك القصور بناتنا ودلعت لاجله ذايلات الوشايم
سياج العذارى ولو كان يقلع خيارنا فيدعو له بالنصر يرتد سالم
وطلبت بسما بنت سلطان تونس تنظر الى عقل الشجيع المخاصم
وقالت له ياعقل اني نصحتك وانا اخبرك بماصار يا ابن الاكارم
خليفة جمع اولاد مذكور كلهم واظهر لهم خبرك وكل العلائم
وقال لهم يا عزوة الجود والسخا يا اهل المروة يا كبار الحشائم
من منكم يقتل عقل ويجيب سابقه اعطيه نصف الحكم مادمت سالم
واعطيه بصرا ثم زرقا وتونس واعطيه سعدا بنت ماضي القوائم
ووليه اسواق المدينة كلها واعطيه يا ناس كل الغنائم
ما دام شاشي يلوح مع الهوى لاجعل فرسان البوادي هزائم
تنبه مطاوع للزناتي وقال له ياخال انا افديك بعقل باعلى اللوازم
ان كان ما اقتل عقل واجيب سابقه يحرم عليَّ دالعات الوشائم
يحرم عليَّ السرج والعز والهنا يحرم عليَّ الزواج بين العوالم
اما يقتلني وياخذ سابقي اما اجيب حصان عقل المخاصم
وحس الزناتي يرعب الخيل بالوغا يلاطم كراديس المنايا يلاطم
نادى في الميدان عقل وقال له مالك ومال الخيل فيه تخاصم
فيلاطموا الاثنين في حومة الوغا وعاد عجاج الخيل للجو قائم
فغار الزناتي والفتى عقل رامح انا مطاوع مشيد برج النعائم
دزه بطعنة من قفاه ارماه وصاح لخاله اين ياخال هازم
رد الزناتي الى عقل وطعنه دعاه مكبوبا على الارض نائم

حلفوا الهلاليات ما نخلي قتيلنا   تتفرج عليه دابلات الوشايم
حلفوا الزناتيات ما تأخذونه   لو كان نفدي بالمواضي قسايم
بتنا طول الليل والحرب بيننا   وتزاحمت خيل الجياد الصوادم
الي ثاني الايام والقنا يوقع القنا   وخيل تقرقع في حديد اللجايم
وراح ابن هولا بالحوافر واختفا   وما بان من جسمه رسوم العلائم
يوم ابن هولا خاضت الخيل بالدما   وصارت لها مثل التلول الجماجم
وتلاطموا عنده وطال عجاجهم   وعاد النهار يشبه لليل الظلايم
قال الزناتي سلمنا من ابن هولا   وقلنا بعده ما عاد فارس يخاصم
وجانا ثاني يوم نصر ابن والده   طالب لثارات الفتى عقل هايم
تزلغط الزينات من فوق قصورنا   وقام بحر الحرب وبدا يلاطم
قال له حسن الهلالي ابو على   فلا تقحم الخيلين يا ابن الاكارم
انت صغير السن ما تقهر العدا   يصيدوك اصحاب اللحا والعمايم
رد الفتى نصر ابن هولا وقال له   ياخال ماني من قليل العزايم
لاخش في خيل الاعادي ودوسهم   واقهر انا لكل جبار ظالم
طلت هولا من الهوادج وزلغطت   حين شافت نصر على الخيل قاحم
وقالت يانصر الموت خير من الحيا   عمرك ما اجليت عني همايم
أنت واخوك اثنين جيتم جملة   في بطن واحد قد جئتم توائم
لا انا ولا ابوك ولا احد هانكم   بمدة خمسة عشر سنة في الحشائم
ولا شافت الجيران بهجة وجوهكم   حتى ركبتوا الخيل وصرتم عظائم
وخيلكم يا نصر ما في مثلها   سلايل من خيل شداد العزائم

حصان عقل احمر من خيل ابو علي   اعطاه حسن برمكة من القدائم
ومهرك يانصر من خيل والدك   وابوه من خضرة دياب ابن غانم
لما سمع نصر قولها مال نحونا   يشابه عقاب الجو في الصيد حائم
مرة لثارات عقل الفتى ينتخي   ومرة لعين ذابلات الوشائم
اتى الى مطاوع بالطراد وصده   وصار عليهم عظم البلا والقتائم
ضرب نصر لمطاوع برمح محكم   رماه تحت السرج على الارض نائم
وراحت معه شهبة مطاوع جنيبة   واخذ لثار عقل وافي الزمائم
عمامه وابوه اجواد كاسبة الثنا   نعم هو قرم من نسل الاكارم
قتل مطاوع زادنا عليه حسرة   وبعد مطاوع ما عاد لنا غنائم
انا اقول ان الدهر فينا قد لوى   وبعد مطاوع عيشنا دوم نائم
وقوم هلال فعلهم دوم زايد   اجاويدهم طلابة الحرب دائم
قوم الهلاليين ما فيهم غبا   ملاعين ضرابين للشر دائم
انا اخاف يبنوا الشور بينهم   يودوا يجيبوا لك دياب ابن غانم
وقد صار لهم عندك ديون كثيرة   يريدوا وفاها ما يردلك غنائم
وهو فارس ما في البوادي مثاله   قد بان لي بالكتب عنه علائم
ايا خليفة ان سلمت منه   فهان علينا الصعب يا ابو الهمائم
فهذا حسابي والذي دوم حاسبه   سهران من كيد العدا لست نائم
ما قال الفتى العلام ولد غضية   ويا نار قلبي زايدات الضرايم

فقال الزناتي دياب ما قتل مع الذين قتلناهم فقال العلام دياب ما هو حاضر وهو في وادي الغباين مع بوش بني هلال قال الزناتي كان

مرادنا نرسل له من يقتله و يجيب البوش منه والتفت الى واحد من اخوته وكان يسمى ابو خريبه وهو فارس صنديد فامره الزناتى في الركوب الى وادي الغباين و يجيب البوش منــه فقال سمعاً وطاعة وركب من ساعته واخذ معه عشرين الف فارس قروم عوابس ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى وادي الغباين وغاروا على بوش بنى هلال وعلقوا ضرب السيف فيهم فقامت الرعيان بالعياط والصياح فلما سمع دياب ركب جواده وطلعت فرسانه وراه فلما وصل اشار ابو خريبه يهد عليه و يقول

ابو خريبة قــال ياراعي الجمال فوز بنفسك وخلي لي الجمال
لست تعلم اننى اكيد العدا اخي الزناتى حاكم والحكم طال
كل ارض العرب حاكمهــا اخي حوله ابطــال تشبه للرمال
وانــا حارس صائر للحمى فارس الفرسان ما مثلي مثال
انت تعلم ان ذا الوادي لنا من القبله للغرب الى قاع الشمال
انا خريبه بالف فارس انحسب كم مدينة قد غدت منى تلال
هذا البوش اسوقه في القنا الى ابو سعدى يبقى له حلال
ثم ناخذ خيلكم ولبوسكم والبنات المحسنات مع المال
رد ابو وطفا دياب المنتسب من حسامي ما بقالك انفلال
افهم الى قولي وكون على حذر وان عصيت الامر تنظر للهوال
قال ابو وطفا يا ندل الرجال اين تغدي ما بقالك انجلال
ان هذا البوش محمي بالقنا من يريده الراس عنه ينعزل
اما سمعتم في دياب وذكره فارس الفرسان ما مثله مثال

قال ابو وطفا دياب الماجد عدمت نفسك من حسامي لامحال

قال الراوى فلما فرغ دياب من كلامه التحم الحرب بينهم بطعن يقصف الاعمار وصار منهم ضرب مثل النار فعندها قام دياب في عزم الركاب وضرب خربية بالسيف على هامه حط راسه قدامه فوقع على الارض يختبط بدماه طولا وعرض ولما شافوا قومه اميرهم قتل ولوا هاربين والى النجاة طالبين فلحقوهم بنى زغبي ومدوا السيف في اعناقهم واعدموهم احبابهم واصحابهم حتى وصلوا الى عند الزناتى واخبروه عن قتل اخيه فاستدعى اخاه الثاني وكان اسمه مكحول وقال له خذ قومك وامضي الى دياب ابن غانم خذ ثارك منه وانهب بوش بنى هلال ومهاجبتم من هولاء يكونوا وهبة منى اليك فركب بسائر عساكره مقدار خمسين الف هام وسار حتى وصل الى الوادي وكان دياب وقومه في الصيد وما بقى من البوش الا مقدار الف فارس فغارت عليهم الخيل ومكحول في اولهم وساقوا البوش جميعه فراح الصوت الى الامير دياب واعلموه في الخبر فعندها غار حتى وصل الى القوم و برز الى مكحول واشار يهد عليه و يقول

قال دياب اني حصرتك يا عبيل ميل عن ذا البوش او تغدى قتيل

ان هذا البوش محمي بالقنا كل من جا طالبه يغدى ذليل

يامكحول خربية كان افرس منك جا يريد البوش ياخذه عجيل

قد ضربته من يمينى ضربة ادعيته فيها على الغبرا جديل

صحت في قومه فولوا هاربين في البرارى دمه جاري يسيل

خمسة الاف غدوا فوق الوطا والامارة قد عدوا مني جفيل
وانت جيت اليوم تاخذ بوشنا كان عقلك شارد اما هبيل
عاد عمرك من حسابات من مضوا زارتك منى الرزية يا هبيل
انحدر عن ذا الجواد بلا بطا واصغى لقولي واقلع الدرع الثقيل
كم فارس مثلك راح بصارمي وكم نظرنا من كثير ومن قليل
فارس الهيجا انا الزغبي دياب ان راسك راح من سيفى عذيل
رد الفتى مكحول يا ذا الهبيل فلا تظن باننى فارس قليل
اخي الزناتي جاك ماعادلك فكاك قد رماك الدهر ماعاد لك سبيل
تونس الخضرا وقابس ديرتي الى بلد مكناس الى ارض النخيل
ثبت الفرسان من حربي انا كم ملك منى غدا راسه عذيل
ميل عن ذا البوش واسلم يا جبان اما انا ادعيك على الغبرا قتيل
كيف جيتم ارضنا وبلادنا جابكم حظ الزناتي ياهبيل
قال مكحول الذي كاد العدا جاك منى السم في قلبك غليل

قال الراوي فلما فرغ مكحول من كلامه التحموا في الخصام وتجرعوا شرب كاس الحمام فضرب مكحول دياب في الرمح فقام دياب رجله من الركاب واخذها من تحت فخذه ثم قام في حزم الركاب وطعن مكحول في الرمح فاراد ان يخلى منهامقتل دياب فجاء الرمح في صدره طالع يلمع من ظهره فوقع قتيل وفي دمه جديل فاخذ درعه وجواده وغار على قومه وبدا يذبح فيهم حتى قتل منهم مقدار خمسة عشر الف فارس وهربوا الباقين حتى وصلوا لعند الزناتى واعلموه بقتل اخيه فغضب غضباً شديد ثم في

ثاني الايام برز الى الميدان عرض و بان وطلب مبارزة الفرسان ما احد ردعليه فقال الامير حسن الى قومه كيف الراي فاشار ابن عمه عرندس يقول وعمر السامعين يطول

بقول الفتى المسمى عرندس الهم جانا وكثر الضيق
يا بو علي هذا الزناتي كادنا من عاد ينزل ال حروبه يطيق
افنى اكابرنا ويتم اطفالنا وخلى دماهم على الوطا دفيق
وولوا اجاويد الرجال جميعهم تسعين امير روحهم تحيق
فما عاد له الا دياب الماجد دياب له عزم شديد وثيق
انا الراي عندي ان تنادوا ديابكم لانه عم القوم هو نعم صديق
قال الفتى المسمى الامير عرندس ما كنت اوجد في الزمان صديق
رد الفتى حسن الهلالي وقال له اترك كلامك ما به توفيق
فوالله لو انا قتلنا جميعنا ورحنا بحد الماضيات رحيق
ما قلت للزغبي دياب يعيننا ولا انظره ياتي لنا بطريق
دياب الينا خاين العهد بايق ولو نقصده ما لنا صديق

قال الراوي فلما فرغ حسن من كلامه واذا بالغبار قد علا وطار حتى سد منافس الاقطار و بان من تحته فرسان على خيول غزلان واذاهو الرياشي مفرج الذي كان مع ابو زيد في غزوة ملوك الشقور فخول وسلم عليهم فسالوه عما جرى له فصار يخبرهم وهم في الكلام واذا في بيارق حمرا قد طلعت وابو زيد في اول الخيل فلاقاه الامير حسن و بني هلال وهنوه في السلامة وفرحوا في ملقاه وطلعت النسا مع الاولاد واهالي

الى الذين قتلهم الزناتى وقعدوا على المقابر لابسين السواد هاتكين الستور
باكيات نايحات ووصلت الخيل التي اتى بها ابو زيد من الاعدا والمكاسب
والغنائم واخبر الامير حسن ابو زيد بما فعل فيهم الزناتي وكم اباد من
الفرسان فلما سمع ابو زيد كلام حسن صار الضيا في عينيه كالظلام
وحزن حزناً شديداً على من قتل من الفرسان وعندها قام ومر على المقابر
وعند النساء والبنات فلماشافوا الامير ابو زيد رفعوا اصواتهم في البكاء
وصاروا يشكوا اليه بما اصابهم فطيب خواطرهم وقال لهم ان اراد الله ناخذ
بالثار واترك ديار الزناتى خراب فعند ذلك دخل لعند عليا و بات
ثاني الايام وقسم القسائم والاموال واعطا حسن جزء وشال الى
ابو قسم وثاني الايام برز ابو زيد الى الميدان وطلب مبارزة الفرسان
وركض تحت ابواب تونس ونادى اين الزناتى يبرز الى الحرب والطعان
يا رجال الحرب اصحاب الطعن والضرب فما احد رد عليه فوقف
يزغلة الباب والابواب مسكرة لا احد يخرج ولا احد يطلع سوى النسوان
فوق الاسوار يتفرجوا فعندها صاح في البواب افتح الباب ام ارسل
... فسار البواب الى عند الزناتي وقال له قم كلم ابو زيد واقف على
... يريد يواجهك فقال الزناتي يا بواب من يقدر يشوف عزرائيل
يقبض روحه قال البواب افتح له الباب لكى يواجهك فقال الزناتى
... يامقصوف العمر وهات المفاتيح التي معك فعند ذلك اخذ
ابواب تونس ووضعها عنده وخباها وقال روح اقعد خلف الباب
... لاحد واذا احد سايلك عن سيدك قول له ما يطلع فعاود البواب

واعلم الامير ابو زيد بذلك الكلام يرجع الكلام الى الامير حسن التفت الى ابوزيد وقال له ما دامك جيت ما بقى الزناتي يفتح الباب ولا يطلب قتال وفي غيبتك ياما عمل بدايع ثم ان الامير ابو زيد قال لهم قصدي اعمل حيلة تسوى قبيلة فقال له الامير ما تكون قال له ابو زيد اندهوا الجازية ثم انهم ندهوا لها فحضرت الى بين يديهم فالتفت اليها الامير ابو زيد وقال لها مرادي تجمعي ماية بنت من احسن بنات العرب واحضريهن في الليل فمن ساعتها احضرت ماية بنت الى الامير ابو زيد فقام ابو زيد ولبس ثياب بيض مثل النسوان ولبس درعه واحتزم بسيفه وسار هو البنات والجارية وكان صار نصف الليل الى ان وصلوا الى بوابة تونس فقال ابو زيد اقرعي الباب فنادى البواب من يقرع باب تونس في هذا الليل فقالت الجارية نحن كم بنت من بنات العرب جايبين معنا بضائع لكي نبيع ونشتري من عندك على قدر احتياجنا فقال لها البواب روحوا ما افتح الباب في الليل ثم انها تدخلت على البواب فما فتح وانما راح الى عند الزناتي واخبره بالذي صار على الباب فقال له روح اياك تفتح لهم انا قريت كتبهم قبل ما حضروا الى هذه البلاد لان هذه حيلة من حيل ابو زيد ثم ان البواب رجع الى عند البنات واخبرهم بما قال له الزناتي ثم ان الجازية ابتدت بالمنادمة هي والبواب واشارت تقول

يا بواب صاره * افتح للعذارى * حنانا مشندر * الى حد السواره

ورحي ياظريفه * تاشاور خليفه * له حربه رهيفه * تقسم الحجاره

يا بواب منصور * افتح لي باب السور * تا ندخل بدستور * ونبيع العطاره

ما هو بيدي * تاروح شاور سيدي * ذا الباب الحديد * في
شاره * افتح وكن طايع * جبنالك بضايع * وتحف بدايع * تصلح
ره * لا افتح ولاشى . ولا عقلى بلاشي . وان كنتم عطاشى .
على البياره . يا بواب افتح . هل الباب المصفح . بالزينات تصبح
للعذارى . قال لها عندي . ثرياتم هندى . نجلا ام سعدى .
وا لهم جواري . قال سلامي وراها . قرماً في علاها . خايف من بلاها
لى الخيل غاره . افتحلي شويه . وشوف الحسن فيَّ . تجيك الرزيه
ك حماره . روحي يامليحه . انا اخشى الفضيحه . وانت مستريحه
لع بناره . افتح يا يهودي . لزينات الخدودي . حمر كالورودي .
بداره . ليس الشور لي . لاهله ياعليه . اخاف من البليه .
لي بناره . افتح لا تبالي . ما معنا رجالي جبنالك مخالي . وحزماً المهاره
الله ربي . وعنك ما يخبي . وفتح الباب صعبي . مالي اقتداره
حبيبي . وجودك لا يغبي . ترحم للغريبى . كلتنا بكاره . انا السلطان
. لا تفتح ولالى . دولى قوم هلالى . من قوم مكاره . افتح خاب
. خلى الهرج عنك . ونحن البيض جيناك . يا ابن صاره .
افتح يجينا . رجالا طالبينا . يجوا غايرينا . على ظهور المهاره
مقر . ولا تعتبر كبار . مائة بنت تحضر . قدامك جهاره
عائب . والامير غائب . ومن طلب المكاسب . يوقع في الخساره
ابن عمي . حتى يزول غمي . خزامى فوق تمى . تاره فوق تاره
يا حمي . لا ترا ... الكلامي . من ... [illegible]

كتاره · افتح يا اغاتي · لا تزيدوا اللغاتي · جملتنا بناتي · مافيناذ كاره
سلامه سعاكم · سامع للغاكم · هو واقف حداكم · مع بنات الاماره

قال الراوي فلما فرغت الجازية هي والبواب من المنادمات والبنات يسمعون كلامهم اخذهم الامير ابوزيد ورجع الى ربعه يرجع الكلام الى مرعي وسعدا صار مرعي يبكي فقالت له سعدا لا ابكا الله لك عين فقال لها ياسعدا الى متى الانتظار وقد طال علينا المطال وابوك لا يطلع الى محاربة ابو زيد ولا يفتح الباب فضحكت سعدا وقالت انا افض هذا المشكل لان يا مرعي ما يقتل ابي الا ذياب ابن غانم ولا يقتله احد غيره لان بان عندي في الكتب ولكن انا بروح هذه الليلة لعند ابوك وادعيه يجيب الامير دياب فلما دخل الليل استعدت سعدا اربعين بنت من بنات الاماره مثل الاقمار فلما حضروا قبلوا اياديها وقالوا ما تريدين منا فقالت لهم اريد آخذكم معي تتفرجوا على بنات هلال والامير حسن ابو المحابيس الذين عندنا ونرجع في هذا الليل فقالوا لها سمعاً والف طاعة ثم امرت لهم باربعين خلعة من خاص الحرير والديباج الملون وامرت باربعين جواد من خيل الجياد فصاروا ياخذوا العقول وركبت سعدا امامهم مثل البدر المنير لانه ما كان يوجد في عصرها اجمل منها وتقلدت البنات بافخر السلاح وساروا حتى وصلوا الى باب البلد وقالت للبواب افتح الباب واياك تتكلم قدام احد فاعدمك الحياة فقال لها ياستي ما في تعب من فتح الباب ان اردتي تروحي او تقعدي ولكن المفاتيح مع ابوك اخذهم مني فقالت انا لا احتاج اليهم وتقلدت

للباب وضربته فانفتح في وقته وخرجت هي والبنات وامرت عبدها الطواشي يقعد على الباب لحين رجوعهم فقفلت الباب وقعد ينتظرهم الى الرجوع فعند ذلك سارت سعدا هي والبنات حتى وصلوا لعند الحارس فقال العبد ما هذه الخيل في هذا الليل فقالت له سعدا ضيوف فقال لها مرحباً بالضيوف فقالت اين مولاك الامير حسن فقال لها نايم فقالت له ادخل عليه وقل له سعدا بنت الزناتي تريد تواجهك وترجع في الليل فقال لها استنظري وراء الستار ودخل لعند جارية اسمها مباركه وقال لها اعلمي مولاك ان بنت سلطان تونس حضرت لعندنا فدخلت واعلمت مولاها الامير حسن فتعجب حسن من حضورهم في الليل ثم خرج وقال يا سالم مالك فانشد يقول

يا امير جانا سربة خطاره ملوك متقطرين قطاره
ياامير جونا من بلاد بعيدة وانا بامري يا ملك محتاره
ارتاع قلبي من نظرهم ياملك شبهتهم يا امير شعلة ناره
ماراعني الا الخيول ولبسهم وكلهم يا ابو علي عماره
ولبسهم ديباج بلون واحد من الذهب فوق الصدور زراره

قال الراوي فلما فرغ العبد من كلامه والامير حسن يسمع نظامه فرح فرحاً شديد ماعليه من مزيد وقال للعبد اعزهم فراح العبد ... نزلهم عن خيولهم وربطها ومشى قدامهم فسلمت سعدا على السلطان وعرفته بنفسها وبرفاقها فسلموا عليه وسلم على سعدا ومن معها من الحريم واما ام مرعي لاقتها وضمتها الي صدرها وقالت لها دخلت ولدي مرعي

كيف حاله وقبلتها بين عيونها وسلمت عليها سلام الاحباب وابا حسن سلم على سعدا وصار يبكي و يقول

يقول الفتى حسن الهلالي ابو علي وفي القلب نيران تزيد الضرايم
على ما جرى فينا وما قد اصابنا من المحل صرنا في امور عظائم
ارسلت اولادي وابو زيد لعندكم يدور لنا ارضاً بهـا الخير دائم
مسكهم ابوك يامليحة وهانهم واجنف عليهم كان بالحكم ظالم
وجاني ابو زيد وجابلي خبارهم فغديت انا بالليل جنح الظلائم
يا سعدا بالله كيف احوالهم مرعي عديل الروح والرب عالم
وابو زيد احكى لي عن احوالهم واخبرنا عن افعالك والعلائم
وانت شفوقه يا صغيرة عليهم وخلصتيهم من جميع الوهائم
مقال الفتى حسن الهلالي ابو علي على فقد مرعى دمع عيني سجايم

قال الراوي فلما فرغ حسن من كلامه وسعدا تسمع نظامه فقالت يا بو علي لا يكون عندكم افتكار لنحو مرعى ورفقاه لانهم في اعز مكان وانما الراي عندي ان ترسلوا تجيبوا دياب ابن غانم لان ما احد يقهر ابي الا دياب وانشدت تقول

تقول فتات الحي سعدا التي شكت كلامي صدقاً بين كل العوالم
حويت الزكا والفهم والعلم كله الى الراي والتدبير رايبي دائم
واعرف معاني الحرب واين تتصل تفاسير كتب خلفوها القدايم
عرفت يوم الذي رحلتم بضعنكم من نجد العدية جا ابو زيد هايم
سار الفتى مرعي و يحيي و يونس وابوزيد مقدمهم وعندي علايم

اعلمت سلطان البلاد واخبرته اتانا غريب الدار للبي قادم
وارسل في ساع سريعاً اتى بهم وامر بشنق الكل والرب عالم
شفعت فيهم غصب عنه وجرتهم لاكرام مرعي ذاك وافي الزمايم
واطلقنا ابو زيد الهلالي سلامه وراح واخبركم بكل العلايم
وهذه لكم عامين والحرب معتلق وستة شهور في حروب الهمايم
وحين وصلتم ارض تونس بظعنكم جهلتم يا اصحاب العقل الفهايم
قتل امارتكم ابوي خليفه تسعين اميراً من كبير العمايم
ابو علي ان الزناتي مجرب ملك ملوك الارض بالحكم ظالم
مرعي عيني ومرعي سرورها ومرعي عديل الروح يا ابن الاكارم
تم زليتم يا امير ابو علي ولا عاد فيكم من قروم تصادم
دوا لكم راي يخلص نفوسكم ويسقى الزناتي كاس بالسم عايم
خليفة عليه يا ابو علي ما تقدروا ما يقهر الزناتي الا دياب بن غانم
حاكم ابي يا هلال جميعكم يشتتكم بالبراري تغدوا هزايم
انا الراي عندي يا امير ابو علي ابعتوا جيبوا دياب ابن غانم

قال الراوي فلما فرغت سعدا من كلامها والامير حسن يسمع
منها فشكرها واثنى عليها وارسل الى ابو زيد حالا حضر وحضرت
عنده سعدا وسلمت عليه وشرحت الكلام اليه وودعت حسن وابو زيد
ورجت عليهم ان يرسلوا ورا دياب وذهبت هي والبنات معها حتى
اوصلوا لقصرها هذا ما كان من سعدا يرجع الكلام الى حسن وابو زيد
لما ذهبت سعدا قال حسن كيف الراي يا ابو زيد فقال كلامها صدق

ولكن انا ان هلكت بني هلال ما ارسلت ورا دياب قال حسن وانا كذلك لم ارسل وراه ولا اريد عيني ان تراه فقال ابو زيد احضر البنات وامرهن ان يكتبوا الى دياب ويستدعوه الى اخذ الثار فاول ما تقدمت ذوابة بنت الخفاجي عامر كتبت مكتوب وقصت شعرها ووضعته فيه وحطتهُ قدام غانم ابو دياب ثم تقدمت بعدها وطفا وكتبت مكتوب وقصت شعرها وعلونته ووضعته قدام جدها غانم وقالوا اكتب الى ولدك دياب لكي يفرج همنا لانه ياما خلصنا من السبي فانشد غانم يكتب الى والده ويقول

يقول الفتى غانم على ما جرى له ... بدمع جرى فوق الخدود سكيب
ونيران قلبي كلما قول تنطفى ... يهب لها جوا الضلوع لهيب
على ما جرى فينا وما قد اصابنا ... وامر جرى فينا تراه عجيب
ايا من يودي لدياب رسالتي ... الى امير بالوغا غريب
وقول له يا فارس الناس كلها ... ويا عزمن نقل القنا وقضيب
وفى نقد امك مية جلفا دفعتها ... وميتين نجدية والف جنيب
وغلوا علينا نقدها يا ابن غانم ... وانا كنت فيما يطلبون اجيب
والفين اميرًا من هلال وعامر ... مشيتهم لبيت مفضل وخطيب
وامك هذه بنت مفضل بلا اخفا ... لها فرع منسوب وجد حسيب
جابتك امك وقد زال همنا ... وجانا السرور وجيت قرم نجيب
انت الندا ابن الندا اجابك الندى ... فيك الندا ومجرب تجريب
وانا كبرت وما بقالي حيلة ... وعزمي غدا مني وراح ذهيب

وعمك مسلم عم الشيب راسه   ما عاد له عزم ولا ترتيب
عمك عرندس فارس الخيل بالوغى   وابوك انحنا وما عاد فيه نصيب
وبدر وزيدان اميرين اخوتك   قتلهم خليفه امس وقت المغيب
وعقل ونصر اولاد اختك قتلوا   وقد دعاهم فوق الوطا سكيب
واخرب ابو سعدا جميع ديارنا   وما عاد فينا سامع ومجيب
داير كما الدولاب ياولد غانم   ينادي دياب من لقانا هريب
وقد طاردته ثلاثة ثم اربعة   وشمس الضحى بعد الطلوع تغيب
قتلت جواده طلعت الشمس باكر   وقد جاه من قومه سريع نجيب
لا يا دياب الخيل اسرع نحونا   واقتل خليفه يا امير غصيب
وان كان ما تقتل خليفة برمحك   ترى البيض تلفظ بكلام معيب
وتبقى الهلاليات جميعاً مع العدا   بعد ابو وطفا مع كل ندل معيب
قتل خليفه ابن عمك زامل   واخوك غدا ما عاد فيه نصيب
وخالك مفضل ابن مفضل محقق   وكان مفضل بالحروب دريب
كاون خليفة ايام خمسة وستة   من الصبح حتى بدا النهار يغيب
ثلاثة عشر يوم والحرب بينهم   وراح الزناتي من لقاه هريب
ويوم الرابع عشر ارسل خليفه   خطيب لقد كان قرم نجيب
ضرب مفضل ضربة اباده   وراح على وجه التراب يخيب
يا ما جرى لبنت الامير مفضل   لها كل ما حاز الظلام نحيب
ثمانين اميرًا من هلال وعامر   دهاهم ابو سعدا برمح كعيب
ولا اسفي الا على بدر مهجتي   وزيدان راحوا يا دياب غصيب

قتلهم ابو سعدا الزناتي خليفة وادعى دماهم على الوطا سكيب
وضيق علينا يا دياب واذاقنا وحط علينا بالظلام رقيب
وعاد يجينا باول الليل غائر بيده حربة مثل نار لهيب
يصيح باعلى الصوت اين امراكم حسن ابن سرحان ونعم نسيب
واين الفتى الزغبي دياب الغانم وما عاد فينا يادياب نجيب
ونزل معيقل للزناتي وحده ورن سيفه والقنا وقضيب
تباشرنا الصريوم حرب معيقل وقلنا معيقل بالطراد لبيب
انحدر على جمع الزناتي خليفه تلقا ابو سعدا كنار لهيب
وثالث نهار جرى الكون بينهم من الصبح لمـا طيبت لمغيب
ورابع نهار طار راس معيقل ومن رجفته راح ممزق كيب
غلبه الزناتي بعد ما كان غالبه معيقل نعجه والزناتي ديب
ضرب معيقل ضربة عامرية لقاه على الوطا قالباً وقليب
ونادوا على الابطال اين اميركم وما عاد فيكم يا هلال نجيب
نزل له يا اميرخالك بلا بطـا بديرابن فايد عاجلاً وقريب
ضربه الزناتي ضربة شال راسه غدت خوذته والدرع منه كسيب
وجتنا سعدا اخر الليل بالدجا ومعها بنات اربعين نجيب
وهم لابسين بزي مردان كلهم يخلوا عقول العالمين تغيب
ونزلت بصيوان الامير ابو علي ونادت على ابو زيد جاها مخيب
وقالت لهم ان الزناتي خليفه على مجموعكم يا امير عطيب
ولا يقتله الا دياب ابن غانم وهذا كلامي ما به تكذيب

الينا الينا يا دياب ابن غانم ولا انت عنا يا دياب غريب
فانت عامود البيت ونحن طنابه وما جتنا ملاح وقت مشيب
وجتني نساهم والبنات جميعهم دوالع فوارع والدموع سكيب
وجاني حسن للبيت يمشى على نقا وابو زيد جاني صاحب الترتيب
دعوك الاماره يا دياب جميعهم دعوك الاماره يا دياب اجيب
وهنت لساني للبنات بلا خفا بنات لهم بنيات بنات تخريب
يا ال الوحا تجد هلال وعونهم تنال العلا والفخر والترتيب
وان لم تفرج همنا بعد كربنا تقول بك الزينات قول معيب
قال الفتى غانم على ما جرى له ولي قلب طول الليل بالتعذيب

قال الراوى فلما فرغ غانم من كلامه طوى الكتاب وختمه بخاتمه ووضعه في مكاتيب البنات وقال لعبده سعد خذ هذه المكاتيب الى مولاك دياب ولا تجي الا وهو معك وان رجعت بلاه اعدمك الحياة فعند ذلك اخذ المكاتيب وسار طالب وادي الغباين فوصل ووجد مولاه دياب على الفطور والعرب حوله من كل جانب فصبر حتى رفعوا الطعام فدخل على مولاه وقبل اياديه ووضع المكاتيب بين يديه فقال له ياسعد ارى وجهك اصفر ما عندك من الاخبار واشار يسال العبد ويقول

يقول الفتى الزغبى دياب ابن غانم الايام ما توقي احد من حذارها
علامك ايا سعد الدعي مغيار كان المنايا ساقيتك كاس مرارها
امالك عقل ونصر كيف حوالهم فما بعد لحقوا للوقائع قرارها

و بدر واخي زيدان كيف حوالهم | بخير والا المنايا مزارها
ايا سعد انا بعقلي وفكري وخاطري | بان فوارسنا علاهم شرارها
فان كان ياسعد قد قتلوا الجميع | فوارسنا قد غاب منها قمارها
اعرف انا ان قام حرب مع العدى | ما يصطليها غيرهم عند نارها
لانهم جهال لا يعرفوا اللقا | وكم جاهل جهله رماه بنارها
فان كان راحوا اخوتي ذاك يومهم | وان عشت انا ياسعد اخذ بثارها

قال الراوي فلما فرغ الامير دياب اشار العبد يخبره و يقول

يقول الفتى سعد الذى فاض مابه | تسال عن اولاد الملوك وحالها
زيدان وبدر ونصر معهم | راحوا بيوم كان مقتم بنارها
بيدى مسحت الدم عن حسن وجوهم | ومسحت عن تلك المحاسن غبارها
ويوم الثلثا كان اول حربنا | ويوم الاربعا اضرمت حرنارها
وقد طلوا بنات الزناتى خليفة | وطلون معها بنات جمارها
ونزل له اخوك زيدان بلا خفا | وصاروا في وسط المحافر غبارها
طعنه مطاوع بالرمح غدراً | ولا عاد يعرف حالها وافتكارها
وعليه حسن ابن سرحان قد بكى | وعادت دموعه فوق خده انتشارها
وبعد زيدان زاغت الناس كلها | اميراً مسمى من خيار رجالها
وميتين بكره عرقبوا فوق عامر | يفور الدما منها شبيه انفجارها
وراحوا لنا ضاقت من كل جانب | وراح الخفاجي زارا على قفارها
ومن بعده قتل الامير معيقل | وعمى معيقل كان افرس هلالها
صرنا كما الزرزور في ظلمة سرور | نلوز في حمى نار يلظى حرارها

الينا الينا يا دياب ابن غانم   اجاويدزغبي راح منها خبارها
واخوك زيدان صرنا فقد حاله   حفرت له قبراً على باب دارها
قال الدعى سعد الذي فاض ما به
يجيرك الهي من جهنم ونارها

قال الراوي فلما فرغ سعد من كلامه ومولاه دياب يسمع نظامه بكى على اخوته واولادهم وعلى بنى هلال وبدا ينظر المكاتيب واحد بعد واحد حتى انتهى الى الاخر فقال اني ارى مكاتيب البنات ومكتوب والدي فاين مكاتيب الامير حسن والامير ابو زيد قال يا مولاي هذه ثمانين مكتوب ما بيعجبوك حتى يرسل لك حسن وابو زيد فقال دياب انا ما جيت الى هذا المكان الا برايهم وما جيت بشور البنات فكيف اروح على كلام البنات حتى يقول حسن وابو زيد الى اين جيت ومن ارسل وراك وحساب حسن وابو زيد قريته وفيته من زمان فقال العبد البنات ما كتبوا الا بامر الامير حسن وابو زيد وبحضورهم فقال دياب ياسعد ان رحت على كلام البنات وقتلت الزناتى ما يعدوا لي اياها وان تكلمت يقول لي من بعث وراك وماذا يكون جوابي لهم وهذه اخر الوقعات بيني وبين الزناتى وما هو قليل ومرادى املكهم العرب كما ملكتهم الشرق وبعد ان اكون سيدها طبل في عرسها فان كان مقصد هلال حضوري هات لي مكتوبين وحجتين من حسن وابو زيد حتى اروح وجيب بنار واحرق المكاتيب وانشد يقول

يقول الفتى الزغبى دياب الغانم ... ونيران قلبي زايدات التهابها
ولي عين عادمة لذة الكرى ... يزيدها دمعاً كثير اتعابها
بكيت على قوم هلال وزغبي ... ايا نعم ما قاسوا عظايم مصابها
حسبنا خليفة خايفاً من مثالنا ... وهو قرم قاسي باللقا ما يهابها
ولا اسفي الا على ابن والدي ... زيدان في حرب العدا اغرابها
وبدراخي يا ناس اضنا لحالتي ... غدا في مجال الحرب يوم اضطرابها
واولاده عقل ونصر لقد غدوا ... وهولا عليهم شاقة اشبابها
وخالي بدير العامري ابن فايد ... لقد ضرني حزنه وانا بانطرابها
يا سعد قلي كيف حال اولادهم ... غدوا يتامى ما يردوا جوابها
ايا حزني طول الزمان لاجلهم ... الى حين اسكن حفرتي وترابها
انا مثل طير كان طاير بالفلا ... قصوا جناحه وضاق البابها
ترى الاخوة الجناحين التي ... طير بلا جناح فلا يعتني بها
ولكن كثرة النوح والحزن للنسا ... وان حزنت الابطال على احوالها
ما دام راسي مغلق فوق جثتي ... لاسقى الزناتى بالقنا من شرابها
ايا سعدا انا قصدي قتل خليفة ... ولكن خائف على البوش انتهابها
وجاني اخوه يدعى خريبة قتلته ... ومكحول مني ذاق عظم مصابها
وانا داير على البوش اصونه ... اخاف يجيني من الزناتى طلابها
واليوم الى الزينات زاد نكابهم ... فما اسمع قول النسا مع خطابها
ما لم حسن وابو زيد يرسلوا ... اجيهم على خضرا سعيد ركابها
فمن غدا يرسل حسن فاجيهم ... ومها قضى عالروح فهو نصيبها

مقال الفتى الزغبي دياب الغانم   عاود الجهم يرسل لي كتابها

قال الراوي فلما فرغ دياب من كلامه وعبده يسمع نظامه فقال العبد انا ان رحت وما انت معي حالاً يقتلوني البنات انا ما بقيت اروح لكن اقعد هنا وانشد وقال

يقول الفتى سعد الذي فاض وجده   ودمعي جرى من مقلة العين هامل

ثمانين عذرا من هلال ارسلوا   اليك ما يدرون ما انت عامل

واخوتك يا امير حزناً لفقدهم   طعنوهم العدى في مرهفات الصقايل

وانت حامي الوحش في وادي الغبا   يا ريت عمرك مع وجودك طائل

واذا لم تجينا يا دياب ابن غانم   هربنا لعندك مع جميع القبائل

يا امير انهض بالعجل ثم انتخي   لانك من فرع ذكي الاصائل

فلما فرغ العبد من كلامه وسيده دياب يسمع نظامه عند ذلك تهدده بالضرب فخاف العبد وقال يا مولاي اكتب لي الجواب فاشار الامير دياب يقول

يقول ابو وطفا دياب الماجد   والدمع من عيني على الخد سيول

ان جيت يا دعي غانم والدي   اعطيه هذا الخط من قبل النزول

وقل له يا امير غانم استمع   من ابو وطفا وما يبدا يقول

يا اب ما لك عقل تركن للنسا   وتزيد كلامك يا غانم والفضول

كتب النسا يا اب جوني حقيق   وكتاب وطفا من حضرتك وصول

والله لو قتلوا هلال جميعهم   ما رحت اليكم وما ارجع اقول

لو ان ابا مرعي يرسل في كتاب   قد كنت اسمع لكلامه بالعجول

وكنت اركب خضرتي بالسريع　　واترك خليفة وجمعه يغدوا قتول
يا ابي قد ضرني حزن اخوتي　　دمعي لاجل فراقهم يجري هطول
وابشر وراك الفارس الزغبي دياب　　يخوض في العدا عرضاً وطول
قول الفتى الزغبي دياب الماجد　　والنار في قلبي يزيد لها شعول

قال الراوي فلما فرغ الامير دياب من كلامه طوى الكتاب وختمه بخاتمه واعطاه للعبد فاخذه وسار طالب بني هلال فوصل لعند مولاه غانم واعطاه الجواب فضه وقراه وعرف رموزه ومعناه فاستدعى البنات وقرا عليهم المكتوب وقال لهم لا يجي ما لم يرسل حسن وابوزيد له مكاتيب واذا ما ارسلوا له لا يجي ولو انقطعوا بنى هلال فرجعوا البنات وراحوا لعند الامير حسن وهن باكيات صارخات وقالوا يا ابو علي ارسل لنا وراه بهذه الساعة لكى ياخذ لنا الثار ويكشف عنا العار وان ما ارسلت لنا وراه نروح كلنا لعنده فعند ذلك استدعى الامير ابو زيد وقال له انظر هؤلاء البنات وما مرادهم واكتب لهم مثل ما يريدوا واسترنا منهم فقال ابو زيد يا حسن انا ما بكتب ولا ارسل وراه لاني ما احبه ولا اطيق ذكره فقال حسن وانا كذلك حتى نرسل ورا ابوه غانم وندعيه يروح وراه فعند ذلك ارسلوا ورا غانم فحضر وحيا بالسلام فقاموا له على الاقدام فقال الامير حسن يا غانم مرادنا منك تروح ورا ابنك دياب تجيبه فقال غانم يا حسن ابنى ما يجي ما لم تكتبوا له انت وابو زيد فلما اصبح الصباح عول غانم على السفر واستدعى بقلم وقرطاس ودواية من الذهب الخاص وحرر مكتوبين عن لسان

حسن وابو زيد الى دياب وطواهم وحطهم معه وركب هو وحرمته
وساروا طالبين دياب الى وادي الغباين وارسل عبده يعلم ابنه في
قدومه اليه هو ووالدته فطلع دياب لملاقاتهم وتوجه الى امه وانزلها
من الهودج وقبل راسها ويدها وقال لها ما الذي جابك الينا فاشارت
تخبره وتقول

تقول فتاة لوع البين قلبها	ارجع الى قومك واصل الزمايم
نحن يا امير جئنا لعندك	فماهذا الرجا منك ياابن الاكارم
سمعت حق من رباك ووالدك	وسفهت قولي يا قليل الحشايم
ولو كنت يا ابنى حافظ مقامك	فما كان العدا دعونا هزايم
اغظت غانم يا امير وغظتنى	وعادت دموعي فوق خدى سجايم
ترى الزناتي قد قتل من رجالنا	قتل اخوك ياامير راحوا رمايم
وخالك بدير مع الخفاجي عامر	ومن غيرهم كثرة اماره اكارم
قم بنا نرجع الى نجد ارضنا	نعيش بها من غير فضل ابن غانم
ما قالت فتاة لوع البين قلبها	ونيران قلبى زائدات الضرايم

قال الراوي فلما فرغت ام دياب من كلامها اشار دياب يقول
وعمر السامعين يطول

يقول الفتى الزغبي دياب الغانم	غضبتم علينا يا وجوه الاكارم
انا لاجلكم اقتل خليفة بساعدي	وادعي دماه فوق الارض عايم
واخذ لثار زيدان بسيفى والقنا	وادعي خليفة بالثرى عاد عايم
وانت يا امي افرحي ثم ابشرى	انا جيتكم ما عاد فيها نهايم

فلا بد انصركم واشفي قلوبكم   من فوق خضرا مثل طير العمايم
واقول انا خليفة حقيق موكد   انا سيد الفرسان عند العزايم
وتعرفني الفرسان في حومة الوغى   اذا جئت للميدان ولو عزايم
فلا بد ان اخذ لثارات اخوتي   وثارات خالي والقروم الاكارم

قال الراوي فلما فرغ دياب من كلامه وامه تسمع نظامه فطاب خاطرها وتوجهت الى الخيام ولقى بعد ذلك ابوه فلما وصل اليه سلم عليه وقبل يده وقال السلام يا ابي فقال له غانم لا تكلمني لا انا ابوك ولا انت ابني وانا بري منك يا دياب لو كنت ابني كنت سمعت كلامي واخذت لي ثاري من الزناتي الذي قتل اخوتك واولادي واحرق فوادي واكبادي واشار يقول

يقول الفتى غانم على ما جرى له   بدمع جرى فوق الخدود سكيب
يا ولدي هذا الزناتي خليفة   اهلك فوارسنا وكل نجيب
ثمانين اميرًا من قرومنا مضوا   وادعاهم طعم الرخم والديب
وسبنا نساهم يا امير فوارع   بعشهم حسن نحوي بلا تكذيب
وجاني ابو زيد الهلالي سلامه   ابو زيد هو لك يا امير حبيب
يا امير كيف ما جيت بالعجل   وخليت هذا البوش دعه يسيب
تخلى اخوتك واولاد والدك   بدرمع زيدان يفدوا ذهيب
وارسلت لك يا امير تحضر لثارهم   وما اظن من قصد الملوك يخيب
وظنيت فيك ظن بلا خفا   وقلت ابشروا يا ذا البنات قريب
ولما اتانا سعد يا امير خايبًا   فقد زاد في الحي البكا ونحيب

جاني الفتى حسن الهلالي ابو علي وجاني ابو زيد والامير مصيب
اني الامـارة يا امير خواضع وقالون روح الى دياب وجيب
عطنا لها مكتوب كتبت بخطها تقول الوحا قبل الحريم تسيب

قال الراوي فلما فرغ غانم من كلامه وولده دياب يسمع نظامه
دياب لابيه اذا كنت ما جبت مكاتيب ما اروح ولو ما فضل احد
بني هلال فاعطاه ابوه المكاتيب ففضها وقراها وعرف رموزها ومعناها
عزم على الحضور من بعدها وامر بذبح الاغنام وعمل الولائم والضيافة
ثلاثة ايام فقامت ام دياب تمشي وابنها خارج الخيام فقالت لولدها يا بني
اراك خرف ما عاد له عقل وقد دعا عليك قدامي وما هان عليّ وحلفت
ان اقول لك فقال يا اماه والدي محزون ودعا عليّ ما في باس لانه
حزنه على اولاده وثانياً مقهور من الزناتي وثالثاً من فراقنا ولكن ان اراد
تعالى اروح معكم واطلب رضاكم وما عدت اخالفكم واخذ لكم الثار
عون العزيز الجبار وانشد وقال

يما قال ابو موسى ديـاب شربنا الخمر في صافي القداحي
كنا كلنا في الهوى غوارق سكرنا سكرة والعقل راحي
ا نـذل اتى وقت المعارك يبقى هارباً يطلب رواحي
الك يا الهي اكون طيراً عقاباً كي اخفق بالجناحي
ر بهمتي وانزل مسرعاً واهدي بين مشتبك الرماحي
خذ الثار عن خالي بدير وبدر واخوه زيدان الرياحي
فعل الزناتي بالاماره فطار العقل من غانم وصاحي

ابي معذور يا امي حقيقاً دعيه يقول في عرضي قباحي
غداً ارضيه في قتل الزناتي وابدل حزنكم بالانشراح
قولي لهلال النصر جاهم نهار الاحد اعزم على الرواحي

قال الراوي فلما فرغ دياب من كلامه وامه تسمع نظامه فرحت وقالت يا غانم مرادنا نسير لان بني هلال في انتظارنا فقال تاهبوا حتى نسير ونعلم بني هلال ان دياب يحضر يوم الاحد لعندهم فركبوا وساروا حتى وصلوا الى بنو هلال فطلعوا الجميع لملاقاتهم فكانت ضجت قوية فنظروا غانم وحرمته وحدهم فقالوا اين الامير دياب فقال غانم ابشروا بالغنيمة يا بنى هلال نهار الاحد يصل الى عندكم واما الامير دياب بعد ما راحوا والديه من عنده امر الرعيان بلم البوش من كل جانب ومكان وساروا الجميع قدامه وسار طالب بنى هلال بابطاله وفرسانه الذين معه ثم قلعوا الصيوان وامر العكام يسبقه وينصبه على ابواب تونس في نصف الميدان ثم دق طبوله ونشر اعلامه وسار حتى بقي بينه وبين بنى هلال يوم كامل وكانوا جميعهم في انتظاره وثاني يوم الاحد خرجوا الاربع تسعينات الوف وتوابعهم ولاقوه وما فضل من بنو هلال لا كبير ولا صغير حتى طلع الى ملتقى الامير دياب وخرجوا بالطبول والنوبات السلطانية وزالت عنهم الهموم والاتراح وبدلوها بالافراح بقدوم الامير دياب وادخلوه الى الحي بزينة سلطانية عظيمة واما اهل القتلى فانهم اجتمعوا على الترب وهم في السواد واثواب الحداد لكي يشكوا الى دياب ما فعل الزناتي بهم واما حسن وابو زيد ضلوا في الصيوان ما خرجوا الى

خارج الخيام واما دياب لما ما وجد حسن وابو زيد عرف المضمون وانما اخمد الكمد واظهر الصبر والجلد ولم يزل سائر في ذلك الموكب العظيم حتى وصل الى ابواب تونس فرجت منه تلك الارض بالطول والعرض . وطلعت الحريم على الاسوار للفرجة على الزينة وارتعدت من الزناتي وجميع من عنده القلوب وانحلت المفاصل وقال الله يعيننا على حربه واما دياب رفع راسه الى نحو سور تونس فوجد روس الامارة وهم ثمانين راس مشكوكين على الرماح فسال من يكونوا هؤلاء فقال له عمه عرندس هؤلاء روس بنو هلال الذين قتلهم الزناتي وهم اخوتك واولاد عمك فقال دياب كل هذا جرى في غيابي وصل سائر الى التربة فلاقوه اهل القتلا والبنات وشالوا البراقع وحدفوها الى دياب فطيب خاطرهم وانشد يقول

قال ابو موسى دياب المفتخر	فارس الهيجاء وخيال الوغر
حامي الزينات سور المحصنات	مفرج الكربات في يوم العسر
منية الخطار في سن الفلا	مشبع الجيعان زاكى منتشر
زال عنكم همكم يا ذا البنات	والزناتي حل في عمره قصر
واخذ الثار من ابو سعدا حقيق	وجميع قومه من حسامه تنبهر
واخبروني يا بنات بما جري	واعلموني بحقايق تنذكر
ما لكم على القبور جوالس	وشعور كن على الكتاف قد انتشر
كم من اميرة شقت ثوب الحيا	وقبل هذا اليوم كانت تنستر
لمن هذا القبر يا بنت الكرام	من هو الذي تحته قد انطمر
امل ابو زيد او الامير حسن	كم ربع هدموه واصبح مندمر
الا بدير العامري خالنا	ياحيف وجهه بعد نور ينفطر
فابشروا بالثار انتم يا بنات	في ماضي الحدين بولاد انذكر
انا عليهم مثل سبع كاسر	من غد اليهم يا عذارى الخدر

وانظروا فعل دياب يا بنات   بعون من امره علينا قد قدر
افرحوا اليوم يا بنات وابشروا   وخاطر المكسور مني ينجبر

قال الراوي فلما انتهى دياب من كلامه تقدمت فتنة بنت خل بدير ابن فايد تقول

قالت فتاة الحي بنت القاضي   ودمع عيني فوق خدي منحدر
اصبحت حيرانه وعقلي زائل   والقلب مني يا جماعه انفطر
والبنات جميع حالي مثلهم   انظر في عينيك فينا وافتكر
من قتل ابو سعدا الزناتي خليفه   قتل الابطال في سيفه سكر
وان كان تاخذ تارنا بسيفك   يبقى ثناك على العوالم مفتخر
تمدح الزينات فضلك والسرا   ويضل فضلك في البرايا منذكر

قال الراوي فلما فرغت بنت القاضي من كلامها طاب بخاطرها وسار مع الموكب حتى دخل بين البيوت فمر الى صيوان الامير حسن والامير ابو زيد فلقاهم يتفرجوا فلما وصل الامير دياب الى عند الصيوان حول وسلم الى حسن وابو زيد فقاموا له على الاقدام وحيوه بالسلام واكرموه غاية الاكرام وبعدها قام دياب وركب الى بيته وتفرقوا كل واحد لمحله فرجعت بنت الامير حسن وصارت تخبره وتقول

قالت فتنة بنت سلطان الملا   اسمع كلامي انت يا امير العرب
طلعت بنات هلال وجميع النسا   الجازية طلعت وارخت للنقاب
بجنب الوادي لقد وقفوا الجميع   ينظروا لدياب قرم منتخب

(الى هنا انتهى الجزء الثامن عشر من ديوان الزناتي خليفه ويليه التاسع عشر)
(وفيه قتل الزناتي خليفه) ويباع مع جميع الكتب والقصص باسعار
مهاودة جداً في مكتبة التوفيق لصاحبها (شكري الخوري وشركاه في بيروت)

كتاب

التاسع عشر

من تغريبة بني هلال

وهو ديوان

قتل الزناتي خليفة

وبهذا الجزء يتم ديوان قتل الزناتي خليفه على
التمام والكمال والحمد لله على كل حال

يطلب من مكتبة الترقي خاصة

جرجي وسليم زيني

طبع بمطبعة الاتحاد لصاحبها شكري انطون الخوري

بيروت سنة ١٩٠٩

لما طلع ضوء النهار وانجلى   اقبل دياب الخيل من حوله سرب
والخيل شهبا يابويه اقبلت   وفوقهامن كل فارس منتخب
اما الفتى الزغبي دياب امامهم   الفين طبل من وراه قد ضرب
والحلل لخيولهم خاص الحرير   وكل من خلفه حصانه قد سحب
لماراته بنات قيس يا ابي   قرعت كل العذارى عَلَى التراب
وولولوا ومسكوا ركابو يافتى   انجد لمن قد جاك قاصد للطلب
ان الزناتي قد اباد قرومنا   ودمهم فوق الاراضي قد سكب
ونريد اخذ الثار يابو موسى   ونحنا عدنا نايحات كما العطب
قال لهم ياييض غدا فابشروا   والهم عنكم ياعذارى قدذهب
لابدمن عن قتل الزناتي يا بنات   قد زال بيت العز عنه وانخرب
انا دياب الخيل طعان العدا   انا مريع الخيل فراج الكرب

فلما فرغت فتنة من كلامها وابوها يسمع نظامها فقال كان مرادنا من يروح لعند دياب ويكشف لنا الخبر كيف يقول في حربه للزناتي فقامت داية الحريم وقالت انا اكشف لك عن ذلك وصارت الى الصيوان فلما وصلت اليه وجدته نائم وله بنت صغيرة اسمها نجيبة وهو يلاعبها ويقول لها اين اطعن الزناتي فقالت له بعينه فقال قولك مبارك وحياتك ما اطعنه الا بعينه فرجعت الداية عند الامير حسن واخبرته عمارات من دياب ثم انه افتكر واطرق راسه الى الارض ساعة من الزمان وفاق وتنهد وانشد يقول

يقول الفتى حسن الهلالي ابو علي   الاجواد تختبي ليوم النوائب
وما سندنا الا دياب ابن غانم   لانه صميدع من خيار القرائب

ونرجو من الرحمن يفرج همنا لان العرب وقعوا بعظم المصائب
عسى من الزغبى يجينا غاية ويقتل خليفة بين جمع المواكب
دياب امير وابن امير واميرة ولا مثله في شرقها والمغارب
قال الفتى حسن الهلالي ابوعلي وقلبى فرح في ملتقى الحبائب

قال الراوي فلما فرغ حسن من كلامه وامراته تسمع نظامه وكان اسمها نافلة وهي اخت دياب فاشتلقت عَلَى حسن انه داخله لحسد من اخوها فعند ذلك انشدت تقول

ما قالت التي نالت رجالها ودمع عيني فوق الخدود سجايم
سعدنا في بني زغبى دياب شبيه البحر موجه جا يلاطم
فلما اقبلت خيله علينا ففرحوا البيض دقاقين الوشايم
طبوله حوله يا أمير تضرب شبيه الرعد بوسط الجو قايم
وخافوا الاعادي حين شافوا بني زغبي وهم نسل الا كارم
وقد قال الزناتي لاهل تونس يصيروا اهلها لنا خدايم
قالت التي نالت رجاها وسعدك يا حسن في ابن غانم

قال الراوي فلما فرغت نافلة من كلامها والامير حسن يسمع نظامها قال لها يا نافلة عسى الامير دياب يقتل الزناتي ونملك تونس وارضها ونخلص اولادنا فهذا ما جرى الى الامير حسن ونافلة فيرجع الكلام للامير دياب فانه التفت الى قومه واصرفهم الى المنام وقال لهم باكر ارجعوا احضروا جميعكم فقالوا سمعاً وطاعة ولما اصبح الصباح نهض الامير دياب وطلب مبارزة الفرسان ولاعب الخضرا في اربعة

اركان الميدان وجال وصال ولعب بالرمح حتى حير عقول الشيوخ والشباب والابواب مسكرة لا احد يخرج ولا احد يدخل فتقدم الامير دياب الى ابواب تونس ودق في عكاز الرمح فارتج منه الصور فقال البواب من داخل فرد الامير دياب وقال روح اعلم سيدك الزناتي ليخرج الى حربي لاجل ان يوفي للناس ديونها وان سألك عني فقل له الامير دياب قاتل اخوتك خربيه ومكحول ابرز اليه وخذ ثارهم فمضى البواب واعلم مولاه الزناتي فضاقت في وجهه الدنيا وما عاديعي عَلَى حاله لان المنية لها اسباب والزناتي منيته عَلَى يد الامير دياب فارسل احضر ابنته سعدا وقال لها يا باغية ما احد جاب لنا هذا البلا غيرك فلو من الاول تتركيني اقتل الحابيس وابوزيد كنا ارتحنا من بني هلال ولا نظرناهم وانا لا اخاف الا من دياب ابن غانم فقالت له سعدا يا ابي لا تحمل هم دياب ولا غيره انا ارده عنك ثم انها مشت عَلَى شراريف القصر لفوق دياب فنظرته يلاعب الخضرا فنظر اليها وكف وجهه عنها لحسن صورتها وقال لها ما اسمك وما تريدين قالت له سعدا ابنة الزناتي خليفة وانت من تكون وما تريد واشار دياب يخبرها ويقول

يقول الفتى الزغبي دياب الغانم ولي قلب يشبه بيضة البولاد
وعزمي كسبع الغاب في حومة الوغا راسي يوازن شامخات جبال
الايا صباح الخير ياوجه البها ويا شبه ريما بالفلا شراد
الايا صغيرة اسمعي نظم قصتي وردي جوابي بعد كل مراد

اليوم يوم الكون بيني وبينكم   واليوم نار الحرب تزيد وقاد
دياب جاكم اليوم يخرب دياركم   وقد كان براً قاتم الاطراد
لا خائفاً منكم ومن جمعكم   بعون المهيمن صاحب الايجاد
قد جيت اليكم طال شركم   والبسكم بعد البياض سواد
الا يا صغيرة اندهي لي ابوك   وقولي دياب الخيل قدجا وغاد
قولي له ينزل لحربي بلا بطا   ويلبس الدرع المتين وزراد

ل الراوي فلما فرغ الامير دياب من كلامه عادت سعدا تجاوبه وتقول

تقول سعدا بنت الامير تونس   الا يا دياب الخيل ياصنديد
حسبنا حسابك قبل ما جيتنا   جتنا علامك وانت كنت بعيد
تشهد لك الابطال في كونها   بانك صميدع فارس صنديد
اعفي عن الزناتي خليفة   وخذ منا ما تشتهي وتريد
خذ ملكنا ثم الرزق كله   بساتين تونس قربها وبعيد
بطل عنا الكون ياابن غانم   فتبلغ من الخيرات كل مزيد
ا قالت بنت امير تونس   الله يفعل كل مايشا ويريد

قال الراوي فلما فرغت سعدا من كلامها اشار دياب يقول

ل الفتى الزغبي دياب الغانم   ولي عزم يقطع للصفا الجلمود
لي همة تعلو عَلَى كل ماجد   بيوم الوقايع للقروم اصيد
كان كلامك قبل الان واجب   وانا في غريب البر كنت بعيد
وك خليفة قد اباد قرومنا   فوارس امارا بالطراد تزيد
لا بد عن حرب الزناتي خليفة   لو كان جوا الف حصن حديد

قال الراوي فلما فرغ الامير دياب من كلامه وسعدا بنت الامير تونس تسمع نظامه قالت له قف عندك حتى ارسل لك ابي وعادت لعند ابوها ونخته عَلَى حربه فاشار الزناتي يقول

يقول ابو سعدا الزناتي خليفة ونيران قلبي زايدات وقيد
وعيني تبات عادمة لذة الكرى كان بها نبل الحديد جديد
الا يا صغيرة قد دنت منيتي حين اتى دياب حق اكيد
ايا سعدا حربة دياب ابن غانم لها طعنات بالطراد تزيد
ايا سعدا حربة دياب ابن غانم سمعت لها باقصى البلاد رعيد
ايا سعدا حربة دياب ابن غانم لها سن يفلق للصفا الجلاميد
ايا سعدا حربة دياب ابن غانم تغني بها الشعار نعم قصيد
ايا سعدا حربة دياب ابن غانم فما قط ينظرها احد ويعيد
ايا سعدا حربة دياب ابن غانم بها السم ناقع والفعال شديد
ايا سعدا حربة دياب ابن غانم بها تقتل الابطال حقاً اكيد
ايا سعدا حربة دياب ابن غانم كم راح منها ابن ست وسيد

قال الراوي فلما فرغ الزناتي من كلامه ركب جواده وبرز الى الميدان واشار يهد عَلَى الامير دياب ويقول

يقول ابن مهران الزناتي خليفة ولي قلب اقوى من رهيف صقال
فما شفت ما قد صار بتونس قتلت فوارس من ملوك هلال
قتلت القاضي بدير ابن فايد وبدر مع زيدان والابطال
وقتلت ايضاً للخفاجي عامر وعقل ونصر والفتى سرحال

ثمانين اميراً قد قتلت بصارمي ودعيت دماهم في البوادي سال
انا فارس الهيجا اذا قام سوقها اخلي البوادي عَلَى الوطا وتلال
رد الفتى الزغبي دياب ابن غانم انا ولد غانم انا الدلال
انا تعرف الفرسان عزمي وهمتي انا فارس الهيجا بيوم قتال
جاني اخوك خريبه قتلته وارميته مطروح فوق جبال
ومن بعده مكحول جاني مطوح طعنته بحربة عن جواده مال
واليوم يومك يا زناتي خليفة وحل الوفا واشتقت انا للمال
قال الفتى الزغبي دياب ابن غانم فلا بد من سيفي تروح شلال

قال الراوي فلما فرغ الامير دياب من كلامه والزناتي يسمع نظامه فالتطموا البطلين كانهم جبلين وتصادموا اصدام الابطال وضربت في حروبهم الامثال وقلق الزناتي من حرب دياب ورأى منه ابواب ما كانت تخطر له بحساب ورآه بحراً ما له قرار وقبان ما له عيار فاحتار الزناتي وغاب وعيه ورشده وما زالوا في الحرب والطعن والضرب وهم في اشد ضيق وقتال و كون ونزال الى نصف النهار فزاد الامير دياب عَلَى الزناتي بحربه وعاد يفتل حوله عَلَى الخضرا مثل الصاعقة فخاف الزناتي وانحل عزمه وولى من قدام دياب هارب والى النجاة طالب الى ابواب تونس ودخل هو وعسكره وفتحوا له الطريق ودياب لاحقه مثل الاسد الكرار فهجم دياب وعسكره عَلَى قوم الزناتي والتقت الرجال بالرجال وجرى الدم وسال وولى الجبان وراح صاحب الجلاد لصوب الحرب والكفاح فيا لها من وقعة تشيب روس الاطفال

وراح من الفريقين عدد كثير من الفرسان والشجعان وكان لتونس ثلاثة ابواب داخلة في بعضها باب صاره وباب منصور وباب حصره ففتحوا حتى دخل الزناتي الابواب وسكروهم في وجه دياب فضرب الباب بالرمح فخرق اربعة اكعاب فاطبقت قوم الزناتي على قوم دياب فالتقاهم دياب بسيفه القرضاب وجندل منهم الشيوخ والشباب فهجموا بني زغبي وعظمت الاهوال وبطل القيل والقال الى ان ولت الشمس للغياب ودقت طبول الانفصال فولت قوم الزناتي من خارج السور هاربين والى النجاة طالبين . ورجع الامير دياب وقومه الى بني هلال فهنوه بالسلامة واكلوا وشربوا وحضر الامير حسن والامير ابو زيد لعند الامير دياب وعانقوه وهنوه بالسلامة وجلسوا معه في المنادمة والكلام وامر دياب في الذبايح وعمل الولائم فسالوه عن حرب الزناتي فتبسم الامير دياب من كلامهم وقال يا ابو زيد هل خوفكم الزناتي وارعب قلوبكم بعناية الباري تعالى انا اكفيكم شره واقصر عمره فقالت الامارة اجارك الله يا دياب وغدا التقي الزناتي واقتله وملكنا الغرب كما ملكنا الشرق فقال ان اراد الباري تعالى ولكن يا حسن الذي يقتل الزناتي يكون سلطان الغرب فقال الامير حسن نحن اولاد عم وما بين الاهل لا يوجد فرق والرزق واحد والحكم واحد وبعد ذلك انصرفوا الى حالهم ولما اصبح والصباح برز دياب الى الميدان فبرز الزناتي وانطبقوا على بعضهم انطباق الغمام وطال بينهم الطعن والصدام من شروق الشمس الى وقت الظلام . فدقت طبول

لانفصال وانفصلوا الفريقين عن القتال وكل منهم عاد الى محله
الاطلال واما والزناتي فعاود في سوء حال وعرف حاله مع دياب
مقهور وايقن بالانزعاج فضاق صدره واحتار في امره فطلع الى قصره
نقلب عَلَى الفراش فذهب من عينيه النعاس فجلس وفتح شباك القصر
نادى عَلَى بنته سعدا فاتت وجلست قباله في شباك اخر فتنهد الزناتي
من فواد متبول وصار يعاتب ابنته سعدا و يقول وعمر السامعين يطول

يقول الزناتي والزناتي خليفه ... تونس مدينتنا ونحن كبارها
من نسل حمير واهل تبع نسبتي ... ونتلو كتاب الله جملة سوارها
كنا بخير سالمين من النيا ... الى ان جاء ابو زيد للعرب زارها
حكمت عَلَى ابو زيد وجملة رفاقه ... قصدت انا اخفيه واطفي خيارها
نديت للجلاد جرد ثيابهم ... ونادى عليهم في شوارع حدادها
ربط مرسهم بالرقاب وساقهم ... لعند المشانق اراد يقطع جدارها
لا وسعدا مثل شمس منيرة ... لما رات مرعي ارخت عذارها
قالت يا ابي ترفق بحكمتك ... ترى الظلم يقطع للبوادي ديارها
مسك جياد القوم واترك عبدهم ... و يجيب لنا خلعات تتبع بكارها
فالقت عبد القوم فهو كبيرهم ... وما علمت عبد القوم هو من خيارها
جاب لنا ميتين الف مدرع ... نزلوا الى تونس واملوا جدارها
راح وجاب الظعن من نجد الى هنا ... بنات الامارا دالعات خمارها
ضاقت علينا الارض من كل جانب ... رعوا زروع الكرم حتى ثمارها
حيف اهفوا النخل والكرم كله ... بساتين تونس جردوا اثمارها

غديت من طلعت الشمس باكر — وطعن الزناتيين يقطع شرارها
كاونتهم جندلت منهم فوارس — ثمانين اميراً قد غدوا في غبارها
ولا انا خائف من هلال جميعهم — ولو كانوا بعدد الحصا في بحارها
ولا انا الا من دياب ابن غانم — له حربة كالنار ترمي شرارها
تغني بها الشعار في كل محضر — وطعناته خش المسامع خبارها
الا يا سعدا حربة دياب ابن غانم — كسهم رمي من كف عامر وتارها
ايا سعدا اجتني من الخيل ساق — تشبه لريح طائر في قفارها
ان عانني ربي ومسكت ابن غانم — لاذيقه طعم الموت واسقيه مرارها
واجعل حكمي عَلَى البلاد جميعها — واقتل اكابرها وايتم صغارها
ولكن هذا حكمها مع شورها — فلا تامن الانثى لدار جارها
ما قال ابو سعدا الزناتي خليفة — قتلتني سعدا بزود مكارها

قال الراوي فلما فرغ الزناتى من كلامه وابنته سعدا تسمع نظامه فقالت له يا ابي انا ما عمال انام الليل من اجلك ودائماً اطلب الى الله ان يهدي بالك وينولك مرامك ولكن انا بنت فما يطلع مني اكاون ثم انها انصرفت وهي موهومة من كلام ابوها وحزنت عليه ولكن الهوى غالب عليها لانه يذل الاسود ويهين العزيز ثم ان الزناتي غلق شباكه واتكى وهو مرضوض من التعب وهو يبدي الانين من قلب حزين فلما اصبح الصباح طلعت بني هلال من خيامها وركبت سوابقها · واما الزناتى سكر ابواب تونس وما عاد يفتح ولا عاد له قلب للخروج الى الميدان لخوفه من الامير دياب · واما دياب قام من نومه وتقلد سلاحه وركب الخضرا

وبرز الى الميدان فحين نظره الزناتى تحركت في راسهِ مروة الرجال وهانت المنية عليه اسباب فبرز الزناتي لدياب وصدمهُ صدمة جبار لايهاب نزول الاخطار وهاش الزناتى كما الجمل وطلعت الزبده عَلَى اشداقه لانه تذكر رزقه واملاكه فهابت المنية عليهِ فالتقاه دياب بالسيف القرضاب وقصد ان يفتخر بقتله عَلَى الشيوخ والشباب فحملوا عَلَى بعضهم وطار فيما بينهم الغبار حتى سد منافس الاقطار وحجب عنان السما والقوا الحرب والصدام الى الظلام ودقت طبول الانفصال وافترقوا عَلَى سلامة واستقاموا عَلَى هذا الحال شهرين وفي اخر الايام برزوا الاثنين الى الميدان فغضب الامير دياب وزاد به الغضب فقام في عزم اركاب وطعن الزناتي بعود الصلاب حكم في الجواد فمرق السنان من جانب الى اخر فمال الجواد عَلَى الارض وبقى الزناتي مطروح وقد ايقن بذهاب الروح فادركوه قومه في جواد من الخيل وركبوه ومال عليهم الامير دياب بالسيف القرضاب وزادت نار الحرب التهاب وقطعت منهم الزنود والرقاب وساقهم دياب سوق الغنم حتى دخلوا المدينة وسكروا ابوابها فطلع الزناتي الى قصره وايقن بزوال عمره فنام عَلَى فراشه وهو غارق بالافكار لنصف الليل فقام مرعوب في جسمه مكروب فنادى الى ابنته سعدا فاتت الى قباله في الشباك فاشار يدعي عليهم وينشد لها وصار يسمعها ويتنهد في هذا القصيد ويقول

يقول ابو سعدا الزناتى خليفة   الايام والدنيا قريب زوالها
الايام والدنيا كفى الله شرها   تخفض عزيز القوم ترفع انذالها

وروحى تفارقني بطعن وغيره — ويعرف مجالي مع امارة هلالها
اياما الى عين الزناتي خليفة — كمطروقة قد الف النوم حالها
نبات عَلَى ضر وتصبح عَلَى نقا — ونيران قلبي قد كواني شعالها
انا ابوك يا سعدا انا قاهر العدا — انا صور للزينات انا حامي عذارها
انا امير تونس وسيد مغوارها — وبيدى اميلها و بيدي اعتدالها
و بيدي اسيرها وبيدي اميلها — وبيدي اسعفها اذا شح مالها
ولي رمح يا سعدا وقوس ملون — ولي درقة ما اظن امير نالها
ولي سيف ماضي الشفرتين مجرب — اذا صاب صخر الصم قطع وصالها
ولي خودة باربع مفاتيح من دهب — لقد عجزت الصياغ تصنع مثالها
ولي درع حارت فيه صياغ تونس — ان راح منها زردة لبالها
ولي حربة من عهد المرحوم والدي — مسقية سم الافاعي دوالها
ما تصلح الالابن رزق سلامه — ولا احد بالترك والعرب نالها
انا شفت يا سعدا مناما اراعني — وقد رمى بالقلب اعظم هوالها
حلمت انني غارقا ببحر من الدما — وحولي رجال واقفة مع ابطالها
قد عرقنا والمقاذيف تكسرت — ترى كيف عقلك يازناتي صفالها
يا حيف بنتي قد رمتني بحيلة — وعقلي انا دون الملا قد صفا لها
قد قربوا مني العدا ونزلوا — عَلَى ارض مصر فككوا حبالها
بنوا خيام عاليات وشيدوا — عَلَى دار قابس تحت عتم ظلالها
يريدون منا الملك ان ياخذونه — اذل رجال البدو ما اكثر هبالها
وبيدي اعدلها وانا اطعن العدا — تروح اظعان البوادي جفالها
جموع هلال جاوا من الشرق غربوا — تقول جراد المنتشر في جبالها
عَلَى دار قابس حاصروا بظعنهم — اماره اصايل من فروع طوالها
وقد زينوا بالبيض الفين هودج — عليها من قصب الغوالي جلالها
وفيهم صبية يسلب العقل حسنها — كشمس الضحا زلت عليها جبالها
لها خد احمر والعيون نواعس — وارمت بقلبي علة لا دوا لها
تلالي لهم نحو العدا ان يثبتوا — تصفق بايديها توحي رجالها

يجوني على الخيل كالريح جريهم ⁂ واسرع البرق من اليماني نقالها
ومعهم ابو زيد الهلالي سلامه ⁂ يجبني على حمرا قصير شكالها
انا ابوك يا سعدا الزناتي خليفة ⁂ اذا ثقلت الاحمال انا شيالها
رحلتهم في يوم سبعة مراحل ⁂ رحلني ابو زيد بسبعة قبالها
وانحدر الى الميدان بدر بن غانم ⁂ فولت سوابق خيلنا مع قفالها
توجه بيض هلال والخيل غائرة ⁂ ويبقى لها بدر الخيل خيالها
فبارزني للحرب بسرعة وقال لي ⁂ ايا حميري نحن امارة هلالها
طعنته بيدي وهو بين قومه ⁂ تاضحى طريحاً في فيافي رمالها
واخوه زيدان بعده قد قتلته ⁂ زيدان قد ازعجني في مجالها
بدروز يدان والخفاجي قد عدوا ⁂ وراح الفتى القاضي باسواء حالها
ثمانين اميراً من هلال قتلتهم ⁂ ملكنا الهلاليات حتى رجالها
ابو زيد جاب لنا جموعاً كثيرة ⁂ قبايل غزيرة مذ كرهنا زوالها
واميرهم حسن الهلالي ابو علي ⁂ امير عامر ثم جملة هلالها
والكل قد هابوا قتالي وسطوتي ⁂ واخل قروم هلال مني وجالها
طبق رايهم جابوا دياب ابن غانم ⁂ يريدون اخذ الثار لاجل اجالها
وجاني دياب ابن غانم فوق خضرا ⁂ تطير جلاميد الحصى من نعالها
تجاولت انا واياه في حومة الوغا ⁂ عشرين يوماً حيرتني مجالها
ايا سعدا اكره دياب وذكره ⁂ كما تكره النساء اولاد رجالها
ايا سعدا ركبة دياب ابن غانم ⁂ تزين الفرس من سرجها لنقالها
ايا سعدا خضره دياب ابن غانم ⁂ ما شفت انا خيال راكب مثالها
ايا سعدا خضرة دياب ابن غانم ⁂ فلا بالشرق والغرب يوجد مثالها
ايا سعدا خضرة دياب ابن غانم ⁂ جميع البوادي شاهدت لفعالها
ايا سعدا خضرة دياب ابن غانم ⁂ على دور باب المد قاسوا نعالها
ايا سعدا خضرة دياب ابن غانم ⁂ رطلين بالميزان وزنوا لجامها
عليها دياب الخيل ارعب مفاصلي ⁂ طعنانه بالرمح تفكك قفالها
ولو لم تكن عن يد دياب منيتي ⁂ لكان امس العصر ابو زيد نالها

ايا سعدا حربة دياب ابن غانم	تشابه شعاع الشمس نور شعالها
ايا سعدا حربة دياب ابن غانم	ارمت بقلبي رعبة لادوالهـا
ايا سعدا حربة دياب ابن غانم	بعيني نظرت الموت واقف قبالها
ايا سعدا حربة دياب ابن غانم	جميع ملوك الارض هابوا قتالها
ايا سعدا حربة دياب ابن غانم	انا خائف منها لروحي تنالها
ايا سعدا حربة دياب ابن غانم	انا بان لي بالرمل عندي دلالها
وما صنعت الا لاجل منيني	ومن بعد ابو سعدا دياب ينالها
ايا سعدا خنت ابوك ووالدك	ولا منية الا وابوها دلالها
ايا سعدا انت ربيتي سعيدة	وبعد هذا العز تقضي ذلالها
ايا سعدا انت ربيتي سعيدة	وهذه السعادة لاغنى عن زوالها
ايا سعدا انت بقيتي يتيمة	وبعد الزناتي اتوى من هوالها
جهول غفول من يامن للنسا	ومن يستمع للنسا مع سوالها
ايا سعدا خنتي رجالي وعزوتي	وخنت ابوك لاجل مرعي فعالها
ان عانني ربي وقتلت ابن غانم	لاعمل لك بكره وعلي حبالها
انا ابوك ياسعدا قرم غشمشم	حرام على عيني الكرا ان تنالها
وسيجت حول الدار خوفي من العدا	ترى ما سياج الدار غير رجالها
ايا قوم هذا الدار عادت لغيرنا	وهم يملكون تونس وكل موالها
وخلوا لهم قابس وباقي بلادنا	واقطعوا الرجا من بعدكم كرمالها
ادخلوا ارض القيروان وقابس	ولا تنزلوا الا باعلى جبالها
والله العظيم ربي وخالقي	اله تعالى ذو الجلال جلالها
فما خوفي الا من دياب وقومه	لو كانوا بعدد الحصى مع رمالها
ايا سعدا لقد بعت ابوك خليفة	بفرسان بدوان الفيافي مجالها
ولا بد تشكي الضيق من فعل ابو علي	يدوس رجال الغرب تحت نعالها
هنيا لهم بالاخذ والحكم والعطا	تخوت المعالي ابو علي ارتقا لها
ويملك لتونس وللبلاد جميعا	واميرهم كل السعادة ينالها
ولكن من شور سعدا مشيرتي	عليها غضب ربي وتعدم خصالها

وهذه شكايات الزناتي خليفة هنيئاً لنفس لا عليها ولا لها

قال الراوي فلما فرغ الزناتي من كلامه وابنته سعدا تسمع نظامه فعزتها الدنيا وبكت وندمت حيث لا ينفعها الندم وصارت تشجع والدها عَلَى حرب دياب وثاني الايام برز الى الميدان فبرز اليه الامير دياب فاشار الزناتى يقول وعمر السامعين يطول

يقول ابن سهران الزناتي خليفة ولي قلب من جور الزمان جريح
تسعين امير من هلال وعامر وكل امير بالوغا رجيح
اسقيتهم كاس الحمام بلا خفا نسام عليهم بالظلام تصيح
ساقطع لراسك يا ابن غانم بهمتي وشرح للحمك والحشا تشريح
واخذ الخضرا ورائي جنيبة واسكر بدمك كالمدام واسيح
لما عطوني عشر المال والخيل والنسا وتبقوا رعايانا عَلَى التوضيح
واجري بساط الصلح بيني و بينكم ومن يطلب الصلح عاد مليح
رد الفتى الزغبي دياب وقال له ترى الهرج بين العالمين قبيح
لي ثار عندك يا زناتي خليفة وقد باق في قومي بكى وتنويح
قتلت عامر والقروم جميعهم وقتلت منا كل قرم رجيح
تسعين اميرًا من هلال وعامر غدوا وتطلب ان اكون سميح
وتطلب اني يا زناتي اصالحك انا والنبي بين الرجال سميح
فمن يعتق الحية يضره سمها ويضحي فواده بالسموم طريح
اين بدر العامري اين قايد اين اخوتي وزيدان وبدر مليح
اين سلطان الخفاجي عامر قد كان في يوم الطراد رجيح
وتحتي خضرا يقطع العود عزمها متسربلة في اماكن التوسيح
ماظن يلحقها سوى الطير بالسما انا بها بين القروم نطيح
وانا لك مناطح يا زناتي خليفة عَلَى سرج خضرا ثم فيك اصيح

قال الراوي فلما انتهى دياب من كلامه والزناتي يسمع نظامه

التقوا البطلين كانهم اسدين كاسرين وما زالوا في الحرب والصدام الى حين اتى الظلام ودقت طبول الانفصال وثاني الايام برز البطلين الى الميدان وانشد الزناتي يقول وعمر السامعين يطول

يقول الزناتي يا دياب الغاره ... جاك الزناتي مثل شعلة نارا
جاك الزناتي فوق ادهم ضامر ... لو كان فيه جناحين طارا
تسعين اميرا من هلال قتلتهم ... صفيت روس الكل عالاسوارا
زيدان مع بدر الامير قتلتهم ... ايضاً وخلك كان عز الجارا
واليوم لازم اذبحك بمهندي ... واسقيك يا زغبي كاس مرارا
أن طعتني انزل وبوس ركابي ... وادخل عليَّ لكي تكون مجارا
رميت نفسك في حروب خليفة ... والشر حافك والبلا قد صارا
قال ابن مهران لزناتي خليفه ... فصاب عامل فيكم وجذارا
رد الفتى الزغبي دياب وقال له ... الا يا زناتي لا تكون فشارا
من نجد الى تونس جموعها ... وملوكها وابطالها واماراا
لي ثار عندك يازناتي خليفة ... احرقت قلب ابطالنا بالنارا
اتيت الى سيفي وسن قناتي ... لابني امورك بالملا تذكارا
والملك نقصرك والبلاد جميعها ... واخذ حريمك كلها وجوارا
عنك فما لي يا زناتي عفة ... لابد ما اضرب لهيب النارا

قال الراوى فلما فرغ الاثنين من الشعر والنظام لم يزالوا في حرب وصدام لحين اتى الظلام فدقت طبول الانفصال وثاني يوم برزوا البطلين فانشد الزناتي يقول من فؤاد متبول

يقول الزناتي والزناتي خليفه ... لي عزم في البيدا كسبع الغاب
انا القرم انا الضرغام انا قاهر العدا ... انا مولك الابطال بيوم حراب
انا البطل المسمى الزناتي خليفه ... كم من ملك جاني وظنه خاب
حكمت على كل الملوك بسيفهم ... وتركت كل الخلق تحت ركابي

يا دياب الخيل انظر همتي ‏ لاوريك مني اعجب الاعجابي
كم من ملك مع جيوشه قهرته ‏ عاد دماهم عالوطا سكابي
انا اليوم خصمك يادياب ابن غانم ‏ لابد عن قتالك تروح ذهابي
مـا عاد غير الطعن في سمر القنا ‏ والضرب في سيف اليمان طلابي
ما قال ابو سعدا الزناتي خليفة ‏ لا بد اذيقك يا دياب عذابي
رد الفتى الزغبي دياب الماجد ‏ ولي عزم امضى من سنان رماحي
كم من ملوك قد قهرت بصارمي ‏ وكم من مثالك يا زناتي راحي
فراح في حد السيوف مجندل ‏ خليت دمه عَلَى الوطا سباحي
وراح منجد والهيدبي ومفرج ‏ والخذاعي في حلب قد راحي
وان كان مـا اشفي غليلي منك ‏ يحرم عليَّ وصال بيض ملاحي
قال ابو موسى دياب ابن غانم ‏ لا انا مهذار ولا مزاحي

قال الراوي فلما فرغ دياب من كلامه والزناتي يسمع مقاله اخذا في الحرب والصدام لحين اتى الظلام فدقت طبول الانفصال ثاني الايام برز الامير دياب الى الميدان وطلب مبارزة الفرسان فبرز اليه الزناتي واشار يقول

يقول الزناتي افرس الفرسان ‏ في القلب مني زايدة نيران
بليت فيكم يا هلال بلية ‏ ربي بكم دون الملا ابلاني
قتلت منكم قوم ما لهم عدد ‏ راحوا طعام الوحش والغرباني
صافف رؤوس رجالكم انظر لها ‏ عَلَى الصور منشورة كما الصيواني
انا خليفة يا دياب تحضر ‏ يا ما قهرت ابطال مع شجعان
انزل عن الخضرا وبوس ركابي ‏ واسلم بروحك لا تكون ندمان
تبقى بظلي يا دياب وقومك ‏ وتعيش بخدمتي تحت امان
ان طعتني وخدمتني بنصاحة ‏ اعطيك تورز ملك من سلطاني
وان لم تطعني اقتلك في سيفي ‏ واسقيك كاسًا طافحًا مليان

واوضع لراسك فوق سور بلادي　　واقول راس دياب قد اكفاني
رد الفتى الزغبي دياب وقال له　　اقصر كلامك لا تكون وشمان
انا دياب والدما مشربي　　كم كاس شربته الى الفرسان
معتاد سيفي للدروع يقدها　　رمحي وسيفي في الدما غرقان
يكفي تهدد على دياب وتعتني　　ان كنت فارس بالحروب التاني
لي ثار عندك يا زناتي قاصد　　تسعين بيضا بالدجا مهران
خالي بدير والخفاجي عامر　　مع بدر اخي والفتى زيدان
اولاد هولا يا زناتي خنتهم　　في ماضي الحدين ضرب يمان
واشفي غليلي منك يا بو سعدا　　خوفي من الزينات لا تنساني

قال الراوي فلما فرغ دياب من كلامه التقوا البطلين في الحرب والصدام وذاقوا اعظم البلا والكرب حتى كل الزناتي وملّ وبعد عزه ذل . وعرف حاله مع دياب انه فارس مغوار . وبطل كرار لا يصطلى له بنار فبقوا في الحرب والقتال الى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار ودقت طبول الانفصال فافترقوا من المجال ورجع الامير دياب الى قومه والزناتي الى قصره وقد ذل بعد العز سبحان من ذل الجبابرة بقدرته القاهرة فعزته الدنيا وقد بكى على احواله وملكه وبات تلك الليلة في هم واتراح الى وقت الصباح فنهض الزناتي من نومه وطلب دواية وقرطاس واشار يكتب الى الامير دياب بالصلح ويقول

يقول ابو سعدا الزناتي خليفة　　حرام على عيني المنام حرام
وحملي ثقيل ابهر الناس كلها　　بسيفي ورمحي ارعب الحكام
حكمت وحكمي طال في الغرب كلها　　على صالح التوفيق والاحكام
بنيت بيوت الضيف للمدح والثنا　　وضيوفنا شبه الحجاج دوام
واقري اليتامى والارامل جميعها　　واكسي العرايا واسعف الايتام

ومالي ورزقي فيه لله خصه اقريها في كل دهر وعام
ولا خنت منه طول عمري بنصره ولو كان زمة او حقير اسلام
انا ابوك يا سعدا الزناتي بلا خفا اذا طارت الهيجا بيوم زحام
انا صون طعن العذارى بالوغي بطعن يشيب راس كل غلام
الا واستمع لي يا دياب ابن غانم اصغى لقولي واترك الاوهام
واجروا امور الصلح بيني وبينكم وسامح وصالح يا ابو غنام
واقبل دخولي يا دياب وجيرني وسامح بما اذنبت من الاثام
اقبل دخولي يا دياب بطاعتك عبدك انا داخل عَلَى الاقدام
اقبل دخولي يا دياب المنحسب عبداً لديكم خادم الخدام
سامحني في ما مضى لا تلومني ودفن الخطا بين الملوك حرام
ابعد عن الشيطان هذا عدونا ما تفتكر فيما تبعه حرام
دياب اخزي الشيطان ياولد غانم واريح الذي ذا قلبه بقي منضام
وادعي خليفة يا دياب صديقك يعينك اذا طال الزمان ودام
وخذ ملكنا والتخت والمال كله وخيل السوابق والرزق وقتام
وقابس وتونس والنخل وكرومها بساتين تزهو بالثمر اعوام
واقبل دخولي يا دياب ابن غانم وسامح وصالح يا ابن نسل كرام
فواجب عليكم يا امارة تصالحوا ترى الصلح عندي سيد الاحكام
وان اردتموني جيتكم لمحلكم اقبل اياديكم مع الاقدام
وحق النبي ما انا بالقول كاذب وحق الذي حجت له الاسلام
وحق المنا والزائرين الى المنا وحق النبي مع جملة الاسلام
وحق الحرام والبيت والركن والصفا ومكة وزمزم ومن لهم خدام
باني وقيع الصلح يا امير واكد وما مضى ما تخلفه الايام

قال الراوي فلما فرغ الزناتي من كلامه طوى الكتاب وارسله الى الامير دياب وكان دياب قد برز الى الميدان وجميع امارة بني هلال راكبة معه فلما وصل النجاب واعطاه الكتاب فضه وقراه وعرف

رموزه ومعناه فعند ذلك الوى لجام الخضرا وتوجه لعند الامير حسن وعرض عليه كتاب الزناتي فقراه حسن وابوزيد عَلَى روس الامارة وجميعهم بهتوا ساعة طويلة فقال الامير ابوزيد يا امارة الزناتي باعث طالب الصلح ما تقولون فقالوا الجميع راينا عند حسن ودياب وعندك يا امير ابوزيد فقال ابوزيد رايت انكم تصالحوه ومن ابى عن الصلح ينغلب اما الجازية فلما سمعت هذا الكلام من امارة بني هلال التفتت الى الامارة وقالت اذل الله الحاكم من بني العربان ذليتم عن حرب الزناتي ودياب ايضاً من بعد قتل اخوته واولاد عمه يذل معكم دياب شاطر في ركوب الخضرا وتعريض الصدر وحالا نادت عَلَى النسوان دونكم الخيل ونحن نقهر الزناتي وناخذ ثارنا منه والتفتت الى دياب وقالت له حول عن الخضرا حتى اركبها حارب الزناتي واشارت تقول

تقول فتاة الحي ام محمد وانا لي عَلَى حرب الزناتي جهاد
انا بنت سرحان الامير بلا غبي اخي حسن سلطان عَلَى القوم سايد
عليَّ ارد الخيل وحدي واكيدها بسن القنا والماضيات الهنايد
الايا عذارى شدوا الخيل واركبوا عَلَى سوابك منسبات جرايد
ونلبس خودهم والدروع وخيلهم ونحن نكاون بالمرور الجلامد
ونقتل الزناتي خليفة وقومه ويبقى لنا التذكار بين الاجاود
خذوا براقعنا وغطوا وجوهكم وهاتوا ملابسكم وكل العوايد
ونحن نطلقكم وناخذ بدالكم ونحرم عليكم ذابلات الهنايد
الا يا بنات اسمعوا شرح قصتي ودقوا طبول الحرب مثل الرعايد
ذليتم من حرب الامير تونس اجاويدكم راحوا وولوا شرايد

تريدون صلحاً بعد تسعين اميراً حريمهم عليهم قايمين العدايد
وفرحوا العذارى فيك يا ولد غانم وقالوا دياب الخيل يا بو العوايد
ما قالت فتاة الحي ام محمد فلا بد من حرب الزناتي اكايد

قال الراوي فلما فرغت الجازية من كلامها والامارة يسمعون نظامها فعند ذلك تبادرت البنات الى الخيل وكل واحدة مسكت لجام فرس وقالت لراكبها انزل واركب موضعي في الهودج وانا اركب جوادك واما الجازية فغارت عَلَى دياب وقالت لـه انزل انا اركب موضعك احارب الزناتي فعندها غضب الامير دياب وقال لها لمثلي يقال هذا الكلام فانا كم مرة خلصتك من السبي وما خليتك تنهتكي يا بنت الاجواد لو صالحوا كل بني هلال ما افوت ثار اخوتي واولادهم ولا صالحت الزناتي قومي وارجعي الى الورى وردي هولاء البنات واشار الامير دياب يرد عَلَى الزناتي يقول وعمر السامعين يطول

يقول الفتى الزغبي دياب ابن غانم وذم الفتى بعد الفعال حرام
وحمد الفتى بعد الفعال مذمة وحمد الفتى بعد الفعال تمام
انا دوم ممدوح بفعل الاكارم بخير وجود بالفلا وخصام
كم فارس انا بقناتي قتلته وادعيه جوى اللحود ينام
من نجد الى تونس ابدنا قرومها سلاطين ابنوا للضيوف خيام
واخذنا الى تونس ابدنا قرومها سلاطين ابنوا للضيف خيام
واخذنا الى اموالهم وظعونهم واخذنا مكاسبهم وكل غنام
وماعاقنا من نجد الى ارض تونس عوايق ولا خيل بها هجام
سواك يا امير الملا يا خليفة فتكت فينا سيف في قنا وحسام
تسعين اميراً من هلال قتلتهم وراحوا طعام الوحش والاوهام
وباعت تصالحني من بعد عزوتي فهذه امور مبعدات عظام

اتينا بلادك يا زناتي خليفة ... اصبحت تكاونا بغير لزام
تسعين اميراً انت ناسي عداهم ... اريد الوفا منك بحد حسام
غدا التقيني طلعة الشمس باكر ... يوماً طويلاً ابوك الايام
انا عنتر الشداد انا ولد غانم ... انا الزير ابو ليلى انا الهمام
فمن يمدحوه الناس يزيد قدره ... ومن مدح نفسه عدم الافهام
ولا بد عنك يا زناتي خليفة ... ولو كان حولك ماية الف غلام
وان طرت او غرت ولا بد عنك ... ولو كنت جوى الف برج رخام
اذا اصطلت الخيلين واشتباك القنا ... ونصرت الاسلام بيوم زحام
فانزل الى الميدان من غد باكر ... لاوريك طعناً يقطع الاوهام
وخذ من يمني طعنة قوية ... يغنوا بها الشعار نظم كلام
ويظهر خبرها في البلاد جميعها ... تشق الحشا طعنات ابو غنام
وترحل بلاد الغرب عالها ودونها ... وتبقى امارتنا بها حكام
انا فارس الشرقين والغرب واليمين ... وذكري ملا مصر وارض الشام
فلا بد ما املك بلادك كلها ... وقومك يصيروا عندنا خدام
ما قال الفتى الزغبي دياب ابن غانم ... غدا التقيني الى وفا الاذمام

قال الراوي فلما فرغ دياب من كلامه طوى الكتاب وارسله الى الزناتي خليفة فلما وصل اليه فضه وقراه وعرف رموزه ومعناه وانخمدت انفاسه وزادت وسواسه ولما اصبح الصباح دقت طبول بني هلال للحرب والكفاح وبرز الامير دياب الى الميدان فنظر ذلك الزناتي فاشار يكتب الى دياب ويقول

يقول ابو سعدا الزناتي خليفة ... والهم قد جانا مع الوسواس
يا دياب الخيل يا طيب الثنا ... يا امير حامي حومة البرجاس
فاصفح عن حربي وخذ لك ماتريد ... اموال خذ مني وكل اجناس
واعطيك مني القيروان وقابس ... تونس وقابس ودير المكناس
وبالحال ارسل للمغارب جميعها ... ونادي باسمك في جميع الناس
واحكم انت في بلادي وارضها ... عَلَى الخلايق كلها والناس
ونقيم لك الرايات في كل محضر ... واذكر جودك طيب الانفاس
اقسم عليك بجاه ربي تجيرني ... ويحق اله العرش رب الناس
واصير عبدك وعبد عبدك للابد ... وفضلك عَلَى اعيانا والراس
وبطل الحرب عني ولا تلومني ... وزيني بقولي ما انا دلاس
ما قال ابو سعدا الزناتي خليفة ... دياب ترفق يا شديد الباس

قال الراوي فلما فرغ الزناتي من كلامه طوى الكتاب وختمه بختامه وقدمه للامير دياب فلما قراه مزقه ورماه وصرخ في الخادم صرخة ارعبته وقال له لولا ما يكون قتل الرسول حرام لادعيك عَلَى التراب مقتول ولكن ارجع الى مولاك وقول له ما لك عنده جواب الا السيف القرضاب فرجع النجاب واعلم مولاه بذلك واما دياب فانه بات تلك الليلة الى الصباح فنهض من نومه ونزل الى الميدان وعرض وبان وطلب براز الفرسان فما احد رد عليه جواب فعند ذلك داد دياب الى صوب بوابة تونس فحكمت طريقه عَلَى خندق كبير فلما نظره حول عن الخضرا وقاس الخندق فنال عرضه خمسة رماح ووسعه ثلاثة فعرف ان الخضرا

تقمذه فعند ذلك تعلى بظهر الخضرا وارجها الى وراء وابتدا يلاعبها حتى صارت اربعتها تنحط في المد ودار راسه صوب الخندق حتى وصلت الى حفته وحشكها في الركاب فقفزت الى جانب الاخر وظل غاير الى الباب لقى البواب نائم فلكزه في كعب الرمح ففاق البواب فوجد فارس فوق راسه قال له الامير دياب يا بواب روح ارسل سيدك لينزل الى الميدان وان كان ما ينزل قل له الامير دياب اليوم قفز الخضرا فوق الخندق غدا يقفزها السور فراح البواب واعلم مولاه ودياب رجع الى قومه فعند ذلك نزلت دموع الزناتي وصار يبكي عَلَى حاله وارسل ورا سعدا ابنته لكي يودعها وكان قصده قتلها ولكن ليس له اليها وصول وكانت سعدا ضربت الرمل فعلمت ان منية ابيها قد قربت فاتت الى الشباك قباله وقالت له طب نفساً وقر عيناً لان بان عندي بالرمل انك منصور عَلَى دياب وفي ثاني الايام دق طبله وبرز الى الميدان فبرز اليه الامير دياب فاشار يهد عليه ويقول

قال ابو سعدا ملكت الغرب في عزم ابطالي وشدة حربي
ملكتها غصب عن اميرها ودعيت جميع القرم مني هربي
يا ابن غانم جيت لاجل منيتك ذا الوقت تسقي من المنايا شربي
واخذ الخضرا ودرعك عاجل الله اكبر يا دياب الزغبي
تسعين فارس يا دياب قتلتها فرسان قومك قروماً عصبي
شوف القراتي كلهم قدامك عَلَى السور مصفوفين شرق وغربي
في بيضة الدبوس اكسر راسك واسحن عظامك وادفنك بالتربي

انا الزناتي في الحروب مجرب　　في حد سيفي قد حميت الغربي
رد ابو وطفا دياب وقال له　　يا مير انا ما احد يلتقي ضربي
جيتكم عَلَى الخضرا كما البازه　　ولا بد ما تروح مني بالحربي
واقتلك بهذا اليوم واقطع راسك　　واشرب لدمك يا زناتي شربى
واصيح في قومك اشتت شملهم　　واحفر لهم بالارض تربي
لا بد اخذ ثار قومي منك　　بدير مع زيدان قاضي العرب
قال ابن غانم فارس الزغبي دياب　　ستر العذارى يوم كشف الحجبي

قال الراوي فلما فرغ الامير دياب من كلامه التقوا البطلين كانهم جبلين وغنى فوق روسهم غراب البين فوقع بينهم ضربتين قاطعتين كان السابق في الضربة الزناتي طعن بها دياب بالرمح فاخلى عنها فاصابت الخضرا فوقعت عَلَى الارض ووقع دياب كانه طود من الاطواد فطمع الزناتي فيه وسحب السيف من غمده وهجم عليه ليعدمه الحياة فكانوا بني هلال ادركوه وقدموا له جواد من الخيل الجياد فعندها ركب الامير دياب وانتغر عَلَى الزناتي في قلب لا يهاب وما زال السيف بينهم الى وقت الظلام فانفصلوا عَلَى سلامة من الحرب والقتال واما الامير دياب فانه حزن عَلَى الخضرا كثيراً وامر ان يغسلوها ويكفنوها بشقق الحرير ويدفنوها وبنى عَلَى قبرها قبة عظيمة وذبح عَلَى قبرها الف ناقة وفرقها عَلَى الفقراء ذكاء عن سلايلها واولادها وثاني يوم نهض دياب واعتد في عدة جلاده وركب عَلَى ابن الخضرا وكان مهر رباعي طويل الباع لين الطباع وبرز الى الميدان كانه فرخ جان

وطلب مبارزة الزناتي فبرز اليه لانه فرح بقتل الخضرا وظن انه يملك اربه من دياب و يقتله كما قالت له سعدا واما حسن و بني هلال تحقق عندهم ان دياب في هذه المبارزة يقتل الزناتي لا محال لاجل ثار الخضرا فركب الامير حسن مع سائر بني هلال وركبوا العماريات في الهوادج اصطفت العساكر قبال بعضها البعض هذا والزناتي ودياب في حرب شديد يقطع الزرد النضيد من الصباح الى ان صارت الشمس في قبة الفلك الاعلى فثارت في راس دياب نخوة الرجال والهمة الكائنة العلية وولاه مولاه عَلَى الظفر عَلَى من عاداه فسحب الدبوس من تحت فخذه وبرمه في يده وضرب الزناتي عَلَى راسه فطير جميع اضراسه ونخت طاسة البولاد ونزل عَلَى هامه فدار الزناتي راس جواده وعول عَلَى الفرار من عظم الالم فما عاد يدري كيف يتوجه فلاجل نفوذ الاحكام فلما هرب الزناتي قام الامير دياب في عزم الركاب واطلق به الرمح لان الزناتي كان هارباً فالتفت لكي ينظر دياب ان كان لاحقه فاصاب الرمح عينه ونفذت الحربة من قفاه فتذكر الامير دياب وقت قول بنته نجيبة حين قالت له اطعنه بعينه فمال الزناتي عن الجواد وعول عَلَى الوقوع فسحب دياب من فخذه سيف الركاب وضربه عَلَى هامه ارمى راسه قدامه فاخذ الامير دياب الراس عَلَى راس السنان وغار هو وبني هلال عَلَى قوم الزناتي فبدلوا افراحهم بالكدر فلما شافوا الزناتي عَلَى الارض مطروح وهو جثة بلا روح كثرت المصائب عليهم والاهوال وما عادوا يعرفون اليمين من الشمال فولوا هاربين والى النجاة طالبين

واما قرايب الزناتي وقومهم فانهم صاحوا الامان ودخلوا واقفين على دياب ورموا سلاحهم وسلموا الى الموت ارواحهم وطلبوا من دياب الامان واوهم كان العلام وطلبوا من دياب مكان يقيموا فيه ويلجون حريمهم فاعطاهم مدينة الاندلس وما حولها وهم على ثبات الاقوال ورحل العلام وقومه بالحريم والعيال وقطنوا بذلك المكان ورجع الامير حسن والامير ابوزيد وبني هلال نحو تونس لينظروا كيف فعل اما دياب فانه ملك تونس وبالحال نادى عبده خليل واعطاه الرمح وامره ان يوضعه فوق باب تونس وينادي ان ما في امير الا الامير دياب وكل من لا يدخل تحت هذا الرمح يقتل تحت الرمح ففعل العبد كما امره مولاه وصار ينادي بنداه فلما سمعت سعدا بقتل ابيها لبست افخر ملبوس وصارت تتمختر كانها العروس واتت لعند الامير مرعي وهو يتمشى بجناين القصر عند العصر وهو لابس ملابس الحرير وعلى راسه طربوش مغربي حسب عادة اهل الغرب ومنتظر الفرج والتيسير من هذا الامر العسير ثم دخلت دليه سعدا وقبلت يديه وقالت اعلم ايها الامير. وسيدي الخطير قد جاء الي الفرج بعد التعسير. وتعاهدت في واياه بان لا ياخذ غيرها من النساء ووعدته ايضا ان لا تاخذ غيره من الرجال ولو قطعت بالسيوف الصقال. وبعد ذلك ودعوا بعضهم البعض وكل واحد ذهب الى سبيله يرجع الكلام الى الامير دياب بعد قتل الزناتي امر بتعليق راسه على السور وبتزيل روس امارة بني هلال ليدفنوهم وملك دياب تخت

الزناتي خليفة وحاز الملك والمال والنوال والخدم قدامه وامر باطلاق مرعي ويحي ويونس وخلع عليهم وارسلهم لعند اهلهم وجلس دياب عَلَى تخت الزناتي ولبس التاج عَلَى راسه وكان ذلك التاج مصنوع من قديم الزمان من ايام مهران خليفة ابو الزناتي ومرصع كله بالمرجان الاحمر والياقوت الاخضر ومنسوج بالدر والجوهر والذهب الاصفر واجتمعت حوله بني زغبي صفوف صفوف ميات والوف واتوا الجميع حبوا يداه فلما سمعت سعدا بجلوس الامير دياب عَلَى كرسي ابوها خافت وارتعدت فرايصها وخاب ظنها بمرعي وندمت حيث لا ينفعها الندم وتوجهت لعند الامير دياب وحبت يداه وترجته في دفن ابوها فانشد دياب يقول

يقول الفتى الزغبي دياب ابن غانم ... ولا فخر في الانسان الا فعايله
ولا فخر بالانسان الا بما عمل ... وفعل الردى الخال ينشى قنايعه
ايا سعدا انتى علتى باني ... خصيم ابوك قاطعاً لشقايقه
طعنته بوسط العين في نصف وجهه ... فاضحى قتيلاً واقعاً في مصارعه
واركزت رمحي فوق باب تونس ... وقلت حسن يختشي من خدايعه
وعندي حسن يوم الوغا مثل خادمي ... اما دياب ما احد عاد يصارعه
قتلت ابوك والقنا يقرع القنا ... وقد كان يحسبني باني لا كعه
ايا سعدا قد راح ابوك خليفه ... واخذت تاجه وتخته وتوابعه
انا تعرف الفرسان عزمي وهمتي ... وسيفي بدم العدا انا ناقعه

فلما فرغ الامير دياب من كلامه اشارت سعدا تترجاه وتقول

تقول سعدا بنت الامير تونس ... الا يا دياب الخيل يا ابو الهمائم

اليوم دخيلك وبجيرتك   تجيرني اجارك رب العرش دائم
مي غدوا يا امير من تحت الوطا   وكانوا زناتية وراحوا هزائم
لا يا زناتيين وقوم خليفة   والسعد منكم راح عدنا رمائم
حيف يا خليفة تسكن بالثرى   وتبديل قصور العز بالتراب دائم
يا دياب الخيل يا كاسب الثنا   يا طويل الباع يا ولد غانم
جوك ان ابي تواريه التراب   وامر بدفنه يا امير تحت الردائم
دفنه يا امير بجانب اخوتك   تنال الخير والثنا وكسب الغنائم
كان خلك ياامير وصاحبك   وكان يعزك دون كل العوالم
كان يحبك دون كل قرايبه   ويا ما مدح فيك بين الاكارم
مرة قال لي دياب ابن غانم   ما شفت افرس منه قرم ملاطم
ير جيرني بالنبي المصطفى   يجيرك الهي من جميع التهائم

قال الراوي فلما فرغت سعدا من كلامها امر دياب ان يدفنوا
ها بين قبور اخوته بدر وزيدان وطيب خاطرها وادخلها بين حريمه
رموها غاية الاكرام هذا ماجري الى دياب واما ما جرى الى حسن
و زيد وهم راجعين الى تونس سبق منهم اناس فشاهدوا رمح دياب
نادي ينادي باسم دياب والعبد خليل حين راى الامير حسن
لامير ابو زيد مقبلين ارتعد نداء ورجع شاور مولاه فقال له دياب
ع نادي كما امرتك فرجع العبد وصار ينادي ان لا سلطان الا
ب وكل من لا يدخل تحت رمحه يعدمه الحياة فحين سمع حسن هذا
كلام قال كيف الراي يا ابو زيد ندخل ام لا فقال ابو زيد هينة

يا حسن ندخل وان ما شال الرمح فكان عبد الامير حسن وراه ضرب الرمح قطعه نصفين فضربه العبد خليل قطعه كما قطع الرمح واما حسن هجم عَلَى ديوان الزناتي فوجد دياب جالس عَلَى التخت وحوله اكابر بني زغبي والخدام والعبيد بين يديه والتاج عَلَى راسه فلما نظروا حسن هجم مثل الجمل الهايج وقال ما هذه القعدة يا دياب ما كفاك مرقتني من تحت رمحك وتلبس التاج عَلَى راسك وتريد تورثني وانا حي وتعزلني من منصبي ورتبة جدي وابي ونحن من الذي قصر منا عن حرب الزناتي لا بد عن قتالك يا نجس بعد هذا العمل وانحدف عَلَى دياب فوقف ابو زيد والرجال بوجه حسن وقبلوا اياديه وقالوا له يا مولانا ان دياب خطي ومنك المسامحة فهذا كله جرى ودياب جالس عَلَى الكرسي ما هو مفتكر فيه والا كلامه فزاد في حسن الاضرام وقال اتركوني حتى اقتل هذا العايب فقال له دياب يا حسن انت بعد فيك هذه الشطارة فلماذا ما قتلت الزناتي وملكت ملكه ولاي سبب ارسلت تتدخل عليَّ انت وابو زيد وكل بني هلال حتى قتلت الزناتي ومهدت لكم البلاد فقال حسن انا والامير ابو زيد ما ارسلنا وراك ولا احد من جميع بني هلال الا البنات وابوك غانم فقال دياب المكاتيب عندي فقال حسن كذبت وحق البيت والحجر والركن المطهر لا بد عن قتلك وهم في هذا الكلام فتقدم ابو زيد وقال

يقول ابو زيد الهلالي سلامه فمالك يا حسن سرحان هايش
تريد تقتل دياب يا ابو علي وهو حامي ظعننا من كل هايش

لانه جعل رمحه عَلَى باب تونس فهذا ما هو ذنب يا مير طايش
حريمنا بعثوا البراقيع لدياب ليدعى ابو سعدا بدمه يشالش
وجانا عَلَى خضرا وجندل عدونا واخذ ثارنا في ماضيات الطرايش
قوموا بنا نقسم بلاد الزناتى ونادوا بالاطمنان والعيش عايش

قال الراوي فلما فرغ من كلامه تقدم الى دياب وقال له يا ابن العم العين لا تعلو فوق الحاجب قوم حتى نركب حسن عَلَى الكرسي ونقسم البلاد فعند ذلك قام دياب ومسك حسن واخذه ابو زيد بياطه وقاموه عَلَى التخت واجلسوه وتقدم الامير دياب واشار يقول

يقول الفتى الزغبي دياب ابن غانم والنار من جوا الضلوع شحونها
ايا بو علي لولا دياب ابن غانم غدا طعنكم بحريب الزناتي رهونها
ولما قتلت الهيدبي وانت شاهد وابو زيد حاضرها كيف تنكرونها
طعنته رميته والقنا يقرع القنا وبيض العذارا شاخصات عفونها
وملكتم نجد العدية وارضها وقفت بها بيض العذارا يفتنونها
تكاونت انا والزناتى خليفة وما تعلم الارواح من هو زبونها
وقد راحت الخضرا وشتت بها النيا من طول عمري للعدا اصونها
وجاءوني بني هلال وعامر وجاءوني بنات هلال يندبونها
وجابوا القماش الحرير العالى وجاءوا الى الخضرا يكفنونها
حفرت لها بالارض قامة ومثلها خايف وحوش البر ينهشونها
ان مت بالله ادفنونى بجنبها في وسط روضة موضع ان دفنونها
عسى نلتقي يوم القيامة جميعنا واقبل الخضرا وامسح عيونها

فلما فرغ الامير دياب من كلامه فاعتذر له الامير حسن وقال له يا امير دياب الخطا يقع من قلب الصواب والخضرا خذ عوضها مدينة تونس من غير حساب واقسم لك ثلث الغرب الذي تريده انا مثلك وابو زيد مثلي فحضروا جميعهم الديوان تقاسموا الجميع بالاسوة من دون تونس الى الامير دياب من غير حساب وانصرفوا عَلَى هذا الحال اما الامير مرعى فانه اجتمع مع ابوه وسلم عليه ووقعت الافراح وذهبت الاحزان وعملوا الولائم وذبحوا الاغنام الا الخاص والعالم ونادوا بالامان في جميع البلدان وسلطنوا العلام عَلَى قابس ومكناس وتلك البلاد وبعد ذلك امر الامير حسن في بناء قبة عظيمة عَلَى قبر الزناتي وامر باحضار الحفارين والنجارين والمرخمين والدهانين وجميع ارباب الصنائع ان يبذلوا المجهود في تزيين تلك القبة عَلَى قبر الزناتي وان يكتبوا عليها اسماء الله الحسني فزينوها بالفضة والذهب وصنعوا له مشهداً ومزاراً

الى هنا انتهى الكتاب التاسع عشر وفيه انتهى ديوان الزناتي خليفة ويليه الكتاب العشرون يتضمن ما جرى من الحوادث لبني هلال بعد قتلهم الزناتي وتملكهم بلاد الغرب فلتطلب الاجزاء الآتيه التي

تشتمل عَلَى تملك السبعة تخوت والاربعة عشر قلعه بعد

قتلهم اخو الزناتي وقصص اليتامي وقتل سعدا بنت

الزناتي وقتل ابو زيد ودياب والامير حسن

لنهاية حياة امارة بني هلال بالتمام والكمال

الكتاب العشرون

﴿ من تغريبة بني هلال ﴾

من بعد قتل الزناتي خليفه

وهو يتضمن عَلَى قصة الامير صبرا ابن الامير

ابوزيد وقتل العلام ابن عم الزناتي

وتملك سبعة تخوت بلاد الغرب

والاربعة عشر قلعة

تطلب من مكتبة الترقي خاصة

جرجي وسليم زيني

طبع بمطبعة الاتحاد لصاحبها شكري انطون الخوري

بيروت سنة ١٩٠٩

تقدم في الكتاب التاسع عشر بان دياب قتل الزناتي خليفة وتولى مكانه الامير حسن وقد امر البناوون ان يصنعوا مشهداً ومداراً على قبر الزناتي وتقاسموا البلدان الامير حسن والامير ابو زيد والامير دياب وولوا العلام على قابس ومكناس : هذا ما كان من امر بني هلال واما ما كان من قوم الزناتي وهم الامراء وائل ومحمود وزائد وغيرهم من الحكام الذين يحكمون على سبعة تخوت بلاد الغرب والاربعة عشر قلعة لما سمعوا بتسلطن العلام وقتل الزناتي هاجوا وماجوا والتمت القوم من جميع جزائر الغرب واتوا الى ملكهم وكان يدعى ناصر وهو اخو الزناتي وكان حاكم على الاربعة عشر قلعة وعلى سبعة تخوت بلاد الغرب فدخلوا عليه وقبلوا الارض بين يديه واخبروه عن بني هلال وعن قتل الزناتي خليفة اخيه فهاج وماج ورغرغ وضاج واسودت الدنيا في عيناه وحالاً امر في تجهيز العساكر والابطال وارسلهم الى عند العلام ليتهيا الى حرب العربان فلما وصلوا اليه ودخلوا عليه قبلوا الارض بين يديه وبكوا على ملكهم الزناتي واظهروا له الحزن والهم والكدر والغم وانهم خسروا ملكهم الزناتي وقالوا ياذلنا من بعده والله لناخذ بالثار ونكشف عنا العار ونرجع تونس بالسيف البتار لانه ارسلنا اليك الامير ناصر اخو الزناتي حتى تتهيا للحرب والقتال فكان جواب العلام للقوم اني كليت من الحروب والاهوال وليس لي عزم على ملاقاة الابطال والرجال فافعلوا ما بدا لكم وانا امدكم بالاموال وهكذا قر رايهم وارسلوا يعلموا ناصر اخو الزناتي ولما بلغه هذا الجواب اخذ في تجهيز العساكر

في الحال من الغرب الجواني وما مضت مدة الزمان حتى تجهز عنده ستمائة الف مقاتل بين فارس وراجل فنهض بهذا العسكر الجرار الذي هو مثل موج البحار وقصد بني هلال ومازال سائر حتى قارب اطراف تونس . هذا ما كان من هولاء واما ما كان من الامير دياب فانه دخل يوماً على قصره اي قصر الزناتي فوجد سعدا تبكي وتنوح من فؤاد مجروح على فقد ابيها وعلى فراق مرعي ويحي ويونس لما كان عندها من الحب والهيام ومزيد الشوق والغرام فلما نظرها الامير دياب على هذا الحال حياه بالسلام فمال اليها وزاد غرامه فيها واراد ان ياخذها زوجة له فقال لها طيبي نفساً وقري عيناً حيث انك صرت في ملكي وتحت حكمي فاريد ان اخذك لي زوجة مطيعة ولاوامري سميعة واشار اليها يقول وعمر السامعين يطول

يقول ابو موسي دياب ابن غانم ... ولي عزم في الهيجا كليث رهيس
ولي عزم امضى من حسام اذا سطا ... وماني ردي الاصل ماانا خسيس
الا فابشري ثم ابشري بابن غانم ... انا صرت حاكم في دريد وقيس
الا ياسعدا قري وافرحي ... وانا صرت بعلك دون كل رئيس
عليك امان الله ما دمت سالم ... على ظهر شهبا قائمة البرجيس
فلا تحزني من بعد خوفك وافرحي ... انا هو دياب الخيل يوم عكيس

فلما فرغ دياب من كلامه وسعدا تسمع نظامه اغتاظت الغيظ الشديد الذي ما عليه من مزيد واشارت اليه تقول

تقول سعدا بنت سلطان تونس ... سطا البين وتعدى علينا ومال

يا زمان المضى وراح وانقضى   تعال الينا يا زمان تعال
يا مين يرى سعدا وابو خليفة   زمان اعتدال الدهر قبل ما مال
انا كنت اميرة بنت امير واميرة   وقصري عَلَى شرافتين طوال
ذنبي برقيتك يا دياب ابن غانم   قتلت والدي بالصارم الفصال
تقتله وتريدني لك حليلة   فهذا منك يادياب ضلال
فان اخذتني يامير عميت نواظري   فاني اعجل لروحي بشنق حبال
ولا الناس يقولوا اخذت عدوها   ولا اتسبك لي يادياب رجال
ولا اريد الزغبي دياب ابن غانم   الا مقطع فوق روس جبال

قال الراوي فلما فرغت سعدا من كلامها والامير دياب يسمع نظامها فاسودت الدنيا في عينيه كالظلام وقال لها عليّ تتجاسري في هذا الكلام يا بنت اللئام وحينئذٍ امر عبيده بضربها وان يشغلوها الاشغال الشاقة ويطحنوها الملح ويلبسوها الملابس الخشنة وتركها ومضى. ففعلوا كلما امرهم به وبقيت عَلَى هذا الحال مدة عشرة ايام وفي اليوم الحادي عشر دخلت عليها نافلة اخت الامير دياب. فلما رأتها عَلَى هذا الحال سالتها عن حالها وما جرى لها فاخبرتها سعدا عن ظلم الامير دياب وكل ما جرى لها واشارت سعدا تخبر نافله بهذا القصيد وتقول

تقول سعدا بنت امير تونس   وتجري دموعي فوق خدي عوابر
ابكي عَلَى ابويي الزناتي خليفة   وعَلَى قومنا راحوا بحد البواتر
ميرنا وعوننا يوم حربنا   وفارسنا عند اختلاف العساكر
يوم التقى يانافلة ابن غانم   ولابس ملبوس كثير المفاخر

وتصادموا الاثنين في حومة الوغا وصار غبار الخيل للجو طاير
اصيب بحربة من يمين ابن غانم فحكمت له بين العيون النواظر
ولما قتل ذلت اجاويد قومنا وراحوا كما الطير بالجو طاير
ودياب يريداني اكون له حليلة ويقتل ابو يي فوق خيل ضوامر
فوالله ليس بخاطري ان اقابله ولست انا ارضاه والرب حاضر
بكيت على دهري الذي قد خانني ومن حين ولوا ماجبر لي بخاطري
ويا ما جري من بعدكم يا خليفة طحنت الملح مساء وباكر
ويا من يعزيني علَى فقد والدي ويوضع سعدا في لحود المقابر

فما اتمت سعدا كلامها الا والامير دياب صار امامها وكان قد سمع منها الخطاب لانه كان واقف خلف الباب فامر غلمانه ان يزيدوا عليها الاشغال ففعلوا كما امر وبقيت علَى هذا الحال مدة خمسة عشر يوم وهي تبكي وتنوح من فوءاد مجروح وكان اكثر بكاها علَى ان مرعي نسيها وما عاد افتكر فيها وكان عندها عبد من جملة العبيد اسمه مرجان كانت تعرفه لانه من عبيد ابيها فاستدعته اليها وقالت له مرادي ان تاتيني بقلم وقرطاس ودواية من نحاس لان مرادي اكتب الى الامير حسن كتاب فقال لها علَى الراس والعين واتاها بما طلبت فاشارت تكتب وتقول

تقول فتاة الحي التي خاب ظنها سعدا التي خانت ابوها وراح
يا غادياً مني علَى متن ضامر اذا ما مشي يسبق هبوب رياح
فحين وصولك للهلالي قول له يا كامل المعروف والاصلاح

تسيت الصغيرة ياهلالي ابو علي ومعكم ترى ما قد فعلت قباح
الا فاذكروا يوماً اتونا اولادكم الى الغرب رادوها براي فلاح
ارادالزناتي ان يشيل روسهم ويريد يخطف منهم الارواح
تشفعت فيهم ثم جاؤوا بنعمة ولولاي كانوا قد غدون شراح
قد قال لي مرعي آخذك لي حليلة وحياة راسك جد غير مزاح
نظرتم ابويي كيف باد جموعكم وكان عليكم بالرضا نطاح
فجازيته بالقتل يا مير لاجلكم وسري لكم يامير صار مباح
فانا التي ملكتكم ارض تونس وخنت ابويي ذاك مات وراح
فقال دياب اخذك حليلة فابيت امره يا حسن وقباح
فاخذني دياب وحطني في مذلة وتضربني عبيده في مسا وصباح
واحمل على ظهري الحطب يا ابو علي واملي جرار الماء بالاتراح
وذلك اليوم اذرى حالتي ابن غانم يعاملني بالشر كل صباح
رميتموني يابن سرحان ابو علي فكيف تجازون المليح قباح
نسيتموني واني ما نسيتكم وفيت بعهدي جد غير مزاح
مرادي ان اكون بقربكم يا ابو علي واخدم تختك في مسا وصباح
تقول فتاة الحي سعد التي شكت وفي القلب نيران وهب رياح

فلما فرغت سعدا من تحرير الكتاب طوته واعطته الى النجاب فاخذه وسار الى الامير حسن ففضه وقراه وفهم رموزه ومعناه فحينئذ اغتاظ من الامير دياب وارسل وراء الامير ابو زيد فحين وصوله اعلمه بما حصل لسعدا من الاول الى الاخر فقال له ابو زيد ما تقدر تجازي

سعدا الا بواسطة قسمة البلاد وفي ثاني الايام ركب الامير حسن والامير ابو زيد مع جماعة من الفرسان وتوجهوا نحو الامير دياب ولا زالوا سائرين الى ان وصلوا اليهِ فسالوا خاطره وسلموا عليهِ فالتقاهم الامير دياب بالترحاب والاكرام واجلسهم باعز مقام واشار يترحب فيهم ويقول

يقول الفتى الزغبي دياب ابن غانم ... اهلاً وسهلاً باصحاب الدار

اهلاً بمن قد شرفوا لمحلنا ... ابو زيد والسلطان والامار

اهلاً بسلطان الاعارب جميعهم ... مقري اليتامى في سنين عسار

فلما فرغ الامير دياب من كلامه شكروه الامارة عَلَى نظامه وبقوا في ضيافته ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع قال الامير حسن للامير دياب مرادنا نقسم بلاد الغرب فقال دياب الامر لابو زيد فقال ابو زيد انتم مرادكم قسمة بلاد الغرب فان قدامكم مصاعب ومتاعب كثيرة فانكم ملكتم تونس وهي من جملة المملكات والباقي سبعة تخوت يجلس عليها سبعة ويحكمون عَلَى اربعة عشر قلعة ثم اشار يشرح لهم ويقول

يقول ابو زيد الهلالي سلامي ... الاجواد ما تنقل كلام معاب

تونس ملكتوها بحد سيوفكم ... ملكتوها من سائر الاجناب

فكيف يكون الراي يا امير ابوعلي ... فابدي لنا رايًا يكون صواب

فهذه اربعة عشر قلعة يابو بريقع ... مداين وتسعين لها نواب

اوّلهم كويج انا انبيك عن الخبر ... وبرج الاسمعلي حصين الباب

ابجه وبرنيجه وطنجه وطبنجه	تجدد الى من شعر راسه شاب
هولاء سبعة يابن سرحان ياحسن	وانبيك عن الباقي من الاعجاب
ولهم قابس مع سرت يا حسن	وفي مغرواه شغب يا احباب
ياتيب ما حازوه الا الذين مضوا	بروج وحصون لها ونواب
تر لقيروان مـا تشتهي النفس	من الخوخ والرمان والعناب
والاندلس يا اميرما شفت مثلها	وفيها حصون مغلقة الابواب
يوجد فيها دور كلهـا من نحاس	ومرصع الابواب والاعتاب
على الصور صورة طير ياامير جالسة	وهي ذهب من اعجب الاعجاب
بمنقار متخلص بمخلاب منفرد	وطابق علي ذا الصور بالمخلات
وان اتت اقوام تطلب حربهم	يدور بعسكره كما الدولاب
وان جاء يزعق ولكن زعقته	تزلزل مدينتهم مع الاعتاب
تطلق مدافع من علي السور ياحسن	وترمي بنيران تزيد لهاب
فالفرس والعربان عنها عاجزة	سلطانها حماد قرم مهاب
وكان السبب باصل تاسيس ملكها	عجب من عجب واعجب الاعجاب
وكان الملك يسمى سليم ابن مرعي	عالي عماد المجد والاعتاب
هذا خليفة كان في العرب قائمـاً	في العرش تحسبه كسبع الغاب
على الزناتى صال حتى خافه	وحتى الملك ولى علي الاعقاب
بلاقي الرصد يعلو السور كالجبل	علماً بان هـذا دليل عجـاب
غاروا علي القلعة وبطشوا بالملك	ثم بعده داروا عَلَى النواب
وقطعوا امارتهم وقتلوا كبارهـا	وملكوها من سائر الاجنـاب

وقلعة زواره قط ما شفت مثلها   ملكها الملك حماد كليث مهاب
وتراه وسط الحرب قلاً راكبا   وتارة يركب لسبع الغاب
فذ الاربعة عشر قلعة اعطيتكم   ووصفتها اليكم بحسن خطاب

فلما فرغ ابو زيد من نظامه والامير حسن والامير دياب يسمعون كلامه وبينما هم في مثل هذا الخطاب والا مقبل غليهم العبد مرجان ابن ابو القمصان مخضب بالدماء ومهشم الاعضاء فسالوه ما الخبر ماذا جري غليك فقال لهم ان الشباب قد هلكت وقد نزلت عليهم قوم الامير ناصر اخو الزناتي الذي من تحت يده سلاطين سبعة نحوت بلاد الغرب وان كان لا تدركوهم بسرعة الحال والاذاقوا الوبال وجعل يخبرهم بهذا القصيد عما جري له ويقول

يقول الفتى مرجان والقلب ذايب   لفقد الاماره مع شباب هلال
سرحنا بعون الله للصيد والقنص   نقنص وحوشاً بالفلا وجبال
لاقي الى قوم الامير ناصر   ومعهم الفتى العلام والابطال
زلوا علينا ثم رادوا لقتلنا   فحاطوا علينا يمين ثم شمال
وان كنتم لا تدركوهم بالحال   والا راحوا تحت تل رمال
هذا ما اخبرتكم يا هلالي   وقلبي انا صاير له بلبال

فلما سمع الامير حسن هذا الكلام صار الضياء في عينيه ظلام كذلك الامير ابو زيد والامير دياب اغتاظا الغيظ الذي ما عليه من مزيد وفي الحال دقت طبول الحرب واجتمعت عند الامير حسن فرسان الطعن والضرب فاخبروهم بهذه التخابير واعلموهم بما جرته

التقادير فهاجت الابطال واستعظمت تلك الاحوال وركبت جموع بني هلال للحرب والقتال وفي مقدمتهم العبد مرجان ابن ابو القمصان وخلفه الامير دياب والامير ابو زيد ليث الغاب وما زالوا سائرين يقطعوا البراري والقفار فهذا ما كان من هوءلاء واما كان من شباب بني هلال وهم موسي ابن الامير دياب وصبره ابن الامير ابو زيد واخوته شيبان ومخيبر فانهم كانوا خرجوا للصيد والقنص ومعهم عشرة من اولاد الاماره وبقيوا مدة ثلاثين يوم يجولون في البراري والقفار والسهول والاوعار يقنصون من الوحوش والاطيار وبسبب التقادير بينما هم بالصيد اذ وصلوا الى عين يقال لها عين توزر فنزلوا عن خيولهم لانهم كانوا تعبانين وجلسوا على شاطيء النهر فقام البعض منهم يوقدون النار والبعض يذبحون الغزلان وهم في ارغد عيش واهنا بال والا بقوم الامير ناصر والعلام مقبلين عليهم وهم مثل الجراد المنتشر لا يعرف هم اول من آخر وكان السبب بقدوم ذلك العسكر الجرار هو ان الامير ناصر والجابلي ابن مقرب اتوا ليأخذوا بثار الزناتي واخذوا معهم العلام بالحيلة لانه كان مختبر تلك الاراضي ولسبب التقادير صادفت طريقهم على عين توزر فالتقوا بشباب بني هلال فاحاطوا بهم من اليمين والشمال فحينما راى الامير صبره والامير موسى ابن الامير دياب تلك الاعداء احاطت بهم من كل جانب ومكان صاحوا على ارفاقهم ياشباب اركبوا ودونكم ريشة الخيل من امام قبل ماتدركنا الاعداء والدشمان فحينئذ ركبت الاماره ظهور المهاره وتقلدوا بالسيوف والنصول وهجموا على

تلك الفرسان وابلوهم بالذل والهوان ونزلوا عليهم بضربات قاطعات تهد الجبال الراسيات وفرقوا الميامن على المياسر حتى ما كان الواحد منهم يعرف الآخر وقتلوا منهم مقتلة عظيمة جسيمة وبقيوا على هذا الحال لحين الزوال فافترقوا عن بعضهم البعض والاماره جمعوا حالهم في تلك الارض فوجد صبره مجروح وشيبان اخو صبره مقتول ومرجان ابن ابو القمصان مفقود لانه غير موجود وبقيوا يحرسوا بعضهم بعض الى ان اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح واشرقت الشمس على روس الروابي والبطاح فلما نهض الامير صبره من النوم وجد عساكر الاعداء حايطينهم من كل جهة ومكان وصاروا يشجعوا بعضهم البعض فركبوا على ظهور الخيول وتقلدوا بالرماح والنصول وهجمت عليهم قوم الامير ناصر فالتقوا الابطال والجنود كانهم الاسود ولا زالوا في اخذ ورد وقرب وبعد وضرب شديد يشيب روس العبيد ولا زالوا على هذا الحال مدة عشرة ايام وفي اليوم الحادي عشر هجموا الجهال عليهم من كل جهة ومكان وابلوهم في الذل والويل ونزلوا عليهم في طعنات قاطعات وضربات ماضيات وحرب شديد يشيب الطفل الوليد حتى ان الجهال قتلت من عساكر الامير ناصر مقدار خمسة الاف فارس وفي الثاني كانت الاماره وملت وقل عزمها واضمحلت فاحاطتهم عساكر الامير ناصر من كل مكان ونزلوا عليهم بضربات مثل زخ المطر وكانت واقعة عظيمة ومقتلة جسيمة لان قوم الامير ناصر كانت دائماً تاتيهم النجدات من البلاد ومن السبع تنوت وقتل بتلك الواقعة ثمانية من

جهال بني هلال وقبضوا علي الامير صبره وقادوه بالسلاسل والاغلال واحضروه قدام اميرهم العلام فلما راى صبره هذه الاحوال وانه وقع مع الاعداء فالتفت الى العلام وقال لقد ضيعت العهد والميثاق وصرت من اهل الشقاق وانشد يقول

مقالات صبرا عندما عجل القضا ... ولله كل الامر والتدبير
يدبرنا مهما يريد ويصنع ... ومنه العطاء والخير والتيسير
فاسمع كلامي اليوم يابو عديه ... وكن حليماً لا تكون مجير
ولا تتبع الشر الردي مع فعايله ... تندم وتخسر يامير كثير
انا ياعلام لو كان جوادي ... اركب علي ظهره واجيك مغير
وتاتوني واسع المجال مع الضحى ... بضرب الصوارم مثل برق منير
انا خايف خبري يصل لاهل عامر ... يقولون صبرا في عداه مجير
فبالله لا يا علام لا تقتلوني ... خلفي فوارس في الحروب تغير
فبالله يا علام لا تقتلوني ... قتلي يقيم الشر والتكدير
وخلفي يجي حسن الهلالي ابو علي ... ربيع المعايا والسنين عكير
وخلفي ابو يحي ابن رزق سلامه ... ودياب ابو موسي ونعم امير
باكر يجوكم طالقين سروعهم ... ويبدل زمان العز بالتكدير
وتبقى السلايل ما لها من يلمها ... وتبقى الفوارس في عنا ومجير
يبيدوا امارتكم ويفنوا جموعكم ... ويخلوا دماكم عَلَى الاراضي يسير
تبدي علام الزناتي وقال له ... وانا في مقابلة الرجال خبير
ياما فعلت من الجميل مع والدك ... وانقذت من كل امر خطير

باطلقته من قوم زناته وحمير — من بعد ما قاسي بلاء خطير
واعدني بالمال والخير والعطاء — وخاص الذخاير مع لبوس حرير
راح يجيب المال بجلب رفاقته — اربع تسعينات الف امير
نزلوا علي ارض لنا وبلادنا — وقتلوا ابن عمي كان نعم امير
والله يا اهل البغي لا اقتلكم — واجري دماكم علي التراب تسير
حرمكم قعدة علي عين توزر — وانا اليكم في الحروب اغير
قال الفتى العلام ولد غضيه — وقعت وما لك من خلاص مجير

فلما فرغوا الاثنين من كلامهم امر باطلاقه لانه كان معاهد الامير ابو زيد فلما لحظ الامير الجايلي فعل العلام فقال له يا [...] لماذا هذه المطاولة فاخذوا بثار الزناتي لانه ابن عمك وهو من [...] ودمك وقد قتلوا منكم اضعاف فسحب الجايلي الخنجر بيده [...]ب صبره في صدره طلع يلمع من ظهره وقال للفرسان الذين حواليه [...]هم وارفاقه الذين في الميدان فوجدوا موسي ابن الامير دياب واقع [...]لة من الفرسان ونازلين عليه بضرب مثل زخ المطر وهو يدافع [...]نفسه من حلاوة الروح ويقول يا ابو زيد يا حامي الميدان لو تكن [...] اين عينيك يا ابوي دياب تراني وتخلصني من هولاء الانذال [...]هو في ذلك الحال ورايحين يقتلوه والا يبارق بني هلال [...] والسيوف لمعت والعساكر نفذت وفي اولهم الامير دياب [...]ي زغبي وخلف الامير ابو زيد مع بني زحلان وكان [...] في مجيئهم بان مرجان ابن ابو القمصان اخبرهم بذلك الشان

وعند وصولهم نظروا العساكر قد ملات تلك الارض في الطول والعرض فوجدوا الامير موسي ابن الامير دياب بينهم علي حالة الردي فلما نظر الامير دياب هذا الحال صاح عَلَى الابطال وهجم عَلَى الاعدا من الميمنة وابو زيد عَلَى الميسرة وبقية الرجال هجموا على اعدائهم بقلوب قوية وهمم عليَّة وتقدم الامير سرور ابن القاضي بدير نشل الامير موسي من بين الاعداء وقبله بين عينيه وهناه بالسلامة ثم اخبرهم عما حصل لهم من الاول الى الآخر وعن قتلة صبرا وشيبان ثم ارتدوا علي الفرسان بالسيف والسنان فما كنت تري الا الخيل غاير والروس طايرة والدما فايرة والفرسان بانفسها حايرة ودارت علي قوم الامير الجابلي الدايره وبقي الكون عاقدوا بليس راقد والريق جامد وما تسمع الا قعقعة السلاح ودرز الرماح وبقيوا علي هذا الحال الى ان قبل الزوال فباتت بني هلال في تلك الارض يحرسوا بعضهم الى ان قبل الصباح واضاء بنوره ولاح واشرقت الشمس علي روس الروابي والبطاح • فوجدوا الاعداء حايطينهم من كل جهة . ومكان ومرادهم ان يكبسوهم لان قد اتتهم النجدات من جزائر الغرب وتلك الجهات وسقطوا علي بني هلال • من اليمين والشمال • ونزلوا عليهم بطعنات قاطعات • وضربات ماضيات • وكثرت الاهوال علي بني هلال • وشتتوهم في تلك الروابي والجبال حتى انكسر بني هلال سبعة مراحل الى الوراء فحين امسي المساء اجتمعت الفرسان الى عند الامير دياب وقالوا له كيف الرأي يا امير دياب فقال لهم الراي عند الامير

ابو زيد فحينئذ افتكر ابو زيد بقتل ابنه صبرا فهاجت براسهِ الحمية ونخوة العرب الجاهلية وصاح علي الفرسان انشاءالله غدا ننزل اليهم بالسيف البتار ونلحقهم الدمار وناخذ منهم ثار الامير صبرا وصار يحمسهم علي قتال الابطال ويقول

يقول ابو زيد الهلالي سلامي بدمع جرى فوق الخدود وسال
الآن وقت الطعن في سمر القنا ضرب الشواكر وسيوف نصال
الا فرجعوا ردوا الاعادي بعزمكم بعزم قوي يهلك الابطال
ولاقوهم بالسيف وبيدوا جموعهم وحلوا دما الاعدا كسيل سال
وخذوا بثارات الامارة جميعهم بقوتكم يا ساير الابطال

فلما فرغ ابو زيد من كلامه ثارت في روس الابطال نخوة الرجال وفي الصباح اصطف الجيشين والتقى العسكرين ونصبوا سوق المجال فانحدر ابو زيد الى ساحة الميدان وطلب مبارزة الفرسان فسقط اليهِ الامير الجابلي كانه قبة من القلل او قطعة فصلت من جبل وصدم ابو زيد صدمة تزعزع الجبال فاشار ابو زيد يتهدد الجابلي ويقول

الا ما قال ابو زيد الهلالي انا ليث المعامع والجدال
انا ليث الحروب بكل وقعة افرجها اذا وقع القتال
الا يا جابلي اسمع لقولي ورد عليَّ شعراً مع مقال
اعلم انني ليثٌ قديرٌ عريس الخيل هزام الرجال
ولي قلب كما الصوان ثابت اكيد الخصم حقاً لا ابالي

الا يا جابلي دونك هماماً تقطع همته صم الجبال
الا يا جابلي صبرا قتلته وشيبان الفتى حامي المجال
وابن ابو العوف مع كامل ومكمل تقد سيوفهم جثث الرجال
وحق الله خلاق البرايا اله دائم في الملك عمال
لاقطع حمير واسبى نساهم وابلي القوم في يوم القتال
واقطع جنسكم يا آل حمير ولا ابقي رجال ولا عيال
واخذ ثار شيبان وصبرا واجري دمكم فوق الرمال

قال الراوي فلما فرغ الامير ابو زيد من كلامه انحدف عليه الجابلي من غير رد جواب وصاروا يتجاولوا في الحروب والصدام مدة من الزمان حتي زاد الجابلي عَلَى ابو زيد في الحرب والصدام كما زاد كانون الشتاء في الرعد وكلما فتح الامير ابو زيد باب من الحرب يسده عليه الجابلي حتى سد عليه اثنين وسبعين باب من ابواب الحرب و بقيوا عَلَى هذا الحال الي وقت العصر فصاح الجابلي عَلَى ابو زيد وضربه بالرمح راحت الضربة خايبة بعدما كانت صايبة فتني عليه بالسيف فاخذها بتارقة البولاد فانكسر السيف شقفتين فحينئذ تعدل الامير ابو زيد عَلَى ظهر الحمرا وقال خذها من يد الامير ابو زيد صاحب المكر والكيد فارس العرب والعجم والترك والديلم . وضربه بالرمح فقلب الجابلي تحت بطن الجواد فراح الضرب خايب فتنى عليه بالسيف القرضاب فحكم عَلَى محكم الرقاب فاخذ الراس والخاصرة سوي وسقط السيف عَلَى الجواد فقطعه قطعتين فمالت الابطال عَلَى الابطال من اليمين والشمال

حتى ضعفت قوم الجايلي لمارات ملكهم قتيل وفي دمه جديل فحل بهم
الدمار واركنوا الى الهزيمة والفرار · ولا زالت بني هلال تضرب بهم
بالسيف البتار ولا حقينهم في تلك البراري والقفار حتى كادت ان تمحي
منهم الاثار · الى ان اوصلوهم الديار · وكان قد ولي النهار · واقبل
الليل بالاعتكار فباتوا الفريقين يحرسوا بعضهم البعض الى وقت الصباح
نزلوا الى الحرب والكفاح · فنزل الامير دياب الى الميدان · وعرض
وبان بقلب اقوى من الصوان وطلب مبارزة الفرسان فانحدر اليه
الامير ناصر واخذوا في الحرب والصدام الى نصف النهار فثار الامير
دياب عَلَى الامير ناصر وضربه بالسيف فخلا منه فاتت عَلَى رقبة الجواد
فبرته كما يبري الكاتب القلم فوقع ناصر عَلَى الارض فانحدر العلام امام
الامير دياب بقلب لا يهاب فنزل الامير ابو زيد الى العلام خوفاً من ان
يقتله الامير دياب لانه كان معاهد هو واياه في سنة الزيادة فصار
يتجاول هو واياه فضرب الامير ابو زيد راس جواد العلام فاوقعه عَلَى
الارض فاتت قومه واركبته جواد آخر وصار يتجاول هو واياه الى
وقت الغياب وفي ثاني الايام نزلوا الى الحرب والكفاح وبقيوا عَلَى هذا
الحال مدة عشرة ايام وكان كل يوم يقتل له جواد ويحاربه الى آخر النهار
حتى ضجرت العرب من قتالهما فحينما افترقا عن القتال اتت الجازية الى
امارة بني هلال والامير ابو زيد وقالت له لماذا هذه المطاولة ايها الامير
صبرا قد قتل بواسطة العلام وقد قتلوا منا تسعين امير من امارتنا
حينئذٍ التفتت الجازية نحو امارة بني هلال وانشدت تقول

تقول فتاة الجازية ام محمد الا فاسمعوا لي يا هلال الاكابر
ابو زيد للعلام ينزل يحاربه من الصبح لما الليل يسود داكر
فينزل يحاربه ويقتل جواده ويترك العلام عَلَى الارض حاير
لانه حالف عمره ما يخونه ومتعاهد واياه والعهد ظاهر
ولو يحاربه مدي العمر يا بطل مايقتله ابداً ولا له يقاصر
ولو مات منا كل يوم قبيلة فما زال ابو زيد عَلَى العهد ساير
وربي علمت القوم كامل بماجري فاني اقول الحق والحق ظاهر
الا فاسمعوا لي يا اماره جميعكم وبكره ان اتي العلام للحرب ذاير
ورايتم ابو زيد الهلالي يحاوله فصيحوا عَلَى العلام واعوه شطاير
وادعوا عَلَى الغبره قتيل مجندل في ثار صبره عز قيس الاكابر

فلما فرغت الجازية من كلامها والاماره يسمعوا نظامها فانتبهوا الى ما كانوا عنه غافلين فحينئذٍ اتجمع عشرة من امارة بني هلال وضربوا الراي بعضهم عَلَى انه في الغدا اذا نزل ابو زيد للعلام فيجتمعوا العشرة ويضربوا العلام بعشرة رماح سوى حتى لا يوقع اللوم من ابو زيد عَلَى احد الاماره لانه معاهد هو والعلام ففي ثاني الايام نزل العلام الى المُيدان فبرز اليه الامير ابو زيد فلما رات الامارة من ابو زيد هذه الاحوال هجمت عَلَى العلام من اليمين والشمال وضربوه بالعشرة رماح فوقع قتيل وفي دمه جديل فحزن الامير ابو زيد عليه ورجع الفرسان من حواليه وتقدم اليه وقبله بين عينيه وكان قد اقبل الظلام ودقت طبول الانفصال فاخذه الى الخيام ورجع الامير ناصر وقومه

ن نازلين خسرانين علَى فقد العلام واما ابو زيد حمل العلام الي الخيام فحينئذ فاق العلام من غشوته وانشد يقول

يقول الفتى العلام ولد غضيه فهذا الذي قد كنت به موعود
خبرتك هنا الا يا سلامه سنة الزيادة حين اتيت ترود
ضرب ملاحم ناطق الشكل صايره ورضيت باحكام العلي المعبود
عرفت ان ذا يجري الا يا سلامه وحق الذي قد لان له الجلمود
يا سلامه الغرب عادت منازلك واحكم بحكم الله ليس عنود
الذي خاين وعايب علَى العرب وخنت مواثيق بيننا وعهود
رماني ربي الاله بما حصل وامسيت من فوق الثرا ممدود
ين اوصيك وصيت يا سلامه اذا مت غسلني بماء برود
وادرجني بالقطن والطيب والكفن واودعني بيدك عميق لحود
وحت ماعاد الرجوع بخاطري وامسيت من بعد الحياة مفقود
شهد ان الله لا رب غيره اله تعالي واحد معبود

فلما فرغ العلام من كلامه تنفس الصعداء وسلم الروح فحزن الامير زيد عليه وبعد ذلك دفنوه بالاكرام وعملوا عليه مناحة عظيمة اكراما لابي زيد فلما سمع الامير ناصر وقومه بموت العلام ودفنه حزنوا حزنا شديداً فولوا الادبار وارتكنوا الي الهزيمة والفرار . فما زالت بني هلال تتبعهم مدة عشرة ايام حتى شتتوهم في البراري والقفار وبعد ذلك اجتمع الامير ابو زيد مع الامير دياب وبقيت الاماره وعملوا مشورة في تلك الساعة . فقال الامير ابو زيد يا امير دياب ان قد صرنا في نصف

بلاد الغرب وقد بعدنا عن حريمنا واوطاننا وحولنا جزائر بلاد الغرب وقد كثرت اعدائنا ومالنا معين علَى المغاربة لان ليس لهم قرار لانهم كثيرين في الديار ونخاف ان يعملوا علينا حيله ويهلكونا لاننا وحدنا بهذه الديار وامامنا اربعة عشر قلعة محصنين فماذا يكون عندك من التدبير ايها الامير فقال الراي عندي يا امير ابو زيد ان نعلم الامير حسن بهذا الشان ونوصيه في المال والعيال لانه قدامنا اربعة عشر قلعة وسبعة تخوت بلاد الغرب فقال ابو زيد لا بأس بذلك ايها الامير فحينئذ ارسل الامير ابو زيد كتاب يعلم الامير حسن بقتل ولده صبري وارذاقه وعن قتل الجايلي وكيف ان العلام خان العهد والميثاق وكيف طغاه الامير ناصر اخو الزناتي وعن الحروب التي حصلت لهم من الاول الى الاخر وسلم ذلك الكتاب النجاب فاخذه وسار يقطع البراري والقفار الى ان وصل الامير حسن وسلمه الكتاب فضه وقراه وعرف رموزه ومعناه وقال انا لله وانا اليه راجعون فحينئذ استحضر بقلم وقرطاس وجعل يخبرهم بهذا القصيد ويقول

يقول حسن الهلالي ابو علي ... والنار في قلبي تهب وتشتعل
حركت عندي يا هلالي ساكنا ... واصبحت من هذا الكلام في وجل
فان احتجت الدياب بالعجل ... تلقيه يجي لك مثل قطعة من جبل
وان احتاج اليك انت فروح له ... في عسكر من فوق خيل بالعجل
وانتم سيروا يا سلامه فانني ... داعي لكم طول الزمان ولم ازل
ان شاء اله العرش ان ينصركم ... ويحميكم بالالطف وبلوغ الامل

...ه يفعل ما يشاء بخلقه ويجيب دعا عبداً حقيراً اذا سال
...يا هل ترى ان عاد الزمان بلمنا وتعود لمة وشمل مشتمل

فلما فرغ الامير حسن من تحرير الكتاب ارسله الى ابو زيد فحين وصوله قراه الامير ابو زيد علَى روس الامارة والفرسان ثم قال للامير دياب انت يا امير تتوجه نحو كوبج وتلك القلاع وانا اتوجه نحو قابس وتلك القلاع بشرط ان يكون عليكم سعي وعلي مسعى فاذا ...اد وملكت انا قابس لا ارحل الى ان ارسل اعلمك ويكون الاتفاق علَى هذه الحالة حتى نملك الاربعة عشر قلعة فحينئذ قرئت الفواتح وامر الامير ابو زيد والامير دياب بدق الطبول ونفخ الزمور فركبت الفرسان الخيول وتقلدت بالرماح والنصول فركب الامير ابو زيد بتسعين الف من بني الزحلان وركب الامير دياب بتسعين الف من بني زغبه وودعوا بعضهم البعض فتوجه الامير ابو زيد بمن معه الى قابس والامير دياب بمن معه نحو كوبج وصار الامير دياب في بني زغبي يقطعوا البراري والقفار والسهول والاوعار الى ان وصلوا الى تلك الديار فنصبوا الخيام . ورفعوا الاعلام . فاستدعى الامير دياب بقلم وقرطاس ودواة من الذهب الخالص فاشار يكتب الى الملك والي ملك كوبج ويقول وعمر السامعين يطول

يقول الفتى الزغبي دياب ابن غانم ... حزنه قلبي من ... حرايب
... الثاني على هتك غانم ... [illegible]
[illegible]

ان كنتم تجدوا السلام نجاتكم وتكفوا شرور حرب الامير دياب
تجوني وانتم مطرقون بروسكم تبسوا ركابي وتقصدوا الاطناب
وان كنتم تأبوا فقوموا لحربنا حرب يشيب راس من لا يشاب
فان قامت الهيجا وطار غبارها وجا يومها داقد كمثل ضباب
اجي فوق شهبا يسبق الريح جريها اخلي الدماء تجري كسيل شعاب
فكم من امير ابن امير واميره اسكنته بيدي عفير تراب
سلاطين نجد ارديتهم بعد عزهم وخليت منازلهم يكونوا خراب
وقتلت ابو سعدا الزناتي خليفة وخليت سعدا في بكا ونحاب
فان طعتموني تسلموني جميعكم والا تهيوا لحرب الامير دياب
مقالات ابو موسي دياب ابن غانم اسرع وجاوبني بحسن خطاب

قال الراوي فلما فرغ الامير من دياب من تحرير ذلك الكتاب طواه واعطاه للنجاب وطلب منه رد الجواب فتوجه النجاب نحو الامير وائل فلما وصل اليه وتمثل بين يديه واعطاه الكتاب فاخذه الامير وائل وقراه وعرف مضمونه ومعناه لكن اغتاظ الغيظ الشديد الذي ما عليه من مزيد واستحضر قلم وقرطاس ودواية من الذهب الخاص واشار بكتب الي الامير دياب ويقول

يقول الفتي وائل بعين وجيعه ونيران قلبي اشعلت بالضرايم
ايا غاديا مني على متن ضامر فسلم على الزغبي دياب ابن غانم
وقل له وائل ارسل لك كتابه يقول به شعراً باحسن نظايم
ترسل تهددنا وترسل تقول لنا تعالوا حفايا اختشيت الملايم

وترسل تهددنا بقتل جموعنا — والهلس بين الناس مثل العلاقم
نحنا اماره عندنا خيل مثمنة — ودروع مكنونةوسيوف صوارم
ونحمل علَى العرسان في حومة الوغى — بخلي دماء الاعداء كما بحر عايم
فكم من امير جاء يريد حروبنا — فيفدي مقتولاً بجد الصوارم
انا طالب منك لثار خليفة — لانه ابن عمي من خيار اللوازم
غدا نلتقيكم نحن في حومة اوغا — نخلي دما الفرسان كما بحر طامي
فان قتلتك اخذت ثار خليفة — وندعي دماكم فوق الارض عايم
وان كان تقتلني ولك سعد بالوغى — فامري لمن هو مالك الملك دايم

قال الراوي فلما فرغ الامير وائل من نظامه طوى الكتاب واعطاه الى عبده تلبيس ابن ابليس وقال له ايتني بالجواب فتوجه العبد وسار وجد في قطع القفار حتى وصل لعند الامير دياب فاعطاه الكتاب وطلب منه رد الجواب ففضه الامير دياب وقراه وعرف رموزه ومعناه ثم التفت نحو العبد وقال اخبر سيدك ان ليس له عندنا جواب غير السيف القرضاب وغدا نلتقي في ميدان الحراب فللحال توجه العبد واخبر مولاه بما اجابه الامير دياب فلما سمع وائل ذلك الكلام صار الضيا في عينيه كالظلام وفي الحال امر بدق طبله وتحصين بلده بالمدافع والابطال ونشر رايته في الحال • ولبس درعه المانع • وتقلد بسيفه القاطع وعلا فوق ظهر الحصان • كانه فرخ من جان • او عفريت من عفاريت السيد سليمان وكذلك ركبت الفرسان ظهور الخيول وتقلدت بالرماح والنوصلي وتاهبت الابطال للحرب والقتال وكلٌّ من رفيقه

صاح كانه عزرائيل قباض الارواح وبعد ذلك انحدر الامير وائل الى الميدان عرض وبان وطلب مبارزة الفرسان الفحول وهو يصول ويجول كانهُ الغول فبرز اليهِ الامير دياب حذاف الرقاب فاشار اليهِ الامير وائل يتهدده بهذا القصيد ويقول

يقول الفتى وائل عَلَى ما جرى له ونيران قلبي اشعلت في لهيبها
انا فارس الفرسان في يوم الوغى بيدي اسقي القوم كاس عطيبها
فانتم تعديتم وجيتم بلادنا الى ارض كوبج قصدكم تملكونها
خوذي فوارس يقطع الظاهر عزمهم تقول سباعاً زائدة في عصيبها
فارجع والا يا دياب قتلتكم بطعنات وائل ثم ضرب حديدها

فلما فرغ الامير وائل من كلامه والامير دياب يسمع نظامه اغتاظ الغيظ الشديد الذي ما عليهِ من مزيد حتى صارت عيناه تقدح مثل نار الوقيد واشار يتهدده بهذا القصيد ويقول وعمر السامعين يطول

يقول ابو موسى دياب ابن غانم حماة الخيل سيف يوم الهوائل
فكم قوم انت ترغب قتالي الاقيهم بفرسان جحافل
واشتت شملهم وافني عددهم واخذ خيلهم مالهم وخيلاً سلائل
وانت تهتي وتطلب رجوعي الى تونس بفرسان بواسل
لا بد ما اقتلك واملك بلادك واقتلكم بضربات النصايل

فلما انتهى الامير دياب من كلامه انطبق عليه الامير وائل كانه فرخ العقاب وابتدوا في الحرب والطعن والضرب وقتال يشيب روس الاطفال الى ان تناصف النهار فانهزم الامير دياب من امام الامير

وائل وارتد الى الورا هو وقومه وتبعوه قوم الامير وائل بطعن الرماح وضرب السيوف والصفاح وانطبقت الجيوش على بعضها بعض وانتشب الضرب والطعان من كل جهة ومكان حتى جرى الدم وسال وصارت القتلا كالتلال فكانت وقعة مهولة لا يعرف بها الابن اباه ولا الاخ اخاه ولكن لله در الامير وائل فانهم هجموا على قوم الامير دياب وابلوهم باعظم مصاب وما زالوا منهزمين وقوم الامير وائل لاحقينهم بضرب السيف حتى شتتوهم في تلك الاوعار الى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار وارتدت الفرسان عن بعضها البعض ونزلت قوم الامير دياب المنهزمين في قطعة من تلك الارض وصاروا يجمعون بعضهم البعض فحينئذٍ قام الامير دياب وجمع اكابر قومه وكل من يعتمد عليهم واشار يحمسهم بهذا القصيد ويقول

يقول ابو موسي دياب ابن غانم — امير الخيل فتى ما يعيبها
انتم فوارس ثم قومها — حميتها في يوم يورث عطيبها
وسلطاننا حسن الهلالي ابو علي — تضرب له امثال ما ينثني بها
ثمانين قلعة قد حضرت فتوحها — ولا قلت حتى هامت حصونها
ملكنا من نجد الى قاع تونس — بطعن يورث الاعادي عطيبها
فردوا اطعنوا الاعدا بالسيف والقنا — كمثل سباع زيدات غضيبها
وامحوهم بالسيف وبددوا جموعهم — وخلوا دماهم على الاراضي سكيبها
والا هلكتوا في البراري جميعكم — بسيف الاعادي تخضب بدمها
وتبقوا عارًا بين قيس ومضر — وتشمت بنا الاعدا من صوبها

فلما فرغ الامير دياب من كلامه والامارة تسمع نظامهُ هاجت براس الابطال نخوة الرجال وكثر القيل والقال وفي ثاني الايام برزوا الطائفتين الى الميدان ومحل الضرب والطعان وهجموا عَلَى بعضهم البعض نكثرت الضجات وعلت الصيحات فكانت موقعة عظيمة ومقتلة جسيمة وما عدت تنظر الا الروس طايرة والدما فايرة والفرسان غايرة ودارت عَلَى قوم الامير وائل الدائرة حتي قتل منهم عشرة الاف ومن قوم الامير دياب مائة واربعين وبقية قوم الملك وائل ولوا هاربين والي النجاة طالبين فتبعوهم قوم الامير دياب وشتتوهم في البراري والمضارب وادخلوهم البلد وهم في حالة الذل والكد وذلك من سيف الهمام والاسد الضرغام فارس الاعارب والاعاجم الامير دياب ابن غانم وما زال القتال عَلَى هذا الحال الي قرب الزوال فدقت طبول الانفصال فدخل الامير وائل المدينة حزين ليس له معين وخاصة لما نظر عساكره مجندلة وعَلَى الاراضي ممتدة فتقدمت اليه الحجاب والوزراء والنواب وتقدم اليه الوزير الاكبر وقال لهُ غدا ان شاء الله ازل الي الميدان وابليهم بطعن السنان واكفيك شر هولاء العربان بعون الله الواحد الديان واما قوم الامير دياب دخلوا عليه وسالوه عن خصمه فقال لهم انه فارس شديد وقرم عنيد ولكن غدا ان شاء الله انزل اليه واخذ روحهُ من بين جنبيه وفي ثاني الايام لما اصبح الصباح تقلدت الجيوش بالرماح ونزلوا الى محل الكفاح فانحدر الامير دهقان الي ساحة الميدان كانه فرخ جان وطلب مبارزة الفرسان فنزل اليه امير من امارة بني هلال وكان

اسمه المهاب فقال له الامير دهقان من انت من الفرسان وما اسمك فقال اسمي المهاب وصنعتي حداف الرقاب فحينئذ انطبقا علَى بعضهم كالاسود بقلب كالجلمود وتجاولوا مدة من الزمان حتى كلت منهم الزندان وطارت منهم ضربتان ماضيتان وكان السابق المهاب فضرب الامير دهقان بالسيف اخذها بطارقة البولاد فاتت علَى رقبة الجواد برته كما يبري الكاتب القلم فاتاه الامير دهقان علَى جواد اخر وسقط دليه بالسيف وضربه علَى راسه شقه الى تكة لباسه فنزل اليه فارس اخر قتله والثاني جندله والثالث محقه وما زال يجندل فارس بعد فارس حتى جندل خمسين فارس واخيراً نزل اليه الامير دياب وكان ذلك الحين قبل الغياب فتجاول هو واياه ساعة من الزمان حتى عرف دياب قوة الامير دهقان فلاصقه وضايقه وضربه بالسيف علَى هامه ارمي راسه قدامه وحينئذ دقت طبول الانفصال ورجع الملك وائل في حالة الغم والاسف لفقد اخيه الامير دهقان وحين وصوله الى الديار سالوه قومه عن قوة الامير دياب فاجابهم بهذا القصيد

يقول الفتى وائل بعين مريضة ... ونيران قلبي زايدات لهيب
علَى ما جرى فينا وما قد اصابنا ... ولكن تصاريف الزمان عجيب
سقانا الزمان خمرة عتيقة مكررة ... سكرنا بها من بعد عز وطيب
كنا بخير في سرور وفي هنا ... ونلبس الصبايا من حرير رطيب
لنا بعد ذاك العز ذل وحصره ... وحزن يخلي الطفل منه يشيب
تقلب علينا الدهر يا سوء ما فعل ... يقي الزاد ثم الشهد سم زبيب

تلتنا فوارس ما عرفنا صفاتهم   وقادهم اسمه عَلَى اسم الذيب
يسمي ابو موسى دياب ابن غانم   فلله دره من همام نجيب
تلاقيت انا واياه في حومة الوغي   تلاويه في يوم الطراد صعيب
يهمز علينا همز في حومة اللقا   كما سبع كاسر في اللقا غضيب
يخيب ضرباتي ويعطي نظيرها   بطعن يورث في فواد عطيب
غدا التقي واياه في حومة الوغي   بطعن يحير كل فكر لبيب
ان قدر الرحمن لا خطف روحه   وادعيه من فوق الجواد قليب

قال الراوي فلما فرغ الملك وائل من كلامه وقومه تسمع نظامه فوقع الوهم في قومه من الامير دياب واما ما كان من امر الامير دياب فانه رجع الى الخيام فسائره قومه عن الملك وائل فقال لهم لله دره من بطل شديد وقرم عنيد فقالوا له قومه هل يكون اشجع من الزناتي فقال لهم ان الزناتي ما وجد على ارض فارس مثله ولكن الملك وائل اقدر واخبر منه في مواقع الضرب اشطر واجسر وما زالوا في هذا الحديث الى ان اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح فدقت الطبول ونفخت الزمور وركبت الفرسان وانحدر الى ساحة الميدان طالبين الحرب والطعان فلما وقعت العين على العين التقى الامير دياب بالامير وايل فانطبقوا بطعان كانهم جبلين وحام عزرائيل فوق روس الفريقين فتكسرت بينهم الرماح وجردوا السيوف الصفاح ولعبوا بهم الالباب حتى تحتول الشيخ والشباب حتى زهقت منهم الارواح فضربوا بعضهم الاثنين فالتقت في ايديهم السيوف الذي فسحروا المراس فتكسرت بينهم

من شدة العزم ومـا زالوا الاثنين في عيطات مرعبات وصرخات مرجفات وضربات هائلات فيا لهما من بطلين درغامين واسدين كاسرين تعلمت منهم الفرسان ابواب الحرب والطعان وبعد ذلك خرج من الاثنين ضربتين قاطعتين فكان السابق الامير وايل ضرب الامير دياب بالرمح فغطس تحت بطن الشهبا فراحت الضربة خائبة بعد ما كانت صائبة حينئذٍ تعدل الامير دياب وضرب الامير وايل بالسيف عَلَى هامهُ حط راسهُ قدامهُ فوقع الامير وايل قتيل وفي دمهِ جديل قال الراوي فلما رات قوم الامير وايل ملكهم قتيل ولوا الادبار واركنوا الى الهزيمة والفرار فتبعوهم قوم الامير دياب وجردوا فيهم السيف القرضاب الى ان دخل الامير دياب البلد وجمع الاكابر والعمد وجلس عَلَى كرسي المملكة ونادى بالأمان في جميع المدن والبلدان وبعد ذلك استدعى بقلم وقرطاس وكتب الى الامير حسن يخبره بما جرى وصار فلما وصل الخبر الى الامير حسن قراء كتاب الامير دياب عَلَى روس الامارا والسادات وحينئذٍ فرحوا فرحاً شديداً وعملوا افراحاً عظيمة لها قدر وقيمة اكراماً لدياب لانهُ ملك تخت كوبج وارسل حسن نائب من قبله لعند الامير دياب اما ما كان من دياب فانه سلم تخت كوبج الى نائب الامير حسن وتوجه من كوبج وما زال سائر الى ان وصل الى ناحية برج الدمع فهناك امر عسا كره بالنزول ونصب الخيام ورفع السناجق والاعلام وحينئذ احضر قلم وقرطاس ودواية من الذهب الخالص واشار يتهدد الامير كان صاحب برج الدمع بهذا

القصيد ويقول وعمر السامعين يطول

يقول ابوموسى دياب ابن غانم ونيران قلبي زايدة في اللهايب
نعم ايها الغادي عَلَى متن ضامر اذا جيت الى بكار عالي المراتب
فقول له دياب الامير يقول لك حامي العذارى من البلا والنكائب
اذا زادت الهيجا وزاد غبارها اجيكم بطعن مثل لسع العقارب
اذا كان تريدوا للسلام فسلموا والا اباديكم بعظم المصائب
واخرب مدينتكم كما صاب قبلكم وادعي دما كم عالاراضي سكايب
فيا ما جرى في ارض كوبج وما وقع وقتلت وايل كان قرم محارب
فان طعتموني نلتم الخير والرضي وترتاحوا من شر حرب الاعادي

فلما فرغ الامير دياب من نظامهُ طوى الكتاب وارسلهُ الى الامير بكار صحبة النجاب فهذا ما كان من الامير دياب واما ما كان من الامير بكار سلطان برج الدمع فانهُ كان جالساً في الديوان واذا بجملة فرسان من كوبج الذين سلموا من القتل دخلوا عليهِ وقبلوا يديهِ فقام لهم الامير بكار عَلَى الاقدام وسلم عليهم غاية السلام وسالهم عن سبب قدومهم اليه فاجابه احدهم وكان يسمي الامير قايد بهذا القصيد وعمر السامعين يزيد

يقول الفتى قايد عَلَى ما جرى له ونيران الحشي زادت شعال
سهور الليل لا نوم لعيني ابات ابكي عَلَى ما قد جرى لي
عَلَى ما صاب قلبي من هموم امور ما رايت لها مثال
امير بكار اسمع لي وافهم واصغ لقصتي واسمع مقالي

اتا قوم ما يحصى عددهم　　يهزوا في الرماح وفي العوالي
ركبنا والتقيناهم جميعاً　　بطعن يورث الاعدا خيال
كبير القوم يسمى ابن غانم　　امير دياب شيال الحمال
قتل وائل والقاه جريحاً　　وقد اردى الوزير بلا محال
فولينا هزاماً من لقاهم　　ولا طقنا لهم ابداً قتال
فهذا ما جرى خبرت عنهُ　　وهذه قصتي واخر مقالي

فلما فرغ قايد من نظامهُ والامير بكار يسمع فحوى كلامهُ حزن الحزن الشديد الذي ما عليه من مزيد خصوصاً عَلَى قتل الامير وائل لانهُ ابن عمه ومن لحمه ودمه ولكن استغاث بالله الجبار عَلَى قتال هذا الانسان القهار وبينما هم بمثل هذا الخطاب اذ اقبل عليهم نجاب الامير دياب وبيده الكتاب فدخل وسلم وبافصح لسان تكلم وسلم الكتاب للامير بكار ففضهُ وقراه وفهم جميع ما حواه فكثر عليه الحزن وازدادت عليه نيران الغضب وامر القواد والعساكر ان يكونوا تحت الطلب وحينئذٍ امر باحضار قلم وقرطاس ودواية من الذهب الخاص واشار يتهدد دياب ويقول

يقول الملك بكار والنار في الحشا　　ونيران قلبي زايدات اللهايب
سقانا الزمان خمرة عتيقة مكدرة　　سكرنا بها من فوق عالي المراتب
سكرنا بها بالحظ واللهو والغنا　　وزينات تخطر في حرير الطايب
فيا ايها الغادي عَلَى متن ضامر　　اذا جيت الزغبي دياب الطالب
فقول له بكار ارسل يقول لك　　اتانا كتابك يا دياب المحارب

عَلَى ما جرى بارض كوبج وما وقع ... قتلت وائل كان عز الصحايب
فلا تغتر الا يا دياب بقتله ... ولا تطمع في ملك ارض المغارب
فطاوعني وارجع بعزوتك ... والا نباديكم بضرب النواضب

فلما فرغ الملك بكار من كتابةٌ ارسله مع نجاب الي عند الامير دياب فلما وصل النجاب اليــهِ سلمهُ الكتاب فضهُ وقراه واطلع عَلَى رموزه ومعناه فزاد بهِ الحقد والغضب وعند الصباح امر بدق الطبول ونفخ الزمور وامر الرجال بالتاهب للحرب والقتال فتحضرت الفرسان وركبوا ظهور الخيول وساروا قاصدين الميدان ومحل الضرب والطعان هذا ما كان من هولاء واما ما كان من الملك بكار احضر جميع العساكر والقواد وساروا بهم الى خارج البلد لاجل المحافظة من الاعدا والدشمان وبينما هم عَلَى هذا الحال والا اقبلت عساكر الامير دياب فلما وقعت العين عَلَى العين ما نظروا الا عرض وبان الي حومة الميدان الملك بكار فصال وجال عَلَى اربع اركان المجال ونادى باعلى صوتهُ هل من مبارز

الى هنا انتهى الكتاب العشرون من تغريبة بنى هلال
وسياتى الكلام في الكتاب الحادي والعشرون

يباع مع جميع القصص في مكتبة الترقي
خزانة جرجي وسليم زيني

الكتاب الحادي والعشرون

﴿ من تغريبة بني هلال ﴾

من بعد قتل الزناتي خليفه

وهو يتضمن عَلَى تملك تخوت بلاد الغرب

والاربعة عشر قلعة

يطلب من مكتبة الترقي خاصة

جرجي وسليم زيني

طبع بمطبعة الاتحاد لصاحبها شكري انطون الخوري

بيروت سنة ١٩٠٩

هل من مناجز لا يبرز لي لا كسلان ولا عاجز فما اتم كلامهُ حتى صار الامير دياب قدامهُ فاشار الملك يهد عليهِ ويقول

عَلَى مـا قال بكار المسمى	سياج الخيل في يوم يلاطم
فاذا انتصب سوق المنايا	اشيل الروس من تحت العمايم
ابيد الخيل في يوم المعامع	بطعن الرمح مع ضرب الصوارم
ايا زغبي فاسمع الى كلامي	وكون لقصتي يا امير فاهم
مرادك تملك ارضنا مع بلادنا	فما هي سايبه ياولد غانم
نحـا قروم في يوم الكريهة	نبيع الروح في يوم الزحايم
فدونك يادياب اثبت لحربي	وافعل مـا تشا وانزل وصادم
فلا بد عن قتالك وقتل رجالك	وادعي دمكم عَلَى الارض عايم
واخذ ثار وائل في حسامي	وابو سعدا لنـا عز اللزايم
واشتت شملكم وافني عددكم	واخذ خيلكم وكل الغنايم
فرد عليهِ ابو موسى ابن غانم	سياج البيض في يوم الزحايم
انا الدرغام في يوم الوقائع	اكيـد الضد في حد القواضب
اجرد في يدي هند يماني	يقولوا جا ابوموسى المحارب
ايا بكار اسمع لكلامي	واقبل النصيحة ان كنت راغب
فارجع يا فتى واسلم بروحك	وكون مطيع لسلطان الاعارب
وان خالفتني تندم وتخسر	وتبقى منطرح عالارض عاطب

فلما فرغ الامير دياب من كلامهُ هجم عَلَى الملك بكار وصدمهُ صدمة جبار فالتقاه الملك بكار واصطدما صدام الابطال وتطاعنـا

بالرماح والنبال وتضاربا بالسيوف والنصال فضرب الملك بكار
الامير دياب بالرمح انجرح جرح بليغ فوقع دياب عَلَى الارض طريح
فجرد الملك بكار الحسام واراد ان يكمل عليهِ فحمل الامير محمود ابن
الامير دياب وخلص ابيه من ساحة المجال وبقي في معركة القتال الى
قرب الزوال فرجع الامير محمود الى عند اباه وساله عما جرى عليه فاجابه
قد استحضرنا الحكيم الهندي واعطاني شربة تمر هندي واليوم الجرح
خفيف بعون الاله اللطيف فعند ذلك توالى الفريقين الى ان اصبح
الصباح واضاء بنوره ولاح فبرز الامير محمود للميدان فبرز اليه بكار
وما زال هو واياه في حرب وصدام من الصباح الي وقت الظلام
فرجعوا الى الخيام وفي ثاني الايام نزلوا للحرب والصدام وبقيوا عَلَى هذا
الحال مقدار سبعة ايام وبعد ذلك اغتاظ الامير محمود وقال وحياة
راس ابي لازم ان اشيل راسهُ واخمد انفاسهُ بهذا النهار والحقه البوار
فلما دقت طبول الحرب نزل الامير محمود والامير بكار الى ساحة
الميدان فتطاعنوا بالرماح وتضاربوا بالسيوف الصفاح حتى زهقت
منهم الارواح وما زالوا في اخذ ورد وقرب وبعد وكسر ونصر لقرب
العصر فاشتهروا الاثنين من تحت الغبار فتطاولت لهم الاعناق وشخصت
لهم الاحداق الى ان راح من الاثنين ضربتين قاطعتين فكان السابق
الامير بكار فغطس الامير محمود تحت بطن الجواد فراح الضرب
خائب بعد ما كان صائب فاعتدل الامير محمود عَلَى ظهر الجواد
وضرب الامير بكار بالسيف عَلَى راسهُ فشقهُ نصفين والقاه الي

الارض قطعتين فوقع قتيـل وفي دمه جديل فصاح الامير دياب لا شلت يداك ولا شمتت بك اعداك يا امير محمود وهجم ببني زغبي عَلَى عساكر الاعداء من كل ميل وابلوهم بالذل والويل ودخلوا البلد وجلس الامير دياب عَلَى الكرسي واستلم اموال القلعة وامر ينادي بالامان في سائر المدن والبلدان وبعد ذلك اشار يكتب الي الامير حسن يعلمهُ بكل ما جرى له ويقول وعمر السامعين يطول

يقول ابو موسى دياب ابن غانم وسعدي مبي في طول عمري سعيد
له الحمد عن سبعة خصال احتويتها عطية مهيمن في علاه وحيد
السعد والاقبال والعز والهنا وحرمة وقيمة وقول تفيد
ملكنا الى برج الدمع بقومنا واخذنا مكاسبهم بضرب هنيد
وبددنا قوم الاعادي بعزمنا واخذنا قلعة وهي بصور مشيد
فارسل لنا نائب لنقيمهُ ونرتحل الى ناحية برنجه امير عميد
ونرجو الدعا منكم عَلَى طول المدا ونرجو النصر من اله مجيد

فلما فرغ الامير دياب من كلامهُ طوى الكتاب وختمهُ بختامه واعطاه الي نجاب فاخذه وسار يقطع الفيافي والقفار الى ان وصل الى الديار فدخل عَلَى الامير حسن وقبل الارض بين يديه واعطاه الكتاب ففضهُ وقراه وعرف رموزه ومعناه فارسل الامير غصاب نائباً عَلَى كرسي برج الدمع فعند ذلك ودعهُ الامير غصاب وودع جميع بني هلال وصار يقطع الفيافي والقفار الى ان وصل الى برج الدمع فسلم عَلَى دياب وعَلَى جميع بنى زغبي خال وصونهُ اجلسهُ الامير دياب عَلَى

كرسي تخت برج الدمع بحضور اكابر البلد وسلمهُ الاحكام وامر المنادي ينادي في البلد بالامان والسلام وجعل يوصيه بالرعايا ويقول هذا القصيد وعمر السامعين يزيد

يقول ابو موسي دياب الماجد ولي قلب اصلب من حجر صوان
اوصيك ياغصاب فاسمع وانتصح واحكم بشرع الله وكل امان
فلا تترك حقوق الناس تطلب بهم امام الحاكم الديان
وانا قاصد الي برنيجه عاجل لاملك مداينهم مع البلدان
واملك منازلهم واخذ اموالهم واكتب كتاب اعلم ولد سرحان
يولي عليهم نائباً يجيهم مثالك يحكم بهم بشريعة الرحمن
ما قال ابو موسي دياب الغانم الله يبلغنا الي الاوطان

قال الراوي فلما فرغ الامير دياب من كلامهُ امر العساكر بدق الطبول وركب الخيول فركبت الفرسان وركب الامير دياب وودعهم وسار قاصد برنيجه وتلك الاقطار فما زال ساير الي ان وصل تخت برنيجه فنصب الخيام واستدعي بقلم وقرطاس ودواية من الذهب الخاص وجعل يطلب عشر المال من الملك زايد بهذا القصيد وعمر السامعين يزيد

يقول الفتي الزغبي دياب ابن غانم حماة العذارى من عنا وسقام
قرم مجرب ما له من مناطح يخلي الفوارس نايحات دوام
سلاطين تجد قهرتهم بعد عزهم واخربت منازلهم مع الاكام
كسرت الخزاعي في حلب وقومهُ وبرجيس مرمي فوق تل ردام

واشتت العساكر في حسامي   ويا ما جرى لما اتينا الشام
قتلنا شبيت بوسط قصره   وكان شديد العزم يوم صدام
ولما جينا مصر اتتنا ملوكها   ومصر افخر من حلب والشام
ورديت عقيد القوم ابن متوج   وكم قتلنا من ملوك عظام
ويوم تونس يا ما قد جرى   وكم راح منا فارساً مقدام
جاء ابو خريبة علينا واعتدى   ساءوا الذين لهم في القبور عوام
الزناتي قتل ثمانين امير مجرب   خلا نسانا نايحات دوام
بعث لي حسن الهلالي ابو علي   كتاب يخبر عن امور عظام
ركبت عَلَى الخضرا وجئت لنحوهم   كالذيب هاجم عَلَى الاغنام
نزل لي الخليفة فوق خضرا مبرشمه   وجاء كسبع لصيده حام
بقينا عشرة ايام والحرب بيننا   تاهت الفرسان من ضرب الحسام
ضربتهُ من فوق مهرة محنجله   وخليتهُ وسط اللحود ينام
وبعد الزناتي اسمعوا يا ما جرى   في حرب كوبج من رنين حسام
ملكها وائل من قروم غشمشم   مناطح الفرسان يوم صدام
فقتلتهُ ودعيت دمهُ عَلَى الوطا   وملكنا اراضيه وكل مقام
الا ايها الغازي بلغ بما جرى   لزايد واخبره بصدق كلام
يدفع لنا عشر الموال بلا خفا   وعشر الجمال وجملة الاغنام
وان كان لا تقبل جهز بالعجل   والقى لطعناتي وضرب حسام
ونملك قلعتكم وكل براجها   وناخذ الاموال مع الانعام
ما قال ابو موسى دياب المسمى   عقيد الفوارس في نهار صدام

فلما فرغ الامير دياب من الكتاب ارسله صحبة نجاب الى الملك زايد فهذا ما كان من امره وانا ما كان من امر ملك برنيجه بينما كان نايم في بعض الليالي اذ راي منام مزعج فنهض من الرقاد مرعوب خافق الفواد فاستدعي بالحارس وامره باحضار الرمال مسرور فذهب واحضره فساله الرمال ما الخبر ايها الملك السعيد فقال له انني قد نظرت منام مهول واشار يقول

يقول الملك زايد بقول صادق ... كلام يورخ في الكتاب سطور
لنا مدة في ارغد العيش والهنا ... بركب خيول ثم نفخ زمور
ذها الدهر قلنامابقي الدهر ينقلب ... فتاري هذا الدهر باغياً وغدور
رايت منام ابدل العز والهنا ... بغم وحزن دائماً وكدور
حلمت انني بواسع البر والخلا ... ملقي طريحاً ومائي يفور
وفوقي ذيب مثل سبع كاسر ... وبقيت معه في الخلا ماسور
ضربني ضربة جاءت علي كانها ... مدفع خرج من وسط برج وصور
فرحت مرمي عَلَى الارض منطرح ... واضحي دمائي عَلَى التراب يخور
فاضرب يا رمال رملك بالعجل ... وخبر كلام الصدق يامسرور

فلما فرغ الملك زايد من كلامه والرمال مسرور يسمع نظامه ففتح كتاب الرمل وولد الامهات من بطون الامهات وحرر الاشكال والمفردات ثم التفت الى الملك وقال له اعطني الامان يا ملك الزمان فقال له عليك الامان امان علي ابن ابي طالب امان من لا يخون فاشار الرمال يخبره ويقول

يقول الفتى الرمال فيما قد جري ... وعبرات عيني على الخدود حدور
تفسر منامك يا امير فافتهم ... وهذا المنام جدد عليَّ امور
تقول انك كنت في البر والخلا ... وسبع كاسر قد اتاك يغور
فارس عزمرم يقرح الخيل بالقنا ... يخلي الدما جاري شبيه نهور
يسمى ابو موسي دياب ابن غانم ... فارس صميدع في اللقا مشهور
يجينا بقومه وينزلون بارضنا ... وتبقي معاهم في بلا وشرور
وتتكاون انت واياه في حومة الوغا ... وتمسي معه يا ملك ماسور
ويظفر علينا يا ملك برجاله ... ويدعي الفوارس في عميق قبور
ويملك قلعتنا وياخذ اموالنا ... ويسبي حلايلنا وكل قصور
فهذا منامك يا امير موكد ... ومن يستطيع ان يدفع المقدور

فلما فرغ الرمال من كلامه والملك يسمع نظامه فتوجه الى الديوان وجمع الاكابر والاعيان واخبرهم بالمنام وعن الامير دياب وقال لهم كيف العمل في هذا الفارس القادم علينا والواصل الينا فنهض اكبر وزرائه وكان فارس مشهور وبطل مذكور يقال له الوزير ماجد وقال له ايا ملك الزمان انا سمعت ان هذا الفارس دياب قد قتل الامير وائل ملك تخت كوبج وقتل الملك بكار حاكم برج الدمع وهو قاصد الينا فالاوفق ان نسلم له المال والخيل والجمال والا يبيد عساكرنا ويهلك ابطالنا لان معه تسعين الف فارس من بني زغبي كلهم شجعان كانهم مردة الجان فلما سمع الملك زايد هذا الكلام قلبت الدنيا بوجهه ظلام وقال ويلك يا كسلان تخوفني من رجال وفرسان التي هي

عندي شبيه النسوان فوحق ذمة العرب وشهر رجب ما اترك احداً ينزل الى حربهم وقتالهم بل انا انزل اليهم واشتت جمعهم وجزب بيده الحسام وضرب الامير ماجد عَلَى هامه حط راسه قدامه ثم انه اشار ينشد قومه بهذا القصيد ويقول

عَلَى ما قال زايد في قصيد   ونيران الحشا زادت شعايل
فاصغوا الي ياماره وافهموا   وانتم الي من اعز القبايل
ماجد يهددني بقوم يجوني   وانا في قتالي مثل سبع جافل
اذا صح الكلام واتوا الزغابة   فما منكم احد للقوم نازل
ولا ينزل سوايي والتقيهم   بضرب الرمح مع ضرب النصايل
فسوف تروا قتالي مع فعالي   لاخلي الدمع شبه النيل سايل
وانتم تعرفوا عزمي وفعلي   وطعني حين تجتمع القبائل
وان كان دياب مقبل علينا   يكون مغرور في عقله وجاهل
انا زايد وانتم تعرفوني   بيوم الحرب ما اخشي مقاتل
فافنيهم عن بكرة ابيهم   واترك خيلهم تغدي جفايل

فلما انتهى الملك زايد من كلامه والحاضرون يسمعوا نظامه فشكروه عَلَى شجاعته وسطوته وبيناهم في ذلك الحديث واذا بنجاب الامير دياب دخل ومعه كتاب فقبل بين ايادي الملك وناوله الكتاب فلما فضه وقراه وعرف رموزه ومعناه اغتاظ الغيظ الشديد وقال للرسول اذهب الى مولاك وقل له لم يوجد عندي جواب سوى السيف القرضاب ولو لم يكن عار قتل النجاب لقطعت راسك بالسيف الاحدب فذهب

الرسول واخبر مولاه دياب فاغتاظ الغيظ الشديد وامر بدق الطبول ونفخ الزمور فاستعدت الفرسان الى الحرب والنزال وساروا قاصدين الميدان واما الملك زايد بعد ما ارسل الكتاب الى الامير دياب تجهز الى الحرب والطعان وسار بهم الى خارج البلد فبينما هم في ذلك والا حضرت فرسان الامير دياب كانها اسود الغاب فلما التقت العين بالعين نزل الامير زايد الى الميدان فصال وجال عَلَى اربع اركان المجال ولعب العاب تحيرت منها الشيوخ والشباب وطلب براز الفرسان فانحدر اليه الامير دياب كانه اسد الغاب وصدمه صدمة تزعزع الجبال فقال له الملك زايد من تكون من العربان يا اتذل الفرسان فقال له لا تزيد في الخطاب فما قدامك الا حداف الرقاب الامير دياب فاشار يتهدد عليه بهذا القصيد وعمر السامعين يزيد

يقول الملك زايد وناري بالحشا والدهر وافاني وسعدي مقبلي

اليوم جيتونا لناخذ ثاركم وندعي دماكم عَلَى الاراضي سايلي

واخلي سروج الخيل من ركابها وتبقي الاراضي تحتنا تتزلزلي

اتيت لحربي يا دياب وهمتي لاجعل رجالك من حسامي مجندلي

وابيد قومك بالحسام جميعهم واسقيهم كاس القضاء المنزل

فوز بنفسك وارتحل من بلادنا بقومك والا عن قريب تقتلي

فلما فرغ الامير زايد من كلامه والامير دياب يسمع نظامه فقال له دياب يا زايدان خصمك لا يروعه كلام ولا ينهزم من صدام فوحق الملك العلام لا بد ما افنيكم بهذا الحسام وادعيكم مشتتين عَلَى روس

الروابي والاكام واشار يرد عليهِ ويقول

يقول الفتى الزغبي دياب ابن غانم انا فارس الفرسان يوم زحام
فما اطعن الا كل قرم ماجد واجعل دماه عَلَى التراب سجام
يا زايد اسمع كلامي وافتهم واصغى الى شعري وحسن نظامي
ان اردت تسلم من حروبي والقنا وتفوز في نفسك ولا تنضام
تنزل وتاتيني ليلاً خاضعاً واعطيك مني اليوم حسن زمامي
واكتب العشر من مال العرب وتكون مرتاحاً مدى الايام
وان كان تخالفني وترفض نصيحتي اثبت قبالي والتقي لصدامي
فاني سافني جموعكم في مهندي وادعي الفوارس في عنا وسقام
وتنظر الى عزمي وتعرف همتي وتسكر يا زايد بغير مدام

فلما فرغ الامير دياب من كلامهُ التقوا البطلين كانهم جبلين وحان عليهم الحين وغنا عَلَى روسهم غراب البين كانهم كفتين ميزان او فرسين رهان تارةً يتباعدوا وتارةً يتقاربوا وما زالوا في هزل وجد واخذ ورد الى وقت الظلام فدقت طبول الانفصال وفي ثاني الايام اصطفت الكتائب وترتبت المواكب فنزل الامير دياب الى الميدان فبرز اليهِ الملك زايد كانهُ قلة من القلل او قطعة فصلت من ذيل جبل فالتقوا البطلين كانهم جبلين وحان عَلَى روسهم غراب البين وصاحوا باصوات مزعجات تهد الجبال الراسيات فيالهم من بطلين ضرغامين واسدين كاسرين تحيرت من قتالهم الفرسان وتعلمت منهم ابواب الحرب والطعان وكان الملك زايد قد استظهر عَلَى الامير دياب

فجزب الحسام في يمينه حتى حك الركاب بالركاب وضرب الامير دياب بالطارقة فراحت خائبة بعد ما كانت صائبة فاعتدل الامير دياب عَلَى ظهر الجواد واراد ضربهُ فتلقاه زايد بالعمد في يمينه واطلق عليهِ الضرب فخلي دياب من الضربة اتت عَلَى قصعة السرج من خلف طيرتهـا ووقع العمد من زايد فغار الامير دياب واخذ العمد بيمنهِ وحمل عَلَى الملك زايد وقال له خذها من يد الامير دياب حداف الرقاب واطلق عليهِ الضرب اتى عَلَى راسهُ فطير جميع اضراسهُ واخمد انفاسهُ والقـاه عَلَى الارض قتيل وفي دمهِ جديل ثم انهُ صاح بقومه وهجموا عَلَى قوم الاعدا وارتمى الامير دياب كانهُ صاعقة نزلت من السماء وما مال عَلَى طابور الا وفرقه ولا جيش الا ومزقه فقلب الميامن مياسر والميـاسر ميامن وتظاهرت افعال الامير درغام والامير محمود ونكسوا الرايات والبنود وصيروا وجوه البيض سود وقتلوا الفرسان والجنود وقحمت بني زغبى ورياح واشتد الصياح وضربوا بالسيوف الصفـاح وطعنوا بالرماح وكان اكثر الشغل بذلك اليوم عَلَى عزرائيل قباض الارواح فما عدت ترى الا روس طائرة وادمية فائرة وخيول غايرة فبينما هم في ضرب شديد يفك الزرد النضيد واذا التقى الامير دياب بوزير الملك زايد وكان اسمهُ نافع فتجاولا بساحة الميدان وتطاعنا بالسنان الى ان الامير دياب ضايقه ولاصقه وسد عليه طرقه وطرايقه وضرب يده بجلباب درعه اقتلعه من سرجه كانه العصفور في يد الباشق الجسور وضرب به بالارض ادخل طوله بالعرض واوقعه قتيـل وحمل عَلَى بقية

لعساكر فلما نظرت قوم الامير زايد هذه الاحوال ولوا الادبار وار كنوا
لى الهرب والفرار فتبعوهم قوم الامير دياب بالنصال والسيوف الصقال
وفتكوا بهم فتك الديب بالاغنام ودخل الامير دياب الى البلد واحضر
لاكابر والعمد واستلم الاموال والذخائر وجلس عَلَى كرسي المملكة
بعد جلوسه اشار يخبر الامير حسن بهذا القصيد

يقول الفتى الزغبي دياب ابن غانم ... وروحي كما البولاد طاير شرارها
الا ايها الغادي بلغ رسالتي ... لحسن الهلالي عز قوم شلالها
اخبرك يابو علي فيما جرى ... بارض المغارب من عظيم هوالها
لينا برنيجه ونبغي اخذها ... تاري بها زايد كشعلة نارها
انا الى الميدان يا مير ابو علي ... كما برج مبنى فوق عالي سوارها
لاقيت انا واياه في حومة الوغا ... عشرين يوماً اتعبوني مجالها
ضربني بيده يا هلالي بالعمد ... لو جاء عَلَى قلعة لهد حجارها
بعتها وخليت عنها بهمتي ... فراح عمده من يمينه وطارها
اخذت انا للعمد حالاً وجئته ... وسديت عليه يمينها وشمالها
ضربته عَلَى راسه فراح مجندل ... وادعيته ماقي باعلى جبالها
ملكنا اموالهم وحصونهم ... واخذنا قلعتها وكل عمارها
وقد اخبرتك عَلَى ما قد جرى ... واطلعتك عَلَى جميع اسرارها
ارسل لنا نائب يجينا بلا مهل ... وادعي لنا بالنصر يا مغوارها
لا نذهب ونقصد خلافها ... ونطلب من المولى الكريم انتصارها

فلما فرغ الامير دياب من كلامه طوى الكتاب واعطاه الى

النجاب فاخذه وراح يقطع الفيافي والبطاح حتى وصل الي الاوطان فدخل عَلَى صيوان حسن وسلمه الكتاب ففضه وقراه عَلَى روس الاماره والسادات فشكروا فعل الامير دياب ودعوا له بالنصر واما الامير حسن استدعي الامير رضوان واخلع عليه وقلده وظيفة قائمقام عَلَى قلعة برنيجة وتلك الاوطان فعند ذلك اخذ الامير رضوان مائة امير من عشيرته للمسير بصحبته ولما اصبح الصباح ودع الامير حسن وقبل يديه وطلب منهُ الرضا فقال لهُ مرادي ارسل الي دياب كتاب واخذ يكتب اليه بهذا القصيد ويقول

يقول ابن سرحان الهلالي ابو علي ونيران قلبي دوم يكثر وقيدها
نعم ايها الغادي عَلَى متن ضامر كفرخ حمام في البراري فريدها
سلم عَلَى الزغبي دياب وقول له يا فارس الفرسان يوم طريدها
وليت لك رضوان قائمقامنا فاوصيه باحوال الرعايا جميعها
وتتوجه منها وتطلب خلافها بضرب الصوارم ثم طعن حديدها
والله ينصرك دوم عَلَى العدا بحرمة نبي خير البرايا وسيدها
ما قال حسن الدريدي ابو علي وقوم الاعادي في حسابك تكيدها

فلما فرغ الامير حسن من كلامه طوى الكتاب واعطاه للامير رضوان فعند ذلك ركب وتوجه الي ناحية برنيجة وما زال سائر الي ان وصل اليها فدخل عَلَى الامير دياب فاستقبلهُ واكرمهُ غاية الاكرام واجلسهُ عَلَى كرسي المملكة وامر المنادي بان ينادي في البلد باسم الامير رضوان ويكون الحاكم عليها ثم بايعه الاحكام وسلمه الاموال وامر بدق

قبل الرحيل وودع اهالي البلد وتوجه من هناك الى ان وصل الى ناحية قلعة فضرب هناك الخيام وركز الاعلام واستدعي بقلم وقرطاس ودواية من الذهب واشار يكتب الى الملك حمود يطلب منه عشر المال ويقول

ما قال ابو موسي دياب ابن غانم | كبير القوم قيدوم النواجع
الا يا غاديا من فوق ضامر | تجد السير في وسط البلاقع
الا اوصل كتابي للمسمي | الفتى حمود قيدوم الربايع
وقول له نريد العشر منك | فقدم ماتريده وكون خاضع
فاوزن عشر مالك والغنايم | وعشر الخيل مع عشر البضائع
وان خالفتني فابرز لحربي | والقي الطعن في يوم الهيازع
وجرد في يده هندي يماني | واجي راكب عَلَى ادارع
وافنيكم عَلَى بكرة ابيكم | اخلي دمكم مثل القواطع

فلما فرغ الامير دياب من شعره طوى الكتاب وختمهُ بختمهِ واعطاه الى النجاب فاخذه وسار يجد في قطع القفار حتى وصل لعند الملك فقبل الارض بين يديه وسلمه الكتاب فاخذه الملك وقراه وعرف رموزه ومعناه فقلبت الدنيا بعينيه ظلام والتفت الى الرسول وقال له اذهب لعند مولاك وقول له ان ما له جواب الا السيف القرضاب ورمي الرقاب فسار الرسول الى ان وصل لعند مولاه واخبره بما جاوبه الملك فاغتاظ دياب من هذا الجواب ولما اصبح الصباح ضربت طبول الحرب والكفاح من الفريقين ولما وقعت

الدين بالعين حملت عَلَى بعضها الطائفتين فقام الحرب عَلَى ساق وقدم
وشابت اللمم وجار ملك الموت وحكم وجرى الدم وانسجم وصار
وجود القوم عدم وجرى للقوم وقعة عظيمة تشيب الاطفال وتقصر
الاعمار الطوال وما زالوا عَلَى هذا الحال مدة خمسة عشر صباح وكان
قد هلك من قوم الفريقين عساكر ما لها عدد حتى دارت عَلَى قوم
حمود الدائرة فدخلوا البلد وسكروا الابواب والامير دياب محاصرهم
من خارج الصور وعند المسا جمع الملك حمود اكابر الديوان وقال لهم
كيف العمل مع هؤلاء العربان الذين كانهم مردة الجان فانا مرادي
ان اطلب منهم الامان فقال له الراي رايك ونحن سامعين مطعين
لاوامرك فحالاً استدعي بقلم وقرطاس وجعل يكتب الى الامير دياب
ويطلب منهُ الصلح ويقول

قال الفتى حمود من قلب وجيع   لهبات قلبي زايدات نيران
نيران قلبي كلما قول تنطفي   يهب لها جوا الحشا دخان
اسمع كلامي يا ابن غانم وافتهم   يا عز قيس وجملة العربان
اني اتيتك طايعاً يا سيدي   فاقبل خضوعي واعطني الامان
واملك الى اجه وكل ابراجها   واملك مداينها مع البلدان
ونبقى عبيدك يا امير عَلَى المدى   ونعيش بظلك بكل امان
فاعفو عنا يا دياب وسامح   فاني اتيت طايعاً منهان

فلما فرغ الملك حمود من الكتاب ارسله الى الامير دياب وفي
الحال امر دياب بالامان في جميع البلدان ودخل البلد واجتمعت اليه

الاكابر والعمد ومن بعد ما استلم الخزائن والقصور ولى الملك حمود
على تخت ابيه بشرط ان يدفع الجزية في كل عام وارسل اعلم الامير
حسن بما جرى وصار من الاول الى الآخر فقال له افعل ما تريد ايها
الفارس الصنديد ووفق الله رايك السديد فحينئذ ودع الملك حمود
وسار قاصد قلعة طنجه وتلك الامصار وما زال يطوي الفيافي والقفار
والهامي والاوعار الى ان اقترب الى قلعة طنجه وتلك الديار فامر بنصب
الخيام وتركيز الاعلام وجلسوا لاجل الراحة وارسل الامير دياب من
يكشف له خبر اهالي طنجه وقعد في اكل وشرب مدة ثلاثة ايام
الى ان رجع الجاسوس فقال له ما معك من الاخبار فقال له اعلم
ان ملك طنجه يقال له نايل وهو فارس شجاع وقرم مناع واما اسوار
المدينة فهي عالية متينة وعساكره لا تعد ولا تحصى وقد علم بقدومك
من الرعيان وقد جهز عساكره للقتال والحرب والنزال فلما سمع الامير
دياب هذا الكلام دق الطبول ونفخ الزمور وركبت الفرسان الى
ساحة الميدان فلما نظر الملك نايل قوم الامير دياب امر بدق طبوله
فجمع بالحال عنده ثلاث مائة الف من الابطال فخرج بعساكره الى
خارج السور الى ان التقت العين على العين فنزل الامير درغام الى
معركة الزحام وطلب براز الفرسان فما تم كلامه حتى صار نايل
امامه وصدمه صدمة تزعزع الجبال وقال من تكون من الابطال فقال
له اعرفني يا ويلك انا الامير درغام ابن الامير زيدان وانت من
تكون من الفرسان فقال انا فارس من الابطال وصاحب طنجه حاكم

مدينة طنجة وملك نايل ثم التقوا البطلين كانهم اسدين وقام الحرب
وزاد الضرب واشتد الكرب الى تناصف النهار فرجع نايل على خصمه
المدرهم قنطار فلاصقهُ وضايقه وسد عليه طرقه وطرايقه وضرب يده
لجلباب درعه اقتلعه من بحر سرجهِ وحدفه الى الوراء فاخذوه قوم
الملك نايل اسير وقيدوه بالاغلال والجنازير فبرز الى الميدان الامير
زيدان فلاقاه الملك نايل واخذوا في ضرب الصفاح وطعن الرماح
حتى زهقت منهم الارواح فضربهُ الملك نايل بعقب الرمح فقلبه
وسلبه لقومه اسير وقاده ذليل حقير فبرز اليه آخر ارداه وثاني اعدمه
الحياة وثالث بدد امعاه ورابع غرقه بدماه وما زال يقتل فوارس حتى
قتل عشرين واسر ثلاثين الى ان اقبل الظلام دقت طبول الانفصال
فارتدت القبائل الى الخيام ورجع الامير دياب وهو غايب عن
الصواب من عظم ما جرى عليه من فرسانه وعلى من قتل منهم ثم
تجمع الفرسان على الحرب والطعان وتخليص الاسرا من الذل والهوان
فلما اصبح الصباح ضربوا طبول الحرب والكفاح وجردوا بايديهم
السيوف الصفاح فبرز الامير نايل الى ساحة الميدان كانهُ فرخ جان
او عفريت من عفاريت السيد سليمان ونادى وقال هل من مبارز
هل من مناجز لا يبرز للميدان لا كسلان ولا عاجز فما اتم كلامهُ
حتى صار الامير دياب ابن غانم قدامهُ وقال لهُ ابشر بالهلاك فقد
اتاك الامير دياب فتشاتموا بالكلام وردت اياديهم الى الحسام
وانطبقوا انطباق الغمام فراح بينهم ضربتين قاطعتين وكان

سابق الامير دياب فوقعت الضربة في صدر الملك نايل ارماه قتيل
وفي دماه جديل فولت قومهُ هاربين والى النجاة طالبين فدخل الامير
دياب البلد وقد خلص الاسرى وجلس عَلَى تخت طنجه وامر ان
ينادي في البلد بالامان وجمع الاكابر واستلم الاموال والذخائر ولما
استولى عَلَى الملك استدعي بامير عقيل واجلسهُ نائباً عَلَى البلد وخرج
قاصد مدينة طنجه وما زال سائر الى ان وصل الى سهل واسع الجنبات
فيه العيون جاريات فسرحوا الاغنام ونصبوا الاعلام مدة خمسة ايام
قال الراوي هذا ما كان من امرهم واما ما كان من امر الملك هزيد
ملك قلعة طنجه فانهُ كانت قد تواردت اليهِ الاخبار بما فعل الامير
دياب من الحروب والاهوال فاستدعي وزيره الاكبر وكان اسمهُ عمر
وقص عليهِ هذا الخبر وكان هذا الوزير عاقلاً خبير وصاحب راي
وتدبير فاخبره الملك عما فعل الامير دياب بالقلاع وهم كوج وبرج
لامع وبرنيجه واجه وطنجه فلما سمع الوزير هذا الامر صار قلبهُ مثل
لهيب الجمر وقال للملك الاوفق ان نخلي لهم البلاد ونحجب دماء العباد
ونرتاح من حرب هؤلاء الاوغاد فقال لهُ الملك رايك ليس هو بالصواب
وانك خايف من حرب هولاء الانذال فبالغد انشاءالله تريك قتلاهم
كالتلال وفي الحال امر بدق طبول القتال لتحضر للحرب والنزال
فحضرت عنده العساكر والفرسان فلما كان اليوم الثاني عند
الصباح برزت الطائفتين للحرب والكفاح فاصطفت الصفوف
وترتبت الميئات والالوف واذا الملك هزيد وهو مضيق اللثام كانه قطعة

من خيام راكب على جواد اشقر عالي مقحم طويل القامة عريض الهامة فبرز الى ساحة الميدان وطلب مبارزة الفرسان فبرز اليه الامير دياب وهو راكب على الشهباء وقال له من تكون ايها الفارس فاجابه ما دونك بحومة الميدان الا الملك هزيد فارس عشيرته وحامي قبيلته وانت من تكون من الفرسان يا اذل العربان فقال له انا الامير دياب ابن غانم فارس الاعارب والاعاجم والليث الصادم مفني الاضداد بالصوارم واشار يتهدده ويقول

يقول الفتى الزغبي دياب ابن غانم — وسعدي علا فوق كل سعيد
وسعدي مساعدني على العدو والمدا — وعزمي في يوم اللقا شديد
ملكت الى كورج بعزمي وهمتي — وقتلت بكار بطعن حديد
وزيد ونافع قد غدوا بمهندي — وعمر مع نايل غدون فقيد
ملكنا قلاعهم واخذنا اموالهم — وجينا نطالب منك الشر يا صنديد
فادفع لنا عشر الموال مع الخدم — في كل عام ترسلوه اكيد
وان ابيت اليوم تخسر وتندم — وتبقى طريحا على التراب مديد
رد الملك هزيد عليه وقال له — والنار في قلبي تهب وتوقدي
اسمع كلامي يا ابن غانم وانتبه — اظن عقلك من دماغك شاردي
اعاود بجيشك من بلادي وارتجع — من قبل روحك من حسامي تفقدي
انا فارس الفرسان في يوم الوغا — مردي الاعادي وكل قرم انجادي

فلما فرغ الملك هزيد من كلامه والامير دياب يسمع نظامه حملوا الاثنين كانهم جبلين وحان عليهم الحين وضاقت روحهم

غراب البين • فشخص لهم الاحداق • وامتدت لهم الاعناق • وتجلا عليهم الخلاق • واخذوا الاثنين علَى بعضهم بالانطباق وضربوا في بيض الرقاق حتى كلت من تحتهم الخيل وصارت حالتهم بالويل وما زالوا في حروب واهوال • تشيب روس الاطفال مدة سبعة ايام وفي اليوم الثامن عند الصباح تقلدوا بالسيوف الصفاح وحضروا المجال طعن الرماح فعظمت الاهوال وزاد القتال الى ان تناصف النهار وزاد الامير دياب علَى خصمه • الدرهم قنطار فلاصقه • وضايقه • وسد عليه طرقه وطرايقه حتى حاك الركاب بالركاب وجزب الحسام وضرب علَى راسه فهوي السيف الى بطن الجواد فالقاه علَى الارض اربعة قسام وحمل علَى العساكر ومن وراه بني زغبي ورياح وفتكوا بهم فتك الذيب بالغنم وابلوهم بالذل والعدم حتى خرس اللسان وولى الجبان وهانت الدما كالغدران فولت عساكر الملك مزيد هاربين والى النجاة طالبين فتبعوهم بني زغبي وقد اخلوا منهم لديار بعد ما لموا العدد والعدة والخيل الشاردة ودخلوا البلد وجلس الامير دياب علَى الكرسي وضبط الاموال وجمع الاغلال ووضع عليها امير يسمى الامير خليل وقال له انت تكون نائب علَى مدينة طنجه وتقوم مقامنا بالاحكام وترسل لنا الجزية في كل عام وحينئذ امر المنادي ينادي بان هو الحاكم علَى قلعة طنجه فانقادت اليه القواد وطاعت له العباد وحينئذ امر الامير دياب بدق طبل الرحيل وجد المسير الى قلعة الخابية وكان الملك عليها اسمه سليمان فعند ما علم بقدوم الامير دياب امر حالاً

بتجهيز العساكر للحرب فحضرت العساكر وتجهزت الدساكر واصطفت الجيوش خارج البلد فبينما هم بالانتظار والا الغبار غبر والصفا تكدر وبان من تحته فرسان كانها العقبان عَلَى خيول اخف من الغزلان وفي مقدمتهم الاسد الكرار والبطل المغوار فارس الاعارب والاعاجم الامير دياب ابن الامير غانم فلما وقعت العين عَلَى العين ونظرت بعضها الطائفتين فهجمت الفرسان عَلَى الفرسان واصطدما الفريقان وتضاربا بالسيوف وتطاعنوا بالسنان حتى جرى الدم كالغدران وما زال القتال عَلَى هـذا الحال مدة عشرة ايام وفي اليوم الحادي عشر برز الامير دياب الى الميدان ومحل الضرب والطعان فبرز اليـه الملك سليمان كانه فرخ جان وانطبقوا عَلَى بعضهم انطباق الفرسان حتى كبت الخيل بالعرق ورنت سيوفهم عَلَى الدرق وكل واحد عَلَى رفيقـه طبق مقدار ساعتين من الزمان فطلع من الاثنين ضربتين قاطعتين وكان السابق الامير دياب فاستلب الرمح وطعن الملك سليمان في صدره طلع يلمع من ظهره فوقع الى الارض قتيل وفي دمـاه جديل فلما نظرت عساكر الملك سليمان الى ملكها قتيل انحات ظهورها وولت الادبار وارتكنت الى الهزيمة والفرار فتبعتها ابطال بني زغبي وهم يضربون باقفيتهم السيف البتار حتى شتتوهم في البراري والقفار هذا ورجعت عساكر الامير دياب الى البلـد وجلس ديـاب عَلَى كرسي المملكة واستلم زمامها واسوالها وانقادت الى طاعته فرسانها وحكامها فعند ذلك ولى الامير عبدالله الجليل الرياحي نائب من قبله واوصاه

باحكام البلاد وراحة العباد وبعد ذلك حضرت عند الامير دياب جميع بني زغبي وذبحوا الذبايح وعملوا الولايم ودوروا الافراح لخلوصهم من الحرب والكفاح وقد انقادت لطاعته العباد وسكان تلك البلاد هذا ما كان من امر الامير دياب في تلك سبعة قلاع بلاد الغرب قسمته

هذا حرب الامير ابو زيد مع اهالي الغرب واخذه السبعة قلاع

واسمع ما جرى للامير ابو زيد بعد ما ودع الامير دياب حينما قروا الفواتح وتوجه كل واحد لاجل تملك قسمته فتوجه الامير ابو زيد من هناك قاصداً بلاد قابس وما زال يجد السير في النهار والليل حتى وصل الى ارض قابس عند الظلام فنصب هناك الخيام واحاط البلد من جميع الجهات فلما اصبح الصباح قامت اهالي البلد ونظرت عساكر بني زحلان كانهم مردة الجان فارتعشوا من هذا الامر واخبروا الملك فياض وكان شديد الباس قوي المراس فلما سمع منهم هذا الخبر هدر وزمجر وصاح على الفرسان والرجال وامرهم بالخروج الى الحرب والقتال فركبوا الخيول وتقلدوا بالنصول وركب الملك فياض بمقدمتهم وخرجوا خارج البلد وصاحوا عَلَى الشبان ونزلوا عليهم بطعن كما لسع الثعبان فلما راى الامير ابو زيد

وقوم زحلان العساكر اقبلت تعدلوا على ظهور الخيول وصاروا يعددوا الفرسان بالعرض والطول وبينما هم في حروب متينة تهد القلاع الحصينة اذ التقى الامير ابو زيد بالامير فياض فتشاتموا بالقول ووقع بينهم القتال والتقوا الفارسان واخذوا في الضرب والطعان ولكن لله درهما من بطلين ضرغامين واسدين كاسرين فشخصت لهم الاحداق وتطاولت اليهم الاعناق وتعلمت منهم الفرسان ابواب الحرب والطعان فما تناصف النهار حتى صار الدم جاري كالانهار هذا والامير ابو زيد وفياض يتضاربا بالسيف البتار فقام الامير فياض بعزم وضرب الامير ابو زيد فخلي عنها فراحت الضربة خائبة بعد ما كانت صائبة واعتدل الامير ابو زيد على ظهر الحصان كانه فرخ جان وضرب الامير فياض بالسيف على هامه حط راسه قدامه وهجم هو وقومه على الشجعان وارتمى كانه صاعقة نزلت من السما وحل مباصر الاعدا بالدما وما ولى النهار حتى عسكر الملك فياض ولت الادبار وركنت الى الهزيمة والفرار فتبعوهم قوم الامير ابو زيد الى ان ادخلوهم البلد وملك الامير ابو زيد القلعة واستلم ذخائرها واموالها وطاعت لهم جميع سكانها وطلع الامير ابو زيد الى الديوان وجلس على كرسي السلطنة واحضر امير من بني زحلان اسمه الامير حمزة وولاه قائقام على تخت قابس ثم ودعه وسار قاصد قلعة سوت وكان الحاكم عليها ملك عظيم الشان ذو جند واعوان يقال له البهلوان وكان قد وصلت له الاخبار بما جرى للملك فياض من الامور عن يد ابو زيد الفارس المشهور فجمع العساكر

والابطال ونصب خيامه خارج البلد وهو منتظر قدوم الامير ابوزيد قال الراوي وما مضى ثلاثة ايام حتى الغبار غبرت والخيال اقبلت والطبول ضربت والزمور نفخت والرايات انتشرت والاعلام لمعت والابطال زعقت وقوم الامير ابوزيد عَلَى الاعداء حملت والرجال زحفت والرماح للصدور خرقت والسيوف للرماح قطعت والدما دفقت وضربات ابوزيد للفرسان محقت وصرخاته للجبال زلزلت ومنهُ الفريقين برب الخلق تعوذت حتى اهلك الابطال بطعناته وافناهم بضرباته وابهرهم بصرخاتهُ وشتتهم بحملاتهُ فبينما هو يصول ويجول ويجندل الفرسان عرضاً وطول واذا التقي بالملك البلهوان فتجاولا في ساحة الميدان وصرخوا صرختان ارتجت من عظم صرختهم الوديان وصاح ابو زيد عَلَى خصمه وفاجاه وضربهُ بحسامه فبدد امعاه واعدمهُ الحياة وجعل القبر ماواه فلما نظرت عساكره هذه الحال وان ملكها تمدد عَلَى الرمال ولوا الادبار وارکنوا الى الهرب والفرار فتبعهم الامير ابوزيد ودخل البلد وملك ابراجها واسوارها وولى عليها امير يقال لهُ الامير همزان واجلسه عَلَى كرسي المملكة وارسل اخبر الامير حسن بما جرى ورحل من هناك طالب قلعة مغراوه هذا ما كان من امره واما ما كان من امر المنهزمين من قوم الامير البلهوان فانهم ما زالو سائرين حتى وصلو مغراوة فدخلو عَلَى ملكها واخبروه بما جري لهم مع الامير ابوزيد وكيف قتل ملكهم وملك قلعتهم واخبروه ان هولاء العربان هم الذين

قتلوا الزناتي وملكوا البلاد وسبوا النساء فلما سمع الملك منهم هذا
الكلام قال لهم ياقوم الراي عندي ان نترك لهم البلد ونذهب الي مدينة
القيروان لعند الملك زهير لان اراضينا لا تحمينا من هذه العساكر
وذلك من كثرة الخوف والرعبة فذهبوا وتركوا البلد وقصدوا مدينة
القيروان فلما وصلوا اليها ودخلوا علي ملكها الامير زهير واخبروه
بواقعة الحال وما جري لهم من الاهوال فقال لهم ان هذه الارض
لا تكفينا فالاوفق ان نذهب الي الاندلس لانها واسعة حصينة وبها
قلعة متينة فاستصوبوا رايه وسارت الرجال والاحمال الى الاندلس
لعند الامير حماد واخبروه بواقعة الحال وما جرى لهم فالتقاهم بالاكرام
وانزلهم باحسن مقام وامر بتحصين البلد وتبريز الخيام الي الخارج
وجلسوا بانتظار الامير ابو زيد هذا ما كان من امرهم واما ما كان
من الامير ابو زيد فانه ما زال سائر الى ان وصل الي قلعة مغوارة
فخرجوا اهالي البلد وهم رابطين محارم الامان في رقابهم فسالهم عن
ملكهم فقالوا انه لما سمع بقدومكم خرج هو والعساكر من البلد
وهربوا الى مدينة القيروان لعند الملك زهير فحينئذ اعطاهم الامان ودخل
البلد وضبط الاموال وولى الامير مروان علي تخت القلعة ورحل طالب
مدينة القيروان وما زال سائراً الى ان وصل اليها فاستقبلوه الاهالي
وفي رقابهم المحارم فسالهم عن ملكهم فقالوا له بانه ذهب الى الاندلس
فحينئذ اعطاهم الامان وضبط اموال القلعة وولى عليها الامير مسعود
واوصاه بالاحكام ورحل طالب قلعة الاندلس وما زال سائر حتى

وصل الى البلاد فنظر العساكر كانها قطع الغمام فامر بنصب الخيام
وكان قد اقبل الظلام فباتوا الفريقين يتحادثون تحت مشيئة الرحمن
الى ان اصبح الصباح ضربوا طبول الحرب والكفاح وركبوا الجراد القداح
وتقلدوا بما يلزمهم من السلاح واعتقلوا بالسيوف والرماح فبرز الامير
حماد الى ساحة الميدان ولعب بالسيف والسنان حتى حير
عقول الفريقان ثم طلب براز الفرسان فبرز اليهِ الامير ابو زيد كانه
عفريت من عفاريت السيد سليمان فاشار الامير حماد يهدد عليه بهذا
القصيد ويقول

يقول الفتى حماد والقول صادق ... ابو زيد القى همتي وطرادي
انا فارس الخيلين والزان مشتبك ... اذا اظلمت والهول فيها زاد
انا الاسد الريبال في حومة الوغى ... فكم قرم ارديته بضرب حداد
مرادك تبيد القوم في حد صارمك ... وتملك الى ارضي وكل بلادي
فقد خاب ظنك والذي انت طالبه ... وبقيت خالي العقل والارشادي
تبدى له الهلالي ثم قال له ... انا هزام فرسان الطراد
فيا حماد كف القول واسمع ... ودع للحرب واترك للعناد
واوزن عشر مالك والمواشي ... والا دعيتكم فوق الجماد
وان خالفتني فالقى لحربي ... وسوف اوريك ضربات الحداد
فمن قبلك غدا الهصيص هازم ... وادعيته منطرح فوق الجماد
وقتلت الملك فياض حقاً ... بطعن الرمح مع ضرب الهناد
انا ابو زيد مهلك للفوارس ... ساملك ارضكم ثم البلاد

فلما فرغ ابو زيد من كلامه والملك حماد يسمع نظامه التقوا البطلين كانهم جبلين وحان عليهم الحين وغنا فوق روسهم غراب البين وتضاربوا بالسيفين وتطاعنا بالرمحين وصاح الامير ابو زيد على خصمه وفاجاه وضرب الحسام واتاه حتى حاك الركاب بالركاب فلاح الحسام بيمينه وافرغ الضرب على الملك حماد فاتت الضربة على راسه شقته الى تكة لباسه فلما راوا قوم الملك حماد ملكهم قتيل ولوا الى الهرب ورجعوا قاصدين البلد فهجم الامير ابو زيد وهجمت من وراه بني زحلان الشجعان وتبعوا الدشمان بضرب السنان حتى ادخلوهم البلد ونزلوا عليهم بضرب العمد وجردوا بهم السيف البتار حتى صار الدم في المدينة كالانهار وبعد ذلك رجعت عنهم الفرسان وجلس ابو زيد على كرسي المملكة وحينئذ طلبت منهم الاهالي الامان فاعطوهم الامان وطاعت لهم سكان الاندلس والقيروان وحينئذ الامير ابو زيد ولى طوي ابن مالك قائمقام تلك القلعة ووصاه بالاحكام وساروا قاصدين مدينة مركاش فلما وصلوا اليها نصبوا الخيام من حواليها وركزوا الاعلام فيها فلما بلغ مالك قدوم العربان جمع اكابر دولته وسالهم عن سبب قدومهم فقال احدهم انهم من قوم بني هلال الذين قتلوا الزناتي والعلام وملكوا جميع البلاد وهم رفقات الذين تملكوا السبعة قلاع ناحية الشرق وقد اتوا الينا ليملكوا ارضنا وبينما هم بالحديث واذ برسول مقبل عليهم فدخل وقبل الارض بين يدي الملك وقال له ان سيدي الامير ابو زيد يقريك جزيل السلام

وهو يقول لك ان تسلم البلد والا يحل بك كما حل بغيرك من ملوك
البلاد فلما سمع الملك من الرسول هذا الكلام خاف الخوف الشديد
والتفت الى اكابر البلد وقال لهم ما عندكم من الراي فقالوا له الراي
عندنا ان تصالحهم وتسلمهم البلد فالتفت الملك الى العبيد وقال لهم
خذوا الرسول الى بيت الضيافة وجهزوا حالهم وخرجوا الى ملتقى
الامير ابو زيد والامارة وضربوا طبول الملاقات فلما رات بني هلال
القوم مقبلين بدون سلاح عرفوا انهم سلموا البلد فلاقوهم بني هلال
احسن ملاقات وسلموا على بعضهم البعض وضافوهم قوم الامير مالك
واقاموا بواجبهم احسن اقامة مدة ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع طلب
الامير ابو زيد البلد حالاً قدموا له الدفاتر والاموال فاستلمهم الامير
ابو زيد واجلس الامير مالك على كرسيه بشرط ان يدفع الجزية في
كل عام وبعد ذلك ودعوهم وساروا وما زالوا سائرين اول يوم والثاني
وفي اليوم الثالث بعد الصباح وصلوا الى مدينة حصينة بالبنيان مكينة
فيها ابراج واسوار واطيار تسبح الملك القهار ونظروا خارج البلد خيام
منصوبة ورايات مركوزة وسرادق مضروبة واسمها قلعة زواوه وكان
يحكم عليها ملك عظيم الشان ذو جند واعوان يدعى الامير كامل
وكانت قوم الامير مالك المنهزمين قد اقبلوا عليه في عشرة وعشرين
واخبروه بما جرى عليهم من الحروب من الاول الى الآخر واخبروه
بانهم قاصدين اليه فالحال امر بتجهيز العساكر والابطال والذخاير
وان تحضر الابطال الى ميدان الحرب والقتال والتلاقي بقلة

وقرطاس ودواية من الذهب الخاص واشار يتهدد بني هلال ويقول

يقول الفتى كامل عليَ ما جري له ونيران قلبي شاعلات الضرايم
فيا ايها الغادي توصل رسالتي الى حسن سلطان قيس الاكارم
وقول له الملك كامل يقول لك باي سبب الى ارضنا جيت قادم
فان كنت تطلب السلامة فارتجع وهد خيامك ثم ارتد سالم
ما انكم قلعة زواره وملكها فيها قوماً ليس يخشوا الصوارم
نهار احتباك الحرب في الوغي اجيء كما سبع للصيد حايم

فلما فرغ الامير كامل من نظامة ارسل الكتاب صحبة النجاب فلما وصل لعند الامير ابو زيد فضه وقراه وعرف ما حواه فامر بدق طبول الحرب ونزلت الفرسان لمحل الطعن والضرب فلما سمع الامير كامل صوت الطبول امر بدق طبوله وتحضرت الفرسان الى ساحة الميدان فلما التقت الطائفتين ووقعت العين علَى العين برز الامير كامل الى الميدان كانه الاسد الغضبان وكان يعد فارس الفرسان وبطلاً تبطل عند ابطاله الشجعان فبرز اليه الامير ابو زيد فتقاتلوا بالميدان حتى كلت منهم الزندان وقدحت لهم الاعيان وتعلمت منهم الفرسان ابواب الحرب والطعان وما زالوا في حرب شديد يفك الزرد النضيد ويشيب الطفل الوليد مدة عشرة ايام حتى ضجرت الابطال من هذا الحرب والقتال وفي اليوم الحادي عشر برز الامير ابو زيد الى الميدان فصال وجال وطلب براز الابطال فبرز اليه الامير كامل كانه قصاص الخاذل فالتقوا البطلين كانهم قلعتين حصينتين

وابتدوا بضرب السيوف وطعن يؤثر بكل قلب ملهوف حتى تحيرت
من قتالهم الفرسان وتعلمت منهم الحرب والطعان وما زالوا على هذا
الحال الى قرب الزوال فطلع من الاثنين ضربتين قاطعتين وكان
السابق الامير كامل فضرب بها الامير ابو زيد فراحت خايبة
بواسطة الحيل والقوى فقام الامير ابو زيد بعزم الركاب وضربه بالسيف
على هامه حط راسه قدامه وحينئذ هجم وهجمت من وراه الفرسان وغاروا
على الاعداء من كل مكان وما زالوا عليهم بطعن السنان وضرب يكسر
الصوان الى ان ادخلوهم البلد فبالحال جلس الامير ابو زيد على كرسي
المملكة وضبط الاموال واستلم جميع الاحوال واحضر الامير ماضي
ووضعه قائمقام على قلعة زواوه وامر باشهار المناداة باسمه وهو الحاكم
عليها بكل حفظ وامان وبعد ذلك جهز الامير ابو زيد الاموال وحملهم
على الجمال وامر بدق طبل الرحيل وساروا الجيوش والمواكب والفرسان
والكتايب ومعهم الاغنام والمكاسب وما زالوا سائرين يطووا الفيافي
والقفار حتى وصلوا الى عين توزر وهي بنصف الطريق فجلس هو
لاجل اخذ الراحة وامر بذبح الاغنام وشرب المدام وبيناهم على هذا
الحال والا طلعت عساكر الامير دياب من ناحية مغرب الجنوبي فلما
التقى الامير ابو زيد بالامير دياب هنوا بعضهم بالسلامه واخبروا
بعضهم بما قاسوا من الحروب والاهوال وجلسوا ثلاثة ايام وقاموا
وجدوا بالمسير الى ان وصلوا الى تونس فلما علم الامير حسن بقدومهم
خرج لملتقاهم بالنساء والرجال وجميع الذين كانوا بالاطلال وعند ملتقاهم

هناهم بالسلامة ودخلوا بموكب عظيم ودارت البشائر في رجوع بني هلال وفرحت في قدومهم النساء والرجال وبعد ما استراحوا سألهم الامير حسن عن الاحوال التي جرت لهم فخبروه من الاول الى الاخر بما قاسوا من الحروب والاهوال في تملك سبعة تخوت بلاد الغرب اي الاربعة عشر قلعة وحينئذ امر الامير حسن بعمل ولمية كثيرة وبذبح الاغنام وترويق المدام ودعي اليها الخاص والعام وبعد مدة من الزمان قسموا بلاد الغرب بينهم بالسوية اي ان الامير ابو زيد اخذ الثلث والامير حسن الثلث ودياب الثلث واما تونس لدياب من غير حساب لانها عوض الخضرا ثم رحل الامير حسن الى القيروان وجعلها عاصمته والامير ابو زيد جعل الاندلس عاصمته وحينئذ جلس كل واحد بمملكته بكل امان

الى هنا انتهى الكتاب الحادي والعشرون من تغريبة بني هلال
ويليه الكتاب الثاني والعشرون وفيه قتل سعدا ابنة الزناتي
خليفة ووقوع الفتنة بين بني هلال من زعيمة ست
الغرب اخت الزناتي خليفة وبين الامير
دياب وقتل الزغابا

يباع مع جميع القصص في مكتبة الشرق
لصاحبها جرجي وسليم زيني

كتاب

الثاني والعشرون

من تغريبة بني هلال

وهو يحتوي عَلَى قتل الست سعدا بنت
الزناتي خليفه وحضور زعيمة اخت
الزناتي لكي ترمي الفتن بين
بني هلال وحبس الامير
دياب وقتل الزغابا

وهو الكتاب الاول من قصة اليتامى

تباع مع جميع القصص والكتب باسعار متهاودة جداً
في مكتبة الترقي لصاحبها

شكري الخوري وشركاه

شرقي ساحة البرج اول طريق النهر (بيروت)

برخصة مجلس معارف ولاية بيروت الجليلة

بسم الحي الباقي

قال الراوي تقدم الكلام في قصة الزناتي بان بني هلال تملكوا تخوت بلاد الغرب الاربعة عشر قلعة ولنرجع الان بالكلام الى سعدا ابنة الزناتي فانها بقيت في قصر ابيها عند حريم الامير دياب تقاسي الذل والعذاب وهي كما ذكر الكلام ولما رات ان الامير حسن نسيها وما عاد افتكر فيها ولا ابو زيد فجعلت تكتب الى الامير حسن وذكرته بخلاصها من الامير دياب وانها مظلومة عنده للغايه وارسلت الكتاب صحبة نجاب فلما وصل الى الامير حسن اعطاه الكتاب ففضه وقراه وعرف رموزه ومعناه فتغيرت منه الاحوال ولعب به الغضب بالحال وحينئذ ارسل عبده جوهر الى الامير ابو زيد واخبره بالقضية فحالاً حضر الامير أبوزيد ومعه خمسة الاف فارس من بني زحلان كانهم مردة الجان فلاقاه حسن وسلم عليه وبعدما ارتاح ابوزيد قال للامير حسن ما الخبر حتى ارسلت وراي فحينئذ اعطاه كتاب سعدا فلما قراه امر باحضار النجاب فلما حضر لبين يديه قال له اخبر الست سعدا اننا بعد ثلاثة ايام نكون عندها فسار العبد واخبرها بانهم اتين لياخذوها ففرحت وقامت تنتظر قدومهم واما حسن وابو زيد ركبوا في ثاني الايام وساروا حتى دخلوا

الى تونس الغرب فلما نظرهم الامير دياب نزل ولاقاهم بالترحيب والاكرام وادخلهم القصر وذبح لهم الذبايح واقاموا بضيافته ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع قال لهم الامير دياب لقد شرفتونا بمنازلكم وكان الواجب ان ارحل انا بالاول اليكم واقدم الواجب عليّ فقال له حسن نحن ما اتينا الا لامر مهم ثم اشار الامير حسن يقول وعمر السامعين يطول

يقول الفتى حسن الهلالي ابو علي ولي قلب من جور الزمان كواه
ولي عين طول الليل ما تالف الكرى ودمعي يجري فوق خدي سجاه
الا يا دياب الخيل اسمع مقالتي واصغى لقولي وافتهم معناه
اتينا الى نحو الزناتي خليفة وقمنا لسوق الحرب وسط فلاه
بقينا قدر عامين والحرب بيننا وقد راح منا كل قرم عتاه
ومن بعدها قدجيت يا ولد غانم على ظهر خضرا مثل سبع فلاه
قتلت الزناتي كان هذا مقدر من عند ربي من اعالي سماه
وحطيت رمحك فوق باب تونس وقصدت تدخلها بغير حياه
ومن بعدها قد قمت حاكم مكانه وكل هذا الفعل سامحناه
عطيناك ثلث الغرب ومهما تريده انت وانا وابو زيد بالسواه
اخذت تونس بدل خضرا اصيله وما عاد لك قط حق سواه
وسعدا بقت عندك وديعة لبينما يروق منا البال نقيم هناه
طلبت منها ان تكون حليلتك هذا فعال العيب لا نرضاه
وجعلتها عند الجوار لخدمتك وتطحن للملك والحطب ومياه
عيب ترى هذه الفعال جميعها وما هي مروءة الرجال تراه

سعدا مرادي أخذها لضعوننا　　وزوجها مرعي باحسن جاه
وهي يتيمة يا دياب ابن غانم　　ابوها قتلته انت وسط فلاه
ما قال الفتى حسن الهلالي ابو علي　　قلبي تحمل جور ثم اساه

قال الراوي فلما فرغ الامير حسن من كلامه والامير دياب يسمع نظامه اغتاظ دياب الغيظ الشديد الذي ما عليه من مزيد ولكنه اخفى الكمد واظهر الجلد وقال ان سعدا باقية كما هي واما قولك اني طلبت ان اتزوجها فهذا كذب فقال حسن هذا كتاب سعدا اقراه فقراه دياب واغتاظ اكثر من الاول وقال ياحسن هذه سعدا بواقة وخاينة فالتي تخون ابوها لا يكون فيها خير لاحد والواجب ازلالها فقال حسن هذه خطيبة ابني مرعي فاطلب ان تسلمني اياها والا يقع ما بيننا اسباب ما هي في حساب فعندها اشار الامير دياب يجاوبه ويقول هذا القصيد وعمر السامعين يزيد

يقول الفتى الزغبي دياب ابن غانم　　ولي عزم امضى من حسام شظاه
ولي همة بالحرب ان قام سوقها　　ادعي دما الابطال شبه قناه
ايا ابو علي اسمع كلامي وقصتي　　اصغى الى قولي وافتهم معناه
لما دخلنا الغرب يا امير ابو علي　　نسيتم فعالي واخترقتم علاه
فقلتم دياب الخيل يرعى جمالنا　　ونحن نكاون للزناتي بلاه
فتحتم ميادين الوغى مع خليفه　　نعم ابو سعدا شديد لقاه
رجعتم عملتم بالزغابي حيلة　　دعاهم ابو سعدا بسيفه هفاه
قتل بدير الحليل خالي واخوتي　　زيدان مع بدر الامير سواه

تسعين اميراً من قرابي قتلتهم   وابو زيد ناظر لا يريد طفاه
قتل عقل سلطان الفوارس كلها   فيا لهفي يا عقل رحت هفاه
فو الله ارض الشرق والغرب كلها   باظافير عقل الخيل لا ارضاه
مضى عقل مع نصر واناكنت غايباً   عرايس بسوق الخيل وقت لقاه
ولما عجزتم عن خليفه وحربه   وقلتم غير دياب لا يلقاه
بعثتم براقع مع شعور بناتكم   وما جئت الا بحجتين سواه
منك ومن ابوزيد فيهم تقولوا   يا للوحى يامير زغبي تعاه
وجيتكم من فوق خضرا كريمه   لها جري يسبق برقها ولماه
لقاني ابو سعدا الزناتي خليفة   من فوق اشهب مثل طير فلاه
ثلاثة شهور الكون عاقد بيننا   وياما جرى بيننا ودهاه
قتل خضرتي تسوى المداين كلها   وقمت على الخضرا كثير بكاه
طعنته بحربة مثل نار تنطفي   في وسط عينه نفذت من قفاه
وراح ابو سعدا قتيلاً على الوطى   وراحت الخضرا عيوني معاه
تقول عطيتوني لثلث ملكه   اخذته بضرب السيف ثم قناه
توبخني من اجل بنت خليفه   اذا كنت ارضاها كبعض نساه
طحنتها للملح هذا جزاها   وهذا جزاء من كان يخون اباه
وتقول تاخذها لعندك ياحسن   وهذا ترى ما يصير لا والله
انا قلبي انكوى وانت خالياً   والجمر تحرق في مكان رماه
ملكتكم للشرق والغرب كلها   وما بان لي معكم جميل تراه
فهذا ابوزيد حاكم بيننا   واني لحكمه يا حسن ارضاه

ما قال الفتى الزغبي دياب ابن غانم   ومن يعاندني الحسام دواه

قال الراوي وما انتهى الامير دياب من الخطاب الا وفز حسن واقفاً على قدميه وقد احمرت اماق عينيه وقال لدياب والله لو ما كنا ضيوفك لكنت ضربتك بهذا الحسام واذقتك كاس الحمام كيف تقول ملكتنا الغرب والشرق وتظهر فضلك علينا كل وقت فقال دياب نعم انا ملكتكم الغرب لانكم عجزتم عن الزناتي ولولا فرسان بني زغبي ما كنتم بقيتم يوم واحد بحرب الزناتي لاني اشهد انك انت وابوزيد من الفرسان واما عساكرك وبني زحلان كلهم مثل النسوان وما طلع منهم فارس يعرف بين العربان واما بني زغبي كلها ابطال معدودة . ثم ارادوا يهجموا على بعضهم فمنعهم ابوزيد وقال لهم ما هذه الفعال تتقاتلوا على شان بنت وانا عندي راي احسن واوفق فقال الامير دياب ما هو قال ابو زيد نحن نوضع سعدا في مكان بعيد باخر الميدان ونقف نحن راكبين خيولنا باول الميدان ونطلق الاعنة فالذي يصل الى سعدا بالاول تكون ملكه وياخذها وقصد ابو زيد ان ياخذ سعدا من عند دياب وقال في نفسه ان دياب خضرته ماتت وبنتها صغيرة ما هي مثل خيلنا لانهم عتاق وما هي معودة على الجري فنحن نسبق واذا اخذتها اعطيها لحسن وينحسم الشر لاننا ضيوف عند دياب ولا يليق ان ناخذها غصباً عنه فقال حسن رضيت بذلك وقال دياب وانا رضيت ايضاً ثم اتفقوا على هذا الحال وفي اليوم الثاني اخرجوا سعدا الى الميدان ووقفوا في اخره ووقفوا هم في اوله واعطوا لبعضهم اشارة فخرجوا كانهم نشاب

وكان دياب راكب الشهبا ابنة الخضره وكانت احسن من امها فراحت امام الجميع ومن خلفه ابوزيد على الحمره وخلف الكل حسن على الحيصا وكانت المسافة مقدار ساعة فلما وصل اليها دياب قالت له انا اختك يادياب وكان ابوزيد علمها ان تقول ذلك فلما سمع دياب كلامها عرف المضمون فشهر حسامه وضربها به فجرحها جرح بليغ فصاح فيه حسن وقال له لماذا عملت هكذا يادياب قال انتم قلتم الذي يسبق اليها تكون ملكه وهي صارت ملكي اتصرف بها كيف ما شاء وبما انها خاينة لا اريد ان ابقيها عندي ثم الوى عنان الشهبا وعاد راجع واما ابوزيد فقال الى حسن صدق دياب هذا حقه ثم نزلوا الى سعدا فوجدوا فيها روح فحملوها وساروا حتى دخلوا القيروان واجتمعت البنات والنسوان لما عرفوا بقتل سعدا وكذلك مرعي فانه مزق ثيابه ونتف شعره وصار كالمجنون واما سعدا فانها فتحت عينها واشارت من حلاوة الروح تودع الدنيا وتقول

تقول فتاة الحي سعدا الذي شكت ... بدمع جرى فوق الخدود سجام
وعيني تبات الليل ماتالف الكرى ... عليها لذيذ النوم عاد حرام
انا لايمة روحي ولا لوم غيرها ... ومنها كسبت الضر والالام
تبعت هوى نفسي وخنت لوالدي ... مربيني من خمسة عشر عام
ومحجوبة بالقصر ما احد يشوفني ... عن الاهل والاخوان والاعمام
ابيت على فراش الهنا لا اعرف العنا ... مسيري من قصري الى الحمام
اذا سرت للحمام ترتج تونس ... جوارى من خلفي ومن قدام

انا كنت سعدا اسعد الناس كلهم ‌ ‌ شبيه القمر ان بان تحت غمام
مولعة بالغنى والعز والصبا ‌ ‌ انا وابي في لذة وانعام
فلما اتى ابوزيد للغرب رادها ‌ ‌ ومعه امارة خيرين كرام
علمت بهم من قبل ياتوا بلادنا ‌ ‌ ضربت بتخت الزمل والافهام
جاءوالى بستان قابس بالضحى ‌ ‌ وابوزيد من سهر الليالي نام
اتوهم عبيد السؤ وقفوا حولهم ‌ ‌ وهم ساحبين خناجر وحسام
وشدوا اياديهم كتافاً الى ورى ‌ ‌ واخذوا صوارمهم مع الانعام
وقد عرضوهم للزناتي خليفه ‌ ‌ ملك من ملوك الارض كالضرغام
نهرهم وقال جيتم ترودوا بلادنا ‌ ‌ فقالوا شعاراً نقصد الاكرام
فقالوا شلحوهم ياعبيد ثيابهم ‌ ‌ وامضوا بهم للمشنقات قوام
ونادى عليهم في شوارع تونس ‌ ‌ ودلوا حبالاً ماكنات برام
فطليت من شباك قصري اشوفهم ‌ ‌ انا مثل بدر مستهل تمام
تعلقت في مرعي لما نظرته ‌ ‌ سلب مهجتي والقلب لاجله هام
وقد اصطلت نارالغرام بضامرى ‌ ‌ وقد هاج بلبالي وزاد غرام
نهضت انا من منزلي نحو والدى ‌ ‌ وقلت ابوي لا تكن ظلام
فما ذنب شعاراً امرت بقتلهم ‌ ‌ مساكين فقرا كلهم ايتام
فقال لي جاءوا يرودوا بلادنا ‌ ‌ لكي يملكوها في قنا وحسام
اشرت على ابوي بشوراً طاعني ‌ ‌ ومن يامن الانثى يروح عدام
لبست من الصندوق ثوباً مذهباً ‌ ‌ وارخيت من فوقه رفيع كمام
وفي وسط قصري ياامير وضعتهم ‌ ‌ وابوزيد قد راح يجيب غنام

وقلت لهم لاتحملوا هم والنبي عليكم مني الف الف زمام
وجبت لهم من كل شي تشتهونه من اللبس والشاشات والهندام
اذا الف مرعي الشاش من فوق راسه فيقطع حيلي ما اطيق قتام
اشوف وجهه كالهلالي اذ بدى وجبهته تضوي كبدر تمام
مضى مامضى والا ابوزيد عائداً ومعه جموع مثل فيض غمام
وعددهم تسعين الف ومثلها وتسعين في تسعين الف همام
زرعوا ارض تونس والبساتين كلها وابنوا بيوتاً عالية وخيام
قتلتم ابوي ثم اخذتوا بلادنا قتله الفتى الزغبي ابو غنام
تملكتم تونس وقابس وارضنا ولا تحفظوا لى يا كرام مقام
وما نلت من مرعي مناي وبغيتي نسيني ولم يرعى الي زمام
ايا ليت من كان السبب بفراقنا يموت وفوق الارض دمه عام
لقد احرموني لذة العيش والهنا وشملي تفرق ما بقى يلتام
فلا تلومون الصغيرة اذا بكت ابكي على اهلي وكل عمام
زرعت جميلا قابلوني بضده وكيف الذي زرع الجميل يضام
ايا ابو علي قد كان مني نجاحكم وملكتكم عشرين تخت تمام
فما عاد غير الموت يا امير ابو علي ذهبت عن الدنيا بغير مرام
ايا بو على هات لي مرعي اشوفه واودعه قبل ان اذوق حمام
ايا ليتني ابقى لمرعي خديمة واكبس لرجليه بوقت منام
ايا امير جازي لدياب بفعله ولا تتركه يرتاح يا صمصام
فاذبح لاولاده على صحن صدره ومن بعدها يعمى بذوق سقام

ايازب جازي من تسبب موتتي وانا بعز عمري ما بلغت مرام
تقول الصغيرة بنت سلطان تونس عليكم منى الف الف سلام

قال الراوي فما فرغت سعدا من كلامها حتى شهقت شهقة واحدة وماتت فقاموا عليها الصياح والبكاء والنواح ثم غسلوها ودفنوها وصار حسن في قلبه من دياب نار الالتهاب واما دياب فانه طغى في الحكم وبغا وصار يظلم في الناس لانه صار ملك في اخر عمره وكان يبغض اهل الغرب وهم كلهم يبغضوه وما عرف كيف يتصرف بالملك فافسد اهل الغرب عليه بنى زغبي وصاروا يوشوا لهم حتى صاروا اكثرهم يبغضوه ولكن ما احد منهم قدر ان يحكي كلمة لانهم كانوا يخافوا من باسه وسطوته ودامت الاحقاد بين دياب وحسن وابو زيد ولكن في الظاهر كانوا يظهروا المحبة والمودة ويخفوا ما في قلوبهم . هذا ما كان من الامير دياب وبني هلال واسمع ما جرى الى زعيمة ست الغرب اخت الزناتي فانها لما علمت بانه وقعت البغضة في بني هلال قصدت ان ترمي الفتنة بين الامير دياب والامير حسن وفي الحال جمعت عشيرتها واخو العلام وقالت لهم يا قوم لقد فقدنا اخي الزناتي والعلام والخايلي بن معقرب وفتحوا بنو هلال الفتوحات وملكوا سبعة تخوت بلاد الغرب وما خلوا لنا ملجا نسكن فيه وقد حزنني موت سعدا ابنة اخي وكسرت ظهري وكان كل املي فيها ان تعزينا وتكون ملجانا فالان مرادى ان اتوجه الى بني هلال وارمي فيهم الفتن بالحال والقيهم في الشر والنكال واشارت اليهم تقول

لت زعيمة الحيمريه التى شكت ... ولي قلب من جور التفاريق دايب
برت دمعتي من مقلتي فوق وجنتي ... ومما جرى لى اصبح الشعر شايب
لى فقد اخواني وكل عشيرتي ... ماتوا وسكنوا في لحود الترايب
لا يا عباد الله مما اصابهم ... سهم النيا والبين جاهم موارب
ريت نجع البدو ما جاء لبلادنا ... ونزلوا على تونس ونصبوا المضارب
لوا على البلدان من كل ناحية ... بساتينها وكرومها والغصايب
لوا اخويي الزناتي خليفـه ... سلطان حاكم في بلاد المغارب
له ابو موسى دياب بن غانم ... وادعاه ملقي في لحود الترايب
لا بد ارمي في ذريد العداوة ... ورياح مع زحلان يبقوا غرايب
ارجع الى اهلي ويرتاح خاطري ... واقتل دياب من بين تلك المواكب

قال الراوي فلما فرغت زعيمة ست الغرب من كلامها قال لها اخو العلام استنا زعيمة نخاف عليك من ابو زيد لانه حيال مكار ومكره غلب مكر المغارب فقالت لا تخاف عليَّ من هذا القبيل وانشدت تقول

قول فتاة الحيمرية التي شكت ... بدمع جرى فوق الخدود سكيب
رمتنا الليالي بالتجافي وبالنيا ... وصرنا حيارى دون كل طبيب
اخويي الزناتي ذاك مات وانقضى ... وولى الفتى العلام بوقت قريب
انا لوعة البين انا حية البلا ... انا من لدعته لم يعد له طبيب
انا بدعت المكر والسحر والحيل ... لساني على رد الجواب لبيب
انا الحية الرقطاء لها سم ناقع ... وسمي باكباد العدو يديب
سارحل لنجع هلال وفرق شملهم ... وادعيهم في البراكل الذيب

اذ لم افرق شملهم بعد لمهم لا يرحم الله للعجوز مشيب

قال الراوي فلما فرغت ست الغرب من كلامها شدت وحملت ودعت قومها وسارت الى عند بني هلال بصفة شاعرة لكي ترمي الفتنة بينهم فما زالت سايرة الى ان وصلت الى تونس الخضرا فدخلت على الامير دياب لخبت يديه وسلمت عليه وقالت له جئت لاخذ عطاك وانقل ثناك واشارت تخبره وتقول

تقول فتاة قد المت بحيكم الا يا صباح الخير دوم الصبايح
ايامير يا جحجاح يا كاسب الثنا وخيرك على الوراد طامي وطافح
يامير قصدي اليوم اسكن بحيكم اشاهد لكم وقت المسا والصبايح
وكل العرب يامير تاتي لحيكم لان حماكم هو وسيع الفسايح
ولما قضى ربي بمحل بلادنا وماتت مواشي الارض من كل سارح
اتيت لكم قصدي اعيش بظلكم واثني عليكم بالمسا والصبايح
مقالات فتاة الحي نازلة حيكم قتلها الغلا والجوع ياهل السمايح

فلما فرغت ست الغرب من كلامها والامير دياب يسمع نظامها فاشار الامير دياب يترحب بها ويقول

يقول الفتى الزغبي دياب ابن غانم خذي القول مني ياعجوز بالنصايح
انا حامي الابطال في ساحة الوغى اكيد اعادينا بضرب الصفايح
انا شيخ زغبي مع رياح وغيرها ويا ما قتلنا من فوارس جحاجح
رديت ابو سعدا الزناتي خليفة وخليت عياله في دياره نوايح
ملكنا بلاد الغرب بعد خليفة بضرب الرديني والسيوف الصفايح

سبعة وسبعين من المداين ملكتها وفيها هلال تحكم امارة رجايح
يا مرحباً بك عندنا يا مضيفه لكي عندنا الأكرام مسامع صبايح
عبيدك هم اسياد عبيدي جميعهم وما خاب من جاز حينا والمطارح
لكي عندنا الاكرام يا مضيفه واكسيكي خاص الحرير الوشايح
ترى الجود يظهر ذكرنا في قبورنا ومن لا يجود بالمال ما له مادح

قال الراوي فلما فرغ الامير دياب من كلامه وست الغرب اخت الزناتي تسمع نظامه قالت له يا امير دياب قد اسرتني سلامتك وفرحت بقتلة الزناتي لانه اكبر اعدائي وقتل اهلي ويتم اولادي واخذ مالي ونوالي وعدت حزينة غريبة في اقصى البلاد فلما دريت انه مات ركبت ناقتي وقصدت منازلكم العامرة فانا عندي في هذه الارض والبلاد عين تسمى عين سلوان وغيظ البهرجان وانا خاطري اقسم لك هذه البلاد ويكون لك الغيظ من قسمتك فانه يكون لتمام حظك وجعلت توصف الى الامير دياب عين سلوان وغيظ البهرجان بهذا القصيد تقول وعمر السامعين يطول

تقول عجوز الشوم من آل عامر بدمع جرى فوق الخدود وساح
الا يا دياب كثر الله خيرك يا شيخ زغبي كلها ورياح
قتلت ابو سعدا فكان عدونا وابدلت احزاني بكثر فراح
ان شئت اوصف عين سلوان يافتى ففيها جنينة تنعش الارواح
وفيها غصون الزهر يا ابن غانم احمر واصفر لونهم وضاح
والجوز ثم اللوز فيها والعنب والخوخ والرمان والتفاح

وفيها عنب من الدوالي مكعب ومشمشها قد هزته الارياح
وفيها من الاطيار اشيا كثيرة وفيها الكنار والبلبل الصياح
وفيها من الاعشاب يا ابن غانم وغدرانها تنعش الى الارواح
وبركاتها باربع مزاريب من ذهب وياقوت وزمرد لونهم رضاح
باربعة عشر سبع من ذهب والماء ملء افياهم سياح
صنعة ملوك الغرب يا ابن غانم وصاحبها قد ترك الجميع وراح

قال الراوي فلما فرغت زعيمة من هذه الابيات فرح الامير دياب فرحاً شديداً وقال لها اين يكون هذا الغيط وفي اي بلاد فقالت له غدا صباحاً نتوجه واريك اياه وبقوا يتحادثون عن الغيط الى ان اصبح الصباح فركب الامير دياب في جماعته والعجوز وجدوا بقطع القفار الى ان وصلوا الى ذلك الغيط فانبسط الامير دياب وانشرح لما نظر تلك الغدران التي تدهش البصر وتلك القصور العامرة والاشجار الفاخرة وصار الامير دياب في غيط البهرجان وعين سلوان يجتني الاثمار ويقطف الازهار واما العجوز قالت الى الامير دياب ارجوك ان تسمح لي ان اذهب لعند اولادي واخذ لهم حمل من الفواكه فقال لها افعلي ما بدا لكي ولكن لاتطولي علينا غيابك يا اماه فحينئذ اخذت ست الغرب من افخر اثمار الغيط وذهبت الى عند الامير حسن والامير ابو زيد وجدت بالمسير وسابقت الطير الذي يطير حتى وصلت اليهم فسلمت عليهم وقبلت يديهم وقدمت لهم الهدية واشارت ترمي وتصف لهم الغيط والبهرجان وعين سلوان بهذا القصيد وتقول

تقول عجوز الشوم من آل فارس   بدمع جرى فوق الخدود وساح
الا يا صباح الخير يا مير ابو علي   يا عزنا يا فارس جحجاح
الا يا صباح الخير يا مير ابو زيد   يا حامي الزينات بحرب كفاح
يابو علي الزغبي دياب ابن غانم   اليوم في عز وفي افراح
اعطاه اله العرش عز وهيبة   وهو صاحب القنديل والمصباح
وانت سلطان ولا تعرف ايش جرى   دياب تملك يا حسن وارتاح
عنده جنينة يا بو زيد لو رأيتها   روضة زهية تنعش الارواح
فيها العنب والجوز يا بو مرعى   ورمانها وفيها كذا تفاح
وفيها كمثري ونارنج فالح   وفيها ترنج اصفر وضاح
وفيها برقوق ونبق وبندق   واللوز هو والتين له سواح
والمشمش الزاهي طلع من غصونه   وفيها من العناب والتفاح
والموز والقصب العراقي رأيته   والقسطل الرومي بعصره فاح
وفيها سوسان ونعاف زايد   وفيها من المشموم والافاح
والفاغيات وبعثران وسنبل   والياسمين ابيض له ارواح
وفيها خزامى والبنفسج يشوقني   شذاها بريح تنعش الارواح
وفيها غصون الند والشيح نافع   لها عند هبات النسيم رياح
وفوق الشجر اطيار لله ذاكره   تسبح الهاً واحداً فتاح
وفيها هزارات وفيها جوارج   وفيها نسورا تنسر الارواح
وفيها الخضارى ثم عصفور بعده   وفيها ابو فلوح وبو صحصاح
وفيها بلح وفيها شميطة   وفيها بواشق تنشق الارواح .

وتحت الشجر طاووس صنعة مهيمن والبيض له هلعة بهز جناح
ومن شافها يسمع حنين طيورها اذا بان من شرقها وصباح
اذا هبت السما باعلى غصونها يفوح شذاها ينعش الارواح
تجي الف فدان انشاها خليفة وسيَّجها قبل الممات وراح
وكانت مخفية عن الناس كلها اصبحت لكل الناظرين مباح
وفيها من اجلك يا ملك ميه رتبة ومايتين كرسي مذهبات ملاح
مطعمة بالعاج وفيها معادن ولولو وجوهر والحرير وشاح
وفيها جواهر متمنة لو رأيتها جددت لك بعد الجلوس رواح
وفيها طواويس ذهب صنعة اندلس والماء من افواهم سواح
وفيها من التفاح والعرق مائس واما القرنفل للشتاري راح
وشحرور مع حسون فوق غصونها وفاحت حدا قمري بصوته ناح
وفيها قصور للزناتي خليفة عليها يا حسن قد راحت الارواح
غدا شوفها انت وابوزيد باكرًا واجلس فيها يا حسن وارتاح
وانظر بما فعل الزناتي خليفة وصاحبها خلى الجميع وراح

قال الراوي فلما فرغت العجوز من كلامها والامير حسن والامير ابو زيد يسمعوا نظامها وقع الحسد في قلوبهم من الامير دياب ثم انعموا على العجوز واصرفوها في حال سبيلها وقال الامير حسن والله يا امير ابو زيد ان الامير دياب حاز افخر ملك الغرب ومرادنا نركب في الابطال ونقصده في عاجل الحال وننظر هذا الروض وصار حسن يخابر امراء الغرب على الفتك في دياب وفي ثاني الايام جمعوا

رسان والابطال وركب هو والامير ابو زيد وما زالوا سائرين الى ان
صلو الى عند الامير دياب ودخلوا غيظ البهرجان وعين سلوان
لما نظر الامير حسن وابو زيد هذا المنظر وعلو القصر وجميع ما
كرت عنه العجوز تعجبوا غاية العجب ولما علم الامير دياب بحضورهم
لاقاهم وقال له الامير ابو زيد يا امير دياب نحن ماسكين البقرة من
نيها وانت تحلبها فقال الامير دياب اذا الله اعطى من يمنع واذا منع
ن يعطي فقال الامير ابو زيد فان شئت يا امير دياب تعطي هذا الغيظ
ى الامير حسن فما قبل الامير دياب بذلك فانغبن الامير ابو زيد
ن دياب وساق الجمال اهجم على البغض فهدموا الاسوار وردموا
لابتار وكسروا الاشجار لما نظر الامير دياب هذه الفعال غضب في
لحال وجمع بني زغبي وفي نصف الليل احضر ثلاثمائة ثعلب ودهنهم
زفت والكبريت وشعلهم من اذنابهم واطلقهم بين زرع بني هلال
كان ايام الحصاد فاشتعل الزرع ولعب في بعضه البعض فوصل
لخبر الى الامير حسن فخرج هو وقومه ليطفوا الحريق ولكن كان
حترق اكثره وما بقي الا القليل فغضب الامير حسن وعرف ان
هذا الفعل هو فعل الامير دياب فجمع قومه وراح يستشيرهم على
حرب الامير دياب فقالوا الجميع الاوفق ان ترسل وراه فان اطاع
سلطان يحرم قتاله وان ابي نركب جميعنا اليه وفي عاجل الحال ارسل
نجاب لكي يستدعى الامير دياب فلما وصل النجاب اليه تأنى ولم يحضر
اشار يكتب الى الامير حسن ويقول

يقول ابو موسى دياب ابن غانم   صحيح كلامك يا امير صواب
لكنك قللت حظي وقيمتي   واصبحت في قلة وقول وراب
ثاري فكرك ضاع يا امير ابو علي   وعقلك ورايك ما يكون صواب
تبعت لي راعي الجمال يجيبني   كأن عقلك من دماغك غاب
تملى بالملك والأرض كلها   ولبس القطاني فوقها سنجاب
وخربت ارض البهرجان يا حسن   وعقلك خرق ما عاد فيه صواب
اذ لم تجي الفين والفين مثلها   مشاة وركابه مع الركاب
ما جيت لك ولو كنت من ما تكن   لا والله مالك الا وطاب

قال الراوي فلما فرغ الامير دياب من الكتاب اعطاه الى النجاب وقال له خذ هذا الكتاب واعطيه الى الامير حسن بن سرحان فاخذه وسار الى ان وصل الى الامير حسن فقراه على روس الاماره والشباب فقالوا له الجميع افعل ما تريد فعند ذلك اشار الامير حسن يحثهم على حرب الامير دياب وقتله ويقول

يقول الفتى حسن الهلالي ابو علي   ولي قلب من جور الزمان ملان
فما قولكم يا قوم في ولد غانم   دعانا بلا قدر كما النسوان
قتل الى سعدا وخان عهودنا   فلا خير في للصحاب خوان
فقول ما الراي يا بو مخيبر   وما العمل يا قاضي العربان
كم مرة نحنا غفرنا ذنوبه   الكيل ياقوم قد بقي ملان
دياب خايب يا اماره بفعله   عدواته قد صار ظاهر للعيان
فقوموا ودقوا طبول حروبنا   ناخذ بثارات لنا بسنان

ما قال الفتى حسن الهلالي ابو علي وقلبي غدا مهموم من فعل الزمان

قال الراوي فلما فرغ الامير حسن من كلامه وبقية الامارة يسمعون نظامه قالوا كلهم الحق معك دياب غدار وما علاج الغدار الا ضرب البتار كل هذا وابو زيد ساكت فقال له الامير حسن لماذا يا ابو زيد انت ساكت فقال انا لا ارى من الموافق ان تقاتلوا الامير دياب لانه منا وفينا ولا احب ان نفني بعضنا ونحن كل عمرنا عايشين سوا ودائماً انا وهو نتعاون على الخير والشر فاذا حاربته فاما ان اقتله واما ان يقتلني ومن قتل منا تخسره بني هلال وانا الراي عندي ان نصلح بينكم ويذهب كل شيء الى حاله فقال حسن انا لا ابدلي عن قتاله لانه ما كفاه خرج عن طاعتي ووضع رمحه فوق باب تونس ليمرقنا من تحته لانه استخف بنا جداً وقتل سعدا خطيبة ابني امامي وهي صارت من حريمنا وقد طمع فينا واراد ان ياخذها فقال ابو زيد انا اروح معكم ولكن لا اقاتل بل اصالح . ثم انهم جمعوا قومهم وذهبوا الى قتال الامير دياب فلما وصلوا اليه وعلم بهم خرج بقومه لقتالهم فلما التقوا الجيشين برز حسن الى الميدان فبرز اليه الامير دياب فالتقوا بطلين كانهم جبلين وحان عليهم الحين وغنى فوق روسهم غراب البين . وثار الغبار وسد منافس الاقطار وقدحت حوافر الخيل الشرر وكلت منهم الزنود وزهقت منهم الكبود واطلقوا الاعنة. وقوموا الاسنة وعدت تسمع لهم ضربات مثل مطرقات الحدادين مقدار ساعة من الزمان طلعت من الاثنين ضربتين قاطعتين كان سابق بالضربة

الامير دياب وقعت ضربته على ترس الامير حسن نزلت على جواده
فبرتها كما يبري الكاتب القلم فوقع الامير حسن الى الارض وانحطم
وصار وجوده كالعدم فادركه الامير ابو زيد وخلصه واما مرعي فانه لما
نظر الى ابيهِ قد وقع الى الارض اراد ان يهجم على الامير دياب فزجه
الامير دياب بالحربة اجت على لبة فخذه فارماه الى الارض ثم ان
الامير دياب بعد ذلك الوى عنان جواده ورجع قاصد بلاده وما احد
تبعه ثم اجتمع بقومه وقال لهم عرفتم ما قد صار بيننا وبين حسن فما
الراي عندكم قالوا الراى عندنا ان ترحل وتغيب لك مدة من الزمان
الى ان يصلح الحال ويروق البال لانك تعديت على الامير حسن
وعلى ابنه مرعي وربما حشد له الامير ابو زيد فتوقع الحروب والاهول
ونفني بعضنا وتشمت الاعادى فينا فقال لهم دياب اني لا ارحل
من هذه البلاد ما لم اقتل حسن ومهما قدره الله يصير فهذا ما كان
منه واما ما كان من الامير حسن فانه قام من وقعته وجد ابنه
مجروح فحمله مع قومه واخذوه الى القيروان وصار ابو زيد يلوم الامير
حسن ويقول له انت تعديت على الامير دياب وكان مرادك تقتله
وهذا اخونا ومن الموافق ان تصغوا لقولي وترفعوا الحقد من بينكم
ثم ان ابو زيد اصلح بين الامير حسن والامير دياب ولكن
بقيت البغضة كامنة في قلوبهم الى يوم من ذات الايام جمع الامير
حسن قومه وسادات عشيرته وقال لهم ان مرادي ازف ابني مرعي
وكان شفي من جرحه على عطر الجيب بنت الامير ابو زيد فنادوا

في جميع العربان ان مدة العرس شهر تمام لا احد ياكل ولا يشرب
الا عند الامير حسن فذبح حسن الذبائح وعمل الولائم ثم استدعى
في عشرين فارس من اولاد عمه وقال لهم ان مرادي ارسلكم الى
تونس لكي تعزموا لنا الامير دياب ثم استدعى بقلم وقرطاس ودواية
من الذهب الخاص واشار يعزم الامير دياب ويقول

يقول الفتى حسن الهلالي ابو علي   الا يا دياب الخيل يانطاح
يا دياب الخيل شرف محلنا   شرف محلك واحضر الافراح
واحضر زفاف مرعي فيسر خاطرك   ربي يديمك في هنا وافراح
اذا ما حضرت العرس يا ولد غانم   اختك يجيها الهم والاكلاح
واحضر الذي تريده يا امير   مع اخوتك كي تكمل الافراح

قال الراوي فلما فرغ الامير حسن من كلامه طوى الكتاب
وختمه بختامه وسلمه الى امير من اولاد عمه وقال لهم لا ترجعوا
الاّ والامير دياب معكم فاخذوا المكتوب وساروا يقطعوا الروابي
والهضاب قاصدين الامير دياب واما ما كان من الامير دياب فانه
تلك المدة حلم حلماً هائلاً فاستدعى بابن عمه الامير مسلم فلما حضر
بين يديه ساله ما الخبر فاشار يعلمه بهذا القصيد

يقول ابو موسى دياب ابن غانم   الايام ما تبدي بيوم سعيد
رايت مناماً يا امير مسلم   نكد علينا غاية التنكيد
ورايت خلخالاً على الساق فضة   يدور على الرجلين بالتوكيد
ورايت جماعة من رجالي عدمتهم   وما شفتهم بالعين يا صنديد

ورايت اني في وسط قاعة مربعة　　ومصفحة ابوابها بحديد
فسر منامي يا امير مسلم　　واشرح منامي يا امير وفيد

قال الراوي فلما فرغ الامير دياب من هذا الكلام وابن عمه مسلم يسمعه على التمام فاشار يخبره ويقول

يقول الفتى المسمى امير مسلم　　وكون لقولي فاهم التحديد
ان طعتني اترك هلال وعامر　　تعلا عليهم يا امير وتسيد
فالطوق هذا الذى يدور بعنقك　　فذاك جنزير يا دياب حديد
واما الاساور بين الزنود المزنده　　يدوروا على يديك بالتوكيد
والخلخال الذي يدور برجلك　　هذا قيد يا دياب حديد
واما الرجال الذي تقول رايتهم　　امارة يصيروا في تراب الحيد
والقاعة حبس الزناتي خليفه　　تقاسي بها ايام بالتعديد

قال الراوي فلما فرغ الامير مسلم من هذا الكلام فاجاب زيان الى عمه الامير دياب وقال لاتفتكر يا عم لان هذه اضغاث احلام ما هو الا من ثقل الطعام وبعد مدة من الزمان اقبلوا عليه عشرون امير من عند الامير حسن فدخلوا لعند الامير دياب وسلموا عليه وبلغوه عزيمة الامير حسن واعطوه الكتاب فلما قراه وعرف رموزه ومعناه انسر وانشرح وسألهم عن صحة الامير حسن والامير ابوزيد وعن اخته النافلة وعن بقية نجع بني هلال فقالوا له الجميع بخير يهدوك السلام والتحية والاكرام وكان الامير دياب سمع بهذا الخبر فما ظن بسوء فقال لهم انني بعد ثلاثة ايام اكون هناك فسلموا على الامير

حسن واهدوه مني حزيل السلام ولما تأكدوا مجيئه رجعوا واخبروا
الامير حسن فذبح حسن الذبائح واولم لولائم واجتمعت القبائل
عنده وهم في بسط الانشراح الى ان كان يوم الثالث نظروا الغبار من
جهة تونس فارسل حسن من يكشف الخبر فرجعوا واخبروه ان
هذا الامير دياب ومعه الف فارس من بني زغبي الانجاب فخرج
الامير حسن الى ملتقاهم ولما وقعت العين على العين سلموا على بعضهم
بعض وكان الامير دياب شيخ جليل لابس جبة من الحرير
الاخضر وشالح على كتفه برنس احمر وعلى رأسه عمامه من البرفيل
الارجوان ثم دخلوا على صيوان الامير فترحب بهم غاية الترحيب
وجلس دياب على كرسي من العاج كانه الذهب الوهاج وقومه من حواليه
ثم امر الامير حسن باحضار القهوة وكاسات الشراب واحضر مايده
الطعام مصحوبة بالف فارس ضرغام فلما جلسوا على المائدة وجدوا
المناسف مغطات فرفع الامير دياب الغطا عن المنسف وجده فارغ من
الطعام وفيه قيوداً من الحديد فقال الامير دياب ما هذا يا حسن فقال
الواجب ان تتقيدوا الى السلطان بالطاعة ولو انه ساعة فعندها
وضع الامير دياب القيد برجله وفعلت باقي الامارة كفعله وبينما هم
كذلك والا اندفقت فرسان دزيد لداخل المكان بيدهم الخناجر
والسيوف ومن جرى ذلك صار دياب كالملهوف فعندها امر الامير
حسن بنصب المشانق والحبال وقال اشنق جميع هولاءي الرجال
والتفت الى الامير دياب واشار بقول

الا ما قال من نظمه الدريدي ... يا امير دياب انست الديارا
دياب الخيل آنست المنازل ... وظهر النور بعد الاعتكار
وماكم جهلكم وانتم طغيتم ... وفي اشراكنا عدتم حيارى
دياب مناع تحسبني نسيته ... وقطعت الطرق للناس والتجارا
ابو الفردوس علي للمشانق ... واشنق للرجال مع الامارا
وانا ان عشت لاشنق آل زغبي ... واقطع للكبار مع الصغار

قال الراوي فلما فرغ الامير حسن من كلامه والامارا تسمع نظامه فذبحوا ستون اميرا على ركبة الامير غانم ودياب والبقية امر بشنقهم اما الامير غانم وولده دياب كادت تنفقر مرارتهم من كثرة الحزن ولكن ما طالع بيدهم شي بحيث انهم ماسورين وخالين من السلاح فقدم السباق امير من بني زغبي وكان المقدم عليهم زيان ابن الامير زيدان وتقدم الى الامير يترجاه ويقول

يقول الفتى زيان والنار في الحشا ... ونيران قلبي زايدات اللهايب
الايام والدنيا كفى الله شرها ... وتاخذ حقوق مالها من مطالب
فلا تامن لها في فعالها ... تجي لك عجوز شمطا شعر شايب
وكم خزلت امير من بعد عزه ... واصبح انيس القبر تحت الترايب
اسكندر ذي القرنين اين يا حسن ... وقارون مع هامان راحوا ذهائب
ولوا ونحن بعدهم تابعينهم ... ولا يبقى مخلوق يا ابن الاطايب
ولو دامت الدنيا ودام نعيمها ... لكان رسول الله في الملك راكب
وملوك نجد الهيدبي وغيره ... ذهب واخوه الجشيمي في الترائب

وكامل ونوفل والدعا مفرج ‏ وحنظل ومفرج في العنا والتعائب
قلهم ابو موسى دياب ابن غانم ‏ واخذ لكم ملكهم والمراتب
وما تفتكر في مصو لما تزاحمت ‏ بيوم بقى نشابها كالمرايب
راينالك يا حسن الهلالي نهارها ‏ يا ابو علي الله على كل عائب
نسيتم جمايلنا يا امير ابو علي ‏ فعادوا حزانا مالهم من يطالب
ستون من زغبي يا امير قتلتهم ‏ ولا تعلم على الباغي تدور النوائب
اتوصى باولادنا يا امير ابو علي ‏ فعادوا حزانا ما لهم من يطالب
فتقدمت الى زيان امه تقول له ‏ يا ولدي والقلب فيه لهايب
فلا تبكي اسفاً على ما اصابك ‏ فذا الدهر غدراته تحاكي السحايب
تصير لحكم الله والصبر نافع ‏ ومن يصبر للحكم نال المكاسب
بكت ام زيان الامير وعددت ‏ حزنت لها العربان من كل جانب
وقالت ايا زيان يا ذل امك ‏ حزينة من بعدك لها شعر شايب
غريبة كئيبة غير الدهر حالتي ‏ ولا لي بعدك حاجة من العرايب
ايا ولدي لا اوحش الله منك ‏ ايا من عليك القلب مقطوع ذايب
بالله بالله يا هلالي ابو علي ‏ تشفق على الحرمة من ذي التعائب

قال الراوي فلما فرغت ام زيان من كلامها فعندها صرخ الامير حسن اشنق فعندها شنق الامارا ابو الفردوس فقاموا عليهم نسائهم الصياح والبكا والنواح حتى ارتجت من صريخهم تلك الروابي والبطاح وبينما هم في تلك الاحوال دخل القاضي سرور الى الديوان فاول ما راته اخته بزلا فسلمت عليه واشارت تقول

تقول بزلا عند ماشطها النيا　يا امير عزي ثم سعدي راح
ابات طول الليل قاتي حزينة　ودمعي يجري مثل سيل ساح
فاول حزني فقد بدر ابن غانم　غدره خليفه الفارس الجحجاح
ويا ما فعل فيكم الزناتي خليفه　وعانه عليه الواحد الفتاح
طعنه دياب الخيل في وسط عينه　وعاد فيكم بعد التعب مرتاح
وملككم عين الخطيره وتونس　وقابس ومغراوه وكل بطاح
انسرت امارتكم وفرحت جيادكم　وقد زاد فيكم الانس والافراح
وكله بسعد الامير ابن غانم　قدوم زغبي كلها ورياح
يجازيه حسن بالعيب يا ابن فايد　يشنق امارة خيرين ملاح
وهولاء اولادي معلقين على بكر　وحبل القضا تلعب به الارياح
شنق الفتى زيان وهداد يا بطل　تشفع لنا بنزولهم يا صاح
نأويهم باللحود يا ابن فايد　واجرك على رب كريم فتاح

فلما سمع سرور كلام عمته اغتاظ ودخل لعند الامير حسن واستأذنه بتنزيل القتلا عن المشانق فامر الامير حسن بتنزيل المشنوقين فانزلوهم واخذوهم بني زغبي وواروهم التراب وبعد ذلك صاح حسن على ابو الفردوس اشنق دياب فقال له القاضي شفاعة في دياب فقال الامير حسن ما في شفاعه يا قوم لانه حرق الزرع وقتل سعدا وعصي وقطع الطرقات ومشى في امور ما احد مشاها واشار يقول

يقول ابن سرحان الدريدي ابو علي　وجرح النيا نغص علينا مخاطر
اكم اسامح لك يا دياب ابن غانم　وانت علينا موحش العقل ظافر

بدا الامر جازيتك وانا قاهر العدا شنقت اخوانك بعينك ناظر
الا ياسرور اصغى لقولي وقصتي تحتار فيها كاتبين الدفاتر
انا الي ثلاث دعوات وثلاث مثلها حل الوفا وانا على الحق صابر
اول دعوه خان اخوي ابن والدي قتله وسكنه لحود المقابر
سامحنا وصبرنا وصفيت قلوبنا على ما جري فينا ونحن نكابر
وثاني دعوة بارض نجد دهيتنا بحرق الحديقة صرت خوان فاجر
حرقت جميع اشجارها بعد ظلمها واهلكت طيراً كان لله ذاكر
وثالث دعوة ارديت مناع بالقنا مناع مناع العدا بالبواتر
ومن قتل مناع ما ارتاح خاطري لانه ربيع الليل والضيف عاكر
وجبت لنا شكر الشريف بعزوته راكبين من فوق خيل ضوامر
قبلنا سياقك يا دياب ابن غانم ولا خير في الاجواد اذ لم تكابر
ورابع دعوة نصبت رمحك بلاخفا على قصر ابو سعدا تنهي وتامر
وخامس دعوة هنت سعد اخسيبتي برايك ايا مجنون هنت الاكابر
وقتلتها من بعد عز على نقى ومن اجلها اصبح القلب فاطر
وسادس دعوة قد تعديت يا فتى وعليك شهود من هلال وعامر
ايا قاضي العربان احكم واقول لي بحكم الشريعة لاتكون قط جائر

قال الراوي فلما فرغ حسن من كلامه قال القاضي لدياب انت قتلت اخوته وحرقت الزرع وقتلت سعدا ابنة الزناتي خليفه ونصبت الرمح فقال له دياب نعم قال القاضي الله يلقيك يا دياب انا ما قلت لك لا تغير على احد فقال دياب انا لي ثمان دعوات واشار يقول

يقول الفتى الزغبي دياب ابن غانم ... ولي عزم امضى من حسام البواتر
امراء نجد زليتهم بعد عزهم ... وادعيتهم تحت الاراضي دوامر
وكان يجى لك يا هلالي كتابهم ... تحت الجزية وانت مغلوب صاير
بيدي قتلت الهيدبي ابن زايد ... وللان عليهم باغياً ثم ظافر
دعواتك ستة انا لي ثمانية ... شرحت منها واحدة من الضماير
وثاني دعوة قتلت العقيلي حنظل ... ووليت منه يا حسن وانت حاير
وفي حلب الشهبا نصبتم خيامكم ... وجاكم خزاعي فوق عبيد ضامر
واردى ابو زيد ابن رزق سلامه ... وخلصته والسوق مسود عاكر
وها ثالث الدعوات ياميربو علي ... والله عالم في جميع السراير
ويوم مصر حميت قيس جميعهم ... وتشهد بها ساير هلال وعامر
في يوم قتل خمسة وخمسين فارس ... وافنى فوارسكم بضرب الشواكر
ورابع دعوة يا امير ابو علي ... قتلت الفتى فرمند والحق ظاهر
وخامس دعوة يا امير ابو علي ... سلمتموني البوش برسم الدفاتر
اتى ابو خريبه معتدي يا بو علي ... فارديته لما اتى على البوش غاير
واكلوه سباع البر يا مير ابو علي ... ومن مالكم ماغاب ولا فرد فاطر
وسادس دعوة دلكم مع خليفة ... وانتم معه كالغنم في المجاوز
ركبت وجيته فوق خضرة مبرشمه ... وجاني على اشهب اقب الحوافر
ضربته بحربة سلم الله مقاتل ... ومن حربتي قد صار اعمى النواظر
وسابع دعوه قتلت حظي وقيمني ... وغارت على ما لي دريد وعامر
وثامن دعوه يا ابن سرحان هنتني ... اخذتم غيظي كان نامي وزاهر

فهذا مقدر يا امير ابو علي ومن لا يموت اليوم يموت باكر

فلما فرغ الامير دياب من كلامه والامارة يسمعوا نظامه فقالوا الى القاضي بماذا اصدر الحكم على دياب فقال ان الشريعة تحكم على دياب بحبس سنة كاملة فلما سمع حسن ذلك الكلام استدعى بزحزاح السجان وقال له خذ دياب الى السجن واشار يقول

يقول الفتى حسن المدريدي ابو علي ولي عزم امضى من سنان رماح
تسلم يا سجان مني ابن غانم وثقل قيوده في مسا وصباح
وسير به للسجن في الف فارس من كل ليس فارس جحجاح
ومن جاكم يطلق دياب ابن غانم بطعن العوالي اوثقوه جراح
ومن كان عنيد من هلال وعامر قطعت اخلاعه بحد صفاح
واجعله في السجن يبقى مثاله انا شيخ عامر ماعليَّ جناح
ان عانني ربي وقتلت ابن غانم لافنى اكابرهم بضرب صفاح

قال الراوي فلما فرغ الامير حسن من هذه الابيات سار الزحزاح بدياب الى السجن ووضع قيود الحديد في رجليه وعنقه قال الراوي ولما وصل الخبر الى الامير ابو زيد اتى من الاندلس الى عند الامير حسن فسلم عليه وترحب به غايه الترحيب ثم ساله ابو زيد ما فعل فاخبره واغتاظ منه واشار يقول وعمر السامعين يطول

يقول ابو زيد الهلالي سلامي نيران قلبي زايدات ضرام
يا بو علي اسمع كلامي وافتهم واصغى الى قولي وكون فهام
عملت في قومك عمايل شنيعة ما كان لازم هذه الفعال تمام

طغيت في حكمك يا امير ابو علي ... الظلم يدعي للقصور هدام
الله تعالى اوصى بالعدل يا حسن ... يوماً به قد تظهر الاثام
وبنصب الميزان عن كل فعله ... ماهياً يجازى بالمليح قوام
ومن كان فعله بالقبيح فانه ... يجازي بنار زايدات ضرام
ما كان واجب شنق الذين شنقتهم ... هؤلاء قرايبا بني الاعمام
اخطى دياب الحيل قاصصت غيره ... فهذه فعال يا امير حرام
صار الذي قد صار ما فيه فائدة ... وامر الهي نافذ الاحكام
قيموا عزاهم يا امارا جميعكم ... فهم مثلكم في رفعة ومقام
ولا تنسوا نعمائهم وطيب جميلهم ... ومن يذكر المعروف ليس يضام
ما قال ابو زيد الهلالي سلامي ... حرام على عيني المنام حرام

قال الراوي فلما فرغ ابوزيد من كلامه فقال له الامير حسن ما عملت مع دياب الا ما استحقه فان كنت قتلت اولادعمه واخوته فهو قتل اخي وخطيبة ابني وجرح ولدي مرعي وقد جرح قلبي عليها فقابلته بمثل ما قابلني جرحت قلبه عليهم . ثم ان الامير حسن بعث الف فارس الى تونس وامرهم ان يحضروا له خزانة تونس سلاح الامير دياب واثاث بيته وكل ما في قصر الزناتي يحضروه فحالاً ذهبوا الى تونس واحضروا ما امرهم به الامير حسن واما ما كان من الامير دياب لما مضى عليه سنة من الزمان يقاسي الذل والهوان وافتكر في ايام عزه وخطر عليه اولاد عمه وتذكر الشهبا ابنة الخضرا فاستدعى الزحزاح وقال له آتيني في قلم وقرطاس ودواية من الذهب الخاص

فاحضر الزحزاح ما امره به دياب فاخذ الأمير دياب يكتب كتاباً الى والده الامير غانم ويقول وعمر السامعين يطول

يقول ابو موسى ذياب ابن غانم ونيران قلبي زايدات شرار
على اولاد عمى احرقوني بنارهم فيا خيف اعمار الجياد قصار
اتوني للسجن يريدوا مذلتي بخمسة قيود ماكنات كبار
كذبوا وذلوا يا امير بقولهم ولو كنت ماقى في حرايق نار
انا ابوك موسى صنديد من حديد اذا ضرب الصوان يقدح نار
تسلم ايا زحزاح مني رسالتي الى عند زغبي سادة الأقطار
وقول لهم قال الامير ابن غانم كلام وفي عنقه حديد قنطار
يااولادزغبي لا توطوا نفوسكم ولا تبطلوا بين الأعادي نار
ولا تبطلوا الافراح في النجع دايم تشمت بكم الأعدا بوسط الدار
واوصيك ياغانم وصية وحوزها انا انبيك يا والدي واكد الاخبار
واوصيك على الشهبا حقيق ركوبتي تكرمها باللحم ليل ونهار
وانصب لهاخيمه تقيها من الشتا ورتب لهاسايس من الشطار
ان عشت ما اترك ثارك على المدا وان مت ما يبقى عليّ ثار
عليك سلام الله يانعم والدي في كل آن على مدى الادهار

قال الراوى فلما فرغ الامير دياب من كتابه طواه وختمه بختامه واعطاه الى الزحزاح فاخذه وصار لعند غانم واعطاه الكتاب ففضه وقراه وعرف رموزه ومعناه فاستدعى بقلم وقرطاس وانشد يقول

يقول الفتى غانم بعين وجيعه ونيران قلبي زايدات وهاج

تصبر ايازغبي على الهم والبلا   واياك بين القوم تكون لجاج
واذ لم تصبر ياذياب ابن غانم   يبقوا الزغابي شقا وهجاج
قدامهم يوم طويل وشده   وحرب طويل بحره عجاج

قال الراوي فلما فرغ الامير غانم من الشعر طولى الكتاب واعطاه للزحزاح واوصاه ان يكتم سره واعطاه خمسماية دينار وايضاً خمسماية لولده الامير دياب فاخذ وسار الى ان وصل الى الامير دياب اعطاه الامانة والكتاب ففضه وقراه وعرف رموزه ومعناه وقد انترك الامير دياب من الجميع وما عاد يفتكر فيه لا شريف ولا وضيع غير اهله والخلان وابوه غانم ليث الميدان هذا ما كان من هؤلاء واسمع ما جرى للامير ابو زيد والامير حسن فانه قد طابت لهم الاحكام وراق لديهم الزمان ونسيتهم صروف الحدثان

﴿ انتهى الكتاب الثاني والعشرون ويليه الثالث والعشرون ﴾
﴿ وهو ديوان اليتامى ويتضمن قصة عزيز القوم ابن اخت ﴾
﴿ الامير ابو زيد ورجوع عليا مع ابو زيد من نجد المدية ﴾
﴿ الى الغرب وخروج دياب من السجن وقتل ﴾
﴿ الامير حسن ﴾

ويباع في مكتبة الترقي لصاحبها شكري الخوري وشركاه (بيروت)

قصة اليتامى

الجزء الثاني

وهو يتضمن قصة عزيز القوم ابن اخت الامير ابوزيد
ورجوع عليا مع ابو زيد من نجد العديه
الى بلاد الغرب وخروج دياب من
السجن وقتل الامير حسن من
الامير دياب

تباع مع جميع القصص والكتب باسعار متهاودة جداً
في مكتبة الترقي
لصاحبها
شكري الخوري وشركاه
شرقي ساحة البرج اول طريق النهر (بيروت)

برخصة مجلس معارف ولاية بيروت الجليلة

تقدم في الجزء الاول من قصة اليتامى ان الامير حسن سجن الامير دياب وقد طابت له الاحكام وراق له الزمان

قال الراوي ففي ذات يوم من الايام بينما كانوا مجتمعين الامير حسن والامير ابو زيد في الديوان ومن حولهم السادات والاعيان وامامهم الابطال والفرسان والا دخل نجاب وبيده كتاب فسال عن الامير ابو زيد فاهدوه عليه فتقدم وتمثل بين يديه فسال ابو زيد من اين ياوجه العرب فقال له من نجد من عند الست عليا بنت الامير حسن الجبري ام شيبان وهي تهديك السلام والتحية والاكرام ومن حين فراقك هي تطلبها الامراء والاعيان والسادات والفرسان والان مدورين عرسها على الامير نوفل فارس الميدان وقد قامت الافراح في الحي من كل مكان وعليا غير راضية بهذا الشان غير ان نوفل كتب كتاب عن لسانك انك ما عاد لك بعليا مارب ولا عدت ترجع من ارض المغارب فزوجها لمن تريد وعندما بلغ عليا هذا الخبر تنغص عيشها وتمرمر واخر الكلام اخرج الكتاب وباسه واعطاه الى ابو زيد ففضه وقراه ولما وقف على معناه رغرغت عيناه بالدموع فلما نظر ذلك الامير حسن وبقية السادات ضاجوا وماجوا وقالوا ماجرى عليك يا بو زيد وما هذا الكتاب فاننا صرنا باندهال عظيم فبالله عليك تطلعنا على فحواه ولك منا ما تتمناه فحينئذ ناول الكتاب الى ابن اخته عزيز القوم لانه كان بجانبه فاخذ يقرا كتاب عليا على روس الامراء والشباب ويقول

تقول فتاة الحي عليا التى شكت ونيران قلبي زايدات الشمائل
وعيني تبات الليل ماتالف الكرى انوح كما ناحت طيور البلابل
اقول وفي قلبي من البين لوعة من اجل ابو زيد اللطيف الشمائل
ابو زيد عمرى ما نظرت لغيره وحبه غدا جوا فوادي ملايل
وحب اولادي احرق القلب والحشا وما عاد لي حيل يطيق المحائل
ياغاديا مني على متن ضامر تطوي الفيافي برها والسهائل
تهدي هداك الله خذلي رسالتي الى تونس الخضرا وتلك الطلايل
واوصل سلامي للامير سلامه وقبل لوامه ثم حب الانامل
واقريه مني الف الف تحية وسلم على اولادي ظراف الشمايل
وسلم على شيبان ابني وقل له سلامي وقبل وجهه والجدائل
وسلم على زايد وزيدان واخته تسمى جمال الظعن ام الجمايل
ابوزيد مالك قد هجرت بلادنا وكنت بهارغبان يا ابن الاصائل
ابوزيد في علمي بانك تزورني وترجع لعندي ياظريف الشمائل
اربع سنين ما اتى منك خبر ولا بان منك يا سلامه رسائل
ابو زيد قلبك عن هواك تغير وملت الى غيري رضيت البدائل
ابو زيد لا تلهيك حسنبا وغيرها ولا بنت القاضي ولا بنت نائل
هؤلاء بنات هلال مافي مثالهم بنات الاماره من فروعا اصايل
ابو زيد للمودة شروط كثيرة وحفظت عهودك من زمان الاوائل
فما تذكر يوماً اتيت لحينا واعطيتك الحيصا بلبس الكمايل
وسمعت بها العربان يا امير كلهم وذكر الفرس قد شاع بين القبائل

ابو زيد ما تذكر ليالي التي مضت ونحن بارغد عيش والعز طائل
ابو زيد جاني نوفل مع معيقل وجاني جباره والفتى بن كامل
اتوا يخطبوني يا امير منعتهم رديتهم عني وزدت الهوائل
ولاطابوا في عيني ولاردت قربهم ولا يرتضي الانذال بعد الاصائل
ابو زيد انهض يا امير بلا بطا واسرع الى عندي واخلى المنازل
ابو زيد جد السير يا غاية المنى وارحم فتاة قلبها فيك مايل
وان كان ما تاتي فادهب بغيبتك واقطع عنك يا امير الوسائل
تقول عليا من فواد موجع فارقت اولادي وناري شعايل

قال الراوي فلما فرغ عزيز القوم من قراءة تلك الابيات وسمعتها جميع الامراء والسادات فقال الامير حسن والله يا امير ابو زيد ان الحق مع عليا لانك قطعت عنها المخابرات وقداحترمت رويت اولادها وانت ما عدت ذكرتها من اليوم الذي تخاصمت هي والجازية ورجعت من مصر مع ابيها حسين الجعبري الى نجد وليست هذه افعال الامراء الكرام فاجابه ابو زيد هذا هو الحق والصواب ثم التفت الى العبد الذي احضر المكتوب من عند عليا واشار يترحب به ويقول

يقول ابو زيد الهلالي سلامة يامرحباً في من اتانا قريب
وسريت مني القلب واللب والحشا واطفيت من قلبي لظى ولهيب
فكيف حال عليا التي تركتها دامت على عهد القديم نجيب
وهل حافظة العهد الذي مضى وتلك المحبة فالزمان عجيب
فعليا مني قلبي ولبي ومهجتي وان شافها قلب المريض يطيب

ولا بد ما اذهب اليها وجيبها ... واقتل لراغبها براس قضيب
ومن دا الذي يذكر لعليا بغيبتي ... ويخش حماها او يكون خطيب
ما دام شاشتي يهب بها الهوى ... لارميه بسهم والحسام يصيب
واولادها عندي اسود كواسر ... يخضوا غبار الحرب يوم صعيب
انا ابوك يا شيبان انا قاهر العدا ... فاني بيوم الكائنات مريب
فاقعد عندي ثلاثون يوماً يا فتى ... الى ان يروح الحج للتعريب
واعطني مني كتاب لعليا ... سلام محب من فواد حبيب
وانا بعدك اغدي اليها بعزوتي ... واجيبها من فوق ظهر نجيب
واجمع بها شملي وشمل ولادها ... وكل الامور عند الاله تصيب
يقول ابو زيد الهلالي سلامه ... ونيران قلبي زايدات لهيب

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من كلامه واولاده والامراء يسمعون نظامه فنهضوا وسلموا على العبد وسالوه عن والدتهم وعن صحتها فقال لهم الحمد لله بكل خير وهي تقبل وجناتكم فاخذوه وصاروا يتضايفوه لمدة الثلاثين يوم فعندها تحرك حج الغرب للزيارة فنهض العبد لعند الامير ابو زيد واخبره بالمسير الى بلاد نجد صحبة الحجاج فاعطاه ابو زيد مطيه وثلاثماية دينار ثم استدعى بقلم وقرطاس واشار يخبر عليا ويقول

يقول ابو زيد الهلالي سلامه ... وطير المنيا حكم بقلبي مخالبه
من البعد والفرقا يا ما صابنا ... وكنت حال شخص فارقوه حبايبه
ايا غادياً مني على متن ضامر ... يجد الثرى في البر تجرى ركائبه

اذا جيت الى نجد العدية وارضها فسلم على عليا وباقي قرايبه
وقول لها يا منية القلب والحشا شخصك مصور في فوادي تصائبه
ولا عاقني الا خليفه وحربه سقيناه كاس الموت مره مشاربه
قتله ابو موسى دياب ابن غانم وادعى دماه على الاراضي سكائبه
اخذنا بلاده والقصور جميعها واموال تلفت وذهبت ذهائبه
واميرنا حسن الهلالي ابو علي بكل بلاد الغرب حلة ركايبه
كتبت على صدري مسائل كثيرة خيام وسلطان وقاضي ونايبه
ولا بد من قاضي لشرع الحكم بيننا ويبان للمغلوب من كان غالبه
تعذبني بالبعد والبعد خيبة اذا طال عمر المرء تكثر متاعبه
ما قال ابو زيد الهلالي سلامه وانا عبد من يحفظ على البعد صاحبه

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من انشاده طوى الكتاب وختمه بخاتمه وايضاً شيبان واخوته كتبوا مكاتيب الى عليا والدتهم واعطوهم الى النجاب وساروا معه سفر يومين الى ان وصل من الحج للقدس الشريف ومن هناك الى مكة والبيت الحرام وبعدها فتركهم وسار يقطع الروابي والتلال الى ان وصل لنجد ودخل على عليا فترحبت به وسالته عن ابو زيد وعن اولادها فاجابها بكل خير وناولها الكتاب فلما قرأت كتب اولادها نزلت دموعها وطابت من الرحمن ان يفرج همومها هذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من الامير ابو زيد فانه من بعد ذهاب العبد زادت بلابله واشواقه لمشاهدة عليا ودام على هذا الحال شهر كامل وفي اليوم الحادي والثلاثون طلب البعض من

جنوده واصحابه ليرافقوه لبلاد نجد فابوا وقالوا نحن ما صدقنا اي متى وصلنا للغرب واسترحنا من الطعن والضرب فحينئذٍ انشد ابو زيد ينخي قومه على المسير معه ويقول

يقول ابو زيد الهلالي سلامه ودموع عيني زايدات الهائل
ونيران قلبي كلما اقول تنطفي يزيد لها بين ضلوعي شمائل
ايا من يسعفني ويا من يعينني ويا من يرد الحمل اذا كان مايل
ويعمل جميلاً مع الهلالي سلامه ويا من يرافقني لتلك الطلايل
حتى نجيب عليا فهي غاية المنى وهي نور عيني كبارا القبائل
فلا يلتقي فيكم اميراً ماجداً خنتوا عهودي ياجميع الكمايل
عند الرضا تبقون الكل عزوتي وعند الشدايد ما يلتقي لي معادل
ولا بد ما اذهب الى نجد وارضها ونجيب عليا من بين تلك القبائل

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من كلامه فما احد من الامارة اجابه على نظامه فاغتاظ الامير ابو زيد وطار من عينيه الشرر فحينئذ قام الامير عزيز القوم فارس الفرسان وحامي الميدان الذي شهدت له الاقران بالحرب في بطايق الجولان وهو ابن خالد ابن شيحا اخت الامير ابو زيد وابوه قتل في مصر بتغريبة بني هلال بوقعة الملك فرمند وربي عند امه يتيم في حما ابو زيد الكريم الى ان اشتدت اوصاله وراقت احواله فصار فارساً عظيما وشيطاناً رجيما هابته الفرسان في الحرب والطعان وكان ابن سبعة عشر عام امرد لا نبات بعارضيه وكان يوضع برقع على وجهه خوفاً من النساء تطرح من حسنه فتقدم الى ابو زيد وقال له

يا خال انا رفيقك لنجد ثم بعد هذا الكلام اشار يقول

يقول الفتى عزيز عما جرى له اسمع كلامي يا امير ابو زيد
انا رفيقك يا سلامه بلا خفا الى ارض نجد برها وصعيد
ونقصد الى عليا حقيق نجيبها ويرتاح بالك يا امير اكيد
وتبلغ مرامك ياسلامه وغايتك ويكثر خيرك يا امير ويزيد
وانت تعرفني في حومة الوغا الالف والالفين وحدي بكيد
وتعرفني جملة هلال وعامر ويشهد بفعلي كل قرم عنيد

قال الراوي فلما فرغ عزيز من كلامه والامراء وابو زيد يسمعون نظامه فانتخا الامير يونس وقال ياعم انا رفيقك بهذه السفرة ففرح ابو زيد واستبشر وايقن ببلوغ الوطر وفي ثاني الايام ودعوا اهاليهم وجدوا في قطع الروابي والآكام مسافة تسعون يوماً وفي اليوم الواحد والتسعون وصلوا لصحراء وارض قفرا خالية من الماء فحرقهم الظماء من شدة الحر في ذلك البر ففي اليوم الثاني نظروا عن بعد بئر ماء له علامة بتلك البيد فقصده يونس فوجد دلو وحبل على جانب البير واراد صعوده فانقطع بوسط البير فهم عزيز القوم بالنزول فمنعه الامير ابو زيد وقال له هذا بير مملى من الحشرات المسمة فدعونا نسير الى ان يفرجها الله تعالى فقال الامير يونس وحياة راسكم يا امارة لا بد لي من النزول الى البئر لاني صرت على التلف من كثرة العطش فقال ابو زيد الروح ما هي حشيشة حتى ينبت موضعها والافاعي لا يعرفوا لا امير ولا سلطان فقال يونس دعك من هذا الكلام ما احد ينزل

غيري ولو سقيت كاس الحمام فقال له ابو زيد افعل مرادك فحينئذ اخذ الحبل ونزل الى البير فلاجل نفوذ القضا والقدر فشرب واملى الدلو وهم بالصعود فخرج عليه من جانب البير ثعبان ازرق اللون شنيع المنظر وضربه بفخذه فلما استحس يونس بضربة الثعبان غاب عن الوجود وزعق صوت ارتج منه ذلك المكان فغاب الثعبان عن عيونه وكان ابو زيد واقف على جانب البير فقال له ما بالك ياامير يونس وماجرى عليك فقال له لذ عني ثعبان في هذا المكان فحينئذ نهض لخارج البير وحس ان قلبه قد احترق بنار السعير وشكا حاله لابو زيد وعزيز فنزلت دموعهم حرقة عليه وحينئذ اشار يوصي ابو زيد ويقول

قال الفتى يونس على ما جرى له بدمع جرى من مقلة العين عايم

بكيت على عزى وجاهي وهيبتي تذكرت ايام مضوا من قدايم

ركبنا وجدينا المسير على عجل لنجد العديه طالبين الغنايم

وكان سير نا بالبر تسعين ليلة الى ان وصلنا لنجدوقت الظلايم

وصلنا الى بير عتيق معمم كبير وفيه الماء زايد وعايم

اتى عزيز ينزل البير عاجل منعه ابو زيد كثير الفهايم

حلفت ان انزل الى البير قال لي ابو زيد ارجع او تقع بالندايم

منعني وانا خالفته فى كلامه جازيت بفعلي والجزا لي ملايم

نزلت وانا ظمان والحر كادني شربت وارويت الحشا والزلاعم

مليت الدلو وانا سليم من النيا وهميت ان اطلع لعند اللزايم

والا بثعبان اتاني على عجل ضربني بنامه ثم ارمى السمايم

ضربني بفخذي ثم ارخى مفاصلي   وقد غاب مني العقل والذهن عادم
ايا عم هذا اليوم اخر كلامنا   واخر عهدي اليك يا ابن الاكارم
ترى الموت كاساً لا غنى شرابه   ولو عاش مهما عاش ذاق الحمايم
ولو عاش عمر النسر ياعم بالفلا   الفين عام يموت والله عالم
يا عم خالفتك وجرى ما جرى   وقد كنت لنفسي يا امير ظالم
يا امير البدو ذاقت منيتي   وانا عدت ضيفك يا وفي الرمايم
يا عم احفر لقبري ووسعه   لعله يبقى فاضي المخارم
ابو زيد اقرى السلام لاهلنا   وقول لهم يونس قد عاد نايم
واقري سلامي لامي الحزينة وقل لها   سلام ومن بعد السلام علايم
وقول لهم يونس توفى وقد غدى   رهين ومدعي تحت تل الردايم
مقال الفتى يونس على ما جرا له   ابو زيد ما عدنا نرد الكلايم

قال الراوي فلما فرغ يونس من كلامه والاماره يسمعون نظامه بكوا عليه بكاء شديد فنظر كالمودع ورغرغت عيناه بالدموع وشهق شهقة واسلم الروح فشقت الامارة ثيابهم وزادوا في بكاهم وغسلوه وكفنوه وصلوا عليه وقبروه وعقروا ناقة على قبره ثم ساروا حتى وصلوا لنجد عند المساء ودخلوا الحي الامير حسن الجمبري فوجدوا فيه نفخ الزمور ودق الطبول والحي يموج ويموج مثل ايام ياجوج وماجوج فلبسوا متعجبين والا مرت امامهم عجوز شمطاء لابسة حلة بيضاء فحياها ابو زيد بالسلام فردت عليه سلامه وبالغة في اكرامه فقال لها ابو زيد ايوجد عندك محل للمنام يا نخبة العرب الكرام فقالت له اهلا وسهلا بكم يا شعراء

العرب وسارت بهم الى منزلها، وبعد ان جلسوا واخذوا لانفسهم الراحة فقال لها ابو زيد ما لي ارى الحي بفرح وسرور وبهجة وحبور فقالت له اعلم يا وجه العرب ان هذا عرس كريم وزفاف عظيم وهو عرس الامير نوفل فارس الجحفل على الست عليا ابنة الامير حسين الجمبري المشهور وكانت سابقاً زوجة الامير ابو زيد فارس زحلان ودريد وكان ولدي راعي لابله والان متحرقين لمشاهدته من حيث ترك نجد وسكن بلاد المغارب ولا عاد له بعليا مآرب . لو كان يصل خبر زفاف عليا اليه لكان يحضر ويأخذ روح نوفل من بين جنبيه فقال لها ابو زيد هل عندك للسر موضع فقالت بير عميق ما له قرار وصندوق مقفول ضايع مفتاحه خارج فقال لها انا ابو زيد واعلما بجلية الخبر فلما سمعت ذلك الكلام قالت له اهلا وسهلاً بعزنا وحامينا ولكن كم يحوق بعليا من الفرح لو بلغها خبر قدومك بالسلامة فقال لها ابو زيد وكيف نقدر بالوصول اليها وهي بين تلك الجمهور الغفير فاجابته عند المساء نلبس عزيز هدوم ابنتي مايسه وناخذه لعند عليا وعندما يفرغ المنزل من الجميع نلبس عزيز ملبوس ونجلسه عروس مكانها واحضر انا وعليا لهنا ولا يعلم بنا احد فاستصوب ابو زيد هذا الراي وعندما اظلم الظلام قامت والبست عزيز هدوم ابنتها واخذته برفقتها الى ان دخلوا لمنزل عليا فترحبت بهم وبالغت في اكرامهم وعند ما انصرف الجمع تقدمت العجوز لعليا وبشرتها بقدوم ابو زيد وهذا عزيز القوم فلما نظرت الى عزيز وحققت الخبر تقدمت وسلمت عليه وحبت

يديه فقالت لها الان ليس وقت سلام بل المراد منك ان تنزعي ثيابك وتلبسيهم الى عزيز القوم لانه نظيرك بالحسن والجمال والقد والاعتدال وهو يليق ان يكون مكانك ثم نذهب انا وانت لعند الامير ابو زيد لانه بانتظارنا ففي الحال نزعت ثيابها ومشت العجوز امامها وساروا لعند الامير ابو زيد فلما رآهم ابو زيد مقبلين ونظر عليا لم يعد يملك روحه من السرور فخرج لملاقاتهم وقبلها ما بين الاعيان واخذها ملو الاحضان وتشاكيا من الفراق وشكر الله على التلاق هذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من عزيز القوم فانه بعد ذهابهم اخذ يستنظر قدوم العريس وبينما هو بهذه الافكار والا دخل الامير نوفل فقام ولاقاه وجلس بجانبه فمد يده اليها فنترت منه وقالت له ليس هذه افعال العرب ياقليل الادب فقال لها ماهو السبب حتى تباديني بهذا الكلام يانخبة العرب الكرام فقالت له اعلم ان العروس لها على العريس نقوط وانا يوم الذي اخذني ابو زيد اعطاني الف دينار وانت تكون امير وابن امير وياحيف البخل من طنجير فلما سمع منها هذا الكلام صار الضيا في عينيه كالظلام وقفز واقف على الاقدام واراد ان يضربها بالحسام فقامت العروس ومسكت الى نوفل ورفعته على زندها وضربت به الارض كادت تدخل طوله بالعرض واوثقته بالحبال وربطته بالعامود يقضي الوبال وهو يذوق العذاب الاليم الى ان اصبح بصباح العليم فاطلقت سبيله ودام على هذا الحال ياتي بالظلام طمعاً بالوصال ولا اطلع احد على امره الى اليوم الرابع بينما هو خارج من الدار فالتقى بعمه الحدار

وكان رجلا اختيار عليه سيمة الوقار فحياه بالسلام فرد عليه سلامه وبالغ في اكرامه وقال مبارك ياعريس ان شاء الله تكون نلت مبتغاك وقهرت مبغضيك واعداك فتنهد نوفل من فواد حزين وصاح ياجواد ياكريم فصاح به عمه وقال قول لي من اتاك ومن هو بشره دهاك فقول لي ولا تفزع واياك ان تجزع فقال له اعلم ياعم ومن كاشف الهم والغم ان كل يوم اذهب الى العروس ابنة الحرام طمعاً ببلوغ المرام فتوثقني بالحبال والقيود وتربطني على العامود وها قد اطلعت سري عليك واركنت امري اليك فاجابه الشيخ ياعريس هل من يقدر عليك بالقوة وافتى منك بالفتوة فقال له ايها السيد الجليل انه لايوجد احد يقدران يكتفني الا عزيز القوم وهو الان في بلاد المغارب فهل ان يمكن ان ياتي به لهذه الاجانب ولا سيما يقاسون الاهوال والمتاعب فاجابه الشيخ ايها الامير ان اردت تكشف عنك الغم وتزيل عنك هذا الهم اصنع لك شيشين احدهما من دم والاخر من سم فحينما تذهب وتطلب منها الوصال وتريد ان تكتفك بالحبال فاضربها بشيش الدم فان كانت انثى تذل وتنغم واذا كانت ذكر يهوش ويتقدم فاذا رايتها بادرت اليك اضربها بشيش السم فيدل ويوقع بالندم . فاربطه بالعامود وقيده بالسلاسل والقيود فحينئذ شكره العريس على هذا العمل وايقن ببلوغ الامل . فذهب للبيت ومعه الشيشين المعهودين فلما نظرته العروس فقالت له هل احضرت الفلوس . فقال لها ما عندنا مال يا ابنة الانذال . وعندما تقدمت

اليه لتكتفه فضربها بشيش الدم فهاجت فلما نظرها بهذا الحال اثنى عليها بشيش السم فحينئذ تقدمت اليه وربطته من حلاوة الروح وحينئذ غير عزيز ملبوسه وتركه بحاله وذهب لعند ابو زيد وابتدى يخبره بهذا القصيد ويقول

يقول الفتى المدعو عزيز بماجرى ودموع عيني زايدات السكايب
ونيران قلبي كلما قول تنطفي يزيد لها جوا ضلوعي لهايب
من الغرب قد جينا حقيقاً بلا خفا لنجد المدية طالبين المكاسب
فقدنا الفتى يونس وكان رفيقنا ومن بعد يونس ما ظن نبلغ مارب
واتينا الى نجد المدية وارضها وجدنا بها الافراح من كل جانب
وقالوا عرساً دايراً في بلادنا عرس الامير نوفل عز القرايب
فقلنا لهم من هي العروس واسمها قالون عليا راجيات الذوائب
لما سمع للقول ابو زيد اضطرب وعادت بقلبه النار تزيد اللهايب
لبسني مثل عليا وذهبت لعندها وعرفتها بحالي وكل الطلايب
فلما عرفتني بسرعة قد اتت لعند الامير ابو زيد شيخ العرايب
والبست ملبوسها حقيق بلا خفا وتزينت بالزينات ام المصايب
اتاني نوفل عند مغرب الضحى يريد وصالي كالنسا يا عرايب
ربطه على العامود وحدي بهمتي ودعيته للصبح يقضي العذايب
وفي ثاني الايام اتاني بلا خفا فادعيته مرمي على الارض غايب
وفي رابع الايام اتاني على نقا ضربني بشيش الدم يا ابن الحسايب
ضربني فما باليت انا ضربته ثنى عليّ ابشيش من السم ذائب

جرح القديم ياخال انا ضامني   جرح الجديد يشدوا عليه العصايب
وقد اخبرتك ياهلال سلامه   هيا بنا نرجع لارض المغارب

قال الراوي فلما فرغ عزيز القوم من كلامه والامير ابو زيد وعليا يسمعون نظامه فوقع مغشياً عليه لان السم لعب في بدنه فحزن ابو زيد وتكدر وطار من عينيه الشرر ورشوا على عزيز الماء حتى فاق من غشوته وصارت عليا تمزق القمصان الحرير وتربط بها جروحات عزيز القوم فالتفت ابو زيد الى عليا وقال لها اذا مات عزيز لا اقدر ان اخذك معي لان الطريق مخطرة والمسافة بعيدة فقالت لابد لي من الذهاب معك وان مت اموت ولا ادع تشمت بك اعداك فافتكر ابو زيد مدة من الزمن ثم عول على اخذ عليا معاه لكي ينطفي خبرهم ولا احد من القوم يقتفي اثرهم ثم بدت عليا تمسح جروحات عزيز وتدهنها بالمراهم وتعتني بشفائها وعند نصف الليل قبل ظهور نجم سهيل قام عزيز من منامه فراى عليا وابو زيد امامه فعند ذلك راقت احواله وسكن المه وقال له قم بنا ياخال نسير قبل الصباح لئلا نعدم التوفيق والنجاح والحمد لله قد راقت احوالي وقام وركبوا مطاياهم وودعوا العجوز واعطتها عليا عقد من الجوهر يسوى ملك بني الاصفر وجدوا بقطع الروابي والقفار يسيروا بالليل ويكمنوا بالنهار مقدار تسعون يوم حتى قطعوا حدود نجد وتلك الديار وما زالوا سائرين الى ان وصلوا الحدود غزة وتلك البلدان . لاراضي خالية من السكان . وفرغت منهم الماء واشتد عليهم الظماء . فحاروا في امرهم في تلك البيداء . فقال عزيز

ياخال اني معاهد بئر بهذه الاطلال وهو قريب من تلك التلال فللحال قصده ابو زيد ومعه القربة ولما نزل الى البير وجد شيء يختبط بذلك المكان وله صريخ كصريخ الجان فجفل وخفق فواده فارتد راجعاً اليهم وقال لهم ان البير منشف من الماء من عهد القدماء فتعجب عزيز غاية العجب وقال له ياخال اني اعاهد هذا لايخلو من الماء لا صيف ولاشتاء ثم اخذ الرمح بيده والقربة وتوجه ونزل الى البير فوجد شي يختبط فضربه بالرمح ونهضه على السنان واذا هو جدي ماعز غرقان . فشرب واملى القربة وذهب لعند خاله وقال لهم ها هوذا اتيتكم بالماء فتفضلوا واشربوا واطفوا بها الظماء فاخذوها منه وشربوا وذبحوا الجدي واكلوا والتذوا وانطربوا وكان يوماً ابو زيد يغير جروحات عزيز القوم عند مساء ذلك اليوم بينما كان يغير جروحاته فحلل الرباط حتى انه يموت باغلب الاوقات لانه انخجل من عليا وفكر في نفسه وقال متى وصلنا لتونس وتلك الاطلال يخبر عزيز قصتي لكامل الرجال فتنحط منزلتي عند الفوارس والابطال ولما انتصف النهار حس عزيز قلبه احترق بالنار . وحقق ان السم وصل لقلبه ولا فائدة بطبه فعندها بكا ابو زيد وتحسر . وندم على فعله المنكر . وراى عزيز على حالة التلف فقال له سلامتك ياخال . فقال له ما بها سلام يازينة الابطال ثم دغرغت عيناه بالدموع واحضر دواية واشار يكتب الى امه شيحة ويوصي خاله ويقول

يقول عزيز القوم والنار بالحشا ودموع عيني زايدات السكايب

سمع كلامي ياامير سلامه يافارس الفرسان مذري الكتائب
فان ايت لارض المغارب وشفتها سلم على الاخوان ثم الحبايب
وسلم على الدريدي ابو علي وقبل اياديه وحب الركايب
وسلم على اولاد خالي جميعهم وسلم على القاضي سرور ابو الحسايب
وسلم على زيان الامير وامه وسلم على الزغبي دياب المحارب
وسلم على امي الحزينة وقول لها تبكي عليا بالدموع السكائب
وان سالوك ياخال عني فقول لهم غدى رهين الموت تحت الترايب
هذا ترى ياخال اخر كلامنا والله يساعدني بوقت الحسائب

قال الراوي فلما فرغ عزيز القوم من كلامه وابو زيد وعليا يسمعون نظامه فبكوا عليه بدموع سجام ثم ان عزيز شهق شهقة واحدة وزغرغت عيناه بالدموع ونظر الى ابو زيد كالمودع واسلم الروح فقاموا عليه البكاء والنواح حتى ارتجت من صريخهم تلك الروابي والبطاح ثم غسلوه وذبحوا ناقة على قبره ودام ابو زيد وعليا يندمون عزيز القوم مدة من الزمان ثم رحلوا طالبين الاهل والاولاد والديار يقطعون البراري والقفار وقضوا في طريقهم الاهوال من عثرة الطرقات الى ان اشرفوا على بلاد الغرب فذهبوا الرعيان واخبروا الامير حسن وبقية الامراء بمجي ابو زيد فركبوا لملاقاته جميع رجال الحي فلما وقعت العين بالعين فترجل الامير حسن وباقي الامراء على ابو زيد وعليا وكان افرح الجميع شيبان واخوته بملاقاة عليا اما الامير حسن فسئل ابو زيد عن الاماره يونس وعزيز القوم وما

جرى لهم فعندها نزلت الدموع من عيني الامير ابو زيد وانشد
يقول وعمر السامعين يطول

يقول ابو زيد الهلالي سلامه	احسن ضميري شاعلات بنار
وان انطفت ناري تفيض مدامعي	على صحن خدى جاريات غزار
اتاني كتاب من حما نجد ارضنا	وجابه اليَّ نصور ابن نصار
بخط فتاة الحي عليا حليلتي	وتقول نوفل اراد يخض الدار
فناديت يونس حقيقاً بلا خفا	وعزيز اتانا مثل سبع غـار
فسرت بهم عشرون ليلة ومثلها	وعشرون بعدها ليل ونهـار
اتينا الى نحوه ونحنا على ظما	والقلب مني فيه شعلة نار
لقينا على بير عتيق ومهجر	بالي ومن حوله رجوم حجار
قال الفتى يونس فهذا مرامنا	فهاتوا الي حبلاً يكون مدار
فقلت له هذا قديم ومترك	وفيـه الافاعي ساكنة بديار
فنزل يونس الى البير وارتوى	وايضاً ارتوينا نحن مع الابكار
قليلاً والا صار في البير وعده	كسبع كاسر على الفوارس غار
اتاري بجنب البير حنش يشوفه	لدعه بفخذه يا اماره وغار
نشلناه واصعدناه الى ان وجهه	ازرق غدى يشبه الى الزنجار
وقال لي ياعم قربت منيتي	وعاد يقلب ميمنه ويسار
حفرت له قبراً عميق بساعتي	وكفنته بالشاش يا حضار
بكيت عليه انا وعزيز ابن خالد	وعاد بقلبي علقما ومرار
اتينا الى نجد العدية وارضها	والى المخارم منبع الانهار

راينا عجوزاً كبر الله شانها ... وقالت لنا اهلا بذي الخطار
وقالت لنا موجود عرس بالعرب ... الى الامير نوفل فهو حماة الدار
وانا ماشطة الى عليا بلا خفا ... من وقت سلامه في ظعونه سار
واخبرتها بحالي سريعاً بلا بطا ... وقلت لها انتي اكتمي الاسرار
فقالت شرف يا امير لنحونا ... ونيخ مطاياكم بوسط الدار
وقد لبست عزيز ثياب بنتها ... ووضعت براسه برقعاً وخمار
واخذت عزيز لعند عليا بلا نقا ... واحكت لها بجملة الاخبار
وقد اتت عليا لعندي بلا خفا ... وعزيز خلته بوسط الدار
وقد اتاه نوفل يطلب وصاله ... فاوثق اياديه باشد زيار
وهذ فقال اربع ليالي كوامل ... فقام انغبن وخلقه ثار
فجاب له شيئاً طويلاً مسمم ... ضربه بكتفه اورثه اضرار
فاتى وقال ياخال انهض انرجع ... فان المنية قاربت للدار
فجئنا الى قرية نزلنا بارضها ... تسمى بغزه زينة الاقطار
وقال لي ياخال قربة منيتي ... دنى اجلي ما عاد مني فرار
بالله عليك ياخال علي لتربتي ... على تل عالي وعمره بحجار
حتى اذا هب النسيم وانجلا ... نتذكر الاحباب ثم الجار
وعند غياب الشمس مات وانقضى ... وقد صرت انا في حالتي محتار
وقد اتينا الى تونس على عجل ... نقطع فيافي برها وقفار
وقاسيت في دربي اموراً شدايد ... وشعر راسي شاب ايا حضار
فياليتني ما كنت جئت وشفتكم ... وكنت غديت ومت تحت حجار

ويا ليت يومي كان قبل يومهم ... ولا ذقت حسرتهم وذقت مرار
مقالات ابو زيد الهلالي سلامه ... والدمع من عيني غدا فوار

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من كلامه والامير حسن والاماره يسمعوا نظامه فوقع عندهم الصياح والبكاء والنواح وكسروا السيوف والرماح. وجزت شعورها البنات والنسوان وعادوا بالهم والاحزان وصار عندهم يوم كاخر الزمان. وذهب ابو زيد لمنزله وتبعوه الرجال والشبان . والبنات والنسوان. وصاروا يعزوه بفقد اولاده الامارة ويهنوه بعودته بالسلامة هو وعليا ودامت الناس تتقاطر الي عندابوزيد مدة من الزمان هذا ما كان من هولاء واما ما كان من الاميرذياب ابن غانم بعد ذهاب الامير ابو زيد الى بلاد نجد يجيب عليا فانه كتب الى جميع الامارة لكي يشفعوا به عند حسن فكان تعبه سدى وقدمضى عليه بالحبس ثلاثة سنين يقاسي العذاب المهين وفي السنة الرابعة اشار يكتب الى حسن ويقول

يقول ابو موسى ذياب ابن غانم ... ولي مجلس بين الرجال شديد
ايا غادياً مني على متن ضامر ... فسلم على حسن الفتى الصنديد
وقول له ياعز قيس وعامر ... ايا من بسيفه ذل كل عنيد
انا قتلت مناع ما هى عداوة ... وانت في تلك الامور شهيد
ضربته في الميدان والسوق منتصف ... وقد كان في ذاك النهار عنيد
مشينا لك بالصلح بالفين ناقة ... والفين تتبعها خدم وعبيد
ومن بعد هذا نوفلة بنت غانم ... شبيه الثريا في الظلام تقيد

ومن بعد هذا امحلت نجد وارضها سبع سنين كاملة وتزيد
بثوا الكم رياد منكم وسافروا وكان ابو سعدا لهن رصيد
حبس الفتى يحيي ومرعى ويونس وابو زيد قد وافاه بالتنكيد
وقال ارحلوا ماعاد في نجد عيشة ولا عاد فيها ياهلال مفيد
رحل نجعنا من ارض تونس كما الدبا تقول بحاراً طامية وتزيد
وسرنا ملينا الارض من كل جانب وابو زيد فيدوم لنا وقليد
وطابت لنا من نجد الى قاع تونس الى ان اتينا الى بلاد حديد
وجاء ابو خريبه ينهب لمالنا وقد كان جني بالطراد عنيد
ضربته بحد السيف ارميت راسه وخليته تحت التراب لحيد
فجاني سعيد العبد في الحال قال لي اعزيك في اجوادنا يا سيد
ركبت على ظهر الجواد كانني احاكي سكران بغير نبيد
وجيت الى حرب الزناتي خليفه وجتني قنوع ودمعها بيزيد
ماتبين عزرا يا هلالي سلامه ولا واحد الا وقال قصيد
يقول الزناتي اليوم اهفى لقومنا دهانا وخلانا في تعديد
وانت ان اخذت الثار ياابو موسى نعطيك مهما تشتهي وتريد
ونعطيك اخت الهلال ابو علي مع عين تورز للشراب بريد
وندخل نحنا الكل من تحت طاعتك نجور ولا يبقى على ايدك ايد
فقلت لهم مني ابشروا زال همكم وفي ظني ما خاب فيكم قصيد
وجاني ابو سعدا الزناتي خليفه على ظهر اشهب بالطراد يكيد
ضربت بحربة سنها يخرق الحصا وخليته تحت التراب وكيد

وملكتكم كل المغارب بصارمي ولا عاد لا شر ولا تنكيد
جازيتني بالحبس يا امير الملا وهذا منك ما يكون مفيد
شنقت اخوتي واولاد عمي وختنتي وخليت نساهم في بكا وعديد
شكيت الى الله يا حسن من يوم شنقتهم لو كنت خالص من قيود وحديد

قال الراوي فلما فرغ دياب من كلامه طوى الكتاب وارسله الى الامير حسن فلما قراه وعرف ماحواه اشار يرد جوابه ويقول

يقول الفتى حسن الهلالي ابو علي نيران قلبي زايدات وقود
ايا غادياً مني على متن ضامر كشبه نعام في الجبال شرود
اذا جيت الى الزغبي دياب فقول له وقعت وما عاد للكلام نفود
علامك بترغي يا دياب وتزيد ومن بعدها انك تكون مفقود
خيار الفتى يا امير اذا اتاه النيا يكون صبوراً على الامور جلود
فاصبر على حلو الليالي ومرها حتى يجود الدهر بالمقصود
وحيات رامي يا دياب ابن غانم وانتم عليَّ يا كرام شهود
لابد ما افني جميع رجالكم وخلي نساكم باكيات شرود

فلما فرغ الامير حسن من الكتاب ارسله الى الامير دياب فعلم ان تعبه مع حسن بالمحال ولا يلبث منتظر الفرج من الله حتى مضت عليه السنة الخامسة فاستدعى بقلم وقرطاس واشار يكتب الى صديقه شبل الدريدي ويترجاه بهذا الخصوص ويقول

يقول ابو موسى دياب ابن غانم بدمع جرى فوق الخدود حدور
رنا بنجد في سرور وفي هنا تجينا الفواكه من جميع زهور

وكنا نصيد الوحش من واسع الفلا وهم في البراري شاردين نفور
ومن بعدها قد امحلت بجدوارضها سبع سنين كاملات شهور
جينا الى ارض الزناتي خليفه وقتل منكم كل قرم جسور
تحاربت انا واياه في حومة الوغى وادعيته مرمي بوسط قبور
فجازاني حسن الهلالي ابو علي في حبس مظلم والزمان قهور
بالله يا زحزاح بلغ رسالتي لشبل ابن فارساً وغيور
امير الملا حسن الرجال من العدا يشيل الاسارى من حبوس عكور
امير الى حسن الهلالي ابو علي يقول له دياب في بلا ميسور
له يقبل يا امير شفاعتك ويطلقني وتنال انت اجور
انت عني الناس يا امير كلهم ولا عاد يأتيني خليل يزور
قد ارسل حسن بثقل قيودي ولا يعلم ان الزمان غرور
ان ترجع الايام ونرجع لاهلنا ويحدث من بعد الامور امور
قتل حسن الهلالي ابو علي ويمسى في الوادي طعام طيور

فلما فرغ دياب من تحرير الكتاب ارسله مع الزحزاح الى الامير شبل فلما وصل الكتاب اليه قراه وفهم ما حواه وتوجه لعند الامير حسن وسلم عليه بكلام حسن واشار يتشفع بالامير دياب ويقول

يقول الفتى شبل الدريدي بما جرى الوم نفسي ومالي احد لايم
وجيت يا حسن فاقبل حديثي ايا همام يا ابن الاكارم
الا يا ابن سرحان انت زخرى فنحن من الاقارب واللزايم

فسامح عن دياب وفك قيده ... وسامح ذلته وامحي الجرائما
وان دياب في الحبس يا امير قل حيله ... وحالاته تشابه حال خادم
ووطفا واخته قلقا حزينة ... ينوحوا وما لهم في الحي راحم
وامه ضرها سهر الليالي ... وابوه صار هذا اليوم نادم
على من شاف من نجد العدية ... زمان العز ولى وراح هازم
فلا تامن صروف الدهر يامن ... غدى بالجود للعربان حاكم
انا جيتك دخيل اسمع كلامي ... وفك قيود ابو موسى ابن غانم
لانك بالسخا والجود كامل ... فاسمح عن ذنوبه والجرائم

فلما فرغ الامير شبل الدريدى من كلامه وحسن يسمع نظامه فقال له حسن يا امير شبل انا ما نسيت قتل اخي مناع وحرق الحدائق في نجد وما فعل مع سعدا خطيبة ولدي مرعي وحرقه الزرع في تونس وروض البهرجان وقطع الطرق على العرب ثم بعد ذلك اشار يخبر الامير شبل الرياشي بهذا القصيد ويقول

يقول الفتى حسن الهلالي ابو على ... والهم ما بين الضلوع شديد
ايا شبل جيت شفيع في ابن غانم ... يا امير ترك دياب عاد بعيد
وقتلة اخي مناع انا ما نسيتها ... وهو كان فارسنا فتى صنديد
وحرق حديق البهرجان وغيره ... وخلى جميع هلال بالتنكيد
واخذ سعدا من قصرها كي يعزها ... فجازاها بالضرب والتشديد
نهيناه بالمعروف عن جرم فعله ... عصى وانفرد عنا وعاش ...
يمكن نوى ان يملك الغرب كله ... ويبقى على امراء هلال ...

فان عانني ربي قتلت ابن غانم   وادعيت اهله في بكاء شديد

فلما فرغ حسن من هذا القصيد فرجع لمحله واخبر الزحزاح بما قاله حسن فرجع الزحزاح لعندذياب واخبره بالذي صار فحينئذٍ قال الامير ذياب لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد دام ذياب بهذا الحال يقاسي الاهوال حتى مضت عليه السنة السادسة فاستدعى بقلم وقرطاس ودواية من الخاص واشار يكتب الى الامير سعد الرياشي ويترجاه ان يتشفع به امام حسن ليطلقه من السجن ويقول وعمر السامعين يطول

يقول ذياب من قلب موجع   ونيران الحشى متواقداتي
على زمن مضى ما عاد ياتي   وعلى فقد الليالي السالمات
بليت بالذل من بعد المعزة   وعدت يسير في حبس الزناتي
وابن سرحان ما يرفق بحالي   وقد امر بضربي بالعصاتي
فيا زحزاح ارفق يا ابن غانم   انا المملوك وانت الملكاتي
فروح وصل كتابي للمسمى   الى الامير سعد نسل الطيباتي
ويذهب نحو سلطان البوادي   امير القوم عز المحصناتي
وقول ذياب قد امسى حقيراً   ففك قيود يابو الصفاتي
اما تذكروني في سوق المنايا   على الخضرا في يدي قناتي
وقد سلمتموني البوش كله   ليرعى في البراري المعشياتي
وسار الظعن من وادي لوادي   نصبتوا خيلكم بارض الزناتي
قتل يوم الوغى تسعين قرماً   وسكنهم قبور المظلماتي

وعدتوا ترسلوا نحوي الرسائل برافع بالدماء مخضباتي
رحلت وجيت انا من فوق شهبا عليها قتلت ابو سعدا الزناتي
قتلته والعذارى يشهدوا لي واولاده ينوحوا مع البنات
تجازيني بحبسك ياهلالي وان الدهر دوماً فانياتي
واجازي الى حسن من سؤفعله واذوقه كما ذاق الزناتي
واخلي عياله بعده حياري ويندبه النساء مع البنات
فمن جاني يبشر بالسلامة كسوته من ثياب المثمناتي
فيا امير سعد ياحصن الاماره اخبرلي حسن يطلق حياتي

قال الراوي فلما فرغ دياب من تحرير الكتاب ارسله صحبة الزحزاح فلما وصل الى الامير وقراه وعرف ما حواه فحينئذ توكل على صاحب العز والجاه وسار طالب الامير حسن فلما وصل اليه سلم عليه وقبل يديه واشار يتوسل اليه بخلاص الامير دياب ويقول

يقول الفتى سعد الرياحي بما جرى ونيران قلبي زايدات قداح
كنا بنجد في سرور وفي هنا بنعم واحسان ولعب مزاح
وكان بها عنب الدوالي مكعب والخوخ والرمان والتفاح
جفتنا اراضي نجد من بعد عزها سبعة سنين كاملات شحاح
سبع سنين ما اتى نجد عارض وعادت حبوب الارض بالاكداح
جفل منها وحش الفلا غاب بالفلا والطير من جدب الاراضي راح
رحلنا من نجد العدية وارضها وقلنا من الشدة عسى نرتاح

ولما اتينا القيروان وقابس | اتونا الزناته جازيين سلاح
وجاكم ابو سعدا الزناتي خليفه | على ظهر اشهب مثل طير داح
قتل منكم ياقوم تسعين فارس | وخلى العذارى في بكا ونواح
وارسلتوا الى دياب البراقع | اخذهم سعيد على الهجين وراح
اتانا دياب الخيل من فوق خضره | وقتل الزناتي ذاك مات وراح
وملككم ذاك البلاد جميعها | واربعة عشر قلعة ياجحجاح
جازيته بالحبس يا امير ابو علي | فما كان واجب حبسه يا صاح
فاقبل حديثي في دياب ابن غانم | فتى شيخ زغبي كلها ورياح

قال الراوي فلما فرغ الامير سعد الرياحي من كلامه والامير حسن يسمع نظامه فقال له يا ابن عمي اطلب مني ملكي فلا اعزه عنك ولا تفتح لي سيرة اطلاق دياب واشار يقول

تقول الهلالي نادى الوجه ابو علي | ولي عزم في الهيجا لمن جا يبارك
انا ضد خصمي ياررياحي ومهتدي | وانا مذهبي يبني عن الشيخ مالك
دياب يعاندني على الغرب بملكه | لما نصب رمحه في عين المهالك
وحق الصفى والمصطفى سيد الوفى | واقسم لمن للانس والجن مالك
الزغابة لابد بالحسام ابيدهم | واخلي امير القوم في الارض بارك
ايا سعد لو مالك مقام رهيبة | وانت على الاقران تقر المناسك
رميتك بشوري في بحور عميقة | لكن انا يا سعد للعهد ماسك
وخلي دياب في السجن برتاح خاطري | ان قام هو جملي وان ضل بارك

قال الراوي فلما فرغ الامير حسن من هذه الابيات ذهب

الامير سعد الى عند الزحزاح واخبره بما قال حسن وكذلك اخبر الاميرة بذلا بما كان من امره مع حسن فرجع الزحزاح للحال واخبر دياب عما بينهم من الخطاب واما الاميرة بذلا فقد اخذت معها جملة من نساء العربان وتوجهت نحو صيوان حسن واشارت تتشفع بالامير دياب وتتذكر الاهل والاحباب الذين شنقهم حسن على الاخشاب وتقول

قالت بذلا عند ما مال سعدها — وعبرات عيني زايدات هدارها
وعيني تبات الليل ما تالف الكرى — ونفسي حزينة من فراق حبابها
يكون الفتى في طلعة الصبح سالم — تانية عسرى في توالي نهارها
غدوا اولاد كبدي هالكين على البكر — جرى دمهم فوق الاراضي غزارها
سببهم دياب الخيل من شوم فعله — شنق اخوته وجلب لنفسه عارها
واولاد موسى شنقوهم جميعهم — وعلوا مشانقهم ووطوا بكارها
وخلوا نساهم باكيات حواسر — من الخيش عادوا لابسين حقارها
وزيان مع بدران مع زيد فاضل — وغنام فارسنا بيوم حصارها
ومنذر ومالك ثم همام واخوته — وريان مع صغران كانوا سمارها
طراف مع مناع ومحمود بعدهم — سليمان كان يركب لغالي مهارها
وسالم وماجد مع سعيد وابنه — وهدار مع مروان عادوا دمارها
عيار مع بكار وابنه سابق — وشاكر وشكار من امارة خيارها
وزاهر وماهر مع عقيل وفايد — لهم سطوة في الحرب يوم شرارها
ثمانين من اولاد زغبي تذبحوا — غدوا في البراري ماكلاً لغرابها
وهم فداك اليوم يا امير ابو علي — ياعزنا ياحصننا يا خيارها

وهم فداك اليوم ياسيد الملا يا عز قيس وعامر ياخيارها
غدون بحد المرهفات ذبائح مضت سعاداتهم واقبل دمارها
اتوك بنات البدو ياسيد الملا حفايا عرايا هالعات خمارها
هديه وتزها بنات مرعي وشما وزهيا ونجلا مع ظريفه وقارها
ووطفى بنت دياب تبكي حزينة ونهيا وعايا لابسات حقارها
وبازق بنت دياب واختها حسيبة وحسنا وست الاهل تندب رجالها
جقوب وخالتها جزوع وبنتها وزهرة وبدره زايدات وقارها
حسيبة وزهر البان ابنة مهذب بنات الاماره مع نساء هلالها
نهيا وسعده مع امينه ونافله بنات العذارى راخيات شمارها
وعين الظبا مع بنت بدران هالة تقطع من القمصان غالي سمارها
ايا بو علي شرف البنات مع النسا ولا واحدة الا وشقت ستارها
ومثلك ما يرضى الحريم بذله يتامى حزانا محروقات بنارها

قال الراوي فلما فرغت بذلا من كلامها والامير حسن يسمع نظامها فقال لها انا ما امنت على نفسي حتى حبست دياب والان اتركه من السجن فهذا الحديث بطال وان كلامك كانه بالمحال فارجعي الى الاطلال ودونك من المقال وكوني من هذا القبيل براحة بال فحينئذ توجهت مع النساء الى محلها واما الامير دياب فانه ما زال يقاسي العذاب وهو منتظر الفرج من الملك الوهاب حتى انه بلغه خبر قدوم الامير ابو زيد من بلاد نجد العدية فقال والله ما احد يقدر على خلاصي الا الامير ابو زيد فحينئذ استدعى بقلم وقرطاس ودواة من الذهب

الخامس واشار يكتب الى الامير ابو زيد ويقول

يقول ابو موسى دياب ابن غانم ونيران قلبي زايدات ضرام
بالله يابو زيد بلغ سلامنا الى حسن سلطان قوم كرام
وقول له ياغز قيس وعامر اطلق لنا الزغبي ابو غنام
ياما حمانا والقنا يقرع القنا والاجواد من تحت العجاج هرام
لو قد علمت بان هذا يصيبنا من نجد ما اتينا بلاد الشام
ويوم الزناتي حميت كل ظعونكم وقتلته واولاده وراه يتام
وملكتكم هذه البلاد بصارمي في حد مرهف بالوغا صمصام
تجازيني بالحبس ياسيد الملا وقد صار لي بالحبس سبع عوام
فياليت ماشفت المغارب واوضها ولا نظرت منكم لوعة وسقام
وما زال شاش الجيد يلعب به الهوا يشيل الاسارى من سجون ظلام
اتيتك يابو زيد قاصد شفاعتك وما خاب من جاءك يريد سلام

قال الراوي فلما فرغ دياب من كتابه ختمه بخاتمه واعطاه للزحزاح وقال له سير الى نجع ابو زيد واعطيه هذا الكتاب فاخذه وسار وجد في قطع القفار الى ان وصل لصيوان الامير ابو زيد فدخل اليه وسلم عليه وشال الكتاب واعطاه لابو زيد ففضه وقراه وعرف رموزه ومعناه فتكدر ابو زيد من حسن والتفت الى الزحزاح وقال له بشر الامير وقول له متى انتهت الزيارات عني اذهب لعند الامير حسن وارجاه بدعوة دياب واذا ابى ان يطلقه فاخرجه غصباً عن رقبته فقبل الزحزاح اياديه وسار الى ان وصل لعند دياب فاخبره

بكلام ابو زيد ففرح دياب واستبشر . وايقن ببلوغ الوطر . هذا
ما كان من هولاء واما ما كان من امر الامير حسن وبني هلال
الاسود الدحال يوم من ذات الايام . كان عيد عند العربان والاماره
مجتمعة عند الامير حسن في الديوان فاخذوا يذكرون الوقائع المشهورة
والفوارس المذكوره . وصار يمدحوا فروسية دياب وكيف انه ملكهم
نجد بالسيف القرضاب وحمى البوش من الدشمان . وقتل الزناتي في
الحرب والطعان ويستحق ان يذكر فضله مع الفرسان وكان موجود
بالديوان اولاد الامارة والشبان . الذي لم يسمعوا بذكر دياب الا
باللسان فتشوقوا لمشاهدته وهاموا الرؤيا طلعته ولو انه ساعة من الزمان
فترجوا السلطان وساعدوهم الاماره والنسوان فقبل السلطان حسن
رجاهم وامر ان ياتوا بدياب مقلفلاً بالقيود والحديد فللحال احضروه
وبالجنازير قيدوه وامام السلطان اوقفوه واذا هو اصفر اللون بهيئة
الموتى فصاروا اولاد الامارة يضحكوا عليه واوصلوا الاذية اليه فقال
له السلطان حسن كيف ترى امورك الان بالذل والهوان . فقال اني
بخير مادام حسن عليّ راضي . وبعد مداولة طويلة ارادوا ان
يرجعوا الامير الى السجن فقال الامير دياب فما انا مشمشة تهزني
ولا قمح تكدني بغربالك فان كان الذيب يصفى الى الغنم انت تصفا
لي وانا بصفالك فصاح حسن ويلكم دياب امسكوه والى السجن ودوه
فعند ذلك اخذ دياب يرتجف مظهراً على ذاته الخوف الشديد فوقع
على الارض مغشياً كمن قارب النزاع فعند ذلك ترجوا الامارة الامير

وقالوا له ان دياب في حالة النزاع فامر ان يدخلوه دار الحريم لعند اخته نوفلة وما اتم كلامه الا وحضرت الرجال ورفعوا دياب بكل اكرام الى بيت اخته فلما نظرته على هذا الحال. وهو محمول على ايادي الرجال . فصرخت بالبكاء ومزقت ثيابها واخذت تقول

حرام لقد جاروا العداوة وقد بغوا علينا ونحنا بالكروب نسير
لقد كنا في عز وكنا بنعمة وكنا برغد ما عليه عسير
فبتنا نقاسي الهم والويل والضنا وتجري الدموع على الخدود غزير
وقد كنت يا امير الاماره وسيدهم كسبع الفلا بالماضيات تشير
اذا هاج سوق الحرب كنت اميرة تكر على الاعدا مثل الزير
وتحتك خضرا مثل فرخ نعامة تدق الثرى في رجلها وتطير
تطير على الاعداء كالنسر بالفلا وتنفض مثل البازحين تسير
فما كان ظني يا دياب ابن غانم اشوفك بهذا الحال والتاخير
تشال على ايدي الرجال كميت وتبقى تقاسي الذل والتحقير

﴿ الى هنا انتهى الكتاب الثالث والعشرون وسياتي ﴾
تمام الكلام في الجزء الرابع والعشرون وفيه قتل
الامير حسن من يد الامير دياب
﴿وهو يباع مع جميع القصص باسعار متهاودة﴾
في مكتبة الترقي لصاحبها شكري الخوري وشركاه
في بيروت

ديوان اليتامى

وهو يتضمن قتل الامير حسن من الامير دياب ورجوع
الامير دياب من عند الملك جوهر ملك بلاد
الحبش وما حدث لهم من القصص العجيبة

الكتاب الرابع والعشرون

﴿ من تغريبة بني هلال ﴾

يطلب من مكتبة الترقي خاصة
جرجي وسليم زيني

طبع بمطبعة الاتحاد لصاحبها شكري انطون الخوري
بيروت سنة ١٩٠٩

وما زالت نوفله تردد الاشعار وتسكب العبرات الى ان فتتت الاكباد · واحنت الاجساد · فبكي معها كل من حضر · وقالوا والله يحق لها ان تعمل اكثر · لان الامير دياب فارس مشتهر وبطل غضنفر · واخذوا يطيبون خاطرها · وبسلامة الامير دياب يطمنوها فما نشفت دمعتها ولا زالت نكبتها · وما خفت مصيبتها بل اسرعت ومدت الى خيها فرشة من ريش النعام * واخذت ترش عليه من ماء الخزام وهو ينتفض ويرتعش مما به اهان وبقي عَلَى هذا الحال ثلاثة ايام · لا يذوق طعام ولا يقابل منام · وهو يستغنم الفرص حتى تناصف ليل اليوم الثالث فدخل عَلَى الامير حسن وهو غريق المنام فعند ذلك سحب الشفرة التى كانت معه في ايام حبسه ويسن فيها وهو محضرها الى مثل هذا الوقت فانطرح عَلَى الامير حسن وذبحه من الوريد الى الوريد وتركه يخبط بدمه وسار يجد السير · تحت ظلام الليل حتى وصل الى قومه وعشيرته عند الصباح ففرحوا به غاية الافراح وانسروا كثير برؤيته · واخذوا يسالوه عن قصته · وعن كيفية اطلاقه من سجن الامير حسن واخذ يقص عليهم القصة ويخبرهم كيف صار من البداية الى النهاية ثم اخذ يقول

يقول دياب قهار العداةِ	وكل مقدراً لا بد ياتي
ومن يعمل جميلاً قد يجازي	عليه بمثله في الآتياتي
انا ناقتي لقيس وآل عامر	بحد السيف في يوم الملاقي
سبع سنين لي بحبس ابن شما	سبع سنين عدة كاملاتي

نهشني القمل مما قد دهاني   والنحاول عشش في عباتي
فلا حسن ارثي لامصابي   ولا ابو زيد يسعى في فلاتي
انا بالسجن قاسيت البلايا   ولكن قلت صبراً يا حياتي
اولاد الامارة قد اتوني   يشوفوا دياب عز المحصناتي
لما شفت ان السجن قصري   اتيت المكر من بعد الفواتي
جسمي قد صبغته بماء تبنٍ   وصرت امشي وعكازي عصاتي
في استهزوا كل الاماره   مع اولادهم حتى البنات
والسلطان حسن لما راني   دعاني كيف حالك طيباتي
ونادى يا دياب ذليت قلبي   من الجنزير حال السابقاتي
وكيف الحبس اخبرني حقيقاً   وهل اتاك ليل المظلماة
اجبتو يا حسن والله اني   بالفين خير يا اكبر عداتي
ان كان الذيب يصفى للنعايم   بصفالك عَلَى طول الحياة
انا ان عاني رب البرايا   تافنيكم بضرب المرهفاتي
لما قد سمع القول زمجر   كسبع الغاب في ارض الفلاتي
ونادى بصوت سياف اتاني   بيده سيف سيف ازاعقاتي
لما شفته استعملت مكرى   وفوق الارض انا رميت ذاتي
والسلطان حسن لما راني   نادى شيل راسه عاجلاتي
اتى ابو زيد مثل الغول يرعى   وبصوت مثل الناعجاتي
وهجم بالسيف للسياف لما   راني عَلَى الثرى مثل المواتي
والسلطان نادى يا ابن شما   فقال الغدر ليس بصالحاتي

ونحنا ياحسن لسنا نطاوع ... بقتل دياب ابن المكرماتى
فالسلطان حسن بالحال نادا ... يشيلوني لاختي بعاجلاتي
شالونى على الايدي وساروا ... لبيت اختي وروحي ذايباتي
لما نوفله شافت اخوها ... بدت تبكي بدمع الساكباتى
مدة على الثرى من الفرش سبعة ... وفوق اللحف لقحت لي عباتي
ثلاث ايام ابقيت المنامة ... ونار المر في شاعلاتي
بنصف الليل قمت بكل عزمي ... وللسلطان قصدي بالمماتى
ذبحته ذبحتاً قد راح فيها ... واسكنته بدار الزايلاتي
وسرت الليل امشي بكل سرعة ... حتى وصلت ارضى ومفرجاتى
هذا ماجرى يا اولاد عمي ... شدوا للرحيل الصافنات
وخلونا نسير بكل همة ... ونوسع بالفلا بالشايلاتى
هدوا كل خيمة واحزموها ... وشدوا الخيل قبل المدركات

قال الراوي هذا ما كان من الامير دياب وهو يقص ماجرا له على اولاد عمه فلما سمعوا ما قاله دياب وعلموا انه قتل الامير حسن انقلبت افراحهم الى اكدار واظلم في وجوههم النهار وما منهم احد الا وكبر ولعلامات الحزن والاسف اظهر وقالوا والله يا دياب لقد فعلت فعلاً منكر وركبت طريقاً ضيق المسالك والجناب وسديت في وجوهنا الابواب • بقتلك الامير حسن ابن عمنا فكيف تجاسرت على هذا العمل وهو صهرك وامير بني هلال وكاشف ضرك والان لقد اصبحنا عبرة عند العرب الكرام الذين يحفظون الزمام فسوف

يصير بنا كما صار مع جساس ابن مرة والامير كليب ومن الان اصبحت عداوة كبيرة بين عشائر بني هلال وسوف يصلون الينا اوشر حال . هذا وما زالوا بمثل هذا الكلام للامير دياب حتى كرهت نفسهُ الحياة وقال يا ابناء عمي ورافعين همي وغمي لقد صار ما صار وسبق السيف العزل . فالندم عَلَى ما فات . من اشد الحسرات والان الاوفق لنا ان نرحل من هذا المكان . ونوسع بالبر والقيعان قبل ان تدركنا جموع بني هلال وتلعب بينا وبينهم السيوف الصقال والرماح الطوال فلما سمعوا كلامه وفهموا مرامه قالوا ان هذا الاحسن لنا لئلا تدركنا جيوش بني هلال ويتسابق بيننا الفنا فبالساعة هدموا الاطناب واودعوهم ظهور الجمال واركبوا النساء والاطفال وساروا بعاجل الحال وكانوا يجدون بقطع الروابي والبطاح ويوسعون بالبر بتلك النواح هذا ما كان من امر دياب واولاد عمه واما ما كان من آل قيس وآل عامر فان عطور الجيد انتبهت من رقادها وشاهدت الامير حسن قتيل وفي دمه جديل فصاحت باصوات البكا ومزقت ثيابها عَلَى هذا البلاء وناحت وولولت بما يذيب الاكباد ويفتت حجر الجماد فتراكضت جموع بني هلال عَلَى بكاها واسرعوا لينظروا ما قد دهاها فوجدوا ان الامير حسن مطروح عَلَى الارض قتيل وبدمه جديل فعلت منهم الاصوات وسكبوا العبرات واكثروا التنهدات فسمع ابوزيد الصراخ فوثب بعاجل الحال وخرج يستقصي الخبر فنظر جموع بني هلال مزدحمة عَلَى

صيوان الامير حسن فصاح صياح الثكلاء وزاد النحيب والبكاء ومزق ثيابه ورمى شاشه عن راسه ووضع عليه التراب واخذ ينتف لحيته وتقدم الى الامير حسن ووقع عليه يقبله ومن عظم ما اعتراه وقع عَلَى الارض مغشياً عليه فتراكض الناس واخذوا يرشوه بماء الخزام ويطيبون خاطره بالكلام وهو يئن من قلب جريح وينوح ويصيح ومازال عَلَى مثل هذا الحال حتى جرح القلوب فوق جرحها فتقدم اليه اولاد الامارة واخرجوه الى خارج الصيوان واخذوا بخاطره من هذا الشان وقالوا له يا امير ابوزيد ان بقيت عَلَى هذا الحال تفقد حياتك بدون محال فتيتم عَلَى فقدك الرجال وبمثل هذا الكلام كانوا يخاطبوه حتى سكن روعه فالتفت الى الناثله وقال لها يا نافله اين كنت لما فعل اخوك هذه الفعال . وحين قتل سيد الابطال وسلطان العرب والعجم . والترك والديلم فزادت بالنحيب والعويل واخذت تخبره بهذا القصيد وعمر السامعين يزيد

تقول فتاة الحي ام بريقع · ولي هم في قلبي لمن اشكيه
وبي علة طي الفــؤاد مقامها · ونار الجوى في ضامري تكويه
وان كنت اشكي الحال تشمت بي العدا · وان ماشكيت الحال كيف اخفيه
ومــا شكوتي الا لربي وخالقي · ذاك الذي للسر قــد يدريه
جابل الانسان من حال العدم · يدري به من قبل ان ينشيه
لا مهرباً للمرء من حكم القضا · لا يمنع الانسان ما ياتيه
اهدي لربي الحمد مــا طير شدا · سبحي وشكري خالقي اهديه

ربي قضا بفراق عزي وسندي   عن ناظري يا مقلتي ابكيه
ابكي معي يا طير طاير بالفلا   ابكي حسن واليوم قوم ارثيه
ابكي معي يا نجم ابكي يا قمر   يا شمس ابكي دمعك ابديه
ابكي معي يا غيم ساير بالعلى   يا رعد ابكي هالبطل الفقيه
زيد البكا يا ريح لفراق الحبيب   راح انقضى يا عين لا تسليه
بالله يا وحش القفار ابكي حسن   وزيد البكا بصوت الاسف ناديه
يا غصن يانع قد ذبل لا يرتجع   يا حصرتي صار الفنا طاويه
يا آل قيس اندبوا شبل الاسد   نور الهدى ليل الردى كافيه
يا آل عامر اصبغون ثيابكم   سوداً وها قلبي الضنا كاسيه
سيفه المهند يا رماح ابكوا معي   يا درع سيدك ان تغدى فيه
خيل الاصايل ادمعوا وزيدوا معي   كثر البكا يا مقلتي زيديه
بوزيد اسمع لي كلامي وافتهم   ركني انهدم من لي بقا يبنيه
لما اتاني دياب في حال الردى   ظنيت ان القبر قد يقنيه
ناديت باوشم نار يا قلبي اكتوى   دياب ابن غانم بالحشا افديه
لكن اتى والمكر لم ادرِ به   ابدى الحيل نحوي بلا تشبيه
لما الدجى ارخى علينا حباله   دياب ابن غانم يسرى فيه
ادعى لسلطان البرايا مجندلاً   فوق الثرى يا حيف من يشفيه
يا ليت اخي بالعمر ما يلقى هنا   وفي كل شدة ربنا يبليه
يدعيه في حال الضنا وحال الفنا   بين العدا بالذل قد يرميه
شمتت بنا الاعدا وشتت شملنا   يا رب طول العمر ما تهنيه

اكتب له كل المخاطر والكروب   عن ما فعل يا ربنا جازيه
يا حيف يا سلطان حسن فوق الثرا   تبقى قتيلا والدما تجريه
يا مشبع الجيعان يا كاسي اليتيم   وحش الفلا كم كنت تقريه
لك صيت فوق الشمس يا بدر الرفيع   لك ذكر غيرك ما احد حاويه
بوزيد ابكي قد مضى السلطان حسن   يا عين سيدك اي متى تلاقيه

قال الراوي فلما فرغت ام بريقع من كلامها وابوزيد وجموع بني هلال يسمعون نظامها كثرت منهم الاصوات وزادت بينهم الصرخات وعلت التنهيدات ٠ وظهرت الانات٠ وقامت الحصرات٠ وجزت شعورهن النساء والبنات وهطلوا الدموع كالامطار٠ الكبار والصغار واقبلت اخته الجازية وهي تصيح من قلب جريح وتبكي بدموع غزيرة عَلَى مصابها ٠ وتنتف شعرها وتمزق ثيابها وتضرب راسها بالحصاء ٠ وهي تئن اناء الخنساء وتندب اخاها الامير حسن ٠ وتقاسي لاجله المحن وتقدمت ووقعت عليه تقبل قدميه ٠ ومن عظم ما اعتراها انطرحت عَلَى الارض كالاموات حتى ظهر انها فارقت الحياة فترا كضت النساء ورشقوها بالماء وقاموها عَلَى الثرى وهي تولول وتصيح حتى دعت منها كل قلب جريح ٠ قال الراوي عند ذلك طافت الارض مما سقط عليها من الدموع واجتمعت عَلَى الاصوات سائر عربان تلك النواحي والربوع فكان يوم حزن يا له من يوم اظلمت شمس الافراح واشرقت شموس الاتراح وكثر البكاء والنواح والجازية تزيد بكاها وتندب اخاها واشارت تقول

تقول فتات الحي ام محمد دمعي جرى فوق الخدود وساح
في طي قلبي النار زاد لهابها تكويـے الحشا ولذعاتها تجرح
يا لوعتي من ياتريـے قد ذاقها يا نوح قلبي من كنوحي ناح
ابكي عَلَى اخ تركني وقد غدا يا حسرتي ما عاد لجسمي جناح
باحيف ياسلطان حسن فوق الثرى تبقى مجندل بالدمـا سباح
باحيف سبع الغاب عنا اليوم سار لاجل بعد السبع عقلي اليوم راح
يا دمعتي ما ظن من عيني تزول والله تقضي العمر بالاتراح
عامود ركني قد هبط يا نكبتي طول المدى ما انظر الافراح
طير الغراب يصيح في صوت قبيح واليوم فوقي قد اتى بصياح
من بعد عزي صرت ابكي ودمعتي زادت عليَّ وما لها ابراح
الله يجازي من سعى بفراقنـا من كان لسلطان حسن ذباح
شلت ايادي دياب ذاك الواغدين ولى وخلىَّ دمعنا طفاح
بدعي عليه ماطار طير بالفلا بدعي عليه ما لغصن فيه الريح لاح
ابكي معي يا آل قيس يا كرام زيدوا معي يا آل عامر بالنواح
يا جميع هلال سافر سيدكم ماعاد يرجع قصفوا الارماح
سيوف الهنا اكثروها بالعجل ادعوا الخيول تروح للاسراح
هاتوا العمايم اصبغوها اليوم سود بحر الاسف موج الحزن قد لاح
حاكم الاقطار سلطان العرب ومدبر الفرسان يوم البعد ناح
يا بين ما هذا العمل فينا رميت سهم النوى ياحيف اطلقت الجاح
يا سامعين صوتي معي اندبوا • ظهري انقطع عقلي ذهب فكري نكدح

قد دال حيلي انهد جسمي يا ترى مثلي بكل الناس صابته جراح
تسعين في تسعين الف ومثلها قد كنت حاكم يا حسن ترم ملاح
واليوم فارقت المنازل والربوع خليت كثر الهم بعدك والكفاح

قال الراوي فلما فرغت الجازية من رثاها وجموع بني هلال ناظرين ما قد دهاها ومن الهم والغم قد اعتراها صاحوا عن فرد لسان الله اكبر علَى من بنا غدر فما هذا المصاب الذي اصابنا وما هذه النكبة التي بها نكبنا وما هذه البلية التي كاس مرارتها شربنا قال الراوي وكنت تشاهد جموع بني هلال بالحزن الشديد الذي ما عليه مزيد والكل شاخصون ناظرون الى جثة الامير حسن ودموعهم تهطل علَى الارض كالامطار لما هم به من الكروب والحزن وما كان الا وتقدمت مريم ابنة زهر البان الافرنجية زوجة ابو العوف ووقفت فوق راس الامير حسن واشارت تقول

دمعي جرى من فوق خدي وانسكب . والنار في قلبي تزيد كثر اللهب
يا بين شمت العدا فينا وما كان العهد سيف الغدر قد ينسحب
شمس المعارف اظلمت انوارها والليل اصبح بالمخاوف والكرب
بدر العلى يا حيف من فوق الثرى يبقى طريحاً والغراب فينا نعب
يا كوكب الاقبال يا امير حسن يا عزنا يا فخرنا يا منتسب
يا حيف هذا الوجه يعلاه الكدر يا حيف هذا القد يفنيه التراب
فارقتنا ما حل يوم فراقنا ماذا جرى لفراقنا ما هو السبب
اضحوا جموع هلال شخصك خاسرين صبحوا يتاما في الفنا واكثر التعب

الله يجازي دياب في حال العمى الله يجازى دياب في هم وتعب
ارمي قلوب هلال في نار اللظى وادعى الدموع تسيل من حر النواب
والله تقضي الليل في امر النحيب وساهر الفرار في قول العتب
يا صور مانع كان ظني لامايغيب واليوم اضحى الصور قفراً انقلب
يا مشبع الجوعان يامعزي الحزين يا سيد المكروب يامولي العرب
اواه ناري بالحشا ما تنطفي يا نكبتي يا حسرتي ركني ذهب
الله يلقى البين شتت شملنا الله يسلب عمر من عمرك سلب
غادياً عنا معك خذ للقلوب ارواحنا تفداك يا حاوي الاداب

قال الراوي فلما فرغت مريم من قصيدها والكل يسمعون تعديدها هطلت من عيونهم الدموع كالامطار وكل منهم علاه الاصفرار واصبحوا كالاموات . لما سمعوا من مريم هذه العبارات . وداموا في البكا والنحيب والولولة والصراخ ثلاثة ايام يبكون عَلَى جثة الامير حسن ويرثونها بالقصائد العربية ويقصفون لفراقه الرماح الردينية ويكسرون السيوف الهندية وفي اليوم الرابع اجتمعت مشايخ زحلان ودريد وتقدموا الى الاميرابو زيد وقالوا اعلم ايها الامير ان ماقد صار كفى بكى ونواح وان بقيتم عَلَى هذا الحال لا شك يموتون كل جموع بني هلال فاحسن رفع جثة الامير حسن ودفنها لان كرامة الميت ماواه في التراب وبذلك امر رب الارباب فاجابهم ابو زيد الى ما طلبوا ووافقهم عَلَى ما رغبوا وتقدموا الامارا بكل وقار واحترام ورفعوا جثة الامير حسن وغسلوها وبراويح المسك والطيب رشوها

وضمن التراب وضعوها وذبحوا عَلَى قبره من الجزور والاغنام ما يكل عنه وصف اللسان ثم اقاموا قبة عَلَى القبر وزينوها بكل زينة وكتبوا عليها بماء الذهب اسم الله الاعظم وتحته اسم الامير حسن ثم رجعوا كل العربان وعملوا مناحة لم يجري مثلها من سالف الزمان قال الراوي وكانوا يندبون ليلا ونهاراً ويقدمون المراثي اشعارا وكنت تري العربان تاتيهم من كل مكان ويعزوهم عَلَى فقد الامير حسن هذا ما كان بهذا الشان وبعد ما انقضت ايام المناحة وسكن روعهم بتلك الساعة فاجتمعوا الى صيوان الامير ابوزيد وقالوا له يا امير هلال ماذا تامر ان يصير باخذ ثار الامير حسن . فاننا والله لا نرتاح ولا نكف البكا والنواح ولا تبرد في قلوبنا الجراح . ولانسائنا نجتمع بنا في الاطناب الى ان ناخذ لهم الثار ونكشف عنهم المذلة والعار . ونقتل دياب ابن غانم ومن معه ونجعل آل غانم مشتتين في كل الاقطار لا يقر لهم قرار ونبقي نذبح فيهم كبار وصغار . حتى لايبقى منهم من ينفخ نار ونيتم الحريم والاولاد . ونجعلهم عبرة نسل الاوغاد فاجابهم ابو زيد الى ما طلبوا ووفقهم عَلَى مارغبوا وقال لهم وحق الركن والحجر والبيت المطهر انكم لو تعلمون ما بقلبي لرثيتم لكربي فانى اول من يتقدم لاخذ الثار وكشف العار . وانى والله سوف انزل في آل غانم الفنا ولا ابقى لهم بقاء وسوف اصلب دياب عَلَى روس الجبال وابقيه باوشم حال واجعله عبرة لمن اعتبر بين سائر البشر ولا

تحسبون سكوتى من التاجر بل كنت صابر لتاخذوا راحتكم من البكا والتحسر والان صار الاولى بنا ان نستعد للرحيل في اثر آل غانم ونوقع بهم المآثم ففي هذه الليله نادوا بين البيوت بهذا الشان واخبروا البنات والنسوان ان يستعدوا للرحيل ويبادروا للسفر بكل تعجيل فاننا بعد ثلاث ايام نقصد آل غانم الى اين ما ساروا ونتبع اثرهم ولو طاروا هذا ما كان من الامير ابو زيد فعند ذلك طافت الرجال بين الاطناب واخبروا بهذا الامر بدون ارتياب وما مضت الثلاثة ايام الا وكنت ترى النسا عَلَى ظهور الجمال والاطفال راكبون فوق الجمال والرجال عَلَى الخيول السوابق متقلون بالرماح الطوالق والسيوف الرواشق وفي مقدمة الجيش الامير ابو زيد حامي جيوش بني هلال وهو امامهم كالاسد الريبال وتحته اشهب وعليه سرج مرصع بالذهب وهو فوقه يموج ببحر السرج كانه قلة من قلل او قطعت فصلت من جبل بيده رمح ماضي السنان وعَلَى جنبيه سيف يمان وقد افرغ عَلَى صدره درعاً من البولاد محبوك بالزرد هذا وقد انتشرت البيارق والرايات ودقت الطبول فسمع لها رجات واخذت الخيل تتسابق والركاب من النسا والاولاد تتلاحق وكانوا جمع كبير وعدد غفير فعند ذلك اخذ ابو زيد يقول

يقول ابو زيد الهلالي سلامه والنار في قلبي تزيد شعال
والخيل تعرف انني ما ركبتها الا وجعلت القوم باوشم حال
لي سيف ماضي الحد قطاع الرقاب لو صاب صخر الصم فيه قلت مال

والرمح يدري انه يوم اللقا يروي دما الفرسان والابطال
بالله اسمعوا بالله افهموا يا قومنا وكونوا سباعاً للقا يا هلال
اليوم اخذ الثار من زغبي دياب ذاك الذي ارمى حسن بنكال
شدوا العزايم يا هلال تجردوا للحرب ما تكونوا به انذال
وتذكروا السلطان حسن كيف انقضا وكيف قد غدا والدم منه سال
عاداتكم بالحرب ترمون العدا فوق الثرى وتقطعوا الاوصال
من في مجال الطعن يلوى وينهزم هذاك عندي من بني الارزال
بالله ياقبر الذي فيه اتوضع ابن المكارم يا اسد ريبال
اهدي سلام القلب للسلطان حسن وكرر الاشواق للمفضال
وابدي له بلسان خال من الزغل وخبره ان هلال هذا اليوم شال
وحياة عينيك ياحسن لازم اكيد ناخذ لثارك بالقنا ونصال
لازم ما اقطع راس هذا الوغد الئيم دياب ابن غانم من بنا احتال
وادعي الزغابي بالضنا طول الابد وادعي النسا بالضيق والاهوال
ما قال ابو زيد الهلالي المنتسب في يوم سوق الحرب انا الذلال

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من كلامه وجموع بني هلال يسمعون نظامه صاحوا عن فرد لسان والله يا امير ابو زيد اننا نفديك بارواحنا لانك مضمد جراحنا وما فينا ولا احد الا وبقلبه من النار واجمعنا نشتاق لاخذ الثار وكشف العار فعند ذلك ساروا من ساعتهم الى طلب بغيتهم وما زالوا سائرون اناء الليل واطراف النهار الى ان دخلوا تونس الغرب وتلك الديار فلاقتهم اهل تونس

وقدموا لهم الخضوع والطاعة وما كان في تونس من آل زغبي الا القليل فاتوا لملاقاة عاصبين على اعناقهم المحارم واظهروا للامير ابو زيد الحزن والاسف الزايد على الامير وما منهم الا وكان يلعن دياب بالشفة واللسان فسالهم ابو زيد عن دياب فاجابوه انه من مدة ايام رحل الى بلاد الحبش وهو وبعض قوم بني زغبي فلما سمع الامير ابو زيد هذا الكلام اصبح النور لديه ظلام وامر الجيش ان يعقوا على ظهور الخيل فاندفقوا في ذلك البر كالسيل وكانوا بالعدد ثلاثمائة الف فارس وكل منهم بالحديد غاطس فجدوا السير في اثر الامير دياب وما زالوا يكاشفون عن دياب الى ان ضاق بهم الحال ولم يعلموا الى اين رحل فكادوا يهلكون من الجوع والعطش في ذلك البر المقفر فرجعوا على الاعقاب وقلوبهم من دياب نار الالتهاب ولما وصلوا الى الاطلال نصبوا الامير ابو زيد سلطان عليهم وعلى جميع بلاد الغرب هذا ما كان من امر الامير ابو زيد واما ما كان من الامير دياب فانه ما زال يقطع الروابي والقفار ويوغل في الحراش والاوعار الى ان وصل الى بلاد الحبش وتلك الاقطار فسمع به ملك تلك البلاد فخرج لملاقاته بكل استعداد وكان راكب على جواد اشهب عليه سرج مرصع بالجوهر والذهب ومعه الاحشام والاعوان والعبيد والغلمان والنسا بالدفوف والمزاهر وفي اياديهم من خالص الخناجر المملوة بالمسك الزافر فلما التقت الرجال بالرجال نزل الملك عن جواده وترجل وهكذا كل من معه قد فعل وحيوا الامير دياب

تحيات الاصحاب وقالوا له انتم عندنا اعز الاحباب فتقدمت النسا واخذوا يرشوا عليهم الطيوب التى تشفي الكروب وعند ذلك ارسل بهم الملك الى المضارب والخيام وذبح لهم الجزور والاغنام واعطاهم احسن مجلس ومقام وقال لهم انتم السادات ونحن العبيد وكلما عنما به تامرون لا نحيد واخذ يقول بهذا القصيد وعمر السامعين يزيد

يقول سلطان جوهره من ضميره   الا يا مرحباً في ابن غانم
لقد شرفتنا وجعلت ارضاً   بها حلت ركابك بالغنايم
وكوكب سعدنا وافى الينا   وصار الوقت منك اليوم باسم
تلاعب المفاخر مذ اتيتم   الى اوطاننا يا ابن الاكارم
فنحن عبيدكم للدهر نبقا   الا يا معشراً للخير قادم
سمعنا بذكركم في كل ارض   عربها وتركها ثم الاعاجم
تولعنا بكم عن طول بعد   محبتكم لنا اضحت تلازم
وهذا اليوم قد شاهدنا فيكم   ليوث الغاب والاسد القشاعم
فقد طاعتكم الدنيا جميعاً   لكم اضحى هل السعد خادم
لقد طيعتموا عرب البوادي   ملوك الارض تهديكم نعائم
قتلتون الزناتي وقد سقيتم   لمن عاداكم مر المآثم
فعلتم فينا امراً مستحقاً   له نفديكم في كل سالم
وقد كنا الجزيه كل يوم   لنحو الزناتي من بالوجه قاتم
ولكن صرنا احراراً بهذا   وما الا بكم يا ال غانم
فرحنا في قدومكم جميعاً   فرحنا زايداً والله عالم

قال الراوي هذا ما كان من الامير جوهر صاحب التاج المجوهر والملك المظفر • واما ما كان من الامير دياب • فانه شكره على ما ابداه وزاد في مدحه عن كلما اداه وقال له اعلم يا ملك جوهر اننا قد اتيناك ضيوف لنقيم عندك مدة من الزمان وبعد ذلك نرحل عنك فقال لهم اهلاً وسهلاً بكم ثم انزل الامير دياب في احد قصوره وفرض لهم مكان واسع واعطاهم محلاً يرعوه وبقي الامير دياب مع الامير جوهر في عز واكرام وبسط وانشراح مدة من الزمان يبقى له كلام يرجع الكلام الى الامير ابو زيد فانه ذات يوم جالس وحده في بيته تذكر ارض نجد وعزها وما لاقى فيها من الهنا والراحة في ايام الصبا ثم تذكر الاهوال التي لاقوها في الطريق حتى وصلوا الى بلاد الغرب وتذكر زيدان والخفاجي عامر والقاضي بدير ابن فايد وعقل ونصر وبدر بن غانم فجعل يبكي عليهم وعلى اولاده واولاد الامير حسن الذين قتلهم الغلام فصار يبكي وينوح ثم تشوق الى روؤية الامير دياب وحنت جوارحه الى لقياه وقال هذا رفيق عمري وحامل الشدات معي وان كان قتل حسن قتل بيومه ثم خطر بباله ان يرسل يستعطف بخاطر الامير دياب ويطلب منه ان يرجع الى بلاده واشار يقول

يقول ابو زيد الهلالي سلامي ... الايام صافيها عكر يا قوم
رحلنا من نجد العدية بلادنا ... والقلب من كثر الهموم مسقوم
وصلنا الى تونس بلاداً كبيرة ... وشفنا بها الخيرات وكل قروم
عرف بنا الملك الزناتي خليفة ... حبسنا واهانونا وصرنا عدوم

عشرين مرة للمشاتق اتوا بنا ولولا سعدا عمرنا معدوم
سريعاً من الرحمن جتنا شفاعة بنت الملك تشفع بنا وازوم
وقع قلبها في حسن مرعي نبادرت وقالت لابوها الاتكون ظلوم
ظلمت الغريب يا اب ارفق بحالهم اخاف ديارك ان تكون ردوم
فقال لها رواد جاءوا بلادنا يرودوا اراضينا وكل تخوم
فقالت احبس الاولاد واطلق عبدهم يروح يخبّ المال يامكروم
فامر باطلاقي وحبس رفاقتي وجيت الى نجد وانا مغموم
وخبرتهم ما صار فينا وما جرى وكيف الزناتي قد عرف المكتوب
فنادى ابن سرحان الرحيل فحملوا وسرنا عَلَى نور القمر ونجوم
وجينا الى حزوه نزلنا بارضه قتلنا الديبسي وقد غدي معدوم
وجينا الى الاعجام قتلنا ملوكها ملكنا اراضيهم وكل تخوم
وجينا الى بلاد العراق بظعننا وجبنا الخفاجي الفارس القيدوم
وجينا الى حلب قتلنـا بعيرها يسمي الخزاعي من الروم
وجينا الى زرقة شبيب بن مالك قتلناه واصبح قصره مهدوم
وجينا الى غزه قتلنا السركي يكنى ابن نازب فارساً معلوم
وجينا الى وادي العريش بقومنا والبردويل فقد غدى مردوم
حاربنا الفتى غانم ابن عجاجه في الاسكندرية قد غدى مهزوم
وجينا لمصر والصالحية ونزلهـا قتلنا الملك فرمند كبير القوم
فلما قربنا للصعيد وارضهـا نزلنا عَلَى رياض لها وكروم
لاقانا الفتى الناشي ابن مقرب وقام بواجبنا مع المرسوم

ومن قبلها عدة ملوك تقتلوا   بعزمي وعزم ديابنا القيدوم
وصلنا الى تونس نزلنا بارضها   ملينا اراضيها وكل تخوم
وجانا الزناتي فوق اعوج سابق   يسبق هبوب الريح لا يقوم
اهفى قروماً من هلال وعامر   ثمانين اميراً والبواقى لزوم
ولما عجز عن قتاله جميعنا   بعشاورى الزغبي ببعض كروم
قتله ابو وطفا دياب ابن غانم   وتراك دمه من فوق التراب يعوم
ملكنا بقتله الغرب وكل تخومها   وراحوا الزناتيين راحوا قسوم
وحط دياب الرمح من فوق بوابها   وقال امرقوا تحته وذا مكتوم
اتاه الفتى حسن الهلالي ابو علي   قطع لرمحه وادعاه خمس قسوم
وبعده ملكنا السبع تخوت جميعهم   بعزمي وعزمك يا حمات القوم
ومن بعدها عملوا عَلَى الزغبي حيلة   سبعة سنين في كدر وهموم
سبعة سنين بالحبوس مقيداً   سبعة سنين في كدر وغموم
تشفع في آل دريد وعامر   ولولاي قد كان راح بقا مسموم
واخرجه من بعد هول وشدة   وقلبه عَلَى حسن بقا مسموم
قتل حسن من فوق عالي فراشه   وخلا دماه بالفراش يعوم
ومن بعدها قد سار عنا غاضباً   واقام عند الحبش مكروم
دياب اميراً فارساً لا ينسخى   فيه ولو قتال لكل قروم
فياايها النادي عَلَى متن ضامر   تسبق هبوب الريح مثل نسوم
اذا جيت للزغبي دياب بن غانم   فاعطيه مكتوبي مع المرسوم
وقول له قال الامير سلامه   عليك سلام الله يا قيدوم

وسلم عَلَى كل الاماره جميعهم　　سلام محب من فواد رحوم
الا يا دياب الخيل اسرع بلا ابطا　　وارحل باهلك يا امير وقوم
تعالوا جميعاً كي نعيش بنعمة　　ونبقى بخير وجمعنا ملموم
وما مضى يا امير راح وانقضى　　ونحن عَلَى عهد القديم ندوم
وما دامت الدنيا وما كان قبلنا　　ولا ظن شيئاً غير الاله يدوم
مقال ابو زيد الهلالي سلامه　　وانا لك مسعفاً بلا مكتوم

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من كلامه طوى الكتاب وختمه بختامه وارسله الى الامير دياب مع النجاب فاخذه وسار يطوي الفيافي والقفار حتى وصل الى بلاد الحبش وتلك الديار فسال عن المكان الذي نازل فيه الامير دياب فاهدوه عليهِ وسار اليه وقبل الارض بين يديه واعطاه الكتاب اخذه منه ففضه وقراه وعرف رموزه ومعناه ثم بعد ذلك اخذ قلم وقرطاس ودواية من الذهب الخاص واشار يرد الجواب الى الامير ابو زيد ويقول

يقول الفتى الزغبى دياب بن غانم　　انا تراني في الانام عريف
اعرف فرسان الحرب جميعهم　　خبيراً بشدات الزمان عنيف
ترى كل مستغني عيوبه قليلة　　ولو كان اصله بالانام خسيف
وعيب الفتى المعتاز للناس ظاهراً　　ولو كان اصله جيداً ومنيف
ولو كان عنتر عبس في حومة الوغى　　ولو كان مقري الوحش امير مخيف
والمال يعلى راس كل مرذل　　ويرفع لقدر الكاذبين شريف
ومن كان خالي المال والمال زمانه　　عليه الانام مع الزمان حنيف

نزلنا عَلَى قوم كرام بلا خفا / وقمنا وكان الدهر دهر ظريف
واذا باتت الرعيان باتوا بنعمة / يناموا ولا يخشوا كلام مخيف
ولكن بلاداً بالشناعة والبلا / ذقنا بها الشدات والتقريف
واما الحبش كفا الله شرهم / ترى مواضعهم بـلا ترصيف
فلا يلتقوا الضيفان بوجه باسم / ولا يستمع منهم كلام لطيف
وعندي من البيض الملاح مليحة / كبدر يلالي في ظلام كثيف
عليها من اللبس الحرير كوامل / اساور حجول بالذهب ترصيف
بنات البدو سود العيون قوامهم / اذا ما مشوا حسبتهم رمح ثقيف
ولكن نسوان الحبش كعجيبه / والوجه منهم كالفحا ونشيف
ترى الواحدة كالقاق قول اشنعا / قبيحة وخيمة ما بها تنظيف
بسنان صفر والعيون مفنجرة / لها معصم يابس كحبل الليف
ترخي كرادين لها فوق صدرها / وبالاكل مثل الكلب عند الجيف
اذا شافت البياع تبقى مشمرة / تقول ذبالا خرج من كنيف
بيـدين سود والقوادم شوالح / والظهر احدب مثل قوس تديف
ايا غاديا مني عَلَى ظهر ضامر / تجد الثرى بثقلها وخفيف
اذا جيت نحو ابن رزق سلامه / مربي اليتامى والزمان حنيف
سلم عليه ثم الثم جبهتـه / وقول له قولا بلا تعنيف
من كان في قومه ويرحل لغيرهم / فذاك مجنونا وعقله خسيف
لولا حسن يا امير ما كان هانني / حبسني بحبس مظلم ومخيف
فقـاسيت شدات وهما ولوعة / ابكي وانعي والدموع رديف

ويهتني بالقتل في كل ساعة   واندب لحالي مثل ندب ضعيف
اولادي قتلهم مع عمامي وغيرهم   نسانا حزانا ما لهم وليف
حلفت اني اقتله ولو كان والدي   وامر الهي ما به تكليف
مضى ما مضى يا ابن عمي وصاحبي   والكاتبه ربي ما به تحريف
فان كنت ترضى ان نعيش سويه   فسامح وكون يا امير عفيف
مقال الفتى الزغبي دياب المنتخب   فلست جبان ولا انا خويف

قال الراوي فلما فرغ دياب من كلامه طوى الكتاب وختمه بختامه واعطاه الى رسول الامير ابوزيد وقال له ان كان مراده ارحل الى بلادي ونجتمع سوى يرسل لي من طرفه بعض الامارة وبذلك يكون قلبه محب وكلامه عن وداد فاخذ الجواب الرسول وسار وجد يقطع الروابي والقفار حتى وصل الى بلاد الغرب فدخل على الامير ابوزيد واعطاه الكتاب وبلغه كلام الامير دياب فاخذ الكتاب وقراه وبعد ذلك استدعى بعشرة امارة من اولاد عمه واولاد عم الامير حسن وارسلهم ليصالحوا الامير دياب وما زالوا يطوا الفيافي والقفار الى ان وصلوا لعند الامير دياب دخلوا عليه فلاقاهم وسلموا على بعضهم البعض وسالهم عن الامير ابوزيد فقالوا له ارسلنا لنرجع الصلح بينكم وتعودوا كما كنتم في الحال القديم فعند ذلك سار الامير دياب الى عند الملك جوهر وودعه وركب بقومه وسار بقومه ورجاله والعشرة الامارة معه الى ان دخلوا بلاد الغرب فخرج الامير ابوزيد ولاقاهم وتصالحوا ورجعوا الى الاوطان وعمل ابوزيد وليمة فاخرة وذبح الذبائح

واطعم الغادي والرايح وصار الامير ابوزيد والامير دياب في محبة زايدة ولكن ابوزيد ما ارجع الى الامير دياب ملكه وبقي هو الحاكم فما هان عَلَى الامير دياب وصار يقول عسى اليوم يرجع لي ملكي والبلاد التي اخذوها مني وابوزيد عاطي قفا فاغتاظ الامير دياب واكمن الشر لابوزيد وقال في نفسه انا صنعت دبوس وسكين السكين للامير حسن والدبوس لابوزيد تخلصنا من واحد بقي علينا الاخر وصار من ذلك الوقت يحمل الدبوس وكان بسبع فراشات من تحت العباية حتى لا يلحظ عليه ابوزيد الى ان كان ذات يوم خرجوا الى الصيد والقنص وكان مع الامير ابوزيد جماعة من قومه ومع الامير دياب جماعة من بني زغبي وصلوا الى البر خرجت الفهود والسقور وتفرقت الفرسان تطارد الغزلان وبقي الامير دياب وابوزيد في جهة وصار الامير دياب يطارد الشهبا ويلعب كانه في الميدان فصار يعمل مثله ابوزيد مقدار نصف ساعة وبعد ذلك دياب خلى ابوزيد سايراً امامه فصاح فيه خذها من يد الزغبي دياب فالتفت ابوزيد مرعوب فوجد في يد الامير دياب سنبلة قمح فضحك دياب وعمل هذا الامر ثلاث مرات ورابع مرة صاح دياب عَلَى ابوزيد خذها من يد دياب الخيال فما التفت ابوزيد وظن انها ضحكة مثل العادة عند ذلك لكش الشهبا طلعت كالريح حتى قارب ابوزيد وصار جنبه فسحب الدبوس وضربه به عَلَى راسه فطار بزر مخه فراش الدبوس فوقع ابوزيد الى الارض غميان فوقف الامير دياب وقد اخذته الشفقة فصار ينظر اليه ويبكي ويلعن الحمق

مدة من الزمان ثم فتح ابوزيد عينيه وجد دياب واقف فقال له ما كان ظني فيك هكذا يا دياب ثم تنفس الصعدا واشار يقول وعمر السامعين يطول

قال ابوزيد الحزين الهايم ... ودمع عيني فوق خدي سجايم
ايا دياب الخيل يا ولد غانم ... ايا صاحب الافعال بين العوالم
ما كان ظني يا دياب تخونني ... وتدعى صحيبك فوق اعلَى الرمايم
المتني لا يا دياب بضربتك ... ايا حيف كنا يا امير لزايم
ضيعت معروفي كسرت بخاطري ... كم مرة خلصتك بضرب الصوارم
كم مرة شلتك من حبوس ضيقة ... كم مرة شلتك من حبوس ظلايم
كم مرة رادون قتلك وشنقك ... واكون انا حقاً لهم من مخاصم
بوصيك وصايا يا دياب احفظها ... كراماً الى ربك اله العوالم
اول وصية في اولاد ابو علي ... حسن سلطاننا من زمان القدايم
ثاني وصية في اولادي جميعهم ... رزق وريا وكل المحارم
وثالث وصية يادياب بعليا ... صبرا وشهلا راخيات الكمايم
فاحمي حريمي يادياب من العدا ... اذا جاءهم طارق بليل الظلايم
والجازية يا دياب ام محمد ... دعها عَلَى قبري تقيم العلايم
يا ما تقضى بيننا عز مع هنا ... عجلت في قتلي ايا ولد غانم
اذكر لايام الحروب التي مضت ... لما اصيح يا دياب ابن غانم
تجيني عَلَى خضرا كما الريح جريها ... تدعي دما الابطال عَلَى الارض عايم
ولما تصيح يا هلالي سلامي ... البيك في عز متين القوايم

يا ما شربنا الكاس والسعد داير　　وحسادنا في قلبهم منا سمايم
مقال الحزين ابن رزق سلامه　　لقد سلمت روحي لرب العوالم

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من كلامه والامير دياب يسمع نظامه فرغرغت عينيه بالدموع ونزل اليه وضمه الى صدره واشار يقول وعمر السامعين يطول

يقول الفتى الزغبي دياب الماجد　　ودمع العين عَلَى الخدود بحار
بغيتم علينا يا هلالى سلامي　　فعايلك عندي لها اسفار
لما اتينا الغرب نحو خليفة　　تركنا لنجد والفواد بنار
قمتم ضربتوا الشور يا بو مخيبر　　انت والجازية وابو علي المكار
قلتم دياب الخيل يرعى جمالنا　　في سهلهم وحرشها وقفار
اخذت انا للبوش سرت معجلاً　　وقبلت عَلَى نفسي رسوم العار
جاني خريبة راح من حد صارمي　　ومكحول منه ذاق كل بوار
لما عجزتم عن حروب خليفة　　قمتم ضربتم عَلَى الزغابي شوار
عملتم عليهم قرعة يا سلامه　　وانا غايب عنهم بعيد الدار
راحوا جميعاً واحزنتموني عليهم　　وراحوا الامارة بالتراب دمار
زيدان اخويي كان شيخ شبابكم　　واولاد اخويي اثنين كالاقمار
نصر وعقل اولاد هولا رميتهم　　ايا حيف اعمار الجياد قصار
وما عاد فيكم يا هلال مقاوم　　ولا عاد فيكم فارس جبار
اتتكم سعدا مثل شمس منيرة　　بنت الزناتي تشبه الاقمار
قالت لكم بويا يهفى جمعوكم　　لان ابويا فارس مغوار

فلا يقتله الا دياب ابن غانم ... لانه صميدع فارس جبار
اتاني ابوي غانم الشيخ عَلَى العصا ... وخبرني عما بالامارة صار
وقال لي قم خذ ثار اخوتك ... اجارك الهي من عذاب النار
وقلت له يا بوي رد وارتجع ... انا ما عدت العب مع ولاد صغار
الزم حسن وابو زيد يرسل مكاتبه ... اجيهم عَلَى خضرة كشعلة نار
قصيتوا شعور بناتكم يا سلامه ... وخطك بيدي يا سلامه جهار
تقولوا الوحا يا ولد غانم تعالنا ... ترانا بضيقة والهموم كثار
واعرف عيونك لا تريد تراني ... وهذا كلامك واضحاً وجهار
مع كل هذا جيت من فوق خضرة ... لها جري يسبق هوى التيار
فتحت لسوق الحرب مع ولد حمير ... ثلاثين يوماً ليلها ونهار
وراحت الخضرا طريحة عَلَى الوطا ... وعقلي عليها وحق ربي طار
كفنتها بعشرين شقة ثمينة ... ودفنتها دفن انكرام بوقار
من بعدها قد جيت نحو خليفة ... اصليت انا للشر مثل النار
يجيني عَلَى اشهر مضمور خواصره ... في درع داوودي بعشر زرار
جالي وجيته فوق خضرا اصيلة ... بيضا حمامي مثل ضو نهار
من فوقها قرم عنيد ملاطم ... له طعن في صدر الرجال شرار
ذوقته حرباً كما الصبر طعمه ... فراح يكتب لي كتاب مستجار
يقول لي دياب الخيل بالله جيرني ... وخذ الى رزقي ايا مغوار
فما سمعت قوله ولا ردت اصاحبه ... زيدان فتح لي جروح كبار
طعنت الزناتي طعنة في عينه ... فراح ابو سعدا وصار دمار

اخذنا الى تونس وكل بلادها   وطاعت الينا صغارها وكبار
قسمتوا بلاد الغرب قسمة مثلثة   وكل واحد بقسمته قد صار
صنعتم عليَّ حيلة يا سلامه   رميتم دياب الخيل بالاكدار
هذا برايك انت يا بو مخيبر   اما حسن بذي الامور حمار
تعدى بقتل اولاد عمي جميعهم   مع اخوتي وقرايبي الاخيار
ومن بعدهم امر بقتلي عاجلا   صديته في شرعنا المختار
قاضي العرب حكم بحبسي مخافة   في حبس مظلم يقصف الاعمار
اتوه امارة لاجل يراجعوا فكاكتي   لكن حسن امر بكثر زيار
وانت مغمض لعيونك راضياً   كان ما لك بذي الامور خبار
سبعة سنين كاملة في حبوسكم   اقاسي عذاب الذل والاكدار
حتى سمح ربي باطلاق عبده   سبحان ربي كاشف الاسرار
جيت الى قصري وجدته مكنساً   اخذتم الى مالي وكل جوار
فنويت اني سوف افني جمعكم   وافني عبيدكم مع الاحرار
واقتل حسن وكل من يطاوعه   واملك بلاد الغرب بانبتار
وقد عانني ربي ونلت لبغيتي   واجريت فعلي بالذي قد صار
فاوصيك يا بو زيد مني وصية   سلم عَلَى زيدان عز الجار
وسلم عَلَى اولاد اختي وابوهم   عقيل ونصر وعمهم نصار
وسلم عَلَى خالي بدير ابن فايد   وسلم عَلَى كل الامارة الاخيار
اودعتك الله يا هلالي سلامي   غدا نلتقي في اخر الاعمار

قال الراوي فلما فرغ الامير دياب من كلامه ركب جواده وترك

ابو زيد عَلَى الارض وسار فالتقى بقومه فنظروه مرتبك وغضبان فسالوه عن حاله فقال لهم اني قتلت ابو زيد وقد غضبت عليه ولكن ما بقى لنا الا اننا نسرح ونملك الغرب واصير انا السلطان عليها لانه ما بقا احد يخاصمني ثم اشار يقول وعمر السامعين يطول

قال دياب من قلب موجع عيون الحاسدين كانت شماتي
ذاب الجسم من وقع المصايب ولا عاد لي عَلَى الذل ثباتي
ايا ناصر ايا اولاد عمي الا يا قرايبي وياعزواتي
دياب الخيل ما عاد له مقاوم ولا عاد له احد مخاصماتي
سبع سنين في حبس ابن شما سبع سنين عنده كاملاتي
وما شفق حسن عَلَى ابن غانم ولا ابو زيد يسعى في فكاكي
الا يا قرايبي قوموا سريعاً مايه الف عدة كاملاتي
ولاقوني عَلَى جسر المربع لكي نبدي هناك المشوراتي
واركب شهبتي سرعاً واجيهم كما الحاصود في زرع النباتي
وافنيهم عَلَى بكرة ابيهم وافني الفوارس في قناتي
انا لاقيم ضرب السيف فيهم وادعي حريهم نبقى شتاتي
ورملهم ترى عشرون عاماً ثلاثون ما يشوفون بها راحاتي
وامحي ذكرهم من ارض تونس كلاب الدار ما فيهم راحاتي
فيبقوا كبني جساس مرة يلموا الذبل من وسط الفلاتي
بكل الارض لا يلقوا مقاماً ولا يلقوا لهم موضع مباتي
عَلَى ما قد اسوا لدياب حقاً سبع سنين لم انظر اخواتي

مقال الفتى الزغبي دياب ابن غانم ملكت الغرب في قوة ثباتي

ثم ان الامير دياب سار الى تونس ودخل الى سراية الاحكام ونادى باسمه واخبر انه قتل الامير ابو زيد وانه هو الحاكم والامير على كل البلاد فصار ومن يعانده يقتله ومن يعطيه ويلوذ اليه ينعم عليه يبقى له كلام نرجع الكلام الى جماعة الامير ابو زيد لما وصلوا الى ابو زيد وجدوه مطروح عَلَى الارض فصاحوا وناحوا وحملوه وهو تارة يغشي عليه وتارة يوعى حتى وصلوا الى القيروان فعرفت الحريم فصاحوا وناحوا وخرجوا بلا براقع وهم يمزقون ثيابهم ويوضعون التراب عَلَى راسهم وكان يوماً شنيعاً عَلَى بني هلال مانظروا مثله مدى الاجيال واجتمعت العربان من كل ناحية ومكان واما الجازية فانها عملت اكثر من الجميع وارخت شعورها ونتفت خدودها ومزقت ثيابها واشارت تقول وعمر السامعين يطول

تقول فتاة الحي ام محمد بدمع جرى فوق الخدود يسيل
ونيران قلبي كلما قول تنطفي يزيد لها جوى الضلوع شعيل
ايا ليتني قد مت من عام اولا ولا شفت ابوزيد الامير قتيل
الا يا دياب السوء يا خاين الرجا يا بايق الاصحاب وانت هبيل
ضربت سلامه يا دياب بضربة وهدمت ركنا من هلال طويل
فلا سالماً منها الامير سلامه فتبكي عيوني والدموع تسيل
دعوني املي العين منهُ بنظرة من قبل يغدي باللحود جديل
باطل عليك يا ابوزيد ياسيد الملا قد انهد عزمي وما بقى لي حيل

أبوزيد حيف تموت يا بومخيبر   ومن عاد بعدك الهلالي وكيل
ايا هل ترى الايام تخلف كسلامه   اذا مضى جيلاً وبعده جيل
ايا دياب كيف بقت بسلامه   وقد كان لك دون الانام خليل
يا حسرتي يا كسرتي بعد خالتي   ولا اظن ان له بالانام مثيل
محمد وحمدان قد نسيت فراقهم   وجاني حسن زاد الفؤاد عليل
وقد زادني حزن الهلالي سلامه   فياليت عمري لا يكون طويل
مقالت فتــات الحي ام محمــد   ونيرانــ قلبي زايدات شعيل

فلما فرغت الجازية من كلامها غبي عليها برهة من الزمان ثم تقدمت بعدها عليا وهي تنتف شعرها وتمزق ثيابها وقد زادت في بكاها وانتحابها ثم تقدمت اليه وقبلته بين عينيه وقالت لــه سلامتك يا ابا الابطال وزينة الرجال وجعلت ترثيه بهــذه الابيات امام الامراء والسادات

تقول فتات الحي عليا التى بكت   ونيران قلبي احرقتني شعيلها
وعبرات عيني كالبحور الزاخرة   تروى الى عشب الفلا ونفيلها
ودارت نواعير الفراق باعيني   كما ارض مصر عندفيضان نيلها
وكم جهدعيني ما تفيض من البكا   وان البكا يطفي ويشعل عليلها
على فارس الهيجا الامير سلامه   سياج بني هلال وحامي نزيلها
ايا حيف والله يا امير سلامي   ليالي الهنا راحت وجانا بديلها
ايا ناس ما الكتمان الا فضيحة   اذا كانت الشكوى لمن لا يزيلها
من اشتكى شكواه لغير مسعف   كمن صب ماء بوسط غرابيلها

وما اشتكي الا لربي وخالقي   وايش تنفع الشكوى لمن لا يزيلها
ومن باح بالسر الذي في ضميره   يشابه نارا عالقة في نخيلها
ترى الجيد جيداً ولو تمزق ثوبه   والندل ندل وان لبس من جميلها
بالله يا ذا البنات نوحوا واندبوا   عَلَى قامة انحط منها طويلها
وداراً خلت من كل قرم مجرب   ومن جيرة قد جانا يوم رحيلها
سكن دارهم من لا يقوم مقامهم   فلا دامت الدنيا ولا دام ميلها
وخيل دياب تصبح اليوم جائله   وخيل الهلالي زاد منها جفيلها
ورايات ابو وطفا تعود مرفعة   ورايات ابوزيد انخفض تعديلها
مقالات فتاة الحي عليا الحزينة   مضى زمن العز وجانى بديلها

قال الراوي فلما فرغت عليا من كلامها بكت الامارة والنسوان عن قولها وصاروا في ضجة وابوزيد غميان ثم انه فاق من غشوته فتاسف عَلَى نفسه وكيف باق فيه الامير دياب وراح يخبر قومه ويودع اهله واشار يقول من فواد متبول

يقول ابوزيد الهلالى سلامه   ولي شيعة شاعت بكل بلاد
ولا وقعة الا وسيطي بوسطها   ولا معركة الا ولي تنقاد
ولا ظالم با لحرب الا ظلمته   ولا طاغياً الا وزاد لحاد
ولا كل رجال يكشف مهمة   ولا كل من طلب المعالي ساد
زرعت جميلا ضاع مع ولد غانم   ترا الجميل تزرع مع الاجواد
انا جميلي ضاع مع ولد غانم   كما ضاعت الجودة مع الحداد
زرعت جميلا طالبا ان استغله   نخانى وباق يا قوم بالميعاد

خرجنا الى الصيد نطلب الفلا ومعنا دياب فوق ظهر جواد
ولا شفت انا معه سلاح وعدة ولا عرفت ما فعل له الحداد
ضربني بدبوس عريض فراشه عَلَى فوق راسي وقعت للمهاد
ولو كان غيره ما وقعت بضربته ضربات دياب كجبل طواد
فعندي غبينة من دياب الغانم والاسى ما ينحصر بمداد
جاد الغبينة يا هلال وعامر يا اهل دريد وجملة الاجواد
ولكن اخذني بوقة يا عمومتي ضربني وخلاني طريح وساد
ولي ثلاثة ايام اقاسي نزاعه اتاري سكرات الممات شداد
اذا باتت الهجاع في جنح ليلهم ابات كاني فوق شوك قتاد
ايا حسرتي شوف المنايا تجينني وانا اودعكم وذا اخر الميعاد
تاسفت عَلَى ميرين مضوا قبل قتلتي عزيز ومرعي مع شباب جداد
فنادوا لي الاولاد حتى اشوفهم ونادوا عَلَى اهلنا وكل الاولاد
ونادوا لي مخيبر والامير بريقع وشيبان نادوا لي يا اجواد

الى هنا انتهى الكتاب الرابع والعشرون من تغريبة بني هلال
ويليهِ الكتاب الخامس والعشرون وفيه قتل الامير ابو زيد
من يد الامير دياب

ديوان اليتامى

وهو يتضمن قتل الامير ابو زيد من الامير دياب ورحيل الجازية باليتامى الى بلاد الكوع وقتل شمعون اليهودي وتسلطن الامير بريقع ابن الامير حسن علَى بلاد الكوع

الكتاب الخامس والعشرون

☆ من تغريبة بني هلال ☆

يطلب من مكتبة الترقي خاصة جرجي وسليم زيني

طبع بمطبعة الاتحاد لصاحبها شكري انطون الخوري

بيروت سنة ١٩٠٩

ونادوا لعليا كي اراها بناظري   ونادوا لي ريا وام سعاد
ونادوا عزيزة اليوم ذا فعل جالها   ترى حزنها ذاك المضى قد عاد
ونادوا لي الجازية ام محمد   حتى اوصيها بسائر الاولاد
ايا جازية الدهر فعله مقلباً   كذاك الذهب لايعتريه سواد
ترى ان ظهر فيكم ذياب الغانم   يفني اصاغركم مع الاجواد
ويقطع جداركم ويهفي جيادكم   ويحكم كما النمرود ابن شداد
قتل حسن ابن سرحان ابو علي   وخلا حريمه لابسات سواد
انا اوصيكم يا آل عزي ودولتي   فغيبوا عن الزغبي لاقصى بلاد
فروحوا للاكراد وارض فارس   فيها دياب ما ينال مراد
وابقوا بها حين يهون عسيرها   واغزوا دياب بالثقال الحداد
ترى اهلكم فرسان مع اجدادكم   وانتم سباع الحرب والاقتاد
فمن ينهزم منكم تكون امه غايبه   ولا لهُ منا ابا ولا اجداد
ترى اذا غاصت الخيل بالدما   وضو النهار قد علاه سواد
هناك مخيبر ينطح الخيل بالوغا   ويدعي الزغابي بالفلا شراد
اوصيكم بالحرب يا آل عامر   ميلوا عليهم ميلة الاساد
وادعونهم فوق الوطا شرايد   ولا تتركوا منهم ولا افراد
وادعوا دياب عَلَى الوطى ملتقحاً   وذيقوه ما ذقنا من الانكاد
ومن طلب منهم زمام وجيزة   جيروه منكم جيرة الاجواد
وادعونهم عونا لكم في اموركم   وانتم عليهم باكرام سياد
جميع كراسي الغرب ملككم   وانتم ملوكاً من ابا واجداد

وافرح في قبري وتنسر مهجتي وان اله العرشُ بالمرصاد
انا اودعتكم لله ربي وخالقي الله تعالى اجود الاجواد
جيبوا الكفن لي فصلوه امامي وهاتوا لي الكافور وحق زباد
وجيبوا لي نعاشاً مليحاً من سرو ودقوا مساميره بدق شداد
بجنب حسن ياخلتي اقبروني وصلوا عَلَيَّ قبري صلاة عباد
وقولوا رحمك الله يابو مخيبر ايا مطعم الجيعان والقصاد
وهاتوا مغانيكم وهاتوا دفوفكم وقيموا معادات لنا وقياد
فيشيع الخبر والعلم بالناس كلها بقولوا دياب الى سلامي كاد
وتوصل الى نجد العريض خبارنا يقولوا ابو زيد الامير انكاد
وتوصل خباري نحو عمي وقومه يخبرونه العذال والحساد
سالتك يا رحمن يا سامع الدعا تنجي اولادي من الاوغاد
سالتك يا رحمن ياخالق الورى تعين اولادي بيوم جلاد
لكي ياخذوا ثاري من ولد غانم ويشفوا قلوبهم مع الاكباد
وسالتك يارب تستر عيوبنا عيوباً لنا هم واضحات جداد
واغفر لنا ما سلف من ذنوبنا علينا ذنوب ما لها اعداد
واوصيكم يا آل عزي ودولتي لا تسلكوا ابداً طريق فساد
وان عادت الايام اليكم بعدنا ابنوا لقبري قبة وعماد
مقالات ابو زيد الحزين المفارق غدا ادخل القبر العميق وكاد

قال الراوي فلما فرغ ابو زيد من كلامه شهق شهقة واحدة فافاضت روحه عند ذلك كثر البكاء والنواح وصار كل واحد ياتي ويقبل اياديه

مرة ثم اشارت الجازية بدفنه فحالاً اخذوه ودفنوه جنب الامير حسن فهذا ما كان منهم واما ما كان من الامير دياب بلغه ان ابو زيد مات وشرب كاس الافات ودفنوه فجمع ستين الف من قومه وسار الى بلاد القيروان ايجري حكمه ويعمل كما عمل بتونس ولما سمعوا بني زحلان ودريد هذا الخبر اجتمعوا وتشاوروا مع بعضهم فاتفقوا ان يطيعوا الامير دياب وينادوا باسمه لان مالهم طاقة عَلَى حربه ولما قرب منهم الامير دياب وعرفت الجازيه اتت اليهم وصارت تنخيهم فما ردوا عليها فبكت وقالت مافيكم احد يخاصم دياب وانتم شبان وهو كبير خرفان واشارت تنخيهم بهذه الابيات سبحان ربي غافر الزلات

تقول فتات الحي ام محمد ... انا اليوم جاني الهم والنكباتي
وعبرات عيني كالبحور زواخر ... وقد غاب قلبي بالضمير وفات
عَلَى فارس الهيجا الامير سلامه ... غفير هلال حامي الزينات
ايا ذل قوماً راح منهم سلامه ... وياشومهم لما يقولوا مات
ابو زيد بالعربان ليس مثاله ... بالجود والمعروف وحسن ثبات
حوى حكمة لقمان وجودة حاتم ... وعفة ايوب وكل صفات
وحاز خصال الخيرين جميعها ... امير ابن امير سيد السادات
ابو زيد كيف تموت يابو مخيبر ... يبكوا بدمع قرح الوجنات
يقولوا ياذلنا من بعد عزنا ... من عاد يحمينا من النكبات
ابو زيد انظر حالنا وما جرى لنا ... وفينا دياب حاكم الاوقات
واصبح عَلَى تخت ابن سرحان جالساً ... وحاش بيده المال والصهوات

وعادت خيوله غايره نحو ارضنا　　وما له مقاوم يدفع الشدات
ياحيف حط الباز من الجو للوطا　　وعادت عصافير الشجر عاليات
عاد الضبع للسبع يا ناس طارد　　وعادت عدانا بالهنا فارحات
لا يا دريد اليوم يا آل عامر　　ايا من لكم يوم الوغا عادات
تذلوا من دياب وسطوته　　وانتم ملوكا وانتم السادات
فلا خير في ايديكم ولا برماحكم　　ولا في سيوفاً تفلق الهامات
ناديكم بالحرب ما تسعفوني　　ايا فاقدين العزم والنخوات
فابكي يا عيني لفقد سلامه　　ويا قلب نوح عَلَى الامير وهات
خلت سروج العامرات وقدها　　والنسا قعوداً والرجال موات
فلا بد بعد العز تاتي مذلة　　وياتي العنا من عالي الدرجات
ولا بد من عرق الى عرق يلتجي　　يريد النجا في سائر الدعوات
مقالت فتات الحي ام محمد　　وحزن ابو زيد دائم الاوقات

فلما فرغت الجازية من كلامها ما احد رد عليها الا ان اكابر بني دريد وعامر وزحلان وضعوا المناديل في رقابهم علامة الامان وخرجوا ينادون يا دياب انت ملكنا وانت الحاكم علينا ولا احد منا يعصي لك امر ولما نظروه تقدموا وقبلوا اياديه ورجليه وقالوا له انت السلطان ومثلك يليق ان يكون سلطان لانك فارس جبار ثم دخل الامير دياب وجلس عَلَى كرسي الامير حسن وصارت تاتي اليه الاماره واحد بعد واحد يهنوه ويدعون له بطول العمر واما الجازية والنافلة والحريم والاولاد فانهم اختفوا وعند الليل ركبوا وساروا وسبقهم

كثير من قومهم وتسلطان دياب عَلَى كل بلاد الغرب وامر ان ينادوا باسمه وانه هو الملك دياب حاكم الغرب وسيد فرسان الطعن والضرب وصارت تاتيه الهدايا والتحف ورتب الحكام وعزل ولما راق باله سال عن اولاد حسن وابو زيد فاخبروه ان الجازية هربت فيهم مع بقية النسوان وتبعهم ثلاثين الف نفس من بني دريد وزحلان فتكدر خاطره وقال حيث ظنوا بي السوء وما امنوا لي فانا لا بد من ان اذلهم واقهرهم لانه كان بفكري ان ارتب لهم معاش واقوم بوصية الامير ابو زيد ثم ركب وتبعهم فما لحقهم فرجع وهو متكدر يبقي له كلام يرجع الكلام الى بلاد الكوع كان يحكمها سلطان يهودي اسمه شمعون وكان له وزير اسمهُ ابو الجود مسلم فلما قتل الزناتى وملكوا بلاد الغرب اجتمع بوزيره وقال له كيف الشور عندك ان بني هلال وصلوا الى نواحي بلادنا وهم فرسان لا يوجد مثلهم في هذا الزمان ولا سيما فيهم فارس اسمه ابو زيد من الابطال العظام وتروي عنه الشعار وتنشد ايضاً بفارس اشقر يسمونه دياب ابن غانم لا يقدر ان يلقاه فارس ولا جبار وكل جبار يعسر عَلَى بني هلال ملتقاه يقتله هذا الفارس وانا اخاف ان يوصل شرهم اليَّ فياخذوا البلاد مني واصبح قتيل او اسير ولا اعرف كيف العمل فقال له الوزير انا الراي عندي ان تاخذ بعض الهدايا من بلادك والجواهر وتسير الى الامير حسن وتقدمها له وتهنيه بالنصر ويصير بينك وبينه مودة وصحبة وتامن شره ولا يعود عليك خوف فاستحسن شمعون هذا الراي ومن وقته وساعته حمل الهدايا عَلَى الجمال وصار بالف فارس من

اعيان قومه واكابرهم حتى وصل الى القيروان فدخل عَلَى الامير حسن وقدم له الهدايا وسلم عليه فترحب به وعمل الولائم ووقعت بينهم المحبة والمودة ثم عاد الى بلاده وبقي في امان والمراسلة بينه وبين الامير حسن سنين وايام الى ان سمع بقتل الامير حسن فتكدر وبعد ذلك بلغه الخبر بقتل ابو زيد فعظم الامر وقال لوزيره ابو الجود انا مرادي ان اجمع العساكر واذهب الى بني هلال لانهم لا بد ان يكونوا في حروب بين بعضهم البعض وربما يفنوا بعضهم فمن الموافق ان نكون حاضرين ونساعد الحزب القوي ونملك نحن البلاد وربما ساعدتنا التقدير وقتلنا الامير دياب لانه صار شيخ كبير ثم جمع عساكره وسار قاصداً بني هلال وبقي سائر حتى دخل حدود الغرب فنظر الغبار قد علا وسار حتى سد منافس الاقطار ثم انكشف عن ثلاثين الف فارس ومعهم حريم ونسوان فسال ما الخبر فاخبروه ان هولاء حريم حسن وابو زيد واولادهم اليتامي هاربين من وجه الامير دياب خوفاً عَلَى انفسهم فاستدعاهم فحضرت الجازية بين يديه فاستخبر منها عن الخبر فاشارت تقول وعمر السامعين يطول

تقول فتاة الحي ام محمد	بدمع جري فوق الخدود غزار
الا يا ملك شمعون اسمع قصتي	واصغي لقولي يا حمات الجار
انا بنت سرحان اخو يي ابو علي	وهولاء يا ملك عبيدنا وجوار
كنا بنجد في سرور وفي هنا	نمرح بها في ليل ثم نهار
اتانا بها محلاً شديداً ونسرنا	سبعة سنين كاملات عسار

رحلنا لارض القيروان وقابس ... اتانا الزناتي مثل شعلة نار
قتل منا تسعين قتيلاً مجرباً ... براس رمحه المرهف البتار
قتله ابو وطفا دياب ابن غانم ... بعزم شديد يفلق الاحجار
ملكنا بقتله ساير الغرب يا ملك ... ملكنا مداينها وكل دار
اراد دياب يملك القصر وحده ... ويقعد به سلطان يا مغوار
حسبه اخي سبعة سنين كاملة ... سبعة سنين في بلا وكدار
واطلقه ابو زيد الهلالي بغصيبة ... وهذه حيلة منهم عليه دار
مرض حسن والوجه منهُ مغيرا ... وعَلَى وجه بعض البياض سوار
اتوه جميع القوم من كل جانب ... وجاءوا هلال كبارهم وصغار
وجانا دياب مع اكابر قومه ... وقلبه اسود خاينا غدار
ناموا جميعاً ليلتين كواملاً ... وثالث ليلة قام دياب ودار
ذبح حسن من فوق عالي فراشه ... وخلاه يختبط ميمنة ويسار
وراح عنا هو وكل جموعه ... دخل بلاد الزنج والاقفار
جابه ابو زيد طيب بخاطره ... وارسل له مكتوب بالاحضار
وجابه الى عنده سريعاً بلا بطا ... ورجعوا اصحاباً وراحت الأكدار
وبعده اتوا للصيد في عز مع هنا ... ولعبوا بالجريد كم مشوار
فشال دياب من تحت باطه لسلامه ... دبوس حديد فيه الف مسمار
ضربه به ارماه ملقى عَلَى الثرى ... ضربات دياب ما عليها عيار
وقال ابو زيد روحوا باهلكم ... الى الملك شمعون عز الجار
وجينا لعندك طالبين مكارمك ... يا برمكي يا مكرم الزوار

دياب قتل منا الفوارس جميعها شبيه الغنم ان جزها الجزار
وعاد دياب مالك الغرب كلها وصار ملك والعز له صار
هذا جري فينا وهذا اصابنا والدهر دولاب علينا دار

قال الراوي فلما فرغت الجازية من كلامها اشار الملك شمعون يرد عليه ويقول وعمر السامعين يطول

يقول الملك والقول صادق نيران قلبي زايدات سعار
الا فابشري بالخير يام محمد لقد زال عنكم سائر الاكدار
وقلبي عَلَى حسن الهلالي موجعاً وابو زيد قد خلا الدموع غزار
ايا حيف سلطان البوادي كلها يروح قتيلاً دون اخذ الثار
اياحيف بالله عَلَى الامير سلامه يغدو قتيلاً مرخص الاسعار
ولكن لهم اولادهم يخلفونهم ويسقوا دياب علقما ومرارا
انا كنت ساير نحوكم لاعينكم وانظر ماذا بينكم قد صار
ولكن اتيتم سالمين باهلكم فابقوا واصبروا فالفلك دوار
وارعوا اراضينا واجنوا ثمارها فانتم والله اكرم الخطار
وقلبي فرح فيكم وديني ومذهبي وحق النبي موسى ابو الاسرار
لكم عندنا الاسرار والخير والهنا والعز والناموس والاوقار

فلما فرغ الملك شمعون من كلامه والجازية تسمع نظامه قالت له ارجع فما الان وقت الذهاب لان دياب له سطوة في بني هلال ولاقي الرعبة في قلوب الجميع وما انت من رجاله ولا في هذا الزمان له مقارن لانه قتل في زمانه فرسان لا تعد وقاتل اعظم ابطال عصره فالاوفق

نصبر الى ان ياتي الفرج وهو قريب لان دياب كبير السن وما له سوى ولد صغير يرضع اسمه نصر الدين فاخذ الثار ان شاء الله قريب قال الراوي وكان الامير دياب تزوج امراة من قومه اسمها نسرين لانه ما بقي له اولاد سوى وطفا والدهنه فاتاه منها ولد سماه نصر الدين يبقى له كلام يرجع الكلام الى الجازية انها رجعت باليتامي الى عند الملك شمعون فعين لهم ارض وصاروا يرعون المراعي وما عاد للجازية هم الا تربية اليتامي وتعليمهم الحرب والقتال وبقيوا عند الملك شمعون حتى وصل خبرهم الى الامير ذياب فاراد يجمع العساكر ويذهب اليهم فقالوا له بني زغبي الاوفق ان لا تذهب وراهم لان بلاد الملك شمعون مقفرة وموعرة وحاره فاذا طال بيننا الحرب نهلك من العطش والحر وربما بني دريد وزحلان اتفقوا مع الاولاد فيطول علينا الحال فقال دياب انا خايف ينتظروني حتى اموت او اعجز وياتوا يملكون البلاد ويذلوا ابني ويذلوكم فقالوا له الاوفق ان تكتب مكتوب الى الملك شمعون وتوعده بالمال حتي يقتلهم والا تهدده لانه جبان يخاف من باسك فقال هذا الراي والصواب ثم اشار يرسل الى الملك شمعون ويقول وعمر السامعين يطول

يقول الفتى الزغبي دياب الماجد ... ونيران قلبي زايدات سعير
نعم ايها الغادي عَلَى متن ضامر ... تسبق هبوب الريح عند مسير
اذا جئت للكوع فانزل بربعها ... وعقل جوادك بالزمام وغير
واعطي الى السلطان شمعون ورقتي ... وسلم عليه يا رشيد كثير

اريد يا شمعون تقتل لليتامى   وتدعيهم على وجه التراب عفير
ولا تغرك الجازية وحسن وجهها   لها وجه يضوي مثل بدر منير
لها قامة هيفا وخد وحاجب   وليس لها بين النساء نظير
تسلب عقول العاشقين ومالها   عرض ولا تستحي بفعل النكير
نخذ اموال دريد وجمالهم   وابقى انا لك بالحرب نصير
والا اتيتك فوق شهبا ململمه   اذ اطلقتها مع الرياح تطير
فاملك الى ارضك وكل بلادكم   وافني اكابركم وكل امير
مقال الفتى الزغبي دياب ابن غانم   كلامي اكيد ما به تزوير

قال الراوي فلما فرغ الملك دياب من الكتاب ختمه بختامه واعطاه لرسوله راشد ابن نبهان ان يوصله الى الملك شمعون ويطلب منه الجواب فاخذه وسار حتى دخل بلاد الكوع فصادف الوزير ابو الجود وكان الوزير مسلم فاعطاه الكتاب فضه وقراه وعرف رموزه ومعناه وقال للرسول اصبر حتى نعطيك الجواب ثم امر ان ياخذوه الى دار الضيافة وذهب الوزير فاستدعي الاولاد قال لهم خذوا اقروا هذا المكتوب فلما قروه خافوا ووقعت الرعبة في قلوبهم وقالو نحن وقيعين عليك يا وزير فقال لهم لا تخافوا فانا اعرف ان وصل المكتوب الى شمعون يقتلكم لانهُ طميع ويخاف من دياب وما لكم الا ان ترسلوا الجازية الى عنده وتتدلع عليه وانا اعرف انه واقع في هواها وعند ذلك لا يعود يقتلكم وتامنوا من الشر فقالوا نحن لا يليق ان نكلم الجازية هذا الكلام فقال لهم انا احضرها الى عندي ثم بعث وراها فجاءت

عنده فقرا لها المكتوب فتكدرت وقالت ما كفا دياب ما عمل حتى انه
لاحقنا الى هنا ولكن كيف الراي عندك يا وزير فقال لها انا الراي عندي
ان تذهبي انت الى الملك شمعون وتتدخلي عليه فانه لا يضركم فقالت
له انا امراة مسلمة ومن نسل الملوك وزوجي شريف النسب فكيف
اقع على واحد يهودي وانت مسلم مثلنا مثلك ونبينا صلى الله
عليه وسلم اوصانا بمساعدة بعضنا البعض فلما سمع ابو الجود كلامها
قال في باله هذه امراة تكرم دينها اكثر مني فالاوفق ان اساعدها
ثم قال لها انتم معكم ثلاثين الف فارس وانا عندي اثني عشر الف فالجملة
اثنين واربعين الفاً نخلوا الجميع مستعدين للحرب وابعثي اولاد اخيك
الى السلطان شمعون يقولوا له مرادنا نزوجك عمتنا فيفرح بذلك لانه
واقع بهواك فمتى دخلت عليه يدخل معك شيبان ويذبحه ونهجم
بالليل على اليهود فنقتل الاكابر ونملك البلاد ونقيم حاكم من اولاد
اخوك وانا اتزوج بك وتصير البلاد بيدنا فاتفقوا على هذا الراي وذهبوا
اولاد السلطان حسن الى قصر الملك شمعون وعرضوا عليه عمتهم
ففرح وقام قبلهم وقال لهم مهما شئتم فاطلبوا فقالوا له لا نريدك الا
سالماً ثم جابوا الحاخام فكتب الجازية على الملك شمعون ودخلت في
دين اليهود ذلك اليوم وبعد تمام الفرح دخلت على الملك شمعون فوجدته
منتظرها في قاعة النوم وعليه الملابس الخفيفة ودخل معها شيبان
ابن الامير ابو زيد وبيده الخنجر فضربه بها رماه قتيل وبدمه جديل
وقطع راسه ووقف في طاقة القصر وقال قد قضي الغرض وكانت

الامارة والوزير منتظرين تحت القصر فغاروا على اليهود وابلوهم بالذل والنكود وقتلوا اعيانهم وملكوا القلاع واهلكوا روساء العساكر وما اصبح الصباح حتى انتهوا من الاعمال ودخلوا سراية الحكومة واجلسوا الامير بريقع ابن السلطان حسن ملكاً على بلاد الكوع وصارت المنادية تنادي باسمه وفرق العساكر في جميع الجهات وراق له الحال وما قام لهُ في البلاد مخاصم فهذا ما كان منه واما ما كان من رسول الامير دياب ابن نبهان فانه لما شاهد ما صار خاف على نفسه فسار مجداً حتى وصل الى عند سيده فاخبره بالخبر فقال لا باس هو ابن اختي وابن سلطان فقال له احد الامارا انت قتلت الحية وتركت راسها هولاء الاولاد لا بد ما يقوموا وياخذوا منك بثارهم فضحك الامير دياب واخذ يكتب لليتامى ويقول وعمر السامعين يطول

هبت بوارقها وطاب هواها ولاح ما بين النجوم سناها

وعرفت ملوك الشرق والغرب انني مبيد رجال العرب عند وغاها

قتلت انا حسن الهلالي ابو علي وابو زيد الفتى قد كان اعلاها

ملكت انا كل البلاد بهيبتي وانا ابن غانم اعظم الناس جاها

طاعت لحكمي ساير الغرب واختشو ضربات سيفي بالبلا القاها

وما عاد لي بين الانام مخاصما الا اليتامي خائف من دهاها

فلا بد ما القى اليتامى جميعهم والحقهم في ابوزيد الذي تاها

ايا ما قتلت من الملوك اكابرا حسن ابن سرحان ذاق بلاها

وبعده ابوزيد الهلالي سلامي قتلتهُ وانا حمقان من اغواها

وقبله الزناتي كان قرما مجربا   قتل الى الفرسان منا واهفاها
تسعين اميراً من جياد قرومنا   سالت دماهم كالبحور فوق وطاها
بدر مع زيدان اولاد عامر   وعقل ونصر اسود وغاها
عقل ونصر كانوا خيار رجالنا   راحوا هفايا وسط طي ثراها
فنزلت اليه والسيوف تقرلي   وتركته ملقى بوسط فلاها
الا يا يتامى اقبلوا نحو ربعنا   وحبوا لرجلي وبوسو يداها
عليكم سلام الله كمال ابوكم   حسن وابوزيد بما اوصاها
وان تشمخوا ارحل اليكم اذلكم   وانتم تعرفوا عزمي بسوق وغاها
مقال الفتى الزغبي دياب ابن غانم   والنار في قلبي تزيد لظاها

فلما فرغ الامير دياب من كلامه طوى الكتاب وبعثهُ الى اليتامى فلما وصل اليهم وقروه اعطوه الى الجازية فقالت لهم ان دياب قلبهُ دليله والذي له عدو لا ينام الليل ثم كتبت الى الامير دياب الجواب واشارت تقول وعمر السامعين يطول

برق تلمع من خلال اليماني   وهيج بالقلب وجدي بعد ماهاني
والريح هبت في ضميري وخاطري   وتقول الله يعكس باطلا كل خوان
دياب يا امير ترسل تهددنا   كنا لكم يا امير بالوغي اخوان
نحنا تركنا لك بلاداً تخصنا   ولا عدت تنظرنا بطول زمان
الله يسامحكم بها ويطول عمركم   وتدوموا بخير يا ابو الاحسان
والله عوض يا دياب بغيركم   فصرنا ملوكاً وعاد الدهر كما كان

فلما فرغت الجازية من كلامها طوت الكتاب واعطتهُ للرسول

اخذه وسار يقطع الفيافي والقفار حتى وصل الى عند الملك دياب فناوله الكتاب فضهُ وقراه وعرف رموزه ومعناه فقال في باله لا بد لي ما اركب وادهمهم في بلادهم قال الراوي وفي ذات يوم اتو شعار الى الغرب ومدحوا السلطان دياب ووصفوا له بنت الامير ماجد ابن الهدهاد فسال دياب عنها فاخبروه انها لم يوجد مثلها بالدنيا فقال له احد الامارة الحاضرين هذه خاطبها السلطان حسن لابنه بريقع وكان مراده يزفهُ عليها فعند ذلك قال السلطان دياب والله نحن احق بها من الغير ثم كتب مكتوب الى الامير ماجد يطلب بنته وبعث المكتوب مع الامير عرندس فاخذه وسار حتى دخل عَلَى الامير ماجد اعطاه الكتاب فضه وقراه فترحب في عرندس ثم جمع الامارة واعيان قومه واطلعهم عليه فقالوا له ابعث قول له ابنتي مخطوبة الى الامير بريقع ولا يليق بي ان افسخ الخطبة والامير برقيع مراده يزف عليها وهو ابن عمك ومن لحمك ودمك ثم بعد ذلك كتب الى الامير دياب وارسل المكتوب مع الامير عرندس وبعد ذلك استدعى بقومه واعلمهم بما كتب الى الامير دياب وقال لهم لا بد ما اقصدهم بالعساكر والاجناد ثم اشار لهم بهذا القصيد يقول

قال ماجد ياعرب قوموا ارحلوا قبل ما ياتي دياب فتقتلوا
دياب ارسل بالكتاب يقول لي هات بنتك لي سريعاً واعجلوا
ارسلت له بنتي بريقع هو لها كتابها مكتوب حقاً اولوا
امـا عرندس مع رفاقـه كلهم من امور الغيظ مني امتلوا
عند ما يعطوا الكتاب لاميرهم تركب الابطال ثم يعجلوا

يقتلون صغارنا وكبارنا اسمعوا قولي وقوموا حملوا
العجل ثم العجل يا قومنا الى ديرة الكوع وفيها انزلوا
ونعيش نحنا مع بريقع في هنا ونعود نرجع الى دياب ونقتلوا
ما قال ماجد اسمعوا يا عزوتي قوموا سريعاً يا رجال وحملوا

العجل ثم العجل يا قومنا الى ديرة الكوع وفيها انزلوا
ونعيش نحنا مع بريقع في هنا ونعود نرجع الى دياب ونقتلوا
مقال ماجد اسمعوا يا عزوتي قوموا سريعاً يا رجال وحملوا

قال الراوي فلما فرغ ماجد من كلامه هدوا قومه البيوت وحملوا حريمهم وركبوا وساروا يقطعوا الفيافي والقفار قاصدين بلاد الكوع يبقى لهم كلام يرجع الكلام الى عرندس دخل على الامير دياب واعطاه الكتاب فضه وقراه وعرف رموزه ومعناه فغضب غضباً شديد ما عليه من مزيد ومن ساعته ركب بالفرسان والابطال وسار قاصد الامير ماجد وما زال سائر حتى وصل الى بلاده وجد الارض قفرة فسار سبعة ايام تمام فما وقف له على خبر فتكدر ورجع وارسل الجواسيس تفتش عليه الى اين سار ورجع هو ومن معه الى بلاده والاوطان

قال الراوي وكان عند الامير دياب بنت اخته بنت الامير حسن وكان اسمها امينة وكان لما هربت الجازية باخوتها بقيت هي فاخذه دياب ووضعها عنده وكانت بنت دياب تشتم لها اخوتها واولاد ابوزيد وتقول لها ابي لا بد ما يقتلهم فذات يوم كانوا مجتمعين قالت لها بنت دياب انا سمعت ابي مراده يجيب اخوتك ويخدمهم عنده وان ما قبلوا

يسير اليهم فقالت لها ان اخوتي صاروا ملوك ولا بد ما يجوا وياخذوا الثار من ابيك فغضبت منها وقامت اليها وضربتها فعند ذلك تركتها وراحت الى قبر ابوها وصارت تبكي عليها وهي قاعدة واذا برجلين مقبلين عليها واحد ابيض والاخر عبد فوصلوا الى قبر الامير حسن وابو زيد وصاروا يبكوا فالتفتت اليهم وقالت لهم من تكونوا وعَلَى من تبكوا فقال لها الابيض نبكي عَلَى موالينا واسيادنا وانا بدر ابن قاشع وهذا عبد اخوك وكنا عائشين بنعمتكم حتى غدر بنا الزمان ورحنا مع اخوتك وصرنا نسافر مثل المكارية من بلاد الى بلاد فقالت لهم والآن الى اين ذاهبين الى بلاد الكوع فان كان لك غرض او وصية نوصلها لك فقالت لهم احضروا لي دواية وقرطاس فاحضروا لها فاشارت تكتب الى اخوتها وتقول

تقول امينة بنت من ساد ذكرها بدمع جرى من مقلة العين عايم
ونيران قلبي كلما قول تنطفي يهب لها جوا ضلوعي ضرايم
تعاندني الايام والدهر هانني وصرت حزينة والعقل قد صار عادم
اداري عَلَى روحي واكتم بخاطري ولا اعرف الراحات والرب عالم
يا ايها الغادي عَلَى متن ضامر تشق فلاه الارض مثل النسايم
فاهدي سلامي ثم اعطني رسالتي رسالة محزونة تذوق العدايم
الى اخوتي عز الملوك اذا علوا وسلم عَلَى اولاد عمي اللزايم
وخص الفتى ديار ثم بريقع بدر وعلي وغازي ثم وقاسم
وسلم عَلَى شيبان ثم مخيبر اولاد ابو زيد وافين الزمايم

وسلم عَلَى اولاد عمي جميعهم ... منهم مناع نسل الاكارم
الى عمتي الجازية اهدي تحيتي ... عليها عقيد الشور والراي دايم
يا عمتي لو تنظرين لحالي ... ابكي واندب والدموع سجايم
يا عمتي بريقع زاد همي ولوعتي ... تهددني سميا بنت ابن غانم
وضعت قدري ثم كسرت بخاطري ... وقد ضربتني بوجهي لطايم
وقالت لي خلي لذكر رجالكم ... فما فيهم ينفع لوقت اللزايم
ولولا تكوني يا امينة لزيمة ... كنا جعلناك مثل العبيد اللوازم
فقالت لها زيدي جفاك فربما ... يجوني صغاراً يرفعون العظايم
تقدم يا ابا بدر والقي مصايبي ... لهم ولا تقصر بشرح الكلايم
فان سكتوا عنها وعنها تصدوا ... اصبح في حفر التراب رمايم
وان كان يركبوا الخيل غارة ... يكون لهم شان بصدق الكلايم
يجوني عَلَى الخيل كما الريح جريها ... عليها شباب كالليوث الضراغم
بكل مهندي والرديني بكفه ... لسان الحنش مسقي بسم الاراقم
ويكثر بالجمعين ضرب البواتر ... بطعن العوالي قد يزيل العظايم
عسي يا خذون الثار من ولد غانم ... ويدعوه فوق الارض مرمي ونائم
تبقي بلاد الغرب طوعاً بيدكم ... وتحكموها مثل ابوكم حاكم
مقالات فتاة الحي امينة الحزينة ... ونيران قلبي زايدت ضرايم

قال الراوي فلما فرغت امينة من كلامها طوت الكتاب واعطته الى بدر اخذه وسار هو والعبد ايام وليالي حتى وصل الى بلاد الكوع ودخل عَلَى الامير بريقع وقبل الارض بين يديه فقال له ما معك

من الاخبار قال له معي كتاب من اختك امينة وهي تقاسي العذاب الاليم مع بني زغبه وبنت خالك في كل صباح تخدمها وتهددها فقال له اين الكتاب قال انه اوصتني ان لا اعطيكم الكتاب الا بوجود عمتكم الجازية فاحضروا الجازية فلما حضرت اخرج بدر المنديل وشال منه الكتاب وخصلة شعر من شعر امينة فلما نظروا الشعر وقروا المكتوب هاجوا وماجوا ورغوا ونخاجوا وصاحوا ووقع فيهم البكا والنحيب واجتمعت عليهم النسا والاولاد والرجال وكان لهم ساعة يا لها من ساعة وجدوا عزا ابو زيد والامير حسن فعند ذلك نهض الامير شيبان وقال لهم مالنا ولهذا البكاء قوموا حتى نركب ونسير الى حرب دياب فاما ان نموت او ان ناخذ ثارنا ونخلص حريمنا ورجالنا من ذل دياب فقال بريقع هذا هو الصواب ثم انهم امروا بالركوب فاشتدت العساكر وامتدت وركبت معهم الجازية وساروا بستين الف فارس ما بين مدرع ولابس واليتامى امام الجميع وعند ما امسا المسا نزلوا في برية بتلك النواحي ليرتاحوا وما استقر بهم النزول حتى سمعوا صوت عرب نازلين بالقرب منهم ثم شاهدوا نيرانهم فاجتمعوا اليتامى وقالوا من يا ترى النازلين في هذا المكان فقال بريقع اظن هذا دياب اتي بقومه ليقتلنا فما الشور عندكم واذا وقعنا نحن وهو في هذه الارض يهفينا الا اننا نحن ملتمسين على اولاد عمنا الباقين في بني هلال فانهم لا يساعدونا ودياب لا يحب معه الا اولاد عمه وكلهم ابطال وبقوا في حساب وامور صعاب فقال الامير بريقع ما لنا الا نرسل من يكشف الخبر فقالت

الجازية انا اسير وا كشف لكم الخبر ثم قلعت ثياب النسا ولبست ملابس الرجال وتقلدت بالسلاح واخذت معها شيبان وبريقع واوصت ان لا احد يشعل نار او يبدي حركة قبل ان يحضروا ثم ساروا تحت الظلام حتى قربوا من العرب فسمعوا بكاء الأطفال وصريخ النساء ونبح الكلاب فعلموا انهم عرب راحلين بعيالهم قاصدين النقلة فقالت الجازية للأمارة ان صدقني حزري هولاء عربنا هاربين من وجه دياب وقاصدين بلادنا فقالوا يلزمنا نكشف خبرهم فقالت الجازية سيروا لنقصد النار الاكثر اشتعالاً لانه هنالك يكون اميرهم ثم رحلوا بين العرب فنظرهم بعض الناس فذهب لعند الأمير ماجد واخبره اني نظرت ثلاث خيالة غرباء دخلوا في قبيلة واظنهم من بني هلال وشرح لهم صفاتهم وبينما هم في الكلام والا دخلوا عليه الامارة والجازية فقام لهم واقفاً على الاقدام وترحب فيهم واجلسهم وقدم لهم الطعام فاكلوا ثم قدم لهم القهوة فشربوا وبعد ذلك قالت له الجازية كثر الله خيرك يا ابن عمي يا ماجد فقال اراك عرفتني يا ايها الشاب الظريف وانا ما عرفتكم فمن تكونوا فقالت له الجازية ان صدق المثل الذي يقال من غاب عن العين سلاه القلب فقال لهم بالله عليكم اخبروني من انتم فقالت له انا الجازية اخت السلطان وهولاء بريقع ابن الامير حسن وشيبان ابن الامير ابو زيد وكنا سائرين نحو الغرب لناخذ بثارنا من دياب فوصلنا الى هذا النهر في هذه الساعة فسمعنا بكم وقصدنا نكشف خبركم فلما سمع ماجد كلامها صفق على يديه من الفرح وقال اهلاً

وسهلا بصهري ثم قام واقفاً على الاقدام وصار يقبل الامارة وهو لا يصدق من عظم فرحه ثم احكى لهم بقصته مع دياب و كيف بعث طلب بنته مع الامير عرندس و كيف اغلظ عليه الجواب وقال له ان ابنتي مخطوبة الى الامير بريقع ثم شاع الخبر فصارت تحضر امارة الامير ماجد وتسلم عليهم وبقوا مدة ثم بعد ذلك قال الامير ماجد الحمد لله الذي صادفنا بعضنا في هذا المكان فما عاد لنا الا المسير لاخذ الثار وانا بلغني ان دياب صار خرفان وما عاد عزمه كالاول وهو عمال يظلم في الرعية من قلة عقله وصاروا الكل يكرهوه فقالت الجازية في غد ان شاء الله نكتب مكتوب الى بني دريد ونحركهم ليقوموا معنا ويساعدونا لاخذ الثار فقالوا هذا هو الصواب ثم انهم ودعوا الامير ماجد وساروا اخبروا بقية الامارة ففرحوا الجميع وفي ثاني الصباح ركب الامير ماجد واتى الى الامارة وسلم عليهم جميعاً فترحبوا به وقدموا له مزيد الاكرام ثم بعد ذلك اخذت الجازية تكتب الى الامير طوي ابن مالك وتنخي قومها لحرب الامير دياب وتقول

تقول فتات الحي ام محمد	وقلبي قبل اليوم قد كان مغبون
وقد كنت محزونة من الهم	عَلَى فقد ابن سرحان والقيدوم
ابوزيد اني والنبي ما نسيتهُ	وكان امير الى الاسرار كتوم
اميرين والله ليس يوجد مثالهم	وكان لهم سعد قوي مخدوم
قتلهم ابو وطفا دياب عداوة	يجازيه ربي الواحد القيوم
الكل ربيت له لاخذ الثار غزوة	امارة كراماً كلهم وقروم

واكيد العدا في يوم كرب وملة وما فيهم الا كل ليث هجوم
اولادنا عشرين امير فوارس ومافيهم واحد ردي مذموم
يا ايها الغادي عَلَى متن ضامر تسبق هبوب الريح وكل نسوم
اذا جئت لارض القيروان وقابس تلاقي بها الزغبي امير حكوم
فسلم عَلَى طوي خليفة عمنا اميراً كريم خليفة المرحوم
وسلم عَلَى اهل الدريدي جميعهم امارة ليوثاً ما بهم ميشوم
وقول ان الجازية ام محمد تنبيكم الاخبار ثم علوم
وايضاً بريقع ثم شيبان بعده وماجد وكل امير عندنا معلوم
وانا جينا لكيد عدونا وندعي دياب بين الورى معدوم
ان كان انتم تحضروا وتوافقوا فتحضروا حالا لنقضي المعلوم
ولا تنسوا فضل ابوزيد وحسن ولا تتركوا ثاراتهم يا قوم
فردوا لنا منكم بالعجل يا خليفة المبرور والمرحوم

قال الراوي فلما فرغت الجازية من كلامها ارسلت الكتاب الى طوي ابن مالك فاخذه النجاب وسار فلما وصل اليه اعطاه الكتاب اخذه وقراه ففرح فرحاً لا يوصف وسار واعرض عَلَى بقية امارة بني دريد ففرحوا جميعاً وفرضوا برد الجواب فعند ذلك اشار يكتب الجواب ويقول

يقول طوي والدموع غزاري والنار في قلبي تزيد سعاري
الله اكبر زال عنا همنا وقلوبنا فرحت بذي الاخباري
من خمسة عشر عام في اسر العدا وفي القلب منهم دوم شعلة ناري

لما سمعت خباركم يا جازية   اضاء علينا الحي ولاادياري
ففرحوا بكم اهل الدريد جميعهم   نسوانهم فرحت باخذ الثار
اقروا سلامي للامير بريقع   ايضاً شيبان وكل امـاري
يا جازية هاتي الـقروم واسرعي   لعند ابـو وطفا لاخذ الـثار
دياب غدا خرفان وحيله انقطع   ما عاد لهُ عزم عَلَى البتاري
مقال طوي خليفة مالك   لاخير في قول يكون فشاري

قال الراوي فلما فرغ طوي ابن مالك من كلامه طوى الكتاب وختمه بختمه وقال الى الرسول سلم عَلَى الجازية والامارة وقول لهم نحن قاتلين ومقتولين معهم فاخذ الرسول الكتاب وسار يقطع الفيافي والقفار حتى وصلوا لعند الجازية اعطاها الكتاب فقرأته بحضور الامارة ثم قالت والله العظيم انا قلبي يقول لي ان دياب لا بد ما يغدر بقومنا لان هذا الخبر لا يختفي ثم كتبت مكتوب الى طوي بن مالك تقول له خذوا حذركم ونهـار غدا العيد اذا حضرتم لعند دياب فالبسوا دروعكم واسلحتكم تحت ثيابكم ونحن نصل لعندكم يوم العيد فانقسموا فرقتين النصف يجلسوا عَلَى المايدة والنصف يقوارا كبين خيولهم فسار الرسول حتى وصل الى عند طوي بن مالك فقراء الرسالة وقال هذا الصواب فاهدهم مني السلام والفكر الذي افتكرته الجازية صار لان بني زغبي اخذوا الخبر ونظروا الى بني دريد مخفى حالهم دائماً في اجتماعات واسرار فاخبروا الامير دياب واطلعوه عَلَى حالهم فقالوا له كيف الراي ونحن خائفين من غدرهم وغدر اولاد الامير حسن وابوزيد فقـال

لهم ان الراي عندي ان نعمل وليمة عَلَى العيد وعند مايجتمعوا ادهموهم بسيوفكم واقتلوهم ولا تدعوا من اكابرهم احد قال الراوي وكان ثاني يوم عيد الضحية فعمل دياب الوليمه ومد السماط وكان شي يدهش العقول وعزم بني دريد واكابرهم فحضروا ودخل نصفهم وجلسوا عَلَى الطعام وبقي النصف الاخر عَلَى ظهور الخيل وفي تلك الساعة ارتفع الصياح وعلا من كل ناح ووقع الصوت في بني هلال وارتجت الارض من كل مكان ووقعة الضجة والصيحة واذا بالطبول دقت والرايات خفقت وانتشرت والرماح انعكفت والاصوات ارتفعت والنساء زلغطت فعند ذلك سال دياب عن الخبر فاخبروه بما جرى من اليتامى وانهم نهبوا البوش وقتلوا الرعيان وطافوا عَلَى البلد من كل مكان فعند ذلك ارسل الامير دياب الى ابن اخته الامير بريقع يتهدده بهذه الابيات ويقول

يقول الفتى الزغبي دياب ابن غانم	وقلبي من فعل الدهر تعبان
وقلبي بلي وما عاد الا رسومه	توالت عليه نوائب الحدثان
فلا العمر الا ان نقضيه بالهنا	ولا العرض الا ان يكون منصان
ولا النخل الا ان يكون شوامخ	ولا السيف الا في يد الفرسان
ولا الريح الا ان تهب جنوبها	ولا البرق الا ان يكون يمان
ولكن ياناس تذكرت ما مضى	بجور الليالي مولماً حيران
عَلَى سيد كنا نراعى زمانه	امير الملا حسن ولد سرحان
وابو زيد من اتاه طيب فعله	وجميل فعله عَلَى الورى قد كان

اميرين والله ليس مثالهم ولم ياتي بمثلهم قط زمان
واولادهم راحوا لجايا قطايعا عَلَى ساير الامصار والبلدان
ارسلت كتاب الصلح من عام اول كتاب ومن بعد التصالح امان
بان يرجعوا لاهلهم وبلادهم ضمنت لهم هذا بصدق لسان
وما الشرط هذا يا امير بريقع الا كرامه ابوز يدحيث اوصاني
وقد جيتني حالا بخيل مغيره مقصقصة مقرطمة كالسعدان
معودة لحمل الماء في يوم الوغى عليها شباب يشبهوا النسوان
فلا يقطعوا البيد ولا يقهروا العدا ولا عمرهم نزلوا الى الميدان
زغاليل قد ربيوا بوكر وروضة فعايلهم بالحرب فعل جبان
انا القرم انا الزغبي دياب مفرحاً انا راعي القنديل والصيوان
بيدي رشاوي كلما قد شهرته تروح العدا مني كما الصيصان
ورمحي من الاشطان عشرين عقدة لدعاته تحاكي لدعة الثعبان
وحق ركن البيت مع منزل الصفا وما قد اتي بالكتب والقران
والله لولا الخوف وانتم قرايبا لامحيكم بالسيف من غير توان
وان لم تعودوا البوش والمال كله تروحوا هفايا كانكم ما كان
ولا يبقى صاح بيني وبينكم اذا التقت الابطال والفرسان
حتى تقولوا اليوم يوم حسابكم اما الى مالك وابو رضوان
وهذا اخبرتك يا امير بريقع غدا تصبح في درجة الاكفان
ولا تقول اني صرت شيخاً كبيراً وتقول خالي قلبه قد لان
فارجع عني يا بريقع واختشي والا غدا انزل الى الميدان

مقال الفتى الزغبي دياب ابن غانم اسمع كلامي وافهم الاوزان

قال الراوي فلما فرغ الامير دياب من كلامه طوى الكتاب وبعثه مع نجاب فاخذه وسار الى عند الامير بريقع اعطاه الكتاب ففضه وقراه وعرف رموزه ومعناه وقال الله يعلم ان خالي خرفان ومراده ان ارد له البوش ونحن لا نرضى بالبوش ولا بغيره الا باخذ روحه العزيزة عليه ثم اشار الامير بريقع يرد الجواب ويقول

يقول ابن حسن الامير بريقع وعلقت بقلبي والحشا نيران
على ماجرى فينا وما قد اصابنا من ابن غانم راجح الميزان
ربيع المعايب خالنا ولد غانم وهو خالنا بالسر والاعلان
وان عابنا ترى ما نعيبه ولا نحكي بحقه لفظ نقصان
فلا خير في قوم بغير عقيدهم ولا خير بثوب بغير ردان
ولا خير في سيف بغير غلافه ولا خير في رمح بغير سنان
ولا خير في وجه مليح بلا حيا ويوم الغلا لا تلتقي الضيفان
ولا خير في قوم يضام نزيلهم ان لم يكن في حيهم منصان
امينة غريبة عندكم يا ولد غانم حزينة وعنها بعدت الخلان
وبنتك سميا دعت بنت والدي على الارض مطروحة كما الغميان
فما كان لازم هذه الفعال بحقنا هذه فعال الزور والبهتان
وترسل تهددنا وتهزل جموعنا كلامك هذا كله نقصان
علمنا بانك يا ابن غانم فارساً ويوم الوقايع راجح الميزان
ولكن ما للخال الا ابن اخته فنهض ولاقيني الى الميدان

اما تقتلني وتملك لعدتي ‏ ‏ واما بصدرك اطلق العيدان
انا ابن القوم سلطان عامر ‏ ‏ امير الملا حسن ولد سرحان
لنــا دين عندك وجينا نريده ‏ ‏ فناخذه ان قدر الرحمان
وناخذ منك الثار نشفي غليله ‏ ‏ ويزول عنا الهم والاحزان
ونبقى بعدك في سرور وفي هنا ‏ ‏ وتطيب لنا الاوقات والازمان

قال الراوي فلما فرغ الامير بريقع من كلامه طوى الكتاب وارسله الى خاله دياب فضه وقراه وعرف رموزه ومعناه فاغتاظ جداً واشار يرسل الى ابن اخته ويقول

يقول الفتى الزغبي دياب بن غانم ‏ ‏ واجفان عيني تهمل العبرات
على زمان تقضى راح وانقضى ‏ ‏ وكنا بطيب العيش واللذات
تذكرت انا نجد قبل رحيلنــا ‏ ‏ وكنا بها في احسن النعمات
نلبس جلابيب الحرير وغيرها ‏ ‏ عقود قلايد غالي القيمات
غدرت بنا يا نجد قبل رحيلنا ‏ ‏ وجبت لنا الشدات والنكبات
سبع سنين ما وجدنا قطرة ‏ ‏ وكم اهلك الحر الشديد نبات
فقالوا الاماره من يروح مغرباً ‏ ‏ ويكشف لنا ارضاً بها الخيرات
قالوا جميعاً مــا لنا الا سلامه ‏ ‏ امير ابن امير صاحب المهمات
ابو زيد بالعربان ليس مثاله ‏ ‏ خبيراً ويعرف سائر اللغات
فقمنا جميعاً كلنــا لمحلنا ‏ ‏ وقلنا له يا صاحب المهمات
ابوزيد روح واكشف الارض كلها ‏ ‏ وانظر لنا ارضاً بهــا الخيرات
فقــال سمعاً لكم يا عمنا ‏ ‏ اريد ثلاث رفاق لازمات

بسرعة اتوه ثم ساروا جميعهم   قطعوا جميع الارض والفلوات
مرعي ويحيي ثم يونس بعدهم   اختارهم دون الملا رفقات
وجانا ابو زيد من الغرب وحده   واخبرنا ما صار بالغيبات
ونادى ابن سرحان فحملوا   ولا عاد في نجد سوى الحشرات
وامتدت اضعان الهلالي مغربا   كما البحر في الامواج متلطمات
جرى ما جرى حتى وصلنا لقابس   وجانا الزناتي يطلب العركات
قتل منا تسعين اميراً اكارماً   قروماً امارة كلهم سادات
وجيت لميدان الزناتي خليفة   لقيت له بابين منقفلات
وجلت بالميدان ساعة وقد غدا   حزينا وقد جاء الروع والفزعات
وقال لي ما اسمك قلت ابن غانم   انا القرم انا المذخور الى الشدات
فقال دياب احقن الدم بيننا   وخذ لنصف الملك والديرات
فقلت له جائك الموت عاجلاً   وصح القضا ما عاد فيه نجات
طعنته بحربة من يمين ابن غانم   فاضحى قتيلاً فاقد الحسات
وملكتهم للقيروان وقابس   وجمعتهم من بعد كثر شتات
اخذت انا ثلث البلاد بهمتي   وابو زيد اخذ الثلث بالقسمات
والثلث اخذ ابن سرحان ابو علي   وعدنا بطيب العيش واللذات
تعاون حسن وابو زيد بعداوتي   ونسيوا ليالي الهنا الماضيات
قتلت انا حسن الهلالي وقريبي   وقلت ابقى معي ابو زيد مصلحات
تملك ملكه ابن رزق سلامه   ثلاث سنين حكم كاملات
وصالحني والقلب منه اسوداً   فطيرت الى راسه ثلاث شقفات

وهجوا الامارة بعده من بلادهم ... وراحوا لارض الكوع مع العمات
وجيتوا الينا تطلبوا الثار عاجلا ... مساكين تاري عقلكم بشتات
انا فارس الهيجا دياب بن غانم ... بقتال سباع الغاب لي عادات
حسن وسلامه والزناتي خليفة ... لقد سكنوا في غامق الحفرات
مقال الفتى الزغبي دياب بن غانم ... يا امير بريقع هات مالي هات

قال الراوي فلما فرغ الامير دياب من كلامه طوى الكتاب وختمهُ بختمه وارسله الى ابن اخته الامير بريقع فضه وقراه وعرف رموزه ومعناه فامر بالركوب فركبوا اليتامى ودقوا طبول الحرب وتقلدوا بسلاحهم ونشرت بيارقهم وزلغطت لهم النساء وانضم لهم قومهم بني دريد وبني زحلان ونزلت بني زغبي الى الميدان يتقدمهم الامير دياب فرخ العقاب واسد الغاب وحداف الرقاب وهو من الكبر صار شعره ابيض كالثلج وظهره محني كالقوس قال الراوي وانتصب ميدان الحرب وصار كل فارس قبال فارس فعند ذلك اقبلت الجازية توصي اليتامى وتحذرهم من دياب وقومه واشارت تقول

تقول فتاة الحي ام محمد ... وعيني تدفق دمعها من عيونها
اه يا اماره اسمعوا شرح قصتي ... ومقاتي يا خلق لي فاسمعونها
نرى اهلكم ابطال كانوا قبلكم ... اذا دخلوا ارضاً ترى يرعبونها
ملكوا بلاد الهند والسند واليمن ... وكم عسكر بسيوفهم اهلكونها
عسى انكم يا خاتي تخلفونهم ... وينسر قلبي حين قبض ديونها
وكم ملك جابهم وكم من قبيلة ... وكم بلدة قد هدموا حصونها

واما دياب فهو قرم مجرب ويا قاهر الابطال في يوم كونها
وطعنات ابو وطفا دياب عجيبة جميع ملوك الارض قد يعرفونها
ويطعن باليمين واليسار ومثلها ابو زيد والامارة يهابونها
له هيبة منها الرجال تدكدكة وشهبته اذا سارت فلا تلحقونها
دياب متين العزم قرماً مجرباً وكل ابواب الحرب حاوي فنونها
دياب زاد على الفوارس كلها وهذا كلام الحق لاتنكرونها
مقالات فتاة الحي ام محمد فخذوا حذوكم يا خالتي وافهمونها

قال الراوي فلما فرغت الجازية من كلامها والاماره يسمعوا نظامها قالوا لها صدقت ياجازية ولكن كان دياب في زمان القديم والان عمره خمسة وتسعين سنة والرب يعيننا عليه فلا يكون لك فكر من نحونا فعند ذلك برز الى الميدان فارس من بني زغبي اسمه الدهام وطلب مبارزة الفرسان فقالت الجازية والله ما احد ينزل الى هذا الفارس غيري فقالوا لها الاماره هذا علينا اذا نزلت له ونخاف عليك لئلا تقتلي فيصير علينا العار اكثر ولا تظني ان الحرب مثل لعب الجريد فقالت لهم وذمة العرب والرب الذي طلب غلب والنبي المنتخب ما ينزل الى هذا الفارس غيري فعند ذلك قال الامير شيبان يا امارة اتركوها تبارز هذا الفارس ونحن نقف بالقرب منها فان رايناها مغلوبة ساعدناها وان رايناها غالبة تركناها فعند ذلك برزت الجازية الى الميدان وهي مقلدة بالسلاح والدرع والتقت هي والامير دهام وصار بينهم كر وفر وطعن يتصف العمر فاستلت السيف وضربته على هامة

ارمت راسه قدامه فوقع قتيل وفي دمه جديل فاغتاظ الامير دياب وقال من يكون هذا الفارس الذي قتل فارسنا واليتامى ما فيهم فارس الا مخيبر ابن ابو زيد ومخيبر مات في بلاد الكرع وبينما هو بالكلام برز من بني زغبي فارس اسمه ابو الحمرة ابن الاقرع فصدم الجازية وضربها بالرماح فراحت الضربة خايبة بعد ما كانت صايبة فاعتدلت وضربته بالرمح في صدره طلع يلمع من ظهره فوقع قتيل فقالت بني زغبي ما لهذا الفارس يا امير دياب سواك فعند ذلك برز الامير دياب الى الميدان وقال الى الجازية من تكون ايها الفارس المفتخر بنفسه على ابناء جنسه فقالت له انا ابن هذا الميدان فمالك وللسوال فقال لها انا لا قاتل الا من كان حسبه من حسبي ونسبه من نسبي فقالت له انا اكثر منك حسباً ونسباً انا الجازية اخت الامير حسن وصديقة ابو زيد وقد جيت لاخذ منك الثار فضحك دياب حتى استلقى على قفاه قال لها من تعلمتي الفروسية وانا ان قتلتيني لا اقاتلك لانه عار عليَّ ان اقتل امراة مثلك لانه لا يليق بي هذا الامر واذا قتلتك يقولوا الناس دياب قاهر ملوك الارض بالطول والعرض يبرز لحرب امراة روحي وارسلي الامارة فقالت له ما اروح من هنا حتى احاربك يا خاين يا غدار ثم اشارت تقول

تقول فتات الحي ام محمد ... بدمع جرى فوق الخدود سفوك
فلا تلوموا للحزن اذا بكي ... ولو لم يكون ما لوم كان ضحوك
فلا المبتلي مثل السليم من البلا ... ولا خالي البال كالمهموك

يا ولد غانم انت بواق خاين ... من طول عمرك بالصديق مشكوك
باديتنا بالشر من اول عمرنا ... وباديتهم من قبل ما بادوك
قتلت الفتى مناع يا ابن غانم ... ومن بعد مناع هم قد صافوك
وقالوا دياب قرم ما ينسخى بهِ ... ليوم الوقائع يا فتى خبوك
وما قدموا لك يا دياب اسية ... ولو عرفوا الرديء قتلوك
ولما رحلتم من حمى نجد وارضها ... تريدوا لارض القيروان سلوك
نزلت علَى مكة وزرتم نبينا ... ولاقاكم زوجي الشريف حروك
واكرمكم ايضاً وحب ركابكم ... وقدم لكم المعجون والمعروك
شرت علَى حسن يا دب بقتله ... وهذا ترى شورك لما شاروك
وقلت تقتله وناخذ مواله ... وهذه مجازات الذين اكرموك
فقال لك معركش شورك يادياب ... ولا يكون منا بحسن سلوك
فشاور ابو زيد الهلالي سلامه ... وشور سلامه ليس فيه شكوك
فقال ارسلوا النسوان لعند الجازية ... يجيبوها لعندك ثم بعد يجيبوك

الى هنا انتهى الكتاب الخامس والعشرون من تغريبة بني هلال
ويليهِ الكتاب السادس والعشرون وفيه قتل الامير دياب
من اليتامى وقتل اولاد حسن وابو زيد
من نصر الدين الزغبي

ديوان اليتامى

ويتضمن قتل الامير دياب من اليتامى وتسلطن بريقع
ابن الامير حسن وقتل أولاد الامير حسن وابوزيد
من نصر الدين الزغبي بن الامير دياب وتسلطن
نصر الدين الزغبي على الغرب كلها

الكتاب السادس والعشرون

من تغريبة بني هلال

وبهذا الكتاب تم تغريبة بني هلال على التمام
والكمال والحمد لله على كل حال

يطلب من

مكتبة الترقي

لصاحبها

شكري الخوري وشركاه

شرقي ساحة البرج اول طريق النهر . (بيروت)

يجيبونها حالاً سريعاً بلا بطا ... وخلي ابن هاشم مشتغل ملبوك
فشاورت نفسي يا دياب الغانم ... وقلت لنفسي اتبعين اخوك
وفارقت انا حمده واخوها محمدا ... وخليتهم يبكوا بدمع سفوك
ترى الزوج موجود اينما طلبته ... واخ جناح ولو كان ابن اخوك
ولما غلقت الباب بيني وبينهم ... حزنت عليهم وليس هم اخفوك
وكان ابن هاشم والامارة جميعهم ... بدار الضيافة والهنا مبروك
والهوه بالشطرنج واللعب والطرب ... ودرتم حوله كلكم بهموك
وانت حدثته وما افتهم لكلامك ... ولو يفتهم منك لراح دهوك
وجينا لارض القيروان وقابس ... وفي دربنا يا ما هفينا ملوك
اعطوك ثلث الغرب يا ولد غانم ... وبينهم بالقسمات قد ساووك
فلا زلت بالسؤ والشر والبلا ... تحرك وفعلك بالقبيح حروك
حرقت جميع النخل والكرم كله ... وادهكت ارض القيروان دهوك
ودايم تريد الشر يا ولد غانم ... من اجل هذا ياذياب حبسوك
ذبحت حسن تحت الدجا وهو موجع ... وعا فرشه بالدما معروك
ويتمت اطفالاً صغاراً بحينا ... ينوحوا ويبكوا بالدموع سفوك
جاؤا التجوا نحو ابو زيد عمهم ... وجاؤا يا بو وطفا له بشكوك
ورحت للحبش من بعدمنا هزيمة ... وبقيت اعواماً بها متروك
وجابك ابو زيد وطيب بخاطرك ... وكان شفوقاً عليك مثل ابوك
ويا طال ما نجاك من كل ضيقة ... وقد كان قدومك يا امير عافوك
ومن يزرع المعروف مع غير اهله ... كمن صب ماء الورد فوق الشوك

يجي لماء الورد حتى يشمه   يروح خشمه بالدما مسفوك
خنت ابو زيد الهلالي سلامة   وجميع عباد الله ما شكروك
وطردتنا من ارضنا وبلادنا   وصرتم علينا يا دياب ملوك
وصرنا نقاسي الجوع والضيق والعنا   ندور في الابواب كالصعلوك
وانتم في ارغد عيش في ارض قابس   باموالنا صرتم جميع ملوك
ولكن ابشر في زال زمانك   كبروا اليتامى يا دياب وجوك
اين بقيت تروح يا ولد غانم   فما عاد لك مناجيا وسلوك
فان رحت جوا البحر لازم نلحقك   وان رحت تحت الارض هم يلحقوك
انزل لحربي يا دياب معجلاً   انا بنت سرحان بغير شكوك
قتلت ابو حمرة بعزمي وهمتي   ايضاً ردهام غدا مدهوك
مقالة فتاة الحي ام محمد   ونحن من عهد القديم ملوك

فلما فرغت الجازية من كلامها اغتاظ دياب جداً حيث اهانته كثيرا فاشار يرد عليها ويقول

ايا جازية كفى قبيح لسانكِ   الشر كله والبلا في شانك
انت التي كنتِ السبب فيما جرى   وقد كنت ارجو من زمان وصالك
قالوا يا دياب انت لها وهي لك   ترى الجازية قدخلقت من شانك
ايضاً اخوكِ قد خدمته لاجلك   فخان وعده واحرمني من جمالك
وقدزوجك شاكر الشريف عناية   واستخارلكِ الغريب على عربانك
وصار حسن وابوزيد لي معانداً   وقاسيت في حبكِ كثير مهالك
من اجل هذا قد قتلت سلامه   وايضاً حسن يا جازية ابن والدك

ولو ما تروحي باليتامي وتهربي | لكانت تطيب عندي ترى احوالك
جيت تريدي تاخذي لثارهم | باكر تري يا جازية غلمانك
ان كان اصحاب اللحا افنيتهم | ايش ينفعو يوم الوغا مردانك
قومي وروحي لحبالك عاجلا | وابعثي يا جازية فرسانك

قال الراوي فلما فرغ السلطان دياب من كلامه قال لها يا جازية ابطلي كلام الفشار وارجعي ارسلي لي اولاد الامارة حتى اتبعهم بابائهم فقالت له مابالك ولهذا الكلام انزل الى الميدان حتى اذوقك الموت لانك ردي وخائن وماجزاءك الا قطع الراس فلما سمع الامير دياب كلامها لعبت برأسه نخوة الرجال فرفع رجله وضربها على جنبها بقوة عزمه رفعها عن الحصان ثمانية اذرع ووقعت على الارض ميتة فقال لاولاد الاماره لموا عمتكم لانها قد تطاولت فنالت جزاها ثم رجع الامير دياب محزون عليها وقال في باله الله يلعن الشيطان ما كان لازم هذه امرأة واما اليتامى اخذوا الجازية كفنوها ودفنوها وعملوا عليها مناحة عظيمة وبكى عليها القريب والبعيد وفي ثاني الايام برز الامير بريقع الى الميدان فبرز اليه الامير دياب والتقوا البطلين كانهم جبلين وحان عليهم الحين وغنا فوق روسهم غراب البين مقدار ساعتين من النهار وبعد ذلك قام السلطان دياب بعزم الركاب وضرب بريقع بقفا يده ارماه الى الارض وصاح على الامارة قدموا خذوه قبل ان تصيبه مصيبة ثم صار يضحك عليهم ويقول في نفسه لولا وصية ابو زيد لي لكنت افنيتهم عن آخرهم ولكن خليهم يعرفوا مقام انفسهم واما اليتامى فانهم

رفعوا الامير بريقع وصاروا في هم زائدواحتاروا بامرهم ماذا يفعلوا فاجتمعوا عندالامير ماجد يتشاوروا فقال لهم الامير ماجد هذادياب ما على وجه الارض افرس منه فان كان مرادكم تقاتلوه واحد بعد واحد يفنيكم عن آخركم والراي عندي ان تهجموا عليه هجمة واحدة وحطوه بالوسط ولا بد ما تصيبه ضربة فيقع على الارض فلا تتركوه حتى يموت فقالوا هذا هو الراي والصواب والامر الذي لايعاب ثم باتوا تلك الليلة وفي الصباح برزوا يطلبوا الحرب والكفاح ودقوا الطبول وتقدم امام الجميع الامير بريقع فلما نظرهم السلطان دياب ضحك وقال والله مرادي اقاتلهم بلا درع على كديشة عرجاء فمنعوه قومه وقالوا له انت صرت رجل كبير فما نسلم معك على هذا العمل ثم برز السلطان دياب بلا درع ومامعه الا السيف والترس فالتقاه الامير بريقع ووقع القتال وانحدفوا اليتامى عليه دفعة واحدة فالتقاهم وصاح فيهم صيحة ارتجت منها الجبال واراد ان يضرب بريقع بالسيف يقطعه قسمين فطوحه شيبان بالرمح من بعيد وقع في جنبه الايمن فوقع السلطان دياب على الارض من عظم الالم فمنذ ذلك تقدموا اليه الامارة وقال له الامير بريقع كيف تنظر حالك الآن يا دياب

ثم تنفس دياب وتنهد وقال انا شبعت من الدنيا وهذا مقدار كل موتة لها سبب واشكر الله الذي مت قتيل اولاد ابو زيد واولاد السلطان حسن ولا قتلني احد غريب ثم اشار يقول

يقول الفتى الزغبي دياب ابن غانم بعيني خيال الموت حقاً رأيت

انا يا شيبان قلت حيلتي ويـا طال للمعقود قد حليت
ويا طال ما اشركت قومي برايكم واجرت جاري والذي سريت
ويا طال ما فرقت جيشاً بصارمي واعظم ملوك الارض قدافنيت
ولا العمر ساعة ثم ينقضي ويدوم ذكري والذي اجريت
انا طول عمري ما فعلت قباحة وفي كل عصري قط ماازنيت
ولكنني اخطيت في قتل ابو علي وابو زيد حقاً والنبي اخطيت
ولو لم يبادروا بالشرور وبالاسى ما كنت لهم والله قد باديت
هربتم ومـا كان ظني اخونكم ولو بقيتم نظرتوا الذي ابديت
انا ذاهب التقي الامير سلامه وابو علي ونقضي الذي امضيت
واوصيكم في آل زغبي جميعهم انا في دريد قط ما اسيت
هم يطيعوكم ويصغوا لامركم وسووا الذي في قومكم سويت
واوصيكم ابني صغيراً وزوجتي وهذا الذي يا قوم قد اوصيت
حكمنا وطال الحكم فيما بيننـا سنيناً واعوامـاً بها قضيت
ومال عليّ الدهر ما قلت ينقلب يابين دار العز كيف اخليت
ايا دهر خربت دارنا بعد عزنا يا دهر لا تعكر لمن صافيت
مقال الفتى الزغبي دياب الغانم وامري الى الرحمن قد اعطيت

فلما فرغ دياب من كلامه غاب عن الوجود مقدار ساعة ثم فاق واشار يودع الدنيا ويستغفر من ربه ويقول

يقول الفتى الزغبي دياب المفارق سبحان ربي مـالك الملكوت
سبحان رب العرش جل جلاله له الحمد والاحسان والثبوت

سبحان من انشا من الطين ادماً وخرت له الاملاك بعد سجوت
سبحان من خلق الخلائق جميعها وعلمهم بالحق والمثبوت
مخلقهم وتكفل بقسم رزاقهم وكل من له اجل ورزق وقوت
ايا اولاد العم قولوا سلامتي انا اليوم في كاس الممات بلوت
هلال وعامر مع دريد وزغبي اذا شافهم انسان غدا مبهوت
لهم جيش مثل البحر اذا كان ذاخر وموكبهم دايم عظيم بخوت
فكم من ملك جاهم وكم من قبيلة راحوا من يد هلال شتوت
ندمت على فعلي بهم يا ندامتي على ما جرى مني وفات الفوت
قتلت امارتهم واخذت بلادهم من ارض قابس الى مخرج التالوت
لبلاد السودان والغرب كلها تخوت ومن بعد التخوت تخوت
وعشرين تخت منهم قد ملكتها مرصعة بالدر والياقوت
وهجمت اهاليهم وخافوا من البقا وعادوا جميعاً بالبلاد شتوت
انا نار قلبي من فراق ابو علي وابو زيد تغلي كالمياه بدسوت
انا مفارق الدنيا وذاهب الى غيرها هناك رباً حاضراً ليس يموت
مقال الفتى الزغبي دياب المفارق ايا موت قد زرتنا ثم دنوت

قال الراوي ما فرغ الامير دياب من كلامه حتى اسلم روحه فرحمه الله ورحم الامارة اجمعين وبعد ان مات قال بريقع احضروا لنا السكين التي ذبح بها ابي فاحضروها له فقطع بها راس الامير دياب وفصله عن جسده وتركه ورجع فاتوا قوم دياب واخذوه واكثروا عليه البكا والعويل ومزقوا ثيابهم وناحوا وصاحوا واسرجوا الخيل سود ودفنوا

البيارق السوداء ودقت طبول الحزن واجتمعت الامارة من كل ناحٍ وعند ذلك اشارت سميا تندبه وتقول

تقول فتاة الحي سميا الحزينة ودمعي جرى فوق الخدود سيول
الا يا ابي حاشاك يا سيد الملا تروح على يد العدى مقتول
ايا حيف عليك ياذياب ابن غانم ايا فارس الفرسان يا مجهول
من عاد يكرم للضيوف اذا اتت اذ لفوا بعد العشا للمنزول
ايا وطفا ابكي ونوحي واندبي ابوكِ على الايادي غدى محمول
وات ليالي السعد حقاً وانقضت ولا طلعة الا وراها تزول
يا حسرتي ياكسرتي بعد خلتي وانهد ركني بالعرض والطول
وراحوا بنى زغبى شرايد بعده وما فيهم واحد يسعف المقتول
مقالات فتاة الحي سميا الحزينة وصندوق قلبي قد غدا مقفول

قال الراوي ولما فرغت سميا من كلامها بكوا جميع الحاضرين من قولها وبعد ذلك حضر الامير بريقع واخوته اخذوا خالهم ودفنوه بعد ان بكوا عليه وعادوا الى بني زغبي فوجدوهم طائعين سامعين وجلس بريقع امير على بلاد الغرب وراقت له الاحوال ورتب الملك بحسب مشتهاه واقام اولاد شيبان ورزق وزراء عنده والتهى في وسع ملكه وما عاد سال عن اولاد خاله دياب فهذا ما كان منه واما ما كان من نصرين زوجة دياب فانها لما قتل زوجها قالت لابنها لا بد من ان اولاد عمتك يعملوا حيلة عليك ويقتلوك ليرتاحوا من نسل دياب ويخافون منك لئلا تاخذ ثارك منهم فهيا اركب الشهبا وسير لنحتمي عند احد من اصحاب

ابوك ليبما يسير وقت مناسب لاخذ الثار قال الراوي فعندذلك ركب نصر الدين على الشهبا واردف امه وراه وخرجوا من البلاد تحت جنح الظلام ولما اصبح الصباح وطلع ضو النهار كانوا صاروا بعيدين جدا ولا زالوا سائرين تارة يحولوا يرتاحوا وتارة يسير حتى وصلوا الى غدير جبل وعليه الرعيان تسقي جمالها والبنات والنسوان تلعب حواليه فحول نصر الدين بوالدته فاكلوا وشربوا واقاموا مدة ايرتاحوا وقرب العصر ورد الى ذلك المنهل صبية كانها شمس المضية طويلة القوام كثيرة الدلال عزيد الابتسام بوجه احمر وخال اخضر رقيقة الخصر طويلة الذوائب بعينين زرق وحاجبين مقوسين شفتاها كالعناب وفمها كانه خاتم الاحباب تسلب عقل من رآها بحسنها ودلالها وقدها واعتدالها فلما قربت منه اخرجت اللثام وسبقت في طرح السلام واما الامير نصر الدين لما نظرها طار عقله واخذت مجامع قلبه وقال لها اهلاً وسهلا والف مرحباً وتقدم اليها وخاطبها في كلام لطيف وراح يسالها عن حسبها ونسبها ويقول

يقول نصر الدين من نسل غانم ... يا مرحبا في نجمة المصباح
اهلاً وسهلاً ثم الفين مرحباً ... والعقل معكِ يا مليحة راح
بالله اخبريني يا مليحة باصلك ... وان هي منازلك مع الامراح
وعن اسم ابوك يامليحة واسمك ... وعن قومك ان كانوا قوم ملاح
لان قلبي يا مليحة انكوى ... وجسمي انضنى والقلب مني راح
وان سالتي يا مليحة نسبتي ... نصر الدين اسمي الفارس البطاح
بوي ترى الماجد دياب المنتخب ... جرى سيطه في برها وبطاح

خانوا علينا اهلنا يا مليحة قتلوا ابوي كان عزه لاح
وانا يتيم الاب يا بنت فافهمي مالي مساعد في العنا وتراح
وصرنا ضيوف الحيرين بارضكم حتى الهي يحسن الاتراح
ردي جوابي يا مليحة بالعجل اخذت الى جسمي مع الارواح

قال الراوي فلما فرغ نصر الدين من كلامه والصبية تسمع نظامه انسحب قلبها مع كلامه وبكت لحاله وطار عقلها معه لما عرفت انه ابن اكبر فرسان الزمان وزادت محبته عندها ثم اشارت تجاوبه وتقول

قالت فتاة الحي باني التي شكت جرى الهوى خلى الفواد شمالي
حبك ايا نصر والله ضناني وادعى لقلبي فوق نار هبالي
انا بنت صالح يا امير بلا خفا ابوي امير فارس قتالي
ابوي اميراً وابن امير وميره حاكم على المكناس بالاجمالي
انا وحيدة يا ابن غانم عند ابي ربيت في قومي بعز دلالي
ان كنت قاصد يا امير وطاننا اهلاً وسهلاً فيك يا مفضال
هيا بنا يا امير يم نجوعنا وحبك بقلبي ليس منه زوالي
وارحم فتاة يا ابن غانم تعلقت بالحب وهي تمد كالاطفالي
ونقضي بقايا العمر معنا سوية ونعيش في خير وصفوة بالي
مقاله فتات الحي باني التي شكت نار الهوى حات عظامي حلالي

قال الراوي فلما فرغت الست باني من كلامها والامير نصر يسمع نظامها كاد عقله يطير من شدة الفرح واما امه تقدمت الى الست باني وقبلتها بين عينيها وقالت لها اذهبي الى ابوكِ واخبريه بحالنا فان اراد

يرسل ياخذنا لعنده وذهابنا معك يشين بعرضك وما هو مليح بحقنا ثم ودعتهم وسارت وعندوصولها لعند ابوها وقعت عليه وصارت تقبل يديه وقالت له يا ابي قد رأيت على الغدير امرأة غريبة ومعها ولدها شاب وقد نظرت منهم ما يحزن القلب وهم قاصدينك من بلاد بعيدة واشارة تفهمه عن حالهم وتقول

تقول باني يا ابوي استمع ... واسمع مقالي يا ابي وسماح
نزلت للمنهل يا ابوي بالعجل ... رايت شاباً من امارة ملاح
يدعى بنصر الدين من نسل غانم ... ابوه دياب الفارس النطاح
حكى كلاماً يا ابوي غمني ... له سيرة مرسومة بلواح
جاروا عليه قومه بالظلم والاسى ... قتلوا ابوه والعز عنهم راح
وهو صغير السن ما له مساعد ... اتى قاصدك من برها وبطاح
ومعه امه يا ابوي حسنها ... يشبه لريما بالفلا فضاح
قوم واعزم يا ابوي ضيوفك ... يا امير صيتك بالورى قد فاح
ويبقى لك تذكار في كل الملا ... يثنون على فعلك بدون مزاح
مقالت باني يا ابوي بالعجل ... هيي المنازل قربت الافراح

قال الراوي فلما سمع الامير صالح كلام ابنته اخذه العجب وانبهر من هذا الاتفاق العجيب لان دياب كان خلص له امرأته من بعض امراء العرب وقتل له خصمه وبقى حافظ له هذا المعروف ولما سمع من بنته ان الامير دياب قتل وابنه على الغدير فرح جداً ووثب واقف على الاقدام وامر العبيد ان ينصبوا صيوان الحرير امام صيوانه وركب

في مائة فارس وسار الى الغدير فتقدم اليه الامير نصر الدين وقبل اياديه وقبله الامير صالح بين الاعيان وقال له اهلا ومرحباً يا ابن الامير دياب وصاحب المعروف وفارس الارض الذي صيطه يرعب الاطفال في المهود ويرجف الاساد في الغابات وكانت الشمس قد قاربت الزوال فرفعوا نسرين ام نصر الدين على هودج وركب نصر الدين على الشهبا وسار بين الامارة والامير صالح لا يرفع عينيه منه لانه رآه جملاً جداً ورأى قطاعته كقطعة الفيل وعلامة الفروسية تشهد له لا تشهد عليه ولما وصلوا الى الحي لاقتهم البنات وامراء العشيرة فحولوا بالصيوان الذي نصبوه ولما دخلوا وجدوه مفروش بالحرير ومزركش ومزخرف ولما استقروا للراحة حضر لعندهم الطعام والمدام وباتوا تلك الليلة وهم منشرحين مسرورين وفي ثاني الايام اجتمعوا الامراء والاعيان عند الامير صالح بوباني فاتى بهم الى صيوان نصر الدين فقام لهم على الاقدام ولاقاهم بالترحيب والاكرام وبعد ان جلسوا اخبرهم الامير نصر الدين بقصة والده وكيف انهم قتلوه فبكى الامير صالح عليه وجميع رجال قومه وتاسفوا عليه وصاروا يعزوا نصر الدين وقال له الامير صالح لا تغتم ياولدي فمن خاف مثلك ما مات واصبر على حكم الله لانه قادر على ان ينولك مرادك والان حيث انا كبرت في العمر وما عاد لي اقتدار فمرادي ان انصبك مكاني حاكم على العشيرة وقد زوجتك ابنتي بلا مهر ولا صداق فتعجب الامير نصر الدين من كرم الامير صالح ووثب وقبل يديه وشكره على معروفه. قال الراوي ثم انصرفوا والامير صالح اخذ يهيء لوازم

العرس وارسل الى جميع القبائل يدعوهم الى عرس ابنته فتواردت العربان من كل جانب ومكان وقاموا الافراح والليالي الملاح ودقت الطبول ونفخت الزمور وصارت الارض تهوج وتموج مثل ايام هاجوج وماجوج وعين الامير صالح مدة العرس اربعين يوماً فنحر النوق والاغنام ودارت ليالي الافراح ونهار الاربعين زينوا صيوان الامير نصر الدين ولبسوه حلة من الحرير واجلسوه على كرسي من العاج وصارت الفرسان تتوارد اليه وتتصفصف حواليه وقام الميدان ولعب الجريد بين الابطال وعند المساء اخرجوا العروس من بيت ابيها وهي كالشمس المنيرة وعليها من الجواهر ما يبهر الانظار واركبوها على هودج عالي من الحرير المقصب وبعد ان طافوا بها ادخلوها على صيوان نصر الدين واتى القاضي والشهود وعملوا الفروض الدينية ثم انصرف الجميع وبات مع العروس في هنا وسرور واصبح ثاني يوم منشرح الصدر مسرور الخاطر وبقوا مدة ايام في مثل هذا الحال وبعد ذلك اجلسوا الامير نصر الدين حاكماً على القبيلة عوضاً عن عمه وباركت له في ذلك الامراء والاعيان وصار يتعاطى على الاحكام ويعدل في الرعية ويوهب ويعطي الشعراء والفقراء حتى احبه القريب والبعيد وصارت تنقل ذكره الشعراء من مكان الى مكان ويوصفوا كرمه وجوده وصار هو ايضاً يركب الى الغابات ويصطاد الاسود والفهود ويسطي على كل عاصي ونمرود حتى طاعت لحكمه كل القبائل وصار له اسم وهيبة اعظم من ابوه. قال الراوي فهذا ما كان من الامير نصر الدين واما ما كان من الامير بريقع ملك تونس فانه بعد قتل

الامير دياب كثر ظلمه وطغى وبغى وتكبر ولا عاد يفرق بين الامير والفقير واكثر جوره كان على بني زغبي وانعكف على معاشرة النسوان واللهو واللعب حتى كرهه القريب والبعيد ولا سيما بني زغبي ولما اعياهم الامر اجتمعوا عند الامير خطار احد امراء بني زغبي وقالوا له اتينا لنستشيرك في امورنا لان ما عاد لنا طاقة على حمل ظلم اعدائنا وهم دائماً يتسلطون على اموالنا وحريمنا فلما سمع كلامهم الامير خطار اطرق راسه الى الارض برهة ثم رفع راسه وقال ياقوم انتم عملتم بحالكم هذا العمل لانكم تهاونتم وما احد منكم شهر سيف في وجوه اليتامى وقتل الامير دياب وما انهيتم لقتله ولكن انتم تعرفون ان لا يفرجكم من هذا الضيق الا الامير نصر الدين لانه فارس مغوار فالاوفق نستخبر عنه في اي ارض ونرسل نستدعيه يتسلم قيادة الفرسان فقالوا له افعل مرادك فنحن لا نعرف تدبير هذا الامر الا منك فعند ذلك ارسل الامير خطار استدعى رجل شاعر خبير بالبلاد والقبائل اسمه ناصر وقال له مرادنا تستقصي لنا خبر الامير نصر الدين واطلعه على القصة فقال على بذلك ولكن اعطوني رفيقين فاعطوه واحد اسمه منصور والاخر اسمه حامد فلبسوا ثياب الشعار واخذوا الربابات على اكتافهم ومشوا من ذلك اليوم وصاروا يطوفوا البلدان ويمدحوا العباد وبقوا على ذلك مدة شهرين حتى وصلوا الى غدير ماء في بلاد الفاس والمكناس فجلسوا على الغدير ليرتاحوا فوجدوا جماعة من الرعيان فسلموا على كبيرهم وسالوه عن بلادهم اذا كان موجود امير كريم يمدحوه فقال لهم كبير

الرعيان اذا كان قصدكم العطا فاقصدوا البحر الغزير والفارس الخطير والسيد الشهير نصر الدين فقال ناصر له من هو هذا الامير قال له هذا امير حجازي اتى الى بلادنا لان قومه بني هلال قتلوا ابوه وتزوج بنت اميرنا وصار الحاكم على بلاد الفاس والمكناس ولا اظن يوجد افرس منه على وجه الارض وقد سمعنا ان ابوه كان فارس مشهور وبطل صنديد قهر الملوك والابطال واسمه الامير دياب فلما سمع الشاعر ناصر هذا الكلام كاد يطير من الفرح وقال له بالله عليك يا ابن العم دلنا على هذا الامير فنحن من عربه ويصير لك عنده المقام الاكبر لانه يسر بنا ويحب ان ينظرنا ومعنا له اخبار عن اهله فسار كبير الرعيان امامهم حتى وصلوا اوجدوا المجلس محبوك فجلسوا في الخارج فالتفت نصر الدين وجد شمار خارج الباب فشافهم فقال لهم تفضلوا يا شعار شرفونا فدخلوا فامر ان ياتوهم بالزاد فاكلوا واحضروا لهم القهوة وبعد ذلك قال لهم الامير نصر الدين هاتوا سمعونا يا شمار ماعندكم من الاشعار فعند ذلك اخذ ناصر ربابته واشار يمدح الامير نصر الدين ويقول

يقول الفتى ناصر على ماجرى له ... ودمع عيني على الخدود ذروف
يا ملك اسمع كلامي وقصتي ... وافهم الى قولي وكون نصوف
نحن ترى شمار بالارض كلها ... نقصد ابواب الخير ن نطوف
طفنا بلاد السرور والكرج واليمن ... ودرنا المداين سهلها وحروف
وجينا لنحو الغرب تونس بلاخفا ... الى عند امير فاقد المعروف
يدعى بريقع ولد الهلالي ابو علي ... له صيط اشنع من حريق الصوف

دخلنا لعنده يا ملك في قصره مدحناه في قول مليح ينوف
من بعد قولي يا ملك جاد بالعطا اوهب لنا عنزه ومعها خروف
قلت له بريقع ما تختشي بالعطا ماهي الى ابوك ابو علي الموصوف
قام بضربي ثم ضرب رفاقتي قمنا هربنا والعقل صار خفوف
جينا الي يم خطاراً اميراً مجرباً ولد ناصر السيد الموصوف
امر لنا في الف دينار احمراً ومايه ناقة والف راس خروف
ومايه شقة من حرير غاليا وعشرون احمر من خيول هدوف
وقال لنا بالله فاعذروني اني مقصر بالعطا يا ضيوف
ودرنا على كل الزغابي جميعهم تراهم كما زهر الربيع هفوف
ولكن ترى سلطانهم بريقع منكداً له وجه معتم اغبر مكسوف
وذايقين الصبر منه يا ملك يبكون على عز لهم كان ينوف
لما دياب الخيل راح وارتحل ذهب عزهم والعقل عاد خطوف
لما اردت وداعهم قد وقفوني يوصوني وصايا كاملة الوصوف
يقولون لي بالله يا شاعر استمع لنا فاقد بالفلا موصوف
يدعى بنصر الدين من نسل غانم وابوه دياب الفارس المعروف
ان كنت توجده لنا يا شاعر نعطيك كل ملاكنا وحروف
وقول له يركب الينا وينحدر من فوق شهبا شبه بحر يطوف
عسى يعود السعد الينا ويرتجع وتعود ايام الهنا ونشوف
فرحنا ندور في البلاد جميعها لعل نلاقي الفارس المكاوف
وناخذ البخشيش من آل زغبي ويزول عنهم الهم والمتلوف

سمنا بصيطك قبل ان ندخل للحما بانك صميدع فارس موصوف
قصدنا عتابك ياملك جود بالمطا واجبر فوادي لا تكون مخوف

قال الراوي فلما فرغ ناصر من كلامه انهات الدموع من عيون الامير نصر الدين وتحركت فيه نخوة الزغابي وبعد برهة قال للشماز ياشماز قد غمرتمونا في معروفكم ثم اشار يعلمهم بنفسه ويقول

يقول نصر الدين فيما جرى له ودمعي جرى فوق الخدود وهان
كلامك ضناني وهد حيلي وقوتي كوى فوادي واشعل النيران
وفكرتني في قوم كسروا بخاطري وخانوا ابوي سيد الشجعاني
انا ربيت بالعز في دار والدي دياب ابن غانم فارس الفرسان
ولما انقلب فينا الزمان بفعله قتلوا ابوي قومه الكشحان
وقوم الزغابي خامروا على ابن غانم وملعون رجل في عزوته قد خان
ان قدر الرحمان اخذ بثاره بعون ربي خالق الاكوان
ويزول عنا الهم والغم والاسى ويصير قلبي منتعش فرحاني
فبالله يا شاعر اذا جيت حينا سلم على اهلي مع الاخوان
احكي لهم بالصدق عن نار مهجتي واني لهم مشتاق واحمان
لا بد ياتي يوم ينسر خاطري اجيهم على شهبا كما الحيتان
واقتل عدوي ان اراد ربي يساعدي وقولي صحيحاً ما به بهتان
انا نصر الدين زغبي كنوتي ابوي عياره راجح الميزان
من بعد شهراً كاملا يا شاعر اقصد منازلكم مع الاوطان
ويقوم سوق الحرب بيني وبينهم واقتل بريقع والفتى شيبان

وافني اكابرهم وكل جموعهم وأحكم بلاد الغرب والبلدان
وخلي نساهم في البراري سائحة مهتوكة تبكي على الفرسان
واجلس على تخت الزناتي خليفه سيفي يطيع شوكة العصيان
وانتم لكم ياشعار مني عطية عطية كريماً ليس هو فزعان
لكم ترى الفين ناقة محملة والف شقة مختلفة الالوان
ومية حمرا من سلايل خيولنا والف فاطر باللحوم سمان
وميتين عبدا كي تسوق جمالكم وميتين عبدة تتبع الرعيان
والف درعاً والف سيفاً مسقطاً والف خنجر قبضته مرجان
والف خوذة يا شعار مذهبة والف رمحاً من عواد الزان
وخذوا لكم الفين دينار احمر تسعف لكم في عمركم وزمان
اسالكم بالله لا تواخذوني اني مقصر بالعطا وهان
مقال نصر الدين عما جرى له صبرا جميلا والمقدر كان

قال الراوي فلما فرغ الامير نصر الدين من كلامه فزوا الشعار واقفين على الاقدام وكشفوا عن وجوههم اللثام وقالوا له والله نحن من اولاد عمك وقد اتينا بصفة شعار لندور عليك في البلدان حتى تجي وتخلصنا من ظلم بني هلال والحمد لله الذي وجدناك في هذا العز . فلما عرفهم الامير نصر الدين وثب اليهم وجعل يقبلهم ويسلم عليهم ويسالهم عن الامارة واحد بعد واحد ثم قال لهم يلزم ان تبقوا عندنا ثلاثة ايام وبعد ذلك تروحوا تبشروا قومي اني بعد ثلاثين يوم اركب من هنا بقومي وبعد ستون يوم اكون عندهم وافرج عنهم العار ويعود لهم الزمان

كما كان فاقاموا عنده ثلاثة ايام وبعد ذلك خلع على كل واحد منهم خلعة ملوكية وان تساق امامهم الانعام فارادوا يستعفوا فقال لهم لا بد ما تاخذوها لاني سمحت لكم فيها حينما كنتم شعار ونالا لكن ارجع بما اعطيت وبعد ان ركبوا واحضروا لهم كل ما وهبهم وساروا يقطعون البراري والقفار حتى وصلوا الى بيوتهم واخذوا لانفسهم الراحة فعرفت بني زغبي بقدومهم فاتوا وسلموا عليهم ومعهم الامير خطار وبعد ان شربوا القهوة قال لهم الامير خطار هاتوا بشرونا بالذي رايتوه فراح الامير ناصر يخبرهم بالذي رآه ويقول

يقول الفتى ناصر عما جرى له ... ايا قوم اصغوا للحديث الذي جرى
درنا بلاد الغرب والديرى جميع ... حتى بلاد فارس وارض الكوجرا
دلنا الى المكناس في عشرا رجب ... ولهم ملك والله سبعاً غضنفرا
اشقر ظريف القد حلو مباسمه ... يشبه دياب الخيل يا اهل الورى
ما شفت مثله بالكرم اهل الكرم ... يجري عطاه مثل فيض الابحرا
لما تشوفوا على الفوارس ينتمي ... مشبه لعنتر فوق ظهر الابجرا
له صيوانـاً ميتين اميرا حوله ... والفين عبدا واقفة متسورا
وميتين مملوكه امامه تخدمـه ... مثل الكواكب حسنهم متقمرا
يقضي ويمضي والانام تطيعه ... مين الذي خالف كلامه يقهرا
دخلنا لعنده بالمسا وقت العشا ... وانا بصفة شاعر حوالي منكرا
بعدان اكلنا الزاد وشربنا الشراب ... عدلت انا لربابتي يا اهل الورى
واخبرته عن قصتي وعن سفرتي ... وعن حالنا يا قوم والذي جرى

وثب الينا وقال اهلاً وسهلاً انتم عمامي اولاد عمي الانصرا
وقال لي روحوا لاهلي وبشروا الى عمومنا وخوالنـا والاصهرا
لازم اجيهم فوق شهبا مبرشمة تشبه الى ريح الشمال اذا جرى
واقتل عدوي واشتفي من قتله وافني اكابرهم كذاك الاصغرا
انا نصر الدين ما فيَّ غبـا ادعي الفوارس بالحروب مقهقرا
اوهب لنا هذه الموال جميعها تعجز ملوك الارض عنها وتقصرا
يا آل زغبي ابشروا في سعدكم قد غاب نجم النحس عنكم واندرا
من بعد شهراً كاملا ياتى لكم شبه سبع لو فلت من موكرا
شدوا حزم خيولكم ياقومنـا جانا الفرج من عند رب المقدرا
ما قال ناصر راح عقلي وانشرد مما نظرنا في عيون المتبصرا

قال الراوي فلما فرغ الامير ناصر من كلامه والزغابى تسمع نظامه طاروا من شدة الفرح وما احدالا وتقدم وقبل الامير ناصر وادوا له الشكر الجزيل ودارت البشائر في الحي واخذوا من ذلك الوقت يهيوا حالهم الى الملقا وعند فروغ اليوم المعين خرجت الامارة الى خارج البلد وطلعوا على تل عالي ونظروا الى البر ساعة من الزمان والا نظروا عن بعد غبرا فصبروا عليها فانجلت عَن خيال راكب في ظهر شقرا كانها البرق وما في بطا الا ووصل اليهم فقالوا له من اي موضع قادم قال من عند سيدي الملك حاكم بلاد الفاس والمكناس الامير نصر الدين وسبب قدومي هو لكي ابشر بني زغبي بتشريفه في هذا النهار فعند ذلك اعطوا خبر الى كامل بني زغبي فخرجوا تسعين الف فارس بالحديد

غواطس ومعهم الراية البيضاء التي كان ينشرها السلطان دياب فخرجت
مشيخة الشباب ستين الف فارس وخرجوا قوم بني فايد تسعين الف
فارس وما بقي في تونس الى بني دريد وبني زحلان وجملتهم مائة وثمانون
الف فارس واما جملة الذين خرجوا الى الملتقا مائتين واربعون الف
فارس من كل مدرع ولابس في الحديد غواطس اما من العبيد والنساء
والاولاد لا يعلم عددهم غير رب العباد ولما تكامل خروج الفرسان
مشيوا جميعهم مقدار ساعتين من الزمان فوصلوا الى مكان واسع جميل
المنظر وذلك المكان يدعى عين برشان فحلوا هناك وما اخذوا لانفسهم
الراحة الا والغبار غبر والجو بعد الصفاء تعكر وثار ذلك الغبار حتى
لحق عنان السماء وبعد ساعة انجلى ذلك الغبار فبان عن بيارق مغربية
وخيول شامية وفرسان مكناسية ورماح خطية وسيوف عجمية ودروع
داوودية وخود سليمانية وطوارق هندية وفي اول تلك الخيل فارس
طويل القامة عريض الاكتاف اشقر اللون ازرق العينين عليه درع
داوودي مطبق في الزرد وعلى رأسه خودة من عمل الهند وعلى
كتفه رمح طويل مكعب وعلى يساره سيف مشطب وراكب حجرية
عربية كانها الحمامة الشهبا بنت الخضرا الاصلية وهو في ظهرها كانه
نمر جارح او ليث فاضح وهو الاسد المهاب والفرخ العقاب مشعل النيران
في الهضاب السبع الاروغ والبطل الصميدع الملك نصر الدين الزغبي
ابن الملك دياب الذي خضعت له صناديد الرجال وعلى يمينه عمه الملك
صالح النمر الجارح وعلى شماله ابن الاخ الامير صالح الامير محازم

الليث الحازم ومن وراه عشرين راية وتحت كل راية خمسة الاف فارس
ليوث عوابس فلما وصلوا لبعضهم البعض حول الملك نصر الدين على
عين برشان واخذ يسلم على كافة الفرسان كل امير بمفرده وبعدها امر
في نصب الخيام في ساعة وكان كل شيء متمم ونصبوا الى الملك
نصر الدين والى عمه صيوان على خمسمائة عامود من النحاس الاصفر
وعشرون الف طنب وذلك الصيوان من الحرير الاخضر في اعلاه
تفاحة من الذهب الاحمر ومن داخله منقوش في تواريخ الاولين وعليه
صور ملوك القدماء السالفين فجلس الملك نصر الدين على كرسي من
الذهب وجلس عمه عن يمينه وابن عمه على شماله وسحبت العبيد السيوف
وتمثلت امامه والخدم بين يديه والشاويش ينادي العزة لله الواحد
القهار . قال الراوي فهذا ما كان من امر الملك واما ما كان من
بريقع ابن حسن اجتمع مع وزيره شيبان وقال له ارى اليوم بني زغبي
خرجت لخارج البلد وهم في ضجة عظيمة فما عساه يكون في ذلك
فقال له ليس عندي علم في شيء وهم في الحديث والا دخل عليهم بعض
العبيد وقال اعلم ايها الملك ان الفرسان قد ملأت الارض واتى من
بلاد الغرب ملك عظيم وخرجت بني زغبي الى لقياه وقد اجتمعوا
به على عين برشان وقد سلموا عليه سلام الاخوان فلما سمع بريقع
ذلك الكلام صار الضيا في عينيه كالظلام والتفت على شيبان وقال
له ارسل من يكشف لنا خبر القوم فارسلوا جاسوس فسار ودخل
بين بني زغبي وعرف المضمون وعاد فاخبر بريقع فلما سمع بريقع هذا

الخبر صرخ صوت من ملو راسه وقال وحق من خلق السما ورفعها من عمد وبسط الارض لادعيهم عبرة لمن اعتبر واحدوثة بين البشر وما يكون قدر هذا العلق بين الفرسان فوحق من كون الاكوان لادعي سنان رمحي في صدره وسيفي البتار في عنقه وحالا امر في دق الطبول ونادى على الفرسان لتعتلا على ظهور الخيول والتمت الفرسان وركبت الشجعان اما من بريقع لبس درع ابوه وتقلد في كامل السلاح وتملا في ظهر بنت الحيصا والامير شيبان فعل مثله وخرجوا من تونس في مايه وثمانون الف فارس اسود قشاوس ولما قربوا الى عين برشان نظرتهم الاعيان فتراكضت الفرسان الى ركب الخيول ووقعت العين على العين واصطفت العسكرين واما الملك نصر الدين لم يتحرك من مكانه وكانه لم يرى شيء. قال الراوي انه لما دق طبل البراز برز الامير شيبان ابن الامير ابو زيد الى الميدان وطلب مبارزة الفرسان وقال لا ينزل اليَّ لا كسلان ولا بليد الا السادات الاماجيد فلما نظره الامير نصر الدين قال من هذا الفارس قالوا له هذا هو شيبان ابن ابو زيد فهم ان ينزل اليه فسبقه الامير محازم ابن اخ الامير صالح وصدمه صدمة جبار فتلاقاه الامير شيبان فتلاطما وتلاحما فتارة يتباعدوا وتارة يتقاربوا الى ان طلع من الاثنين ضربتين قاطعتين فكان السابق في الضربة الامير محازم فطعنه بين البزين طلع الرمح يلمع من بين اللوحين فوقع الى الارض يختبط في بعضه البعض فلما نظر بريقع بان شيبان قتل برز الى الميدان وطلب مبارزة الابطال وقال لا اريد

ينزل الى حربي غير اميركم نصر الدين فما اتم كلامه حتى صار الملك نصر الدين امامه فقال له بريقع اين كنت مختبي يانسل الاوغاد فقال له نصر الدين اسكت ياردي الاصل لو كان فيكم فارس لما تركتكم للان ثم التقاه كما تلتقي الارض العطشانة اوايل المطر وصار الامير نصر الدين يفتل حول بريقع في الشهباء مثل حجر الطاحون واما بريقع وجد حاله مع خصمه مغلوب وصار يستغنم الفرصة لكي يفر من امامه ولكن الامير نصر الدين لم يمكنه من ذلك بل هجم عليه وضايقه وصرخ فيه صوت حتى سمعت له الخيل اذانها وقال له الى اين تهرب يا كلب العرب وابن الزغبي وراك في الطلب وجذب سيفه الضامي من غلافه وقال الله اكبر ونزل به على الامير بريقع فقسمه هو والجواد ربع شقف واوما بيده الى بني زغبي فانطبقوا على بني زحلان مثل القضاء المنزل فما كنت ترى الا رؤس طائرة ودماء فايرة والفرسان غايرة والغبار غطى العنان . قال الراوي فما سلم في تلك الوقعة سوى اربعون شخص من بني زحلان فعندها دخل الملك نصر الدين الى تونس وطلع على قصر ابوه وتسلطن على كل بلاد الغرب وصفيت له الاحكام وطاعته جميع الانام وما زالوا في بسط وافراح مرتاحين من الحروب والشرور حتى اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات

تمت تغريبة بني هلال وهي تباع مع كافة القصص والكتب باسعار متهاودة جدا في مكتبة الترقي لصاحبيها شكري الخوري وشركاه في بيروت